

مجلة الأزهر

تحت إشراف اللجنة
العلمية من الأزهر الشريف
مع مديره
عن مكتب شؤون

المجلد الثالث والعشرون

مدير المجلة

ورئيس تحريرها

محمد فريد الدين

الاشتراك السنوي

٤٠	لمصر والسودان
٥٠	لخارج القطر المصري

ثمن العدد ٤٠ ملياً

إدارة المجلد : بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٥١

الاحتفال بيوم الهجرة النبوية

يحتفل المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها بيوم الهجرة النبوية . واحتفلنا بها نحن في البلاد المصرية كافة في أشهر مساجدها ، وكان احتفال القاهرة به في الجامع الأزهر تحت رئاسة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، وقد حضره صاحب السعادة محافظ القاهرة نائباً عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، فألقى فضيلته خطبة جامعة شملت ملخصاً من تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم ، ضمنها الأصول التي يقوم عليها الإسلام مما يحجب الأعمى ويأخذ بيدها إلى الغايات البعيدة من خيرى الدنيا والدين . كل ذلك في قالب بديع من البيان وسمو رائع من الالتقاء ، مما أعجب به المجتمعون ، وكانوا كلهم من علية القوم وأهل العلم ، أعاده الله على الأمة الإسلامية بالخير العميم ، والسعادة واليمن .

وها هي خطبة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

حضرة صاحب السعادة مندوب حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم .
أيها السادة :

شاعت في الأمم السابقة خرافات وعقائد باطلة لم تكن وليدة بحث ودرس ونظر واستدلال ، وإنما هي أقوال ملفقة ، يأخذها الخلف عن السلف ، ويقلد فيها الأبناء آباءهم من غير فهم ولا روية ، وهي موضع تقديرهم ، ومحل اعتبارهم ؛ وأشد الناس تمسكاً بها وحفاظة عليها المترفون ، لأنهم يعتقدون أن في الدين زوالاً لهيئتهم وذهاباً لعظمتهم ؛ قال تعالى ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ،

وقد أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة بدينه الذي ارتضاه لخلقهم ، واختاره لعباده ، من يوم مبعثه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فكان موقف أمته منه ، صلوات الله وسلامه عليه ، موقف الأمم السابقة من رسلها ، ولم تستحدث الأيام خلقاً ، ولا حالت من الزمن العبود .

بدأ محمد صلى الله عليه وسلم ، بدعوة العرب ، وكانوا وقتئذ أقل الناس حظاً وأشقاهم عيشاً ، وأبينهم ضلالة ، بأسهم بينهم شديد ، يقتلون لأقل الأمور وأحقر الأسباب ، وكانوا متفرقين لا تجمعهم وحدة ولا يشملهم نظام ، وكان يجاور العرب ، دولتان عظيمتان : دولة الفرس ، ودولة الروم الشرقية ؛ استولت كل واحدة منهما على ما جاورها من بلاد العرب ، وجعلت عليه حاكماً من العرب ، يعمل لها وينفذ إرادتها ، ويرعى مصالحها ، وبهذا الوضع كان العرب محصورين في جزيرتهم ، قانعين بما فيها من مفاوز وصحارى .

دعاهم صلى الله عليه وسلم إلى خير الأمور ، وأفضل الأعمال : دعاهم إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام ، لأنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطى ولا تمنع ، ولا تدفع عن نفسها أذى ، ولا تميظ قذاة ، ولا تخلق حصة ؛ ومع ظهور الحجة ووضوح البرهان ، وتفيهم للحق في كثير من الآيات ؛ قال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، إلى غير ذلك من الأمثال التي صرفها الله تعالى في كتابه ، ومع كل ذلك لم يؤمنوا به ، بل كذبوه أشد تكذيب وبالغوا في الإنكار ، وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ومن جهلهم زعموا أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى عبادة الله ، وترك عبادة الأصنام ، لم تكن إلا لأنه صلوات الله عليه يكره الأصنام ، ويريد الانتقام منها ، لأن بعضها اعتراه بسوء ، وألحق به ضرراً ، فقالوا : « إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ، فكان ذلك صراعاً بين الحق والباطل ، وبين الحجة والبرهان ، والجهل والطفيلان ، ولم يبقوا عند التكذيب والإنكار ، بل تجاوزوا ذلك إلى إيذائه وإيذاء من شرح الله صدورهم للإسلام ، فقبلوا دعوته ، وآمنوا برسائله ، وفازوا بشرف السبق ، وكلما بالغوا في الإيذاء ، بالغ صلى الله عليه وسلم في الصبر ، واجتهد في الدعوة ، وكان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص ، عظيم الاهتمام بكثرة الأعوان والأنصار ليتمكن بذلك من أداء مهمته ، وتبليغ رسالته ، فكان عليه السلام يتلقى من أقبلوا

الاحتفال بيوم الهجرة النبوية (ج)

إلى مكة في موسم الحج ، فيدعوهم إلى الإسلام ، ويقرأ عليهم القرآن ، فما أجابه أحد ، ومنهم من رد عليه رداً قبيحاً .

وقد اجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقابلة الوفود ، ولم يصرفه لإيذاء قريش عن دعوته ، ولا الرد القبيح عن السعي في إدراك طلبته ، فكان يقابل الوفود في كل موسم ؛ ففي موسم التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجماعة من الخزرج ، ولما عرض عليهم الإسلام قبلوه ، فكان ذلك الاجتماع مقدمة النجح ووسيلة الفوز ، فانهم لما عادوا إلى أهلهم بالمدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والدين الذي يدعو إليه ، فأسلم منهم كثيرون ؛ وفي موسم آخر حضر جمع من مسلمي المدينة والتقى بهم رسول الله وبأيعوه . إن هاجر إليهم ، على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ؛ وبعد ذلك أمر صلوات الله عليه ، أصحابه بالهجرة إلى المدينة والحقوق بإخوانهم ، وقال لهم : إن الله قد جعل لكم إخوانا ودارا يأمنون بها ، فخرجوا أرسالا ، رجالا ونساء إلا من حيل بينهم وبين الهجرة من المستضعفين ؛ ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صارت له شعبة وأصحاب من غير بلدهم ، وخرج أصحابه من المهاجرين إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، اتعمروا على قتله قبل الهجرة حتى يأمنوا حربه .

ولما علم رسول الله ما أجمعت عليه قريش ، وعرف الليلة التي يريدون الفتك به في صباحها ، توجه صلوات الله عليه إلى أبي بكر ، وأخبره أن الله أذن له بالهجرة ، فسأله الصحبة ، فأجابه إليها ، واتعدا على الهجرة في تلك الليلة ، وقد أمر النبي صلوات الله عليه على بن أبي طالب أن ينام مكانه في تلك الليلة ويتسجى ببرده لئلا يرتاب أحد في وجوده ، وأصبحت فتیان قريش ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم للفتك به ، فإذا بعلى يخرج إليهم ، فعلبوا أنهم باتوا يحرسون عليا .

ولما علمت قريش بذلك ثارت ثائرتهم وأخذوا يقتصون الأثر ، وجعلوا لمن يأتي به حياً مائة من الإبل ، وهاجر صلى الله عليه وسلم بإذن الله وفي رعايته وحفظه إلى أن بلغ المدينة ، ولما استقر بالمدينة أخذ ينشر دعوته ويبلغ رسالته إلى أن بلغ كل ما أمر بتبليغه ، وبذلك تمت الشريعة وكل النظام الذي وضعه العليم الحكيم .

والشريعة التي بلغها سمو بالعقول عن التقليد، واتباع القول بلا دليل، وأمرها بالنظر فيما بث الله في الآفاق من آيات، ونصب في الكون من دلائل تدفعها إلى الاذعان بوجود الله، وبما له من صفات الكمال . من القدرة التامة والعلم المحيط والتفرد بالسلطان فيما عداه ، يمضي فيه حكمه وينفذ قضاؤه ، وعبادة وخضوع وتقرب وخشوع ، شكرا لمن خلقتهم ، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة والباطنة . وتهذيب نفوس وتطهير قلوب . وبعد عن الآثام والذنوب ، وتزهد عن الصغائر ، وصدق في القول ، وإخلاص في العمل ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وشجاعة ونجدة ، وإعداد عدة لإرهاب الأعداء ، ومساواة فكاهم عند الله سواء ، لافرق بين عظيم وحقير ، لا فضل لأحد على أحد إلا بتمتوى الله والتقرب منه ، ومساعدة الضعفاء والمحتاجين ، وتعاون وتناصر ، وتواد وتراحم وتعاطف وطاعة الله ورسوله وأولى الأمر من المسلمين ، إلى غير ذلك مما أمرت به الشريعة ، وحثت عليه ، ورغبت فيه ، وقد أعد الله تعالى للذين يعملون الصالحات سعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليسكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . وقال تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا .

وقد عملت الأمة بتلك الشريعة ، فأنت أعماها الصالحة أكلها ، وأثمرت ثمرتها في بناء الأمة على أسس متينة ، وأخلاق عظيمة ، وربطت بينهما برباط التعاون والمساعدة ، والمساواة والألفة والمحبة ، والدين والخلق ، فاتحدت بعد تفرق ، وقويت بعد ضعف ، وسعدت بعد شقاء ، وعزت بعد ذل ، فعظم قدرها وعلا شأنها ، وأحكم أمرها ، فغيرت وجه التاريخ ، وفكت الحصر الذي ضربته دولة الفرس ، ودولة الروم ، وفتحت بلاد الأعداء الذين كانوا يكيدون لها ، ويعملون على مضايقتها ، ولا زالت الدولة الإسلامية تفتقل من فتح إلى فتح ، ومن نصر إلى نصر ، وعاشت قوية عزيزة ، تتمدرها الأمم ، ويرهبها الأعداء ؛ ولما انحرفت عن العمل بالدين ، واتباع هدى سيد المرسلين ، اعتراها الضعف والوهن ، فلانت قناتها ، وذهبت هيبتها .

وإني أدعو المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يستمسكوا بدينهم ، ليقيم

(٥)

العام الهجري الجديد

شروع المذاهب المحدثه ، والآراء المتطرفة التي تخالف دينهم ، وليكون بينهم
اتلاف واتحاد ، فيكون لهم بذلك قوة ومنعة تدفع عنهم الأعداء .

ولم أوجه التهنية لإخواني وأبنائي المسلمين ، داعياً أن يعيد الله عليهم هذا العيد
وهم في غبطة وسعادة .

وأوجه إليه تعالى أن يحفظ جلالة الملك المعظم فاروق الأول ذخراً للبلاد ،
وراعياً للدين وأهله ، وأن يطيل في عمره ليستقبل من أعياد الهجرة ما لا يعد
ولا يحصى ، وأن يوفقه ويوفق ملوك المسلمين وأمرأهم إلى ما فيه خير الإسلام
والمسلمين ، كما أسأله أن يوفق رجال حكومة جلالاته للعمل لخير البلاد والعباد
في ظل جلالاته ، أعزه الله وسدد خطاه .

والسلام عليكم ورحمة الله

العام الجديد

ونعز بعد فضيلة الأستاذ الأكبر حضرة الأستاذ النابه الشيخ حسن جاد
المدرس بكلية اللغة ، فألقى قصيدة عصماء قوبلت بإعجاب عظيم فنشر أبياتاً منها
تقديراً لقدرة منشئها :

بشارك بالعام الجديد	قم حتى مطلع السعيد
قل يا وليد الدهر حدث	ما وراءك يا وليد
جددت أروع ذكريا	ت المجد في الماضي المجيد
ونشرت أبداع صفحة	يزهى بها سفر الخلود
ذكرى تهر الشرق تحنا	نأ لماضيهِ التليد
من ذلك السارى بجنح	الليل في سجماء يد
يمشى غريب الدار في	أوطانه مشى الشريد
الأهل تنكره ، وتعر	فه المسالك والتجود
وربوع مكة كلها	توى إليه بالسجود
والليل يرهف سمعه	لخطاه والنجم الشهيد
لم يثنه عن عزمه	وعد العشرة والوعد

الحق في يمينه يعشى	نوره قلب الجحود
مكروا وراموا كيده	والله يعصم من يريد
من ذلك الغازي كأن	خطاه زلزال شديد ؟
الأرض ترجف تحته	وتكاد من هول تميم
قاد الجيوش مظفراً	يختال في خفق البنود
قد راع مكة زحفها	قدماً وأهلوها قعود
وكأنما تكبيرها في	سمعهم قصف الرعود
واستسلم الطاغى وألس	كل جبار عنيد
واندك طود المشركين	وزلزل الحصن العتيد
وتداعت الأصنام وانك	فأت على هام العبيد
الله أكبر هذه	عقبى التجدد والصود
ساد النبي على عداه	وكان بالأمس الطريد
هي هجرة الحق الغريب	وقصة المجد الفريد
فتبارك الله القوى	وعز ذو العرش المجيد

* * *

قل يا وليد الدهر حدث	ما وراءك يا وليد ؟
ماذا يخبئه غد	ومن المسود ومن يسود ؟
وأد السلام دعائه	ورموه في ظلم اللحد
هم حاسدوه وقد يفرك	بابتسامته الحسود
ليس الشهيد قتيلهم	إن السلام هو الشهيد
الغرب حاد عن الهدى	ونأى عن القصد السديد
يفتن في ذرية له	وى مطامعه تبيد
فالجحور جن سفينه	والبر معتوه الحديد
والشرق مغلوب القوى	أسوان يرسف في القيود
دب الفساد به وأوهن	عزمه طول الرقود
لم يحن من آفاته	غير الأمانى والوعود

لو تنهض الاخلاق فيه لعاد فى عزم الاسود
وسما إلى مايرتجيه وأثمرت كل الجهود

قل يا وليد الدهر حدث ما وراءك يا وليد ؟
قرنت بمطالعك السعيد رئاسة الشيخ الجديد
فأل يبشرنا بأن عهدوه أزكى العهد
دلت مخايله على يمن الطليعة والسعود
فالأزهر اليوم اغتدى يختال فى أبهى البرود
من بعد ما استعر اللظى فيه وشب له وقود
أضحى وبابراهيم ، برداً والسلام به يسود
هى حكمة ، والفاروق ، وال مولاي معذرة إذا لم
وأنا الوفى لعهدكم وعن المودة لا أحيد
هو منصب يسمو على النثر المنعق والتصيد
أمل تحقق طالما رمتاه من زمن بعيد
قد طالعتا منه أعراس المنى فى يوم عيد
وقفقت فى أعيناه وسعدت بالعمر المديد

وهذه قصيدة عصماء أخرى للحضرة الأستاذ النابغة الشيخ أحمد شفيق السيد
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

تألق بساما وأشرق زاهره هلال على الآفاق لاحت بشائره
طوى الكون آلاف السنين فادنت ركائبه يوما ولا كل دائره
وكم تشخص الابصار فى مستهله ومن عجب لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت فيا لسجل لم تحبر دفاتره
يمثل ألوان الحياة طفولة يليها شباب يقطر الحسن ناظره
وبعدهما شيب ، كذاك هلاله يكمل بدرأ ، والمحاق أواخره

يذكرنا مسراه في هداة الدجى
تحيفه ظلم عسوف مخاطر
رفيقان في غار خفي تواریا
لقد عشيت عن مشرق النور أعین
وما يبصر الخفافش في روعة الضحی
وليس فراراً ما أتاه محمد
يقيم النعام وادعا في كناسه
إلى طيبة الخير استملت ركابه

* * *

فيا هجرة المختار قد كنت فيصلا
وبدل دين الله بالضعف قوة
فيا لك سوى قد تحولت حيرة
فلم ينصر الكفار والله فوقهم
سما تعالت لن تالوا عناها

* * *

وما عرفت هندي الدنيا كمحمد
ألم يحي هذا الكون بعد مماته
ألم يأتهم بالذكر نورا وحكمة
ألم بين من أبناء يعرب أمة
أباديه في الإنسان بيض كأنها
فلم يحن هذا الكون من مدنية
ومهما بدا في الكون نور معارف

* * *

فيا قادة الاسلام هذا رسولكم
فكونوا جنود الدين والعلم تصروا
وفي عصمة الفاروق الدين عزة
وفي ظل ابراهيم مرجو نجاحكم

تمرس بالاهوال وهي تساوره
ومن ينصر الاسلام فالله ناصره
يذاد بها واهي الذمام ودائره
فألاؤه ترجى وتخشى بواده

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على تواتر نعمه ، والصلاة والسلام على محمد خاتم رسله ، وعلى آله وصحبه ومتبعي ملتة أجمعين ، صلاة وسلاما دائماً إلى يوم الدين .

أما بعد فقد أدركتنا السنة الثالثة والعشرون من حياة هذه المجلة القيمة ، وهي دائبة على خدمة الإسلام والمسلمين ، مترسمة الخطى التي وُضعت لها ، والطريقة المثلّية التي رسمت لتسلكها ، فوجدت طريقها إلى القلوب مهاداً فلسفيتها جادة غير متلكئة ولا وانية ، فأنست من الرأي العام مشجعاً قوياً ، وبلغت من القلوب مكاناً علياً . وقد أسندت إلينا إدارتها منذ نحو عشرين سنة ، فلا تتمدح بما قلنا لها فيها من الخدم ، ولا بما أحدثنا في تحريرها من التطورات ، ولكننا نذكر أن دعوتنا لهذه المهمة كان أمراً يجب التفكير فيه إذ ذاك قبل الاقدام عليه ، لما كان عليه أصحاب الكلمة العليا في الأزهر من الورع المبالغ فيه في الكتابة للدين ، ولكن ما كاد يظهر العدد الذي تولينا إدارته حتى تواترت على الأستاذ الأكبر التهنئات من كل صوب ، حتى من الذين كانوا لا يأبهون للدين ، ويتخيلون أن الكتابة في موضوعه لا تروق للقارئ . واليوم نحمد الله ونشكره على ما حدث من الانقلاب في هذا المجال . فإن القراء أصبح يشوقهم أن يقرأوا البحوث الدنيئة بتقدير عظيم ، وهذا الانتقال الشديد إنما جاءهم من معالجة الكتاب الدينيين في كتاباتهم الشؤون الحيوية التي تهتم الناس أجمعين ، وقد تمرسوا على الاحسان فيها ، ولذلك تنال من قرائها الاقبال والثناء العظيم .

وهذه مجلة الأزهر تنشر في جميع الاقطار الإسلامية ، وتحمل إلى تلك البلاد النائية النور والعلم والإيمان ، دائبة على ذلك لا يعثرها فتور ، والفضل في ذلك يرجع لأفراد من علمائه فهموا الإسلام على حقيقته ، وأدركوا الارتقاء البعيد الذي يوجه أهله إليه ، فعملوا وسيعملون على فتح الطريق أمام كتاباته وكل ما يمت بصلة إليه . ولا يجوز لنا أن ننسى في هذا المقام ما تلقاه من التشجيع والتشجيع من لدن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، ملك هذه البلاد ، فتلقاه بالقبول واجين لجلالته دوام التوفيق .

ولا يجوز لنا أن ننفل أيضاً ما لقيناه من جميع الشيوخ الذين تولوا الأزهر من التقدير والتشجيع العظيم ، ونأمل أن نجد مثل ذلك من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الحالي الشيخ إبراهيم حروش بل نطمع منه في المزيد ؟ محمد فريد وهدي

الأستاذ الأكبر الجديد

قابل جميع علماء الأزهر وطلابه خبر تعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ إبراهيم حمروش شيخاً للأزهر ، بقبول لم نشهد مثله في تعيين أحد من سبقه في العهد الأخير ، لعلمهم بالمعيته وهمته في جميع المناصب التي تولاه ، فهو من الأفراد القلائل الذين حصلوا على إجماع الناس في تقديرهم والثناء عليهم ، وقد دلت مظاهر استقباله « يوم شرف إدارة الأزهر بحضوره » على مبلغ ما يكنه العلماء والطلبة لشيخهم الأكبر من الحب الخالص والتقدير البالغ . ولأول مرة شاهدنا دلائل الاستبشار بالاجماع على وجوه طلبة الأزهر وعلمائه في استقبالهم لشيخ جديد . والذي يشجعنا أن نمضى في تفاؤلنا قدما أن فضيلة الأستاذ الأكبر أمضى جميع سنى الاضطرابات الأزهرية بين ظهرائى الطلبة ، فهو أعرف الناس بحاجاتهم الملحة ، وأدراهم بما يتفق تنفيذه ومصلحتهم ، وما هو أولى بالبدء به من غيره ، مما لا يدور بخلد كبار الشيوخ من بعد عهدهم بالتدريس وقيادة الطلاب ، ولا يعدونه مما يصح أن يشتغل به بالهم ، ولا يرون للطلبة وجها في تمنيه فضلا عن الإلحاح في طلبه ، والاضراب عن تلقى الدروس في سبيله .

واعتباراً لهذا الأصل نرجو أن يكون دخل الأزهر في دور جديد من أدوار حياته الطويلة المباركة ، ينال فيه كل ما يجب أن يكون له بكامعة دينية عالمية ؛ وفي تحقيق هذا الأمل تحقيق لأمانى العالم الاسلامى كله الذى يتطلع إلى هذه الغاية بقدر تطلعه إلى استكمال حياته الأدبية من جميع مظانها الروحية والعقلية .

وليس يبدع أن يتطلع العالم الاسلامى كله إلى تحقيق هذه الأمانة ، فإن الحوادث العالمية تدفعه إلى استكمال قواه ، ولا يتم له ذلك إلا باستكمال مصادر حياته الروحية والعقلية .

ومجلة الأزهر ، بلسان مديرها وجميع موظفيها ومحرريها ، تقابل تعيين فضيلة الأستاذ الأكبر الجديد بكل إجلال وتقدير ، ونرجو أن تنال في عهده من الكمال ما هي عاملة لبلوغه في كل حين . فإلى فضيلته « من مديرها وموظفيها ومحرريها » ماتكنه قلوبهم من الشعور العالى والتقدير العظيم ، راجين أن يوفقه الحق جل وعز إلى تحقيق ما يتوخاه من الإصلاحات القيمة والتجديدات التي تقتضيها السنن الإلهية في مثل الزمان الذى نحن فيه . وفقه الله لتحقيق كل ما يرجوه للأزهر والأزهريين بامداده من عنده ، إنه ولى المؤمنين ؟

تهنئة

صغ التهاني من آيات سبحان وأحكم القول واستلم دقائقه
فأنت تمدح رب القول مفردة وحمروش، والفصحى أرمى دعائها
فسكيف أقوى على تديج تهنئة كناقل التمر يهديه إلى هجر
لو كنت تلهمني من وحي خاطركم ولو رنت نحو أفكارى بلاغتك
يا واحد الضاد كم نادت شريعتنا أضنى عليها كثيراً من معارفه
في كل علم تراه حجة ثبنا ماضيه يزهى بآثار محجلة



قد جئت والأزهر المعمور في لجج ظلت سفينته في السيم حائرة
تلفت الركب من في القوم ينقذها قالوا جميعا عليكم بآبن بجدتها
ألقوا مقاليدها في كف قسورة يكاد يفرق في موج وطوفان
كم استغاثت ونادت أين رباني؟ وقد تناهت إلى صدع وخسران
حمروش يخرجها للشاطئ الهاني يصول عنها ويحمي أي عدوان



أمانة الأزهر المعمور قد وضعت فكن حريصا عليها حرص مقتدر
هناك تبذل أرواح مفدية قد اصطفاك ملك التيل عن ثقة
حكومة الشعب أولئك محبتها في كفك السمح ترجو خير معوان
يصرف الأمر تصريفاً يامعان ويمنحونك إحساناً ياحسان
فاهناً بعطف من الفاروق هتان ولست أملك إلا آي شكران

السباعي الشناوي

المراقب بالأزهر

الدين أمام العلم والفلسفة

علماء أوروبا وفلاسفتها يهتدون إلى الإسلام

إن لفظة دين قديمة جدا كقوم مسماها ، وشائعها بين جميع الطوائف البشرية سواء حاضرها وباديها ، وحشيتها وتممدها ، ولكن الناس لم يدركوا معناها على الوجه الصحيح الذى جاءت به الكتب الإلهية والذى ينطبق على رحمة الخالق وعنايته . ومن يتدبر التاريخ ير الشعوب المختلفة قد تطورت مرات كثيرة فى فهم معنى هذه الكلمة على نسبة تطور العقل البشرى والمعقولات .

كان الأقدمون لا يعرفون الدين إلا أنه مجموعة احتفالات عمومية ، تضحى فيها الحيوانات وأسرى الحروب لإرضاء لمعبوداتهم ، وتسكينا لغضبهم . ثم لما ترقى المدارك الإنسانية ، ونمت فيها الغريزة العقلية بظهور العلوم والفنون ، أخذ معنى الدين ينبجلى شيئا فشيئا ، ويقرب رويداً رويداً من المعنى المراد لله ، والذى جاءت الأديان تأمر الناس بفهمه على هذا الوجه .

نحن هنا قبل أن نتكلم على ماهية الدين بالمعنى المراد للإسلام يجب علينا أولاً أن نتكلم على ما يفهمه علماء أوروبا من هذه اللفظة بعد أن اقتصوا العلوم فحفا ، وأوسعوا الكون بحثاً عن نواميسه ، وتقيرا عن قوانينه ، لنجعل هذا من بعض الأدلة الحسية ، على نظريتنا من أن كل خطوة يخطوها العلم فى سبيل فهم الحقائق هى تقرب ظاهر إلى الإسلام فنقول :

أن علماء أوروبا بعد أن دخلوا فى كل دور يمكن أن يدخله الإنسان المعرض لكل أصناف الفتن العلية ، عادوا الآن حيث الهدوء شامل ، فاعترفوا عن بيئة بأن لهذا الكون خالفاً قادراً حكيماً متصفاً بكل صفات الكمال ، ومنزهاً عن كل ما يشعر بالنقص . وأنه جل سلطانه وضع الكون على نظام مخصوص يستطيع من ينظر إليه بروية أن يستنتج منه تلك الصفات العليا استنتاجاً محسوساً . وأن يتعلم منها أموراً يغنى الجرى عليها ، على قلتها وسوء فهمها ، عن ألوف القواعد والتعاليم التى كانت تلقى على الناس فيحنون رؤسهم خضوعاً لها ، ولكن على غير فهم لحكمها وحكمتها .

ثم رأوا باستقراء نظام الكون وتدبر نواميسه ، أن الخالق جل شأنه يتعالى علواً كبيراً عن الاحتياج لكانن من صنع يده ، بل هو غنى بذاته عن كل من عداه . ثم قالوا إن غناه هذا لم يمنعه عن الاهتمام بمخلوقاته اهتماماً يدل على عظيم رحمته ، وأقل نظرة في الوجود تدل على صدق هذه النظرية دلالة حسية

انظر إلى صنوف النباتات والحيوانات من أدناها إلى أعلاها ، ترآثار هذه الرحمة العظمى تتجلى للانسان تجلياً يبعثه رغم أنفه إلى محبة ذلك الخالق العظيم . فإنه جل شأنه لم يترك كائنات من الكائنات إلا وهبه ما يقيم أود حياته ، ويحفظ بقاءه ، وزوده من القوى بما يدفع عنه البوائق والجوائح ، إلا ما يستلزمه نظام الكون ، ويكون في حصوله أثر مرجه أسى ، ورأفة أعلى وأن إلها هذا شأنه لا يحمل الانسان من العبادة إلا ما فيه حكمة بالغة ، وفائدة جليلة لذات الشخص وبني نوعه .

ومن يتأمل في مبلغ الرقي الذي وصل إليه الإنسان من أول نشأته إلى الآن ، يتحقق أن الخالق جل شأنه وهبه من الخصائص ما يستمر به ترقيه وتدرجه إلى حيث لم يصل إليه الفكر البشرى إلى الآن .

ثم قالوا وبما أن أفعال الله مجردة عن العيب والتناقض فيجب أن تكون مرغوبة لله تعالى ، موافقة للنواميس العالمية النابتة السائدة في الكون كله ، وملائمة للبول والمرامى المغروسة في جبهة النوع الإنساني .

فاستأداً إلى هذه البداهة العلية التي لا يصح المراء فيها ، بنى طائفة عظيمة من علماء أوروبا ديانتهم التي سموها طيسعية . وإليك ما قاله في هذا الشأن الفيلسوف المشهور (حول سيمون) الفرنسي قال :

« إننا تؤدي في أثناء هذه الحياة الواجبات التي رسمها الله تعالى لنا تحت رعايته وعنايته ، وعند ما ينتهى وجودنا فهو إما أن يثبنا أو يعاقبنا . ثم ذكر الأسباب التي تقتضى الإجابة أو المؤاخذة فقال :

« أما الأمر الذي يقتضى المثوبة الحسنة ، فهو طاعة الإنسان للواجب عليه ، طبقاً

لقانونه الخاص وعمله للخير . أما القانون الخاص فهو حفظ ذاته من العطب وترقية خصائصه المودعة فيه ، ثم هي حبة وخدمة لإخوانه ، ومحبة موجد ذاته وعبادته .

« ولكن ما هي الطريقة التي يعبد بها الإنسان ربه ؟ هي أداء الواجب ؛ وعمل الخير هو العبادة ؛ والحب والعمل والاخلاص هي العبادة الحقيقية وهي الصلاة ؛ والاخلاص للوطن ، هذه هي العبادة في الديانة الطبيعية ، كل أصول مذهبنا واضحة لا رموز فيها . أما أصوله فهي الاعتقاد بوجود إله قادر على كل شيء ، ولا يغيره شيء . خلق العوالم وحكمها بنواميس عامة . ووجود حياة أخرى تؤدي لنا جميع وعود هذه الحياة الدنيا ، وتكفي المظالم بالجزاء الآوفي ، هذه هي عقائدنا . أما صلاتنا فهي أن تكون قلوبنا مملوءة بمحبة الله تعالى ومحبة الإنسان ، وأن تكون لنا إرادة ثابتة في أداء الواجب وخدمة إرادة الله تعالى بعمل الخير والبر ، انتهى .

هنا نستدرك فنقول إن أصحاب هذه الديانة لا يكرهون العبادة الجثمانية كما يؤخذ ذلك من أقوال الفيلسوف (جول سيمون) في غير هذا الموضع ، إلا أنهم لا يعتقدون بعبادة جثمانية لا يكون لها ثمرة أدبية . فهم يريدون أن تكون تلك العبادة معتبرة وسائل لإحياء القلوب وتطهيرها من أدناسها ، لا أغراضاً قائمة بنفسها مجردة من كل غاية . قال (كانت) الفيلسوف الألماني المشهور : « العبادات الخارجية لا تكون رديئة إلا إذا اعتبرت أغراضاً لا وسائل . فهي يمكن أن تكون نافعة مفيدة إذا لم تعتبر إلا وسائل لا يقاظ وتقوية العواطف الفاضلة في النفس البشرية » .

ونحن نستخلص من كل هذه الأقاويل أربعة أمور هامة هي مذهب علماء أوروبا في الدين وهي :

(أولاً) الاعتقاد بأن الله غني عنا وعن أعمالنا ، وأن ما نعمله من خير لا ثمرة له إلا منفعتنا الخاصة .

(ثانياً) أن الله تعالى رحيم بالإنسان يود صلاحه ولا يكلفه بشيء إلا لمصلحته نفسه .

(ثالثا) أن العبادة يجب أن تطبق على النواميس الثابتة للحياة ، وأن تلائم الطبيعة البشرية ، لا أن تعارضها وتسعى في ملاقاتها .

(رابعا) العبادات الجسمية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها ، لا أغراضا مطلوبة لذاتها .

نقول إن هذه الأربعة الأمور التي لم يصل إليها العقل البشرى إلا بعد أن شابت ناصية الكرة الأرضية ، وجعلت علماء القرن التاسع عشر يتهمون بها عجبا ، و يتمايلون طربا ، ليست إلا قطرة من بحر الديانة الإسلامية الزاخر ، وشعاعا من شمسها المألقة . ونحن لأجل زيادة الاقتناع نأتي هنا على النصوص الشريفة التي تطبق على هذه الأمور الأربعة مرتبة على حسبها فنقول :

(أولا) الاعتقاد بأن الله غنى عنا ، وأن ما نعمله تعود ثمرته إلينا ولا ينال الله منه شيئا ، يقابله قوله تعالى : « ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، إن الله لغنى عن العالمين » .

(ثانيا) أن الله تعالى رحيم بالإنسان ويود صلاحه ، ولا يكلفه بالعبادة إلا لفائدة نفسه . قال الله تعالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وقال تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون » .

(ثالثا) يجب أن تطبق العبادة على نواميس الحياة ، وأن تلائم الطبيعة البشرية ، لا أن تعارضها وتسعى في ملاقاتها ، قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » ، وقال تعالى : « ولو أنا كنبتا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم » . وقال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا » .

(رابعا) التكاليف العبادية يجب أن تعتبر وسائل لتطهير النفوس وتهذيبها ، لا أغراضا مطلوبة لذاتها . قال الله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم » . وقال النبي عليه الصلاة والسلام : « من لم تنه صلته عن

الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا ، وقال عليه الصلاة والسلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » .

هذه هي عقيدتنا في فهم الدين ، وقد رأيت أنها مطابقة للعقل والعلم تمام الانطباق ، ومتفقة مع التواميس الثابتة كآل الاتفاق ، ولما كانت مطاعن علماء أوروبا على الأديان لم توجه إليها غالباً إلا من هذه الوجهة الرئيسية التي تبنى عليها سائر قواعد الدين ، فقد حق لنا أن ننادى بأعلى صوتنا أن الإسلام هو الدين الذي ترضاه العقلية العلمية ، لاتفاقهما في الأصول ، واتحادهما في الأغراض والوجهة ، وهو أجل من أن تناله هبالة من ذلك التديد ، وأعظم وأعز من أن يصيبه أى مطعن من تلك المطاعن .

هذه الأربعة الأصول يعتبرها أصحاب الديانة الطبيعية أركاناً تبنى عليها القواعد القانونية التي يكون في العمل بها ارتفاع الإنسان في معارج الكمال الذي أعد الخلق هذا النوع لبلوغه ، ولما كان العلم هو المنوط إجماعاً بالتحسس من تلك القواعد المرفقة للإنسانية ، فهم يعتبرون كل قاعدة يتوصل إليها من هذا القبيل كأنها قاعدة دينية في الجرى على سقتها رضاء الخالق جل وعز .

أما المرويات القديمة والأساطير التي مضى عليها ألوف من السنين مع ما استلزمته من قواعد الدين ، فقد صدقوا عنها وهجروها هجراً لا رجعة عنه . قال الفيلسوف الألماني (كانت) Kant :

« الديانة الحقيقية الوحيدة لا تحتوى إلا على قوانين ، أعنى قواعد قابلة للتطبيق نشعر من ذاتنا بضرورتها المطلقة ، وتكون مجردة عن الأساطير والآراء السكوتية » ، نقول كأن (كانت) يريد أن يذكّر المسلمين بقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت لها ما كسبت وأحكام ما كسبت ولا تسألون عما كانوا يعملون » ؟

محمد فريد وجدي

الربا في نظر القانون الاسلامي

تعريب المحاضرة الفرنسية التي ألقتها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز
مندوب الأزهر في مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس
في ٧ من يوليو سنة ١٩٥١ م

— ١ —

مقدمة تاريخية

قبل أن أعرض على أنظاركم وجهة نظر الإسلام في الربا ، ائذنوا لي يا جناب
الرئيس ويا حضرات السادة والسيدات ، أن أقول كلمة موجزة عن وضع المسألة
في طائفة من التشريعات السابقة ، مدنية كانت أم دينية .

مصر في عهد الفراعنة :

يلوح أن قدماء المصريين لم يكونوا يحظرون الربا حظراً صارماً ، بل وضعوا
له نظماً وقواعد تحد من أضراره ؛ ونحن ، وإن لم يصل إلينا نبأ هذه القواعد
في جملتها ، فقد نعلم بعض الشيء عنها .

هذا (ديودور) المؤرخ الأغريقي يحدثنا مثلاً عن القانون الذي وضعه الملك
(بوخوريس) من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين ، والذي يقضى بأن الربا مهما
تطاوت عليه الآجال لا يجوز أن يصل إلى مقدار رأس المال .

أثينا وروما :

أما في الدولتين الإغريقية والرومانية فإن الربا — قبل ظهور الإصلاحات
التي وضعها (صولون) المشرع الإغريقي ، وقبل الإصلاحات التي وضعها مؤلفو

(الألواح الاثني عشر) في روما - كان شائعاً بدون قيود ولا حدود، وكان العرف^(١) الجارى في كلتا المملكتين أن المدين إذا لم يوف دينه أصبح هو نفسه ملكاً للدائن . فجاء تشريع (صولون) قاضياً على هذه العادة الشنيعة ، حيث قرر أن تكون مسئولية المدين في ماله وذمته ، لا في شخصه ورقبته . كما أنه حدد النهاية القصوى التي يمكن أن تبلغها فوائد الدين (يقال إنه حددها بنسبة ١٢ ٪ من رأس المال) . وكذلك صنع واضعو الألواح الاثني عشر في روما ، وبقيت هذه النسبة محفوظة في التشريع الرومانى حتى جاء (جستينيان) لجعلها تدور بين ١٢ ٪ للتجار وأمثالهم و ٤ ٪ للتبلاء .

هذه التشريعات كلها لم تظهر إلا في أعقاب اضطرابات وحروب داخلية مستمرة بين الأغنياء والفقراء في تلك الشعوب ، فكانت هذه الإصلاحات علاجاً وقتياً لتلك المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي ولدتها هذه الوضعية الربوية .

هكذا مهما نصعد بنظرنا في تاريخ التشريعات المدنية القديمة ، نجد أن مبدأ التعامل بالربا كان شائعاً فيها ، وأنه كانت توضع له في بعض الأحيان نظم تحميه إذا لم يجاوز حداً معلوماً .

إسبارطة :

غير أن مدينة إسبارطة تبدو لنا في صورة استثناء من هذه القاعدة العامة ؛ إذ لا يعرف في تاريخها أنها تعاملت بالربا أو أنها نظمتها . وقد يرجع السر في ذلك إلى أنها - من جهة - لم تكن ذات طابع تجارى واضح ، حتى إنها لم يكن لها نظام نقدى ، بل كانت عمدتها الرئيسية في التعامل هى المبادلة والتقايط ، ومن جهة أخرى فإن قانونها لم يكن يخول للغرباء الذين يحملون نقود بلادهم أن يدخروا الذهب والفضة ، ومن عرف عنه أنه يكتنز شيئاً منها كان جزاؤه الإعدام

(١) وكذلك جرى العرف في كلتا الدولتين بأن القاعدة السنوية يؤديها المدين على أقساط

شهرية . قارن هذا بعاده العرب في الجاهلية أيضاً ، كما سيأتىك نبذة قريباً .

اليهودية والنصرانية :

فإذا ما انتقلنا الآن من المنظمات المدنية الى التشريعات الدينية ، فأتنا نشهد ظاهرة جديدة في تاريخ التشريع في هذا الشأن . فبعد أن كنا نرى التعامل بالربا في الشرائع غير الدينية أمراً سائغاً في حدود واسعة أو ضيقة ، نرى التشريعات السماوية تتجه به نحو الحظر والتحريم الكلي .

هكذا نقرأ في كتاب العهد القديم : « إذا أقرضت مالا لأحد من أبناء شعبي ... فلا تقف منه موقف الدائن : لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٥ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) وفي موضع آخر : « إذا افتقر أخوك فاحمله ... لا تطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) .

وكذلك نقرأ في كتاب العهد الجديد : « إذا أقرضتم لمن ننتظرون منهم المكافأة فأى فضل يعرف لكم ؟ ... ولكن ... افعلوا الخيرات وأقرضوا غير متظرين عائدتها . وإذا يكون ثوابكم جزيلا ، (الآيتان ٣٤ و ٣٥ من الفصل ٦ من انجيل لوقا) . ولقد أجمع رجال الكنيسة ورؤساؤها كما اتفقت مجامعها على أن هذا التعليم الصادر من السيد المسيح عليه السلام يعد تحريماً قاطعاً للتعامل بالربا . حتى إن الآباء اليسوعيين الذين يهتمون غالباً بالميل الى الترخص والتساعج في مطالب الحياة وردت عنهم في شأن الربا عبارات صارمة ، منها قول سكوبار : « إن من يقول إن الربا ليس معصية يعد ملحدًا خارجاً عن الدين ، وقول الأب بوني : « إن المرابين يفقدون شرفهم في الحياة الدنيا ، وليسوا أهلاً للتكفين بعدموتهم » (١) .

أوروبا المسيحية :

هذه النظرة الدينية أقرها القانون المدني الأوروبي في سنة ١٧٨٩ (مرسوم لاكس لا شاييل) وبقيت هي المذهب الوحيد في أوروبا طوال القرون الوسطى . ولكنها بدأت تفقد مناعتها شيئاً فشيئاً منذ عصر النهضة ، على أثر الاعتراضات المتكررة التي وجهت إليها بين القرنين السادس عشر والثامن عشر من (كالفان) إلى (مونتيسكيو) . وكان لهذا الضعف مظهران : مظهر عملي ، ومظهر تشريعي .

(١) انظر باسكال في مرسلاته الإقليمية ، الخطاب الثامن Pascal, Les provinciales

فأما المظهر العملي فهو أن بعض الملوك والرؤساء الدينيين أنفسهم أخذوا يجتثون على انتهاك هذا التحريم علناً . من ذلك أن (لويس الرابع عشر) اقترض بالربا ليسدد ثمن دانسكر في سنة ١٦٦٢ وأن البابا (بي التاسع) تعامل بالربا في سنة ١٨٦٠ . وأما المظهر التشريعي فهو أنه منذ آخر القرن السادس عشر (١٥٩٣) وضع استثناء لهذا الحظر في أموال الناصرين ^(١) فصار يباح تميمها بالربا بإذن من القاضي .

أما الضربة القاضية التي وجهت إلى هذه النظرة الدينية فقد حملتها إليها الثورة الفرنسية حيث احتضنت المذهب المعارض وجعلته مبدأ رسمياً منذ قررت الجمعية العمومية في الأمر الصادر بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٧٨٩ أنه يجوز لسكل أحد أن يتعامل بالربا في حدود خاصة يعينها القانون .

بلاد العرب قبل الإسلام :

لم يكن قد بقي لعرب الجزيرة في الجاهلية من التراث الديني الذي تركه جدهم ، أبو الأنبياء ، إبراهيم عليه السلام ، إلا آثار قليلة لا تخلو من التحريف . ولذلك لم يفتأوا يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية في أكثر عباداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد من عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا (أولاً) إلى نزعة الاستكثار وحب الكسب التي تنمو عادة في البيئات التي تزدهر فيها التجارة كما كان هو الحال في مكة (وثانياً) إلى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وأبناء عمومتهم .

ولعلكم تعجبون أن تكون مجاورتهم لشعب ذي شريعة سماوية تحرم الربا سبباً في تشجيعهم على التعامل به ، ولكن الذي يزيل هذا العجب أن نعرف أن هذه الديانة نفسها — حسبما ورد في كتب أهلها — تبيح الربا كما تحرمه . نعم لقد سقنا آنفاً شواهد التحريم من نصوص التوراة ، واكتناها أسفاه نجد فيها نصاً

(١) قانون هذا بالخاصة التي أخضعت بها المحاكم في عهد الدولة العثمانية ، أعاد على الفتوى

الواردة في كتب الحنفية .

آخر يقيّد هذا التحريم ويجعله خاصاً بالشعب العبراني ، بحيث يسوغ لليهودي أن يأخذ الربا من غير اليهودي ^(١) (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) . ولما لم يكن في هذا النص تحديد قانوني لقدر الربا المأذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالي على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وإفراطاً .

هكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوي سبياً فيما نرى (أو جزءاً كبيراً من السبب) لا في بقاء التعامل بالربا في العالم إلى اليوم فحسب ، بل في تهوين أمره على كثير من النفوس واتخاذها إياه أمراً مشروعاً في بعض الأحوال .

ومهما يكن من أمر فقد اعتاد العرب في عصور الوثنية أن يقرضوا بالربا من اليهود وأن يتقارضوا به فيما بينهم ، دون أن يجدوا فيه حرجاً ولا غشاضة .

وقد عرفت لهم في ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشاراً فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه - على ما يظهر - من السنة الثانية ؛ بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال إذا وفاه دينه في أجله المعلوم . فإن لم يستطع أدائه في ذلك الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية في مقابل زيادة يختلف مقدارها على حسب التراضي بينهم . ونضرب مثلاً : مديناً كان عليه أن يسلم للدائن في أجل كذا حيواناً سنة ثلاث سنوات . فإذا لم يدفعه إليه في ذلك الموعد أجله إلى السنة التالية ، لكن الحيوان يجب أن تكون سنة لإذ ذاك أربع سنوات . وإذا كانت تصل الزيادة في بعض الأحيان إلى قدر رأس المال في آخر السنة الثانية فتصبح المائة مائتين ؛ فإن لم يؤد تضاعف رأس المال والفائدة معا فيصيران أربعمائة في آخر السنة الثالثة وهكذا .

وضرب آخر من هذه العقود أن يدفع الدائن لمدينه قدرأ من المال لسنة ، على أن يأخذ منه فائدة معينة كل شهر ؛ فإذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد أخرى للتأخير .

(١) معروف ود القرآن (في الآيتين ٧٥ و ٧٦ من السورة الثالثة) على هذه الدعوى التي لا تدع لعانون الفضيلة إلا مجالاً محدوداً للتطبيق ؛ مع أن مبادئ الأخلاق يجب أن تكون عالمية لا حدود لها من جنس ولون ولا عقيدة ولا إقليم .

البلاد الإسلامية في العصر الحاضر :

لقد جاهد الإسلام والمسيحية قرونا متطاولة لالمنع قانونية الربا فحسب ، بل لمنع التعامل به إطلاقا .

يبد أننا رأينا أنفا كيف انتهى الأمر بالثورة الفرنسية في آخر القرن الثامن عشر أن قضت على هذه المقاومة في أوروبا ، وأقرت النظام الذي بقى فيها منبوذاً طوال ألف عام كاملة .

وكان طبيعيا أن تؤدي العلاقات المستمرة بين أجزاء العالم القديم إلى انتشار هذه الفكرة المادية رويداً رويداً وانتقالها إلى خارج أوروبا . وهكذا لم ينتصف القرن التاسع عشر إلا وقد سرت عدواها إلى البلاد الإسلامية ، فبدأ بعض المسلمين يتعاملون بالربا لا إقراضاً ، بل اقتراضاً ؛ ثم اتسع الأمر وشاع عملياً ، مع بقائه محظوراً قانونياً ؛ ثم دخل الإذن به في دائرة التشريع تحت ضغط السلطات الأوربية المحتلة للأقطار الإسلامية ؛ وبقيت الشعوب الإسلامية نفسها مدة طويلة متمردة على فكرة تأسيس مصارف وطنية تكون مهمتها التصرف في جميع المعاملات المالية التي منها القرض بفائدة .

ونذكر فيما يتعلق بمصر على الخصوص أن هذه المقاومة الشعبية بدأت تضمحل في أول هذا القرن العشرين ، بسبب حادث تاريخي خاص أثار فيها أزمة مالية وأزمة نفسية في وقت واحد . نعم لقد حدث إذ ذاك أن امتعت المصارف الأجنبية المؤسسة في مصر عن مديدها بالقرض إلى الشعب المصري ، فأصبح الشعب وقد وجد نفسه أمام محظورين لا مخرج له منهما : إما أن يلجأ إلى المرابين الذين ليس في قلوبهم رحمة يقترض منهم بأفدح الربا وأخطره ، وإما أن يفشىء شركة مالية برؤوس أموال وطنية خالصة ، يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس إلى اختيار الشق الثاني غير أنه وقفت أمامها اعتبارات دنيئة قوية . إذ كيف تقوم في بلد إسلامي مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

هنالك فتح باب المناقشة في الصحف وفي الأندية المختلفة ، وألقيت سلسلة من المحاضرات ^(١) عرضت فيها مختلف الآراء في الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الإسلامى ؛ فالتقت آراء أكثر المحاضرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقاً (منهم الكاتب المشهور المرحوم حنفى ناصف ، والزعيم السياسى الوطنى المرحوم عبد العزيز جاویش) أيدوا الفكرة معتمدين على نص قرآنى فى دعوى أن الربا المحظور فى الإسلام بالنص والإجماع إنما هو الربا الذى يصل إلى مثل رأس المال أو يزيد عليه ، وأن كل ربح ينقص عن مقدار رأس المال ، فهو محل بحث واختلاف فى نظرهم .

للبحث تكملة

غاية العدل

بمقد عمر بن الخطاب يوماً إبل الصدقة ، فوجد بينها طائفة أنكرها . لجودتها وسمتها وحسن العناية بها . فقال لعامله على إبل الصدقة : إبل من هذه ؟ فقال العامل : إنها لإبل عبد الله بن عمر ! فقال ، ومن عبد الله بن عمر ؟ فقال العامل : ابن أمير المؤمنين فقال : على به ! فأحضره . فقال عمر لابنه : بكم اشتريت هذه الإبل ؟

فقال عبد الله : اشتريتها بكذا يا أمير المؤمنين . فقال عمر : لك ما اشتريت به ، وهى لبيت المال . قال عبد الله وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : نعم يقولون : هذه لإبل ابن أمير المؤمنين فأرعوها . هذه لإبل ابن أمير المؤمنين فاسقوها . هذه لإبل ابن أمير المؤمنين فلا تهيجوها ، لك ما اشتريت به ، ثم هى لبيت مال المسلمين !

(١) كان ذلك فى شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٦ هـ (سنة ١٩١٢ م)

النفس

سورة النساء

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد المنعم النمر

قال الله تعالى : « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ،
إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيط ،
(سورة النساء ١٠٨)

سبق في الأعداد السادس والسابع والثامن من العام الماضي أن تناولت تفسير
الآيات السابقة التي بدأت بها قصة هؤلاء المتأمرين على الحق من قوله تعالى
« إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين
خصيما . واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذي يختانون
أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ، .

واليوم أتناول هذه الآية التي تكشف عن نفسية هؤلاء المتأمرين وتفضح
تآمرهم فيقول الله تعالى :-

« يستخفون من الناس ، أى يستترون يقال استخفيت أى تواريت واستترت
ومنه قوله تعالى « ومن هو مستخف بالليل ، أى مستتر والمعنى على هذا أنهم
بمجاداتهم عن السارق والدفاع عنه مدفوعون بالرغبة في الاستتار من الناس حياة
منهم حتى لا يفضحوا أمامهم .

« ولا يستخفون من الله ، أى ولا يستحون من الله ولا يرغبون في الاستتار
منه وإلا لرجعوا عما هم فيه ، مع أن الأولى بهم الخوف منه وعدم ارتكاب الذنوب
حياة من جلاله .

« وهو معهم ، بعلمه مطلع عليهم لا تخفى منهم خافية . ما يكون من نجوى
ثلاثة إلا هو رابعهم ، « يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فالعينة هنا معية
علية فحال أن يغيبوا بعملهم عن علمه أو أن يستتروا عنه كما يستترون عن الناس

وكان الأجدر بهم لو كانوا عتلاء - أن يفهموا هذا ويراعوه فلا يقبلوا على الذنب مهما كان فيه من نصر رخيص أو لذة عاجلة .

« إذ يبيتون ما لا يرضى من القول ، تصوير لاستخفاتهم وحالتهم المعيبة . وبيت الامر : دبره ليلاً إذ أن فيه مجالا فسيحاً للتدبير والاستتار عن أعين الناس ثم أطلق على كل تدبير بالليل أو النهار والعرب تقول : أمر بيت ليليل إذا أحكم تدبيره إذ في التبيت معنى التدبير والإحكام فيما يدبر ، إذ لو جاء طبيعياً لما قيل : بيت والذي لا يرضاه الله من القول ، هو اتهامهم للبريء ، والحلف الكاذب ، وشهادة الزور ، وتعاونهم في الإثم ، وسمى المدثر والمبيت قولاً . إما لأن الكلام الحقيقي هو المعنى القائم بالنفس فيكون القول قد جاء على الحقيقة وإما لأنهم دبروا وربتوا كلاماً يقولونه للرسول دفاعاً عن المتهم ، فيكون التعبير بالقول قد جاء على الحقيقة كذلك وهذا هو الأقرب في الفهم والواقع .

« وكان الله بما يعملون محيطاً ، مطلعاً وعالماً بأعمالهم الظاهرة والباطنة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وسيجازيهم على ذلك ، وفي معناه - من الإنذار والتخويف - جاء قوله تعالى في آية أخرى : « والله يكتب ما يبيتون ، » إذ الغرض من هذا وذاك أنهم سيحاسبون على تبييتهم وتدبيرهم وسيلقون جزاء ما صنعوا فعليهم أن يحذروا عذاب الله .

جاء الإسلام بالتوحيد الخالص الكامل ليرفع الإنسان من الأرض إلى السماء ويجعله دائماً مرتباً بالواحد القهار لاسلطان لأحد عليه إلا بسلطان الله والإسلام بهذا يرفع من قدر الإنسان ويضعه في أكرم ما يبتغيه الأحرار العقلاء لانفسهم الذين يحبون أن يتحرروا من قيود الأرض ليعيشوا داخل حدود الله سعداء يراقبونه وحده ويعملون على مرضاته هو ، رضى العباد أم سخطوا أجبوا أم كرهوا :

فيا ليت ما يبى وبينك عامر وبينى والعالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

والناس إن فهموا هذا وساروا عليه وتشربوا لذته عاشوا سعداء أصفاء وماتوا أنقياء ، لهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة . ولكنهم رغم هذا يخالط نفوسهم ظلام الطين وتراودهم نزغات الشياطين فتحجب عنهم نور هذه الحقائق وتحول بينهم وبين نور السماء ، وتقطع بينهم وبين ربهم ، فيتيهون في بيداء شهواتهم

ويتخبطون في ظلام أرضهم ويعيشون يراقب بعضهم بعضاً ، ويخشى بعضهم بأس بعض ، ناسين الرقيب الأعلى مؤثرين اليوم على غدهم والناس على ربهم ، وفي ذلك الخطر الأكبر على الإنسانية ، ولهذا نرى الله سبحانه يلفت نظر عباده في أكثر من موضع في القرآن إلى أن يتحرروا من خوف الناس فلا يخافوا إلا هو ولا يكونوا عبيداً إلا له ليعيشوا أسياد أنفسهم ، ولتكون أعمالهم كلها كما يحب الله ويرضى ، فيقول في سورة البقرة لعباده المؤمنين « فلا تخشونهم » أى الناس ، واخشوني ، ويقول لهم في مناسبة أخرى في خطاب اللائيم الموجه ، أتعشونهم ١١٩ فإله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ، لأن من خصائص الإيمان الاتجاه إلى الله والخوف منه وحده ، ويقول في موضع آخر ذمًا لفريق من الناس « فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس تخشية الله أو أشد خشية » .

وفي موضع آخر يقول : « فلا تخشوا الناس واخشوني . ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ، » ويقول في الآية التي معنا وصفا لهؤلاء المتأمرين على الحق المتعاونين في الإثم والعدوان تشجيعاً عليهم وذمًا لهم أبلغ ذم أنهم « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم » .

كل هذا ومثله كثير في القرآن والحديث ليربى في نفس المؤمن روح المراقبة مراقبة الله سبحانه في كل حالاته : في صحوه ونومه في سره وجهره في عمله وراحته فيعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه ، وحينئذ تجيء أعماله طيبة كلها ، فيستعين بما عند الناس أملاً فيما عند الله ، وما عند الله خير وأبقى - ويرهذ في الكسب الحرام والجاه القائم على الملق والعصيان إثارة لرضا الله والترب منه . ولو أن الناس نمت في نفوسهم روح المراقبة لله لوجدتهم جميعاً رجالاً صالحين ولوجدت أمهم سعيدة بهم عزيزة بأعمالهم ، ولكنهم في غمرة ساهون شأنهم كشأن هؤلاء الذين يقص الله أخبارهم علينا للعظة والاعتبار ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، يتآمرون على الحق ويدبرون الأمر للقضاء عليه طمعاً في جاه خاطف أو في منزلة عند الناس ، أو خوفاً من الفضيحة أمامهم ويرتكبون في سبيل ذلك من الإثم والعدوان ما يرتكبون ، ناسين أن الله عليهم رقيب حسيب وأن أمامهم يوماً فيه ، تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيه الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين . . . فاعتبروا يا أولي الأبصار ، إن الله كان عليكم رقيباً . . . هداًنا الله وجعلنا من أهل المراقبة له والخشية منه .

حكم الختان

في الشريعة الإسلامية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود سلتوت

صورة ما أرسله فضيلة الأستاذ الكاتب إلى حضرة

صاحب المعالي وزير الصحة في ٢٨ / ٥ / ١٩٥١

الختان شأن قديم ترجع معرفة الناس به إلى عهد إبراهيم عليه السلام ، وكانوا يختنون الذكور والإناث . وقد رويت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث ، اتفق المحدثون على صحة بعضها ، وضعف البعض الآخر ؛ فما اتفق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : خمس من الفطرة : الاستحداد والختان وقص الشارب وتنف الأبط وتقليم الأظفار ، وقوله عليه الصلاة والسلام « اختن إبراهيم خليل الرحمن ، وهو متفق عليه بين البخاري ومسلم .

وقال العلماء : الفطرة السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع ، وكانت لذلك كالامر الجبلي الذي تدعو إليه الخالقة ، وتقتضيه ، فيما يختص بالتطهر والنظافة .

ومما ناله تضعيف المحدثين قول النبي صلى الله عليه وسلم : من أسلم فليختن ، وقوله لمن جاء إليه وقد أسلم : ألق عنك شعر الكفر واختن ، وقوله للبرأة التي كانت تختن الإناث : أشهى ولا تهكي ، ومعناه : خفي ولا تبالي في القطع . وقوله : الختان سنة في الرجال مكرمة في النساء .

وأمام هذه الأحاديث اختلف الفقهاء في حكم الختان ، شأنهم في كل ما لم يرد فيه نص صريح قاطع .

فرأى الشافعية أنه واجب في الذكور والإناث ، ووافقهم الخبالة على الوجوب في الذكور فقط . ورأى الحنفية والمالكية أنه سنة في الذكور ومكرمة في الإناث .

وقد قال الإمام الشوكاني بعد استعراض الرويات في الموضوع من جهة الرواية والدلالة ، والحق أنه لم يتم دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمتيقن السنية كما في حديث ، خمس من الفطرة ونحوه ، والواجب ، الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانتقال عنه . .

ومن هنا يبين أن الأدلة لا تعطى أكثر من أن الختان سنة . وقد كان العموم في حديث السنية الصحيح وهو ، خمس من الفطرة ، يقضى بالمساواة بين الذكر والأنثى في سنية الختان . ولكن كثيراً من المذاهب رأى أنه مكرمة ، في الإناث ، وسنة في الذكور ، ولعل هذه التفرقة ترجع فيما وراء الأحاديث إلى اعتبار آخر يقضى بأهمية الختان في الذكر ، والتأكيد فيه ، وهو أن داخل القلفة مثبت خصب لتكون الافرازات التي تؤدي إلى تعفن ، يغلب معه تكون جراثيم لامراض ضارة . وإلى هذا الاعتبار يشير الإمام أحمد بقوله في الفرق بين الذكر والأنثى ، أن الرجل إذا لم يختن فتلك الجلدة مدلاة على الكرة ، ولا ينقى ما شئ . .

ونظرا إلى أن ختان الذكر كان دأرا عند الأئمة بين الوجوب والسنية المؤكدة ، وفيه هذا الاعتبار الوقائي الذي تعنى به الشريعة أيما عناية . قال الفقهاء - . . إنه من شعائر الإسلام حتى لو اجتمع أهل مصر أو قرية على تركه يحاربهم الإمام وهذا في الذكور خاصة . أما الإناث فلعدم تحقق هذا الاعتبار الصحي فيهن فقد نزل الحكم فيهن عن درجة السنية إلى درجة المسكرمة . ولعل ذلك يرجع إلى أن تلك « الزائدة » من شأنها أن تحدث عند المماسسة مضايقة للأنثى ، أو للرجل الذي لم يألف الاحساس بها ، ويشمئز منها ، فيكون خفضها مكرمة للأنثى ، وفي الوقت نفسه مكرمة للرجل في الفترات المعروفة .

وختان الأنثى بهذا الاعتبار لا يزيد عما تقتضيه الراحة النفسية ، واستدامة العاطفة القلبية بين الرجل وزوجه من التزين ، والتطيب ، والتطهر من الزوائد الأخرى التي تقرب من هذا الحي .

أما ما يراه بعض الناس من لزوم ختان الأنثى نظرا إلى أن تركه يشعل لديها الغريزة الجنسية فتتدفع إلى ما لا ينبغي فهو مما يحتاج في قبوله وترتيب الحكم عليه إلى فحص واستقراء غالب ، على أن الانزلاق إلى ما لا ينبغي كثيرا ما يوجد في المختونات كما هو معروف في الجنايات العرضية ، والمستور منها أكثر مما يعرف الناس . والواقع أن الشأن في هذا لا يرجع إلى ترك الختان ، وإنما يرجع - كما قرره الدكتور كوكب حنفى ناصف - إلى سلامة البنية ، ونشاط الغدد وضعفها ، ثم - من جانبنا - يرجع أيضا إلى الخلق ، والبيئة ، والرعاية في التربية ، والإشراف والحزم في المراقبة ، والقبض على ناصية الأمر ، وعدم إرسال الجبل على الغارب في الاختلاط الذي كاد يقضى على العفة والكرامة .

وكذلك ما يراه بعض آخر من منع الختان نظرا إلى أنه يضعف في الأنثى النزعة الجنسية فيحتاج الرجل تمكينها لها من تلك النزعة إلى الاستعانة بتناول المواد المعروفة ، ومن ذلك وجب ترك ختانها حفظا للرجل من تناول هذه المواد الضارة .

والواقع في هذا الاعتبار أن الذين يعتادون تناول هذه المواد لا يقصدون سوى تلبية نزعتهم الخاصة في الجانب الجنسي ، وأن كثيرا منهم يتناولها لعادة تحكمت فيه ، وصارت بها لديهم من المكيفات اللازمة كما هو الحال عند مدمنى الشاي والدخان .

ومن هذا نرى أن هذا الاعتبار لا ينهض حجة في منع ختان الأنثى ، كما أن الاعتبار السابق لا ينهض حجة في لزومه . ولذلك تسلّم لغير الشافعية من الفقهاء القول بأن ختان الأنثى ليس واجبا ولا سنة ، وإنما هو مكرمة للرجال أو النساء .

* * *

هذا والشريعة تقرر مبدأ عاما وهو ، أنه متى ثبت بطريق البحث الدقيق - لا بطريق الآراء الوقتية التي تلقى تلبية لنزعة خاصة ، أو بحجارة لتمايل قوم معينين - أن في أمر ما ضررا صحيجا ، أو فسادا خلقيا وجب شرعا منع ذلك العمل دفعا للضرر أو الفساد ، وإلى أن يثبت ذلك في ختان الأنثى فإن الأمر فيه

على ما درج عليه الناس وتعودوه في ظل الشريعة الإسلامية ، وعلم رجال الشريعة من عهد النبوة إلى يومنا هذا ، وهو أن ختانها مكرمة وليس واجبا ولا سنة .

أما ما يراه بعض الكاتبين من أنه « عملية وحشية » ، فمن رأي أن إسراف في التعبير ومبالغة في التفسير ، وقد تكون « الوحشية » المتخيلة في أصل ختانها ناشئة من تحكيم الحال في عمليات يجريها الجاهلات المحترفات لهذه العملية . ويرجع ذلك إلى تقصير أولياء الأمر في مراقبة هذا الجانب ، ومنع من لا يحسن العملية من مباشرتها ، والشريعة تقرر في هذا وأمثاله وجوب الحجر على المتطبيب الجاهل والجراح الجاهل ، وتوجب على أولياء الأمر حفظا لصحة الناس ، ووقاية لهم من الضرر منع من يسيئون في الأعمال العامة ، كما توجب تعزيزهم عند المخالفة بما يردعهم ويردع أمثالهم .

أما بعد :

فهذا هو حكم الشريعة - فيما نرى - في موضوع الختان أخذا من النصوص ومقارنة الأدلة ، نبعث به إلى معاليكم تلبية لرغبتكم الشريفة ، واستجابة لداعي الحق والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله

ما يصفو به الود

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكته ، وغيبته ، ووفاته .

وقال أبو العتاهية :

أحب من الإخوان كل موائ	وكل غضيض الطرف عن عثرائ
يوافقني في كل أمر أريده	ويحفظني حيا وبعد عثائ
ومن لي بهذا ليت أنى وجدته	فقاسمته مالى من الحسنات

في الأزهر ورسالته واصلاحه

محاضرة الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

مدرس الشريعة الإسلامية المساعد بكلية الحقوق

نحن الآن في مستهل عام جديد من أعوام المجلة الغراء، وفي مفتتح عهد جديد للأزهر نرجو أن يكون مباركا، لهذا رأيت أن أتقدم في هذا العدد بهذه الكلمة، وهي خلاصة تجارب إحدى وأربعين عاما قضيتها بالأزهر طالبا ومعلما، ونتيجة مقارنات بين الأزهر وأمثاله من المعاهد العلمية والجامعات بأوروبا، والله المستعان الموفق لما فيه الخير.

١ — الأزهر ليس لهذا الجيل وحده، ولا مصر وحدها، بل للأمة الإسلامية جميعا، وهو كما لمست هذا بنفسى بأوروبا المعهد الذي ينحشاه رجال الغرب والمستعمرون بخاصة، ويحسبون لوجوده حسبا كبيرا وإن كانوا م. الاسف - قد بدأوا يعرفون ضعف أثره في توجيه الحياة في مصر، بله الأمة الإسلامية كلها. ولا أدل على ضعف هذا الأثر من قيام كثير من النظم التي تتعارض مع الإسلام ومن أن الثنائين على الحكم في كل العهود لا يكادون يتسامحون عن مبلغ رضاء الأزهر أو يخطئه حيال هذا الأمر أو ذاك قبل تقريره.

وهذا المعهد الجليل مهدد بالزوال ما لم تتحدد الغاية، وتضطنح الوسائل التي تؤدي إلى هذه الغاية، وهذه الغاية يجب أن تتحدد على ضوء الحياة في العصر الذي نعيش فيه، ومعنى هذا أن الأزهر، مثله مثل كل المؤسسات والكائنات الحية، يجب أن يتطور مع الزمن، وذلك ليستطيع أن يؤثر أثرا بليغا في حياة العصر، إن لم نقل يسيطر عليها، بتوجيهها إلى أنبل الغايات على أساس الإسلام وتعاليمه الحقة.

٢ — وفي الناحية العلمية في الدراسات الإسلامية وما يتصل بها، نجد الأزهر تخلى عن الصف الأول، فصار العدد الأكبر الذي برز في الدراسات الإسلامية والتأليف فيها، والذي تقرأ لهم مصر والبلاد العربية عامة، من غير الأزهريين.

وأقول هذا وفي النفس منه غصة وألم شديد ، ولكنه الواقع فعلا ، والمطامع ودور النشر تقدم على هذا دليل أى دليل أو علاج هذا ، فى رأينا ، يكون بتشجيع العاكفين على الدرس والبحث والإنتاج . وعدم نقل أى مدرس للكلية إلا إذا شهد له بذلك مؤلفات منشورة قيمة ، وجعل الترقية فى هيئة التدريس بالكلية نفسها مشروطة كذلك ببحوث أصلية منشورة ، وبدهى أن هذا كله يجب أن يلاحظ تماما فى الترقية للبراكز العلية الرسمية العامة أى التفتيش ومشیخة المعاهد والكلية .

٣ — والأزهر ، منذ زمن طويل ، بعيد عن شئون الإدارة والحكم فى البلد ، وذلك لأسباب وعوامل نعرفها جميعاً . ولكنه يستطيع بلا شك أن يساهم بقوة فى التوجيه لما يريد من غايات ، وهذا يكون لو وضع القائمون عليه ذلك نصب أعينهم وعملوا له ، ولو أحسنوا تحبيب الدين والشریعة الإسلامية للناس بعرضها عرضاً ، طيباً ، ولو كانوا فى أفعالهم مصداق أقوالهم ولم يكتفوا بالوعظ والنصح لغير سميع ؛ إذ من طبيعة النفس ألا تسمع ، سماع امثال وقبول ، إلا لمن يكون قدوة طيبة فيما يقول .

٤ — ثم الأزهر بما عكف عليه من علوم عقلية ، يدرسها من كتب معينة ألقت فى عصور خاصة ؛ وبإعراضه إلى حد ملحوظ عن الدراسات التى تقوم على العقل ونظرة ، لا على تقليد الأقدمين فحسب ؛ وبهجره تماما ما كان يعنى به الأسلاف من الأزهریین أنفسهم من علوم الحياة العملية ، مثل الطب والطبیعة والكیمياء والرياضات العالية ، وبانطواء أهله على أنفسهم ، حتى كأنهم يعيشون فى وطنهم على هامش الحياة - نقول ، بسبب هذا كله ، وربما لأسباب وعوامل أخرى ، قد صار لنا معشر الأزهریین فهم خاص للحياة ، وعقلية خاصة نحيا بها ، وتقدير خاص نقدر به الأمور ، ومقاييس للحق والباطل والخير والشر لا تتفق كثيراً ومقاييس طوائف الأمة الأخرى .

وكان من هذا أن انفرجت زاوية الخلف بين الأزهریین وإخوانهم فى الدين والوطن . وكان من هذا خلاف شديد فى الرأى تشق به الأمة كثيراً وتفرق بسببه الأهداف والغايات والوسائل والجهود ، ونتيجة هذا كله إعراض عن الأزهر ،

وعدم استماع لرأيه في جلائل الامور ، وكأن الأزهر غفل عن أن العالم يتطور ، وأن هذا التطور سنة من سنن الحياة لا يفلت منها كائن حي ؛ وكأن القائمين على الامر في الدولة يغفلون عن أن مصر مدينة بزعامتها في العالم الإسلامي ، وبمركزها في الغرب ، للأزهر وحده ، وعن أن الأمة الإسلامية لا تستطيع بحال ما ، الاستغناء عنه أو التفريط فيه ؛ لهذا يكون على الأزهر أن يعي ذلك تماما ، وأن يعد لكل أمر عده فيسائر تطور الزمن فيما فيه خيره وخير مصر والإسلام جميعاً ، ووسائل هذا كله ميسورة تذكر حين نريد الدخول في التفاصيل . وإن كنا نشير هنا إلى ما سبق أن نشرناه في الصحف ، منذ أكثر من عام من وجوب توحيد التعليم العام في مصر على أساس التمسك بالشريعة كلها في الابتدائي والثانوي من الثقافة الإسلامية الصحيحة ، وعلى أساس أن تكون في نهاية التعليم الثانوي مرحلة توجيهية في الدين والدراسات الإسلامية ، يغذى المتخرجون منها كليات الأزهر وكلية دارالعلوم .

٥ — والأزهر بعد هذا ، هو رباط ما بين الشعوب الإسلامية ، والمركز الثقافي الإسلامي الأكبر الذي يقد إليه كل عام العدد الكبير من ناشئة البلاد الإسلامية ، لهذا نرى من المحزن ما تحتقنه من أن أكثر هؤلاء الوافدين على الأزهر من غير مصر ، وقد صاروا يعدون بالآلاف ، لا يجدون عندنا ما كانوا يرجون من عناية خاصة وتوجيه ، حتى يفيدوا أكبر فائدة من مقامهم بيتنا ، وحتى يكونوا متى انقلبوا إلى بلادهم رسل خير وصلاح ، وسفراء لمصر والإسلام أينما وجدوا ، وذلك لا يكون إلا بالاهتمام اهتماماً جاداً بمراقبة البعوث ، وتعرف حاضر العالم الإسلامي بلداً بلداً ، ليكون من الممكن معرفة حاجة كل بلد من الثقافة الإسلامية لوناً وقدرأ .

٦ — والأزهر ، مع ذلك كله ، جامعة ، بل أقدم الجامعات العالمية وأجدها تاريخاً ، ولكل جامعة طابعها وأهدافها وتجاربها وتطوراتها ، وربما شاركتنا بعض الجامعات الأخرى ، في الشرق أو الغرب ، في بعض ما نهدف إليه من غرض وغاية وخالفتنا في الطرق والوسائل . من أجل هذا ، نرى أن على الأزهر بهذا الاعتبار - ولأنه صار له من أبنائه نفر عرفوا غير قليل من جامعات الغرب - أن يحرص على الاتصال الصحيح بهذه الجامعات ، ففي ذلك خير كثير : تعاون في الوصول إلى الهدف المشترك ، وقوف على تطور بعض العلوم التي نعتي بدراستها

وعلى ما جد فيها من حقائق جديدة ، إلى غير هذا أو ذاك مما نربحه من الاتصال الحق بهذه الجامعات .

٧ — وعلى الأزهر إشاعة التربية الدينية والثقافة الإسلامية بين أبناء مصر جميعاً . لقد لاحظ كثير منا في ألم شديد مقدار جهل كثير من أبناء الأمة بالدين وثقافته جهلاً فاضحاً ، وعذرهم أنه لم يتح لهم أن يختلفوا إلى دوس الأزهر ومعاهده ، وأن مدارس الحكومة الرسمية لا تقوم بالواجب في هذه الناحية . لهذا نعتقد أن من الخير الكثير أن يفشى الأزهر في الأقاليم والمدن المختلفة ما يمكن أن يسمى : « مراكز الثقافة الإسلامية الشعبية » ، وفي هذه المراكز تلقى دروس ومحاضرات مسائية لمن يريد هذه الثقافة الإسلامية على غرار مؤسسات الجامعة الشعبية . حيث تفتح الفرصة لكل من يريد من المسلمين والمصريين جميعاً معرفة الدين الإسلامي في عقائده وعباداته ، والإيمان بالثقافة الإسلامية في ألوانها المختلفة ولا نريد أن يكون إنشاء هذه المراكز عبئاً على الميزانية ، فإنه من الممكن استخدام المعاهد الدينية في المدن التي بها معاهد ، واستعارة قاعات للمحاضرات من مباني الحكومة في المدن الأخرى ؛ على أن يكلف مدرسو المعاهد الدينية القيام بهذه المحاضرات ، فضلاً عن التبرع الإلزامي رسمياً بنحو ١٪ من مرتباتهم جميعاً للقيام بما يلزم لهذا المشروع من نفقات . إن هذا المشروع حين يتم على نحو هذا الوجه ، يعطى للأمة الدليل الملموس على أن أبناء الأزهر يعطون من أموالهم ومن أنفسهم للأمة وفي سبيل الدين ، كما يسد نقصاً ملحوظاً في مناهج وتقسيمات مؤسسات الجامعة الشعبية التي شملت كل الثقافات العامة ماعداء الثقافة الدينية الإسلامية

٨ — إن كثيراً من المسلمين ، بله غير المسلمين وغير الشرقيين ، لا يعرفون الإسلام معرفة يمكن أن تكون صحيحة وكافية ولو تجاوزا . فمن الواجب إذا ، أن يصدر عن الأزهر كتاب عن الإسلام : عقيدة ، وأخلاقاً ، وتشريعاً ، ونظاماً اجتماعياً ، ومذهباً اقتصادياً ، إلى سائر نواحيه المختلفة حتى الدولى منها . ثم ، أن يترجم هذا الكتاب للغات جميعها في الغرب والشرق ، ويوزع في أقطار الأرض كلها . بهذا وحده — لا بترجمة القرآن لو كان هذا ممكناً — يستطيع أن يعرف الإسلام حق المعرفة من يريد ، وبهذا نكون قد أدينا واجباً لهؤلاء الحائرين في

الغرب الذين يحذون عن دين يسير فهمه ، ويتفق مع مقتضيات هذا العصر ، وما أكثر ما لقينا من هؤلاء الحائرين في أوروبا كما نكون قد أدينا واجباً للإنسانية كلها وللحقيقة ، لأن أكثر ما كتب عن الإسلام تعوزه الدقة والإنصاف

٩ — وأخيراً ، لقد لمس الأزهر هذه الأيام قلة الذين يحذفون لغة من لغات الغرب ، ولهذا أوفد بعض أبنائه لذلك باجتهاراً ؛ حتى إذا عادوا للوطن ، أمكن أن يسدوا بعض حاجات الشعوب والبلاد الإسلامية التي تطلب من الأزهر إمدادها بمن يفهم بنقافة الإسلام باللغة الإنجليزية .

ونعتقد أن الأمر بحاجة إلى من ينظر إليه نظرة أوسع وأعمق . يجب في رأينا أن تعلم بعض اللغات الغربية في الأزهر تعليماً جاداً في المرحلة الثانوية والعالية ، وبجانب هذه اللغات يجب كذلك تعلم بعض اللغات الشرقية كالصينية والأوردية ، وبخاصة هذه لأنها لغة الباكستان الوطنية ، ومن هؤلاء الذين يتعلون هذه اللغات ويجيدونها ، يمكن الدعوة للإسلام ونشر الثقافة الإسلامية في هذه البلاد .

وبعد ! فهذه كلمة عن بعض ما أرى في إصلاح الأزهر ليؤدي رسالته كاملة ، وأرجو أن يكون في نشرها ما أرجو من خير ، والله يهدينا جميعاً سواء السبيل .

* * *

(مجلة الأزهر) نلفت النظر إلى ما ورد في هذه المقالة من الاقتراحات القيمة الخاصة بالأزهر وبالأمم الإسلامية . فقد أظف الوقت الذي يجب فيه أن ينظر إلى أمثال هذه الاقتراحات بعناية فائقة . فإن أمة تتألف من نحو أربعمئة مليون نسمة تقوم على بلاد العالم وأخصبها بقعة ، يجب أن تكون في مقدمة الأمم علماً وصناعة ومدنية ، لاسيما وقد كانت مهداً لها منذ أقدم العصور التاريخية إما الاستئانة إلى التقاليد الاجتماعية البالية فقد أصبحت بما لا سبيل إلى المحافظة عليه ، وأولى بها أن تزول ويحل محلها الإيمان والإسلام بمعناهما الصحيحين ، بدل أن يقتصب مكانها الإلحاد والانحلال ، وقد أبدع حضرة الكاتب في بيانه فتعجب به ونشكره عليه ، ونبشره بأن أولى الأمر يعملون جاهدين على تحقيق هذه الأمانات النبيلة .

شِعْرَاءُ الْأَزْهَرِ

٧ - الشيخ عبد الرحمن قراءة

نفضية الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

كنت مدرساً في مدرسة خليل أغا ، إحدى مدارس الدائرة الخاصة الملكية ، حينما كتب الدكتور منصور فهى في سلسلة مقالاته : « خطرات نفس .. الأهرام » ، ينقد : « هيئة كبار العلماء » ، تقدماً مقذعاً ، عرض فيه لذكر الموائد ، والطعام ، وما إلى ذلك ؛ وكتبت تحت عنوان : « على رسلك يا دكتور » ، ردّاً نشرته الأهرام ، ومضى بإعجاب الأزهر ، ونمى إلى أن حضره صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قراءة مفتي الديار المصرية . كان أشد كبار العلماء إعجاباً ، وأبلغهم إطراراً . وكنت مستحقاً في جراية « أتوزير » ، الممتازة ؛ ولعدم حاجتى إلى الخبز ، كنت أبيعها شهرياً لتاجر مشهور يلقانى على رأس كل شهر لينقدنى ثمنها .

وانفق أن « فرز » ، مستحقو أتوزير ، في أوائل أكتوبر ولم أحضر ، فشطب اسمى ، وجرى التاجر على عادته فلم يلقى إلا أول نوفمبر ، لا لينقدنى ثمن الجراية ، بل ليبشرنى - أجزاء الله - بشطب اسمى لعدم حضورى في الفرز ١ وأحزنتى - علم الله - هذا الشطب ؛ الذى لم يكن يكلفنى اتقاؤه إلا على بالفرز في حينه ، إذ أن نظام عملى يوجب أن أكون في مقره من أول يوم من سبتمبر ؛ ولكنى قلت في نفسى : إن فضيلة المفتى ، الذى إليه أمر « أتوزير » ، سوف لا يتردد في الأمر بإعادة قيدى ، متى علم أن هذا الذى شطب اسمه ، هو بعينه كاتب المقال « لياه » ١

وأسرعت إلى دار الإفتاء ، ومثلت في حضرة الشيخ ، وبعد أن حييته التحية التقليدية المعروفة ؛ قلت : أنا - يا مولاي - مستحق بأأتوزير ، وقد شطب اسمى لآلتى لم أعلم بالفرز ، مع أنى كنت في القاهرة ... وقطع الشيخ على كلامى بقوله :

وأنت أياه ؟ قلت : أنا ؟ أنا أزهرى يا مولاي ؛ فصوب نظره فى "وصعده ، ثم صوبه وصعده ، ثم قال : وده شكل أزهرى !!! وخلختنى الصدمة : صدمة الفشل ، وخيبة الأمل ! ففتحت فى لحظة ؛ ثم تماسكت . فقلت : ولكن هذا شيء آخر . فقال : آخر ، ما فيش جراية ، امشى .. !

وتناثر على أثر هذه الجملة كلمات من هنا ومن هناك ، صاح الشيخ على أثرها فى عصبية هادرة : يا فراش ، أخرج ده من هنا . وكان الجواب : هنا دار الإفتاء ، لا دار مولانا ... ولن أخرج منها حتى يخرج . ووقف الفراش المسكين بالباب ، ينظر الى الشيخ مرة ، وإلى أخرى ؛ وأقبل الشيخ عlish أمين الفتوى ، فقال : كان ينبغي — يا أستاذ — أن تخبر الشيخ ، أنك من علماء الأزهر ، قلت : بل كان ينبغي أن أضع رخصة على كتفى ، لأعرف لأول نظرة . ودق الموقف وتخرج ؛ ولكن الشيخ هب واقفا ، وأمر باستدعاء العربية ، ثم خرج ، وخرجت خلفه ؛ وبعد أن اتخذ طريقه الى الأزهر ، اتخذت طريق راجعا بالحفنين ، لإيام . فأما الجراية ، فكانت الضحية البريئة ، التى اتخذت طريقها الى قراقة المجاورين !

لم يكن الشيخ متعنيا ولا معتديا ؛ وإنما رأى شابا شديدا الاعتداد بنفسه الى ما يشبه الغرور ؛ يتزيا بزي بعيد الشبه بأزياء المشايخ ؛ ألوان صارخة ؛ وحزام معقود على البطن مرسل الأهداب ، كأنه ، حياصة كاعب حسناء ، وعمامة ، حمصانية ، تقلصت عن شعر عمل فيه الترجيل والتهذيب ، فبدا براقا صقيلا ... الخ الخ . وأكبر الظن أن نجاح الشيخ فى إصلاحه ، كان مضمونا ، لو أنه سلك معى مسلك الناصح الشفيق : لولا أن ، لازمة ، رجال الدين جميعا ، لا الشيخ وحده ، هى حدة العاطفة ، والصراحة فى الحق ، والأخذ بأقوى شعب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ وأقسم لو أننى كنت مكانه ، لما فعلت غير ما فعل ؛ ولكن الحياة أطوار !

والشيخ عبد الرحمن قراة ، شخصية غنية بأنواع الكرامة : كرامة الأسرة ، فيته من بيوتات الصعيد الكريمة المعروفة ؛ وكرامة الخلق ، فقد كان نزيها ، بعيدا عن مزالت الشبهات ، ومطارح الريب ، شديد التمسك بمظاهر الترفع والتكرم ، الى حد التزمّت ؛ وهو بهذا يشذ عن مذاهب الأدباء فى التسامح ، واتساع الأفق ؛

والكرامة العلمية ، فقد كان من أجل العلماء ، وأصفاهم قريحة ، وأقوام حجة ، وأقوام أمانة ؛ والكرامة الأدبية ، فقد كان أديبا مطبوعا ذواقة ، ذا موهبة شعرية قوية ، قاومت بعناد غير قليل طغيان الأسلوب العلي ، الذي يرجع إليه في الأزهري الشريف ، ضعف سلطان الشعر ، وتواضعه عن مساماة غيره من ضروب القافات التي تعالج فيه . ومن هنا ، كان اتصال الأدباء بالشيخ ، وقربهم منه ، ومدحهم له ؛ فقد مدحه الشاعر البدوي الفحل المغفور له الشيخ محمد عبد المطلب ؛ ومدحه الشاعران : الشيخ علي الريان ، وصادق عرنوس أفندي ، في مجموعة أشعارهما المشتركة : « الديوان » المطبوعة سنة ١٩١٢ على ما أذكر ؛ ومدحه الشاعر الراوية المرحوم أحمد الزين .

يقول عبد المطلب من قصيدة :

العالم الورع ، ابن العالم الورع ،	معروف ، في التفريغ الصناديد
القاطع الليل ، والظلماء شاهدة	ما بين حالين : تسييح وتحميد
وناصر الدين في قول وفي عمل	إذا التوت عنه أرسان المذاويد
وجاعل الحق نهجا لا تحيد به	عنه الخطوب ، ولا سيما المحايد
ترى به الفضل نفس كلما طمحت	نحو العلا ظفرت منها بمقصود

إلى أن قال :

لله ما حاز من علم ومن أدب	ومن كمال له في الدين مشهود
تلك السيادة ، لا ما كان رخرفها	متاع دنيا لعمري غير موجود
أولى بها عابد الرحمن وهو بها	أولى ، وما كل من ساد ابن محمود ،
حسب المسكارم أن الله أودعها	في آله ، فتولاها بتسديد
من كل أروع يزدان الفخار به	وعلم في بحار العلم مورود
إذا السيادة أعيت من يحاولها	كانوا موالها عند المواليد
قوم كرام ، إلى «قراءة» انتسبوا	بخير ما تنسب الأشبال للصيد

ويقول الزين ، لما تولى الشيخ إدارة الأزهر ، من قصيدة :

وأرقتى داع لاصلاح معهد	له من فعال المفسدين نجيب
فقلت له لا تأس ، ملك أمره	أخو ثقة للمعضلات ركوب
فذاك الذى قرت به عين أمة	لها عبرات سيل من يصبوب
وألقت عصاها - حين قام بنصرها	جموع لثنى المكرمات كسوب
ولست أرى فيه سوى أنه الذى	تقر به عين العسلا وتطيب
به أدرك المهضوم خطة عادل	وأصبح داعى الحق ليس يخيب
وأورق غصن العلم بعد ذبوله	وألبس ثوب المجد وهو قشيب

وشعر الشيخ - كما قلت - ينساب فى أعطافه نفحة من نفحات لحوّل الشعراء ، وإن عارضها - أحيانا - طابع أشعار العلماء ؛ وهذا مقام كريم ، إذا عرفنا أن الشيخ ومعاصريه من الشعراء ، كانوا البرزخ الذى انتقل به الشعر إلى البعث فى عهد النهضة الحديثة ، بعد أن وقف حتى جمد : وضعف حتى همد .

تطالعك هذه النفحة . بدرجات متفاوتة ، فى جميع ما تناوله من أغراض الشعر وقد تناول الأغراض القديمة كلها ؛ فن غزله :

أهلا بطيف خيال زارنى سمرا	لولاه لم تكتحل عيني بطيب كرى
طوى المراحل نحوى ، والمنازل فى	جنح الليالى يخوض الهول والخطرا
فلا - وربك - لولا ليل طرته	أخفاء عن أعين الواشين ما استرا
حيا ، فأحيا فؤاداً قد قضى أسفا	لولا التحية أحيته لما نشرنا
زموا الرجال . وضموا فى هودجهم	بدرا ، إذا غربت شمس الضحى سفرا !
ياسائق العيش ، إن جزت العقيق فقف	به رويدا عسى نقضى به وطرا
وانشق عبير ثراه ، واسق روضته	بدمع عينك ، واستنجد لها المطرا
وصن فؤادك لا تغلبك خردّه	عليه ، إن فوقت عن قومها وترا

ويقول في «الاخوانيات» يمدح ويشكر :

شقيق الروح أهداني^(١) سلامه فألبسني به حلل السلامه
فلم أر قبله أبدا سلاما إذا وافي العليل شفي سقامه
سكرت بطيب رياه ، فلولاً تقاه ، لقلت أهداني المدامه
فيالك ناظماً عمداً ثميناً يد الأفكار قد نسقت نظامه
لقد أحرزت غاية كل سبق فما عبد الحميد ، وما قدامه ؟

وفي تهنئة الأستاذ الإمام محمد عبده ، بمنصب الافتاء :

بهديك في الفتوى إلى الحق نهدي ومن فيض هذا الفضل نجدى ونجدى
لكل زمان من بنيه مجمد لما أبلت الأهواء من دين أحمد
وقد علم الاقوام أن محمداً مجدد هذا الدين في اليوم والغد
يميناً به ، بالفضل خصصه عبده محمداً ، الداعي لهدى محمد
وقلده عمده الفتاوى فأصبحت تقيه به الفتيا بخير مقلد
لتخترقن الحجب بالرشد لا الهوى وتبني منار الحق بالفكر واليد
فتوضح من إشكاله كل غامض وتفتح من أبوابه كل موصل

وله في رثاء بعض أصدقائه من قصيدة :

أيها النفس ، كيف عليك بالصبر فقد فلت الحوادث حدى
إن رزه « الحسين » قوض أطناب سرورى ، يهد أركان مجدى
أغمدت بعده سيوف عهدنا أنها لا تتر يوماً بغمد
وخبث بعده مصاييح كانت هى شمس الهدى لهاد ومهدى
وخلت بعده المنازل من إجماع — زال رفد ، أو من تحية وفد

(١) عدى الشيخ «أهدى» بنفسها ؛ والمعروف تعديتها بأى .

وله في العتاب ، وهو بالغ الجودة :

صلوني ، وإن شتم فاهجروا	وأوفوا بعهدي ، أو فاغدروا
خضعت لأحكامكم صاغراً	ومن ذا يحب ولا يصغر !!!
وحاولت كتمان وجدى بكم	فتمت دموعي بما أضمر
فيا حيرة الحى رحاكمو	لمن دمه سائل ينهر
أجن لرؤيتكم كلما	دنا جؤذر ، وأضا نير
وأشكو إليكم جوى فى الحشا	إذا أنا أخفيت به يظهر
بكم عدت من جوركم فاعدلوا	ولدت بكم منكرو فانصروا !
فأحسن العفو عن أسا	ولا سيما عفو من يقدر

وله هجاء ، أكثره من الأدب المكشوف ، على طريقة شعراء البقيعة ، أو كما يقول جرير فى هجاء الراعى التيمرى :

أجندل ، ما تقول بنو نمر إذا ما ... فى ... أيسك غابا
وفى هجاء الفرزدق :

إذا سعلت فتاة بنى تميم	تلطم باب عضرتها الترابا
ترى برصا بأسفل إسكتها	كعنفقة الفرزدق حين شابا

فله عفا الله عنه :

لله درك من رفيع كاتب	بدوانه تتعاقب الأفلام
عرضتها للكاتبين ، فكلمها	عجزت أغيلته ، أناك غلام
هذى مفاخرى التى أحرزتها	وأفادك الحالات والأعمام
وبها فخارك ، فافتخر ما شئت ،	لا عرض ، ولا عمل ، ولا إسلام

وله :

إن كنت يا ... تزعم أنها	صدقت ، فإنك آثم أفاك
لو كنت من أهل الفسوق عرفتني	أيام كنت بدرهين ... !

وله :

ما زلت تنف عارضيك لكل من أبصرته ، وترجرج الأفلاك
وتقول : هل من ... لم يدخل الدنيا ، فلم تر في الورى ...
وفي الحق أنها ملكة من تراث قدامى الشعراء . طاغية مقذعة !

وله في غير ذلك إحسان كثير ، تقرأه في مجموعة : ، الشيخ عبد الرحمن قراعة
كأديب ، بقلم محمود على قراعة . المطبوعة سنة ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م . أهدها إلى
الأستاذ الصديق على محمد حسن المدرس في معهد القاهرة .

وأختم مختارى من أشعار الشيخ رحمه الله تعالى ، بقوله يصف النياق ويمدح
الرسول الأعظم ، صلوات الله وسلامه عليه :

إذا نظمت أخفافها عقد منزل	ثرن حصا البيداء ثرن الدرام
متى أرم أكباد البطاح بها أصب	مقاتلها ، موطوءة بالناسم
تحن إلى طي القفار حنينها	لام القرى من بين كل العواصم
وتأبى ، ولو أن السماكين سخرا	لها منزلا ، إلا بشعب ابن هائم
هنالك ، حيث الكون أشرق وازدهى	بخير الورى والبيت سامى الدعائم

إلى أن قال :

إلى حيث أنوار النبوة أشرقت	على الناس طرا : عربهم والأعاجم
إلى الآية الكبرى على كل جاحد	إلى الحجة العظمى على كل ظالم
إلى القرض الأقصى الذى ليس	مرام لرام ، أو مرام لراثم
إلى أحمد الهادى البشير محم	إلى الطاهر المساحى ظلام المظالم
إلى الحامد المحمود أكرم فاتح	وأفضل مبعوث وأشرف خاتم

صلى الله عليه وسلم ، وأسبل على جدث الشيخ العظيم هوامى رحمته ورضوانه ،
كفاء لإخلاصه وإحسانه . آمين .

دراسات في القرآن

موسى الكليم - في سورة المائدة (١)

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى

المفتش بالأزهر

قلت إن الله سبحانه قد ذكر موسى الكليم في خمسة وعشرين موضعاً من الكتاب الكريم وتعرضت لما ورد في السورة التي ذكرت فيها البقرة من نعمة الانجاء من آل فرعون وفرق البحر ، واتجاه قوم موسى ، وإغراق عدوهم ، ومواعدة موسى أربعين ليلة ، وعفو الله عنهم بعد اتخاذهم العجل ، وطلبهم رؤية الله ، ثم عتابهم والعفو عنهم ، وإحسان الله إليهم بتظليل الغمام في الصحراء ، وإنزال المن والسلوى من السماء وعدم تحقيقهم دخول القرية ، وطلبهم السقيا من موسى ، ثم إخراج الماء لهم من الحجر ، وما تبع ذلك من مظاهر الضجر . واعتدائهم في السبت ، ثم قصة البقرة ، واختلافهم في أمرها — وكان الموضع الثانى من المواضع الخمسة والعشرين سورة المائدة .

وفى خبر يصور قسوة قلوب القوم . وإختلافهم أيضاً ، وعقاب الله لهم . وهذا الموضع يقع من الناحية التاريخية بعد نجاتهم من آل فرعون وخروجهم من مصر كما سترى وهو مما لم يذكر فى غير هذه السورة الكريمة فيما نعلم .

والواقع أن سورة المائدة (وهى الرابعة من سور القرآن الكريم) تذكر أحوالاً أخرى من تواريخ بنى إسرائيل قبل زمن محمد صلى الله عليه وسلم وفى زمنه بل الواقع أن كثرة من سور القرآن الكريم لا تخلو من شرح لأحوال هؤلاء الناس تحديداً لهم وعظلة بتواريخهم ، وصورهم النفسية العجيبة . وهداية لمن أراد الله هدايته

(١) الواقع أن فى سورة النساء ذكر النبى . من أحوال كليم الله وقومه فى الآيات (١٥٣ - ١٦٢) ولكنها مستطردة . فيها مر مريع يبيض الحوادث ولذلك لم أفسد إليها فى المواضع الخمسة والعشرين . ولقارئ الكريم أن يرجع إليها فى الكتاب الكريم .

منهم وكذلك هذا الكتاب الكريم . هدى للتقين ، وتسجيل وحجة على المعتدين المعاندين وإنما أحاول دراسة الأحوال التي تتصل بكليم الله وتلابسه ملابسة قريية وفي سورة المائدة من ذلك الآيات من (٢٠ - ٢٦) .

وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله — إلى قوله فلا تأس على القوم الفاسقين وفي هذه الآيات أن موسى صلوات الله عليه قال لقومه بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم في ثلاثة مواضع فاشكروها وأدوا حقها . واسمعوا وأطيعوا لرسوله فيما يدعوكم إليه إسعاداً لكم وإصلاحاً لشئونكم . وإن شق الأمر على نفوسكم وتوهمت فيه لإضرار بكم ، وهذه النعم الثلاثة هي :

١ — أنه جعل فيهم أنبياء كثيرين والله سبحانه قد جعل في ذرية إبراهيم النبوة والكتاب . وردد هذا المعنى في كثير من آيات الكتاب . وذلك يتمنى الاستقامة على الطريقة فإن النسب الكريم يزينه العمل الكريم . حفظاً لكرامته ورعاية لحرمة . وإلا ذهب جمال الشرف . وضاعت ميزته ولهذا يقول النبي (آل النبي كل تقى) .

٢ — أنه سبحانه جعلهم ملوكا . فقد حررهم من رق العبودية . وأخرجهم إلى فضاء الحرية وذلك الملك الحق . والصفاء الذي لا يقاس به عز . قال زياد : خير الناس ، رجل لا يعرفنا ولا نعرفه في غنيات له . فالملك من لا سلطان عليه لأحد . وذلك سائد في لغة العرب وقد دلت عليه الآية الكريمة فإن الله سبحانه يقول جعلكم ملوكا . ولم يقل جعل فيكم ملوكا والعبارة لا تصدق إلا بهذا التفسير .

٣ — أنه سبحانه آتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وهذا يشبه أن يكون من عطف العام عن الخاص لإفادة الشمول وعدم الخصوص .

ومعنى ذلك أنه سبحانه آتاهم النبوة وآتاهم الملك وأعطاهم فرق البحر وإغراق فرعون ، والتوراة فيها هدى ورحمة ، وظلل عليهم الغمام ، وأنزل المن والسلوى ، وغير ذلك ، وكل هذا لم يعطه الله أحداً من العالمين .

وإذا كان ذلك فمن حقه أن يشكروه ، ويقدره ويتلقوا ما يأمر به بقبول حسن ، وكان نبي الله وكليمه علم من قسوة قلوبهم ما يدعو إلى تخفيفها وترقيتها

ولكن ... ولكن أنى هذا وهي كما يقول الله سبحانه كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وكان من حكمة الله سبحانه أن يطلب منهم ذلك الأمر فيخالقوا فيعزلهم في ذلك التيه الذي يبلغ عشرة فراسخ في مثلها يخبطون فيه ليلهم ونهارهم ، ويعودون من حيث ابتدوا بقدره الله حتى ينقض هذا الجيل الفاسد ، ولا يكون عدوى لذلك العنصر الذي أفسده الاستعباد والاحتلال الفرعونى نسأل الله السلامة .

قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة وهي أرض الشام والحق أنها غير القرية التي ذكرت في سورتي البقرة والأعراف - (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية ، وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) فإن السياق في القرآن يشعر بأن دخول القرية كان وهم في التيه ، وأما هذه الأرض المقدسة فطلب منهم دخولها قبل التيه ، وكان التيه عقوبة لهم على تركها ، والقصة تلخص في أن موسى قال لبني إسرائيل بعد أن عبر بهم البحر ، ومهد بالتذكير بنعم الله عز وجل ، أدخلوا الأرض المطهرة المباركة التي وعد الله إبراهيم أن يجعلها لذريته كما ورد في سفر التكوين أن الله سبحانه قال لابراهيم - لنسلك اعطى هذه الأرض - وحذرهم أن يجبنوا عن القتال ، وإلا رجعوا خاسرين لم يظفروا بهذه الأرض ، فيحقق الله سبحانه الوعد لغيرهم من ذرية إبراهيم ، من المطيعين لأوامره ، ولكن ضعف الاستعباد وسوء تربية الاحتلال عليهم الجبن والخور فهم الذين يحسبون كل صيحة عليهم ، قالوا إن نبي الله أراد أن يقرهم في أرض يستقرون فيها بعد خروجهم من مصر فلما قرب من حدود الشام قال لهم إن الله سبحانه وعدكم هذه الأرض فادخلوها واستعدوا لقتال من يقاتلكم من أهلها ، فأرسلوا اثني عشر جاسوساً منهم يدرسون أحوال أهلها ، فلما رجعوا قال عشرة منهم لموسى وهو في ملأ من بني إسرائيل . إنها أرض تدر لنا وعسلاً ، غير أن القوم أقوياء والمدن حصينة ، وقد رأينا أهلها وهم طوال الهامات فصرنا في عيونهم كالجراد ، وكذلك كنا في عيوننا . ذلك بمعناه في السفر الرابع من التوراة وهو قدر معقول لا يناق نص القرآن الكريم بل يسايره ، قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، والجبار في اللغة عظيم الجثة الطويل من قولهم نخلة - بارة ، وناقة جبارة ، وقد ذكرت أوصاف أخرى في الاسرائيليات

الكاذبة ، تملأ بعض المفسرين ، ولا معول عليها ، ولا تتفق مع المنطق ولا التاريخ الطبيعي .

وما كاد بنو إسرائيل يسمعون من الجواسيس وصفهم ، وما بهم من بطش وقوة حتى طاروا شعاعاً ، وتولاهم الرعب والفرع . وأكل قلوبهم الهلع . وبكوا وتمنوا لو أنهم ماتوا بمصر ، ثم صاحوا بموسى متظاهرين ، إن فيها قوماً جبارين وإنما لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها داخلون . كره القوم الجهاد في سبيل الله . لأنهم ألفوا ألا يدفعوا عن أنفسهم شراً . واطمأنوا إلى الخوارق التي عودهم موسى وما كانت من الأوضاع الطبيعية ولا السنن الكونية . وإنما الحياة عتيقة وجهاد ، وكفاح وجلاد .

فهذه الإسعافات المؤقتة التي يثبت الله بها قلوب عباده لا تستقيم عليها حياة . وإلا كان الإنسان جماداً ، ولا حراك به ، ولا تصرف له .

ولما كان كل وسط لا يخلو من ذوى مزايا ممتازة ، فقد كان في بني إسرائيل من ينكر عليهم تمردهم ولا يقرهم على تمردهم ، فأنبرى رجلان من الذين يخافون الله . ولا يرهبون بطش سواء . قد أنعم الله عليهما بالانقياد والطاعة ، وقد ذكرت التوراة أنهما يوشع بن نون وكاب بن يغثة وأجمع المفسرون من المسلمين على ذلك . وقالوا لئولهما ادخلا عليهم باب تلك المدينة ووعداهم ثمة بالله وتوكلا عليه بالنصر والغلبة ، وطلبا منهم أن يتوكلا على الله كما توكلا ، إن كانوا قد آمنوا كما يقولون . فإن المؤمن الصادق من يتوكل على الله ، ولا سيما في جهاد عدوه ، والدفاع عن حقه . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . .

ولكن القوم لضعف نفوسهم وخور عزائمهم ، أصروا على جبنهم . ولم يتوكلوا على ربهم . وقالوا يا موسى إنما لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . . يتكلمون بكلمة الله قائلين في حاجته . إن كان ربك هو الذي أمر بإخراجنا من مصر لسكنى هذه الأرض وكتبها لنا ، فاذهب أنت ومن أمرك فقاتلا إنا ههنا قاعدون . ننظر ما يتم بينكم ، عند ذلك أخذ موسى يشكو

إلى ربه ، هذا الذي نزل به . من تمرد قومه ويتصل من فسقهم وتمردهم ، رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين .

وانتد احتاط صلوات الله عليه غاية الحيلة فلم يكفل إلا هرون معه . لأنه مطوعاً لا يخالفه ولأن الله أتاه سؤاله فيه يوم قال ، اشدد به أزرى وأشركه في أمري . فليس من الجائز أن يخرج عن توجيهه . وأما الرجلان لجائز أن ينكلا ، وقد نكل القوم لأن السكثرة غير المثلة ، وأنت في الجماعة غيرك إذا اتخذت عنك . وقد عجل الله سبحانه للقوم جزاء من جنس ما عملوا فخرم عليهم الأرض المقدسة أربعين سنة يذهبون في أرض مقدارها عشرة فراسخ في مثلها لا يمكنون من الخروج منها حتى يقرضوا ويأتى الله بقوم آخرين فيهم صلاحية للبقاء والخلافة على الأرض الطيبة لم يفسد الاستعباد فطهرهم . ولم يفت الاحتلال في أعضادهم . ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر إن الأرض يرثها عبادى الصالحون . اللهم خلصنا من أحوال الاحتلال . وارفع عنا نير الاستعباد حتى نحسن عبادتك .

« التورع عن ولاية المناصب »

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموى . إلى عدى بن أرطاة أن اجمع بين إياس من معاوية . والقاسم بن ربيعة الجرشى . قول القضاء أنفذهما . لجمع عدى بينهما . فقال له إياس : أيها الرجل سل عنى وعن القاسم . فتهبى البصره : الحسن وابن سيرين . وكان القاسم يتردد عليهما وإياس لا يأتيهما . يريد بذلك أن يشهدا بكفايته فيسند عدى القضاء إليه . ويخلص هو منه . فأدرك القاسم هذه الحيلة فقال لعدى لا تسأل عنى ولا عنه . فوالله الذى لا إله إلا هو إن إياس ابن معاوية أفتقه منى وأعلم بالقضاء . فإن كنت كاذبا فما ينبغي أن تولينى . وإن كنت صادقا فينبغى لك أن تقبل قولى : فقال إياس لعدى إنك جئت برجل فأوقفته على شفير جهنم فتجنى نفسه منها يمين كاذبة يستغفر الله منها وينجو مما يخاف فقال عدى : إما أن فهمتها فأنت لها . فاستقضاء ؟

أبو اسحاق الشيرازي

نفضية الأستاذ الشيخ عبد الله المرافي
مدير المساجد بوزارة الأوقاف

امتاز القرن الخامس الهجري بطابع النشاط العلمي في التأليف ، نتيجة لتنازع القوى السياسية والمراكز الإسلامية المتعددة المتنازعة في الخلافة ، فأنت ترى في مصر الدولة الفاطمية التي أسست الجامع الأزهر سنة ٣٦٩ هـ وجعلته معبدا علميا لدراسة المذهب الشيعي وتكوين الدعاة لتدعيم مذهبهم وتثبيت خلافتهم ، وذلك بما دعا الخلفاء العباسيين ببغداد الى أن يزداد نشاطهم صدا لهذا التيار الجارف . وكما نرى تلك المنافسة بين مصر وبغداد حامية الوطيس نراها أيضا في الأندلس حين اشتد ساعد دولة المرابطين ، إذ نرى يوسف بن تاشفين يرسل قائده داود بن عائشة لمحاربة كاثوليك الأسبان قرب بطليوس ، ونراه يخرج من هذه الحرب ظافرا منتصرا حاميا لبيعة الإسلام ، ذائدا عن حياضه ، ملقبا نفسه باسم أمير المؤمنين .

ومن الطبيعي أن يكون لهذه المنافسة السياسية أثرها في الجوانب العلمية المختلفة لذلك نرى أن هذا القرن أنجب نتيجة لذلك التفاعل ، علماء محققين في كل عاصمة من تلك العواصم الإسلامية . فأنت ترى أبا إسحاق الاسفرائيني الشافعي ، وأبا عمر الطلنكي المالكي ، وأبا زيد الدبوسي الحنفي ، وابن حزم الذي كان شافعي المذهب ثم انتقل الى مذهب الظاهرية ، وأبا الوليد الباجي المالكي ، وإمام الحرمين الجويني الشافعي ، ومرتجنا أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي وغير هؤلاء من جة العلماء وأفاضل المحققين الذين ذخرت بمؤلفاتهم المكتبة الإسلامية وتناقل العلماء أفكارهم وآراءهم منذ ذلك القرن الى اليوم .

هذه صورة مصغرة تضيء لنا نواحي البيئة العلمية التي نشأ فيها الشيرازي ، ونعود بعد ذلك الى أطوار حياته فنذكرها طورا إثر طور على حسب ترتيبها الزمني وبمقدار ما تسعفنا به المراجع التي بين أيدينا ، علنا نصل الى إبراز هذه الشخصية التي أدت واجبا نحو عقيدتها ، ونحو مجتمعها الذي عاشت فيه واستظلت بظله .

يذكر لنا محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد ، أن الشيرازي ولد بفيروز آباد (بلدة بفارس) ونشأ بها ، ولم تبين لنا كتب التاريخ التي بين أيدينا كيفية نشأته الأولى ، وهي على ما ظن كانت على وفق نشأة أقرانه وأهل عصره ، فهي حفظ للقرآن وتعلم للقراءة والكتابة ، ويذكر لنا هذا المصدر نفسه أن أبا إسحاق دخل شيراز وقرأ بها الفقه على أبي عبد الله البيضاوي وعلى أبي أحمد عبد الوهاب بن رامين ثم دخل البصرة وقرأ على الجوزي .

تلك هي البلاد التي تنقل بها الشيرازي في شبابه طالباً للعلم من أهله ، ثم دخل بعد ذلك بغداد في شوال سنة ٤١٥ هـ . وفي بغداد أصبح الشيرازي متأثراً بشيوخه متلقياً عنهم ، مستوعباً لأنواع العلم فيها ، مؤثراً في تلاميذه وأبنائه . وأشد العلماء تأثيراً في الشيرازي شيخه أبو الطيب الطبري الذي كان يصحبه طويلاً ، ويأخذ عنه كثيراً ، وينيبه عنه في درسه ، بل قد رتبته معيداً في حلقاته بصورة لعلها لا تعدو ما عليه نظام المعيدين بالجامعات في العهد الحديث . وإذا أردنا تحقيق سن الشيرازي وقت دخوله بغداد ، وجدناها أقل من عشرين بقليل ، أو أزيد منها بقليل ، على اختلاف الروايات في مولده ، ونجتاز تلك المرحلة إلى مرحلة التأليف والتدريس اللذين كان محطهما بغداد ، فقد ألفت في الفقه الشافعي ، والتبیه ، وهو أحد الكتب المشهورة في المذهب ، فرغ من تصليفه سنة ٤٥٣ هـ ولبعضهم في مدحه :

يا كوكباً ملأ البصائر نوره من ذا الذي لك في الأنام شبيهاً
كانت خواطرنا نياماً برهة فرزقنا من تنبيهه تنبيهاً

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، ومع هذه الترجمة مقدمات للأستاذ حوينبول . وله المذهب ، في المذهب ، فرغ من تأليفه سنة ٤٦٩ هـ وصفه صاحب كشف الظنون بقوله كتاب جليل القدر ، اعتنى بشأنه فقهاء الشافعية . وقيل إن سبب تصنيف المذهب أنه بلغ الشيرازي أن ابن الصباغ قال : إذا اصطاح الشافعي وأبو حنيفة ذهب علم أبي إسحاق الشيرازي ، يعني بذلك أن علمه هو مسائل الخلاف بينهما فإذا اتفقا ارتفع ، فكان ذلك حافزاً للشيرازي على تصنيف هذا المؤلف . وللشيرازي رسالة في علم الأخلاق وفي الطب الروحاني المتعلق بالوعظ والإرشاد . وله في علم أصول الفقه كتاب ، اللع ، الذي أشار في مقدمته إلى سبب تأليفه وإلى ذكر

مؤلفه في علم الخلاف إذ يقول : الحمد لله كما هو أهله ، وصلواته على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين . سألتني بعض إخواني أن أصنف له مختصراً في المذهب (يعني به مذهب الشافعي) في أصول الفقه ليكون ذلك مضافاً إلى ما علمت من التبصرة في الخلاف فأجبتة إلى ذلك إيجاباً لمسألته ، وقضاء لحقه ، وأشرت فيه إلى ذكر الخلاف وما لا بد منه من الدليل ، وربما وقع ذلك إلى من ليس عنده ما علمت من الخلاف وإلى الله تعالى أرغب أن يوفقني للصواب ويجزل لي الأجر والثواب إنه كريم وهاب .

والناظر في هذا الكتاب يرى أن علم الأصول قد لان لمؤلفه حتى استطاع أن يبسط قواعده بعبارة سهلة ميسرة للأفهام يسهل الحصول منها على التواعد الأصولية التي اعتمد عليها المذهب الشافعي كما يسهل أخذ القواعد الأصولية العامة وقد وصف بعض الشعراء هذا الكتاب بقوله .

ان شئت شرع رسول الله مجتهداً تغنى وتعلم حقاً كلها شرعاً
فاقصده هديت أبا إسحاق مقتنيا وادرس تصانيفه ثم احفظ اللبعا

وكانت له قدم رائحة في علم التاريخ ، يدل عليه مؤلفه طبقات الفقهاء ، ولا نرى تعريفاً بهذا الكتاب أوضح من مقدمته التي أحاطت بموضوعه وما اشتمل عليه إذ يقول : . هذا كتاب مختصر في ذكر الفقهاء وأنسابهم ومبلغ أعمارهم ووقت وفاتهم وما دل على علمهم من أنباء الفضلاء رحمة الله عليهم ، وذكر من أخذ عنهم العلم من أتباعهم وأنسابهم وأصحابهم ، لا يسع الفقيه جهله لحاجته إليه في معرفة من يعتبر قوله في اعتماد الاجماع ، ويعتد به في الخلاف ، فأول ما بدأت بفقهاء الصحابة رضي الله عنهم ثم بمن بعدهم من التابعين وتابع التابعين ثم بفقهاء الأنصار وإلى الله تعالى أرغب أن يوفقني إلى الصواب ويجزل لي في الأجر والثواب إنه كريم وهاب ، قد طبع هذا المؤلف النفيس نعيان الاعظمي صاحب المكتبة العربية ببغداد سنة ١٣٥٦ ومعه طبقات الشافعية لأبي بكر بن هداية الله الحسيني الملقب بالمصنف المتوفى سنة ١٠١٤ ، وأما اشتغاله بالتدريس ومكانته فيه وقدرته على مزاولته فيكفينا أن ندل عليه بأن نظام الملك لما بنى مدرسته ببغداد سأل الشيرازي أن يتولاها فلم يقبل ، فولاهما لأبي نصر بن الصباغ صاحب الشامل مدة يسيرة ، ثم قبل الشيرازي التدريس بها فتولاها ، ولم يزل بها إلى أن مات

فولى مؤيد الملك بن نظام الملك أبا سعد المتولى مكانه فى التدريس ، فلما بلغ الخبر نظام الملك أنكرك ذلك وقال : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة بعد وفاته حزنا عليه .

ويكفى فى الدلالة على كثرة تلاميذه الذين تلقوا عنه العلم أنه قال : لما ذهبت الى خراسان لم أجد قاضيا ولا مفتيا ولا خطيبا إلا وهو من تلاميذى أو أصحابى وقد ضرب بزهد المثل وضم إلى ذلك الزهد شدة الورع ومع ذلك قد كان أدبيا أثر عنه بعض الإشعار منها قوله :

سألت الناس عن خيل وفى فقالوا : ما إلى هذا سبيل
تمسك أن ظفرت بذيل حر فإن الحر فى الدنيا قليل

ولما توفى الشيرازى رثاه أبو القاسم بن نافىاء بقوله :

أجرى المدامع بالدم المهرق خطب أقام قيامة الآماق
مال الليالى لا تولى شملها بمسد ابن يجدها أبى إسحاق
أن قيل مات فلم يمت من ذكره حتى على مر الليالى باقى

رحم الله الشيرازى رحمة واسعة ، كفاه ما قدمت يده من جهد وما لاقى من نصب لنصرة الشريعة الإسلامية والقيام على تدعيم مذهب الشافعى ، وجعل فيه للعلماء قدوة ، والزهاد أسوة . ولد سنة (٣٦٣) وتوفى سنة (٤٧٦) هـ .

هذا هو العدل

التقى عمر بن الخطاب بأبى مریم الحنفى ، قاتل زيد بن الخطاب ، فقال له عمر : والله لولا الإسلام ما تركتك ، والله لى لا أحبك ! فقال له أبو مریم : أو تمنعنى لذلك حقاً يا أمیر المؤمنین ؟ قال عمر : لا ، وكررها ثلاثا . فقال أبو مریم : لست أبالى بعد ذلك ، ما يفرح بالحب غير النساء !!

الباية والبهائية

لمحاضرة الأستاذ عمر طلعت زهران

أستاذ في الآداب

« فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ،
ثم يقولون : هذا من عند الله ،
« قرآن كريم » ، ٧٩ . ٢ »

عرف العالم مدعي النبوة منذ أقدم عصوره ، وكانوا جميعاً يتخذون أحد الأديان السائدة تسكأة يبنون عليها ادعاءاتهم ، وقد يحدث أن يهر أحداهم لأبصار حيناً ، ولكنه لا يلبث حتى ينطفئ نوره ، وأن يخبو ذكره ، وتاريخ الإسلام حافل بذكر مدعي النبوة ، ولكن أخطرهم شأننا ، هو من ستحدث عنه في هذه المقالات ، التي سنذكر في ختامها ثبثاً بالمراجع ، لمن شاء أن يعرف المزيد عن هذه الفرقة .

بعث الله - جل وعلا - محمداً صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً ، فأضاء بنور دينه العالم ، واجتث الجهالة ، وكان نبأها ، قام المسلمون بهديه ، فخطموا الأمبراطوريات ودكوا العروش . وأعلنوا حقوق الإنسان ، وأقاموا أسس الحرية الفردية . ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه الخلفاء الراشدون ، حتى كان مقتل عثمان ، وما نعرفه من أمر علي بن أبي طالب ، فانقسم المسلمون فتيين : أهل السنة والشيعة . رأى أهل السنة صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، أما الشيعة فلم يعترفوا بالخلافة إلا لعلي - كرم الله وجهه - ومن بعده الحسن ثم الحسين .

ولم يقتصر الخلاف على ذلك ، بل نرى أن كلا الفريقين اختلف ، والذي يهمننا هنا هو اختلاف الشيعة ، وهي اختلافات رئيسية تدور حول الإمامة ؛ إذ أنه بعد استشهاد الحسين في كربلاء ، بدأ الخلاف يدب بينهم ، فنشأت عدة فرق :

١ — الفرقة الكيسانية : فقد بايع فريق علي بن الحسين إماماً رابعاً ، وبايع فريق آخر محمد بن الحنفية ، وهؤلاء عرفوا بالفرقة الكيسانية ، وبعد أن مات محمد هذا ، قالوا عنه إنه هو الإمام الحى الغائب ، وأنه هو المهدي المنتظر ، وهو غائب في جبل رضوى يمتات بالماء والعسل الذى يأتيه من عند الله . وفي هذا يقول السيد اسماعيل الحيرى أحد علماء هذه الطائفة : -

على والثلاثة من بنيه فهم أسباطنا والاولياء
فبسط سبط إيمان وبر وسبط قد حوته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يتممه اللواء
يفيب - فلا يرى - عنا زمانا برضى ، عنده عسل وماء

٢ — والفرقة الأخرى بايعت علي بن الحسين إماماً ، ومن بعده ابنه محمد ابن علي الباقر ، واعتقد كثيرون أنه المهدي المنتظر ، ولكنه نفي ذلك عن نفسه . وبويع بعد الباقر ابنه جعفر الصادق .

٣ — الاسماعيلية : وأوصى جعفر بالإمامة لابنه اسماعيل ، غير أنه مات قبل أبيه جعفر ، ومع ذلك اعتبره البعض إماماً ، وكان عندهم هو المهدي المنتظر ، وهو عند أتباعه سابع الأئمة وخاتمهم ، استناداً إلى الحديث الشريف : « أوصيائي سبعة » وزعوا أن أيام الأسوع السبعة ، والسيارات السبع والسموات السبع ، والأرضين السبع الواردة في الفرقان ، والسبع المثاني ، كل ذلك رمز إلى الأئمة السبعة (١) .

٤ — ووجد فريق تبع موسى بن جعفر ، واختلفوا بعد وفاته فريقين : فريق رأى أن موسى بن جعفر لم يمت ، ولكنه غائب سيظهر آخر الزمان ، وعرف هؤلاء باسم « الواقفية » .

٥ — وفريق ارتضى لإمامة الرضى علي بن موسى . وبعد موته انقسم الشيعة إلى قسمين : قسم رأى انسداد باب الإمامة ، وقد تشعب إلى شعب كثيرة ، كان أهمها الدراويش ، وكان لهم شأن عظيم في القرون الوسطى ، وكانوا يقولون

(١) وعلى هذا يكون الأئمة السبعة هم : علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم اسماعيل .

بأن العالم لا يخلو في أى زمن عن إمام أو حجة بين الناس ، نغالفوا بهذا رأى الشيعة الذين يجيزون الغيبة والخلو .

٦ — والفريق الثانى قبل إمامة محمد الجواد بن على ، ثم على بن محمد ثم الحسن بن على العسكرى ، واعتقدوا بمهدوية محمد بن الحسن العسكرى الغائب الحى ، وهؤلاء هم الشيعة الاثنى عشرية ^(١) .

أما محمد بن الحسن فهو ابن صغير للحسن العسكرى ، أخفاه خوفاً من المتوكل العباسى ، فكان اختفاؤه هذا هو الغيبة الصغرى ، ولذلك قام أربعة رجال ، الواحد بعد الآخر ، وادعوا النيابة عن الإمام الغائب ، وعرفوا باسم النواب الأربعة ، ومات رابع النواب سنة ٢٦٠ هـ ، وقفل بموته باب النيابة ، وأشيع أن غيبة الإمام الكبرى تبتدى من هذا التاريخ .

تلك كانت معتقدات الشيعة ، أما أهل السنة فقد شغلهم السياسة ، وكادوا أن ينسوا قضية المهدي ، والاعتقاد السائد أنه فى آخر دورات الإسلام ، وهو العصر الذى يضعف التمسك فيه بأساس الديانة الإسلامية ، وترفع الأحكام ويطل عملها ، فى هذا الميقات يبعث الله شخصاً من السلالة الطاهرة يلقب بالمهدي ، ومن بعده يظهر المسيح ، وهناك جماعة تعتقد بنزول المسيح دون المهدي .

وقد رسمت غيبة الإمام محمد بن الحسن العسكرى فى عقول أهل إيران رسوخاً عجيباً حتى كانوا يكفرون من ينكرها ، وزادوا فى قصته ، فقالوا بمدينة مجهول مكانها اسمها « جابلقا » وبها أبناء الإمام الثلاثة : هاشم ، وقاسم ، وطاهر ، مشغولين برعاية المسلمين وقيادتهم .

وقد تشعبت هذه المعتقدات ، فرأت السلطات حسماً للأمر أن تكلف العلماء

(١) وهم كما سبق يباهم فى الأئمة السبعة حتى جعفر الصادق ومن بعده ابنه موسى ، فابنه الرضى على ، ثم محمد الجواد بن على ، ثم على بن محمد ، ثم الحسن العسكرى ، ثم محمد بن الحسن أو القائم .

بوضع هذه العقائد على أسس ثابتة ، فقام العلامة المجلسي بذلك ، ودون اعتقادات الشيعة على اختلافها وتباينها ^(١) .

* * *

كانت إيران ، منذ نحو قرنين من الزمان ، تعاني من حالة اجتماعية وسياسية شاذة ، فلم يكن الأمن مستتباً ، وإنما كانت الحياة كبحيرة تجمدت مياهها ، وانقسم المجتمع إلى طبقات اجتماعية ، وإلى أحزاب سياسية ، وتفرقت الأجناس والأديان ، وعدم الوحدة والتجانس ، وسادت فارس حياة اجتماعية مظلمة ، وتحول الدين الإسلامي بها إلى مجموعة من الخرافات ، وسيطر على العقول بعض رجال الدين الجاهل . ورأى الناس أن الظلم يكتنفهم ، والجور يحيط بهم ، وكانوا يعملون بأمر المهدي المنتظر ، الذي يأتي فيملاً الدنيا عدلاً وقسطاً ، بعد أن ملئت جوراً وظلماً . وكان الجور والظلم موجودين ، على أشد ما يكون الجور أو يكون الظلم ، فلم يكن غريباً أن تسرى إليهم الأخبار والشائعات بأن المهدي لابد أن في عصرهم لينتقم من هذه الحال التي يقاسونها .

كان يعيش في القرن الثالث عشر الهجري شيخ من علماء الشيعة ، ولد عام ١١٥٧ هـ - ١٧٤٣ م ، من أصل عربي ، تلقى علومه في العراق ، ثم اشتغل بالتعليم فاشتهر والنف حوله المريدون . وإن كان الرأي قد انقسم فيه ، ففريق يراه تقياً مؤمناً ، وفريق ناجزه وكفره . وسافر الشيخ إلى إيران وأقام بمدينة يزد ثم خراسان فطهران .

ذلك هو الشيخ أحمد الأحسائي ، مؤسس الفرقة الشيعية ، وهي الفرقة التي مهدت الطريق وأعدت العقول لظهور الباب ، لم تفعل ذلك مباشرة ، وإنما أتت عن طريق غير مباشر ، إذ أن الروايات عن المهدي المنتظر كانت تملأ العقول وتسيطر على الأفكار .

(١) راجع كتاب الملل والنحل ، تخرج الأستاذ بهران من ٣٧٧ - ٤٤٨ - طبعة الأزهر ، وكتاب المهدي والمهدوية للأستاذ أحمد أمين بك ، وهو كتاب يعطى فكرة سريعة عن هذا الأمر ، وكتاب روح الاسلام لسيد أمير علي فيما يختص بالمقارنة بين اعتقادات أهل السنة والشيعة .

وكان الشيخ حر التفكير ، فلم يعبأ بالتقاليد التي كان يسير عليها الشيعة في أيامه ،
 مخالفهم في استقبال ضريح الحسين بكر بلاء حين الصلاة - كما هي عادة الشيعة - ،
 كما خالفهم في بعض المسائل العقيدية ، فقال إن المعراج كان روحانيا لا جسمانيا ،
 وقال عن البعث : إن الجسم الإنساني ترابي مؤلف من العناصر الأرضية
 وأنه يتلاشى بعد الموت بالكلية لا بحالة ، ولا يمكن أن تكون له رجعة [بعث]
 أبدا ، وانتهى إلى أن القابل للبقاء والحرى بالدوام والابدية والحشر والنشر ،
 إنما هو هذا الروح الإلهي الذي يعبر عنه بـ « هور قلبا » ، والذي هو من عالم
 المثل وجوهر الجواهر .

وكانت للشيخ آراء خاصة في المهدي المنتظر ، وإن اضطر إلى مجازاة العامة
 في القول بأن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري ، وأنه حتى لم يمت ، إلا أنه
 أردف ذلك بعبارات تدل على عقيدته الخاصة ، فقال : « إن الإمام - روحى له
 الفداء - لما خاف من أعدائه ، خرج من هذا العالم ودخل جنة هور قلبا ، وسيعود
 إلى هذا العالم بصورة شخص من أشخاصه » ، وسئل لماذا سمي المهدي بـ « القائم
 المنتظر » ؟ فأجاب : « لأنه يعود بعد الموت » ، وسئل ما معنى قيام القائم من القبر ،
 وما حقيقة ذلك ؟ فأجاب : « يقوم من قبره أى من بطن أمه » ، وقال : « إن جابلقا
 التي هي مدينة القائم ومكانه ، موجودة في السماء ، لا على الأرض » .

وهذه كلها أقوال صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، تدل على أن المهدي سيظهر
 من بين الناس ، وأنه تمكن معرفته بعلامات وصفات خاصة .

وإلى المقال القادم لتبين هذه الصفات وتحدث عن ظهور الباب .

أثر الهجرة

نفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف

المدرس بمعهد القاهرة

إن هلال المحرم لذكرنا بهذا الحادث الذي قام فيه الصراع بين قوم تغلغل في نفوسهم الجهالة ، وتمكنت منهم الضلالة ، ورجل من أشرف بيوتهم نسباً ، وأكرمها محتداً ، نشأ بينهم فقيراً ، وتربى يتيماً .

فلما بلغ أشده واستوى ، قام يسفه آلهتهم ، ويحترق عثمائهم ، وقد اعتزل عبادتهم في فتوته ، وهجر ناديمهم في صبوته واتجه بنفسه إلى نوع من العبادة والتدين نذ عن فهمهم واستعصى على إدراكهم ، حينما فاجأهم بصوت الواثق مما يقول ، المطمئن إلى ما يعتقد ، يا قوم : إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضراً ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

ولكن قريشاً عز عليها ما ألقت ، وهالها أن تفقد ما هي عليه من جاه وسلطان ، فتكرت لهذه الدعوة الجديدة ، وعملت جاهدة على محاربتها ، والقضاء عليها في مهدها ، قبل أن يذيق نورها ، ويتألق في الخافقين ضوءها .

وتنفيذاً لما عقدت عليه العزم أنزلت أقصى ضروب التعذيب ، وأنكى أساليب القسوة والاضطهاد بالمستضعفين الذين رأوا في الإسلام عدلاً ومساواة ، وتقريراً لكرامة الإنسان ، ونزل إلى هذا الميدان سادتها وكبرائها ، وفي هذه الفترة امتحنت حرية الرأي بأشق وسائل الامتحان وابتليت بأعنف صنوف الابتلاء ، وقد كظم المسلمون غيظهم ، وصبروا يستعذبون الألم ، ويستسيغون مرارة العنت حرصاً على دينهم ، وانتهازاً للفرصة المواتية التي يستطيعون فيها أن يحاسبوا الظالم ويواجهوا المستكبر ، ويخاصموا الباغي .

واستمر الرسول ومن ورائه الذين آمنوا به يدعون الناس إلى دين الله ، واندفع المشركون في عتوهم وطغيانهم ، يسرفون في الإيذاء لهم ، والتكليل بهم . فقد أعماهم عن الحق الصلف والحرص على ما ورثوه عن آبائهم من رياسة وصدارة

وكان لصنيعهم أثر لم يقدروه ، فقد ازداد به الرسول وصحبه استمساكا بدينهم ، وكفاحاً لصون عقيدتهم ، مؤمنين بأن طبيعة النفوس محاربة الهداة والمصلحين ، ومطاردة الدعاة إلى المبادئ السامية والأغراض النبيلة (إن النفس لأمارة بالسوء) وموقنين بأن لهم - لا محالة - إحدى الحسنيين ، الشهادة أو النصر .

ولما لم تفد مع رسول الله وصحابته أساليب التهديد المتنوعة ، ووسائل السكيد التي لم يدعو شيئاً منها ، مالوا عن الشدة إلى اللينة ، وعن العداوة إلى المصانعة ، وبذلوا له الوعود ومنوه بالمسال والجاء ، وعرضوا عليه بيعة بالملك والطاعة ، فأجابهم في حزم وقوة ، وثبات ويقين بقوله المأثور : والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته . وكيف يرضى بما بذلوا من وعود . وهو الذي عرض عليه أن تكون له بطاح مكة ذهباً فقال : لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً .

وقد دفع هذا الموقف الكريم المشركين بعد أن باءوا بالفشل في محاولتهم إلى أن يردادوا غياً على غيهم وصلالا على ضلالهم وبالغوا في إيذاء المسلمين بكل ما هو في مقدورهم غير متورعين ولا متعفين .

ولما كان هدف الرسول أن ييسر السبل للنشر لدعوته . فقد بدأ يفكر في الهجرة من مكة حفاظاً عليها . وتمكينا لها . بعد أن ضاق ذرعاً بإيذاء أهله . ومحاربة عشيرته . واستيقن أن تربة مكة وعليها هذا الكفاح المستمر . والنضال القوي لا تصلح موطناً للذي ينادى به في أنديتها ومجالس ساداتها وأشرافها . من حب وإخاء . ومودة وسلام . وحرية ومساواة . وقد أوحى إليه أن الصبر على الأذى . والإقامة على الضيم . ظلم للنفس وهضم لحقوقها . وقضاء على حريتها . وتمكين للباس منها . ومن يرتضى لنفسه هذا الظلم ليستحق اللوم والتأنيب (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها . فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) وأخيراً . بهذه الدوافع وبعد أن مضى من عمر الدعوة ثلاثة عشر عاماً . ينافح ويكافح . قد أسر بدعوته حيناً وجهر بها أحياناً بأدلا أقصى ما يستطيع من جهد ووقت . حريصاً أشد الحرص على أن يستجيبوا لما يدعوهم إليه . وقابل أذاهم

في هذه الحقبة من الزمن . بصدر رحب ونفس مطمئنة . علمهم يؤبون إلى رشدهم
ويذعنون لصوت العقل . ونداء الضمير ، ولكنهم بالغوا في خصومتهم . وافتنوا
في عداوتهم . ولم يؤمن به إلا أقلية تنزهت عن الغرض ونأت عن العَرَض
قَرَرُوا رأى الرسول الكريم على الهجرة من البلد الذي نبت فيه . ودرج فوق أديمه .
وأشرب قلبه حبه . يذكر معه أهله وجيرته . إلى البلد الطيب الذي أقبل أهله عليه
يعاهدونه على الوفاء لدينه . وبذل النصرة لتعاليمه . ضاربا بذلك المثل الرفيع في
النضحية والإيثار . والمثابرة والاحتمال . مع بعد الشقة . ووعورة الطريق .
وقسوة الصحراء . وكان المشركون يترصدون خطى الرسول وينسمعون لأخباره
وقد وصل إليهم نبأ الليلة التي قدرها لرحيله : وقد آوت فيها قريش إلى مضاجعها
وسكنت في مخادعها لإلا فنية قد ملأ الشر قلوبهم . وأكل الغيظ أكبادهم . فسهدت
أجفانهم . وقد كانوا من شباب قريش الأشداء ينتمى كل فرد منهم إلى بطن من
بطونها . حتى يتفرق دمه في التباثل . فلا تقدر بنو عبد مناف على التآمر له .
وتربصوا به أن يخرج ليقتلوه . فتهدا نائرتهم . وتستريح مكة من جلجلة هذا
الصوت القوي . ولكن قضاء الله رد كيدهم إلى نحورهم . إذ خرج الرسول من
مضجعه وهم قيام ينظرون . بعد أن ترك علياً يتدثر ببرده . يتحدثى الموت المائل
والهلاك الراصد .

ولما بينوا فشلهم ردوا سيوفهم إلى أغمادها . وصدورهم تغلى حقدا . وتضطرم
غیظاً وانقلب أعوان الباطل إلى أهلهم حيارى (فأغشيناهم فهم لا يبصرون)
ثم عقدوا العزم على ملاحقة الرسول وصاحبه . وساروا يقتفون أثره إلى أن
وصلوا إلى غار ثور . وداروا حوله . ثم عادوا مهمومين آسفين . تلاحقهم الخيبة
وبصاحبهم الفشل . مع أن أحدهم لو نظر تحت قدمه لرآهما . ولكنها رعاية الله لها
وعنايته بهما . إلا تصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما
في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود
لم تروها . وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . .

وبعد ثلاث ليال رحل إلى المدينة وفي جوها الندى العطر . ففجرت يتابع
الهداية . وشع نور التوحيد وتفتحت قلوب أهلها إلى الدين الجديد الذي آخى

بينهم على اختلاف قبائلهم وتفاوت مراتبهم وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية - فأصبحوا بنعمة الله إخواناً . (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم . ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم) وتسابق أهلها إلى رسول الله يعلنون إسلامهم في صراحة لا تعرف الالتواء . وشجاعة عرفوها منذ القدم حببت إليهم أن يحملوا نفوسهم على أكفهم في سبيل نصرته ، والدفاع عن دينه ، ويخرجوا عن أموالهم وديارهم في ساحة ورضى لإخوانهم المهاجرين . وبعد حقبة من الزمن عاد الرسول وأصحابه إلى مكة فاتحين ، ثم توالى بعد ذلك فتوح القرى والأمصار . وكانت الهجرة مفتاح النصر للمسلمين لأنها نوع من الجهاد الحق الذي يتسم بالقوة والإقدام ، ويجاني الضعف والتردد ، والذلة والاستكانة ، وفيها مغالبة لأهواء النفوس ، وحث على صون الحياة من الخنوع والهوان ، وهي مثل خالد يدفع الزعيم الذي يغني التوفيق ، والقائد الذي يأمل الظفر ، أن يتزعم المجالدين المكافحين ويتقدم الصفوف ، ويبرز إلى مواطن التضحية ، ويقاسم أتباعه ما يناههم من سراء وضراء ، وما يلقونه في مجتمعهم من عسر ورغاء ، ما دام مؤمناً بحقه ، مخلصاً في عمله ، يهدف من نجاح دعوته إلى إقرار المبادئ الإنسانية التي تحارب الفروق بين الطبقات وتشعر الجميع بالعدالة والحرية والمساواة .

وقد رسم الزعيم الأول صلوات الله عليه وسلامه ، الطريق المستقيم ، والنهج الواضح للسياسة الشعبية الحكيمة ، حينما قد الفرد لعمله لا لحسبه ، ووسد الأمور إلى مستحقها ممن يتسمون بالكفاية والنزاهة ، والعفة والطهارة ، إذ يقول لأهله لا يأتوني الناس بأعمالهم . وتأتوني بأحسابكم .

وما أحوج زعماء المسلمين أن يأتسوا بزعيمهم الملهم ، فيصدفوا عن المآرب والأغراض ، ويتجردوا عن الآثرة وحب الذات ، ويتعرفوا آلام أهم وأمالهم ليفسحوا لها مكاناً في ركب الحياة الكريمة ، وقد أورثهم هو ومن اتبع سننه دولة قوية الأساس ، متماسكة البناء . قادت الأمم ، وأرست بين الشعوب قواعد العدل والإنصاف ، ونشرت بينها ألوية التعاون والإخاء .

وفق الله التماذة والزعماء إلى الطريق السوي ، وبصرهم بما في الهجرة من قدوة حسنة ، ونهج قويم .

أمن المجتمع واستقراره

في نظر الاسلام

لحاضرة الأستاذ الدكتور محمود فباض

المدرس بكلية أصول الدين

يعنى الإسلام عناية كبرى بتوفير أسباب الأمن والاستقرار في المجتمع ،
إذ أن رقي الشعوب وتقدمها العمراني ، وازدهار الحضارات والثقافات ، ورغد
العيش ، وسلامة الفرد والجماعة ، وتحقيق العزة والكرامة لها ، إنما يتوقف
على سيادة الأمن ووجود الاستقرار في المجتمع ، فبدهى أن مجتمعا تحتله الفوضى ،
ويسوده العدوان ، وتسيطر عليه المخاوف ، يصبح كقطع الليل المظلم ، لا يدرى
المرء فيه هل يصبح إذا أمسى ، أو يمسي إذا أصبح ، ولا يدرى عابر السبيل أيعود
إلى مأمنه أو لا يعود ، ولا يجد فيه البائس المحروم من يأسو جراحه أو يسد رمقه
أو يأخذ بيده من جحيم الحاجة ، ويعدم المتجربون فيه من يكبح جماحهم ،
أو يحمد من استعابدهم للمستضعفين ، مجتمع كهذا يعيش الناس فيه تحت
ضغط الخوف والفرع ، والجور والبطش واستبداد المصلطين .
مجتمع كهذا المجتمع لا يمكن أن يرتقي شعبه ، ولا يمكن أن ينعم بالسلام والرخاء ،
ومحال أن يتقدم فيه عمران أو تزهو حضارة . وكذلك إذا وجدت مجتمعا
قلما غير مستقر الأحوال ، تداوله الثورات . وتنخطفه المطامع من داخله
أو خارجه ، فلن تجد فيه مجالاً للفكر والتحضر ، مادامت الذاتية ، تفرقه
في لجج من المظالم .

أتذكر ياسيدي أنني قلت لك من قبل ^(١) : إن الإسلام كما مزج بين الأمور

(١) راجع كتابنا في مجلة في السنة الماضية .

الروحية والأمور المادية ، مزج بين الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، وجعل من هذا المزيج نظاما عاما ، يلتزمه المسلم على أنه دين واجب الاتباع ، ليس له أن يتحلل منه ، أو يحتال على الخلوص منه ، إلا بانسلاخه عن الإسلام ؛ فهذا النظام العام ، اسمه النظام الإسلامى ، وحرام عليك أن تنزل به عن مكانته العلية ، فى زحمة الأهواء البشرية فتصفه بشيء من مستحذات البشر التى لا تستقر ، ولا تسلم من العيوب . ولا تنجو من النقد . كأن تصفه مثلا بالديموقراطية أو الاشتراكية أو غيرها . فقد بينت لك فيما مضى أن سياسة الإسلام خاصة به ، وأن نظامه إسلامى خصب ، واليوم أقول لك إن اقتصاد الإسلام ، ليس رأسماليا ولا اشتراكيا وإنما هو اقتصاد إسلامى خصب ، وإليك حديثي :

الإسلام أول نظام عالمى سليم ربط السياسة والاجتماع بالاقتصاد ، وجعل من ذلك دواء لشفاء الإنسانية من أسقامها ، وسبيلا إلى تحقيق العدالة والاستقرار وتوفير أسباب الأمن والرخاء فى المجتمع الذى يعمل بأحكامه ، ويلتزم تطبيقها على كل أموره بدقة وعناية ، جادا غير هازل ، مؤمنا بسموه لا مواربا ولا مراثبا ، ولن تكون أحوال المسلمين — التى بلغت اليوم غاية السوء — حجة على عدم سلامة هذا النظام ، أو دليلا على قصور مبادئه ، فالمبادئ شيء ، وتطبيقها والعمل بها شيء آخر ، ومن المقرر عند أهل العلم ، أن كل مبدأ دينا كان أو اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا ، إذا ثبتت صلاحيته بوسائل الاقتناع المعروفة ؛ فإنه يظل صالحا نظريا ولو لم يعمل به ، فإذا طبق عمليا ونجح تطبيقه ، ولو مرة واحدة ، فإنه يصبح صالحا نظريا وعمليا . فإذا أساء ، المؤمنون به ، تطبيقه ، وحكموا فيه أهواءهم ، فلا توجه طعونك إلى هذه المبادئ الصالحة ، بل وجه سهامك إلى المؤمنين به ، وابحث عن جدية إيمانهم ، وعن مدى هذا الإيمان ، ومبلغ ما يأمرهم به من حسن وجمال ، وهذا هو شأن النظام الإسلامى العام .

فقد ثبت صلاحيته نظريا وعمليا ، وطبق بنجاح عجيب قرونا طويلة ، خفق الأمن والرخاء ، والسلام والعزة للمؤمنين به ، ودل هذا التطبيق الناجح على أنه

نظام مثالي لازم لسعادة البشرية في مختلف عصورها ، ولكن المسلمين أصابتهم لومة المدينيات الخادعة ، ففسدوا الله ، ونظام الله ، فأنساهم أنفسهم ، ووكلمهم إلى أنفسهم ، فتحكمت فيهم . والنفس أمارة بالسوء .. فأساءوا التطبيق أولاً ، ثم أنسلخوا من نظامهم فتأنفتهم أطماع أعدائهم من كل مكان ، وأحيط بهم ، فأصبحوا يظلون أكفهم على ما فرطوا في جنب الله . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . .

أقام الإسلام تنظيماته الاقتصادية ، على أسس فطرية واجتماعية ، كان إغفالها في غيره من النظم سبباً للثورات والحروب الطبقية ، وأهم عوامل تقلقل المجتمعات البشرية ، واضطرابها في محيط النظم المتغيرة في مختلف العصور ، فأنت تعلم أن في الإنسان غرائز ركبها الله في طبيعته ، وفطره عليها ، وأن هذه الغرائز تتحكم في الإنسان وتوجهه إلى ما يلائمها ، وبما أن خالق الإنسان واحد ، وطبيعة الإنسان واحدة ، كانت الغرائز في الأفراد متشابهة تسعى إلى هدف واحد ، وكان لابد من التصادم بينها إذا تركت دون ضبط أو توجيه ، ومن أجل ضبط هذه الغرائز البشرية ، ومن أجل إحسان توجيهها إلى الخير والجمال ، كان التشريع الإلهي الذي بلغ ذروة كماله ، عندما بلغ الإنسان رشده ، وذروة نضجه العقلي . بالرسالة الكبرى على يد خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ، فكان الإسلام آخر دواء نافع للإنسانية ، وآخر منظم للغرائز البشرية وما كان للإسلام أن يغفل في تنظيماته لشئون الإنسان : غرائز الإنسان ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، بل إنه واجه هذه الغرائز بالترقية والتهديب ، ودفعها إلى الخير العام ، وكان من فضل الله ، أن تستجيب غرائز الإنسان ، لغريزة الإيمان بالخالق ، والخضوع المطلق للكاثر الأعظم الذي يوجه الحياة ، ولهذا كله تجدد الإسلام بمرور ما يلي :

١ — حق التملك : يقر الإسلام الملكية الفردية ؛ لأن التملك أمر غريزي في الإنسان ، وكل أفراد الإنسان سواء في نسبتهم إلى الخالق ، وفي أحقيتهم في التمتع بكل ما أباحه لهم ، ولأن التملك في الوقت الذي يرضى فيه غريزة الفرد ، يبعثه على النشاط ويحفزه إلى العمل ، ويدفعه إلى العدل مع غيره ، مخافة أن يظلم

إذا ظلم ، أو يعتدى عليه إذا اعتدى على أحد (والخوف غريزة أيضاً) ، لهذا كان لكل فرد حق التملك ، والعمل ، والكسب ، وهو حر — غاية الحرية — في تملكه ، لا تقييد ملكيته بقدر خاص ، ولا يجبر على كيفيته ، وهذا سبيل إلى العمران ، والنشاط الحيوي ، ووسيلة لسعادة الإنسان ؛ ولكن الإسلام وإن ترك للفرد حرية التملك ، فإنه يحتم عليه ، أن يكون تملكه ، وكسبه ، من طرق عادلة شريفة ، لا يداخلها الظلم والعدوان ، باستغلال حاجة المحتاجين ، أو اغتصاب أموال الضعفاء ، ولهذا حرم الإسلام كل وسيلة للتملك والكسب الممقوت . يشوبها ظلم ، أو اعتداء ، أو تبعث على الشر ، أو تثير الشحنة والبغضاء ، أو تحط من كرامة الإنسان أو تهدر حرمة ، فخر الربا ، والميسر وكل أنواع المقامرة وحرمة التعامل (بيعاً وشراء) بالخمر والخنزير وأهدر أهليتهما للتقوم ، وحرمة أكل أموال الناس بالباطل اعتماداً على شهادة الزور ، وحرمة الكسب عن طريق الفروج كما حرم الزنا ، وحرمة الرشوة ، وحرمة بيع مالا يملكه الإنسان الخ ما هو مقرر معروف في كتب الفروع والأصول ، ثم انثنى يحرض الإنسان على العمل الشريف ، والكسب الحلال ، وابتغاء الرزق ، فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ... ودعاه إلى مراقبة الله في عمله ، وإحسان ما يوكل إليه إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه ، وذكره أن مرده إلى الله . وأنه مسئول أمام ربه عن حرمة ، وعمله ، وكسبه . إليه النشور ، وهكذا ترك الإسلام للفرد حرية التملك والعمل والكسب الحلال غير باغ ، ولا عاد ، ولا متأنم .

ترى هل يتفق الناس على السلام ؟ وهل يعدلون في توزيع خيرات الله فيما بينهم ؟ إن الأفراد يتفاوتون قوة وضعفاً ، كما تختلف قدرهم على الكسب ، ولهذا لا بد من وجود الغنى والفقر ، والغنى والفقير ؛ ولكن هذا المأزج والضعيف ، ومن لا قدرة له على العمل والكسب . لا يد له فيما يعاينه من ضعف أو عجز ، لأنه لم يصبغ نفسه هكذا ! وهؤلاء العجزة والضعفاء الذين لا يقدرّون على العمل والكسب لهم حق الحياة ، ومن حتمهم أن تكفل لهم معيشة كريمة تحفظ كرامتهم ، وعزتهم ، كغيرهم من بني الإنسان القادرين ! فهل تدرك هؤلاء حكمة المشرع

سبحانه ، حتى لا يضل الضعيف أو يشقى ؟ أم يترك للقادرين حبل التملك والاحتكار ، والغنى والتضخم ، ويترك للضعفاء حبل الحرمان والعوز والفقر المرير ؟ إن حرية التملك إذن خلقت مشكلة الغنى والفقر ، وهي مشكلة الإنسانية الكبرى ، التي تقض أمن المجتمعات وكثيراً ما تبعث الفوضى والثورات ، ولا زالت هي مشكلة الإنسانية الكبرى ، ولا حل لها عند الناس ، وقد حلها الإسلام منذ ١٣٧٠ عاماً ، إذ آخى بين الغنى والفقير ، وسلك الغنى والفقير في سلك واحد ، حللها على المحبة والتعاون . . فكانوا بنعمة الله إخواناً .

واجه الإسلام مشكلة الغنى والفقر بنظام اقتصادي بارع ، يرتبط بتنظيمه السياسي والاجتماعي ، ويشرف على توجيهه روح الدين في كل مكلف من المسلمين ، وبه يحفظ التوازن تماماً بين الضعف والقوة ، والعدل والظلم ، والغنى والفقر ، ويضمن أمن المجتمع واستقراره ، وإنى موجز لك الحديث في فقرات قصيرة .

٢ - السيادة والحاكمية : قرر الإسلام أن السيادة العليا على كل شعب لحالقه وحاكمه الحقيقي ، ومالكه الأصلي ، سبحانه وتعالى ، وأكد أن وصف الحاكم خاص بالله وحده ، لا يشاركه فيه فرد ، ولا أسرة ، ولا طبقة « إن الحكم إلا لله » ، له الحكم الولاية لله الحق ، وأوامر الله ، المالك الحاكم ، يجب على عباده تنفيذها من غير تردد ، أو تشكك في مدى صلاحيتها ، ويقوم المؤمن بالتنفيذ ، تديناً ، بلا قيد ولا شرط ، ابتغاء مرضاة الله ، والوصول إلى مرتبة عليا من الكمال والجمال . . . ذلك أمر الله أنزله إليكم . . إنما يستجيب الذين يسمعون . والموتى يعثهم الله » ، فأما الذين آمنوا فزادهم إيماناً .

٣ - الانسجام بين الفردية والجماعية : لم بلغ الإسلام شخصية الفرد ، أو يهدر حرمة ، لصالح الجماعة (الدولة) مثلاً ألغيت شخصيته ، وأهدرت حرمة في الاشتراكية والشيوعية والنازية والفاشية ! وكذلك لم يهدر الإسلام « شخصية الجماعة لصالح الفرد ، كما تفعل الديمقراطية الرأسمالية الغربية . لم يفعل الإسلام هذا ، أو ذاك ، فلم يسلط الجماعة على الفرد تسخره وتستغله وتستعبده ، ولو كان ذلك على حساب صحته ومعيشته وكرامته ، وتحطيم معنويته . ولم تسلط الفرد

على الجماعة (الدولة) يسخرها لزواته ، ويستغلها لصالح شهواته ، ولو فئيت الجماعة ! بل جاء الإسلام بنظامه وسطاً بين الرذيلتين ، فأنشأ تضامناً بين الفرد والجماعة في سبيل تحقيق الخير العام للجميع ؛ فأعطى الفرد حرمانه الفطرية ، وجعل له حق التمتع بها بشرط ألا يعطل حريات غيره ، أو يعتدى عليها ، وضمن له كل ما من شأنه حفظ كرامة الإنسانية ، وكلف كل فرد بالحفاظ على حياته وحياة غيره ، وعرضه وعرض غيره ، وماله ومال غيره ، وألزمه بالعمل لصالحه وصالح غيره من الأفراد ، وصالح المجموعة ، وجعله مسئولاً عن ذلك كله أمام الحاكم الحقيقي جل شأنه ، والامة التي تتألف من أمثال هذا الفرد الكامل ، هي أمة مكلفة مسئولة أمام حاكمها سبحانه ، عن صالح الأفراد ، والصالح المشترك للفرد والجماعة ، فهي مكلفة بحفظ حياة الفرد وعرضه وماله وحرياته ، وتمسكه من العمل الشريف ، ومساعدته على تنمية مواهبه ، وترقية أحواله ، وهكذا حرر الإسلام الفرد من كل قيود الاستعباد والاستغلال ، ومكنه من حرياته ، وألزمه مصلحة الجماعة ، كما حرر الجماعة من تسلط الفرد واستبداده ، وألزمها مصلحة الفرد ، وبهذا يلتقي الفرد والجماعة ، وتمتزج مصالحهما ، ويتوجه نشاطهما للخير الجريح ، ويتضامن المؤمنون بهذا النظام ، ويتعاونون على البر والتقوى . لحخير الجميع ، ويتواصون بالحق والصبر ، وتلتقي مسئولية الفرد بمسئولية الجماعة عن صالحهما في نطاق التكليف الإلهي ، وهكذا تفسجيم الفردية ، مع الجماعة ، ويتوجه نشاطهما للعمل على الوصول إلى غاية واحدة ، وهدف مشترك . هو صالح المؤمنين الفردي والجماعي ، ويتوافق الفردية والجماعية ، وامتزاجهما ، سلم النظام الإسلامي من تسلط روح الفردية ، التي تتحكم في الديمقراطية الرأسمالية ، وتسخر الدولة لصالحها ، كما سلم من د هوس روح الجماعة ، التي تتحكم في النظم الشيوعية والاشتراكية ؛ والنازية والفاشية . حيث يلغى اعتبار الفرد وتهدر حرمة وحرياته ومصالحه . في سبيل ما يسمى مصلحة الجماعة (الدولة) ؛ ولعلك بعد هذا تدرك مبلغ الجناية على الإسلام ونظامه ، ممن يصفونه بالديموقراطية أو الاشتراكية .

« يتبع »

الاسلام والاشتراكية^(١)

لحضرة الأستاذ سعيد زهير

ليس نظام الحكومة السائد في إنجلترا - من وجهة النظر الديمقراطية - كاملاً بأي حال من الأحوال ، ومع ذلك فقد كان الإنجليز أسبق الناس إلى التفتيش إلى عدم دستورية نظام لجنة الاتحاد والترقي في تركيا ، وإن الآسيويين الذين يصرون بأعينهم استغلال الأغنياء للفقراء في أوروبا ، والسياسة الاتوقراطية التي تتخذها الحكومات لإزاء العمال والاشتراكيين من أهل النار والنفقات الباهظة التي تجي من أموال الشعب للإنفاق على مناطق زبلن والمدمرات وغيرها والبطالة وجوانح الفقر واللام ، لا يسعهم إلا أن يضحكوا من عجرفة أوروبا إذ تحاول أن تعلن عن نجاحها تحت ستار النظام الدستوري للحكومة .

وفي وسع كل امرئ أن يدرك أنه إذا كان الآسيويون والمسلمون قد فشلوا في تنفيذ مناهجهم الدستوري فإنما يرجع ذلك إلى الصعوبات التي وضعتها أوروبا في طريقهم .

فلم تسكد إيران نهض بنفسها وتعمى مآليتها حتى تلتفت ضربة من دولة أوربية معتدية ، وكذلك الشأن مع تركيا إذ حينما أرادت أن تقيم سلطة دستورية استهدفت لهجوم من جيرانها الأوروبيين ، واضطرت إلى أن تفقد أجزاء من ممتلكاتها وإلى أن تجتاز فترة تعرضت فيها الحياة لنضال عنيف مع إحدى الدول الأوروبية التي شاركتها في إثمها معظم الدول الأوروبية التي لا تدع في الوقت الحاضر لسلك من تركيا أو إيران فرصة تنفص فيها لكي يتسنى لها تنفيذ برنامجها في الإصلاح ، ولم يؤذن لسلك من تركيا وإيران بالإنفاق لحسين حال الشعب واستغلال موارد البلاد .

ولهذا فقد اضطرت الدولتان إلى أن تنفقا الجزء الأكبر من دخلها على الجيش دفاعا عن النفس ، ومع ذلك فإنها تتهان بأنهما عاجزتان عن إدارة شئون الحكم على أسس دستورية ، فعلى إيران أن تتخلص من رجل مالى شجاع أمين ، وعلى تركيا أن تحل تلك اللجنة التى تنفح حجر عثرة فى سبيل الخطط العدوانية التى تحكمها أوربا ، إذ تعتبر دكتاتوريه لجنة كبرى تتألف من شعب مختلف الأجناس والألوان والعقائد - فى نظر الأوربيين - أقل نصيب فى الديمقراطية من وزارة أوتوقراطية صغيرة فى بلد يحكمها ملك واحد من ملوك أوربا .

ولن يساور الإسلام خوف من المسيحية أو أى عثميدة أخرى طالما روعيت المبادئ الأخلاقية والاجتماعية للحياة ، فقد تغلب الإسلام على المسيحية عندما كانت فى أوج سلطانها . أما الشيء الذى يخشاه الإسلام والمسلمون فهو المادية ، فعلى المسلمين أن يكونوا على استعداد لمواجهة وحدها ، لا بالتخلي عن فضائلهم ، بل بتزويد أنفسهم بتلك الأسلحة التى اخترعتها المادية لحماية فضائلها من اعتداءات من هم أقل منها فضيلة .

وهناك مثل شرقى جدير بالذكر يتمثل ما معناه « الماس يقطع الماس » . *Diamond cuts diamond* . ولعل هذا هو المثل العربى النازل ، لا يفل الحديد إلا الحديد . ويجب أن تكون الخطوة الأولى التى يخطوها المسلمون متجهة نحو « تأميم » *Nationalisation* الامبراطورية التركية عامة والأماكن المقدسة بصفة خاصة . وينبغى أن تبدأ اشتراكيتهم فى الداخل مثل الايمان المسيحى ، كما ينبغى لإيقاظ روح الأخوة وروح المساواة القديمة بين المسلمين . وعلينا أن نكافح خلال نهضتنا الأخيرة الخرافات الدينية بعد أن توحدنا فى مناضلة المادية عدونا المشترك . ولقد تمسكنا يوما ما بمبادئ الاشتراكية السديدة والانحدار الاخوى ، حتى صرنا أمة منظمة على جانب عظيم من التقدم . فإذا ما فعلنا ذلك فى هذه الآونة فلنستيقن من أننا سنمضى قدما رغم ما يحفنا من مخاطر . ومن سر تقدمنا فى الماضى خضوع الفردية للجماعية فلو أننا تغلبنا على النفس والانانية مرة أخرى ووضعنا نصب أعيننا قضية مشتركة إذن لكسبنا معركة الحياة - رغم فقرنا فى السلاح - كما كسبنا حينذاك .

فقوتنا مركزة في روحانيتنا التي لا تبلى ولا تقهر ، وفي شيوعيتنا التي لا تنهدم ولا يعترها الانحلال ، وإذن فيجب أن تكون الاشتراكية الشيوعية أول خطواتنا نحو الاشتراكية العالمية . وستكون الأمانت الهندوكية والبوذية وكلتاها منعمة بالروحية الثورية النوية من خيرة أحلافنا وشركاتنا في القضية المقدسة ، قضية الاشتراكية المطردة ، وما يجدر ذكره أنه لا يسع المسلمين الهنود قتال الهندوكيين فصالحهم وصالح بلادهم رهن بحسن النية والتفاهم المتبادل بين الفريقين .

لأنى أعجب من أن الساسة الانجليز قد نهجوا سياسة قصيرة النظر جدا ، ورغم ذلك فلا زلت أعتقد أن غريزة الدفاع عن النفس التي حملت انجلترا على أن تسعى لعمد حلف من اليابان ستحمل الشعب البريطانى أيضاً على أن يبذل جهداً جباراً ليخفف من حدة العواطف النائرة عند ملايين المسلمين وستحملهم مرة أخرى على مصادقة الدول الإسلامية لإبتغاء توطيد أركان إمبراطوريتهم الممتدة الأطراف . أما السياسة الحاضرة التي تنهجها انجلترا فإنها تتجافى إلى حد كبير عن عواطف المسلمين ولذا فهي ضارة بصالح الامبراطورية البريطانية .

ولقد يلوح أن مصير المسلمين والشعب الانجليزى واحد ، ولذا فإن من فائدتهم المتبادلة أن يعنى كلاهما بعواطف الآخر لا أن يضرب بها عرض الحائط ، وإذن فيجب أن تعنى بريطانيا العظمى في سياستها الخارجية عناية تامة بعواطف المسلمين .
« يتبع »

من توجيهات الاسلام

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص قائده الذى وجه لفتح فارس :
« أما بعد — فأنى آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال ، فأنى تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المسكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصى منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن عنايتهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ، ولا عدتنا كعدتهم فإن استوينا فى المعصية .
كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وإلا تنصر عليهم بفضلنا ، لم تغلبهم قوتنا ،

الأزهريون

أساتذة شعراء العصر (١)

لمحاضرة الأستاذ الشيخ محمد طاهر الفقي

المدرس بكلية اللغة العربية

كان جل شعراء العصر ، الحاملين لواء الشعر ، المعبرين به عن معاني الحياة حسبما تواتى لهم من القرائح ، وتهيأ لهم من الأسباب . من الأزهر الذى رضعوا أفوايقه ، واغتذوا بثقافته العربية ، ومن الطبيعى أن يكونوا وهم بهذه المشابة قدوة الناشئين ، وأئمة المبتدئين ، يهتدون بثراتهم ، ويمضون على غرارهم ، وينزعون فى قوسهم ، ولو جهدوا فى المخالفة ، وجدوا فى المجافاة .

وليس ينكر أثر المتابعة والاقتراء فى الأفكار والأساليب ، وشعراء الأزهر إذ ذاك زعماء يوجهون ، وقادة يُتبعون ، فليس بدعاً أن يسايرهم غيرهم ، وأن يدرس أساليبهم ، ويمضى فى طريقهم صعداً .

وإذا ساغ لفريق من الشعراء المعاصرين أن يتخطوا الأجيال والعصور ، وأن يستشفروا ويمدوا أعناقهم إلى شعراء الجاهلية فيقلدوهم فى طريقهم ، وينزعوا إلى محاكاتهم ، ويديروا شعرهم على أسلوب العرب الضاربين فى الفلا والبيد ، فيتغنوا بالعيس ؛ ويتخاطبوا التزى ، ويسائلوا الدمن والأطلال ، ويتشمموا الشيخ والعرار ، على طول الزمن ، وترامى الأمد .

إذا ساغت المتابعة على انقطاع ما بين التليد والطارف ، والماضى والحاضر ، فأولى بها أن تكون بين معاصر ومعاصر ، وأولى بالتأثر أن يكون بالشاعر الذى يرى ويشاهد ، ويقول فيسمع ، ويُغشى ناديه ويُتلقى أدبه بالمشاهدة والاستماع .

وإن الأبصار لتقلب فى دواوين القدامى ، وتغوص فى آثار الراحلين على انقطاع الصلة طلباً للاقتداء ، والتماساً للحاذاة ، وأقل من ذلك عناء للشاعر أن يلي داعى المسيرة لشعر يطرق سمعه بالرواية المعاصرة تصافح أذنيه من السنة قائله ، ويتهادى إليه فى الصحف كلما سنحت فرصة أو واثت مناسبة .

ولقد كان فريق من فحول اللغة والأدب في الأزهر أساتذة للرعيل الأول من نابهي الشعراء في هذا العصر ، الرافعين علمه ، المقيضين له أسمى المسكانات وأرفع المنازل ، أخذ هؤلاء الشعراء الذين تفاخر بهم العربية ، وتباهى بهم حواضر الأدب في أزهي عصورها عن أساتذة من الأزهر فانتفعوا بعلمهم ، واسترشدوا بنقدمهم ، وتملأوا من روايتهم ، ونزعوا منزعمهم وجروا مجراهم في تفهم الشعر ، واكتناه اللغة ، والنظن لمواطن البلاغة ، تيسر لهم بهؤلاء الأساتذة ضروب من التوجيه ، وألوان من التشجيع ، بل وجدوا منهم ما خلق من ملكاتهم الحية الخصبة أسباب الخلود ، مما لولاه لظفوا مغمورين ، وعاشوا غير مجلين ، وسذبن في هذا البحث كيف استمد هؤلاء من أساتذتهم الأزهرين حياتهم ، وكيف نهلوا من فضلهم وعلوا .

« ١ » المرصفي والبارودي

لم يكن الشيخ حسين المرصفي زعيما من زعاء السياسة يلتف حوله دعايتها ، ويغص بهم ناديه فيؤمه البارودي أول نشأته متابعة لرأيه ، أو انتفاعا بجماهه ، ولم يكن المرصفي من سراة مصر وذوى النعمة فيها فتقوم بينه وبين البارودي صلة اليسار والرفاهية ، ويجمعهما الترف ولذائذ الحياة .

ولم يكن المرصفي من ذوى الصبوات الذين يهيمون في مسارح الغيد والطلا فيتأكد بذلك الود بينه وبين البارودي ، فهو الشيخ الضرير ، التقى الورع ، المتوفر على العلم والأدب ، الغائص على أسرار اللغة واكتناه خفاياها .

لم يكن الدافع للبارودي على معرفة المرصفي والاتصال به وتوثيق الصلة بينهما شيئا من ذلك ، ولكن الشيخ حسين المرصفي كان ذا شهرة بالعلم وصيت في الأدب يؤمه كتاب وشعراء ، ويقصده علماء وأدباء ، ويعرض عليه أدبهم فحول الأدب والبيان ، وكانت الزعامة قد انعقدت له في التوجيه والنقد وغزارة العلم والبيان والبارودي منذ نعومة أظفاره تمتلئ حبا للأدب ولإيثارا للشعراء ، وهوى للفصحاء وما من شك في أن هواء هو الذي احتته على المرصفي احتثانا ، واجتذبه اليه اجتذابا . يجد في درسه ونقده وتوجيهه ما ينفع غلته ، ويروى صده .

ولقد جهدت في تحديد الصلة التي كانت بين المرصني والبارودي ، وعينت بها كيف نشأت ، وعلى أى جهة كانت ، وأين كان الرجلان يلتقيان ، ولكن جوابا عن شيء من ذلك لم يتيسر لي فيما قرأت واستقرأت ، فقد يعرف كثير من الناس أن للبارودي صلة بالمرصني وأن للأول بالثاني انتفاعا ، فقد استفاد الحديث عن ذلك حتى تحدث الشاعر نفسه به ، ولكن تحديد هذه الصلة من حيث بدوها وكنها غامض .

فلعل البارودي كان ليساره ونعمته قد سعى لاستخدام الشيخ في منزله والانفراد به في مكان هادئ يتوفر فيه التليذ على الانتفاع بأستاذه ، ويهيء له أسباب النفع والتوجيه ، ويجد من أستاذه كل ما وفد إليه معلماً يعله وهادياً يهديه ، ومهذباً يصقل أدبه ، ويجلو بيانه .

ويتحدث المرحوم الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عن صلة البارودي بالمرصني فيقول : « من عجيب أمره (البارودي) ما نراه فيما كتبه عنه الشيخ حسين المرصني منذ ثلاثين سنة وهو أستاذه »^(١) .

ويقول الأستاذ عباس العقاد : إن المرصني أستاذ البارودي وحافظ وقدرتهما في الرأي والتقد وتذوق البيان »^(٢) .

ويقول كتاب المفصل : « وأخذ عن المرصني كبار المتأدين في عصره من أمثال البارودي فصاحبوه ولازموه وعرضوا عليه بيانهم فهدى وتقع وهذب » .

والمرصني حين يتحدث عن البارودي يدل على أن البارودي تلقى عنه وتعلم منه فإنه يقول : « إن البارودي لم يقرأ كتاباً في فن من فنون العربية ، غير أنه لما بلغ سن التعقل وجد من طبعه ميلاً إلى قراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع بعض من له دراية وهو يقرأ بعض الدواوين أو يقرأ بحضرته حتى تصور في برهة يسيرة هيئات التراكيب العربية ومواقع المرفوعات منها والمنصوبات والخفوضات حسبما تقتضيه المعاني والتعلقات المختلفة ، فصار يقرأ ولا يكاد يلحن ، ولم نعرف أن البارودي اتصل بغير المرصني ممن له دراية أو قرأ بحضرته دواوين الشعر .

(١) المقتطف الصادر في ٢٦ من ذي القعدة سنة ٢٢٢ هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٠٥ م .

(٢) شعراء مصر وبيانهم ص ١٢ .

ويقول المرصني « وسمعت مرة يسكن ياء المنقوص والفعل المعتل بها المنصوبين فقلت له في ذلك فقال هو كذا في قول فلان وأنشد شعراً لبعض العرب فقلت تلك ضرورة . وقال علماء العربية إنها غير شاذة ، ثم استقل بقراءة دواوين مشاهير الشعراء من العرب وغيرهم حتى حفظ الكثير منها دون كلفة واستنبت جميع معانيها ناقداً شريفها من خسيسها ، وافقاً على صوابها وخطئها ، مدركاً ما ينبغي وفق الكلام ومالا ينبغي^(١) .

فالمرصني يتحدث عنه حديث خير به ، ويدل على أن البارودي كانت له معه دراسة وانتفاع ، وأن المرصني كان يراجع ويوجه وينقده ، وما أظن أن البارودي قرأ هذه الدواوين الضخمة إلا عليه ، وأنه سمع منه نقده لها ، وتعليقه عليها ورأيه فيها .

والبارودي يقدر صلته بأستاذه ، وينفي حق الوفاء له ، يقول المرصني ، وكان حرسه الله كتب لأبناء وده كتباً وهو في حرب الروس ولم تصل إليهم وظن وصولها وتقصيرهم عن المبادرة بالإجابة ، وقد وصل إلى أحد كتائين كتبها لي يوم قدومه إلى مصر بعد مدة طويلة من كتابه ،^(٢) ومطلع هذه الأبيات .

ياناعس الطرف إلى كم تمام أسهرتني فيك ونام الأنام
ويقول فيها .

طال النوى من بعدكم وانقضت بشاشة العيش وساء المقام
مولاي قد طال مرير النوى فكل يوم مرّاً بي ألف عام
إلى أن يقول في ختامها .

فتلك حالي لارمتك النوى فكيف أتم بعدنا ياهامام ؟

(١) الوصلة الأدبية ج ٢ ص ٤٧٤ .

(٢) الوصلة الأدبية ج ٢ ص ٤٩٧ .

الدعوة المهاجرة

لفضيلة الأستاذ محمد غلبنة

المدرس بالأزهر

لم هذه الأشباح تختلس خطاها بين دروب مكة وقد كساها جناح الليل
كأن حدثا جسيما يوشك أن يقع فاخترقت الأنفاس، وتحسس كل سار موطئ
قدمه كأنما يسرق خطاه؟ ولم ادرع هؤلاء الحكاة من شجيمان قريش وقتلها
وشحدوا السيوف والخناجر وثقفوا الرماح والحراب، وراشوا السهام كأنما
يتأهبون لصد غارة ما حقة؟

ولم هجر هؤلاء السكحول في الليل البهيم دورهم، وساروا تعثر أقدامهم وترتعش
فرائصهم وتغلى بالوساوس والهواجس رؤوسهم؟

ولمن هذه الدار الأسيرة تتناول فوقها الرماح وتقوم حولها زرق الأسنة،
ويكاد يتطاير لهيب الفيظ من حولها ليلتهم من فيها؟

ومن ذلك التائم الحالم تسبح روحه بين ألوان من الرؤى فلا يتيقظ ألا على
حفيف أجنحة الرحمة تخفق حوله؟

أن وراء كل هذا مؤامرة دبرتها الوثنية الحقاء للحنيفة السمحاء، عبأ الباطل
لتنفيذها كل عات طاغية من أسلوا وجوهم إلى اللات والعزى، ووقف الحق
متحفزا لحماية من أسلم وجهه إلى الله .

مؤامرة حشد فيها الشيطان كل ما يملك من الشر والغدر ليفتك بالدعوة
وصاحب الدعوة، وليعيد أولئك الذين مسحوا عن جباههم تراب الوثنية وسجدوا
في محاريب الحق إلى السجود بين يدي مناة وهبل .

لقد دفعت معجزة القرآن رقة الشعر وسحر البيان، وعجزت مغريات الملك
والمال عن أخضاع محمد لخداعها، فليكن الحكم للسيوف يهوى بها فتاك

القبائل ، فيتفرق دمه بينها وتموت الدعوة في مكة قبل أن تتخذ لها سبيلا إلى بلد ينصرها أو قوم يعزونها ويعتزون بها .

ولمست همسات الوحي سمع محمد صلى الله عليه وسلم تؤذن بالهجرة ، فألقى برذته على أول فدائي عرفه الإسلام : علي بن أبي طالب الذي اضطلع في مخدعه ليتلقى عنه الطعن وليكون الضحية ، وإنه لحبيب إلى نفسه أن يفدى محمداً ودعوة محمد .

وتقدمت عناية الله بين يدي محمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، تهز رؤوس الطغاة فيلعب بها دوار ليس بدوار النوم ولكنها الغشية ألغافها الله على رؤوسهم فهم لا ينهضون وهم لا يصرون ، وضحك الحق من الشيطان ومما دبر الشيطان ، إنها ضحكات السخرية والاستهزاء ، فليعيء الوجود كل قواه وليجند الشر شياطينه فأن كل ذلك لا تكثر به قوة السماء .

وخرج محمد صلى الله عليه وسلم في كنف الملائكة يدلف إلى بيت أبي بكر ، ورفت على السحر همسة مطمئة تناجي أبا بكر إلى الغار . إلى الغار لتتخذ فيه إلى جوار الله ملاذا من تطفل العيون وحي من مواطن الظنون .

اتمد أقام في غار ثور ثلاثة أيام صنعت فيها المعجزات خوارق تحدث قصاص الآثار وسخرت من كل كيد ومكر ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين .

وهاجر محمد صلى الله عليه وسلم بدعوته مستهينا بما عسى أن يلقاه من قریش ومن عذت قریش ، مستعذبا بهجير البداء وحرها اللافح ، غير مكترث بذؤبانها أو عابيه بوحوشها .

اتمد هجر الوطن الحبيب الذي تفتحت عينه على سمائه وليدا ودرج فوق رماله طفلا ، الوطن الذي كان يعيش فيه بين ذكريات حبيبة إلى نفسه ، ذكريات الايمان والحب والصدق تضيفها على قلبه زوجته خديجة رضوان الله عليها . لقد هجر كل ذلك ، وكل ذلك حبيب إلى روحه ، ليتخذ مكانا للدعوة خصيا ، يزهر فيه غرسها ويطيب ثمرها .

وهكذا هاجرت الدعوة الإسلامية إلى المدينة يحملها قلب لائلين جوانبه لعواصف الشرك ، ولا تتضعض أمام حماقة الوثنية وطفليتها .

هاجرت الدعوة التي عاشت في مكة غريبة لا ينصرها أو ينتصر لها غير نفر من سادات قريش وجماعة من المستضعفين والعبيد، هؤلاء وأولئك قلة لا تذكر إلى جانب المشركين، لتتخذ لها في المدينة مكاناً بل سلطاناً .

هاجرت الدعوة الطريفة المحاربة، لتدخل مكة بعد سنوات غازية تحطم الأصنام وتطيح بالآوثان .

هاجرت الدعوة التي أحبا الفقراء وحاربها الأغنياء ونصرها المملوك وآذاها أشباه الملوك، لتعود إلى مكة فتتمحو عتو الجاهلية، وتذل كبرياء الأسياد وخيلائهم، بفضل بلال وأمثال بلال ممن هاجروا مع الدعوة مغلوبين وعادوا غالبين، تظلمهم ألوية النصر والفتح المبين .

هاجرت الدعوة لتربي هنالك جيلاً جديداً ، بل شعباً ، بل أمة تفتي ذوات أفرادها في سبيلها، لقد انتشلت النفوس من أمراض الجاهلية، لتضعها فوق شواظ المكاره ، حتى إذا ما اتقن منها خبثها وعادت صافية كفطرتها الأولى ، بنت منها الدعوة البناء الذي لا تهتز قواعده أمام بطش السلطان أو خداع الشيطان ، ولم يكد ينقض نصف قرن من الزمن على هجرة الدعوة إلى المدينة ، حتى رفرفت ألويتها فوق ربوع الهند وفارس وما وراءها والشام ومصر والمغرب ، إنها دعوة تبنى الشعوب والأمم على دعائم من الأخلاق ، إنها دعوة تجمع الغنى والفقير ، والسيد والمسود ، والحاكم والمحكوم ، في صف واحد بين يدي الله ، يعلنون جميعاً أنهم سواء في الخضوع لصاحب العزة والجبروت ، فكيف لا تؤمن بها الشعوب التي قاست حكم الفرد وطفيان الفردية واستبداد القيصرية .

أيها المسلمون :

إن مئات من المسلمين هاجرت بهم وإلهم الدعوة استطاعوا بإيمانهم وعزائمهم وتفانيهم فيها ، أن يبتوا مجدداً لاتحميه اليوم مئات الملايين من المستضعفين والمستعبدين والذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، لأن المئات التي نصرتها كانت قلباً واحداً ، ونحن اليوم مئات الملايين من القلوب المتافرة المنحلة .

أيها المسلمون

جاهدوا أنفسكم وحاربوا أهواءكم واستمدوا من كتاب الله وسنة رسول الله ،
هادياً يضيئ لكم مستقبلكم ، ألا وإن سبيل المجد كله أشواك ولن يستطيع السير
فيه منكم متخف متخم .

أيها المسلمون

هل تعود الكلمة للدعوة ، فيمتاز المسلمون وتسود شعوبهم ، وتهاجر الدعوة
من جديد لتغزو وتفتح وتقوض عروش الجبابرة ، وتؤذن في العالم الله أكبر
والمجد للأسلام ؟

أيها المسلمون

هاجروا إلى ما هاجرت إليه الدعوة ، إلى التضحية ، إلى التفاني ، إلى الكفاح
في سبيل الله ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

إخـام

وفد عقيل بن أبي طالب ، على معاوية بن أبي سفيان ، مغاضباً لأخيه
أمير المؤمنين علي ، فقال له معاوية : كيف تركت علياً ؟ قال عقيل : تركته مؤثراً
لدينه على دنياه . قال معاوية : وكيف تجدني ؟ قال عقيل : أجذك مؤثراً دنياك
على آخرتك . قال معاوية : إني أنفع لك من أخيك ، ولولا أنك وافد إلينا
لا سمعتك ما يؤملك !! قال عقيل : نعم ، أنت أنفع لي في دنياي من أخي ، وأخي
أنفع لنفسه في أخراه ، ولقد تعلم يا معاوية أن المال غادٍ ورائح ، وأن فينا التري
والرماع ، وأن الله يصرف القلوب ! فسكت معاوية ولم يجبه .

محاربة الاسلام للفقر

نفسيد الأستاذ الشيخ ابراهيم أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

الامم الآن تعمل جاهدة مجهوداً للنهوض بالمستوى الاجتماعى بكل ما تملكه من الأساليب ، معتمدة أنها لا تصاب بالضعف الخلقى ولا المادى إلا حين تنحط عن المستوى اللائق بها كدولة ، والجدير بها كشعب ، وبخاصة من يقع منها تحت نير الاستعمار ، وغائلة الاستعباد ، لأن ذلك يُقَـلِّم أظافرها ، ويجعلها دائماً فريسة الغاصب ، ومطعم المستبد ... وقد اختلفت الطرق المؤدية لذلك النهوض ، والوسائل التى يتخذونها لهذا كله . ولا تتعرض لها بعنوان كونها تصلح لأن تنفخ فى الأفراد والجماعات روح التوب واليقظة ، والتقدم والعمران ، بأكثر من عقاقير مما وصل إليها العتل البشرى القاصر ، والفكر الإنسانى السكيل ، وهى من أجل هذا عرضة للحو والإزالة ، والتغيير والتبديل ، والثورة والسخط والام والغضب ، والكراهية والازدراء .. وصدق الله العظيم . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ..

والدول التى تتأجج بينها فى هذه الآونة نيران الشر ، وتحمى لديها وطيس النفور والبغضاء ، تدعى كل واحدة منها أنها تدعو إلى السلام ، وتعمل على الوصول بالبشرية إلى النظام والاستقرار ... وقد دل التاريخ الصادق على أن الإسلام كان أول الأديان علاجاً لهذه الجرثومة الخلقية الحقيرة ، والديدن الآدمى المزدرى ، ويخطئ من يظن أن عنايته كانت تنحصر فى مديد المعونة للبائس المحتاج ليدفع عنه ألم الجوح ، ومرارة السغب ، فإن هذا أقل ما يعنى به ، ويحاول أن

يحول بين الناس وبينه ، وإذا كان قد جعل فيما جعله من تكاليف يلتزمها المسلمون ويقومون بها قياماً مفروضاً أن يكون في أموالهم . حق معلوم للسائل والمحروم ، فإنه لم يقصد لامة محمد صلى الله عليه وسلم أن تعيش عيشة التكايا والملاجيء ، والعطل والتشرد ، لانتنا نعلم أن أبغضه ما يبغض للدولة أن يكون فيها قاعدون عن السعى متخلفون عن الركب ، نائمون عن الواجب ، متغافلون عن أمور دنياهم . وفي السنة أحاديث عن بعض المتبتلين الذين أرادوا أن يتجردوا من الحياة كل التجرد تاركين لغيرهم من إخوانهم وذوي قراباتهم أمر معاشهم زاعمين أن ذلك منتهى الطاعة لرب الأرباب ، فلما تناهى خبرهم للرسول الأعظم صلوات الله وتسليماته عليه قال ومن يقوم بخدمته ويلاحظ شؤونه .. فلما قالوا له نكفيه مؤنة ذلك يارسول الله ، قال كلكم خير منه .

ثم نصح للرجل أن يكون معتدلاً في تبذله بحيث لا يدع أموره لسواه ، لأن السعى في طلب الرزق ، والدأب للقيام بحاجات أولاده لا يقل ثوابه عند الله يوم القيامة عن الصلاة والصوم ، والزكاة والحج .. وفي القرآن ما يفيد هذا المعنى ، في مثل قوله . فإذا فرغت فانصب . وقوله . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وقوله « فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

على أن من خطئ الرأي ، وأفنى العقل ، أن يقال إن الدين يعطى هؤلاء ثم يقول لهم هذا مالكم . وتلك نهايتكم ، وذلك مصيركم ، ولا كرامة لآدميتكم التي كرمها الله ، ولا عزة لنفوسكم التي جعل سبحانه وتعالى لها العزة ، ولا بأس من أن تعيشوا على ضراعة السؤال ، وذلة الحاجة .. فإن الآية الكريمة حينما قالت « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم الخ » لم تقصد إلى أن تظل هذه الأنواع مدى العمر كله منقطعة السبح للأخذ من أوساخ غيرها دون أن تهض للعمل ، وتتحضر للكسب ، وتتهبأ للغنى ، وتنشط لأن تحسن حالها ، وتزاحم بمنّا كرها في هذا المعترك الصاخب .. ونحن نعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره السائلين ، ويستعيز بالله من الفقر ، وكان كثيراً ما يقول لأصحابه رضوان الله عليهم حاساً لهم على أن يكونوا دائماً أبدأً في الطليعة

الأولى ترمقهم الأنظار، وتشرب إليهم الأعناق « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، ولو أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تدبروا معنى هذه الكلمة لكانوا سادة العالم ، وملوك المعمورة ، ولكنهم ارتضوا لأنفسهم من الشريعة القشور، وتركوا اللباب ، وعمر بن الخطاب حينما كان يقول « لا يتعدن أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، كأنما كان يعلنها حرباً شعواء على هؤلاء الكسالى الذين يرضون بفتات الموائد ، وفضلات الأطعمة ، من كل من سلبه الله ماء وجهه فهو لا يبالي ما يريته منه .

والإسلام لما أراد معالجة الفقر لم يعالجه بإصلاح حال الفقراء والحث لهم على السعى ، وتغييرهم من مذلة السؤال ، دون أن يوجه اللوم إلى الأغنياء ، والسخط على أصحاب الثروات ، الذين يرضون بمعروفهم ، أو يتقاعسون عن برهم « الذين يكدون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذون » .

وربما بالغ في هذا فافهمهم أنهم مستخلفون على هذه الأموال لا أكثر ولا أقل ، كما جاء في الحديث القدسي « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى فإن بغل وكلائى على عيالى أذقتهم وبالى ولا أبالى » .

ويجبل للتفقه في الدين الإسلامى إذ تصادفه أمال هذه النصوص التى توصى بترابط المسلمين ، وموازرة بعضهم لبعض ، أنه أول شريعة فى الدنيا جاءت بما يسمونه فى هذه الأيام « التضامن الاجتماعى » .

وفى الحق إنه لكذلك .. لأنه قام على الأخوة ، وكل تعاليمه تنتهى إلى الأخوة ، والأخوة أن يكون المسلم أخاً للمسلم فلا يقصر عن معونته ، ولا يتخلف عن نصرته ، ولا يتوانى عن أن يجعله فى موضع الرضا والارتياح مهما كلفه ذلك ، وحمله من مشقة ، وأن يكون له - كما جاء فى الحديث - كالبيان يشد بعضه بعضاً ؟

عجالات في الأدب :

سهام إبليس ...!!

لفضيلة الأستاذ الشيخ طاهر عجمي

المدروس بالأزهر

تاج القرائح منخول تحفظه أوعية الآثار الأدبية، وهو أمشاج ابتلاها
الصهر، فجاءت مسواة على خلق صادق، فيه ما يعرفه الخلق سوى فيرضاه،
وفيه ما يلبسه الورع فيتحاشاه ويتحاماه.

ولكنه على الرضى والكراه من الأدب المفتن المنضوح بالجمال والمضمن بفيض
الابداع. فلذته ونرويه.

• كما لذ على الكره كلام الله للشرك •

والرسول الكريم ينصح علياً سيف الله المسلول بقوله: «يا علي، اتق النظرة
بعد النظرة، فأنها سهم مسموم يورث الشهوة في القلب».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نظر
الرجل إلى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس».

وأبليس له سهام يرى بها وتصيب من المغلوب الكلَى والمفاصل وتودى
وتخضع الرأي والعقل والقلب.

وهو مسلط سلاطته خفية تجرى من ابن آدم بين اللحم والدم، وإن شئت
فقل إنها تخالط حتى ذرات العظم.

والناس قديماً وحديثاً تعرضوا لسهام العين، وأمسكوا بجنوبهم على جراحات
سال دمها أحرقانيا، وكانت سهام إبليس هي صاحبة الجريرة.

والقرآن الكريم جاء بأمر الله (قل للؤمنين يغضوا من أبصارهم...)

والسهم الاول في أرساله الطبعي إنما هو نظرة أولى ووقعة إذا لم تتبع نجما صاحبها وتماثل ، ولم تكن عليه .

ولإذا برقت مياه إبليس وجعلت من سرايها الخلاب وعموهاها الجذابة موجات لاعبة بحسب الظمان فيها رياً وشفاء لحرمانه وحرقاته فأطاق أطاعه وراح يعبد النظرة ويدمنها ويكررها ، ثم تمزق لعابه حين يسيل على جنبات الأشعة المتناثرة من السراب ، فعند ذلك تنظر من النظرات خفقات القلوب واضطراب الاضالع ثم تسكاب الدموع الساخنت ، وأقم صريع السهام ما شئت من المآثم واذرف عليه ما جدت به من دمع العين التي تسعد أختها وتسعف أختها شبيبتها فما من عين إلا ونظرت ، وما من طرف إلا وارتمى ورنا ولكن الله سلم . .

ولعل العرب في فطرتهم على البيان الموجز . كانت على بيئة معجزة من أمر النظرة ، وعلى إلهام في تصوير إحدى سهام إبليس الذي يزين ويمشى في الناس ضاحكا من بكائهم هازئا من لوعتهم وشكائهم .

قالت الاعراب : « أسرع من طرف العين والعين ترجمان القلب » ، « ورب عين أتم من لسان » ، « لحظة أصدق من لفظة » ، وأخيرا وهو أول من الاول وأصدق من الصدق « من أطاع طرفه أصاب حتفه » .

وعرف الذين فلسفوا أسباب العشق أنه يتأكديادمان النظر ، وأنه لأول الحب ، كما أن أول الحريق الشرر .

* * *

وما أحسن ما وصف الخوفون (من أطلق طرفه أطال أسفه) (واللحظات تورث الحسرات أولها أسف ، وآخرها تلف ، فن تابع طرفه تابع حتفه . .)

ويعبجني المأثور عن أبي الفرج بن الجوزي « البصر صاحب خبر القلب . ينقل إليه أخبار المبصرات وينتش فيه صورها ، فيجول الفكر فيها فيشغله عن الفكر فيما ينفعه من أمر الآخرة ، فاحذر من شر النظر فكم أهلك من عابد وفسخ عزم زاهد . وهو سبب الآفات إلا أن علاجه في بدايته قريب فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه . .

إلى أن يقول عن النظر . . ويخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات ويلقى في التلف .

ويحضرني من آثار تلك السهام الداميات من يصور ضجرات وصرخات وحسرات وآثات واعترافات وأخيرا ندامات تلقى التبعات على الأعين التي تمثل دور إبليس ، وأن العين الجائعة للشيطان (وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن أدعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرغي . إني كفرت بما أشركتمون من قبل ، إن الظالمين لهم عذاب أليم) .

* * *

وسهام إبليس كثيراً ما تطفها الدموع وأنها أم البلياء ، وزادها من حسب الندم وحطب الأسف .

وهذا هو الفرزدق يبدأ بالزاد ويعترف بالتهامه دون أن يشعر ويعجب لتلك السهام ، وهذا السلاح الذي لم يلسه ولم يشهد مقتله تشبه في صرعاه ولا في مسالكة .

تزود منها نظرة لم تدع له فؤاداً ولم يشعر بما قد تزوداً
فلم أر مقتولا ولم أر قاتلاً بغير سلاح مثلها حين أقصدا

* * *

وابرهيم بن العباس بن صول ، يصارحنا حين نجا من الهزيمة المجلوبة بالعداوة والحسد وأتى من النظرة والفكرة ، فيقول :

فن كان يؤتى من عدو وحاسد فأنى من عيني أتيت ومن قلبي
هما اعتوراني نظرة ثم فكرة فما أبقيالي من رقاد ولا لب

* * *

وفي ساعة العسرة الضائقة يصرخ الشاعر وينحرف به اليأس وتشط الحديرة في ظلام اللاء بالمعشوق كمثل اللوعة المبهوثة من اسماعيل بن عمار الأعراي .

عينان مشومتان ، ويحهما القلب حيران مبتلى بهما
عرفناه الهوى يظلمهما يا ليتني قبله عدمتهما

وأكثر الشعراء على أن حبه الفاضل ودلال من دل عليهم حتى أذلهم أو تركهم
أحياء كالمسوق أو قتلى يمشون في الناس، إنما الجرم الأول كان من أعينهم أو من
سهام إبليس حتى زعيم الشعراء أو ناظم حكمة الفلاسفة (المتنبي) :
وأنا الذي اجتلبت المنية طرفه فمن المطالب ؟ والقتيل القاتل

* * *

وتلك الملاحظات المسرفات اللاهيات التي تجنى على الأنفس وإن عفت وتدخل
الآخبار على القلوب. إن كانت من زيف مدخول إنما هي آذونات خدعت الأجفان
واستغفلت الحجاب فسولت وزينت وأنزلت بالقلوب الفواقير القواصم كما صور
أبو منصور بن الفضل في رقة وصدق :

لواحظنا تجنى ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر
ولم أر أغبي من نفوس عقائف تصدق أخبار العيون الفواجر
ومن كانت الأجفان حجاب قلبه أذن على أحشائه بالفواقير

وأخيراً نضع أمام القارئ نقمة أبي شجاع الوزير وما توعد بها سهام إبليس
من ترة وعذاب للتي سفكت دمه فجعل يسفك دمعها، والتي أوقعته في حبال فراح
يلومها ويجعل ذنبها من ذنوب موقد الفتنة والبادية بالظلم وإنها لظلوم :

لأعذب العين غير مفكر فيها، جرت بالدمع أم فاضت دماً
ولأهجرن من الرقاد لذيله حتى يصير على الجفون محرماً
سفكت دمي فلاسفن دموعها وهي التي بدأت فكانت أظلماً
هي أوقعتي في حبال فتنة لولم تكن نظرت، لكنك مسلماً

* * *

هذه أيها القارئ قطرات من مسائل تلك السهام نوردها لندرس شكايتها ونبحث
مخاطرها، ومن يلقى أسباب الشكاية واضحة كان عليه أن يباعد بينه وبينها ولا عليك
من الهاتفين بأن الهوى قدر ومن المنسايين وراء القطرات .

أيها القارئ، تلس وتحس طرف النظرة ثم ردها طوعاً أو كرهاً، وإلا حقت
عليك الزفرة واللوعة وشقت لياليك من سهر الهوى والهوان، وكنت صريع سهام
براهما إبليس، ونامت عنها أعين الحفاظ والتوقي ؟

بغداد

دوستاد عبد المنعم محمد السنج

مدرس أول الآداب بالجامعة الدينية

سأتناول في بحثي هذا ، مدينة بغداد منذ أسسها جعفر المنصور إلى أن انحطت مكانتها ، بزوال الخلافة العباسية منها على أيدي التتار عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) وأحب في مستهل هذا البحث أن أذكر المهم من المصادر التاريخية التي تحدثت عن نشأة هذه المدينة . فمن هذه المصادر كتاب : بغداد أثناء الخلافة العباسية ، Bagdad Under the Abasid C. ، لمؤلفه المستشرق لوسترانج Le Strange ، ومنها كتاب البلدان لليعتوبي ، وكتاب الأمم والملوك لابن جرير الطبري ، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

ويحسن أن نشير إلى العواصم الإسلامية التي سبقت بغداد ، إذ جرت العادة على أن تتخذ كل أسرة إسلامية تلي الحكم ، حاضرة جديدة . تلاثم وجودها وحياتها ، فلقد اتخذ الرسول عليه السلام يثرب ، المدينة ، حاضرة له ، وظلت حاضرة الإسلام والمسلمين حتى جاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فنقلها إلى الكوفة ، التي كانت مهذاً لتشييع متطرف ، بينما كانت المدينة مركز أهل السنة الذين ما فتوا يذكرون أبا بكر وعمر وعثمان ، على أننا نستطيع أن نقرر هنا ، استناداً إلى ما جرت به الأحداث التاريخية فيما بعد ، أن علياً لم يكن موقفاً في تفضيل الكوفة على المدينة ، إذ بذلك قد هدم التوازن الذي أقامه أسلافه بين القبائل العربية ، ووضع له فيما بعد ، أن اعتماده على أهل الكوفة لم يكن الا كسراب بقيقة يحسبه الظلمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجد شيئا .

ولما انتقلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ، اتخذ دمشق ، حاضرة للامويين ، ولا غرابة في ذلك ، فنحن نعلم أن الشام كان مركزاً لدعوته وأنصاره ، وهو بالإضافة إلى ذلك خصب التربة ، مجاور للحجاز ، قريب من مواطن القبائل

العربية التي اعتمدت عليها الدولة الأموية ، ثم إن دمشق كانت بحكم قربها من الامبراطورية البيزنطية ، ذات موقع ملائم لحشد الجيوش ، التي ترد غارات هذه الدولة المجاورة المعادية .

ولما جاء العباسيون ، لم تعد دمشق ، تصلح لأن تكون مقراً لخلافتهم ، ذلك لأنها أموية النزعة ، ولأنها بعيدة عن فارس ، مصدر قوة العباسيين ، ومركز دعوتهم بخراسان ، لذا لم يطمئن العباسيون إلى وجود حاضرتهم بالقرب من الدولة البيزنطية ، وهي العدو التقليدي ، في حين لم يكن لهم بين العرب عصية تشد أزهرهم ، ثم إن العباسيين أدركوا فيما بعد أن التوسع شرقاً أسهل منه في الغرب ، حيث توجد الدولة البيزنطية ومن ورائها العالم المسيحي يشد أزرها .

من ذلك نستطيع أن نقول : إنه كان من المناسب إذاً أن يعدل العباسيون عن دمشق كحاضرة لخلافتهم ، وأن يستبدلوا بها مدينة تقع على مقربة من بلاد الفرس . واتخذ أقام « أبو العباس السفاح » الخليفة العباسي الأول ، « بالأنبار » ، وهي مدينة فارسية قديمة تقع على الشاطئ الشرقي للفرات ، ولما جاء « أبو جعفر المنصور » الخليفة العباسي الثاني ، اتخذ مقر خلافته مبدئياً فيما بين الكوفة والحيرة ، غير أنه رأى أن هذا المكان الجديد لا يصلح مقراً للخلافة ، لقربه من الكوفة مهد التشيع العلوي ، ومقر النبائل العربية التي تثير الفتن والفتاقل ، ثم إن الكوفة وما يحاورها من البلدان تقع في نهاية الصحراء العربية التي تهب رمالها على شاطئ الفرات الغربي . ومن هنا بدأ « أبو جعفر المنصور » يفكر في حاضرة جديدة يتخذها مقراً للخلافة وطيدة الأركان .

واختار رواد المنصور مكاناً ملائماً لإنشاء الحاضرة الجديدة ، بالقرب من « بارما » جنوب الموصل ، في سهل ترويه مياه دجلة ، وجداول الفرات ، وكان مكان بغداد مزرعة يقال لها المباركة . ويقول « ياقوت » إن كلمة بغداد فارسية الأصل : « باغ » ومعناها بستان و « دار » اسم الرجل الذي كان يملكه . ويقال : إن « باغ » اسم لصنم و « داد » تعني أعطى ومنح ، ويقول « النسائي » : إن بغداد معناها « دار السلام » ، ويقال أيضاً : إن بغداد كانت سوقاً يقصده الصييون للتجارة ، وكان لهم ملك اسمه « بغ » فإذا انصرفوا عائدین إلى بلادهم ، قالوا « بغداد »

أى أعطاهم الملك الريح . وما يدل على فارسية هذا الاسم ، وجود الدال العجماء به ، وقيل : سميت بالسلام ، لأن السلام هو الله ، وقيل أيضاً : لأن نهر الدجلة يقال له وادى السلام .

شرع المنصور فى بناء حاضرتة الجديدة ، فى موضع بغداد القديمة ، وجمع لذلك المهندسين والعمال وأدوات البناء ، ووضع بيده أول لبنة وقال : « باسم الله ، والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » . وخططت المدينة بالرماد أول الأمر ، ومكان هذه الخطوط حفر أساس المدينة عام ١٤٥ هـ . واتخذ للمدينة شكلاً دائرياً يتوسطه داره وجامعه ، وهذا النظام فارسى الأصل ، وكان للمدينة أربعة أبواب هى : باب خراسان ، وباب الشام ، وباب البصرة ، وباب الكوفة ، وأحاطها بسورين وخندق وكان قطرها ٢٢٠٠ ذراعاً .

غير أن بغداداً هذه ، سرعان ما ازدهمت بالمباني والعملاء والتجار والصناع ، الذين وفدوا عليها من جميع أرجاء الدولة العباسية ، ولذا فكر المنصور فى الإقامة خارج بغداد ، فى مكان طليق ، فبنى عام ١٥٧ هـ قصر الخلد على شاطئ دجلة الغربى ، ولما تم بناء بغداد أقطع المنصور أعيان دولته قطائع من الأرض على غرار قطائع أحمد بن طولون فيما بعد ، وذلك رغبة منه فى تخفيف الضغط عن بغداد من جهة ، ومكافأة لهم على ما قدموه للدولة من خدمات من جهة أخرى . وبلغ عدد سكك بغداد ودروبها حوالى ٦٠٠٠ سكة ودرب ، كما بلغ عدد حماماتها ٣٠٠٠ . وفى هذا القول مبالغة ظاهرة ، ويقال إن مساجدها بلغت ٣٠٠٠ مسجد ، وقيل أيضاً أنه كان بها ٥٥ قنطرة ، ٤٠٠ رحى مائية ، ٤٠٠٠ معمل لصناعة الزجاج ، ٣٠٠٠ معمل لصنع الخزف ، كما كان لبغداد ضواحي سميت بالأرباض أشهرها أربعة ، جعل على كل منها موظف يشرف عليها .

هذه صورة مصغرة لمنشأ مدينة بغداد ، ولقد مرت عليها أحداث كانت ذات أثر كبير فيها : ففى قد تأثرت بالفتنة التى اندلعت بين الأمين والمأمون ، كما تأثرت بحصار بنى بويه ثم السلاجقة لها ، وأخيراً عندما حاصرها التتار بقيادة هولاكو فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) .

الحياة العقلية

في صدر الدولة العباسية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد النعم مفاصبي

المدرس بكلية اللغة العربية

— ١ —

في الصدر الأول من الدولة العباسية (١٣٢ — ٢٣٢ هـ) ازدهرت الحياة العقلية في الحواضر الإسلامية ازدهاراً كبيراً ، وتلاقحت في بلاد العالم الإسلامي موجات الثقافة والتفكير . فكانت الدولة إبان ذلك العهد مزيجاً من شعوب متعددة وكانت عقلية الأمة الإسلامية يبدو عليها أثر تلك الوراثة والثقافات واضحة .

كان النفوذ للفرس ، فانتشرت ثقافتهم على أيدي الوزراء والكتاب الفارسيين ؛ ونقل المثقفون : من الفرس الذين أجادوا العربية ، والعرب الذين أتقنوا الفارسية ؛ تراث الفرس القديم في العلوم والآداب والسياسة والاجتماع ، وكان إنتاج الذين أجادوا اللغتين من هؤلاء وهؤلاء صادراً عن ثقافتين وعقليتين . وكانت عواصم فارس مراكز حيوية للنشاط العقلي في ميادين الثقافة والتفكير ؛ ويقول ابن خلدون : إن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من العجم ^(١) .

ودخلت الثقافة اليونانية في هذا العصر أيضاً على الفكر الإسلامي ، بامتزاج الجنسين في الحياة الاجتماعية ، وبتشجيع الخلفاء لترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة من اليونانية إلى العربية ، وإذا كان خالد بن الوليد المتوفى عام ٨٩ هـ أول من ترجم — أو ترجمت له — كتب النجوم والطب والكيمياء ^(٢) ، فإن المنصور المتوفى عام ١٥٨ هـ قد عني بترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة وتشجيعها . وبعث إلى أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله صلته بما لديه من

(١) ٤٤٣ مقدمة ابن خلدون .

(٢) ٢١٣ / ١ البيان التبیین ٤٩٧ فهرست لابن النديم .

كتب الفلاسفة ، وتخبر لها مهرة المترجمين ، وكلفهم بإحكام ترجمتها ^(١) . بل كان المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وترجمت له الكتب من اليونانية والرومانية والفهلوية والفارسية والسريانية ^(٢) . وكذلك فعل الرشيد ؛ وأوفد المأمون الرسل إلى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين ونسخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك ^(٣) ، وأنشأ في بغداد مدرسة لتخريج المترجمين .

وإذا كانت الدولة قد قبلت الثقافة الإيرانية في أمور الدولة فقد أخذت ، في ساحة الحضارة والثقافة أمورا كثيرة من يزنطة ^(٤) .

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الإسلامي ، مباشرة أو بواسطة الفرس أيضا . . أما الأتراك فلم يكن لهم مدنية أو ثقافة ، ولم يفتح منهم في الأدب والشعر والعلم بعد أن تعلموا العربية إلا القليل : كأحمد بن طولون والفتح بن خاقان ثم ابن جنى العالم المشهور .

وكان للإسلام فوق ذلك كله ثقافة واسعة في الدين واللغة والأدب والشعر ، كانت هي أهم شيء أثر في الفكر الإسلامي ، وكانت المورد الأول للناس جميعا .

تجمعت هذه الثقافات في العراق في العصر العباسي الأول ، وأحدثت أثرها في العقول والأفكار ، وكان المتكلمون أكبر عامل في امتزاج هذه الثقافات ^(٥) . وصلة بين الفلسفة اليونانية والأدب ، فقدموا معاني للأدباء والشعراء لم يكونوا يعرفونها .

- ٢ -

وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤ هـ) زاد امتزاج هذه الثقافات ، بتطاول الزمن ، وتلاقح العقول ، وظهور آثار حركة الترجمة ، وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء ؛ فكان أزهى عصور العلم في البلاد الإسلامية .

(١) ٤٨٠ مقدمة ابن خلدون ٤٥٥ طبقات الأمم لمعاذ .

(٢) ٤٨٩ / ٤ المسعودي .

(٣) ٤٨٠ و ٤٨٩ ابن خلدون .

(٤) ٣٨ تاريخ الحضارة الإسلامية لبار توله .

(٥) ٣٨٠ ضحى الإسلام .

ولإذا كان العصر الأول قد غلبت عليه نزعة الاعتزال التي أيدها المأمون بكل ما استطاع ؛ فإن العصر الثاني وهو عصر النفوذ التركي كان مصحوباً بمظاهر جديدة ؛ أهمها القضاء على سلطان المعتزلة وإعلاء شأن المحدثين ، فأمر المتوكل بترك الجدل في الدين والقرآن ، واضطهد رؤساء المعتزلة ، وقرب إليه أئمة المحدثين ، وكان هذا الانحياز يحظى بتأييد الأتراك ويعملون له ^(١) .

— ٣ —

وتعددت مراكز الحياة العقلية في هذا العصر ؛ ونشطت الدراسات الدينية واللغوية في مصر ، وتفوقت الشام في الشعر والآداب واللغة ^(٢) ، وكان للعراق الصدارة في العلم والآداب والفلسفة ، فكانت بغداد والبصرة وحران أهم مراكز العلم في العراق ، واشتهرت بلخ وخوارزم وأصفهان في ميدان التفكير والثقافة ، ونبع منها أئمة العلماء .

ونبع في ألوان الثقافة الدينية والفكرية والعربية والآدابية الكثير من جلة العلماء والمفكرين والآباء .

وأضحت في هذا العصر معرفة العلوم المترجمة شرطاً في الكاتب والأديب ، وراج علم النجوم وانتشر بين الناس والآباء .

على أنه لم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس ، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده في العراق .. ويثور ابن قتيبة في مقدمة كتابه «أدب الكاتب» ^(٣) على الحالة في عصره ، حيث أهمل الناس علوم الدين مع عنايتهم بالفلسفة والمنطق ، وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين مع واسع ثقافته اليونانية ^(٤) .

وكان جماعة من العلماء والآباء يؤثرون البعد عن ضجيج الثقافة المترجمة ، ويسخرون منها ومن رجالاتها .

وكان عماد الثقافة في هذا العصر هو الثقافة العربية وحدها من بين هذه الثقافات وعلى الجملة فقد كان صدر الدولة العباسية أزهى العصور الإسلامية في تاريخ الحركة العقلية في الإسلام ؟

[١] ١/٤٩ ظهر الإسلام [٢] ١/٨ القيمة الثمالي ١/١٧٧ ظهر الإسلام

[٣] ص ٢ أدب الكاتب بهامش المتن السائر [٤] ٤٠٢ - ١/٤٠٦ حتى الإسلام

سلمت

وهل حي من الناس يسلم ؟

لفضيلة الاستاذ الشيخ منصور رجب

المدرس بكلية أصول الدين

ابتلى المسلمون عامة والفقهاء خاصة بأن يكونوا أشد الناس تحاسداً وتباغضاً .
فقد يما رعى غلاة الشيعة أبا بكر ، وعمر ، وغيرهما بالزندقة والعمل على تفريق
المسلمين حتى قال شاعرهم :

صديقهم بعد النبي تزندقا وكذاك فاروق الصحابة فرقا
بين النبي وآله ووصيه والمسلمين درايبذا من حققا (١)

ويروى الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد (٢) أن سفيان الثوري لما جاءه
نعي أبي حنيفة قال : الحمد لله الذي أراح المسلمين منه ، لقد كان ينقض عرى الإسلام
عروة عروة . ما ولد في الإسلام مولود أشأم على أهل الإسلام منه . ويروى
عن مالك قوله : إن أبا حنيفة كاد للدين ، ومن كاد الدين فليس منه . وعن الشافعي
يقول : أبو حنيفة يضع أول المسألة خطأ ثم يقيس الكتاب كله عليها . وعن عبد الله
ابن المبارك قوله : من كان عنده كتاب حبل أبي حنيفة يستعمله أو يفتي به فقد
بطل حجه ، وبانت منه امرأته . ويروى أن أبا بكر بن أبي داود السجستاني سمع
وهو يقول لأصحابه : ما تقولون في مسألة اتفق عليها مالك وأصحابه ، والشافعي
وأصحابه ، والأوزاعي وأصحابه ، والحسن بن صالح وأصحابه ، وسفيان الثوري
وأصحابه ، وأحمد بن حنبل وأصحابه ؟ فقالوا له : يا أبا بكر لا تكون مسألة أصح
من هذه . فقال : هؤلاء كلهم اتفقوا على تضليل أبي حنيفة (٣) .

(١) شرح الأخبار للفاخر أبي حنيفة النعمان - غير أبي حنيفة صاحب المذهب - مخطوط بالمكتبة
الملكية تحت رقم ٧٠٦٢ .

(٢) ج ١٣ ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٣) المصدر نفسه ص (٨) .

ويقول تاج الدين بن تقي الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية الكبرى^(١) وكتابه - يريد ابن حزم - الملل والنحل ، من شر الكتب ، وما يرح أصحابنا من المحققين يهون عن النظر فيه لما فيه من الأضرار بأهل السنة ، ونسبة الأقوال السخيفة إليهم من غير ثبوت عنهم ، والتشفيع عليهم بما لم يقولوه . وهذه ظاهرة خطيرة نفشت - وتنفشي - بين العلماء خاصة ، ويمتد لها إلى المسلمين عامة الأمر الذي جعل بعض العلماء يعتمد باباً في حكم قول العلماء بعضهم في بعض ، يبدؤه بحديث « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء » . ثم يروى قول ابن عباس : استمعوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض . وقول مالك بن دينار : تقبل شهادة القراء في كل شيء إلا بعضهم على بعض . وهذه الظاهرة ، ما سببها ؟ فليس - كما يقول الجاحظ - فرع إلا له أصل ، ولا مولود إلا من مولد ، ولا نبات إلا بأرض ، ولا رضيع إلا له مرضع . سببها التعصب المذهبي واختلاف العقائد ، دينية كانت أم سياسية أم اجتماعية . والتعصب ينتج الغل ، والغل ينتج الحسد ، بل هو رضيعه وغصن من أغصانه ، أو إن شئت فقل بل هو عون من أعوانه ، وشعبة من شعبه ، وإذا كان التعصب المذهبي واختلاف العقائد يجر إلى هذه النتائج التي عانت وتعانى الإنسانية منها شر ألم وعذاب ، فأخطر حدث ينمى هذه الظاهرة إلى درجة الفتنة هو التكالب على المسادة . ورحم الله حذيفة بن اليمان فقد كان يقول : من أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا ؟ فينظر : فإن كان يرى حراماً ما كان يراه حلالاً ، أو يرى حلالاً ما كان يراه حراماً فقد أصابته الفتنة . وهل نحن في فتنة ؟ وأي فتنة وأنت تسمع وترى مقاييس الأمور تجري لا كما يتطلب الحق والعدل ، بل كما يتطلب الهوى وتهوى الشهوة .

كان الناس يسألون رسول الله صلوات الله عليه عن الخير ، ومن بينهم من يسأله عن الشر مخافة أن يدركه ، فقال قائل من هؤلاء : يا رسول الله ! إنا كنا في جاهلية وشر فإجاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ! فيعود السائل يسأل . وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ فيقول صلوات الله تعالى عليه

نعم ! وفيه دخن . فيعود السائل يسأل عن هذا الدخن . فيقول الرسول : قوم يستنون بغير سنتى . ويهدون بغير هدى ، تعرف منهم وتسكر . فيقول السائل . وهل بعد ذلك الخير من شر ؟ فيقول : نعم ! دعاة على أبواب جهنم من أجا بهم إليها قذفوه فيها . فيطلب السائل من رسول الله أن يصف له هؤلاء الدعاة فيقول : هم قوم من جلدتنا يتكلمون بالسنتنا . قلت يا رسول الله ! فما تأمرنى إن أدركنى ذلك . قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال : اعزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض على جذل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . هذا هو الدواء وهذا هو طريق النجاة . فاعرف نفسك فمعرفة النفس مبدأ كل علم وفضيلة . ومعرفة النفس مفتاح معرفة الله ، والله هو الحق المبين . وإن الله ليحى المؤمن يومئذ بما فى الدنيا من شر كما يحى أهل المراض مريضهم الطعام . واضطهاد أحرار الفكر أمر يلزم الإنسان فى تاريخه الطويل وقد يصل إلى القتل أحيانا ، وما تلك الفجائع التى يروىها التاريخ عنا ببعيدة ، ولست ترى فى هذا الأمر أخطر على الأحرار من الفقهاء . فى كل جيل تراهم يناهضونهم ويسخطون عليهم ويخرجونهم ويكفرونهم وقد يصل ذلك إلى القتل أحيانا . ففقهاء اليونان هم الذين أفتوا بقتل سقراط زعيم المقتولين الأحرار . وفقهاء العراق هم الذين أفتوا بقتل الحلاج . وفقهاء الشام هم الذين أفتوا بقتل السهروردى . وفقهاء المسلمين هم الذين قد سمعتم — إذا صحت هذه الروايات — يقولون ما قالوا عن أبى حنيفة ، وما ذلك إلا لأنه إمام أهل رأى . وإذا كان هؤلاء وأمثالهم قد دفعوا ثمن الحرية وهم جد عطاء فأنهم قد خطوا بالفكر خطوات فى أن يحى نفسه بنفسه من هذه الظاهرة الخطيرة . وكم دفع الإنسان من ثمن إلى أن أعلنت الجمعية التأسيسية التى تمخضت بها الثورة الفرنسية ، حقوق الإنسان ، وإذا كانت هذه الجمعية تعلن أن الجهل بهذه الحقوق ونسيانها والسوء عنها ، تلك هى الأسباب الوحيدة للمصائب العامة . فهل محيت المصائب العامة ؟ وإذا كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد أقرت حقوق الإنسان ، وأعلنت بذلك العالم حتى لا يكون على جهل بها ونسيان لها وسهو عنها فتكرر المصائب العامة . فهل محيت

المصائب العامة وساد السلام ؟ إن المصائب العامة لا يمكن أن تمحي من الوجود ما دام الإنسان هو الإنسان . إنما يمكن أن تزول نسيباً . وليس سلام إلا بالرجوع إلى الدين ذلك الذي قد وصل إلى أن « كونوا عباد الله إخواناً ، بينما التفكير السياسي ينطوى على الضغائن والاحتقاد ، والغش والخداع ، والمكر والمكيدة .

ليس سلام ولا نصر إلا بالرجوع إلى الدين والإيمان بالله ، إن العرب لم يكونوا أهل علم يوم نصرهم الله ، بل كانوا على خلق متين وقوة أيمان بالله . ألم ترهم يوم دخلوا المدائن منتصرين ؟ دخلوا فرأوا قبايا تركية مملوءة سلالاً محتومة برصاص غسبوه طعاماً فإذا فيها آتية الذهب والفضة ، وكان الرجل منهم يطوف يبيع الذهب بالفضة متماثلين . ورأوا كافوراً كثيراً غسبوه ملحاً ففجعوا به فوجدوه مرأ^(١) .

ومع ذلك دوخوا مملكتي الفرس والروم ، وكونوا لهم دولة عظيمة هي مضرب الأمثال في التاريخ ، ذلك لأنهم كانوا يؤمنون بالحق ويضحون في سبيل الحق ويقدمونه على النفس والمال والولد . أنظر إلى فاطمة بنت محمد صلوات الله عليه تذهب إلى أبيها وهي حامل ، فتشكو إليه أنها إذا جلست تخبز أصاب حرق التنور بطنها ، وتسأله خادماً . فيقول لها : « لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع » بهذا سلم الناس ، وبهذا عاشوا في أمان بعيدين عن القلق والألم والاضطراب « وبعد » فهل من سبيل إلى محو هذه الظاهرة الخطيرة التي تفشت وتفشى بين العلماء خاصة ويمتد لها إلى المسلمين عامة والتي تركتهم يكيدون لبعضهم كيذا ، وتركتم المسلمين من ورائهم يلعن بعضهم بعضاً ؟ لا سبيل إلا أن نرجع إلى الحق ، والله هو الحق المبين . وإذا كان الحسد ضار في كل زمان ومكان فليس أضر علينا من حسد سبيه المادة .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاشتراكية في الاسلام

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون

المكرّم العالم للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

تعتبر الاشتراكية من المذاهب المناقضة للفردية ، وهي مع تنوعها تتفق من الناحية السياسية على إعلاء المجتمع على الفرد ، ومن الناحية الاجتماعية على تحقيق المساواة بين الأفراد بإلغاء الفوارق بين الطبقات ، ومن الناحية الاقتصادية بالقضاء على الرأسمالية . وإلغاء الملكية الفردية لأموال الإنتاج واستبعاد المنافسة .

ولسنا في حاجة إلى توضيح الشيوعية ، فإلا اشتراكية متطرفة ، على أن الفارق الجوهرى بين الاشتراكية وبين الشيوعية هو الفارق بينهما في الوسيلة لتحقيق الأهداف ، فوسيلة الشيوعية هي العمل المباشر للقضاء على الرأسمالية بعنف ، وإقامة الدكتاتورية العالية ، في حين أن الاشتراكية تعمل على تنفيذ مبادئها عن طريق استخدام القواعد الديمقراطية ، ولذلك نجد الشيوعيين أعداء لكل إصلاح لحال الفقراء والعمال حتى يستمروا في يؤسهم ، ويشوروا على النظام القائم ، فتقع الكارثة الاجتماعية التي يعملون لها ، أما الاشتراكيون فإنهم يعنون بالإصلاحات المختلفة التي تقدم الطبقات الكادحة ولو خطوة إلى الأمام ^(١) .

وأبرز ما في الحياة الغريسة الآن نظامان : أولهما اشتراكية رأس المال ، وهي التي يقوم عليها النظام الشيوعى في روسيا ، ويمتاز هذا النظام بأن الدولة تملك الصناعات الثقيلة ، وتولى إدارتها جميعا ، فالأرض والمصانع والسكك الحديدية والسفن ، وخطوط الطيران ، والمتاجر والمصارف الكبرى ، كلها هناك كمثل الشوارع ، والطرق الزراعية عندنا ، ليست ملكا خاصاً لأفراد أو شركات ، بل

[١] من مذكرات لىلى الحقوق بجامعة إبراهيم للدكتورين - الجلى وحلى مراد

هى ملك المجتمع كله ، ويديرها موظفون تعينهم الحكومة ، وتجرى عليهم الارزاق وتسألهم عن تصرفاتهم ، وليس هناك من سبيل إلى الارزاق إلا من العمل فى مصدر من مصادر الثروة المعروفة ، والقاعدة عندهم من كل قدر طاقته وإلى كل حسب عمله . .

ويبيح القانون الروسى الآن إلى جانب النظام الاشتراكى السائد أن يقوم أفراد من الفلاحين ، ورجال الصناعات اليدوية ، والتجارة المتوسطة ، والأرض الزراعية الصغيرة بأعمال خاصة ضيقة النطاق ، تعتمد على مجهودهم الشخصى على ألا يستغلوا مجهوداً لغيرهم ، فلك أن تملك بيتاً لتسكن فيه ، لا أن تستغله ، ولك أن تزرع أرضاً ، أو تضع بعض الأجهزة للكهرباء للاستهلاك ، لا أن تستغلها ، وتملك إنتاجها .

وثانيهما : اشتراكية الدولة ، وهو نظام اقتصادى يطبق الآن فى إنجلترا وغيرها من الدول الاشتراكية ، وهذا النظام يقضى بإشراف الدولة على المصالح والشركات الكبرى لإشرافاً مباشراً ، ودخولها فى رأس المال بأسمهم تزيد على النصف ، وتحكمها فى أنواع الإنتاج ووسائله ، وتوزيعها للأرباح على الأيدى العاملة توزيعاً يلتفت به الجور والحق ، وتتقارب مستويات المعيشة بين الرؤساء والموسمين . وهذا المنهج الاقتصادى وسط بين تعاطيل مبدأ الملكية وبين إطلاقه ، وفيه عدالة اجتماعية بقدر (١) .

وبهذه المناسبة يجدر بنا أن نبين بوجازة مذهب الرأسمالية المقابل للشيوعية والاشتراكية ، وذلك ليقضى لنا توضيح المذهب الاقتصادى الإسلامى ، وأين يقع من تلك المذاهب الاقتصادية ؟

تقوم الرأسمالية ، أو الاقتصاد الرأسمالى ، على أساس حرية الفرد ، لأنه يُعنى بمصلحة الفرد ، ولا يُعنى بمصلحة المجتمع ، وهو يعتمد على أسس ثلاثة :

(١) المصلحة الشخصية كهدف . (٢) المزاحمة كوسيلة . (٣) الحرية كشرط . فالمصلحة الشخصية تملى عليه أن يعمل لتأمين حياته من أرباح تقوم بنفقاته ونفقات من يعوله ، وبتغطية حاجته فى حالة المرض والشيخوخة ، وتجهيد ما خلق أو استهلك من وسائل عمله ، ويرى المزاحمة وسيلة للاستجابة للقوانين النفسية

التي يسيطر عليها عالم العواطف ، لأنه يعمل بعاطفته أكثر مما يعمل بعقله وذكائه ، فهو في حاجة إلى ما يسوقه نحو العمل والجد ، وليس من سبيل لذلك سوى انطلاقه في جو من المزاومة والمنافسة ، وكذلك يرى الحرية في العمل كشرط ، لأنه بغيرها لا يستطيع المنافسة والمزاومة الحرة . ولا العمل لمصلحته الشخصية .

تلك هي الأسس التي تقوم بها الرأسمالية ، ويدور دولا العمل عليها ، وهي لم تفلح في تحقيق العدالة الاجتماعية ، بل بالعكس كانت وبالا على المجتمع ، وأضحت هي التي تسيطر على الدول الرأسمالية وتتميمها وتنعدها ، فترى رجال الحكم إذا أقرروا السلام ، أو أعلنوا الحرب ، كان ذلك منهم نزولا على أطماع البيوت الرأسمالية ، أو الشركات والمصارف التابعة لها .

والشيوعيون والاشتراكيون قد ناقشوا تلك الأسس مناقشة منطقية فقالوا :

إن الأساس الأول . وهو المصلحة الشخصية ، يؤدي إلى حصر الثروات وتكديسها بيد أفراد قلائل ، وتسخير الأكتية الكادحة لهؤلاء الأثرياء وإحداث تفاوت بين الناس يجعلهم طبقات يحارب بعضها بعضا حرب الطبقات والاستئثار .

وإن الأساس الثاني ، وهو المزاومة الحرة ، يؤدي إلى مضارة بين البيوت المالية ، والافلاس الاقتصادي بين المزارعين من أصحاب الانتاج الموحد ، وتآمر البيوت المالية الكبيرة على الإضرار بصغار الرأسماليين ، إذ لم تكن في دخول السوق متكافئة في المزاومة الحرة ، وتكافؤ الفرص ضروري انقاء لشروط الرأسمالية وطمعائها .

والأساس الثالث ، وهو الحرية المطلقة ، يؤدي إلى عدم التوازن والانسجام ، ويجعل الرأسمالي حراً في إنتاج ما يشاء ، دون نظام في الانتاج نوعاً وكماً ، فهو ينتج كذا وغيره ينتجه ، ونتيجة ذلك أن إنتاجاً يفيض عن الحاجة وإنتاجاً ينذر ، فتقع الازمات الاقتصادية ، وتشيع الفوضى لعدم وضع منهاج ونظام للانتاج ، والمصلحة العامة لاحساب لها في هذه الحالات ، إنما الهدف هو العمل للمصلحة الشخصية فحسب ، بغير رقابة ولا قيد .

هذه هي عيوب الأسس التي تعتمد عليها الرأسمالية في نظر المذاهب الاقتصادية الحديثة ، فما موقف الإسلام من تلك المذاهب ؟ هل الإسلام يؤيد الملكية الفردية ؟ أم يسائر القائلين بالغائها ، وهل يساق الشيعية في « اشتراكية رأس المال » ؟ أو الاشتراكية في « اشتراكية الدولة » ؟ ونقول :

لا ريب في أن الإسلام يؤيد الملكية الفردية ، والاقتصاد الإسلامي اقتصاد رأسمالي ، له شأنه في الإسلام ، بل هو يقوم على الأسس الثلاثة التي أسلفنا الكلام عليها ، وهي المصلحة الشخصية كهدف ، والمزاخمة كوسيلة ، والحرية كشرط ، ولكن قيام الملكية في الإسلام على هذه الأسس ليس على إطلاقه ، بل يصاحبها في كل اتجاهاتها العامل الأخلاقي ، فهو في تلك الأركان الثلاثة عنصر جوهري فيها لازم لها ؛ إن هدف الإسلام هو تكوين مجتمع مثالي ، فالعامل الأخلاقي يسير معه جنباً إلى جنب ، بل يكون رائده ، فإذا انحرف السلوك الاجتماعي رده العامل الأخلاقي بقوة إلى الاستقامة ليكون ضابطاً عاماً في مصلحة المجتمع ، وعلى هذا الاعتبار نجد أن العيوب التي أخذت على الأسس الثلاثة في الاقتصاد الفردي الشائع في أمريكا وفي أوروبا ليس لها أثر في الاقتصاد الإسلامي ، إن المصلحة الشخصية في الرأسمالية الفردية في الغرب تجرف كل شيء يقف في طريق الانتاج أو العبث به ، فهي لا نبالي بالعامل الأخلاقي ، ولا بمصلحة المجتمع ، بل هي تنكره ، ولا تتعرف عليه ، بخلاف الرأسمالية في الإسلام ، فإن مصلحة المجتمع عنصر هام لا غنى عنه ، وإن الإسلام كدين له منهج ثابت هو تطهير المجتمع من عوامل الفساد ، ويمتاز بطابعه الذي يقرن الأعمال بالخلق والعقيدة ، فلا ضرر ولا ضرار ، وهو يناهض تكديس الثروات ، وجمعها في يد فئة قليلة ، وحرمان الاكثية من ضرورات العيش ، ورنق الحياة ، وما كانت الناحية الروحية في القرآن الكريم ، إلا تهذيباً للأمم ليعيش الناس في ظلال الاخوة والمساواة والمودة ، والأمن والاطمئنان ، ويكون التعاون بينهم على الجد ، والتفاني في الصالح العام ، لذلك وضع دستوراً ثابتاً واضحاً يجعل الثروات رأسماليات متوسطة وصغيرة ، تحث المسلمين على الاتفاق في أكثر من سبعين آية ، وفرض الزكاة في مال الاغنياء للترفيه عن الفقراء والمساكين ، ولقد قاتل الخليفة أبو بكر منكريها وما نفعها ،

• وجعل الإسلام إطعام الفقراء ، والتصدق على المساكين كفارة لكثير من الهفوات كما في حث العيدين ، وفي افطار رمضان عمداً أو لعنر ، وفي الظهار ، وفي محظورات الحج ، كما شرعه في مناسبات كثيرة في يومى عيد الفطر والأضحى ، وفي كل المواسم الدينية — في كل هذه الأحوال وغيرها جعل الإسلام التخفيف من ويلات الفقراء ، والعطف على المساكين ، من سمات تلك المواسم والأحوال ،

أضف إلى ذلك النظام الإرثى في الإسلام ، فإنه يحطم الثروة ويفتتها تفتيتاً لا مثيل له في أى قانون آخر ، فالقانون الإنجليزى يحصر الثروة في البكر من الأولاد ، ويحرم من عداه ، وبعض القوانين الأخرى تجيز الوصية لأى كائن بجميع المال ، سواء أكان وارثاً أم غير وارث حتى للكلاب والقطط ، وسائر الحيوان ، أما الإسلام فيوزع أنصباة الأثر توزيعاً واسعاً . فيعطى للقرابات أنصبة متفاوتة ، ولا يسمح لصاحب الثروة أن يتصرف فيها بالوصية إلا بالثلث ، والثلث كثير ، وهذا كله محافظة على التوازن الاقتصادى ، ويقول تعالى في سورة الحشر :
 « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

فأنت ترى أن الإسلام قد نحى بالاقتصاد منحى عادلا ، رعاية منه للصحة الاجتماعية ، واجتنباً لطغيان الأغنياء : « إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى » . وهكذا تجد الدين الإسلامى قد وقف موقفاً رائعاً في توزيع الثروة وتجزئتها إلى ملكيات متوسطة وصغيرة من غير إكراه ولا اضطراب ، ليقى المجتمع شروء البطر من الأثرياء ، والحد والبغضاء من الفقراء .

والمزاحمة التى هى وسيلة في الاقتصاد الغربى ، وكانت عيباً من عيوبه ، هى أيضاً وسيلة للاقتصاد الإسلامى ، وليست عيباً فيه ، فهى مختلفة في النظامين ، فاقيل من أنها تؤدى الى دخول الرأسماليين في السوق بغير أسلحة متكافئة ، وأن المنافسة في معركة الحياة الاقتصادية ليست متساوية كما هو معروف في الاقتصاد الغربى ، — هذا الذى قيل — منى في الاقتصاد الإسلامى ، فالإسلام قد قرب أصحاب الملكيات بعضهم من بعض بما شرعه في نظام الوصية والإرث والزكاة ، وجعل الإرث أنصبة متعددة ، وشمول الزكاة ثمانية أصناف « إنما الصدقات للفقراء

والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل .

ونضيف الى ما قدمنا تحريم الربا لكيلا يثرى أحد من عمل على حساب غيره وتحريم لعب الميسر لكيلا يثرى أحد بطريق الحظ ، هذه الاعتبارات كلها إذا روعيت كعهد المسلمين من قبل ، لاتدع أحدا محروما من سلاح يزاحم به في مضمار الحياة ، ففي الإرث يدور دولا ب تجزئة رأس المال باستمرار ، ولا يجيء عام جديد حتى يبدأ صندوق الزكاة ، ألا ترى المال يدور في أيدي جميع الأصناف ، حتى من أنقلمتهم الديون ، فإن صندوق الزكاة يدفع عنهم مغارمهم ، ويسلحهم من جديد ليدخلوا السوق آمنين مطمئنين ، فأى ضمان للناس بعد هذا ؟ وما عيب الرأسمالية في الإسلام ؟

نأتى بعد هذا على بحث الحرية التى هى شرط فى الاقتصاد الرأسمالى الغربى ، وعدت عيبا من عيوبه ، ولكن هذا العيب متف فى الاقتصاد الاسلامى ، فانه فى الاقتصاد الغربى تسير فيه الحرية مطلقة لا تقف عند حد ، حتى انقلبت تلك الحرية إلى فوضى ، مما اضطر أصحابها إلى إتلاف المحاصيل أحيانا للاحتفاظ بالأسعار العالية ، أما هذه الحرية فى الاقتصاد الإسلامى ، فقيدة بقيدى ، هما العامل الأخلاقى ، والمصلحة الاجتماعية ، ويتدخل ولى الأمر فى السوق حين يرى تسكب التجار أصول التعامل ، ويضرب بيد من حديد على أيدي المحتكرين المنحكرين فى الأسواق ، والعازفين عن المصلحة العامة ، وكان عمر بن الخطاب يمشى فى الأسواق ، ومعه الدرة يؤدب بها ذوى الأثرة والطامعين فى الكسب الحرام ، والحسبة معروفة فى لإسلام ، وكان رجالها يقام لهم فى الأسواق وزن واعتبار^(١).

فأى نظام نجده نزيها وعادلا كنظام الاقتصاد فى الإسلام ؟ إن الإسلام قد امتاز فى نظامه عن الشيوعية والاشتراكية ، فالاقتصاد الإسلامى رأسمالى فردى من نوع خاص . قد جمع خير ما لدى الشيوعية والاشتراكية ، وتجنب عيوبهما ،

(١) من مقالة دمع تصرف ، للأستاذ محمود اللىدى فى مجلة رسالة الاسلام ، لدار التريب -

ولكن كثيراً من أخذوا بزيف المدينة الغربية ، يشيدون بالاشتراكية التي تضمنت المساواة في لذة العيش ، وبسطة الحياة ، من غير تفرقة بين سوقة وسادة ، وأغنياء وفقراء !! وهي مذاهب وضعية خاضعة للتجارب والتعديل والتغيير ، كما هو حادث فعلاً ، والاشتراكية الصحيحة المعقولة هي في الإسلام الذي يضمن للعاجز العيش ، وللعامل الكسب ، وللفقير القوت ، وللريض الصحة ، وللعالم كله أمناً وسعادة ، الاشتراكية الصحيحة المعقولة هي في الإسلام الذي يشعر المسلمين بأنهم أسرة واحدة ، وأنهم جميعاً كأسنان المشط ، وأنهم تكافأ دماؤهم ، ويسمى بذمتهم أدناهم ، وأنهم كالجسد الواحد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر .

هذه هي الاشتراكية في الاسلام ، فأين منها تلك المذاهب الحديثة المادية المتداعية الواهنة ؟ .

« هذا ومن خطئ الرأي إذن ، أن ينعى امرؤ على الرأسمالية ، نظامها من فوق منبر الاشتراكية ، لأن المبدئين يحتويهما أصل واحد » .

(ولم يعد للاشتراكية فضل الانفراد بالدعوة إلى إزالة الفوارق في دخول الناس ، لأن إزالة الفوارق لم تعد مسألة رافة أو حنان أو عطف أو إحسان ، بل أصبحت من صميم الاقتصاد بوصفه علماً ، وعندى أن إرجاع هذا الهدف إلى العدالة الاجتماعية ، فيه خطأ وإجحاف ، لأنه يوحى بأن رغبة المساواة منبعثة من عاطفة المروءة ، أو أنها مستمدة من واجب أدبي في حكم فرض الكفاية ، مع أنها هدف مادي تفرضه ضرورة الانتاج)^(١) .

أما الاشتراكية في الإسلام فهي غير ذلك بالمرّة لأنها من قوانين السماء ، وهي صالحة لكل زمان ومكان ، وإزالة الفوارق ، ورغبة المساواة ، والعدالة الاجتماعية من قواعد الإسلام ، وهبعتها الرافة والحنان ، والرحمة والإحسان ، وإنقاذ الإنسانية من ضراوة المجتمع وفوارق الطبقات ؟

ما يصادفه المجددون

في جميع العصور

صادف المجددون الذين خدموا الإنسانية أجل الخدم ، والمكتشفون للجهولات من سخرية العامة ، ومقاومة أهل العلم ما لا يمكن تحمله والصبر عليه لولا أن الله سبحانه وتعالى كان يدمهم بروح منه فيحتملوا ما يصيبهم من العنت بثبات عجيب ، واعتقاد راسخ . وقد ذكرهم العلامة الفلكي المشهور كاميل فلاريون في كتابه المدعو (المجهول والمسائل النفسية) ألم فيها بتاريخ الجود العلى ، وتاريخ استعصائه عن قبول كل جديد ، وضرب لذلك أمثالا بما يندر وجوده في المؤلفات فرأينا أن ننحرف قراء مجلة الأزهر .

على أن في ذكر تاريخ هذه الحالة العقلية فوائد لا تقدر من ناحية أنه يعلم ناليه التثبت ، فلا يعود يتعجل بالتكذيب بالحقائق الجديدة ، حتى لا يحرم من بركاتها ، وحتى يكون سببا في توسيع نطاق العلم ، وزيادة مادته . قال الأستاذ في مقدمة كتابه المدعو (المنكرون والمسائل النفسية) ما ترجمته الحرفية :

، عدد كبير من الناس مصابون بقصر نظر حقيقى فى العقل ، وقد صورهم (لومير) أصدق تصوير بقوله : لأنهم يتخيلون أن الأفق المحيط بهم هو نهاية العالم . فترى الحوادث الجديدة ، والآراء الحديثة تكسفهم وتدعهم . فهم لا يريدون أن يتغير السير العادى للأشياء ، أما تاريخ تقدم العلوم الإنسانية فليدبرهم من الشؤون التى يجب أن تهمل .

، وتظهر لهم جريمة الباحثين والمخترعين ومحدثى الانقلابات من الجرائم ، ويخيل اليهم بأن النوع الإنسانى كان دائماً على ما هو عليه الآن ، فلا يتذكرون عصر الحجر ، ولا عهد اكتشاف النار ، ولا زمن اختراع عمل البيوت والمركبات والسكك الحديدية ، ولا توالى الفتوحات العقلية ، ولا استكشافات العلم ، فترى فيهم للآن أثراً من وراثة أسلافهم الأسماك بل والحيوانات الرخوة . ونجد هؤلاء السادة المحترمين يتمكنون من الجلوس على كراسيهم ويظلون على تلك الحالة فى راحة

لا يعترىها أقل اضطراب ، وهم ليسوا أهلاً لقبول ما لا يفهمون ، ولا يطوف بخيالهم حالم الحقيق من أنهم لا يعلمون أقل شيء . ولا يعرفون بأن في تتي كل تعليل لآية ظاهرة من الظواهر الطبيعية مجبولا ، فيكتفون بتغيير الألفاظ ليس إلا . لماذا يسقط الحجر ؟ لأن الأرض تجذبه . مثل هذا الجواب الواضح يشبع مطامعهم العلية ، فيتوهمون أنهم قد فهموا هذه المسألة ، والتلاعب بالتفسيرات المدرسية المقررة تفتنهم على نحو ما كانت عليه الحال في عهد مولير .

في كل عصر ، وفي جميع أدوار المدنية يصادف أمثال هؤلاء الرجال البسطاء وهم في حالة هدوء وسكون ، ولكن ليس بغير زهو ، فينكرون بسلامة قلب جميع الأشياء التي لم يبحثوا فيها . ويزعمون أنهم يحكمون على النظام السكوني الذي لا يُسبر له غور . مثلهم كمثل نملتين في حديقة تسكلمان في تاريخ فرنسا ، أو في بعد الشمس عن الأرض .

فلنعرض للقارئ حوادث من التاريخ ، ولنأت ببعض الشواهد على ما نقر : تحررت مدرسة فيثاغورس من الآراء العامة على الطبيعة ، وارتقت إلى إدراك الحركة اليومية لكوكبنا الأرضي ، فنعت بذلك السماء التي لا نهاية لها من أن تسلك الدوران حول نقطة تافهة في كل أربع وعشرين ساعة . فلسنا في حاجة لأن نقول بأن الرأي العام ثار على هذا الرأي الجليل ، فلا يمكن أن يطلب إلى القليل أن يطير إلى وكر الفرس . ولكن كانت قوة المعتقدات الراسخة بحيث منعت العقول الراقية من قبول هذا الرأي ، حتى عقلي أفلاطون وأرخيدس ، وهما العقلاء اللذان يتألفان نورا . وكان من عداد المكذبين أيضا الفلكيان هيبارك وبطليموس . حتى أن هذا الأخير لم يتمالك نفسه من الاغراق في القهقهة من مثل هذه الخزعبلات الفارغة . وقد وصف نظرية دوران الأرض بأنها مضحكة للغاية . هذا التعبير قارس جدا . وكأننا نرى من هنا بطن كاهن صالح من كهان ذلك العصر يضطرب ويتلوى من دعاية بثل هذه القوة وهو يقول : ما أكبر هذا السخف ! الأرض تدور ؟ لقد أصاب الفيثاغورسيين الخبل ، تلك أدمغتهم التي قدور ، .

ثم أخذ الأستاذ كاميل فلامريون يسرد تاريخ الاستكشافات العلية وما اتيه العلماء المستكشفون من المسكافات والاضطهادات . فذكر أن الفيلسوف الكبير

سقراط قبض عليه وقتل بالسم لأنه ترفع عن تصديق الخرافات التي كانت شائعة في زمنه . وأن الفيلسوف أناجراغور اضطهد وعذب لأنه زعم أن الشمس أكبر من شبه جزيرة ييلوبونيز ببلاد اليونان ١١١

وجاء بعده غاليليه بألني سنة فأحرق بالنار ، لأنه قال إن الأرض كرة صغيرة في هذه اللانهاية السماوية . ثم قال ما ترجمته حرفيا :

وقد حضرت في ١١ من مارس سنة (١٨٧٨) تقديم الفونوغراف الذي اخترعه اديسون إلى مجمع العلماء الفرنسي . فلما أدار مقدمة الآلة وتكلم الفونوغراف هب أحد العلماء الكبار وهو المسيو (بويو) من مكاه وأمسك بخناق الرجل ، وصاح في وجهه تعسا لك ! اتنا لا نتخدع لمشعوذ مثلك يتكلم من بطنه . وما هو أعجب من هذا أن هذا العالم أعلن بعد هذه الحادثة بستة أشهر أي في جلسة ٣٠ سبتمبر لمجمع العلماء بأنه درس مسألة الفونوغراف (درسا مدقعا) فرأى أن المسألة مسألة تدليس وأن الصوت الذي يرن منه ليس منبعثا من الفونوغراف ولكن من بطن مقدمه . ثم قال : (أي العلامة بويو) ولا يعقل أن يستطيع المعدن محاكاة الجهاز الصوتي الشريف للانسان ، فلم يكن الفونوغراف في نظره إلا من الأوهام !

ولما حلل الكيماوى الكبير (لافوازييه) الهواء إلى عنصريه الأوكسجين والأزوت ناز عليه أكثر من عالم عظيم . وانبرى له الكيماوى الأشهر (بوميه) أحد أعضاء المجمع العلمى ، ومخترع الأريومتر ورد عليه بقوله :

« إن العناصر أو الأصول المكونة للأجسام قد اعترف بها وتحقق منها الطبيعيون في جميع العصور وفي كل الأمم . وليس من المحتمل أن توضع هذه العناصر التي عرفت منذ ألني ستة بأنها بسيطة ، في عداد الأجسام المركبة ، كما أنه ليس من المحتمل أيضاً أن تعتبر حقيقة تلك الوسائل التي تقدم لنا لتحليل الماء والهواء ، ولا تلك الأدلة المستحيلة (ولا نقول أكثر من ذلك) ، الداعية إلى انكار وجود عنصرى النار والتراب . فان الخواص المعترف بها لهذه العناصر تتعلق بجميع المعارف الطبيعية والكيماوية التي تحصلنا عليها إلى الآن . وقد صارت هذه العناصر قواعد لعدد لا يحصى من مكتشفات ونظريات تبارى كلها في الوضوح

والجلاء . وهذه المكتشفات والنظريات يجب أن ترفع منها كل ثقة إذا اعتبر أن النار والهواء والماء والتراب غير عناصر أصلية .

ثم قال كاميل فلانريون عتب هذا :

« كل الناس يعلنون اليوم بأن هذه الأربعة العناصر ، التي دافع عنها بهذه الروح العظيمة من التقوى ، لا وجود لها . وإن الحق في جانب الكيماويين العصريين بتحليلهم الهواء والماء . أما عنصر النار الذي كان يقول عنه بوميه ومعاصروه بأنه الأصل المولد للطبيعة والحياة فلم يوجد إلا في خيال أولئك الأساتذة .

والعالم لافوازييه نفسه ليس يرى من مثل هذا الجحود العلمي ، فقد كتب للجمعية العلمية بحثاً مسهباً يثبت لها فيه استحالة سقوط الأحجار من السماء . وقد كانت تلك الأحجار وهي التيازك قد شوهدت في أماكن متعددة ، ورؤيت وهي ملتهبة ، ومع هذا كله أعلنت الجمعية العلمية بأن ذلك من الأمور التي لا يتصورها العقل . وفي سنة (١٦٢٧) سقط نيزك وزن ثلاثين كيلو غراماً في راتعة النهار ورآه العالم (غاساندى) بعين رأسه ولمسه وخصه ونسبه لنورة أرضية مجبولة ، مع أن التيازك عرفت بعد ذلك بأنها بقايا كواكب متحلطة ، تمر بها الأرض فتجذبها إليها ، فتسقط عليها من السماء .

« وقد كان الأساتذة الأرسططاليسيون يؤكدون في عصر غاليليه أن الشمس لا يمكن أن يكون عليها كلف وقد ثبت ذلك بعد بالحس .

ولما رأى العالم (جالماني) مكتشف الكهرباء بأن أرجل الضفادع التي كان علقها على قضبان الحديد في بيته قد اضطربت ، انهمك في درس سبب ذلك ونسبه للقوة الكهربائية ، هزى به الناس وسموه أستاذ رقص الضفادع . فكتب يقول سنة ١٧٩٣ . « لقد هوجمت بطائفتين متعارضتين العلماء والجهلاء . كلتا الطائفتين تهزآن بي وتسميانى أستاذ رقص الضفادع . ومع هذا فاني متحقق من أني قد اكتشفت إحدى القوى الطبيعية . »

« وفي هذا الوقت نفسه أنكر المجمع العلمي والمجمع الطبي المغناطيس الإنساني إنكاراً مطلقاً وعلقا تصديقهما به على نجاح (جول كاوكيه) في استئصال سرطان ثديي لامرأة بدون بنج ولكن بواسطة التنويم المغناطيسي وحده . »

• ولما اكتشف هارفى الدورة الدموية هزئت به جامعة الطب ، وعلقه بالسنة حداده .

• ولما قدم الماركيز جوفروا سنة ١٧٧٦ مشروع عمل السفن البخارية رماه الناس بالعتة ، وقالوا هل يتفق الماء والناز ؟ وعرضت الحكومة مشروعه على الجمعية العلمية لفحصه فقررت بأنه خيال ، فاشتد استهزاء الناس بالمخترع ونبذوه بالاللقاب . فنبغ عتبه (فولتون) وعرض مشروعه على أولى الأمر ، فلم يصادف غير ما صادفه سابقه ، فرحل إلى أمريكا وهناك لقي بعض المساعدة بعد جهد جهيد .

• ولما اكتشف فيليب لونون الاستصباح بالغاز ، نشر مشروعه فلم يأبه به أحد ، وسخر الناس منه ، ومات صاحبه ولم يجد لندائه ملياً ، وكانوا يردون عليه باستحالة وجود مصباح بدون فتيل . .

• ولما اكتشفت السكة الحديدية لنقل المسافرين والبضائع ، ثار الناس على المخترع وعدوه مخمقاً ، وكتب المهندسون الفصول الطوال لإثبات أن العجلات تدور على نفسها ولا تسير على القضبان . وقام العالم الرياضى المشهور (اراغو) فى مجلس النواب سنة ١٨٣٨ ، فأثبت فساد هذا المشروع وأفاض فى بيان جهود المادة وصلابة المعادن ومقاومة الهواء . وزعم أن هذا المشروع لو نجح أفضى إلى تقليل إيرادات النقل على الحكومة فتخسر بذلك مالا طائلاً . ثم ختم خطبته بقوله : « لتحذر من المضى مع الأوهام فإن مثلين متوازيين من الحديد (يريد القضبان) لا يغيران طبيعة أراضى غاسكونيا البور » .

• وخطب السياسى الكبير (تيرس) فى هذا الموضوع فقال : « أنا أسلم بأن مشروع السكة الحديدية يكون من ورائه (بعض الفوائد) مثل نقل المسافرين إذا قصر ذلك على بعض الخطوط القصيرة جداً والمنتحية إلى بعض البلاد الكبيرة ، كباريس ولا يجوز عمل خطوط طويلة . . .

• وقال الاقتصادى الكبير (برودون) : « إن من الآراء الساذجة المضحكة الزعم بأن السكك الحديدية تخدم فى تسهيل تبادل الأفكار » .

• ولما استشيرت الجامعة الطبية الملكية فى أمر السكك الحديدية أجابت بأنها إن تحققت توجب المضار الشديدة على الصحة العامة فتسبب الدوار للركاب والمشاهدين فى الخارج ونصحت بعمل حواجز عالية خشبية تحيط بالسكك الحديدية حيثما مدت (حتى لا يرى القطار أحد وهو سائر)

محمد فريد وجدي

النفس

« سورة البقرة »

لفضيلة الأستاذ الشيخ همام مجيب
عضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

« ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون » .

أما تلك الأحرف التي افتتح بها كثير من سور القرآن ، فسأفرد لها صحيفة مستقلة أبين فيها سر الافتتاح بهذه الحروف على وجه يسائر القرآن الحكيم ، كتاب الله المجيد الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تنفذ غرالبه ، بل كلما أطلت الفكرة فيه ازدادت رشادا ، وازدادت إعجابا ، وبدا لك ما يهرك من بالغ الأساليب ودقيق المعاني . وبعيد المغازي والمقاصد فلنبدا في التفسير بقوله تعالى ذلك الكتاب الخ الآيات ، ونحن إذا نظرنا في قوله تعالى : ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . نرى أنه بدأ بالإشارة إلى ما نزل على محمد بصيغة الإشارة للبعيد ، وأنه أبدل منه قوله الكتاب ، وأتبع ذلك بنى الريب عنه ، وأنه هدى للمتقين .

أما الإشارة بصيغة البعد فلأنه سأل المنزلة أينما توجهت إليه ، فإن نظرت إليه من ناحية تراكيبه فهو معجز البلغاء ، وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مدارك الحكماء ، وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه فهو أصدق محدث عن الماضين ، وأدق محدث لتاريخ الغابرين ، لهذا كان من الناظرين فيه في مكان السمو للبعيد ، فكانت الإشارة إليه بتلك الصيغة ثم أبدل منه قوله الكتاب ولفظة (ال) من شأنها في أسلوب اللغة العربية أن تعهد السامع مدخولها بعهد ذكرى

أو عهدى معنوى ، فقلوله الكتاب أى ذلك النور المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم الذى عرفتموه بواضح إرشاده وواسع ضيائه ، وببالغ حكمته ، ومنبلج حجته ، فكان ذلك ما عهدته الناس فيه .

(لا ريب فيه) وجرى بتلك الجملة معترضة بين المبتدأ والخبر ، لغرض سام هو ألا يخبر عنه بأنه الهدى للبتقين ، حتى ينفي عن ساحة كونه كتابا غبار الريب وغيوم الشكوك ، فلا يحمل كونه هدى عليه إلا والنفوس مقتنعة به حتى يستقر فى النفوس وصفه ، وتطمئن القلوب لآثاره ومقاصده ، وإنما صح نفي الريبة عن المفرد ، والريبة إنما تنفي عن النسب ، والنسبة إنما تكون فى التركيب التام لأن هذا المفرد قد اكتملت فيه نسبة وصفية . وهو أنه الكتاب المعهود برشاده وهداه ، وبلاغته وحكمته ، لهذا صح نفي الشك عنه .

وأما قوله هدى للبتقين . فذلك خبر المبتدأ ، ووقعت جملة لا ريب فيه حالا للاحتياط بتطهير ساحتها قبل الحمل عليه . فيكون المعنى ذلك الكتاب المعهود لكم أيها الناس حال كونه نقي الساحة موفور الضياء ، لا تدانيه ريبة ولا ينزل بساحته شك ، فمن أية ناحية نظرت إليه لمع برهان صدقه ، وسطعت حجة حقه . هو هدى ورشاد للبتقين ، الذين قدروا ربهم حق قدره فخشوه ، وعرفوه حق معرفته فخافوه ففسجوا من عبادة ربهم الواقيات ، ومن عظمت الخائلات بينهم وبين غضبه وعذابه وبحق إنه لا يعبد الله حق عبادته ، ولا يطيعه أصدق طاعته إلا من عرفه فقدره فخافه . وهنا قد يسأل سائل إذا بلغ الإنسان حد التقوى والخافة من الله ألا يكون قد بلغ إذ ذاك حد الهداية مما يشكل معه قوله (هدى للبتقين) ، إذ الذى يفهم لأول نظرة أن يكون الكتاب هدى للضالين ؟

ولنا جوابا على هذا نقول إن الهداية مراتب متفاوتة بتفاوت الناس ومراتبهم فى النظر والتفكير . فهداية المرء لأول إشراف الرشاد على قلبه ، غير هداية المرء بعد أن يمر فى النور مرحلة أو مرحلتين ، وهما غير هداية المرء حين يعمق فكره وتطهر نفسه ، ويبلغ غاية فى الرشاد تدوم بها مراقبته ويستمر بها من الله خوفه .

والذى أريد من الهداية ها هنا هو هدى من ساروا فى الرشاد مراحل وبلغوا حد مداومة الرقابة ، ولا شك أن المرء كلما زاد من الله خوفه ودامت له رقابته

زاد للقرآن إدراكه وعمق فيه فهمه وتواردت على نفسه دواع من الهدى لم يعدها وأشرقت على قلبه مصايح من الرشاد لم تسبق له من قبل . وتلك الهداية هي الهداية الواسعة العميقة التي من حقها أن تكون أول ما يعزى للقرآن وأما ما قبل تلك المراتب فهو بمثابة ضياء الفجر يتقدم الصباح وضياء الصباح يتقدم شروق الشمس . فصح أن يكون الكتاب هدى للذين اهتدوا واتقوا وعملوا الصالحات .

ولما كان خوف الله ورقابته مما يبعث في العقول بالغ الإدراك ، ويزيد في النفوس واضح الأشراق مما يدق به النظر في بدائع الكون ، وما فيه من آيات بينات على عظمة الله ، وبالعكس حكمته ومحيط قدرته ، لما كان كذلك تراه قد بين أوصاف المتقين بقوله الذين يؤمنون بالغيب الخ تلك الأوصاف ، إذ أن معنى الإيمان بالغيب هو أن عقولهم اتسع إدراكها وتفتحت عنها غشاواتها ، وامتد نظرها في الكائنات فأدركت أن لتلك الآثار ، وهذه الأكوان ، وتلك الآيات الينيات مبدعاً حكيماً وغالطاً قادراً ، واحداً لا شريك له ، وإلا لما دام نظامها دواماً أبدئياً ، ولدانها حيناً ما اختلال أو ارتباك ، أو وقفة أو اضطراب ، بل لا ترى إلا آيات محكمات ونظاماً مضطرباً ، كواكب تشرق وتغرب وسماء مرفوعة بغير عمد ، وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب ، فمكان من ذلك لتلك العقول براهين قاطعة وحجج ساطعة على وجود خالق جبار ، وحكيم قدير ومبدع لا تأخذه سنة ولا نوم ، فأمنت به حق الإيمان ، وامتلات بعظمته وخضعت لكبريائه . واستتبع ذلك لديها أن تلك الآيات الواضحات التي أقيمت في الآفاق وفي الأنفس ، وتلك الرسل الداعية للهدى وتلك الكتب المشرقة بالرشاد ، لم يكن كل ذلك لتنظيم تلك الحياة فحسب ، بل للاستعداد لحياة أطهر ، ونعيم أمد وأوسع ، وقرب من الله يكون الناس به أشد إحساساً وأقرب منزلة ، ذلك هو إيمان المتقين بالغيب ، بالله واليوم الآخر نتيجة لرشادهم المفضى لرقابته ، وتمواهم الله تعالى .

ذلك هو أول وصف تلتهج القوى وهو الإيمان بالغيب ، وكذلك من آثار التقوى وتنتائجها بعد اقتناع النفوس بعظمة ربها وبأنها راجعة إليه يحاسبها على صغير ما عملت وكبيره ، ودقيقه وجليله من آثارها بعد ذلك هو الانبعاث أن تبدي من مظاهر العبودية وخوف الله ما يحس ، فإنها إذ بلغت ذلك الحد لا يكفيها

ذكرى العقول، وخشعة القلوب، بل لابد أن تقوم لربها بأخضاع الجوارح واستعمالها في عبادته مما تتم به مظاهر عبوديته، وليس هناك مظهر تتجلى فيه عبودية المرء وخشوعه لمولاه وأعظامه لحالقه أكثر من الصلاة، فقال ويقومون الصلاة فجعل إقامتها الأثر الثاني لتقوى الله ورقابته، وبحق هي أوفى مظاهر العبادة بحقوق العبودية، وواجب الشكر والأعظام للكبير المتعال، الخالق الرازق الهادي الحكيم فإن العبد بالصلاة تراه بادئاً لتلك العبادة بالاذعان بأن الله أكبر كل شيء وأعظم كل شيء، فكل كائن إلى عظمتة حقير، وكل عال ومنخفض، ومضني ومظلم إلى كبريائه حقير، ثم يثنى بعد ذلك بقراءة فاتحة الكتاب وفيها استذكار نعم الله على العبد مما يوجب حمده، والاعتراف بالربوبية له، والشعور برحمته، واليقين بملكه للدنيا والآخرة، مما يوجب قصر استمداد الاستعانة عليه تعالى، وقصر الأعظام والإكبار عل المنعم عليه، مما يدفعه إلى الشعور بقصر قوته عن أداء ما يجب لحالقه فيطلب منه الهداية لأقوم الطرق والإرشاد لاقتفاء آثار المنعم عليهم، والبعد عن متابعة الغاوين الضالين، وإذ تبلغ نفسه ذلك الحد من الاتصال، فإنه لا يسعها أن تبقى على اعتدالها، بل لابد أن تزيد في الخضوع بالركوع ولا يكفيها ذلك إذ بلغ منها الأعظام أن تركع بل لابد أن تمس الأرض بأسمى مظهر فيها وهو الجبين خضوعاً لله، وخوفاً منه وخشية له.

تلك هي الصلاة، وتلك هي العبادة التي استتبعها الإيمان بالغيب.

ولما كان وصول العبد في الاتصال بربه قد بلغ هذا الحد يرى العبد إذ ذاك أن مظاهر الاستجابة لله لا ينبغي أن تقصر على مظاهر العبودية، بل لابد أن يكون لها من الأثر أوسع من ذلك وأظهر، فلا بد أن يكون لشكره وحده آثاراً متعددة، وذلك هو معونة الغير بما أعطى من مال شكر الله على ما أنعم به عليه، فكان أن ينفق مما رزق، وأن يمد المحتاجين بما أعطى، وإن في رحمة الناس رضا من الله وفي معونة الناس إعانة من الله كبرى، فالمتفق والمخلص الخائف المتق، إنما يستمد بالإتفاق على الناس رضا ربه ومعونته، ذلك قوله وبما رزقناهم ينفقون.

(يتبع)

الربا

في نظر القانون الإسلامي

تعريب المحاضرة الفرنسية التي ألقتها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء
ومندوب الأزهر في مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس في ٧ يوليو سنة ١٩٥١ م

حقيقة حكم الربا في الإسلام أخذاً من المصادر الأولى للتشريع

— ٢ —

هكذا نصل من طريق هذه النظرة التاريخية إلى صميم الموضوع القانوني .
ما حقيقة الأمر في نظر الشريعة الإسلامية ؟ هل الإسلام يبيح الربا اليسير ؟
سأورد على مسامعكم ، أيها السادة والسيدات ، نصوص الشريعة الإسلامية
من منابعها الأولى ، تاركاً لكم أن تستخلصوا منها الجواب بأنفسكم .

(١) القرآنة :

ولقد يكون من المفيد في صدر هذا البحث أن نذكر أنفسنا بطبيعة المنهج
التعليمي في القرآن ، حينما يكون بصدد محاربة بعض الرذائل التي تأصلت في العرف
العام ، والتي توارثتها الأجيال خلفاً عن سلف ، في أحقاب متطاولة .
ذلك أن القرآن في معالجته لهذه الأمراض المزمنة لا يأخذها بالعنف
والمفاجأة ، بل يتلطف في السير بها إلى الصلاح على مراحل متريثة ، متصاعدة ،
حتى يصل بها إلى الغاية .

كلنا نعرف ما كان منه في شأن الخمر ، وأنه لم يطله بجرة قلم ، بل لم يحرمه
تحريماً كلياً إلا في المرحلة الرابعة من الوحي . أما المرحلة الأولى (التي نزلت
في مكة) فإنها رسمت الوجهة التي سيسير فيها التشريع . وأما المراحل الثلاث (التي نزلت
بالمدينة) فكانت أشبه بسلم : أولى درجاته بيان مجرد لآثار الخمر وأن إثمها أكبر
من نفعه ، والدرجة الثانية تحريم جزئي له ، والثالثة تحريمه التحريم الكلي القاطع .
فهل يطيب لكم أن تدرسوا معي المنهج التدريجي الذي سلكه القرآن في مسألة الربا ؟

إنه لمن جليل الفائدة أن تتابع هذا السير لنرى انطباقه التام على مسلكه في شأن الخمر ، لا في عدد مراحلها فحسب ، بل حتى في أما كن نزول الوحي ، وفي الطابع الذي تتسم به كل مرحلة منها .

نعم ، فقد تناول القرآن حديث الربا في أربعة مواضع أيضاً ، وكان أول موضع منها وحياً مكياً والثلاثة الباقية مدنية . وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة مشابهاً تمام المشابهة لمقابله في حديث الخمر .

ففي الآية المسكية يقول الله جلّت حكمته : « وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون » (سورة ٣٠ - آية ٣٩) هذه كما ترون موعظة سلبية : إن الربا لا ثواب له عند الله . نعم ، ولكنه لم يقل إن الله ادخر لآكله عقاباً . وهذا بالضبط نظير صنيعة في آية الخمر المسكية (١٦ / ٦٧) حيث أوماً برفق إلى أن ما يتخذ سكرأ ليس من الرزق الحسن ، دون أن يقول إنه رجس واجب الاجتناب . ومع ذلك فإن هذا التفريق في الأسلوب كان كافياً وحده في ايقاظ النفوس الحية ، وتنبهها إلى الجهة التي سيقع عليها اختيار المشرع الحكيم .

أما الموضع الثاني فكان درساً وعبرة قُصها علينا القرآن من سيرة اليهود الذين حرم عليهم الربا فأكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم . وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها ضرب من تحريم الربا على المسلمين ، ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح والتعريض لا بالنص الصريح . ومهما يكن من أمر فإن هذا الأسلوب كان من شأنه أن يدع المسلمين في موقف ترقب وانتظار لنهى يوجه اليهم قصداً في هذا الشأن ؛ نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية في الخمر (٢١٩ / ٢) حيث استشرفت النفوس إذ ذاك إلى ورود نهى صريح فيه ؛ وقد جاء هذا النهى بالفعل في المرحلة الثالثة ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئياً : في أوقات الصلوات (٤٣ / ٤) .

وكذلك لم يحى النهى الصريح عن الربا إلا في المرتبة الثالثة ، وكذلك لم يكن إلا نهياً جزئياً ، عن الربا الفاحش : الربا الذي يتزايد حتى يصير ، أضعافاً مضاعفة ^(١) ، (١٣٠ / ٣) .

(١) هذا هو النص الذي اعتمد عليه أصحاب نظرية الرخصة في الربا اليسير . وسرى تفسيره قريباً .

وأخيراً وردت الحلقة الرابعة التي ختم بها التشريع في الربا (بل ختم بها التشريع القرآن كله على ما صح عن ابن عباس) وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد عن رأس مال الدين حيث يقول الله تعالى: «يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين». فان لم تفعلوا فائذنوا بحرب من الله ورسوله. **وإنه نعيم فلنكم رؤوسكم ولا تظلموه ولا تظلموه**. وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة. وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. (٢ / ٢٧٨ - ٢٨١).

هذه أيها السادة والسيدات نصوص التشريع القرآن في الربا مرتبة على حسب تسلسلها التاريخي.

وإنكم لترون الآن أن الفئة التي تزعم أن الإسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره (وهي فئة من المتعدين الذين ليس لهم رسوخ قدم في علوم القرآن) لم تكف بأنها خالفت إجماع علماء المسلمين في كل العصور، ولا بأنها عكست الوضع المنطقي المعقول حيث جعلت التشريع الإسلامي بعد أن تقدم إلى نهاية الطريق في إنعام مكارم الأخلاق يرجع على أعقابها ويتبدل إلى وضع غير كريم؛ بل إنها قلبت الوضع التاريخي، إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية، بينما هو لم يكن إلا خطوة اتقالية في التشريع: لم يختلف في ذلك محدث ولا مفسر ولا فقيه.

على أننا لو فرضنا المحال ووفقنا معهم عند هذا النص الثالث فهل نجد فيه ربحاً لقضيتهم في التفرقة بين الربا الذي يقل عن رأس المال، والربا الذي يزيد عليه أو يساويه؟

كلا، فإنه قبل كل شيء لا دليل في الآية على أن كلمة الاضعاف شرط لا بد منه في التحريم، إذ من الجائز أن يكون ذلك عناية بدم نوع من الربا الفاحش الذي بلغ مبلغاً فاضحاً في الشذوذ عن المعاملات الإنسانية من غير قصد إلى تسويغ الأحوال المسكوت عنها التي تقل عنه في هذا الشذوذ، ومن جهة أخرى فان قواعد

العربية تجعل كلمة ، أضعافاً ، في الآية وصفا للربا لا لرأس المال كما قد يفهم من تفسير هؤلاء الباحثين . ولو كان الأمر كما زعموا لكان القرآن لا يحرم من الربا إلا ما بلغ ٦٠٠ ٪ ^(١) من رأس المال . بينما لو طبقنا القاعدة العربية على وجهها لتغير المعنى تغيراً تاماً ، بحيث لو افترضنا رباً قدره واحد في الألف أو المليون لصار بذلك عملاً محظوراً غير مشروع بمقتضى النص الذى يتمسكون به .

أما القول بأن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفون إلا الربا الفاحش الذى يساوى رأس المال أو يزيد عليه فإنه لا يصح إلا إذا أغضضنا أعيننا عما لا يخص من الشواهد التى نقلها أقدم المفسرين وأجدرهم بالغة . ولقد كان الشعب العبرانى - الذى يعيش والشعب العربى فى صلة دائمة منذ القدم - يفهم من كلمة الربا كل زيادة على رأس المال ، قلت أو كثرت . وهذا هو المعنى الحقيقى والاشتقاق للكلمة ، أما تخصيصها بالربا الفاحش فهو اصطلاح أوربى حادث ، يعرف ذلك كل مطلع على تاريخ التشريع .

وبعد فإننا لا نستطيع أن نطيل الوقوف عند هذا النص الانتقالى ، لأن الذى يعنى رجل القانون فى تطبيق الشرائع إنما هو دورها الأخير . وقد بينا أن الدور الأخير فى موضوعنا إنما تمثله الآيات التى تلونها آنفاً من سورة البقرة . كما رأينا أن الشريعة القرآنية تتجه كلها منذ البداية إلى استنكار كل تعويض يطلب من المقرض . أفلا يكون من التناقض أن هذه الشريعة التى تضع الإحسان إلى الفقير فى أبرز موضع من قانونها والتى تحت على إنظار المعسر ، أو على ترك الدين له ، تعود فتأخذ منه بالشمال ما منحه باليمين ، إذ تأذن للفنى بأن يطالبه ببعض الزيادة على الدين ؟

(١) ذلك لأن الربا الذى يكون أضعاف رأس المال [بصفة الجمع] لا بد أن يصل إلى ثلاثة أمثال رأس المال . فإذا خوضت هذه الأضعاف الثلاثة كان ستة أمثاله . وذلك ما لم نره فى معاملة أشجع المرايين ، ولم نسمع به فى تشريع سابق ولا لاحق ، فيكون القرآن على رأيهم متخلفاً عن جميع القوانين فى هذا الشأن ،

(ب) السنة :

إلى جانب هذه النصوص القرآنية ، نجد في بيان السنة النبوية ما هو أكثر تفصيلا وأشد صرامة ، فإن الرسول صلوات الله عليه لم يكتف بتحريم الربا على آكله كما ورد في القرآن الكريم ، ولم يكتف بجعل المعطى والآخذ والساكن والشاهد سواء في اللعن والإجرام ، بل إنه أحاط هذه الجريمة بنطاق من الذرائع والملابسات جعلها محرمات تحريم الوسائل الممهدة إلى الحرمة الأصلية .

والطريف في أمر هذه الإضافة أنه جعل التحريم فيها على مراتب متفاوتة في تدرج حكيم ينتقل من الحظر الكلي إلى الإباحة التامة رويداً رويداً ماراً بكل المراتب المتوسطة بينهما .

هذه القاعدة الجديدة ليس موضوعها القروض ، ولا الديون المقررة ، بل عقود البيع أو بالأحرى المقايضات . فبعض هذه المقايضات حظر الرسول الحكيم أن تكون مؤجلة ، ولو بدون ربح ؛ وأن يؤخذ فيها ربح ^(١) ولو كانت يداً بيد . وبعضها منع التأجيل فيها دون التفاضل ؛ وبعضها لم يمنع فيها واحداً منهما . وإليك نص التشريع المذكور في شأن المقايضات .

يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، ^(٢) والقمح بالقمح ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، يداً بيد ، سواء بسواء . فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » .

وقف أهل الظاهر بهذا الحظر عند الأنواع الواردة في الحديث . وذهبت

(١) هذا المحذور [الذي يسميه الفقهاء ربا الفضل] وسميه ابن القيم الربا الحثي [كان موضع اختلاف بين الصحابة وكان جمهورهم على الدول بحرمته . أما بعض الباحثين المصريين الذين ظنوا أن هذا الاختلاف كان في شأن الربا القليل فقد انتقل نظرهم والتبس عليهم الأمر التباساً يؤسف له .

(٢) وفي رواية أخرى : « الفرم بالفرم والدينار بالدينار الخ » ويلوح أن هذه الرواية هي التي اعتمد عليها ماوية في فتاوه . انظر الحاشية الآتية قريباً .

سائر المدارس الفقهية الى اعتبار هذه الانواع أمثلة من قاعدة عامة تنطبق على سائر المواد التي تقوم عليها الحياة والتي مردها - في رأى الراجح عند الفقهاء - الى نوعين : الأثمان والمطعومات .

ومهما يكن من أمر في شأن هذا الاختلاف الفرعى ، فإن هذه التاعدة تقضى بتقسيم الأشياء التي يراد تبادلها إلى ثلاثة أضرب : « الضرب الاول ، أن يكون البدلان من نوع واحد ، كالذهب بالذهب ؛ فها هنا يخضع التبادل لشرطين اثنين : التساوى في الكم ، والفورية في التبادل ، أعنى عدم تأجيل شيء من البدلين . » الضرب الثانى ، أن يكونا من نوعين مختلفين من جنس واحد ، كالذهب بالفضة وكالقمح بالشعير ؛ فهنا يشترط شرط واحد ، وهو الفورية ، فلا يضر اختلاف الكم . » الضرب الثالث ، أن يكونا من جنسين مختلفين كالفضة والطعام ، فلا يشترط في هذا شيء من القيدين المذكورين ، بل يكون التقايض فيهما حراً .

هكذا كلما كان البدلان من طبيعتين مختلفتين تمام الاختلاف ، بحيث لا توجد شبهة القصد إلى القرض بفائدة ، فإن الشريعة لا تضع أمام حرية التبادل حداً من الحدود ، اللهم إلا المبدأ العام في المعاملة ، وهو تحرى الصدق والأمانة . فإذا ما أخذت طبيعة البدلين تتقارب ، بدون أن تتحد ، نرى عند المشرع شيئاً من الحذر المعقول ، المبني على احتمال أن يكون المتعاملان يقصدان إلى معاملة ربوية ؛ ولذلك نجده مع ترخيصه لها بتفاوت البدلين في الكم يحظر عليهما تأجيل أحد العوضين ، سداً للطريق أمام فكرة القرض المحرم تحت ستار البيع . أما إذا اتحدت طبيعة البدلين (مع التفاوت في الأوصاف والقيم طبعاً ، وإلا لما كان هناك معنى للتبادل) فإنه من السهل أن نفهم الحكمة التي من أجلها منع تأجيل البدل ، وذلك أن من شأن هذا التأجيل أن يحمل في طيه فكرة محظورة ، وأن يكون القصد هو القرض باسم البيع .

ولكن الذى يصعب فهمه هنا هو إلزام المتبادلين في حال الدفع على الفور بأن تتساوى الكيتان المتبادلان بينهما . فهل معنى ذلك أن الشريعة تتجاهل إلى هذا الحد فروق الكيفيات التي في كل من العوضين ؟

إن الجواب على هذا السؤال نجد مفتاحه في الحديث الذى رواه مسلم في جامعه

الصحيح . يروى لنا هذا الإمام أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التمر . فقال له النبي : « ما هذا من تمرنا » فقال الرجل : يا رسول الله بعنا تمرنا : صاعين بصاع فقال صلى الله عليه وسلم : « ذلك الربا . ردّوه ، ثم بيعوا تمرنا ، ثم اشترؤا لنا من هذا » .

ها هنا نلح الهدف الذي ترمى اليه القاعدة ، ونطمئن إلى أنه ليس من شأنها أن تفرض على المتبادلين - اعتبارا أو تعتنا - تساوى الكمية بين صنفين مختلفين من نوع واحد ، بل أنها على العكس من ذلك فتحت لها باب الاختيار بين أمرين يتمتع معهما كل قهر وإلزام ؛ ذلك أنها خيرٌ -تُهما بين أن يتغاضيا عن الفروق الطفيفة التي بين الصنفين ، أو أن يلجأ في تقدير تلك الفروق إلى حكم القيمة التقديرية .

ونحن إذا تأملنا في هذا الوضع نجد أنه ينطوي على حكمة عميقة ويقوم على مبدأ سليم من مبادئ التشريعين المدني والاقتصادي . ذلك أنه حيث يكون هناك كميّتان متساويتان من نوع واحد ولكن أحدهما تمتاز بجودة أو صافها ، لا يكون هناك مجال للتردد : أي المتبايعين أو فر حظا ؟ فالذي يقبل الصنف الأقل جودة يقبله بملء حرّيته عن سماحة نفس وكرم طبع ، وهو عالم بما يفعل . وليس الأمر كذلك في الحال التي تكون فيها الجودة من ناحية يقابلها وفرة في الكمّ من الناحية الأخرى ؛ إذ نرى هاهنا تقابلا بين أمرين ليس بين طبيعتهما مقياس مشترك ثابت ، صالح لتقويم كل منهما بالنسبة إلى هذا الحد المشترك ، ثم بالنسبة إلى الطرف المقابل . والواقع أنه في هذا النوع من التبادل يلجأ كل من المتعاملين في نفسه إلى فكرة غامضة ، وهي إرادة التضحية بما هو أدنى في سبيل ما هو خير منه . وهكذا يصبح قبولها الظاهري للصفقة قبولاً زائفاً ، وقد ينكشف عن خيبة أمل ولا يخرج من هذا اللبس إلا بالرجوع إلى القيمة الثمينة لكل بضاعة على حدة ، ثم إلى المقارنة بينهما على ضوء هذا المقياس الثابت . وهذا (الرجوع إلى المقياس الثابت) هو المعنى الذي قصد التشريع الإسلامي إبرازه حتى يكون كل من طرفي العقد على بينة في معاملته المالية ، وحتى يحتجبا التدليس ، ويتطهرا من السحت المأخوذ بالحيلة والمكر .

فإذا صح ما ذهبنا إليه في تفهم مقاصد الشريعة من هذا الحكم لم يبق هناك

حرج قط - كما أوضحه ابن القيم^(١) في أعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٧٣ - في أن تباع المصوغات الذهبية بأكثر من وزنها ذهباً ، أو المصوغات الفضية بأكثر من وزنها فضة . ذلك لأن قيمة الصنعة قد قدرت هنا بمقياسها الواضح المحدد ، الذى لا يدع مجالاً لتزييف تراضى المتابعين .

على أن هذه الرخصة فى المبادلة بين الصياغة والتقد لا ينبغي أن تسرى على التبادل بين تقدين من نوع واحد مع اختلافهما فى الأوصاف ؛ بل الاعتماد فى التقدين على تساوى العوضين وزناً (بدون اعتبار لجمال الضرب أو جدته أو عدد قطعه أو غير ذلك) هو الحل العادل ، أو هو أعدل الحلول ؛ إذ لو اعتبرت هذه الصفات ونحوها فى التقود مبررة لزيادة قيمتها فى المبادلة ، إذأ لأصبحت التقود نفسها بضاعة ، وصارت معرضاً للتضاربة وتقلب الأسواق ، وعادت محتاجة إلى معيار آخر لتقدير قيمتها ، بدل أن تكون هى المعيار لغيرها .

ولكى نلخص فكرتنا عن القواعد التى وضعها التشريع النبوى فى باب التبادل والتقايض ، نقول : إن هذه القواعد تهدف إلى غرض مزدوج :

ففى من إحدى الجهتين تريد أن نحمى التقود والأطعمة ، وهما أهم حاجات الجماعة وأعظم متوهمات حياتها ، وذلك بمنع وسائل احتكارهما أو إخفائهما من الأسواق ، أو تعريضهما للتقلبات الثمنية المفاجئة . .

وهى من الجهة الأخرى تحرص على حماية الفقراء والأغرار من طرق الغبن والاستغلال التى يتبعها بعض التجار الجشعين .

وواضح أن تسمية الربح المجتلب من طريق هذا التبادل الذى تنقصه الصراحة والأمانة باسم الربا ، إنما هى تسمية مجازية قصد منها إلى إبراز ما فيه من مخالفة لقانون الأخلاق ، ومجافاة لقواعد الرحمة الإنسانية . وذلك بتشبيهه بالربا الحقيقى الذى هو مثل فى السحت وأكل المال بالباطل . [للبحث تكملة]

(١) سلفه فى هذه الفتوى معاوية بن أبى سفيان . ويحالفه فيها عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو الدرداء . راجع انوطاً فى كتاب البيوع ، باب بيع الذهب والفضة . ويرى ابن القيم أن هذا الاختلاف إنما هو فى الصياغة المحرمة كصياغة الآنية . وعلى هذا تكون الصياغة المباحة محل اتفاق على جواز الفضل فيها تقدأ .

لغويات

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

وما بنا ألف قد جمعاً يكسر في الجر وفي النصب معاً
قد يأخذ قارئ اللغويات العجب أن يكتب بيت من الألفية في هذا الموطن .
وما شأن الألفية باللغويات ١ وللألفية مجال في موطن الدرس ، وخطوة فيها
جليلة ، ولعل كتاباً لم يحظ بما حظيت به الألفية في الانتشار والإقبال ، وخدمة
العلماء لها بالشروح والخواشي . وليطمئن القارئ ، فما كان من همي هنا أن أتناول
بيت الألفية بالشرح والتقرير ، والإيضاح والإبانة . وإنما حداني على إirاده هنا
أنه وقع بحث وجدل طويل الذيل حول قراءة « بنا » في البيت . فهل يقرأ
بتنوين ، تا ، أو يقرأ دون تنوين . والتنوين في هذه الكلمة وأمثالها يكاد لا يعرفه
الناس ، فقد درجوا على قراءة أمثال هذا دون تنوين . ويمائل هذا البيت قول
ابن مالك أيضاً :

واقرن بقا حتما جوابا لو جعل شرطاً لأن أو غيرها لم يجعل
وكذلك قوله :

طا تا افتعال رد إثر مطبق .

والنظر هنا إلى « طا ، لا إلى ، تا افتعال ، فإن ، تا ، فيه مضاف ، فهو غير ممنون .
والخلاف في قراءة هذه الكلمات قديم ، فقد عرض له الراعي النحوي الأندلسي
الذي نقلنا ^(١) عنه في إحدى اللغويات السالمة . فقرأه يقول في المسألة السابعة
والعشرين من كتابه ، الأجوبة المرضية عن الأسئلة النحوية :

« سمعت كثيراً من صدور الطلبة يهملون يحدفون التنوين من « بنا ، في قول
ابن مالك :

وما بنا وألف قد جمعا .

ومثله قوله في آخر الألفية :

ذو اللين فانا في افتعال أيد لا

فقرأته على بعضهم ، وسألهم عن ، طا ، في قوله :

طا تا افتعال ...

فنونه ، فطلبته بالفرق فاقطعوا ، ولم يعرفوا أصل المسألة ، وبلغنى أن بعض كبار الشيوخ سئل عن ذلك فتوقف . وسألنى بعضهم عن ذلك .

وسأعرض لهذه المسألة بشيء من البسط :

إن الكلمات التى هى موضوع الحديث فى الأصل حروف هجائية . وهى من بين الحروف الهجائية ، ثنائية نائنها ألف . والكلمات الهجائية عامة لها حالتان :

١ - الحالة الأولى أن تستعمل للتهجى وتعليم الصبيان . وهى فى هذه الحالة موقوفة ، أى ساكنة غير منونة . ولا يدخل عليها عامل فى هذه الحالة . ويرى سيويه ، أنها مثبتة ؛ لأنها تشبه الاصوات . ويرى فريق أنها موقوفة لا معربة ولا مبنية ، وللتحويين خلاف طويل فى هذا لا يعنينا فى هذا المكان .

٢ - الحالة الثانية أن تخرج عن حالة التهجى وتجعل أسماء ، وتدخل فى التراكيب ، ويتسلط عليها العامل النحوى . فتقول مثلاً : كتبت باء وفاء ، وهكذا .

ويرى سيويه فى هذه الكلمات الثنائية إذا انقلبت إلى طور الأسماء أن تحور ثلاثية ، وتهجر الثنائية التى كانت عليها . وذلك بإضافة همزة إليها ، فيقال : بام ، وتام ، وفام ، ورام ، وهكذا . وهذه الهمزة جاءت بدلاً من الألف التى لحقت الكلمة تضعيفاً لآخرها ، وهو الألف ؛ كما لو سميت بلا وما ، فتقول : لام ، ومام ، ونحن فى هذا نتبع العرب إذا سميت بالأداة الثنائية التى ثنائها حرف لين ، فقد قالت فى (لو) إذا جعل اسماً (لوًا) بالشديد ؛ كما قال :

الام على لو ولو كنت عالماً بأذئاب لو لم تفتنى أوائله

وهذه الكلمات فى هذه الحالة وقد صارت ثلاثية معربة منونة ؛ إذ ليس

ما يوجب بناءها ولا حرمانها تنوين الصرف . وهي ممدودة لا تنصرف إلا لضرورة الشعر .

وهالك قول سيويه^(١) : « وأما الباء ، والتا ، والتا ، واليا ، والحا ، والرا ، والطا ، والفا ، فإذا صرن أسماء ممددن كما مَدَّتْ لا ، ويريد بجعلها أسماء أن تخرج عن التهجى وتدخلها في التراكيب . وقوله : « كما مَدَّتْ لا ، أى إنك تضعف الحرف الثانى - وهو الألف - فيجتمع ألفان ، فبديل من الثانى همزة ، كما تفعل فى لا إذا سميت بها ، فتقول : لاء . ويقول السيرافى فى كتابه على هذا الموضع من الكتاب : « وهذه الحروف التى ذكرها - من الباء إلى الفاء - إذا بذناها ، فكل واحد منها على حرفين الثانى منهما ألف . فهى بمنزلة لا وما . فإذا جعلناها أسماء ممددا ، فقلنا : باء ، وتاء ؛ كما تقول : لاء ، وماء ، إذا جنحنا إلى جعلها أسماء » .

ويقول ابن جلى فى سر الصناعة :^(٢) « اعلم أن هذه الحروف ما دامت حروف مجاء سواكن إلا و آخر فى الدرج والوقف ؛ لأنها أصوات بمنزلة حصة وممة . فإن وقعت موقع الأسماء أعربت . ويقول أيضا : « فأمّا ما كان نحو با ، تا ، حا ، طا ، فإنك متى أعربته لزمك ألى تمدّه ، وذلك أنه على حرفين الثانى منهما حرف لين ، والتنوين يدرك الكلمة ، فيحذف الألف لالتقاء الساكنين . فيلزمك أن تقول : هذه ظأ يا فتى ، ورأيت ظأ حسنة ، ونظرت إلى ظأ حسنة ، فيبقى الاسم على حرف واحد ... فإذا كان الأمر كذلك زدت على ألف با ، تا ، طا ، حا ، ونحو ذلك ألفاً أخرى ؛ كما رأيت العرب فعلت لما أعربت ، فقالوا :

ليت شعرى وأين رَمْنَى ليت إن ليتاً وإن لوأ غنام

فكما زادت العرب على هذه الواو واو أخرى ، وجعلت الثانى من لفظ الأول لأنه لا أصل له فترجع إليه عند الحاجة إليه كذلك زدت على الألف من با ، تا ، ألفاً أخرى ... فصار التقدير با ا ، تا ا ، طا ا ، ها ا فلما التقت ألفان ساكنتان

[١] الكتاب ٣٤/٢ [٢] انظر الخزائنة فى المعاهد التاسع [٣] انظر أواخر سر الصناعة .

لم يكن من حذف إحداهما أو حركتها بُدّ، فلم يَسْخُحْ حذف إحداهما لئلا تعود إلى القصر الذي منه هربت، فلم يبق إلا أن تحرك إحداهما. فلما وجب التحريك لالتئام الساكنين كانت الألف البانية بذلك أخرى؛ لأنك عندها ارتدعت؛ إذ كنت إليها تناهيت. فلما حركت النانية قلبتها همزة.

وكذلك صنع أيضاً المرضى^(١) في شرحه للكافية.

وعلى ما أبدناه من رأى سيوييه ومن تبعه تكون هذه الكلمات النائية في الأصل إذا دخلت في التركيب بمدودة معربة منونة عند عدم الإضافة وأداة التعريف، ولا يجوز قصرها في الاختيار، وإنما تُقصر في ضرورة الشعر، فإذا قصرت في الشعر نونت وبقيت الكلمة على حرف واحد، وهذا ورد منه حرف شاذ حكاه السكاساني، وهو شربت ما يافقي.

وعلى هذا يقرأ بيت أبي مالك الذي صدرنا به الحديث:

وما بتا وألف قد جمعا.

وهكذا ما مائه.

وعلى هذا مشى الشاطبي في شرحه للألفية، فهو يقول عند قول ابن مالك:

بتا فعلت وأنت ويا افعل ونون أقبلن فعل ينجلي

، وقصر (تافعلت) و (يا افعل) ضرورة. وكان الأصل أن يقول: بتاء فعلت، ويا افعل. وقد جاء مثله في الكلام شاذاً؛ حكى السكاساني: شربت ما يافقي، ويقول عند قول ابن مالك:

وماضي الأفعال بالتأمر* وسم.

، وقصر التاء ضرورة كما تقدم، وهذه عاداته في أمثال ذلك، لا يتحاشى عنه ولا عن غيره من الضرورات الشعرية واللغات النادرة لداعية الوزن والقافية.

وكذلك يفعل المغرب الشيخ خالد، فهو في إعراب الألفية يحمل أمثال ما نحن فيه على الضرورة، ويقول الصبان عند البيت الذي هو في صدر البحث:

« (قوله بتا) بالتنوين ؛ لأنه مقصور للضرورة على ما مر ، والمقصور إذا لم تدخل عليه أل ولم يضاف ولم يوقف عليه ينون . »

وبذلك يجيب الراعى ، فهو يقول : . والجواب أن حذف التنوين منها غلط ؛ لأن تا ، وفا ، وطا ، ونحوها من أسماء الحروف ثلاثية الحروف ولا بها همزة ؛ لأن أصلها تاء وفاء وطاء ونحو ذلك بهمزة في الآخر ، فلما اضطر الشاعر حذف الهمزة ضرورة على غير قياس ؛ كما حذف لام يد ودم في الفصح على غير قياس أيضاً ، فعاد الإعراب لذلك ، وعاد التنوين لما قبل الألف فتون ، كما كان ذلك في عصا وفتى ؛ لأن أسماء الحروف لا موجب لمنع صرفها ؛ لأنها نكرات ، ولذا يصح دخول أل عليها ، ولا بد لها من تنوين التمسكين ، والتنوين لا يصحب ساكناً وإنما يصحب المتحرك ، فيتبع آخر حركة الاسم ، فصار مقصوراً كما مر . وإنما غرّ الجماعة فيه حذف التنوين من (تا) في قوله : بتا فعلت وأنت ويا افعل ، وسيأتى أنه مضاف لفعلت . »

وقد أحسن الراعى ما شاء له الإحسان في هذا البيان والإيضاح . غير أن قوله : . لأن تا وفا وطا ونحوها من أسماء الحروف ثلاثية الحروف ، لم يعجب بعض الناظرين في كتابه ، فكتب في هامشه : . قوله : ثلاثية الحروف ممنوع ، بل هي ثنائية ، ثم ساق كلاماً للرضي لغواه أنها ثنائية الحروف وضماً والراعى لم يدع أنها وضعت ثلاثية ، وإنما يذكر أنها وهي أسماء ثلاثية ، وهذا لا نكير . فقد علمت أنه رأى الرضى نفسه ، ومن قبله سيديويه وابن جنى .

وبعد فلن يعجز الباحث أن يجد لما درج عليه الناس من ترك التنوين في (بتا) في البيت الذى صدرنا به البحث وفي مماثله مخرجا ووجها .

فترى السيوطى في الجمع^(١) يقول : . (وأسماء الحروف) ألف ، با ، تا ، ثا ، إلى آخرها (وقف) كما جاءت في القرآن ألم (إلا مع عامل فالاجود) جيتذ فيها (الإعراب ومد المقصور) منها ؛ نحو كتبت باء وتاء . ويجوز فيها الحكاية كحاله بلا عامل ؛ نحو كتبت با ، وتا ، وجيم ، وحاء . ويجوز ترك المد بأن يعرب مقصوراً منونا ؛ نحو كتبت « با . »

فترى أن السيوطي يجيز أن يقال : كتبت حادون تنوين ، كما يجوز ذلك بالتنوين في الاختيار ، ولا يختص هذا عنده بالشعر . وعلى ذلك يقرأ قول ابن مالك : وماتبا وألف قد جمعا .

بترك تنوين (نا) وبتنوينه . فالتنوين ليس ضربة لازم - ، وترك التنوين يكون بحكاية الكلمة ومراعاة حالها قبل أن تكون اسما .

وقد ترسم السجاعي خطأ السيوطي ، فهو يقول في كتابه على قول ابن مالك بتا فعلت وأنت ويا افعل .

(قوله بتا فعلت) بقصرنا ؛ لأن ما كان من حروف الهجاء محتوما بألف يجوز قصره ومده بالاجماع ؛ كما قاله الحافظ في الهمع ، فقس على هذا ما يأتي من أمثاله ، ولا تقلد العرب وغيره ممن يقول بالضرورة في نحو ذلك .

ومن الجلي أنه يريد بالحافظ السيوطي . وتراه يدعى على السيوطي الاجماع على ما ذكر ، وليس هذا في الهمع كما رأيت ، وكأنه فهمه من أن السيوطي لم يذكر في المسألة خلاف . وقد علمت أن سيويه وجهور التحويين على خلافه .

وكان السيوطي أخذ كلامه من الارتشاف ، فقد ذكر أبو حيان فيه أن الفراء حكى في الحروف الهجائية إذا جعلت أسماء الحكاية لحالها قبل أن يدخل عليها عامل ، فيقال : كتبت با وتا دون تنوين . ثم قال : . وقد يقال : هذا با ، وكتبت با . وهذا شاذ .

ونرى الرضى لا يقر الحكاية ويشد في التكثير عليها . فهو يقول : (١) ولا يجوز الحكاية في أسماء حروف المعجم مع التركيب مع عاملها ، فلا تقول : كتبت باحسنة ، كما جاز في نحو من وما ، وليت إذا جعلت أعلاما للفظ ؛ لأنها موضوعة لتستعمل في الكلام المركب مع البناء ، فجاز لك حكاية تلك الحال في التركيب ، بخلاف أسماء حروف المعجم ، فإنها لم توضع إلا لتستعمل مفردات لتعليم الصبيان ومن يجرى مجراهم موقوفا عليها ، فإذا استعملت مركبة مع عاملها فقد خرجت عن حالها الموضوعة لها فلا تحكى .

على أن الرد على الرضى ليس بالعسير . فإن أبا حيان حكى عن الفراء أنه حكى الحكاية . ومعنى ذلك أن الفراء سمع هذا عن العرب ، والفراء ثقة فيما يروى . وهذه الكلمات تشبه الأدوات كمن وما وليت ، فهذا الشبه سوغ فيها الحكاية . ولا نظر إلى قول أبي حيان بعد إيراد كلام الفراء : « والذي عليه كلام العرب والإعراب » .

هذا ، ويرى بعض الباحثين أن هذه الحروف النائية في الأصل بعد أن تجعل أسماء يجوز قصرها في الاختيار ، وهي حينئذ مبنية ، غير منونة ، وهو يوجه بناءها بأنها وضعت على حرفين ثانيهما حرف لين ، وهذه حجة داحضة ، ذلك أن لهذه الكلمات طورين مختلفين ، كما أسلفت ذلك ، فهي حين تجعل أسماء يجب أن تكون ثلاثية . وهذا طور غير طورها الأول الذي كانت فيه للتهجي ، ونرى هذا الرأى في كتابة السجاعي على ابن عقيل إذ يقول : « واعلم أن الشاطبي ذكر أن مالم يصف من أسماء هذه الحروف منون ، على حد « شربت ما ، بالقصر . ورد عليه بأن فيه إجحافا . فالصواب - كما قال الأستاذ أبو عبد الله الصغير - عدم تنوينها ؛ لأنها مبنية ؛ لوضعها وضع الحروف » .

وهناك احتمال آخر في توجيه ترك تنوينها . وهو أن يدعى في قوله : « وما بتا وألف ... » أن (تا) علم وهو مؤنث - في أحد وجهيه - فيمنع الصرف لذلك . ويبطل هذا الاحتمال ، أن هذه الأسماء نكرات تعرف بأل ، كما هو معروف . تقول : هذه باء حسنة ، وكنت الباء التي تراها . ويقول في ذلك الراعي : « فإن قلت : الحروف كلها تذكر وتؤنث ، فلم لم يدع فيها منع الصرف عند تأنيثها ؟ قلت : أسماء الحروف نكرات ؛ كرجل وفرس ، فلا تعرف إلا بأل أو الإضافة » . وقد بقي رأى أخير في تسوية ترك تنوينها ، مع استحقاقها له . وهو معاملتها معاملة الموقوف عليه ، وإن كانت في الوصل ؛ لإجراء الوصل مجرى الوقف ، وفي بيان هذا الرأى يقول الصبان في بيت جمع المؤنث السالم : « ويجوز ترك تنوينه للوصل بذية الوقف » ، وإجراء الوصل مجرى الوقف يجرى في الشعر كثيرا . كقول الراجز :

لما رأى أن لا دعه ولا شبع مال إلى أرطاة حقف فالطبع

فتراه يقول : ، دعه ، بالها ساكنه ، أو هي في الوصل دعه بالتاء المفتوحة .
وجاء في قراءة حمزة في سورة فاطر : (استكبارا في الأرض ومكر السيئ) بسكون
الهمزة في السيئ في الوصل ، وخرج هذه القراءة على إجراء الوصل بجرى الوقف
وفي ذلك يقول أبو علي الفارسي في الحجة : ، فأما قراءة حمزة (ومكر السيئ)
وإسكانه الهمز في الإدراج فإن ذلك يكون على إجرائها في الوصل بجراها في الوقف
فهو مثل (سبستبا) و (عيهل) و (القصبا) و (حذببا) . وهو في الشعر كثير .
وبما يؤيد ذلك أن قوما قالوا في الوقف : أفعى وأفعو ، أبدلوا من الألف الواو
والياء ، ثم أجروها في الوصل بجراها في الوقف ، فقالوا : هذا أفعو ياهذا :

غير أن إجراء الوصل بجرى الوقف ليس سبيلا معبدا في الكلام : إذ لو اتبعت
لبطل الإعراب ، وإنما سبيله الوقوف عندما سمع - وهو نادر جداً - أو عند
ضرورة الشعر ، وليس في البيت ضرورة ، فإن البيت يصلح على الوجهين :
، وما بتاء ، و دما بتاء ، . والله الموفق للصواب ؟

الهبة

أحسن ما قيل في الهبة قول العلامة أحمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد قال :

يا من يجرد من بصيرته	تحت الحوادث صارم العزم
رعت العدو فما مثلت له	إلا تفريح منك في الحلم
اخشى لك التدبير مطرداً	مثل اطراد الفعل للاسم
رفع الحسود إليك ناظره	فراك مضطلعاً مع النجم

وقال الأخطل :

تسمو العيون إلى إمام عادل	معطى المهابة نافع ضرار
وترى العيون عليه إذ لمحت	سيم الحليم وهية الجبار

قضية البعث

بين العقل والنقل

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراكشي

خلق الله الخلق ، وقضى بإفنائهم بعد استيفاء آجالهم ، حسبما قدر وقضى ، بأن يعيدهم حياة أخرى يجزون فيها على ما عملوا جزاء أساسه العدل المطلق الذي تطمئن إليه النفس .

كل ذلك لحكمة وبتدبير من عليم حكيم . وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ، . تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، وهو العزيز الغفور . . والذي يخلق الإنسان مستعداً لما لا يتناهى من الكمال بما وهبه من العقل الذي لا يقف عند حد في العلم وإرسال أشعة الفهم إلى أسرار الكائنات . ودقائق الموجودات ، لا ينشئ هذه النشأة الرفيعة لتكون غاية غاية سائر الحيوان مما لم يعط استعداداً ولم يمد أمداده ، بل تقضى حكمته في هذا الخلق العظيم أنه يجعل له حياة بعد هذه الحياة يستثمر فيها أعماله ، ويوافي فيها كماله ، ولو أنه أسدى إلى الإنسان من المواهب ما أسدى ثم تركه بعد ذلك سدى ، لم يكن ذلك إلا من العمل الجزاف الخالي من البصر والحكمة . بل من العدل والإنصاف . .

اضطر العقل البشري بعد أنه وجد نفسه ووجد عوالم بعيدة عنه وقريبة إليه حقائق ثابتة تأخذ بسمعه وبصره إلى التسليم بالخلق والموجودات ، ولكنه شك في البعث ، أي في إعادة الخلق مرة أخرى للجزاء ، ولج في الشك ، بل أنكر ذلك وبالغ في الإنكار . وقد حكى القرآن إنكاره في صور شتى ، « أتذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد ، « أتذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون ، . وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، إلى أمثال هذه الصور والعبارات ، وهي كثيرة في القرآن .

وكان مبعث الشك والإنكار أن تعود الرفات والرمم أجساماً تنفخ فيها الروح وتذب فيها الحياة ، وتسمع وتفهم ، وتجبب كما يجب الأحياء ، بعد أن ألح عليها البلى ، وتفرقت أجزاؤها ، وقد تحللت عناصرها . وتوزعت الأجسام ، وتبادلتها الأبدان عن طريق الغذاء أو الهواء .

وقد وقف الناس من قضية البعث فريقين : فريق الفلاسفة ، وفريق رجال الدين ، ومن تبع الفريقين ، أما الفلاسفة فقد ركنوا إلى عقولهم ، وإلى أدلتهم في إثبات البعث أو إنكاره ، فأعياوا أنفسهم ، ومن نهج نهجهم وتكسب الجادة معهم ، ثم خرج كثير منهم من الموضوع ، كما دخل فيه بعد طول الشقة والمعاناة في الاستدلال ، وجعلوا من تلك القضية مهامه تكتنفها الشبهات ، وتزيغ فيها الأبصار ، وتضل فيها العقول ، ولا تنتهى إلى غاية ، ويؤثر العاقل أن يسلّم بعقله ودينه ، فلا يطرقها ولا يخوض فيها .

أجل : أعياء الفلاسفة أنفسهم ، وأعياؤ غيرهم في ذلك السبيل ؛ ذلك لأنهم لم يقفوا به عند حد الإجمال والتسليم ، كما أراد الله لعمولهم وعمول البشر عامة ، رحمة بهم وإشفاقاً عليهم ، ولكنهم آثروا التفصيل فيه وحاولوا أن يكيّفوه ويصوروه ، ويكيّفوا شئون البرزخ والآخرة كلها ، ويصوروها كما يكيّفون شئون الدنيا ، وغفلوا عن أن للآخرة شئناً من جرأة العقل ، بل ومن جهله بتدريه أنه يطرقها ، بل وأن يحوم حول حماها . وفي عالم الدنيا الضيق شئون لم يكشف العلم أستارها ، ولم يزل يعترف بعجزه عن حلها واكتناه أسرارها .

على أن لنا أن نهم الفلاسفة : وكيف ساغ أن يفرقوا بين الخلق أولاً والخلق ثانياً للجزء ، وما مبعث التفريق والخلفات ، سواء في مكان القدرة الإلهية ، بل إن الخلق الثاني لأهون في نظر العقل ، وبحرى الإلّف والعادة كما قال تعالى : . وهو يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه .

أما رجل الدين والمؤمنون عامة من جميع الأديان فقد آمنوا بالبعث كما أمروا أن يؤمنوا به ، واقتنعوا بما جاء في الأديان من الأدلة عليه ، وإنها لأدلة بمجمل . ولكنها قاطعة ، وموجزة ولكنها دامغة . وقد قاس الله إعادة الخلق على بدنه فقال : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وقال : من يحيى العظام

وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، . وضرب له مثلا إحياء الأرض بالخضرة والنبات بعد أن كانت مجربة هامدة مية فقال : . وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . .

، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج .

ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيائها لحى الموتى إنه على كل شيء قدير .

بهذه الاقيسة المجملة القاطعة ، وتلك الامثلة الواضحة الظاهرة أقام الله الحجة على إمكان البعث لذوى العقول السليمة والفطر المستقيمة . والنفوس المستعدة لسماع الحق وقبوله والانففاع به ، ومن رحمة الله بعباده ، أن أقامهم من تكييف البعث وتصويره وجعل ذلك شأننا من مشنونه ، وما أكثر مشنونه الخاصة به . وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا .

وقد جعل علماء الكلام شأن البعث وشئوننا أخرى من شئون الآخرة من الأمور السمعية ، أى التى يجب الإيمان بها عن طريق السمع لا العقل ، وأن الناظر فيما أورد فى القرآن من الأدلة ليرى بحال العقل فى بعضها واسعا بل واضحا كقضية البعث فهى قضية العقل لا السمع وبالتالي فهى قضية عقلية لا سمعية ، ولعل وجهتهم فى ذلك أن الذى أرشد العقل إلى ذلك هو القرآن ، فهو الذى قاس إعادة الخلق على مدته ، وهو الذى ضرب المثل ، إحياء الموتى بإحياء الأرض ولولاه ما اهتدى العقل ولا وصل إلى طريق الحق فيه .

وقد اختلف المتكلمون فى البعث أيكون جسمانيا فحسب أم يكون جسمانيا وروحانيا معاً ، وأكثرهم على الأول ، ولكل منهم دليله ووجهته كما يعلم من كتب الكلام ؟

فيثاغورس...

حياته

المؤستاذ الدكتور أحمد فتواد الهوانى

مدرس الفلسفة بالجامعة

اشتهر فيثاغورس في تاريخ الفلسفة شهرة واسعة ، حتى لقد ذهبوا إلى أن اسم الفلسفة من وضعه ، وكان الناس قبل ذلك يؤطون الحكماء ، فأنزلهم إلى مرتبة البشر وقال : لست حكيمًا ، ولكنى أؤثر الحكمة ، والمؤثر للحكمة هو باليونانية الفيلسوف ، كما فصل ذلك الفارابى ، من « فيلا » بمعنى محب ، و « سوفوس » بمعنى الحكمة .

وعندما تحدث الفارابى عن فرق الفلاسفة وقسمها سبعة أقسام ، جعل أول قسم منها تلك الفرقة المشقة من اسم الرجل المعلم للفلسفة ، وهذه الفرقة هى أصحاب فيثاغورس .

وعند الشهرزوى فى كتابه « نزهة الأرواح » ، فصلا فى ابتداء أحوال الفلاسفة ، وحدثنا عن طاليس فقال « ذكروا أن أول من ظهر منهم بالفلسفة وعُرف بالحكمة على اختلاف بينهم فى ذلك طاليس الملقى ... » ، وبعد أن عرض فى إيجاز آراء الفلاسفة الذين تأثروا خطى طاليس ، قال : « وقيل إن للفلسفة مبدأ آخر هو من فيثاغورس بن مفسارخوس من أهل سامنا (يريد ساموس) وهو أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ... »

وهذا يطابق ما أورده ابن النديم فى الفهرست فى فصل بعنوان « أول من تكلم فى الفلسفة » ، قال « قال لى أبو الخير بن الخنار بحضرة أبي القاسم عيسى بن على ، وقد سأله عن أول من تكلم فى الفلسفة فقال : زعم فرغوريوس الصورى فى كتابه التاريخ — وهو سريانى — أن أول الفلاسفة السبعة طاليس وقال آخرون : إن أول من تكلم فى الفلسفة « بوثاغورس » وهو بوثاغورس بن ميسارخوس

من أهل سامينا . وقال فلوطرخس إن بوذاغورس أول من سمي الفلسفة بهذا الاسم ، وله رسائل تعرف بالذهبيات ، وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب إعظاما لها وإجلالا . والذي رأينا لبوذاغورس من الكتب : رسالته في السياسة العقلية ، ورسالته إلى متمردي صقلية ، ورسالته إلى سيفانس في استيفاء المعاني .

أما الذي حكاه الففطى في أخبار الحكماء ففيه خلط وابتعاد عن التحقيق واعتقاد في الأساطير . قال عنه الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة يونان وحكامهم ، كان بعد أيبذفليس الحكيم بزمان ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان ابن داود بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام وسوف نرجع إلى هذه الرواية عند الحديث عن رحلات فيثاغورس .

من هذا نرى أن المسلمين عرفوا فيثاغورس ، وعرفوا منزلته من الفلسفة ، ونقلوا أخباره عن مؤرخي الفلسفة اليونانية الذين دونوها ، ولكن في عصر متأخر مثل فروريوس الصوري صاحب كتاب « تاريخ الفلاسفة » ، وفلوطرخس المؤرخ المشهور ، كما نص ابن النديم على ذلك .

وقد لعبت آراء فيثاغورس ، أو على الأصح المدرسة الفيثاغورية أو الفيثاغوريين ، دوراً عظيماً في تاريخ الفلسفة الإسلامية . ويكفي أن تلقى نظرة إلى رسائل إخوان الصفا ، فتجد في أولها رسائل العدد ، وهي التي ثبت أنها منقولة عن فيثاغورس . وليس غرضنا الآن أن نتحدث عن آراء فيثاغورس وعن أثرها في الفلسفة الإسلامية ، وموعداً عن ذلك في القريب بعد أن تتم الحديث عن سيرته ، ثم عن مدرسته ، ثم عن آرائه .

ولنعد إلى الكلام عن حياته محاولين الترجمة له ترجمة علمية . وأول ما يجب أن نفعله هو أن ننظر في المصادر التي نستقي منها هذه الترجمة مع بيان قيمتها .

وقد نظر المؤرخون المحدثون في الفيثاغورية ، ورجعوا إلى مختلف المصادر في أصولها اليونانية ، ثم رتبوا هذه المصادر من حيث زمنها ثلاثة أقسام :
الأول : ما جاء من إشارات إلى فيثاغورس عند المعاصرين له من الفلاسفة .

وهي إشارات قليلة جداً ، من ذلك ما ذكره زيثوفان ، الذي زها حول ٥٣٠ ق . م في جنوب إيطاليا ، وكان فيما يقال رأس المدرسة الإيلية ، وحكى عن فيثاغورس أنه سمع ذات يوم نباح كلب ورأى صاحبه يهم بضربه فتوسل إليه ألا يفعل ذلك لأنه عرف في نباح الكلب صوت صديق له توفي من زمن . وتدلل هذه القصة على أن فيثاغورس كان يعتقد في انتاسخ .

وحكى هرقليطس الذي زها حول ٥٠٤ ق . م في كتابه الذي بقيت منه بعض أجزاء أن ، فيثاغورس ابن فيسارخوس اشتغل بالبحث العلمي أكثر من أى شخص آخر ، واختار من بين هذه الكتابات نخبة ، ففسب إلى حكته الخاصة ما هو إلا المعرفة بكثير من الأشياء . . والذي يتصدده هرقليطس من البحث العلمي هو الاطلاع على آراء الآخرين ، وبذلك لا يعد فيثاغورس مبتكراً للفلسفة .

ويروى عنه هيرودوت ، أنه من أعظم حكماء اليونان ، ويضيف إلى ذلك أنه سمع من يونان هلسبونت أن « سالومكس » Salmox كان عبداً لفيثاغورس في ساموس ، وأكبر الظن أن هيرودوت لم يصدق هذه الرواية لأنه كان يعرف أن سالومكس عاش قبل فيثاغورس بزمن طويل . مهما يكن من شيء فالرواية تدل على شهرة فيثاغورس في القرن الخامس .

وكان أفلاطون شديد الإعجاب بالفيثاغوريين ، ولم يصرح باسم فيثاغورس إلا مرة واحدة ، وذلك في كتاب الجمهورية حيث يروى أنه نال محبة أتباعه وظفر بقلوبهم إذ كان يعلمهم طريقاً يسلكونه في الحياة ، وكانت تلك الطريقة لا تزال معروفة في ذلك الوقت باسم الفيثاغورية . ولا يصرح أفلاطون باسم الفيثاغوريين إلا مرة واحدة أيضاً ، حين جاء على لسان سقراط في الجمهورية أنهم يعدون الموسيقى والفلك علمين شقيقتين . غير أن أفلاطون قد حكى كثيراً من آرائهم ، ولو أنه لم يصرح باسمهم ، وقد اتضح لنا عن المصادر الأخرى أنهم الفيثاغوريون .

القسم الثاني من المصادر ، أرسطو والمشاؤون .

أما أرسطو فتصد ذهب مذهب أستاذه ولم يصرح باسم فيثاغورس في كتبه الكثيرة إلا مرتين ، إحداها ما جاء في كتاب ما بعد الطبيعة أن القهايون كان شاباً صغيراً عندما كانت الفيثاغورية في شيخوختها .

والرواية الثانية وردت في كتاب الخطابة حيث نقل أرسطو على لسان ألقيداماس « أن أهل إيطاليا كانوا يمجدون فيثاغورس » . وما يلفت النظر وصف أرسطو للفيثاغورية ، فهو يقول عنهم « أهل إيطاليا الذين يسمون بالفيثاغوريين » وهذه العبارة تحمل الشك في ثباها عن حقيقة تلك الجماعة .

وقد كتب أرسطو كتاباً عن الفيثاغوريين لم يصل مع الأسف إلينا ، ولكن بعض المتأخرين اقتبسوا منه أقوالاً فيما يختص بمذهبهم الديني .

ثم نجد بعد ذلك اثنين من المشائين كتباً عن الفيثاغوريين ، الأول ارستكسينوس الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد ، وكان فيلسوفاً وموسيقياً من أتباع أرسطو ، وقد اتصل بالجيل الأخير من الجماعة الفيثاغورية ، وأبرز لنا فيثاغورس من رجال العلم ، وأبى أن يصوره رجل دين . أما ثاني المصدرين فهو ديقارخوس من أهل مسينا في صقلية عاش في القرن الرابع ، وكان من تلامذة أرسطو ، وثاfrاسطس اشتغل بالفلسفة والجغرافيا والتاريخ . وكتب كتاباً عن تاريخ اليونان ، وقد أظهر لنا فيثاغورس في كتاباته رجل سياسة وإصلاح .

وهناك مصدر ثالث ولو أنه ليس من المشائين ، ونعني به تيمائوس الصقلي [٢٥٢ - ٢٥٦] وقد كتب تاريخاً عن صقلية ساق فيه الحوادث حتى زمانه . وعن هذا المصدر استقى يامبليخوس معلوماته عن فيثاغورس .

وننتقل الآن إلى الحديث عن القسم الثالث من المصادر ، وهم المتأخرون الذين كانوا بعيدين كل البعد عن فيثاغورس وشيعته . وهم ثلاثة : فرفيوس الصوري ، ويامبليخوس ، وديوجين لايرس . وقد امتلأت رواياتهم جميعاً بالأساطير ، ولا يمكن أن نحمل إلا على محمل الرية . وقد نسبوا إلى فيثاغورس كثيراً من الخوارق .

عاش فرفيوس الصوري في القرن الثالث بعد الميلاد ، وكان تلميذاً لأفلوطين ، وشرح أرسطو ، وعرفه العرب بوجه خاص من كتابه أيساغوجي . أى المدخل إلى مقولات أرسطو . وله كتاب عن تاريخ الفلاسفة ضاع ولم يبق منه إلا الجزء الخاص بحياة فيثاغورس ، وهو الذي حدثنا عنه ابن النديم في الفهرست .

أما يامبليخوس الذي عاش في القرن الرابع بعد الميلاد ، فكان من فلاسفة

الأفلاطونية الحديثة ، وله كتاب عن حياة فيثاغورس وأتباعه المتقدمين والمتأخرين .

أما ديوجين لايرس فهو صاحب تاريخ الفلاسفة ، وهو مرجع هام ومصدر من مصادر الفلسفة اليونانية عامة .

هؤلاء جميعاً ساقوا كثيراً من النصوص الخرافية حول حياة فيثاغورس . من ذلك أنه عض ثعباناً ساماً فمتله . وأنه شوهذ في مديقتي كروتون وميتابونثيوم في آن واحد . وأنه كشف في أولمب عن ساقه الذهبية . وأنه كان يعبر نهر كاراس فسمع صوتاً إلهياً يأمره بالتوقف ، وحكوا أنه كان يسحر الحيوانات .

* * *

ونحسب بعد ذلك أننا في غير حاجة إلى التول بأن حياة فيثاغورس يكتنفها كثير من الغموض ، وتلفها الخرافات بغلاف ثقيل ، حتى إن بعض المؤرخين مثل فريمان في كتابه ، الفلاسفة قبل سقراط ، لم يتحدث عن فيثاغورس ، بلى عن فرقة الفيثاغورية .

وتنقسم حياة فيثاغورس قسمين : الأول في ساموس ، والثاني في كروتون ، ويضاف إلى ذلك رحلاته التي قام بها .

أمضى فيثاغورس شبابه في جزيرة ساموس إحدى جزر بحر أبونية بالقرب من ملطية مهد الفلاسفة الطبيعيين . وزها فيثاغورس في حياة الطاغية بوليقراتيس حاكم ساموس عام ٥٣٢ ق . م . ويقول ارستكسينوس إن السبب الذي من أجله هجر فيثاغورس ساموس هو مقتله حكم بوليقراتيس ، فذهب إلى كروتون في جنوب إيطاليا ، وهي مدينة كانت لها بساموس علاقات حسنة ، واشتهرت بالرياضة البدنية والطب . ويحدثنا تيباوس أنه وفد إلى كروتون عام ٥٢٩ ق . م ، وبقى فيها عشرين عاماً . وقد تأسست كروتون عام ٧١٠ ق . م . وهي ميناء تجارى وصناعى ، وزادت ثروتها من التجارة فعاش أهلها رغدا ، واشتهر سكانها بالرياضة البدنية والطب . وأكبر الظن أن اعتدال جوها هو الذى اجتذب إليها فيثاغورس .

ولا نستطيع أن نقبل ما ذكره المؤرخون المتأخرون عن رحلات فيثاغورس على أنه حقيقة لا يرتقى إليها الشك . يقال إنه زار مصر ، وأن قبين أسره حين غزاها . ونحن لا نستبعد هذه القصة وبخاصة إذا عرفنا ما كان بين بوليقراتيس وأحمس [أمازيس] من علاقات وثيقة . ولاحظ هيرودوت ما بين شعائر النحلة الأورفية المستفاد من المصريين ، وبين الفيثاغوريين من مشابهة . و يروى هيرودوت كذلك أن عقيدة التناسخ الموجودة عند الفيثاغوريين جاءت عن اتصال فيثاغورس بمصر ، وهذا خطأ لأن قدماء المصريين لم يعتنقوا مذهب التناسخ .

ويقال كذلك إنه زار بابل حيث نقل عن الشرق المذاهب الصوفية .

ولما استقر المقام بفيثاغورس في كروتون اشتغل بالسياسة واشتهر أمره ، ولجأ بعض أشراف سيبارس Sybaris إلى كروتون طالبين الحماية ، فأشار فيثاغورس على أهل كروتون بمحايثهم وإعلان الحرب على سيبارس ، فلما انتصرت كروتون تولى فيثاغورس وحزبه الحكم .

وبعد بضع سنوات قامت حركة تعارض هذا الحكم الاستبدادى بقيادة سيلون وهو شريف غنى ، كان فيثاغورس قد أساء إليه ، وقبل أن يشتد لبيب الحركة هاجر فيثاغورس إلى ميثابونتيوم بالقرب من كروتون ، حيث توفى . وبعد موته كرس أهل ميثابونتيوم داره معبداً للإله ديمتر .

أما أتباعه الذين بقوا في كروتون فقد كانوا ضحية مؤامرة - حبك أطرافها سيلون وحزبه - إذ فاجئهم وهم مجتمعون في منزل ميلو Milo الرياضى وحرقوهم أحياء ، فماتوا جميعا ماعدا أرخيوس وليسيس التارتي الذى عاد إلى موطنه في تارتنا . أما أتباعه الذين كانوا غائبين عن كروتون فقد اجتمعوا في مدينة ريجيوم ، حيث تابعوا السير على النظام الذى وضعه فيثاغورس ، غير أنهم لم يستعيدوا نفوذهم السياسى .

وسوف نتحدث عن مدرسة فيثاغورس فيما بعد ؟

خـواطر

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

الكتاب بهمه — دائماً أبداً — أن يكون موضوعه الذي يعرضه على القارى فيه من الطرافة والجدة ، والظرف في التصوير ، واللباقة في الأداء ، ما يُغري بقرائه ، ويحمل على الاسترسال فيه ، والانسياق معه ؛ لأن حسن المقال ، وجمال الهدف ، وروعة التفكير ، بذلك الأثر الذي يتبقى في الذهن ، ويتركز في الخيلة ، بعد كدح الخاطر ، وإتعب النظر ، وقطع الوقت ، وطى المسافة ، في التحصيل والبحث ، والتنقيب والاضطلاع . . . سواء أكان ذلك الأثر من ناحية اللفظ والأسلوب ، أم من ناحية الغرض والمعنى ؛ ولسنا هنا بصدد التعاضل بين الصورة الخارجية ، والسريرة الداخلية ، وتحقيق الخلاف فيما يجب أن يكون مناط الرفع ، وعمل التفاوت ؛ فذلك أمر يرجع إلى البلاغة أكثر منه رجوعاً إلى فن القول الذي هو أشمل وأعم .

ويهمنى أولاً أن يكون هنالك فائدة يعود بها الناظر ، ويُضيفها إلى ما يعلمه الباحث ، وإلا كان أشبه بمن يرضى من الغنيمة بالإياب .

وقد تعود العلماء في الأمم الناهضة أن يُسجلوا للأجيال تجاربهم في الحياة ، وكيف استفادوا منها ، وانتفعوا بها ، ولهذه المذكرات ، صدق بعيد ، وصيت ذائع ، وجلال واحترام ، لأنها نتيجة دراسة وتأمل ، وبحث وفلسفة ، يتلقفها المتلقفون بالرضا والارتياح ، وتملك منهم مواضع الغرابة والإعجاب .

ولكم ودّ كثير منا — الآن — لو يعرفون ما الذي كان يهيج أسلافنا من قادة الفكر . وسادة الرأي ، من خاصة علمائهم ، وخيار المصلحين منهم ، لأن هذه هي أبرز نواحيهم العقلية ، وأوضح ميولهم العلية .

والذي يبلغه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « يعجبني الرجل إذا سم خطبة خسف أن يقول لا ، بملء فيه ، يتمنى لو أنه أفاض في هذا الإعجاب ، وأكثر

من ذكر تلك الألوان النفسية الرائعة ، التي يستشف منها المستشف حكمه على الأشياء ، وتمديده للأمور .

وإذا كان لكل عبقرى ضابط خاص لما يستولى على مشاعره ، أو يثير أحاسيسه ، ويجعله من إكباره لما يسبح في جو يفوح بالعطر ، ويضوع بالمسك ، ثم لا يجد ما يسعفه عند التعبير عنها أكثر من قوله « يعجبنى » فإن الأجدر بالأديب الأريب ألا يرمى بهذه الكلمة دون تبصر ونظر ، وإمعان وتدبر .

ولمناسبة الجملة التي وردت — على سبيل الاستطراد — من كلام عمر لا أخفى حبي له ، وشغفي به ، وولوعي بما يتصل بتاريخه من ذكريات ، لأنه صحائف من المجد الخالد في حياة الإسلام والمسلمين .

وكلما مر بخاطري طيفه أخذت أفكر بيني وبين نفسي قائلاً : كيف كانت الحسارة لو لم يكن هذا الرجل من الصحابة الذين أحدثوا هذا النشاط ، وخلفوا في الدين تلك الثروة ، ورسّموا للمسلمين هـ — هذه المبادئ في الاجتهاد والقضاء ، والحكومة العادلة الرشيدة ؟ وآمنت بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيه « لو كان في هذه الأمة محدّثون لكان عمر » ،

وإذا عرض بذهني مراجعته للرسول ومناقشته وجدله ، إن لم يطعن إلى الحكم ، ولم يسترح لكونه تشريعاً تترتب عليه مصلحة عاجلة أو آجلة ... أقول هكذا الإسلام . أما الجود الغاشم ، والانقياد الاعمى ، وأخذ الأمور قضايا مسلاة خالية من النظر ، عارية عن الفهم ، مجردة من التدقيق ، فإنها أبعد ما تكون عن الدين . وكأنما كان سبحانه وتعالى يعد عمر وأمثاله ليسكونوا زعماء يترك الناس زمامهم بأيديهم ، وبلقون على كاهلهم مسئولية سياستهم ، والنهوض بأعباء السلطان فيهم .

وحين يسترسل في الحديث في عمر يعجبنى من قواده خالد بن الوليد ، إذ عزله عن قيادة الجيش ، فلم يؤثر ذلك في نفسه ، ولم يثر فيه نزوات الشيطان ، ويحمله على أن يتخلى عن الجماعة ، ويتقاعس عن صفوف المحاربين ، ولكنه دخل في الميدان وقاقل كالجندى المجهول ، لا يهمه إلا أن يلتصر الحق ، وتسود كلمة الله ، وتعلو راية المؤمنين . وذلك لأن الرياسة لم تكن عنده ولا عند غيره مظهراً من

مظاهر الكبرياء ، ولا لونا من ألوان السيادة ، ولا معنى من معاني العظمة ، ولا أسلوبا من أساليب التحكم والاستبداد ، بل كانت تبعة ثقيلة ، وعبئا فادحا ، وامتحانا من الله يتبين به العدل بين العالمين .

وأ تخيله رضى الله عنه وقد حضرته الوفاة ، فجاء إليه بعض قومه وعشيرته ليقولوا له : اجعل ولاية العهد لابنك عبد الله . حتى لا تعاود الناس بعدك فتنة اختيار الخليفة ، وهم لا يزالون يتحفزون إلى الفرقة ، ويتأهبون للنزاع ، ويتوثبون للخلاف . وكانت مكانة عبد الله من الورع والتقوى ، والعلم والفقہ ، والصلاح والزهد ، والعدل والاستقامة ، لا يتناول إليه بعد أبيه أحد . لأنه كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم ومحبوبا لديه . شديد التبع لآثاره ، والسير على نهجه . . فلم يقبل أن يقيمه بعده خليفة ، وقال : حسب آل الخطاب أن يحاسب الله واحدا منهم عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة .

وأظّل - هكذا - تمضى في الخواطر والتأملات ، وتطوف في الأوهام والأحلام ، كما تتلقى بالشاعر خيالاته العلوية ، فلا يسعى إلا أن أقول : أين نحن من أولئك الذين تحدث عن ذكرياتهم ، وتغلب صحائفهم ، وزرد فضائلهم ، والدين - عندنا - لم يتجاوز أن يكون نصوصاً وأحكاما نستظهرها ونحفظها ، ثم لا نزيد عن ذلك كله شيئا ١١

البلاغة في الإجابة

دخل معن بن زائدة على أبي جعفر المنصور فقال له : كبرت يا معن . قال في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال وإنك لتجلد . قال على أعدائك يا أمير المؤمنين . وإن فيك لبينة . قال هي لك يا أمير المؤمنين .

وقال هرون الرشيد لعبد الملك بن صالح ، هذا منزلك . قال هو لاير المؤمنين ولي به . قال كيف ماؤه ؟ قال أطيب ماء ، فكيف هواؤه ؟ قال أفصح هواء .

وقال المأمون لطاهر بن الحسين . صف لي ابنك عبد الله . قال يا أمير المؤمنين إن مدحتك عبته . وإن ذمته أغنيت . ولكن . قدح (بكسر فسكون أى سهل) في كف مثقف ليوم نضال في خدمة أمير المؤمنين .

أمن المجتمع واستقراره

في نظر الاسلام*

محاضرة الدكتور محمود فياض

مدرس التاريخ الاسلامي بكلية أصول الدين

٤ — المالك الحقيقي : يحرص الإسلام في كل مناسبة ، سيما عندما يتحدث عن الشئون المالية للمسلمين ، على تذكيرهم بأن الله هو الخالق ، وهو المالك لكل ما خلق ؛ فكل مال في يد فرد ، فهو في الحقيقة مال الله ، وتملك الفرد له تملك نسبي يقوم على النيابة أو الاستخلاف ، فقد أناب الله الناس واستخلفهم على ماله لتنميته والإشراف على إنفاقه في الوجوه التي أمر الله المؤمنين بالإنفاق فيها ، وأنفقوا من مال الله الذي آتاكم ، ، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ؛ فمن بخل بمال الله وحبسه عن العمل فيما شرع الله ، فقد خان أمانته ، وظلم نفسه والناس ، وخرج من عهده ، ومن حق المالك أن يعزله أو يسلبه ما في يديه ، وتارة يسمى القرآن ما ينفقه الإنسان من مال الله قرصاً حسناً ، من ذا الذي يقرض الله قرصاً حسناً ، . وتارة يسميه حقاً للفقير في مال الغني : ، وفي أموالهم حق معلوم ، . فالفقير عند ما يأخذ شيئاً يأخذه من مال الله ، ثم هو يأخذ حقاً له فرضه الله الذي ينح المال لمن يشاء من عباده ، وهو حق يكاد يكون من حقوق العاجزين الفطرية . يأخذ الفقير غير ذليل النفس ، ولا مهدر الكرامة ، ولا يمكن أن يكون ما جعله الله حقاً في مال الله - أوساخ الناس ، والله يسميه حقاً هو ما نحه !! وليس معنى أن الزكاة أو الصدقة تطهر النفس وتزكيا أنها ، أوساخ الناس ، ، وإنما القصد من ذلك أنه سبيل إلى رياضة النفس الشحيحة على الإيثار ، وتخليصها من طغيان الآثرة ، وتمرينها على السمو والتعلق بالكمال باستمرار عملية التخلص من ضغط المادة ،

هى طهرة لنفس الغنى من الشح ، ولنفس الفقير من الحقد والبغضاء . فكيف صح ما رواه بعض الفقراء من أنها . أوساخ الناس . ؟ ومن أين كان يأخذ أهل البيت النبوى الكريم أعطياتهم على الأقل فى عهد أمير المؤمنين . عمر بن الخطاب . ؟ أليس من مال . بيت المال . ؟ ولقد كانت الزكاة والصدقة من أهم موارده ١١ ألم يسم الصحابة . خزائن المال . بيت مال المسلمين ؟ والمسلمون يعنى الأمة الثابتة من الله فى ملكه . فالمال مال الله ، لا مال الناس ١٢ والقرآن الكريم عند ما تحدث عن مصارف الزكاة : إنما الصدقات للفقراء . . جعل الفقراء أهل حق فى مال الله ، فكل فقير محتاج له فى هذا المال حق وهبه الله له ، لا فضل لأحد من الناس عليه فيه . فليتقدم إلى أخذه عزيزاً كريماً ، ولم يستثن القرآن أهل البيت من . الفقراء . بل ذكر الفقراء عامة ، ومن الظلم للقرآن أن يقال : إنه يقر الارستقراطية النفسية والطبقية ويميز بالاحساب ، والشيعه - فيما أعلم - يأخذون بذلك . ولا يرون فى مال الله هذا أنه « أوساخ الناس » ، كما يزعم ذلك على الرسول بعض الفقهاء ، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحرم على أهله ما أحله الله لهم ١٣ وإن ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم منعهم مال الصدقة . لحتى لا يقول مفتون : لقد حانى محمد ، أهله وأطعمهم أموال المسلمين ؟ ألم يقل له بعضهم - والرسول يفاضل فى العطاء للناس من غير أهله - اعدل يا محمد ! فيرد عليه الرسول : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ؟ فكيف لو كان قد أعطى ذلك لأهله ؟ ١٤

٥ - النظر إلى المستقبل : ينظر الإسلام فى تشريعه إلى المستقبل لا إلى الحاضر فحسب . فكل مالا يملكه فرد ، فهو ملك الجماعة : الدولة ، أى أنه على أصله ، تصرفه الدولة حسبما يجد من حالاتها ، وما يحصل عليه المؤمنون من أملاك أعدائهم بلا حرب فهو لله وصالح الدولة ، وكذلك الأراضى التى يحصل عليها المسلمون بالفتح ، فهى ملك عام للمسلمين : للدولة . ويذكر لنا القاضى ، أبو يوسف ، (١) أن عمر بن الخطاب . لما طلب إليه بعض زعماء المسلمين أن يقسم أرض العراق بعد فتحها بين المجاهدين ، اهتم همّاً شديداً . وكان يقوم فى هذا الأمر ويقعد ، حتى اهتدى

إلى حل جميل في قوله تعالى في سورة الحشر ^(١) : ، ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم ، إلى أن قال : ، والذين جاءوا من بعدهم . . . واستناداً إلى هذه الآيات منع عمر - وواقفه الصحابة - قسمة أرض العراق ، حتى يكون المال والتملك في متناول المسلمين جميعاً في حاضرم ومستقبلهم ، وحتى لا يحبس المال فى أيد قليلة فيتداول بين الاغنياء فى أضيق دائرة ، فتتركز الثروات فى يد أفراد من الناس ، ونحرم الكثرة الساحقة ، وقد حبسها لصالح المسلمين ولذوى الحاجات والفقراء من المهاجرين والانصار ، ولمن يأتى بعد هؤلاء من المحتاجين فى العصور التالية قال عمر : كيف أقسمها فتملكونها فلا يجد المسلمون الذين يأتون بعدكم ، ما يملكونه أو يفتنعون به ؟ فانظر رعاك الله إلى أى حد يهتم الإسلام بمصالح الفقراء إهتماماً يتعدى حاضرم إلى مستقبلهم المكنون !! ولعلك تلاحظ بعد ذلك أن الخليفة أبى الأرض ملكاً للدولة ، وأعطاهم للزراع يفلحونها ، فيمنعون فى نظير جعل خاص لبيت مال المسلمين ، ولعلك تلاحظ أيضاً أن الإسلام الذى أقر تملك الأفراد ، يقر أيضاً تملك الدولة لبعض المرافق ، ضماناً لحاجاتها ، وليس معنى هذا إطلاقاً أنه يفتح باب التأميم على مصاريعه لتتلاشى الملكية الفردية ، فقد عرفت رأيه فيها ؛ وفى هذا يقول سيدنا عمر : والله ما من أحد إلا وله فى هذا المال حق ، يعنى مال بيت المال .

٦ — وسائل التوازن فى المجتمع : أطلق الإسلام للفرد حرية التملك ، ولم يشأ أن يقيد ملكيته تمشياً مع الفطرة كما أسلفنا ، ولكنه من ناحية أخرى عمل على تجزئة الملكيات حتى لا تتضخم تضخماً يودى إلى الاحتكار وتركيز الثروة فى أيدى أفراد قلائل ، قد تكون إساءة التصرف هى طابعهم ، وقد يكون جلمهم من ذوى الضمائر العفنة التى لا يزعها قرآن ولا سلطان ، فيختل نظام المجتمع ، وتفسد أحواله ، ويموج بالحق والثورات ، ولهذا وضع نظاماً لتمليك الضعفاء الذين لا قدرة لهم على العمل والكسب والتملك ، وهو نظام دائم مستمر ، يخرج كل عام فئة جديدة من صغار الملاك ، وقد لا يمضى عليهم عام حتى يساهموا فى عملية التمليك بالقدر

الذى يستطيعونه ، وهو نظام تعاونى مثالى ، يوجه الدين والخلق ، وأما طرق تملك الفقراء ، وتجزئة الملكيات فإنى أحدثكم عنها بإيجاز :

(١) الزكاة : وهى نسبة مئوية بسيطة (٢/٥ ٪) تؤخذ من المالك على قدر معين من ماله النقدى أو المقوم بالنقد ، وقد تؤخذ عينا - تقريبا وفق هذه النسبة - مما يملكه الفرد من حيوان ، أو زروع أو تجارة ، بشروط خاصة ، وهى نسبة لا تضر الفنى ، ولكنها تسعف الفقير بالعلاج ، وقد جعل الإسلام ذلك فرضا لازما للسلطان ، وعده ركنا من أركان العقيدة لا تصح إلا به ، ولا يسمى مسلما من يجدها أو يمنعها ، أو يحتال على التخلص منها ، وعلى جماعة المؤمنين أن تأخذها بالقوة ممن يمنعها ، وعليها أن تحارب من يجدها أو يعلن عدم الالتزام بها ، محافظة على أركان الإسلام وكيانه ، وشخصيته المعنوية التى لا تستقيم إلا بهذا الغرض ، فإذا تهاونت الجماعة فى ذلك فقد تهاونت فى شخصيتها ، وإذا قصر المؤمنون . فقد عصوا ربهم ، وخرجوا عن دينه ، وليأذنوا - عندئذ - بحرب من الله ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، والظالمون والفاسقون .

(٢) الانفاق : أمر الإسلام المسلم بالانفاق فى سبيل الله وحاجات الدولة وسمى ذلك صدقة مرة - كما أسلفت - ومرة سماه قرضا حسنا . خذ من أموالهم صدقة . . . من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا . . . وقد كثرت أوامر الانفاق فى القرآن الكريم ، كثرة تلفت النظر . بل تأخذ بعنق ذوى اليسار ، فقد لا تجد سورة من سوره خالية من أمر ، أو أمرين ، أو أكثر ، وهى أوامر صريحة مغايرة مغايرة تامة لأوامر الزكاة ، وتلص ذلك بوضوح فى آية البر . ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب . وأقام الصلاة وآتى الزكاة . . . فأنت تجد الانفاق . وآتى المال على حبه ، يتقدم فى الذكر بعد الإيمان . على الزكاة . أتدرى لماذا ؟ لأن المشرع لم يحدد فى الانفاق نسبة كالتى حددها وألزم المؤمن بها فى الزكاة . بل فرض على المؤمن أن يتفق فى سبيل الله ، وصالح المسلمين ، وترك

له تقدير ما ينفقه حسب ما يمليه عليه درجة إيمانه وأمانته . امتحانا لإيمان المؤمن وأمانته ، وقد جاء الوعد بالنعيم المقيم للحسنين ، الذين يوثرون على أنفسهم ، ويتقون شح أنفسهم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، كما جاء الوعد بالعذاب الآليم ، للذين يكتنزون الذهب والنفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، وجدية الأمر بالانفاق . وعظم الوعد للبخلاء والمحتكرين الذين يضمنون بمال على عباده ، ويمنعون الفقراء حتموقهم ، هذا . هو بعينه الذى دفع الصحابي الجليل « أبا ذر الغفارى رضى الله عنه ، إلى القول : بوجوب تخلص المؤمن من كل ماله ، وانفاقه في سبيل الله ، مكتفيا بما يقيم أوده ، أو بضروريات الحياة ، وهى الدعوة التى أزعجت أمير الشام معاوية ، والخليفة الثالث عثمان بن عفان .

ومن الملاحظ أن الخلافة وأميرها فى الشام ، وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم لم ينكروا على أبى ذر أصل المبدأ وهو وجوب الانفاق على الأغنياء ، زيادة على ما يلزمهم من الزكاة ، وإنما أنكروا عليه أن يحدد قدراً ، بعضاً . أو كلا ! أما المبدأ فسلم ومتفق عليه ؛ ويتضح هذا من قول الخليفة لآبى ذر : أنا لا أحل الناس على الورع ولكن دع المؤمن كما تركه الله ، بلا تحديد ولا تقييد . يحدد بنفسه لنفسه ما يمليه عليه إيمانه وأمانته ، ووجه للخير ، فإذا كانت نفوس الأغنياء قد فسدت ، وثقل عليها أمر الله ، وتحملت من تشريع الله ، فلم تخرج . أو جحدت الزكاة ، فمن واجب الدولة وجماعة المؤمنين أن يهروهم على أدائها ، حرصاً على سلامتهم وسلامة الجميع ، وإذا كانت قلوب ذوى اليسار قد تحجرت . فلم تسمع أنين المحرومين ، ولم تر الانفاق فى سبيل حاجات المجتمع واجبا ، فإن الفقهاء قد أعطوا الحاكم سلطة فرض الضرائب التى يراها لمصلحة الجماعة ، وقد طبق عمر عام المجاعة نظاما يشبه « نظام الضرائب التصاعدية ، فقد ألزم كل غنى بإطعام عدد خاص ، من الفقراء . حسب ما رأى من قدرته ويساره ، وهذا مبدأ للترقى بالضريبة حسب اليسار ، حتى تستغرق معظم الدخل ، وإذا كنا اليوم نرى موازين المجتمعات الإسلامية قد اختلت ، وفسدت أحوالها إلى حد بعيد . فإنما جاء ذلك نتيجة لهجر النظام الإسلامى العام . من الحكام والمحكومين ، ومن يقبع غير سبيل المؤمنين

نوله ما تولى ، وتصله جهنم وساءت مصيرا ، ، وما ظللناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ، ،

تجزئة الملكيات : قلت إن الإسلام يشجع الملكيات الصغيرة ، ويعمل على تكثيرها بما وضعه من نظام لتقليك الفقراء ، وتمشيا مع هذا المبدأ جاء نظره إلى التوريث ، فلم يجعل مال الرجل الميت ، وقفا على الذكور فحسب ، ولا على الذكر البكر فحسب . كما في غيره من الشرائع ، ولسكنه عمد إلى تجزئة التركة ، وتقسيمها إلى سهام أشرك فيها الأصول والفروع ، وهو نظام قد لتجزئة الملكيات عن رضا واختيار ، وقد ورث كلا الزوجين من صاحبه ، وقد يكون الزوج أو الزوجة من أسرة أجنبية عن عائلة المورث وفي مكان سمحيق عن مكانها ، وبذلك تنقل الملكية من أسرة إلى أسرة بلا اعتراض أو تردد ، وفي هذا حد من شرور تضخم الملكيات ، الذى يؤدى غالبا إلى انحطاط مستوى المعيشة بين أغلبية السكان ، ويساعد على ارتفاع الاسعار ، وقيام نظم الاحتكار ، هذا فإذا لم يكن للبيت وارث وورثته الدولة ، وهكذا تروث الجماعة الإسلامية الفرد ، وتساهم بما ترثه عنه في عمليات التملك التى تقوم بها بواسطة الموارد السابقة ، كذلك أباح الإسلام الوصية بثلك المال لغير الورثة ، كما شرع الوقف على مصالح المسلمين العامة ، وفي هذا مجال كبير لاخلاص المؤمن الذى يرجو الله والدار الآخرة .

بهذا الذى قدمته لك ياسيدى . يضمن الإسلام أمن المجتمع واستقراره ، فهو يقر الملكية الفردية ، ليرضى فطرة الإنسان ويدفعه إلى النشاط والعمل ، ثم يضع موازين لحفظ التوازن ، الأمن بما شرعه وسيلة للتمليك وتوزيع الملكيات ، أو تجزئة الملكيات ، ليعيش الغنى والفقير جنبا إلى جنب أجرة متوادين ، لا متربصين حاقدين أو حاقدين . وليس هنالك حل لمشكلة الفقر والغنى إلا بتطبيق هذا النظام بدقة وجدية ، ولا سبيل إلى أمن المجتمع واستقراره ، إلا بمسألة الفقير وقناعته ، ولن يسالم حتى يعطى حقه تحت لواء الإسلام ، لهذا فليسلم المسلمون من جديد ، فن أسلم فأولئك تحروا ورشدا ، وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل . فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ،

البائية والبهائية

لمؤتاد عمر طلعت زهران

استاذ في الآداب

— ٢ —

ليس المهدي المنتظر إنساناً ، ما ، تأتي به المصادفة ، وإنما هو شخص مقدر ظهوره ، يجب أن تتوافر فيه شروط خاصة وصفات معينة وعلامات مميزة ، وهذه كلها يمكننا أن نعرفه ، وأن نتبينه ، أما أهم هذه الصفات فهي كونه (١) معلماً للإنسانية ، (٢) وتعاليمه عامة ، (٣) وعلمه فطري إشرافي غير مكتسب ، (٤) لا يقف أمام مشكلة ولا يستعصى عليه الرد على سؤال ، (٥) كما أنه سيواجه صعباً شتى وآلاماً حمة يتحملها في صبر وسكون ، (٦) تساعد قوة شخصيته ونفاذ كلمته وقوة إيمانه ، (٧) عاملاً على توحيد الدين ، حاملاً للواء السلام ، ورمزاً لأنبال الفضائل البشرية وأسمائها

هذه أهم الصفات التي أعلنها الشيخ الإحسائي ^(١) ، وزاد عليها أن الرسالة الجديدة — رسالة المهدي المنتظر — ستكون مزدوجة . ومات الشيخ وهو في طريقه إلى مكة سنة ١٢٤٢ هـ [١٨٢٦ م] ودفن بالقيع .

وخلف الشيخ بعد موته السيد كاظم الرشتي ، ولد ببلدة رشت سنة ١٢٠٥ هـ ، ودرس على الشيخ الإحسائي ، فكان أنبغ تلامذته ، فلم يكن غريباً أن يوصى به خليفة له ، وتولى التدريس والمحاضرة مكانه . وكان يتحفظ في حديثه ، مردداً قول الإمام جعفر الصادق : « ما كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ما حان وقته حضر أهله . . . وكتب في أحد كتبه : « الحمد لله الذي طرز ديباج الكينونة بسر الينونة . بطراز النقطة البارزة عنها الهاء بالالف ، بلا أشباع ولا انشقاق . . . وقد أول البهائيون هذا القول تأويلين : الأول المعنى المستخرج منه كلمة « بهاء » وهي — كما يزعمون — بيت القصيد ، والمغزى الوحيد للمؤلف ، والتي صرح بها في موضع آخر من نفس الكتاب ، مستدلاً بكلام الإمام الباقر : « الباء بهاء الله » .

(١) سئى الى اى حد حاول البايون تطبيق هذه الصفات على الباب .

أما التأويل الثاني فهو أن الحروف الثلاثة تشير الى أشخاص ثلاثة مقدسة هم النقطة الأولى ، وجمال الأبهى ثم عبد البهاء . وقد مات الرشتى عام ١٨٤٣ م .

انقسم أتباع الرشتى بعد موته فريقين : فريق استمر في الدرس والتحصيل ، وفريق جاب البلاد يبحث عن المهدي المنتظر . كان على رأس الفريق الأول سيدة يقال لها أم سلى ، ولقبها الرشتى بقرّة العين ، ثم لقبها الباب فيما بعد — حين شاعت عنها الشائعات — بالطاهرة . أما الفريق الثاني فقد رأسه ملا حسين البشروئي وهو المعروف بباب الباب . انطلق هذا الفريق الثاني نحو الكوفة وقضى بمسجدها أربعين يوما في الصلاة والعبادة والتضرع الى الله ليرسل المهدي المنتظر ، ثم أخذوا يطوفون بالقرى والمدن حتى انتهوا الى مدينة شيراز .

وفي شيراز لقي البشروئي شابا في الخامسة والعشرين ، الميرزا محمد علي ، أعلن له أنه هو المهدي المنتظر ، ودعاه الى الإيمان به فأمن البشروئي !! ودعا الناس الى الإيمان به !! وكان ذلك في ٢٣ مايو سنة ١٨٤٤ م .

أما ميرزا محمد علي ، فقد ولد بمدينة شيراز سنة ١٨١٩ ، من عائلة تفتى في نسبها الى الحسين ، توفي والده وهو صغير فكفله خاله ، وهو تاجر ، فاشتغل المرزا محمد علي بالتجارة معه ، وتلقى علوما أولية في كتاب الشيخ عابد ، واشتغل فوق ذلك بالعبادة والرياضة وتسخير روحانيات الكواكب ، حتى كان يقضى النهار كله تحت أشعة الشمس المحرقة تاليا للآوراد ، منهمكا في الأذكار . وحين بلغ الخامسة والعشرين زاره البشروئي ، كما سبق ، فأعلن المرزا محمد علي أنه هو المهدي المنتظر ، ومنذ ذلك الوقت عرف بأسماء مختلفة منها : سيد الذكر ، باب الله ، النقطة الأولى ، طلعة الأعلى ، ولكنه اشتهر باسم : الباب .

كان البشروئي هو أول من « آمن » بالباب ، ثم تبعه آخرون ، بلغ مجموعهم ثمانية عشر شخصا ، عرفوا — مع الباب — باسم « حروف الحى » ، وكان ١٧ منهم يقيمون بشيراز ، أما الثمانية عشر ، فهي قرّة العين ، وكانت تقيم في كربلاء .

أراد الباب أن يذيع « رسالته » ، فوجد أن في موسم الحج بمكة فرصة كبيرة نظرا لاجتماع عدد عظيم من الخلق للحج ، فتوجه نحوها ، ويقول البايون إنه دخل مكة ووقف في الناس خطيبا . « أنا التمام الذي كنتم به تنظرون . . ولكن رواية

أخرى تؤكد أن الباب لم يطأ الأرض المقدسة بقدمه ، ولم يدنسها بدعوته الكافرة فإن المركب الذي كان به غرق ، ولكنه نجا ولما يتم رحلته .

ومهما يكن من أمر ، فإن خبره ذاع ، ولم يصدق أهل السنة أمره ، إذ كانوا يرون في الشيعة قوما لا أثر للحقائق الدينية في معتقدهم الذي بنى على الوهم والخيال الأمر الذي يجعل قيام المهدي من بينهم مستحيلا .

أما علماء الشيعة فقد رأوا في ذلك فتنة ، فحضوا عامل شيراز على وأداه في مهدا ، فأمر بإحضار الباب وهدده ، وأخذ على خاله الموائيق بأن يجعله يعتزل الناس ، وأمر الباب بالصعود إلى المنبر وإنكار دعوته ففعل . ولم ير الباب بوعدته بل أخذ يتصل بالناس سرا ، كما انتشر « حروف الحى » يدعون لأمره ، وظل الباب بشيراز كالسجين ، حتى حل بها وباء ، فتركها أهلها خوفا وجزعا ، وخرج الباب منها إلى أصفهان حيث كان يحكمها حاكم أرمنى اسمه « منوچر خان » أوى الباب وآمن به ، ولكنه لم يلبث حتى مات بعد أربعين يوما ، ففقد الباب بفقدته ناصرا وحاميا . ثم نقل الباب من أصفهان إلى تبريز ثم إلى سجن قلعة ماكو حيث قضى به تسعة أشهر ، ثم نقل منه إلى قلعة جهریق واستقدم منها إلى تبريز حيث مثل أمام لجنة من العلماء انتهت إلى تكفيره ، فجلد أمام الناس ثم سجن ثانيا . وأخذت فتوى من العلماء بقتله ، فعلق هو وأحد أتباعه ، وأطلق عليهما الرصاص فلم يصبهما أول مرة ، ولكن مالبت رصاص فرقة أخرى من الجنود حتى مزق جسدتهما في صباح يوم ٩ يولية سنة ١٨٥٠ واختطف البايون الجتتين ، ودفنت جثة الباب على سفح جبل الكرمل بجوار حيفا ، وإن كانت توجد رواية قوية تؤكد أن الجتتين قد أكلتهما السباع .

وقد أخذ الباب اسمه من الحديث الشريف : « أنا مدينة العلم ، وعلى بابها » . والمراد بكلمة باب في هذه الدعوة المزعومة كان : أولا أنه الواسطة بين المنتظر ، وبين الخلق ، كما ظن أنه يبشر بظهور محمد بن حسن العسكري ، أو المهدي ، حسب اصطلاحى السنة والشيعة ، ثم أعلن أن الرسالة ، التى « كلف » الله بها الباب ، فى زعمهم ، كانت أن يعد الطريق ويفتح قلوب الناس لمن سيأتى بعده .

وكتب الباب عدة كتب أهمها « البيان » ، و « تفسيرات لبعض سور القرآن » وعدد من « الألواح » ، وقد حاول فى كتاباته أن ينهج نهج القرآن الكريم ، ومن كتاباته :

« بسم الله الأبهي الأبهي . بالله البهي البهي . الله لا إله إلا هو الأبهي البهي .
الله لا إله إلا هو المبتهي المبتهي ... وإن هؤلاء لا يتبعون ، وإن اتبعوني لآمنوا
بموسى قبل عيسى ثم بمحمد بعد عيسى ثم بنقطة البيان يوم القيامة ثم بمن يظهره
الله ، ثم إلى ما شاء الله أن يعرفن عباده نفسه على أنه لا إله إلا أنا المهيمن القيوم . .
وفي هذا النص نجد القول بتتابع الرسل ، وعدم انتهاء عصر النبوة ، واستعراض له فيما بعد .
وحين عرف الباب بدنو نهايته ، أخذ يرتب كتاب البيان ، فكتبه من تسعة
عشر فصلا ، ينظم كل فصل تسعة عشر بابا ، وكتب منه ثمانية فصول كاملة ، وفصلا
واحدا من الباب التاسع ، وترك باقي الكتاب ليكتبه . من يظهره الله ، وقد تناول
الباب في كتابه نظريات اعتقادية ومشكلات أصولية ، ستكلم عنها فيما بعد .
وقد أطلقت على كتابات الباب اسم التوقيعات ، والتوقيع في الأصل هو
الخطاب الذي يعزى لصاحب الزمان وحجة الوقت ، ثم تطور فصار هو كتابات
النواب الأربعة عن الإمام الحلي الغائب ، وكانت التوقيعات مقدسة واجبة الطاعة .
وانتهت التوقيعات إلى أن صارت كتابات الباب ١١

يردد الشيعة وقت السحر ، في شهر رمضان دعاء يقولون فيه : « اللهم إني
أسألك من بهائك بأبهاء ، وكل بهائك بهي » ، ومن هذا الدعاء اتخذ الميرزا
حسين علي بن الميرزا عباس بزرج النوري ، من بلدة مازندران - اسمه . وقد ولد
في ١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ [١٢٣٣ هـ] في طهران ، وكان أبوه يشغل مركزا هاما
في بلاد الشام ، وتلقى الميرزا حسين العلوم المتداولة في ذلك العصر ، غير أنه كلف
بالتصوف ، فأكثر من مخالطة الصوفية ، حتى أصبح معدودا من كبارهم . وقد
التقى بالباب لأول مرة بين مدينتي قم وقزوین ، والباب مساق إلى قلعة جهریق ،
فآمن به الميرزا حسين علي ، الذي عرف بعد ذلك باسم « البهاء » .
وقبض عليه بعد مقتل الباب ، وزج به في السجن ، ويقول البهاء إن « الوحي ،
جاءه في السجن : أنه هو » من يظهره الله ، أي أنه هو من بشر به الباب . ثم نفى
البهاء إلى بغداد ، وفيها انقسم الباييون إلى قسمين : قسم مع البهاء ، وقسم مع « صبح
الآزل » ، وهو أخ غير شقيق للبهاء ، دعا لنفسه كخليفة للباب أيضا .
وإلى المقال التالي لنروى قصة الخلاف ، ونكمل الحديث .

المادية حرب على الأديان

المؤلف: الأستاذ الشيخ محمد عبد النعم غفامبي

المدرس بكلية اللغة العربية

المادية أخطر المذاهب الحديثة ، وأشدّها حرباً لفكرة الدين في الإنسان ، ولفطرة العقيدة التي فطر الله البشر عليها ، وقد شنّ دعائها في الغرب الحرب على الأديان : وأقاموا حكومات تؤيد مذهبهم الالحادي ، وتحمل الناس عليه بقوة القانون ، وتطارد دعاة الأديان والمؤمنين بها أينما كانوا .

والمادية في جملتها تذهب إلى أن المادة في كافة صورها هي المؤثرة في كل شيء وإلى أنها في الوجود أسبق ، وأن لها ، لا للعنويات ، الصدى المعلى في مصائر الشعوب والانسانية .

وكان للمادية دعائها في القديم ؛ ومن آمن بها الفلاسفة هيرقليطس ، وليوسيس ، وديمقريطس .. ومن دعا إليها في الحديث : سيكون ، وهوبز ؛ وقد ذهب الأخير إلى أن المادة والحركة هما وحدهما الحقيقتان المطلقتان ، وأن المعرفة الانسانية تأتي عن طريق الاحساس ، وقد أيده في ذلك تولاند الذي رأى أن المادة هي القوة ، والحركة والحياة والعقل بعض خواصها ، وأن التفكير هو وظيفة العقل . وكذلك نهج بريستلي ، وهارتلي ، ودارون ، وبلا ماتري ، وسواهم ممن استغنوا عن الروح واطرحوها وفسروا الحياة تفسيراً ميكانيكياً مادياً محضاً . وألف ، بختر ، كتابه ، القوة والمادة ، ، الذي ظل حيناً دعامة المذهب المادي ^(١) . وأعظم الماديين هو كارل ماركس اليهودي المادي المتطرف ، وقدورث الروح المادي عن أستاذه انجلز الذي كان يقول : « إن العالم المادي الذي ندركه بحواسنا ، والذي نحن جزء منه ، هو الحقيقة الوحيدة ، وليس الإدراك والتفكير إلا نتاجا

(١) راجع ص ٢٦ وما بعدها من كتاب نقد النظرية الماركسية لأحمد جمال الدين طبعة ١٩٤٨

لعضو من أعضاء جسمنا ، وهو المخ ؛ فليست المادة من إنتاج العقل ، بل إن العقل نفسه ما هو إلا أسمى إنتاج للمادة . وتفسير ماركس للمادة هو الأساس الأول الذى يبنى عليه الشيوعيون مذهبهم ؛ فنجد لينين وستالين يقرران أن المادة والطبيعة والوجود حقائق موضوعية ، خارج نطاق عقلنا ، ومستقلة عنه ؛ والمادة تأتي فى الصدارة ، ويتلوها العقل . ومن ثم فالحياة المادية للجمع والوجود المادى له ، لها السيادة على الحياة الروحية التى هى انعكاس للمادة ؛ كما يقرران أن العالم بطبيعته مادى ، وأن الظواهر المتضاعفة للعالم تشتمل على أشكال مختلفة من المادة فى تحرك ، وأن ارتباط الظواهر واعتماد بعضها على بعض هو قانون ارتقاء المادة ، وليس من حاجة إلى الروح الشاملة ^(١) . وكذلك تؤمن الشيوعية الحديثة بنظرية النشوء والارتقاء التى قال بها دارون ، ومن ثم تصر على إنكار وجود الله وكان لإنجاز يرجع كل شيء حتى الدين ، والأخلاق والفكر والثقافة إلى انعكاسات للأحوال الاقتصادية والمصالح الطبقة ^(٢) ، ويفسر هو وتلاميذه الأحداث التاريخية تفسيراً مادياً ، وهذا التفسير الاقتصادى للتاريخ ينكر الدين ، وكان ماركس شيخ الماديين لا يؤمن بالمثل ، ولا يدين بالمحسوسات ، ويؤثر عنه قوله : « لا إله والحياة مادة ، وقوله : الدين مخدر الشعوب » ، وقوله : « رسالة الطبقة العاملة هى القضاء على الدين والداعين إليه » . وكان « هوبز » يقول : « إن الأشياء المادية وحدها هى المحسوسة بالنسبة لنا . فأنا لا أستطيع أن أعلم شيئاً عن وجود الله ؛ ووجودى الخاص هو وحده الأمر المؤكد ، أما ما عداه فخيال لا أصدقه » . وكان بها لإنجاز يقول : « لا محل مطلقاً لوجود خالق » ^(٣) .

كل هذا قطرة من بحر من آراء الماديين فى إنكار الروحيات ، وجحد وجود الله ، ونبد فكرة الدين ، وحربهم الخطرة على الأديان .

(١) راجع ٨٣ المفاهيم السياسية المعاصرة ، ١١٣ الدستور السوفيتى ، ٥٢ الشيوعية فى الميزان .

(٢) راجع ٣٠ و ٣١ الدستور السوفيتى - طبع النهضة ١٩٤٩ .

(٣) ١٧ الاشتراكية العلمية والاشتراكية الخيالية لفرديريك إنجلز .

ولا شك أن هذا المذهب الإلحادي على ضلال مبین ، وهو لا يحارب بآرائه الإسلام وحده ، وإنما يشرك معه جميع الأديان . والذين يؤمنون بهذا الإلحاد هم في رأى الإسلام مرتدون ، يقاتلون حتى يفيثوا إلى دين الله وإلى الحق .

إن الدين عنصر من العناصر التي لا تتم الحياة بدونها ؛ وهو رسالة الله إلى الإنسانية ، حملها الأنبياء والمرسلون ، وأدثوها إلى الناس الخير وسعادتهم في الدنيا والآخرة . . والفلاسفة والمفكرون الذين لهم خطرهم في الحياة الفكرية في العالم القديم والحديث كانوا من خير الدعاة إلى فكرة الدين والإيمان بالله ورسله ؛ وكان تولستوى يقول : « إن الدين وحده هو الذي يجعل الحياة ممكنة » ، ويقول : « إننى لا أعيش إذا فقدت العقيدة في وجود الله ، ولولا أننى كنت ألتقى بأمل غامض في وجود الله لقتلت نفسى من زمان بعيد ، عشت باحثاً عن الله وإذا فلن تعيش بدوني ، وعندما اعتقدت في وجود الله اعتقدت في الكمال الخلقى وفى التقاليد التي تحمل معنى الحياة . .

ويقول شوبنهاور : « إن فكرة الإله الذى ليس له نهاية ، و قدسية الروح ، والعلاقة بين الله وعباده ، كلها أفكار صيغت في الضمير البشرى الخفى الذى ليس له نهاية ؛ وهى تلك الأفكار التي لا يمكن لى ولا للحياة البقاء بغيرها . » ويقول ريتان : « من الممكن أن يتلاشى كل شيء نحبه إلا الدين ، فسيفى أبد الآبدين حجة ناطقة على بطلان المذهب المادى ، ويثبت « كريسى موريسون ، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم في نيويورك في كتابه « الإنسان ليس وحيداً ، وجود الله بأدلة عليية لا تقبل الجدل ، وينتهى إلى أن الله في كل مكان وكل شيء . ولكن أدنى ما يكون إلى قلوبنا ، وأن قول صاحب المزامير : « السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، هو قول صحيح من ناحية العلم والتخيل جميعاً »^(١) وأكد عدد كبير من علماء الذرة والفلك وعلم الحياة والرياضة أن لديهم أدلة كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ، ينظم هذا الوجود ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى

لا حد له ، ويقول الدكتور « راين » إنه ثبت من أبحاثه في المعامل أن في الجسم البشري روحاً أو جسماً آخر غير منظور ، وقال عالم آخر إنه لا يشك في أن الكائن الأعظم وهو ما تسميه الأديان السماوية ، الله ، هو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة في هذا الوجود ^(١) .

ولذا ثبت وجود الله ثبتت الرسالة وفكرة الدين ، وثبت أن محمداً والرسول قبله صادقون فيما يحدثون به عن الله من عقائد وشرائع وأديان ، وأن علينا واجب الإيمان بها وبخاتمة هذه الرسالات وهي « دين الإسلام » ، وبالكتاب الخالد « القرآن » معجزة هذه الرسالة .

وصدق الله العظيم في قوله : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » .

كلمات بليغة ماثورة

مدح خالد بن صفوان رجلاً فقال . فريع المنطق . جذل الالفاظ . عربى اللسان . قليل الحركات تحسب الإشارات ، حلوا الشائل . كثير الطلاوة . صموت قوول . لم يكن بالبرم في مروءته ولا بالهذر في منطق . متبوع غير تابع ، كأنه علم في رأسه نار . ودخل سهل بن هرون على الرشيد . فوجده يضاحك ابنه المأمون . فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له في البركات حتى يكون كل يوم من أيامه موفياً على أمسه . مقصراً على غده . فقال له الرشيد . يا سهل . من روى من الشعر أحسنه وأجوده . ومن الحديث أصح وأبلغه ، ومن البيان أفصح وأوضحه . إذا رام أن يقول لم يعجزه . فقال سهل يا أمير المؤمنين ما ظننت احداً تقدمنى الى هذا المعنى . فقال هرون . بل أعشى همدان حيث يقول :

وجدتك أمس خير بنى لوى وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفاً كذلك تزيد سادة عبد شمس

المسلمون والتصوير

للمؤلف: الأستاذ أحمد محمد عيسى

ليسانس في الآداب - دبلوم في الآثار

— ٤ —

آثار القول بتحريم التصوير :

لا جدال في أن الفن الإسلامي قد تأثر بأقوال الفقهاء عن حرمة التصوير ، كما حالت تلك الأقوال دون حرية الفنان في عمل الصور الآدمية والحيوانية ، وبدأ على ما رسمه منها الجمود والجفاف والبعد عن محاكاة الطبيعة .

غير أن الطاقة الفنية عند الفنان المسلم تحولت إلى موضوعات زخرفية قوامها الرسوم النباتية والهندسية وبرع المسلمون في هذين النوعين من الزخرفة وزينوا بهما المساجد والقصور والثياب والستور والآلات والمخطوطات والمصاحف وكل ما صنعه المسلمون مما يحتاج إلى زخرفة ، وانتشرت تلك الزخارف في جميع العالم الإسلامي وعرفها الغربيون عنهم ونسبوا إلى مبدعيها العرب وسموها « الأرابيسك » .

وكان من نتائج انصراف غالبية الفنانين عن رسم الصور الآدمية والحيوانية بسبب القول بالتحريم ، أن أقم ما أنتجه المسلمون من هذين النوعين بالضعف أو المسخ لانعدام الخبرة الطويلة والدراسة الصحيحة للموضوع المرسوم .

ولكن الفقهاء الذين وضعوا بأقوالهم من شأن الصور والمصورين ، رفعوا بأقوالهم أيضا من شأن الخط والخطاطين ، ولم يعوزهم دليل على ذلك لأن الخطاطين هم الذين يسطرون كلمات الله وآياته البينات . ولأن الله قد أقسم في كتابه العزيز بالقلم ، ولأنه قد علم بالقلم ، ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتدح الخط .

وقال عنه إنه مفتاح من مفاتيح الرزق .

وهذه الأقوال المأثورة عن فضل الخط الحسن وكاتبه جعلت لاهله شأنًا عظيمًا وقربتهم من الملوك والأمراء ، وتنافس هؤلاء في جمع تنف من خطوطهم ، واستخدموهم في زخرفة القصور والمساجد وغيرها بأنواع الخط الجميل ، كما اهتم الكتاب بالترجمة لهم والكتابة عن فنهم ، وعن الأعلام منهم أمثال ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي وغيرهم . وبينما ندرت لمضامات الفنانين على ما أنتجوه من تحف وآثار ، فإن لمضامات الخطاطين كانت تزدل جميع ما كتبوا لأنهم أدركوا من مجتمعهم الإسلامى أنهم يقومون بعمل كريم مشرف مرضى عنه من الله والناس ، على عكس إخوانهم المصورين .

مزاولة المسلمين للتصوير :

ولسائل أن يسأل : وهل أدى القول بتحريم التصوير إلى عزوف المسلمين عن ذلك الفن ، واستجابتهم التامة إلى أقوال الفقهاء ؟ ونجيب على ذلك من واقع التاريخ وقائم الآثار بما يدل على أن الاستجابة لأقوال الفقهاء بتحريم التصوير لم تكن صادقة ولا قوية .

ولأنما زاولها العارفون بها في غير تحرج ولا خوف ، لأن اتاجهم الفنى نال ما يستحقه من تقدير الناس وعلى رأسهم أولى الأمر ، بل كثيراً ما جند خلفاء المسلمين وأمراؤهم الصنائع والفنانين لعمل الصور والتماثيل ليزينوا بها قصورهم وحدائقهم وأما كن لهم . ونحن إذا عرضنا الآن أمثلة عما أنتجه الفنانون المسلمون من الصور والتماثيل في مختلف العصور والبلدان ، فإننا لا نقصد أن نتخذ من ذلك الدليل على حل التصوير وإباحته ، وإنما نسوق تلك الأدلة لنظهر أن إيمان المسلمين بأقوال الفقهاء عن حرمة التصوير لم يأخذ مكانه من قلوب المسلمين ، حيث لم يكن لتلك الأقوال ما يؤيدها من نص منقول أو برهان معقول ونورد فيما يلي أمثلة لما صنعه الفنانون المسلمون ، أو لما صنع لبعض ساداتهم وأمراءهم منذ فجر الإسلام .

١ — يبدو من الرسوم التى تزين « قصير عمرة » الذى ينسب إلى الوليد الأول [٩٢ - ٩٦ هـ] ، أن المسلمين السابقين لم يفرغوا من التصوير ، بدليل أن الفنانين

قد زينوا ذلك القصر الصغير - الذى كان بمثابة استراحة صحراوية للخليفة وبعض رجال حاشيته - بكثير من الصور الآدمية ، بل بصور راقصات ونساء عاريات .

٢ — يظهر من رسوم واجهة « قصر المشتى » - الذى يختلف حول نسبته ليزيد الثانى أو الوليد الأموى الثانى - أنها تضم صوراً آدمية وحيوانية ، وهذه الصور إما أن تكون رسمت مخالفة للدين ، وهذا ما نستبعده من خلفاء المسلمين الأول ، وأما أن تكون رسمت حيث لم يكن لديهم نص واضح يمنع من عملها لكرهية أو تحريم . ونعتقد أنه لو كان القول بالتحريم موجوداً لمنع المشرفون على ذلك العمل الفنانين من رسم كل ذى روح لحرمة .

٣ — وضع أبو جعفر المنصور تمثال فارس ذى رمح على صهوة جواد فوق قبة قصره الجديد بعاصمته بغداد ، فهل يا ترى كان أبو جعفر جريئاً على الدين أم أن أسطورة « التحريم » لم تكن قد ظهرت ، للوجود ١٩ نعتقد أيضاً أن أبا جعفر لو عرف أو وجد ما يدل على التحريم ، لعطل استخدام ذلك التمثال ، ولمنع من تزيين قبة قصره به ، لاسيما ونحن نعلم أن عصر أبا جعفر كان حافلاً بأعلام الفقهاء وفى مقدمتهم أبو حنيفة .

٤ — والذى يستعرض كتاب « التصوير عند العرب لتيومور باشا » [نشره الدكتور زكى محمد حسن بك] يرى أن المسلمين رسموا الصور وصنعوا التماثيل وزينوا بها البسط والأثاث والأقداح والكؤوس والبندود والأعلام ، وزاولوها على الخشب والحجر ، والزجاج والسلاح والعاج والنحاس والخزف والجص ، وسائر المواد الأخرى . ولا يسمح المجال هنا بإعطاء ثبت بكل أو ببعض ما صنع لخلفاء المسلمين وأمرائهم وعامتهم من الصور والتماثيل التى زوقوا بها كافة ما استخدموه فى حياتهم العملية ، ولكننا نحيل القارئ على كتب التاريخ والآثار وسوف يعلم منها ما صنع لخلفاء الأمويين بقصورهم بصحراء الشام ، وما صنع لخلفاء العباسيين من تحف وطرائف ، وما صنع لخلفاء الفاطميين على أيدي مصورى عصرهم أمثال : القصير ، وابن عزيز ، وبنى العلم ، وغيرهم ، وما صنع لخلفاء الأندلسيين ، أمثال قصر الحمراء ، وما تزيينت به قصور أمرائهم من تماثيل الطيور والفيلة والسباع ، نعم سيعلم القارئ من كتب التاريخ والآثار أن المسلمين مارسوا

على مر السنين وفي مختلف البلدان ، ما يقول الفقهاء بحرمته ، فهل خرج جميع المسلمين على أصول دينهم ، أم أنهم فهموا من النصوص الموجودة غير ما فهمه الفقهاء في العصور المتأخرة ؟! يخيل لي أن عامة المسلمين عاشوا بمعزل عن أقوال أو سروح فقهاء المسلمين ، لأن هؤلاء الفقهاء جمدوا عند النص ، في حين اضطر المسلمون إلى الحركة ، خاضعين في ذلك لقانون الحياة العام الذي يحرف من لا يسايره .

الشيخ محمد عبده والتصوير :

نسجل هنا رأى علم من أعلام الإسلام في العصر الحديث ، وإمام مشهود له بالعلم والاستقامة ، وأزهري مستنير واسع الثقافة هو المرحوم خالد الذكر الإمام الشيخ محمد عبده ؛ قال رأيته هذا بمناسبة زيارته لأحد متاحف صقلية وجاء فيه :

« إذا كنت تدري السبب في حفظ سلفك للشعر وضبطه في دواوينه ، والمبالغة في تحريره ، خصوصاً شعر الجاهلية ، وما عني الأوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب في محافظة القوم على هذه المصنوعات والرسوم (والتماثيل) فإن الرسم ضرب من الشعر الذي يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذي يسمع ولا يرى ، إن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الأشخاص في الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات في المواقع المتنوعة ما تستحق به أن تسمى ديوان الهياآت والأحوال البشرية . لحفظ هذه الآثار حفظاً للعلم في الحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها . إن كنت فهمت من هذا شيئاً فذلك بغيتي ، أما إذا لم تفهم فليس عندي وقت لتفهمك بأطول من هذا . وربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهي : ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية ، إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية ، وأوضاعهم الجسدية ، هل هذا حرام أو جائز أو مكروه أو مندوب أو واجب ؟ .. فأقول لك إن الرسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التماثيل أو الصورة قد عني من الأذهان . »

وفي هذا المقال الذي أعلن فيه الإمام الشيخ محمد عبده عن رأيه في موضوع التصوير ، عرض كذلك لمناقشة بعض النصوص الواردة في التحريم ، وتناول بالشرح والتعليق حديث : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ، فقال :

« إن الحديث قد جاء في أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ في ذلك العصر لسبيين : الأول اللهو ، والثاني التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين . والأول مما يبعثه الدين ، والثاني مما جاء الإسلام لمحوه ، والمصور في الحالين شاغل عن الله أو ممد للإشراك به . فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر... ولا يمكنك أن تجيب المفتي بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة فإني أظن أنه يقول لك أن لسانك أيضا مظنة الكذب فهل يجب ربطه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب ؟ »

وبالجملة إنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقيق أنه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل .

هذا هو رأى الأستاذ الإمام وهو فهم واضح لمعنى الإيمان وإدراك قوى لمقتضيات الأحوال ، وهو ما فطن إليه المستنيرون السابقون من المسلمين . ولا شك أن أحدا لا يقدر أن يتهم السلف الصالح بأنه كان متهاونا بأحكام دينه أو مستخفا بعقيدة الإسلام حين عمد إلى عمل الصور والتماثيل لتزيين كل ما أبدعته يد الإنسان . وإن المخطوطات العربية المصورة التي تزخر بها دور الكتب في العالم دليل — يضاف إلى سابق ما ذكرناه من أدلة — على أن المسلمين قد زاولوا هذا الفن دون حرج أو خوف ؛ ولم يدر بخلدكم مضاهاة خلق الله ، عنادا أو مكابرة ، ولم يتطرق إلى نفوسهم أنهم يصنعون بأيديهم صوراً أو تماثيل تعبد من دون الله ، وإنما رسموا ما رسموا لأنهم أدركوا أن الدولة الإسلامية إنما تستكمل مقومات حضارتها بالإسهام في ميدان الصناعة والفن ، فأعلوا البناء وأبدعوا التحف وزوقوا الكتب وسخروا ذلك كله لخدمة الدين . وقد تخلف عما أبدعته أيديهم تراث حضارى ضخم أصبح هو والعقيدة الإسلامية شيئين متلازمين ، وساعد كل منهما الآخر على التوسع والانتشار ، فهل يصح أن يأتي شخص منا الآن فيناقش ما ثبت نفعه على مر العصور وما لم يظهر منه أدنى خطر على العقيدة ؟

أعتقد أن السابقين من أهل الإسلام كانوا أوسع فهما لمعنى الإسلام من متأخري المسلمين وإن فهمهم العلى لمنطق الحياة هو سر نجاحهم وسيادتهم . [يتبع]

موازين الأقلام

مؤتاز الشيخ كامل محمد عجمون

المدرس بالأزهر

عندما تلتفت إلى ماضى الأدب العربى ، ونقف على مفاخر القرائح التى أقامت معالم خالدة فى منابه التراث الفنى الزاخر بالألوان النفسية ، والظلال البيانية ، والزخرف المجمل من محسن معنوى ، أو طلاء لفظى ، نجد القداى على سبق ربما أعجز المحدثين أو أسلمهم إلى التسليم ، حتى إذا طالبناهم بالاعتداه وحسن المتابعة ، لاذوا باعتذار العاجز ، وحجة المتخلف القاعد عن التدبر والتحصيل

ولن بعدم المحدث أن يقول : صناعة خلت أيامها ثم يتعلل بمطالب العصر من سرعة إلى يسر ؛ إلى إلهام ، إلى تخفف من أعباء البلاغة المفرقة فى الاستجابة ، إلى قوة البداوة (الأموية) أو الحضارة (العباسية) .

ولو أنصفنا واقع عجزنا لقلنا — معترفين — إن تقصير الاديب فى الحصول ، وتهالك الأقلام على سرعة الشهرة ، وخضوع الكتاب لعامة القراء الذهنية وضيقتنا بتكاليف التمرس ، وعناء المحاولة ؛ كل أولئك وغير أولئك مما نعرف ، ونمسك عن التصريح به حياء أو كبرا — ألهم يرد سر الإباق من ميادين وضعت لها الموازين الحققة لفن القلم من رسالة أو مقامة ، أو مقالة أو أقصوصة ، وغير ذلك من صور التعبير عن الخواج الإنسانية فى القديم المعرق فى القدم ، أو الجديد المسك بعصم الابداع العربى الطواف حول العمود البلاغى الموروث والمكتسب .

وسوف تثوب الأقلام — ونراه قريباً — إلى رشدنا ضنا بجهدنا ، وحرصا من أصحابها على أن تترك أثرأ يدينها من الخلود ؛ وإلا كانت كالتى نقضت غزلها وماتت آثارها القلبية قبل أن يخرج صاحبها من حياته الدنيوية المحدودة بعمر مهما طال أمده ، فهو أقصر من عمر الظل .

وإني لراشح بك إلى صيرفي خلاق ، وناقد مفتن دبر وأدار الرأي في صنعة القلم ، إتيان العصر الذهبي العباسي ، ذلك هو ابن المدبر ، صاحب الرسالة العذراء التي وصفها — في كثير من الاعتداد — بأنها بكر معان لم تفتربها بلاغة الناطقين ، ولا لمستها أكف المفوهين ، ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين ، ثم طلب أن تكون مثالا ومصورة ومسامرة في ليل الكاتب ونهاره .

فإذا قلبت مطارح ميزانه ، وجدت الكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلبه عيون الكلام من يبايعها ، وظهرت من معادنها ، وندرت من مواطنها عن غير استكراه ، ولا اغتصاب . .

ومن كان على هذا المبيع عد في الصفوف التي نالت إعجاب ، الجاحظ ، : ما رأيت قوما أمثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب فأنهم اتسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا ، وقال خالد بن صفوان ، أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوى المغرب ، ولا القروي المخدج ، الذي صحت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على ألسن القائلين ، وخف على آذان السامعين ، ويزداد حسنا على عمر السنين بتجلية الرواة وتنقية السراة . .

وصاحب العذراء يحذرنا مزالق التهم والعجب مما يدفع الشدة في الصناعة القلبية ويدعوا الذي مني بحب الكتابة وصناعتها ، إلى أن يعرض نتاجه على البلغاء والشعراء والخطباء ، ممزوجاً بغيره ، فإن طلب ، كان له أن يكشف عن نفسه ، وإن رأى القلوب ذاهبة عنه استدل به على التخلف والتقاصر عن أهل الأدب والبلاغة وصناع الجمال الخالد .

ووصاة (ابن المدبر) للمحاولين والمزاولين يزجها مشرقة صريحة (إن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزود اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت ، وعاير الكلمة بمعياره إذا سنحت إلى أن يقول : وأدر الألفاظ على أعكانها وأعرضها على معانيها ، وقلها على جميع وجوها . ولا تجعل اللفظة قلقة في موضعها نافرة عن مكانها) .

ولأنه بذلك يتحاشى النسخ المبهجن ، كما يتجنب الثوب المرقع .
وصاحب العذراء مع غيره فى أسس الصناعة التى لا تقوم بدونها ، مهما كان
استعداد رب الموهبة .

من ذلك ، تصفح فن المتقدمين ، ونوادى ما يستعان به ، يستوى الشعر والخبر
والسير ، والسمر والمقامة ، والخطبة والمحاوره . وما توافد وترافد من الثقافات
الداخلة على العرب .

وفى الطليعة بعد علوم الوسائل : التهر فى نزع آى القرآن واجتلاب الأمثال ،
واختراع الألفاظ الجزلة إلى غير هذا مما يحلى ويزين ثمرات البراعة الفارعة البارعة
بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة ، حلو الشئائل عذب الالفاظ ، دقيق الفهم ،
حاذق الحس ، محنكا بالتجربة ، عالماً بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، مع براعة
الادب وتأليف الأوصاف .

والتفاوت فى العلاج البياني على قدر المقامات والأوضاع التى يهدف إليها
الكاتب مطلوب ابتداء ، فلا يعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً لا تقيماً
بمن كاتبته ، ومشابهاً لمن راسلته ، فإن الباسك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظاً
مختلفاً عن قدر المكتوب إليه ، لم يجز به عادتهم تهجين للمعنى وإخلال بقدره ،
وظلم لحق المكتوب إليه ، ونقص مما يجب له .

ولا خلاف على شرف القلم ، وإنما الخلاف على كيفية البلاغة ، ولسنا بصدد
إحصاء الانجماها ، ولكننا مع خالد بن صفوان نؤثر موجز تعبيره (ليس البلاغة
بحففة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى والقرع بالحجة) .

وليس هنا مكان سرد المثل ، وجمع الآراء والأقوال ، لأن مرادنا التذكير
بالموازن التى تعصم ولا تقيد ، وترتفع بالذوق دون أن ترد الخلاقين المبسكين
إلى نسكسة التقليد .

وبحسبى أن تؤسس أدبنا المحدث من أول درس لإنشائي على قوة من الماضى
وتقوى من الأدب الرفيع ، لتتمكن من القضاء على الليونة والترهل والإسفاف ،
والنزول بالتعبير عن الخواجج والآراء إلى درك هزيل يولد وجه النهار ، ويموت
إذا مالت الشمس للغروب .

العربية

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

أستاذ بكلية اللغة العربية

العربية ، اسم كتاب ألفه المستشرق الألماني : يوهان فيج ؛ وعربه الدكتور عبد الحلیم النجار ، عضو البعثة الفهمية إلى المانيا ، وأحد مدرسی كلية الآداب فی جامعة فؤاد ، ومبعوث الأزهر إلى فرنسكو .

وبنو النجار : الأستاذ محمد فی كلية اللغة العربية ، والدكتور عبد الحلیم ؛ من القوی التي تعمل كثيرا ، ولا تتكلم كثيرا ، ولا قليلا عرفت أولها ، معرفة خلاط ومشاركة ، وزمالة ؛ عرفت : نبالة الخلق ، وتواضع العلماء ، وإخلاص المؤمنين ، وأمانة القات الأثبات ، ورسوخ الجبال الراسيات .

وعرفت الآخر عن طريق الأول ، عرفت الكثير ، فی الزمن اليسير ، وأدركت تشابه الغرابین ، وتماثل الشقيقین .

ولا غرو ؛ فأنهما ينزعان فی ذلك إلى عرق ؛ فلتد عرفت المغفور له والدهما الكريم : الشيخ علی النجار من كبار علماء الأزهر ؛ وتلقیت عنه حاشية السمرقندية فی البيان ؛ وكان صورة مكبرة من ولديه ، لا یفترق عنهما ، إلا فی أنه - رحمه الله - كان حسن التقاطيع ، جميل العينین ، ملیح الوجه ؛ فأما هذان ، فأنهما - ولا حياء فی الحق - من الخناشیر !

وكتاب « العربية » یتماز بأن مؤلفه ، قد نخل كتب العربية فی أرقی عصورها ، نخلا دقيقاً كل الدقیق ، ثم طرح الفضول والحواشی ، وأودع كتابه الجوهر المتخير ، والباب المتخل ؛ فإذا قرأته وكنت مطلعاً ضليعاً ، استذكرت كل ما درست ، وصححت كثيراً مما علمت ؛ وإذا قرأته خفيف الإلمام بكتب اللغة

العربية ، حملك حلا ، على المراجعة والدرس والبحث ؛ فهو ليس مؤلف عالم تنتهى غايته عند حدود كتابه ، ولكنه مؤلف سياسى واسع الأفق ، يضع البذرة موضع الشجرة ، والذرة موضع الدرة ؛ ثم يترك للقارى فرصة التنمية والاستكمال ؛ خدمة للعلم ، وتطلبا لإدراك الكمال .

والدكتور عبد الحليم النجار ، دل بهذا الكتاب على أنه ليس عالما حسب ، بل على أنه - مع ذلك - داهية أريب ! فموضوع الكتاب ، من صميم موضوعات اللغة العربية ؛ وتعميره فى هذا العهد ، الذى كثر فيه الكلام حول اللغة بين المحافظين والمجددين ، يضع أمام الباحثين شهادة حاسمة من شاهد غير متهم ، لا يسع المجمع اللغوى ولا غيره من مؤسسات اللغة ، استنكارها ، ولا الغرض من شأنها . فالامر ليس فى بدع اختيار الدكتور لتعريب هذا الكتاب بالذات ؛ بل إن انتهاز الفرصة فى إخراجها اليوم أبدع وأبرع . وقد يما قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله . وإذا أضفنا إلى ما سبق ، أن الدكتور قد ترجم هذا الكتاب ، ترجمة الدارس الحاضم المطمئن ، الذى تسعفه مدخراته اللغوية بكل ما يطلب ، ويجد ما يقوله فى كل موقف ، ولا يخفى على قارى أنه مستكمل الأداة - أقول : إذا أضفنا هذا إلى ما سبق ، عرفنا كيف مهد الدكتور عبد الحليم النجار لجلال مستقبله ، وأدركنا مدى الجهود التى بذلها ، فى مطلع هذا الأساس الرصين ، لذلك البناء الشاخ الرفيع إن شاء الله !

ولعل أهم ما عرض له هذا الكتاب ، مما لم أره فى غيره من كتب العربية : عربية ومعربة ، وكرره عند كل مناسبة :

صلة العربية بالإسلام :

فهو يقول فى مقدمته :

« لم يحدث حدث فى تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً فى تقرير مصيرها من ظهور الاسلام ؛ فى ذلك العهد - قبل أكثر من ١٣٠٠ عام - عند ما رتل محمد صلى الله

عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربي مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة .

ويقول في ص ٥٠ :

« لم تهجر اللغة العريية في هوة السقوط الذي حاق بالدولة العريية ، على الرغم من أن جزيرة العرب وسورية بالذات ، أى الأقليمين الوحيدين اللذين لم يكن اللسان العربى فيهما قلة تجاه السنة أصيلة الديار ، هما اللتان أصابهما هذا الانقلاب السياسى بشدة وطأته في الصميم ، ولماذا لم تنزل عن المسرح مع طبقة السادة العرب الذين كانوا - حتى ذلك الوقت ، ولا يزالون - بمسكين بزمام القيادة والتوجيه - لفهم كذلك ؟ ربما كان سبب ذلك ، هو أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم ، أيا كانت لغته الأصلية ، جزءاً لا يتفصل من حقيقة الإسلام ، حتى إن الفرس الذين باشروا الحكم إذ ذاك ، لم يكونوا يستطيعون التفكير في رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة ؛ بل حتى في فارس ، كان يجب أن يمضى قرن بعد لتحفظ اللغة الحديثة للأدب الفارسى بيعث حياتها . »

ثم يقول في ص ٢٠٩ :

« وإذا نسب إلى ابن محمود هذا - السلطان محمود ٥١١ - ٥٢٨ هـ - أنه كان جيد الدراية بالعريية ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى تعليماً مؤسساً ، لأن العريية قد حفظت مكانتها الفذة من حيث هي لغة القرآن ، والعبادة ، والفقهاء القانونى ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة المحافظة ، التى سار عليها السلجوقيون عناية أكثر من أى عهد سابق . »

ثم يختم مضافه بهذه الأحكام الدامغة الحاسمة ، فيقول في ص ٢٣٣ ، وهي آخر الكتاب :

« وقد ظهر أخيراً أثر آخر من آثار التأثير بالغرب ، حيث علمت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر ، تنحى بالتقدي على العريية الفصيحة نفسها ، وتتحدث عن صبغ التعليم اللغوى بصبغة جديدة ، توائم قواعد التربية اللغوية الحديثة . »

وقد كان لزاماً على العربية الفصيحة أن تقض على تلك الحركة ؛ لا لأن انتصارها قد لا يبقى أثراً للنحو العربي ، بل لما هو أهم من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية ، يتعسر ، أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة رباطاً عاماً لكل البلدان الناطقة بالعربية ؛ وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة ، إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

ولأن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمى أساسيا لهذه الحقيقة الثابتة : وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة فى المحيط الإسلامى ، رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام فى الثقافة والمدنية .

واقصد برهن جبروت التراث العربى الثالث الخالد ، على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها الى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطئ الدلائل ، فستحفظ أيضا بهذا المقام العتيذ من حيث هى لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية ١ .

* * *

ومن أهم ما عرض له كتاب « العربية » حجة القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، فى أمور اللغة .

فهل يقول فى ص ٢٢٦ بعد كلام طويل :

« ويقال : إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هى حجة فى أمور اللغة ، هو النحوى ابن خروف الأندلسى الذى اختل فى آخر عمره ، ومات فى حلب فى أوائل القرن السابع الهجرى ، والذى نال شرحه على « الكتاب » لسيبويه ، و « الجمل » للزجاج ، حظوة كبيرة .

وتبعه فى ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتداد والاهتمام بالحديث ؛ حتى إنه عاون « اليونينى » على تصحيح نسخة من البخارى ، وألف مصنفًا خاصًا فى تفسير بعض النصوص الصعبة من الحديث . وهو يرى أن

القرآن هو أوثق المصادر وأصحها في أمور اللغة ، وتجيء أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مباشرة ، في المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدويين من الأعراب في المرتبة الثالثة .

أقول : وقد سبق لي أن نشرت في مجلة الأهرار رأيا يخالف هذا الرأي .

وفي الكتاب ، غير ما ذكرت ، ما لا يؤديه بأمانة إلا الاطلاع والدرس ؛ ويسعدني أنني قد اخترته في مقدمة الكتب الثقافية لسلكية اللغة العربية ، مُصاحف الجامعة الأزهرية ، ودرة تاجها الكريم .

* * *

أما بعد ، فإنه يلزمني أن أساور الدكتور النجار : ذلك العملاق الجبار ؛ سوارا أكرم غاياته بي ، أن أعرفه عن عيان ، أتى درست كتابه ، من : تمهيد ، إلى : أبي نخيلة السعدي . أي من أول حرف لآخر حرف .

ذلك أتى في أثناء قراءتي لكتابه الكريم ، وقفت عند المواضع الآتية :

ص ١٧ س ٤ — كانت توجد في البصرة جالية .

وحذف ، توجد ، هنا واجب .

ص ٥٧ س ٣ — فكثير من صيغ الأسماء في العربية القديمة .

يقل عنده أو ينعدم تماما .

والفعل « ينعدم » لا تعرفه اللغة .

ص ٥٩ س ٦ — وبما أن الشعوب والأقوام في المدن العظمى

وهو تعبير فيه غامية .

ص ٨٢ س ١٥ — كانت سائدة في الوديان والسهول .

واللغة تعترف بالآودية ولا تعرف الوديان .

ص ٨٣ س ٢ — في هذا الموضع وفي غيره وضعت همزة .
فوق ألف : أفريقية .

والذي في القاموس : إفريقية كجلبقية ،
بكسر الأول ، وتشديد الياء الأخيرة .

ص ٨٩ س ٢ — فعلى رأى ابن سناء الملك ، ينبغي أن تكون « الخرجة » ،
فيما عدا المديح ، لأنها تتضمن اسم الممدوح في هذه الحالة
بعيدة عن أسلوب السخف الحجاجي ، وأن تكون
صيغتها على قالب ابن قزمان ، أى في أسلوب ملحون .

ونص عبارة ابن سناء الملك في دار الطراز : والشرط فيها
(الخرجة) أن تكون حجاجية من قبل السخف ،
قزمانية من قبل اللحن ، حارة محرقة ، حادة منضجة ،
من ألفاظ العامة ، ولغات الخاصة الخ .

ص ١٩٣ س ٧ — طالما استحيى (كذا) من اللحن اللغوى . والصواب
أن ترسم ، استحيا ، بالالف .

ص ٢٠١ س ٧ — وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية ، حتى ينتقلوا
إلى العربية .

وهو تعبير غير مفهوم .

والكمال المطلق ليس من صفات البشر ؛ بل هو لله وحده ؟

سياسة الحزم

لفقيه الأئمة الشيخ السيد شريف

المدرس بمعهد القاهرة

رسم الدستور الإسلامى للمسلمين سياسة الحزم والقوة والإقدام والصرامة بعبارة المحكمة الخالدة ، فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ، . وقد نفذت هذه السياسة في غير خوف أو تردد ، رغم ما لقي دعائها وناشروا لوائها بادية الأمر من ضيق وعنت وقسوة وظلم . حتى آنت ثمارها طيبة موفورة بما أفاضه الله على المسلمين من نصر مؤزر بفضل تمسكهم بعقيدتهم وتفانيهم في حقهم . وإيمانهم بأن القلة الصابرة لا تثبت أمامها الكثرة الباغية . مما جعل المشركين يدخلون في دين الله أفواجا . ناذرين وراهم تلك النعرة الجاهلية المردولة التي دفعتهم فترة من الزمن . أن يشمخوا بأنوفهم عن الإصاخة لما يدعو إليه الدين الجديد الذى قدس المساواة ودعا إليها . وحث على التمسك بها في قوله تعالى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقول رسوله ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، . لتبقى لهم منازلهم الموروثة ومجدهم القديم . كما أنزل اليهود من صياصيمهم وأخرجهم من معاقلم وآطامهم . ودفعهم إلى أن يمدوا أيديهم يتغنون من رسول الله المودة والأمن بعد أن قصرت بهم عن الوصول إلى مآربهم وسائل الكيد المتنوعة التي اقترفوها . وقد كانوا يكيدون للإسلام والمسلمين مرة بالدس والإرجاف . ثم بالمراء والجدل فيما يعلون وما لا يعلون . وأخرى بتحريف الكلم عن مواضعه . وإلباس الحق بالباطل مدفوعين إلى ذلك . بكراهتهم للرسول حيث قد رأوا في دينه منافسا يوشك أن يقضى على نفوذهم ويتزع منهم لواء الزعامة ، لانه عربى من أكرم بيوتات قريش . فهو لذلك أقرب إلى نفوس المدنيين منهم . وقد تمسك المسلمون بتنفيذ هذه السياسة بعد رسول الله . ويتجلى ذلك فيما افتتح به أبو بكر رضى الله عنه خلافته ، حينما بدأت القبائل تخرج عن الطاعة تفتحل لصنيعها المعاذير التي تتفق ومآربها . فقصد أرسل إلى الخارجيين أحد عشر قائداً . وأمر كل قائد بالسير إلى ناحية من نواحي بلاد العرب . بعد أن كتب له عهداً يأمره فيه بالجد في أمر الله

ومجاهدة من تولى عنه . ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان . وأمره ألا يرد المسلمين عن قتال عدوهم . ولا يقاتل إلا من كفر بالله ورسوله . ثم نصحه بأن لا يدخل في المسلمين حشواً حتى يعرفهم . ويعلم ما هم . لتلا يكونوا عيوناً يؤثق المسلمون من قلمهم ، وقد كللت كل هذه الحملات بالظفر واستوصلت شأفة المرتدين من الجزيرة العربية بفضل الروح القوية الوثابة التي غرسها رسول الله في نفوس صحابته وأتباعه ، فلم يهنوا ولم يستكينوا . ولو أنهم قد ترددوا أو ضعفوا لاندلع لبيب الفتنة قوياً مدمراً وأحرق لها ذلك التراث المجيد . وأنت على أناس دفعهم المفرضون إليها وهم حسنوا النية لم يقصدوا إلى غاية . شأن سائر الفتن والثورات الخاقدة ينهض بها ذوو الأغراض السيئة . والمقاصد الوضيعة . إن ضعف القادة والمصلحون عن ما همضتها . أشاعت الذعر في النفوس . والتلق في القرى والأصهار . وبذلك يتهايم لثيبرها ما يهدفون إليه من تدمير وإفساد .

ولكن الله قيض لهذا الدين رجالاً عاهدوه على نصرته دينه . وبذل ما يستطيعون من تضحيات جسيمة لتبقى كلمته قوية مهيبة . كما نزلها الرسول . وفي سبيل هذه الغاية استهانوا بما يقدمون من جهد وبذل . وبذلك تم لهم النصر بإذلال البغاة المعاندين . وتأمين الضعفاء الخائفين .

وساد الحزم في غير عنف وقسوة ، سياسة أبي بكر رضى الله عنه . كما هو واضح في عهده إلى ولاته . حتى تلقى العهد منه عمر بن الخطاب . فأعلى شأن هذه السياسة ، ونفذهها على صورة صريحة انتظمت جميع مرافق الدولة . فأشرفت الجميع بعظم التبعة ، وثقل المسئولية ، وأن كل فرد حسابه وجزاؤه على ما عمل ، ليس له من شفيع إلا أن يكون قوياً في إخلاصه ، صادقاً في وفائه . وتنفيذاً لذلك ، كان إذا أمر بشيء أو نهى عنه بدأ بأهله ، لجمعهم وقال لهم : « إني نهيت عن كذا وكذا ، وإن أناس ينظرون إليكم نظر الطير . وأقسم بالله لا أجد أحداً منكم فعله إلا ضاعفت عليه العقوبة ، وكان يتحرى في عمله طهارة الدمة وأصالة الرأي ومضاء العزيمة ، وشرف المقصد . ثم يكتب لكل عهداً ، ويشهد عليه رهطاً من المهاجرين والأنصار . ويشترط عليه ألا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يتخذ باباً دون حاجات الناس ، ويتوعد من يجترى على سلطان المسلمين ، بل ينزل به العتاب مهما سما قدره ، ونبه شأنه . وطاب في الخالقين ذكره . وقد

تجمع له مال فجعل يتسمه بين الناس فازدحموا عليه . فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه ، فعلاه عمر بالدرة . وقال إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض فأجبت أن أعليك أن سلطان الله لن يهابك .

وقد ملأت هذه السياسة القلوب هية لم يشبها مقت . ووداً لم يشبه جرأة ، ولما تهاونوا بعد ذلك في التمسك بها ، وكان لابد منها لإدارة الدولة الإسلامية بعد أن اتسعت رقعتها ، وترامت أطرافها . وجنحوا إلى سياسة جديدة أبحاث لبعض الطبقات تملك الضياع . واقتناء القصور ، والاستمتاع بحياة مترفة ناعمة . وتركزت للأغنياء أمر الزكاة يدفعونها كما يشاءون . كانت نتيجة هذا التهاون تلك الفن الهوجاء ، والثورات الدامية التي أصابت كيان الدولة في شبابها بالوهن والضعف . وأقعدتها عن السير قدما إلى الأمام . واستمرت حقبة من الزمن تعاني آثار هذا التخاذل إلى أن فيض الله لها من أخذ بيدها ، وآسى جراحها .

وما أخرى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها - وقد وضحت لهم نتائج السياستين - أن يأنسوا بسلفهم فيتمسكوا - في عزم وقوة ، ويقين وإيمان - بسياسة الحزم مع أعدائهم ، ويعملوا متكاتفين متساوئين .

وها هي مصر الشقيقة الكبرى لدول العرب تنتهج هذه السياسة ، لها من سيرة زعيمها رسول الله أول من ألقى على سمع الزمن دروس الشجاعة والكفاح . ومن ثقتها بعدالة قضيتها ، وتصميمها على البذل والتضحية . واعتزازها بتأييد شقيقاتها ، ما يجعلها تزم إيماناً لا يخامرهم شك ، بأن على الباغي تدور الدوائر ، مهما تمادى في طغيانه ، واشتط في بغضائه ، وإن النصر للجهاديين الصابرين : « إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

وصفحات التاريخ القديم والحديث ، حافلة بما لقينته في جهادها الأمم التي تطلعت إلى الحياة الكريمة من إسفاف في العداوة ، وإمعان في التشكيل والإيذاء ثم كانت عاقبة أمرها الحصول على حتمها في الحرية كاملاً غير منقوص . تلك سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

والله يهدي العاملين المخلصين إلى الخير والرشد ، ويكتب لهم التوفيق والسداد لأنه سميع مجيب .

السلاح، التعبئة

لفيفير الأستاذ الشيخ محمد خليفة

المدرس بالأزهر

هذا هتاف صارخ جاوز الحناجر الى الجو، فكاد يهز البروج، وتردد في الشرق صدهاء فأيقظه من سكرة الأحلام وغفوة الأوهام وضجعة الاستسلام، وإنه هتاف صادق، ولكننا نريد ثورة جديدة وسلاحا جديدا وتعبئة جديدة.

نريد ثورة لا يقع غرمها على خزينه الدولة، ثورة لا تعرف تحطيم المعاهد والمدارس، ثورة نخزن فيها قوة الشباب ورجال الأمن لليوم الفصل. لا ثورة يصطرع فيها مصرى مع مصرى، قد تراق فيها الدماء ومصر أحوج ما تكون الى قطرة منها.

نريدها ثورة لا يفاظ الوعي وتنبية المشاعر، نريدها ثورة تجمع القلوب وتوحد الصفوف. نريدها ثورة تعلن أن استعباد الشعوب جور لا يقبله أحط الشعوب. ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان: غير الحى والودد نريدها ثورة داخلية على الأخلاق التى انحلت ففقدنا الشعور بالواجب والإحساس بالمسئولية، والاكتراث بالخطر فى أعنف مواقفه لاعن شجاعة ولكنه الاستهتار بالآثيم.

نريدها ثورة من الرجل الدافق بالوطنية، على الرجل الخامل المسالم المستسلم الذى يلوك أحاديث الضعف والخور.

نريدها ثورة من الشباب المؤمن بربه ووطنه، على الشباب الذى لا يعرف شيئا غير الحياة بين أحضان الشهوات.

نريدها ثورة من المرأة التى عرضت فى سنة ١٩١٩ صدرها لرصاص الجبارين الناصبين وخاضت مع الرجل معارك الحرية، على المرأة التى فتحت اليوم صدرها لنظرات الشياطين وعاشت، لزيبتها لا لبيتها ووطنها.

هذه هى الثورة التى تريدها مصر من أبناء مصر.

أما السلاح الجديد فهو ذلك السلاح الذى تسلحت به جيوش الغزاة الذين حطموا أنف السكروية وأذلوا خيلاء القيصرية ، ذلك السلاح الذى أقام به الحفاة وأشياء العراة ملكا خضع كله لرسالة الصحراء .

إنه سلاح الإيمان القوى الذى لا تزعه أهوال الموت ولا يلين قتائه الحديد والتار .

إنه سلاح التضحية الصادقة لله وللوطن ، التضحية بالمسال والولد ثم بالروح كلما دعا الداعى للبذل فى سبيل الله .

إنه سلاح القناعة التى تملأ قلب المؤمن ، فيحارب يومه دون أن يطعم سوى تمرات تزوده بحرارة الحياة ، وبين جنبيه حرارة الإيمان تخلق منه صاعقة تبيد وتهلك ، إنه سلاح الزهد الذى كان يدفع أثرياء المسلمين إلى النزول عن أكثر ما لهم بل عن كل ما لهم للدولة تعد به السكتائب وتنفق منه على الجيوش المحاربة .

إنه سلاح التواضع من القواد المظفرين الذين يدكون القلاع ، ويزلزلون الحصون ، ثم هم لا تتنفخ أو داجهم ولا يشمخون بأنوفهم على محارب وهب حياته لله ، ثم هم لا تأخذهم العزة إذا عزلوا عن القيادة فأصبحوا جنودا كغيرهم ، بل لأنهم المحاربون البواسل فى القيادة والجنديّة على السواء .

إنه سلاح الأخوة فى الله التى فرضت على كل مسلم ألا يترك مسلما أسيراً ، أو صريعاً ، وإنما يصحى بحياته فى سبيل فك أغلال الأسر عن أخيه أو الثأر لدمه .

هذه هى الأسلحة التى فتح بها المسلمون الأولون فتوحاتهم ، وهى التى يجب أن نسلح بها قبل أن نخوض معارك الحرية والخلاص .

إن المدفع والطائرة والنواصة والأسطول ، أسلحة لا تجدى إذا لم تحركها قوى مؤمنة مضحية قانعة ، زاهدة متواضعة متأخية متفانية فى الله وفى سبيل الوطن . وأما التعبئة الجديدة ، فهى تعبئة الناس والقوى والمسال لحياة وادى النيل . تعبئة الأمير وابن الأمير والوزير وابن الوزير والأغنياء وأبناء الأغنياء ، قبل أن يعبأ الفقراء وأبناء الفقراء ، إنها ضريبة الدم فرضت على أبناء الوادى ، فيجب أن يساهم كل بيت ، بل يجب أن تكون ضريبة الدم تصاعدية لافى الأموال بل فى الأنفس

قبل الاموال، فالفصور يجب أن تدفع ضريبة نعيمها الماضى ولهذا الوطن أن قبل تقدم الاكواخ.

ويجب أن تعباً قوى العقول والافكار والأيدي والاجسام لحياة الوادى وخيره، فالمهندس والصانع والعامل والكاتب والشاعر والعالم كل أولئك يجب أن تعباً قواهم لمصر قبل الجندى والتائد.

وتعبئة الاموال اعظم ما تحتاجه مصر في كفاحها المرير، فمال الدولة لا يكاد ينهض بنفقاتها، فلتعباً الاموال التى تعج بها المصارف والخزائن لخير مصر التى أغدقت على الاغنياء هذه الاموال، وإن الضرائب - وإن جلت - لا تثنى مصانع حربية ولا تشيد طائرات ولا أساطيل، فليتنا نسمع يبذل كبذل أبى بكر حين يهود بكل ماله للعبئة، فيقول له الرسول صلوات الله وسلامه عليه: وماذا تركت لأولادك يا أبا بكر؟ فيجيبه في ثقة وأطمئنان ورضا: تركت لهم الله ورسوله.

وهنا يجب على المرأة أن تساهم في هذه العبئة، فتتبرع بنفقات زينتها، وإنها لكثيرة، لسكتائب الجهاد. وكفى موقف من مواقف البذل جادت فيه المسلمات الاوليات بريتهن للعتاد الحربى، فآلقين بأقراطهن وخلاخيلهن ودما لجنهن في حجر بلال بعد أن دعاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البذل للجيش الإسلامية لجندين بما يملكن ونفوسهن راضية... أيها الثائرون.

إن النورة المطلقة تقوض أكثر مما تبني وتخرب ما قد يعجز الزمن عن تعميده وربما تحكمت فيها القوضى فنزعت بها إلى التحلل من الاخلاق فاستباححت كل شيء وأنت على كل شيء.

أيها المطالبون بالسلاح.

سلحوا أنفسكم بالأخلاق أولاً، فليس من رأى أن تحمل كفى سلاحاً لا يجيد استعماله، فتمتد شهره في وجه مواطن يخالف في رأى، أو غريم ينافس في امرأة أو منامر راج، قبل أن تسدده إلى صدور الأعداء، فلنسلح بالأخلاق قبل أن يدوى النفير لحمل السلاح.

أيها الداعون إلى العبئة.

طالبوا بتجنيد العظماء وتعبئة أموالهم وجميع قوى الأمة لخير مصر والسودان فإن فعلتم، فالنصر لمصر والإسلام، والمجد لها.

الشفاعة في الحدود

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم أحمد الوقفى

المدرس بمعهد القاهرة

الحدود، إذا لم ترفع إلى الحاكم وقبل أن تصل إليه، فالشفاعة فيها مشروعة، دعا إليها الشرع وحبب فيها، فقد أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وصححه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه (تعافوا الحدود فيما بينكم، فما بلغني من حد فقد وجب) وأخرج الطبراني عن عروة بن الزبير قال: لقي الزبير سارقا فشفع فيه فقبل له: حتى يبلغ الإمام، قال: إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع. وروى مرفوعا: اشفعوا ما لم يصل إلى الوالى. فإذا وصل إلى الوالى فعفا فلا عفا الله عنه، وقد روى أن صفوان بن أمية طاب بالمسجد فضلى ثم لف رداء له في برده فوضعه تحت رأسه فنام، فأناه لص فاستله من تحت رأسه فأخذه فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذا سرق ردائي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أسرقت رداء هذا؟ قال: نعم، فقال: إذهبا به فاقطعا يده، قال صفوان: ما كنت أريد أن تقطع يده في ردائي!! قال: فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به؟ ويعجبني في هذا المقام ما روى عن الإمام مالك رضى الله عنه أنه فرق بين من عرف بأذية الناس واعتبار المنكر، وبين غيره ممن لم يعرف بالقيح ولم تجر له عادة بمزاولة المنكرات وإنما زلت به التقدم فقال: لا يشفع في الأول مطلقا ردعا له وفي الثاني تحسن الشفاعة له، قبل رفع أمره إلى الحاكم لا بعده. وتحمل الأحاديث الواردة في الترغيب في السر على المسلم على من لم يعرف بأذية الناس.

وإذا رفعت الحدود إلى الإمام فالشفاعة فيها حرام إجماعا، ويجب على الحاكم رفضها وعدم النظر إليها وتعزير من يشفع فيها، فقد روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله في أمره.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً ، ولأن تنفيذ الحدود مما ينتفع به ، لما فيه من طاعة الله بتنفيذ أحكامه وعدم الرأفة بالعصاة وردعهم عن هناك حرم المسين ، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة في صحيح البخاري ومسلم أنه خطب فقال : أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم أنه كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا الحد عليه . فإذا كان ترك الحدود والمداهنة فيها وإسقاطها عن العطاء موجب للهلاك وسخط الله كانت إقامتها على الجميع من غير فرق بين شريف ووضع من أسباب الحياة والسعادة فيها وتطهير المجتمع من الرزايا والوهن .

وحديث ابن عمر المذكور فيه دليل على تحريم الشفاعة في الحدود والترهيب لفاعلها ووصفه بأنه مضاد لله ومعارض له ومعتل لحدوده .

هذا هو حكم الإسلام في الشفاعة والوساطة أبلغ ناصعا ، وهو أنجع دواء شرعه رب الناس للناس لقطع دابر الوساطة وصيانة الحقوق وتقييد الأحكام والحد من سلطانهم وجورهم ، وتحذير لهم من قبول الشفاعات في الأقارب والمحاسيب ، بالتجاوز عن مفاسدهم والتفاضي عن جرائمهم ، مما يغريهم على التهام حقوق الضعفاء والتجارق على حرمانهم ، ومن السكيل للناس بكيلين ، واعتبار القانون حقاً واجب التنفيذ إذا زل فقير أو ضعيف .

وهل هناك أشد من هذا التحذير والوعيد للعافين عن حدود الله ، وحقوق الناس بعد تقررهما من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد الله في أمره) . وقد بلغ به الغضب أقصى غاياته حينما توسط أحب الناس إليه ، أسامة بن زيد ، ليغفو عن فاطمة بنت الأسود المخزومية عندما أراد قطع يدها ونهره في عنف وقسوة وقال : يا أسامة ، لا أراك تشفع في حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام خطيباً وقال : أيها الناس ، إنما هلك من كان قبلكم بأنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسى بيده ، لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها .

فأين نحن من هذه التعاليم السامية ؟ وفي أى جاهلية نعيش ؟ إننا حين نسمع هذا ثم ننظر إلى أحوالنا التى نصطلى بها تمتلئ قلوبنا غما وكدا ، ونهوى من شاق السبى إلى أرض طينية وأحوال آسنة ، وننحدر من دنيا الإنسانية فى أسى معانيها إلى دنيا الغاية وما فيها من وحوش ضارية وبهيمة مهلكة ١١

ننظر فلا نجد حولنا إلا أشباحا تتشح بلباس الملائكة ، وتخفى أنياب الذئاب ومكر الثعالب ، ولا نجد إلا قلوبا خوت من الإيمان والكرامة ، وتملكها شعار الشهوات والولوغ فى الجيف ، تبيع دينها بعرض الدنيا ، وتعرض أوطانها وأرواح المجاهدين للخراب والفناء لقاء دربهات معدودة ، وتصلى أبناء الوطن سعيير الغلاء وتطحن كواهلهم بنفقات العيش ، وهم العيال ، وتسكين صراخ الامعاء بالتحكم فى الأسعار واحتكار السلع ، والاستيراد والتصدير ، وهم آمنون سيف القانون متحصنون منه بجاههم وسلطان أموالهم ، لا يبالون بعقاب الآخرة ووخز الضمير وبارك الله فى قرارات حظر النشر بحجة المحافظة على سرية التحقيق ، والويل والثبور للصحف التى تتجارأ على مخالفتها لترسل ضوءاً يكشف مغازيهم ويمكن العدالة من رقابهم ، فإن التعتيل والمصادرة والفرامات الباهظة فى انتظارها ، ثم ينافس التحقيق أهل السكف فى نومهم ، والأيام وتغير الظروف كفيلة بنسيان وقبره ، حتى إذا بعث لعامل ما فإنه قد يختم بالمبارة المألوفة : يحفظ التحقيق لعدم كفاية الأدلة ، وما علينا إلا السمع والطاعة والهناف بعدالة القانون الأرضى .

إن العفو بعد تقرير العقوبة نظام لا يعترف به الإسلام ، ولا يقره الدين ، وحقوق الناس لا يملكها إلا أهلها ، وحق العفو عنها غير مشروع لغير أصحابها ، فن عفا فى غير حقه وملكه فعفوه باطل ، وعرض نفسه لغضب الله وسخطه وحملها وزر الخطيئة وإثماها ، ويوم القيامة يتعلق المظلوم برقبته يستوفى منه مطلبته (وما ربك بظلام للعبيد) ١٢

تَرْفٌ وَصَلْفٌ

لحضرة صاحب السمامة « السيد »

تَرْفٌ	شَمَائِلُهُ	تَرْفٌ	حَرْبٌ عَلَى شَيْمِ الصِّلَفِ
شَرْفٌ	النَّجَلَةُ	سَيِّدٌ	خَجَلٌ بِمَوَكِّهَا دَنْفٌ
أَدَبٌ	يَشْفُ	عُدَانُهُ	حَسَدًا وَيُوشِكُ أَنْ يَشْفُ
لِلَّهِ	مُقَبَّلُ	الْحَلَى	وَالزَّهْرُ مُبْتَسِمٌ يَجْفُ
وَمِنْ	تَعَطَّفُ	حَلِيَّةٌ	كَحَلَى الْأَسَاوِرِ تَعَطَّفُ

* * *

عَكَفَ	الْجَلَالَ	عَلَى فَيَّ	كَلَفٍ	بِعَصْمَةٍ	مُعْتَكِفٌ
الْحُرُّ	يَجْمَلُ	وَجْهَهُ	بِجَلَالِ	عِزَّتِهِ	عُرِفَ
شَيْمٌ	قُطِنَ	مَلَاخَةٌ	كَأَخِي	الْأَزَاهِرِ	يَقْتَطِفُ
الْحَمْدُ	بِسْمَةِ	مُحْتَفٍ	وَالسَّحْرِ	لِثْمَةٍ	مُقْتَطِفُ

عيد الحرية

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

يومٌ من المجد شاقنا بواكره
لاح الصباح به جذلان مبتسماً
ضجت له جنبات النيل هائفة
والشعب أضناه ذل الصمت فانفجرت
شمت بها حجب الآفاق صادعة
ثارت على ظله العاني فوارسه
ليل المظالم والظفيان قد نفرت
ولئت خفافيشه عشواً يشتتها
واستعلن النور فارتد الدجى خجلاً

وهزت الشرق والدنيا بشائره
يشعشع النور في الآفاق سافره
وصفقت فوق شطيه أزاهره
نشوى تجلجل بالبشرى خاجره
بالحق واقع في علياه ناصره
وحطمت قيده المضني قساوره
غربانه السود وانجابت دياجره
صبح تشع على الدنيا منائره
بن من لطات الخزي عاكره

قل للبدل بسيف الظلم : فارسنا
ليث الكنانة لما صاح فزعه
وعلم السادر المغرور أن له
من لم ينل حقه بالين أسعفه
والنصر للحق والعقبي لصاحبه

في كفه سميرى الحق بانره
زئيره الحر فارتاعت خواطره
يوماً يطبع به في الحظ عاثره
بأس تنور على الدنيا ثوائره
مهما علا الظلم واشتطت عشائره

ليك يا بطل الوادي ومنمده
على هداك قد استهدت مناهجه
ماض في الليل سار أنت رائده
صرخت في جنبات الظلم فانصدت

وأنت مهجته الحرى وناظره
وفي يمينك قد قرت مصائره
ولم يضع قط حق أنت ذاكره
وزلزلت في مهاويها قياصره

أحداث الهجرة

بين التاريخ والعبارة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم الحفاوى

وكيل معهد سمود الدينى

يمجد الزمن بأحداثه ، ويلفت إليه ما يسعد من ترائه . وللأيام مجد تخلد به
وتاريخ تكرم عليه ، فحين تمر تخبر . وحين تدور تذكر . ولجد الأيام عمر تحده
ما تحمله من الخير . ولبعضها سيادة على سواها تملأ النفوس هبة ووقارا . ويسجد
لها التاريخ إعظاما وإكباراً . وليست الأيام الخالدة فى أعمال الأمم إلا تمجيداً
للعزائم وتخليداً للهمم . وعلى مقدار ما يكون للأيام من أثر . تكون روعة الاستقبال

أبو خزايا يوم الفصل وانكفأوا	فى هوة الظلم لما انفض سامره
لا كان عهد لهم ساموا البلاد به	خسفا ودارت على الوادى دواتره
اليوم راحوا ليسقى بعضهم ندما	بعضا وباموا بثوم طار طاتره
لا يخذعنك ساع فى مخالفة	فكلهم خائس بالعهد غادره
يستأسدون على الوادى إذا أمنوا	وهم إذا راعهم بأس جآذره

• ■ ■

يهنيك نصر ميين أنت فارسه	وأنت يوم الجهاد الحق ظافره
عيد الحرية الوادى يطالعنا	وموعداً للبنى عزت نظائره
إذا بقيت له جليداً فليس له	من حادثات الليالى ما يحاذره
الأزهر اليوم قد ماست مأذنه	نشوى بمجدك واهزت منابره
مواكب النصر هزته فراح بها	تهفو إليك شجيات خواطره
لا زلت فينا زعيم النيل يرفعه	ماضيه فى خدمة الوادى وحاضره
فى ظل فاروقه سباق نهضته	ومن على تاجه تحيا مفاخره

وحفاوة البشر . أشرف الأيام ما اتسع نطاق بره . وامتد سلطان خيره . وما وضع للناس دستور السعادة والكرامة . وما هدى إلى طريق الحق والاستقامة نخلص العالم من قيود الذلة والضميم . وفك عنه أغلال الطغيان والظلم . وغرس فيه المثل الكريمة العليا . التي تضمن للناس خير الآخرة والدنيا . أيام الإسلام الغر كثيرة . وأحداثها الخالدة ظاهرة وثيرة . وفي هذه الأيام أعياد مشرقة الطلعة . عالية القدر . مخضبة الأثر . خالدة الذكر . فيها وضع للعالم أكمل نظام . وظهر الحق وتمكن الإسلام .

فهذا يوم شرف فيه الوجود بمولد النبي . وآخر بعث فيه الرسول بالهدى الإلهي . . . وذلك يوم رد الله فيه على الكفر مكروه . . . ووجه رسوله إلى المنبت المخصب للسكره فصعد النبي بأمر ربه . وكانت الهجرة . . .

والهجرة حدث إسلامي خطير فرغ التاريخ من تقديره . وأجمعت الآراء على حكمته وحسب الباحث على إكباره . ما أفاده الإسلام من آثاره ففيه شاعت الدعوة . . . وبلغت أسمى مراتب القوة . وفيه يتجلى جلال العقائد . ويبدو عزم الجند . وحزم التماند . وفيه جاهدت جنود خفية . تدير خططها سياسة علوية . أما جلال العقائد . فيتمثل في القدائية الإسلامية . التي يروعك منظرها القوى في موقف على . فأى يقين عمر قلبه وغمره . وأى إيمان دفعه . لا يشك الباحث أنها فتوة عقيدة . وشجاعة بصيرة رشيدة . تفتدى القائد إن حزب الأمر . وتحمل عنه ما يبيت له من الشر . ولا تبالى حين ينجو النبي ويسلم ، أن ينالها من البلاء ما تعلم وما لا تعلم . . . وهل كانت حياة على في حسابها حين خلف النبي على فراشه : يشغل عدو الله ، ويليه من تتبع رسول الله فما أثبت جنانته ، وما أرسخ إيمانه ، وما أحكمها من حيلة دبرها القدر . . .

تهزأ بالرصد . وتسخر من الخطر . وما أبلغها من عظة كريمة . يلقيها على أنصار المبادئ القويمة . تعلمهم كيف تهون التضحية الغالية ، في سبيل نصره المبادئ العالية وهنا يجب أن يتفقه العصر الحديث ، إلى هذه العبرة من الهجرة ، ليأخذ منها ما يعينه على بغيته ، ويقرب سبيله إلى طلبته ، وكل صاحب رسالة لا بد له من أنصار كمل يجرى في عروقهم هذا الدم القدائي . فيحافظون على صاحب الدعوة ليسلم لدعوته

وفتقدونه بنفوسهم ليبنى لرسائله . فخصوم الدعوات الصالحة يحاولون التخلص من أصحابها بأخص الوسائل ، ويتفانون في هدم حصونها بأدنى المعاول . فإذا فطن الأنصار إلى شرهم ردوهم على أعقابهم وغلبوهم على أمرهم . ففي الهجرة من جلال العقائد .. ما يمثل مع الفداء الوفاء ، ويضرب أروع المثل للسخاء والسخاء وحسبك دليلا على السباحة والطهر ما تحكيه الهجرة من صنع أبي بكر . فكما كان في الدعوة الصديق ، كذلك كان في الهجرة الرفيق ، جهز وسائلها بماله ، وجعل في خدمتها ذات الخفر من آله . فهذه ابنته أسماء .. تبلى في خدمة الهجرة أحسن البلاء فكم قطعت اليد ، واحتملت الأخطار لتحمل إلى الرسول وصاحبه خطة الكفار ، وما أنبلها حين تجعل من نطاقها وكامين ، وحينئذ يتجلى جزاء الله ، فيكرم ثمنه ويدها به نطاقين في الجنة .

واقدر كان أبو بكر مصدر خنان يتدفق على النبي ، فكم نسى نفسه وذكر هاويه ، وكم تحمل الإيذاء بنفس راضية ، وقد احتال حتى لا يهاج سيد الأنبياء فما أبره من وفي يتقاطر منه الولاء ، وكم حزن أبو بكر إشفافا على النبي فم عليه دمه ، وهنا يغمره النبي راحة وأمانا . حين يقول له : لا تحزن إن الله معنا . وهكذا يكون الإخلاص والوفاء ، وبمثل هذا تزيد الدعوات .. ويتفانى معتقوها ، ويعدون لها كل ما في مكنتهم من معونة ويمدون بها يقدرون عليه من مساعدة :

وهذه عظة سامية من عظات الهجرة تلقن الناس كيف يخدمون المبادئ ويظاهرون رجالها لبحقوا مراميها . ويجنوا ثمارها . فليجعلها العصر الحديث قدوة حسنة . وأسوة كريمة تجعل النفوس للبادئ . ولا تجعل المبادئ للنفوس ... وفي الهجرة من جلال العقائد ما يتفجر شجاعة وبسالة . ويعلن للإسلام عزته وجلاله .

فهذا عمر بن الخطاب يعلن أمره . ويهاجر جبهة . ويتحدى المشركين ، ويقول في عزة المؤمنين : من أراد أن تشكله أمه . أو يوتّم ولده . أو ترمّل زوجه فليتبعني وراء هذا الوادي . وهنا يقف التاريخ وقفة الدرس والبحث . ويقارن بين هجرة وهجرة . وينتهي إلى أفراد هذه الخطة الحكيمة التي سلكتها المبادئ القويمة . فكما

كان جهر عمر بالهجرة شجاعة . كذلك كان استخفاء النبي وصاحبه براعة . فالحازم يحارب بالسلاح الذي ينصره والعدة التي لا تخذله . وكما تكون مجاهرة الخصم عزما فكذلك تكون مغافلته حزما فإذا تم النصر بالمجاهرة فهي الرجولة وإذا تم بالمغافلة فهي الحيلة . . وفي كلا المسلكين سدا يعين على المراد . وفي المهاجرة لون من المضاء وفي المغافلة لون آخر من السخرية والاستمراء . . .

وفي الهجرة تتجلى عزيمة المؤمنين . حين يفارقون وطنهم ليصاحبوا لإيمانهم فهذا صهيب يخبر بين تمكينه من الهجرة . وبين ماله . فيضحى بماله . ويفر بآماله وهذه صاحبة أبي سلبه يخبرها الجبارة بين خروجها وبين طفلها . فيتغلب فيها الإيمان على الخنان . . وينتصر عندها اليقين على الخنن . فتترك طفلها وديعة بين يدي الله . وتفر بدينها وإسلامها من وجوه الطغاة . ومثل هذا كثير يضيق المقام عن حصره ، ويعجز الزمن عن عدده . ويمثل هذا ساد الإسلام . وبلغ الذروة من مجده . وفيها تجلت سماحة الانصار ، وضربوا أنضر المثل في الإيثار . فكانوا للهاجرين خيراً من أهلهم ، وأخفى عليهم من أوطانهم ، فجزاهم الله أحسن الجزاء . وجمعهم على الأخوة بعد أن كانوا أعداء . وهكذا يجزى الله المتقين ، ويحسن عاقبة الصابرين . . وفي الهجرة من العجائب ما يشهد بخود الله الخفية ، التي جندها الله لنصر الدعوة المحمدية . يستهلها الله بالغشاوة تضرب على أبصار الكفار ، وبالسد الذي يستره النبي ، عن الأنظار حتى يخرج هازماً من الرصد . ساخراً من العدة والعدد .

وهكذا عنكبوت ينسج بيته في لمح البصر . ويصنع درعاً يقي الرسول من الخطر وذلك حمام يرد الله به السكيد ، ويجعله رمز السلام والأمان ، وحماية للدين ، وصيانة للإيمان . وتلك أرض صلبة تغوص فيها قوائم سراقه . فسبحان من خذله عن اللحاق وعاقه . .

هذه بعض أحداث الهجرة . ينشرها التاريخ ذكرى . وتردها الالسنه نغراً . فيها ما يهيب بالمسلمين أن يلتفتوا إلى جلال الدين . ويتمسكوا بحبل الله المتين . فثمرة الخير أن يستثمر . وأن يهتدى به حين يذكر . فليجدد المسلمون لهم أملاً ، وليعملوا لاسترداد مجدهم عملاً . وحيث تدين لهم الحياة ، ويصبحون أهلاً لنصر الله .

الموطأ

لامام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه

محاضرة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

خير كتاب أخرج للناس في عهده . ثم ما خيره فخاره كتاب أخرج من بعده .
ولأمر ما قال فيه إمامنا الشافعي (محمد بن إدريس) رضى الله عنه قوله المشهورة:
ما ظهر على الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك وفي رواية :
ما وضع على الأرض كتاب هو أقرب للقرآن من كتاب مالك . وفي رواية :
ما في الأرض بعد كتاب الله ، أكثر صواباً من موطأ مالك . وفي رواية :
ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ .

والشافعي هذا ، هو الذي قال فيه الإمام أحمد بن حنبل :
كنت سمعت الموطأ من بضعة عشر رجلاً من حفاظ أصحاب مالك . فأعدته
على الشافعي لأنى وجدته أقومهم .

ولأمر ما قال الإمام البخارى ، وهو من هو : أصح الاسانيد مالك عن نافع
عن ابن عمر .

وقال القاضي أبو بكر بن العربى ، فى شرح الترمذى :
الموطأ هو الأصل الأول واللباب . وكتاب البخارى هو الأصل الثانى فى هذا
الباب . وعليها بنى الجميع . كسلم والترمذى .

وأول من صنف فى الحديث ورتبه على الأبواب :
مالك بالمدينة . وابن جريج بمكة . والربيع بن صبيح ، أو سعيد بن أبى عروبة ،
أو حماد بن سلمة ، بالبصرة . وسفيان الثورى ، بالكوفة . والأوزاعى ، بالشام .
وهشيم ، بواسط . ومعمر ، باليمن . وجريز بن حميد ، بالرى . وابن المبارك ، بخراسان .

وقال الحافظان ابن حجر والعراقي :

كان هؤلاء في عصر واحد . فلا يُدرى أيهم سبق . وذلك في سنة بضع وأربعين ومائة .

وقد صنف الإمام مالك الموطأ ، وتوخى فيه القوى من أحاديث أهل الحجاز ، ومنزجه بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم .

وقد وضع مالك الموطأ على نحو عشرة آلاف حديث . فلم يزل ينظر فيه ، في كل سنة ، ويسقط منه ، حتى بقى هذا .

وقد أخرج ابن عبد البر ، عن عمر بن عبد الواحد ، صاحب الاوزاعي ، قال : عرضنا على مالك الموطأ ، في أربعين يوماً . فقال : كتاب الفقه في أربعين سنة ، أخذتموه في أربعين يوماً ! ما أقل ما تفقهون فيه ! وقال مالك : عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة . فكلهم واطأني عليه ، فسميته (الموطأ) .

وقال الجلال السيوطي : وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد . فالصواب إن الموطأ صحيح كله ، لا يستثنى منه شيء .

وقد صنف ابن عبد البر كتاباً في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمفصل . قال : ما فيه من قوله (بلغني) ومن قوله (عن الثمة) عنده . مما لم يسنده ، أحد وستون حديثاً .

كلها مستندة عن غير طريق مالك . إلا أربعة لا تعرف .

أحدها : إني لا أنسى ولكن أنسى لأنسى (أخرجه في : ٤ - كتاب السهو ، حديث ٢) .

والثاني : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبل . أو ما شاء الله من ذلك ، فكانه تناصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر . فأعطاء الله ليلة القدر (خير من ألف شهر) . (أخرجه في : ١٩ - كتاب الاعتكاف ، حديث ١٥) .

والثالث : أن معاذ بن جبل قال : آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وضعت رجلي في الفرز ، أن قال : . أحسن خلقك للناس ، يا معاذ بن جبل ، (أخرجه في : ٤٧ - كتاب حسن الخلق ، حديث ١) .

والرابع : إذا أنشأت بحرية ، ثم تشاءمت ، فتلك عن عُديقة . (أخرجه في : ١٣ - كتاب الاستسقاء ، حديث ٥) .

هذا وقد نقل خاتمة المحدثين شيخنا المرحوم محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه (دليل السالك إلى موطأ الامام مالك ، عن الشيخ صالح الفلاني ، في حواشيه على شرح زكريا الأنصاري على ألفية العراقي ، قوله :

وقد وصل ابن الصلاح الأربعة الأحاديث المذكورة في تأليف مستقل ، وهو عندى ، وعليه خطه . وقد روى الموطأ عن مالك :

من أهل المدينة سبعة عشر

ومن أهل مكة إثنا عشر

ومن أهل مصر عشرة

ومن أهل العراق وغيرهم سبعة وعشرون

ومن أهل الأندلس ثلاثة عشر

ومن القيروان إثنان

ومن تونس إثنان

وفي أهل الشام سبعة

قال القاضي عياض ، بعد سرد أسماءهم ، هؤلاء الذين حققنا أنهم رَوَوْا عنه الموطأ ونص على ذلك المتكلمون في الرجال .

وقد ذكروا أيضا أن محمد بن عبد الله الأنصاري البصري أخذ الموطأ عنه كتابة وإسماعيل بن إسحاق أخذه عنه ، متاولة . أما أبو يوسف فرواه عن رجل ، عنه .

وقد ذكر عن المهدي والهادي أنهما سمعا منه ، ورويا عنه ، وأنه كتب الموطأ للمهدي .

وذكروا أيضا أن الرشيد وبقيته ، الأمين والمأمون والمؤمن أخذوا عنه الموطأ .

ولا مرية أن رواية الموطأ أكثر من هؤلاء . ولكن إنما ذكرنا منهم من بلغنا نصا ، سماعه له منه ، وأخذه له عنه ، أو من اتصل إسنادنا فيه عنه .

والذى اشتهر من نسخ الموطأ ، مما رويته عنه ، أو وقفت عليه ، أو كان فى روايات شيوخنا ، أو نقل عنه أصحاب اختلاف الموطآت ، نحو عشرين نسخة . وقد ذكر بعضهم أنهم ثلاثون نسخة .

وقد رأيت الموطأ رواية محمد بن عبد الرحيم بن شروس الصنعائى ، عن مالك ، وهو غريب ، ولم يقع لأصحاب اختلاف الموطآت فلهذا لم يذكروا عنه شيئاً . ١٠١ . هذا كله كلام التامضى عياضى .

وقال الجلال السيوطى : وقد ذكر الخطيب ، بمن روى الموطأ عن مالك ، إسحاق بن موسى الموصلى ، مولى بنى مخزوم . وقال بعض الفضلاء :

اختار أحمد بن حنبل فى مسنده رواية : عبد الرحمن بن مهدى .

والبخارى رواية : عبد الله بن يوسف التمسى .

ومسلم رواية : يحيى بن يحيى التميمى النيسابورى .

وأبو داود رواية : القعنبي .

والنسائى رواية : قلبية بن سعيد .

قال الإمام الزرقانى : وهذا كله أغلبى : وإلا فقد روى كلٌّ ممن ذكر عن غير من عينه .

وقد عقب على ذلك المرحوم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى بقوله :

ومن هنا يعلم بالضرورة ، أن أصحاب كتب الحديث المعبرة ، كهمالة على مالك وأصحابه . وهو شيخ الجميع ، لأن مدار الحديث اليوم على الكتب الستة ، ومسند الإمام أحمد . وقد رأيت تعويل الجميع على روايات مالك والسمع من أصحابه .

وقال الشيخ "ولى الدين الدهلوى وطنا ، العمرى نسباً : كتاب الموطأ أصح الكتب وأشهرها . وأقدمها وأجمعها ، وقد اتفق السواد الأعظم من الملة على العمل به ، والاجتهاد فى روايته ودرايته ، والاعتناء بشرح مشكلاته ومعضلاته والاهتمام باستنباط معانيه وتشديد مبانيه . ومن تتب مذاهبهم ، ورزق الانصاف

الأدب العربي

في عهد الأمويين

المؤستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسالوت

الأستاذ بكلية اللغة العربية

ازدهر الادب العربي في عهد الأمويين وتفتحت أزهاره ، وأينعت ثماره ،
وتضوع عبيره ، وأشرق ضياؤه بما حفل من رائع القول وبديع الفكر وجيد
المعاني وعبقري الخيال .

ولا تزال صفحة العربية لامعة بذلك التراث الخالد الذي سجل صور الحياة
ومظاهر التاريخ ، وأحداث العصر ، وما تعاور على الأمة من خير وشر ، وحلو
ومر ، وشدة ورخاء ، وهدوء وسلام ، وجلاد وخضام .

في نفسه ، علم لا محالته ، أن الموطأ عدة مذهب مالك وأساسه . وعمرة مذهب
الشافعي وأحمد ورأسه . ومصباح مذهب أبي حنيفة وصاحبيه ونبراسه .
وهذه المذاهب بالنسبة للموطأ كالشروح للتون ، وهو منها بمنزلة الدوحة
في الغصون .

وإن الناس وإن كانوا في فتاوى مالك في رد وتسلم ، ما صنى لهم المشرب ،
ولا تأنى لهم المذهب إلا بما سعى في ترتيبه ، واجتهد في تهذيبه .
وقال الشافعي لذلك : ليس أحداً من على في دين الله من مالك .

قال الإمام المحدث المرحوم الشنقيطي :

وبما هو ضروري عند المحدثين أن مشايخ أصحاب الكتب الستة ، ومن عاصرهم
كالإمام أحمد في مسنده ، أغلبهم تلامذة الإمام مالك ، الذين رويوا عنه الموطأ
بروايات عديدة . قل أن تخلو واحدة منها عن زيادة تفرد بها . ولم يتركوا شيئاً
في أحاديث الموطأ بل أخرجوها في مصنفاتهم .

وإن الذي يجتلى أسراره ، ويستعرض آثاره ، ويكتنه ظواهره وأغواره .
ليرى العربية في شبابها وقوتها ، وغفوانها وقورتها ، واستجابتها للطبعة لما استجد
للعرب من حياة ، وما تهبأ لهم من ملك واسع وجاه عريض .

على أنه لا بد لدارس الأدب وما اعتراه من تطورات في عهد الأمويين أن
يمر بالأسباب التي كونت هذا العهد والعوامل التي أنشأت هذا الملك حتى تتضح له
الميزات ، وتستبين لديه الخصائص والسمات .

فقد قام هذا العصر على أنقاض كفاح مرير بين علي ومعاوية . أزهرت فيه
أرواح ، وسفكت دماء ، واستبيحت حرمان ، وهتكت أستار .

ثم هو عصر كله كفاح وجلاد وحرب وخصام ومعارك حامية ، شهرت فيها
السيوف ، وشرعت الرماح ، وتقارعت الالسنه . فإن قتل الخليفة الثالث عثمان
ابن عفان كان كسراً لباب الفتنة ، وفتحاً لمخاليق الشر على هذه الدولة الإسلامية
الناشئة . إذ تكاثرت عليها الأحداث والخطوب ، وعصفت بوحدها وقوتها نواب
الدهر وأحداث الزمان ، وكان أول الشر أن ظل علي ومعاوية يتصارعان على
الخلافة ويحشد كل منهما لأخيه ما يملك من عدة وقوة ، وما يدخر من حيلة
أو وسيلة ، وقد كان اعتماد علي ، ما يؤمن به من حقه وأوليته لقربته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحسن بلاته في الإسلام ، وصدق جهاده في سبيل الله ، وتأيد
أئمة المسلمين له وأكثر أهل الحل والعقد في هذه الأمة .

أما معاوية فكان يدفعه إلى ذلك ما وقر في نفسه وجمع في أعماقه من رغبة
في السيادة قديمة ، وحب في الرياسة أصيل . ومن هنا راح يعمل للملك وأخذ يمهّد
للولاية على المسلمين متخذاً المطالبة بدم عثمان ستراً وتقية .

ولقد توفر لديه من الوسائل واجتمع له من الأسباب ما مكنه من المضى
إلى وجهته والإسراع إلى غايته . فقد كان والياً على الشام وأقام على ذلك قرابة
العشرين عاماً ظل فيها يؤلف القلوب ويجتذب إليه النفوس ويتخذ لدى الناس من
الأيدي ما يحطمهم يتفرون إلى نصرته ويخفون في الأحداث والملمات إلى مساعدته
ولقد رأى الفرصة سانحة للملك فاهتبلها والزمان موافقاً فلم يضيعه ، ذلك أن علياً
حين آلت أمور المسلمين إليه وجد أن الذي ألب النفوس وأضغن القلوب على

عثمان وأشعل الثورة ضده في كل مكان ، هم أقرباؤه الذين آثرهم بالسلطان وجعل منهم أمناء وجبائه وولائه على الأمصار ، فرأى على لى يستتب الأمر وتطمئن النفوس وتسكن الثورة الجائحة أنه لابد من عزل ولاية عثمان وهنا تسنح الفرصة لمعاوية وينفتح له الباب الذى ينفذ منه إلى أغراضه وأطماعه . فإنه حين جاءه كتاب على بالعزل تمرد عليه ولم يخضع له وقال : لا خلافة إلا بعد قتل قتلة عثمان ووجد من أهل الشام المعين والنفير فنهض للثورة على على ومحاربه . وقوى من ساعده وشد في عضده أن طلحة والزبير ثارا كذلك على على واستنفرا عائشة أم المؤمنين لقتاله فخاربه حتى هزم جيشها في موقعة الجمل .

وظلت أمور المسلمين هكذا تفتأشها الفتن وتنازل منها الثورات وتلعب بها للعواطف حتى انتهت هذه الحال الشنيعة بقتل على وتنازل ابنه الحسن عن حقه في الخلافة بعد قتله بستة أشهر حتما لدماء المسلمين .

وهكذا تم لمعاوية الأمر وانفرد بالولاية على شئون المسلمين سنة ٤١ هـ وبذلك قامت دولة بنى أمية في هذا العام الذى يعرف بعام الجماعة . على أن معاوية لم ينهض بأمر الملك إلا والمجتمع الإسلامى تسوده ثلاث جماعات متباينة المذرع متباذة الرأى متخالفة الفسكرة وهى .

١ — جماعة الأمويين ، الذين ناصروا معاوية وش يعوه في فكرته وآزروه في مهمته وحاولوا جاهدين أن يتم له الأمر وتجتمع لديه أسباب الملك . وكان يدفع هؤلاء إلى العمل الدائب ما ورثوا من أطماع قديمة وما رب سرت في النفس والدم واختلطت باللحم والعظم وأصبحت في حياتهم حلم النوم ومطرح الخيال في اليقظة . كان هذا الفريق متبنا في بلاد الشام وغيرها من سائر الأمصار الإسلامية وخاصة مصر .

٢ — شيعة على بن أبى طالب وهم الذين أحبوه وناصروه وآمنوا به وعزروه وقاموا يناضلون عن حتمه ويكافون معه في سبيل استقرار خلافته وكانوا يؤمنون إيماناً قويا أنه أحق بولاية أمر المسلمين من معاوية . وأكثر هؤلاء كان في بلاد العراق وقليل منهم كان في مصر .

٣ - الخوارج ، وهؤلاء الذين خرجوا على عليّ وكفروه حين قبل التحكيم وكانوا يرون أن الخلافة حق لكل مسلم ما دامت فيه كفاية للحكم وأهلية للخلافة لا فرق في ذلك بين قرشي وغيره . وكان فيهم عصبية طاغية لما يعتقدون من رأى ويدنّون به من مذهب الى عداوة حامية وبغضاء شديدة للفريقين ، فهم يستحلون دماءهم وأموالهم ويرونهم إذ خالفوهم في الرأى جارجين على الدين مارقين من الملة .

أما شيعة على فقد سكتوا عن الخلافة حينما قصيرا عقب تنازل الحسن وفي النفوس غضب وتحفز وفيها تربص وانتظار ، ثم بدأ معاوية ينقض ميثاقه ويخلف عهده وأخذ يعقد البيعة لولده يزيد ، وكان العهد أن تكون للحسين بعد معاوية . فعادت الورة من جديد جذعة وجعلت تفاقم ونشدد وبدأ الغيظ المسكوم والغضب المكظوم يبعث على الثورة ويدعو الى التمرد ، وكان ماشه التاريخ من دماء زكية تجمدت على صفحاته ومأس بشعة لا تزال تدمع لها العيون وترتعد القرائص وتجزع النفوس .

وأما الخوارج فلم يهدأوا لحظة ولم يدعوا الحسكام يستريحون برهة . فقد كانوا في كل مكان شوكة في جنوبهم وقذى في عيونهم وشجى في حلوقهم لا يغار بهم هدوء الطبع ولا سكون النفس ولا يمر بهم طائف من التساح .

ولهؤلاء أدب يصور آراءهم ويعبر عن عقائدهم ويحكي ما تطوى عليه نفوسهم من مذاهب يعد من أروع وأخلد ما خلفه العرب من تراث وما تركوا من آثار .

وقد نشأ الى جانب هذه الاحزاب المتعادية المتشاكسة فيما بعد حزب آخر هو حزب عبد الله بن الزبير ، وكان معاوية يعرف خطره على خلافته فأوصى ابنه أن يحترس منه وأن يتخذ من الاسباب والواقيات ما يبعده عن شره ومن قوله في ذلك له (لست أخاف عليك إلا ثلاثة ، الحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله ابن عمر . أما الحسين فأرجو أن يكفيك الله ، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب ^(١) فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا وأما ابن عمر فإنه رجل قد وقده الورع ^(٢) غل بينه وبين آخرته يخل بينك وبين دنياك) .

(١) الحب بالفتح والكسر هو الرجل الخداع والارب بالكسر الهجو .

(٢) وقده : سكنه وغلبه وتركه عبلا .

مجتمع تسوده هذه الطوائف التي لا تعرف الضعف ولا التراخي . هذه الطوائف التي لا يهن عودها ولا يسلس قيادها ولا تهدأ ثورتها ولا يسكن جوحها ، هذه الطوائف التي تراشق في السر والعلن وتتصامم باللسان وتتعارف باللسان . مجتمع تصطرع في ساحته هذه القوى الهادرة النائرة ، تعوزه حكمة في قيادته وحكمه في ولايته ومراس قوى وعقلية ناضجة في تدبير أمره ، وكذلك كان معاوية . آتاه الله حلما على خصومه ، مهما خاشنوه القول وجفوا في الخطاب ومنحه دهاء وبراعة حيلة وتأنيا إلى الأمور من أيسر سبيل . يصفه صاحب الفخرى بقوله (كان معاوية عاقلا في دنياه ، لييا عالما حلما ملكا قويا جيد السياسة ، حسن التدبير ، لأمور الدنيا عاقلا حكيما فصيحاً بليغا ، يحلم في موضع الحلم ويشدد في موضع الشدة إلا أن الحلم كان أغلب عليه . وكان كريما باذلا للبال محبا للرباسة مشغوبا بها كان يفضل على أشرف رعيته كثيرا . فلا يزال أشرف قريش مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبان بن عثمان بن عفان وناس من آل أبي طالب رضى الله عنهم يفدون عليه بدمشق فيكرم مثوam ويحسن قرام ويقضى حوائجهم ، ولا يزالون يحدثونه أغلظ الحديث ، ويجهونه أقبح الجبه وهو يداعبهم تارة ويتغافل عنهم أخرى ولا يعيدهم إلا بالجوائز السنية .

والصلوات الجملة . قال يوما لقيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنه وهو رجل من الانصار يا قيس ، والله ما كنت أود أن تنكشف الحروب التي كانت بيني وبين علي (عليه السلام) وأنت حتى فقال قيس . والله إنى كنت أكره أن تنكشف تلك الحروب ، وأنت أمير المؤمنين . فلم يقل له شيئا وهذا من أجل ما كانوا يخاطبونه به) .

ونكتفي الآن بهذه اللبحة العابرة لتحدث في المقال التالى عن سياسة معاوية في حكمه وأثرها في إنعاش الادب وتجويد الشعراء وإبداع الأدباء ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير

« سورة البقرة »

لفهيد الأستاذ الكبير الشيخ حامد محسن

رئيس التفتيش

قد انتهينا فيما كتبناه بمقالنا السابق إلى قوله تعالى : « وما رزقناهم ينفقون » ،
ولما نستأنف القول في تفسير ما يلي : ذلك من آيات القرآن الحكيم قال الله تعالى :
« والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، وبالأخرة هم يوقنون ،
إن أول ما يلفت الذهن في تلك الآية ، هو إعادة الموصول معطوفاً بالواو
على الموصول الأول مما يفهم التغاير بين الموصولين كما هو مقتضى العطف ،
مع أن ما جرت عليه الأوصاف الأولى هو ما جرى عليه الأوصاف الثانية ،
مع أن موصوف الأوصاف الأولى هو موصوف الأوصاف الثانية ، وإنما سلك
هذا السبيل لما فيه من بلاغة وحكمة : أما أولاً : فلأن إعادة الموصول بعد ذكره
الأول ليُعيد إلى الذهن صورته موصوفاً بتلك الطائفة من الأوصاف بعد ما مثله
موصوفاً بالأوصاف السابقة حتى يداني بين الصفات والذات التي اتصفت بها ،
ليصور مجرى تلك الأوصاف إلى السامع بصورة جديدة غير الصورة السابقة التي
مثلتها الطائفة الأولى من الأوصاف ، وأما ثانياً : فلأن إعادة الموصول مما يتعدد به
صورة الموصوف ، وكأن كل طائفة من الأوصاف تكون موصوفاً مستقلاً .

هذا هو السر في إعادة الموصول مع اتحاد مع الأول ذاتاً وصفات .

وأما ثالثاً : فلأن الأوصاف الأولى التي أجريت على المتقين قد أقيم بها أصل
من أصول الإيمان ، وبني بها ركن من أركان الإسلام وأما الأوصاف الثانية
التي أعيد لها الموصول فقد أقيم بها أصل ثان من أصول الإيمان ، وبني بها ركن
آخر من أركان الإسلام . فالأولى : لا إله إلا الله ، والثانية : محمد رسول الله ، ؛

إذ الإيمان بالغيب هو الإيمان بالله . والإيمان بما أنزل على محمد إيمان برسول الله
إذ هو مستلزم له حتماً ، وبذلك قام الأصلان ، وشيد الركنان .

بقى هنا سؤال واستيضاح ؛ إذ يقال : إن الإيمان بالله ، وإقام الصلاة ،
وإيتاء الزكاة مما يدخل فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فهو لا محالة داخل
في الإيمان بما أنزل إليه فلم قدم عليه ، وأخرج منه ، وجعل أصلاً مستقلاً
ولنا لبيان ذلك نقول :

إنه إنما قدم الإيمان بالله ، ولم يدخله في الإيمان بما أنزل على محمد إيذاناً
بقوة ما أقام الله في الآفاق وفي الأنفس من آيات بينات ، وبراهين واضحات
على وجوده تعالى وعظمته ، وسائر صفاته ، وأن هذه الآيات وتلك البراهين
هادية للفطرة إلى خالق جبار عظيم قدير ، لا تتوقف الهداية إليه على رسل
أو كتب ، وترى ذلك واضحاً في فطر الناس فإنك إذا بحثت شئون الأمم في قديم
التاريخ وحديثه من أرسل إليهم ، ومن لم يرسل إليهم من أصناف الوثنيين وغيرهم
وجدتهم - وإن عبدوا غير الله - يجعلون المال الأخير والمرجع النهائي الله سبحانه
وتعالى - تراهم يستعينون بما عبدوا من أحجار وأشجار وكواكب وحيوان
ما داموا في سعتهم ورغائهم ؛ حتى إذا ملكتهم شدة ، واستولى عليهم من الكروب
عظيمها رجعوا إلى ربهم مخلصين له الدين ودعوه ليكشف عنهم ما انتابهم من شدة
وأهوال وأقرأ إن شئت قوله تعالى : « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا
كنتم في الفلك ، وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان ، وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين » .

ألا ترى أن ذلك واضح في أن ما قام في الكون من آيات قوى الدلالة
على وجوده تعالى ، ووحدته وكبريائه وعظمته ؛ كما أنه واضح في أن الفطرة التي
فطر الناس عليها قد أعدت إعداداً قوياً لفهم تلك الآيات .

هذا هو السر في أن جاء الأصل الأول مستقلاً عن الأصل الثاني ، ليؤذن
بأنه غير متوقف على إرسال رسل أو إنزال كتب . فما أوضح براهين وجوده
تعالى ، وما أصنى آيات وحدانيته ودلائل عظمته ، ففي السماء آيات وفي الأرض

آيات ، وفي الأنفس آيات ، وكم هدت تلك الآيات فطراً إلى خالقها دون أن تسمع إلى رسول ، ودون أن تقرأ في ذلك كتاباً منزلاً .

بقى أن هذا ظاهر في توجيه الإيمان بالغيب ، وسبقها على الإيمان بما أنزل على محمد . لكن يبقى السؤال قائماً في سبق إقام الصلاة على قوله : يؤمنون بما أنزل إليك ، لأن إقام الصلاة بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وكذلك يتوجه هذا السؤال عينه في قوله : : وما رزقناهم ينفقون .

وإنا جواباً على هذا نقول : إن الصلاة بعموم معناها ترجع إلى تعظيم الله واللجوء إليه والاستعانة به دون سواء ، ودعائه كلها حزب المرء شدة ، ولا ريب في أن كل تلك المعاني من مقتضيات الإيمان بالله ، والاقتناع بما له من سائر الصفات وأنه الواحد لا شريك له ، والخالق لكل شيء ، والمهيمن على كل شيء ، والمالك لكل شيء . لهذا جعل إقام الصلاة من الصفات المعطوفة على الإيمان بالله إيداناً بأن الصلاة - وهذا هو معناها - من مستتبعات الإيمان بالله الخالق الرازق الكبير المتعال . وأما إنفاق العبد بما رزقه الله ، فهو في عموم آثاره ارتباط بمن حوله من الناس ، وتوثيق للعلاقات بينه وبينهم ، وتغذية بالمودة للقلوب وتصفية للنفوس ولا ريب أنه من مستتبعات الإيمان بالله ، والإيمان بصفاته ، وأنه الرحمن الرحيم . والرازق الكريم ، والعليم بما دق من الأعمال وجل ، والمحصى على كل امرئ عمله من خير أو شر ، ليجزى كلا بما عمل . لذلك جعل إقام الصلاة وإيتاء الزكاة من مستتبعات الإيمان الحق بالله القائم على الدليل والبرهان المدفوع إليه العبد وإن لم يدعه رسول أو يهده كتاب .

تلك هي مستتبعات الأصل الأول ، لا إله إلا الله ، وأما مستتبعات الأصل الثاني وهو الإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن من التوراة والإنجيل وغيرها . وبالرسل الذين أنزل عليهم تلك الكتب . والإيمان الحق باليوم الآخر . أما تلك المستتبعات فلأنها لما كانت لا سبيل إلى التصديق بها ، واليقين بصدقها إلا عن طريق إخبار الرسول ، فقد جعلت من مستتبعات الأصل الثاني . فكان للأصل العقلي مستتبعات ، وللأصل النقل مستتبعات ، وبكليهما قام ركنا الإيمان ، وشيد أصلاً الإسلام . فسيحانك اللهم مبدع كل شيء ، ما أبلغ ما أنزلت على رسولك الكريم ، وما أحكم ما أيدت به نبيك محمداً سيد الأولين والآخرين .

الربا

في نظر القانون الإسلامي

تعريب المحاضرة الفرنسية التي ألقتها فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز ،
مندوب الأزهر في مؤتمر القانون الإسلامي المنعقد بباريس في ٧ من يوليو سنة ١٩٥١ م

— ٣ —

وجاهة التشريع القرآني

من النواحي الثلاث : الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية

ونعود الآن الى موضوعنا الأصلي ، وهو الربا الحقيقي ، لنعالج فيه الجواب
عن سؤالين مهمين :

« أحدهما ، : ما هي الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟
« الثاني ، : هل الحياة الاقتصادية في حالتها الحاضرة تعد ظرفاً استثنائياً يترخص
فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما مسألة معقولة النهي أو عدم معقوليته ، فإنها قد أثبتت في عهد النبوة على
لسان العرب أنفسهم فقد استنكروا هذه التفرقة بين البيع والربا قائلين : إذا أتممت
منعتم ربح القرض ، فامنعوا كذلك كل ربح يجتلب من طريق البيع ، إذ هما سواء .
وكان رد القرآن على ذلك بتلك الكلمة الحاسمة ، التي لا تقبل مرأى ولا جدالاً :
« كلا ، ليس البيع مثل الربا ؛ فقد « أحل الله البيع وحرم الربا ، (٢/٢٧٥) . على
أنه لا يمكن أن يفهم من هذا الأسلوب أن أمر التشريع هنا يصدر عن إرادة
جبروتية تقضي أحكامها تحكماً وتعتاً ؛ فقد علنا القرآن في غير موضع أن الأوامر
الالهية أنزه شيء عن هذا الحرج والعنت : « قل إنما حرم ربي الفواحش ، (٣٣/٧)
« قل أحل لكم الطيبات ، (٥/٤) « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن
يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ، (٥/٦) .

يجب إذن أن تكون لهذا النهي دعائم قوية وأسباب معقولة تجعله في محزه
من الصواب والحكمة . فما تلك الدعائم ؟

١ — الدعامة الأخلاقية :

أول ما يكشفه الباحث من أسرار التشريع في هذا الباب هو بواعثه الأدبية الخلقية . إن الضمير الإنساني ليدرك بنوع من الحدس المباشر مدى الفرق بين الربح من طريق المعاملة (البيع) والربح من طريق المجاملة (القرض) . إنه ليدرك ذلك ويحسّه حتى في الوقت الذي لا يستطيع فيه التعبير عن هذا الفرق . فإن لم ندركه في آن ما فأنما هي غشاوة الهوى وحب الأثرة ، أو الغفلة وعدم التدبر ، هي التي تخفيه عن أعيننا . على أن الأمر يبلغ من الوضوح إلى حد تحسه كل الضائير والوجدانات في عملية « الإعارة » (للأشياء التي ترد بأنفسها إلى معيها) . ليس كل واحد منا يستكشف حقيقة من أن يطالب بتعويض مالي عن ماعون يعيره لمن يحتاج إليه ، أو عن مساعدة أدبية كاتمة ما كانت يقدمها للغير ، عملاً بقواعد حسن الجوار وأدب الاجتماع ؟ فلماذا يختلف النظر في الأمر حينما تكون المعاونة على وجه « القرض » (للأشياء التي يمكن أن تردّ بمثلها) ؟ مع أن الشأن في الحالين واحد ، وهو أنهما يختلفان عن البيع اختلافاً جوهرياً ؛ ذلك أن الأمر في البيع يتعلق بمالين مختلفين لكل منهما قيمته التي قد تزيد أو تنقص عن قيمة الآخر إما بسبب اختلاف الرغبات ، وإما بحسب قانون العرض والطلب . بينما المقصود في القرض كما في الإعارة هو استرداد الشيء نفسه ، إما بعينه أو بشيء مماثل له تماماً من جنسه . فليس هاهنا أدنى قصد للبادلة بين مالين ؛ ولذلك ليس للقرض أن يرفض قبول شيء نفسه إذا أعاده له المقرض عند الأجل بحالته التي تسلبه عليها .

سيقول قائل : سلبنا بوجود هذا الفرق الجوهري بين الوضعين . ولكن أليس كل صنيع جميل « له حق » في المكافأة ؟

نقول : بلى ! ولكن لا ينبغي أن يلتبس علينا الأمر بين سلطان « الحق » ، وسلطان « الواجب » . إن سلطان الواجب أعلى ؛ وإن له لحقاً في معارضة حقوقنا الطبيعية وفي تحديد مداها . وأى شيء أدخل في باب الحقوق الطبيعية من حقنا في المحافظة على حياتنا ؟ ومع ذلك فإن الواجب قد يفرض علينا أن نتنازل عن هذا الحق وأن نضحى بأنفسنا تضحية تامة في سبيل قضية نبيلة : أدبية أو وطنية أو دينية أو غيرها .

سيمضى السائل فى اعتراضه قائلاً : إن هذه كلها اعتبارات أخلاقية . وقضيتنا قضية حق وقانون .

أما أنا فأجيب بأن كل مشرّع له الحق كل الحق فى أن يجعل من القانون الأخلاقى قانوناً مدنياً ، بل قانوناً جنائياً إن شاء . وهذا بالضبط هو ما صنعه القرآن حين أعلن حرباً حقيقية على آكلى الربا .

٢ — الدعامة الاجتماعية :

ولو أننا نظرنا إلى القضية من ناحيتها الاجتماعية لظهرت لنا حكمة هذا التشريع وسداده فى أجلى مظاهرهما .

لا أقول فقط إن حياة المجتمع تصبح حياة لا نطاق لو أن كل فرد تمسك بحقه فى أدق حدوده ، ولم يجعل على نفسه سلطاناً لفكرة البر والتعاون والتضامن والترحام ؛ بل أقول إن مجرد تقرير ربح مضمون لرب المال ، بدون أن يكون فى مقابل ذلك ضمان ربح للمقترض ، — أقول إن هذا الوضع وحده فيه ما فيه من محاباة للمال ، وإيثار له على العمل ؛ وإن الضرر الذى ينجم عن ذلك ليس من نوع الأضرار الأدبية أو الأغلاط النظرية لحسب . (وأعنى بها قلب موازين الأشياء بوضع القيم الإنسانية موضعاً نازلاً وتفضيل القيم المادية عليها) ؛ بل إنه يمس بناء الجماعة مساً عنيفاً عميقاً . ذلك أننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها إلى جهة واحدة معينة ، بدلاً من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع ، وأن نقارب بين مستوى الأمة حتى يكون أميل إلى التجانس وأقرب إلى الوحدة .

إن اللوحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جدير بهذا الاسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور السكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الأمة .

إنها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : . . . كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، .

٣ - الدعامة الاقتصادية :

وأخيرا هلم بنا لننظر إلى القضية من وجهة العدالة الاقتصادية البحتة .

يقول لنا أنصار مشروعية الربا — ولهم بعض الحق فيما يقولون — :
إن الربح الذي يحصل عليه المقرض من عمله في المال الذي اقترضه إنما ينشأ
وليداً من التزاوج بين العمل ورأس المال ؛ فكيف تخولون للعمل حقاً في الربح ،
ولا تخولون للمال حقه فيه . مع أنه زوجه وشريكه في هذا التنازع ؟

ها هو ذا - فيما أرى - جواب هذه الشبهة :

أما أن الربح ليس ثمرة عنصر واحد بل ثمرة عنصرين متزاوجين فذلك حق
لا شبهة فيه ، وليس لنا أن نتلصكاً في قبوله . غير أن المعارضين قد فاتهم شيء
جوهرى ، وهو أنه بمجرد عقد القرض أصبح العمل ورأس المال في يد شخص
واحد ، ولم يبق للمقرض علاقة ما بذلك المال ، بل صار المقرض هو الذى يتولى
تدبيره تحت مسؤوليته التامة ، لربحه أو لخسره . حتى إن المال إذا هلك أو تلف
فإنما يهلك أو يتلف على ملكه . فإذا أصررنا على إشراك المقرض في الربح الناشئ
وجب علينا في الوقت نفسه أن نشركه في الخسارة النازلة ؛ إذ كل حق يقابله واجب
أو كما نقول الحكمة النبوية : « الخراج بالضمان » . أما أن نجعل الميزان يتحرك
من جانب واحد فذلك معاندة للطبيعة ... ومتى قبلنا اشتراك رب المال في الربح
والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض إلى صورة معاملة أخرى ، وهى
الشركة التضامنية الحقيقية بين رأس المال والعمل . وهذه الشركة لم يغفلها القانون
الإسلامى . بل أساغها ونظمها تحت عنوان « المضاربة » ، أو « القراض » . غير أنه
لكى يقبل رب المال الخضوع لهذا النوع من التعامل يجب أن يكون لديه من
الشجاعة الأدبية ما يواجهه به المستقبل في كل احتمالاته . وهذه فضيلة لا يملكها
المرابون ؛ لأنهم يريدون ربها بغير مخاطرة ؛ وذلك هو ما يسمى تحريف قواعد
الحياة ومحاولة تبديل نظمها .

هكذا إذا سرنا وفقاً للأصول والمبادئ الاقتصادية فى أدق حدودها كانت
لنا الخيرة بين نظامين اثنين لا ثالث : فأما نظام يتضامن فيه رب المال والعامل

في الربح والخسر؛ وإما نظام لا يشترك فيه معه في ربح ولا خسر . ولا ثالث لها إلا أن يكون تلفيقا من الجور والحماة .

هذه — فيما أرى — هي الأسس الأدبية والاجتماعية والاقتصادية التي قامت عليها وجهة نظر الإسلام في قضية الربا .

وأما المسألة الثانية وهي حكم الربا في وقتنا هذا فإنها ليست قضية . مبدأ ، وإنما هي قضية . تطبيق . ولإني أخشى أن أطيل فيها فأعتدى على موضوع زميلي وصديقي الدكتور الدواليبي رئيس مجلس النواب السوري . وهي فوق ذلك ليست فيما أرى من الشئون التي يقضى فيها فرد أو بضعة أفراد ، بل ينبغي أن يتداعى لها طوائف من الخبراء في القانون والسياسة والاقتصاد من كل جانب ، وأن يدرسوها دراسة دقيقة مستفيضة من جميع نواحيها الحاضرة والمستقبلية .

وكل ما أريد أن أقوله الآن يتخلص في جملتين صغيرتين ، أرجو أن يتخذا أساسا للبحث في التفاصيل .

، الأولى ، هي أن الاسلام قد وضع الى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون قانوناً أعلى يقوم على الضرورة التي تبيح كل محظور ، وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، (١١٩/٦) .

، الثانية ، هي أنه لاجل أن يكون تطبيق قانون الضرورة على مسألة ما تطبيقاً مشروعاً لا يكتفى أن يكون المرء عالماً بتواعد الشريعة ، بل يجب أن يكون له من الورع والتقوى ، ما يحجزه عن التوسع أو عن التسرع في تطبيق الرخصة على غير موضعها ، كما يجب أن يبدأ باستنفاد كل المول الممكنة المشروعة في الإسلام ؛ فإنه إن فعل ذلك عسى ألا يجد حاجة للترخص ولا للاستثناء ، كما هي سنة الله في أهل العزائم من المؤمنين ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، (٦٥ / ٢ — ٣) .

بيان ديني

للهيئة العربية العليا لفلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الهادي الى الحق وإلى صراط مستقيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الى إخواننا المسلمين في السودان أعزهم الله ،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد فإننا نعرف حينكم الدينية ، وتمسككم بأوامر شريعتكم الإسلامية ، ورغبتكم في العمل مع إخوانكم المؤمنين العاملين ، على رفعة شأن الإسلام والمسلمين ، وتطهير بلاد الإسلام من رجس الاستعمار الأجنبي لتكون كلمة الله هي العليا ويكون المسلمون أحراراً في بلادهم ، وتحقق لهم العزة التي جعلها الله لعباده المؤمنين الصادقين .

ولما كان موقف البغي والعدوان الذي يقفه الإنجليز المستعمرون من مصر والسودان ، يحتم جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، فإننا نهيب بكم أن تعملوا يداً واحدة وصفاً واحداً في سبيل الله ، هيئاتكم وجمعياتكم وأحزابكم ، متعاونين مع إخوانكم أهل مصر في إخراج العدو المستعمر من بلادكم ، يؤيدكم في ذلك جميع المسلمين ، ولما نعيدكم بالله ونعيد بصائركم النيرة وإيمانكم المتين ، من أن تتخذوا بالآعيب الإنجليز السياسية ، وزعمهم أنهم يريدون بكم خيراً ، بينما يبتغون من وراء ذلك شق صفوفكم ، وتفريق جمعكم ليضمنوا لحكمهم الإستعماري البقاء في دياركم وبقامكم تحت نير العبودية والدلة . فلا تركنوا إليهم واحذروهم كل الحذر فإنهم أعداء وطنكم ودينكم ، والله سبحانه وتعالى حذر المؤمنين من ذلك بقوله سبحانه . ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون . .

ولنا نناشد إخواننا السودانيين عامة ، وحزب الأمة خاصة ، ألا ينخدع منهم أحد فيتولى العدو المستعمر ، يقول بقوله ، ويعمل بإيعازه ، وينفذ خطته وسياسته ويتخذها وليا ونصيرا من دون المؤمنين ، والله تعالى يحذر من ذلك بقوله « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

إن هؤلاء الإنجليز الذين يظهرون لكم المودة إنما يفعلون ذلك ليخدعوكم (يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم) وهم لا يرضوا عنكم حتى تتبعوا ملتهم وأتمتعون ما يصنعون مع إخوانكم أهل جنوب السودان الذى فصلوه عن شماله ليضلوا أهله ويعدوهم عن هدى الإسلام ، يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتقتلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » .

ثم لا يخفى عليكم حكم الشريعة الإسلامية بوجوب دفع العدوان عن بلاد المسلمين ، وإجماع جميع المذاهب الإسلامية على أن الجهاد فى مثل هذه الحالة فرض محتم على المسلمين كافة ما دام للعدو موطن قدم فى البلاد ، وإن الواجب فى الدرجة الأولى على أهل الديار التى نزلها العدو ثم على من يليهم الى أن يتم دفع العدوان .

وإن من يتهاون فى دفع العدو ، أو يخذل المسلمين بتخلفه عن العمل مع إخوانه المؤمنين ، أو يتعاون مع العدو على أى شكل ، وأن من يرضى بحكم الأجنبي أو يفضل على حكم المسلمين أو يأبى بأى قول أو عمل من شأنه أن يمكن للعدو من حكم المسلمين ، واحتلال أى جزء من بلاده ، والاستقرار فى أو طائهم فهو خارج عن الإسلام ، مفارق لجماعة المسلمين ، ليس من الله ولا رسوله ولا المؤمنين فى شيء ، يقول الله تعالى فى ذلك « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء » .

أن العدو الذى يحتل مصر والسودان هو الذى كاد للمسلمين واعتدى على ديارهم منذ زمن بعيد ، وطوح بخلافتهم الإسلامية ، ودولتهم وممالكهم ، وهو

لا يزال يكد لهم في كل مكان . وهو الذي عمل على إخراج المسلمين من ديارهم وظاهر على إخراجهم كما صنع بإخوتكم أهل فلسطين وغيرها ، فلا يجوز توليهم وفقا لقوله تعالى : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وعلى إخواننا السودانيين والمصريين أن يوقفوا أن قضيتهم هذه ليست قضية وادي النيل وحده ، ولكنها قضية جميع المسلمين ، وأن معركتهم هذه ضد الاستعمار الغاشم هي معركة حاسمة لا يقتصر أثرها عليهم وحدهم ، بل تؤثر أيضا على مصير الاستعمار في سائر أقطار الإسلام ، ولذلك فإن أى تقصير أو عمل في هذه المعركة الحاسمة من قبل الأفراد أو الجماعات أو الأحزاب والهيئات ، يوطد للعدو استمرار إحتلاله وعدوانه على أى جزء من أراضى مصر أو السودان إنما هو في حقيقته نصر وتأيد لعدو الإسلام الغاشم ، وتعزيد له على الاستمرار في إستعماره أقطار الإسلام الأخرى .

والنتيجة فإن كل من يخذل المسلمين في دفعهم هذا العدو عن مصر والسودان ، أو يعقد عن نصرتهم ، أو يأتى بقول أو عمل ، من شأنه أن يساعد العدو ويمكن له من بقاء سيطرته في مصر والسودان ، أو يفضل حكم هذا العدو على حكم المسلمين يعتبر مظاهرا لعدو الاسلام ضد المسلمين متخذا إياه وليا من دون المؤمنين وينطبق عليه الوعيد الشديد الذى جاء في قول الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا » . ويقول تعالى : « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتفون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا » ويقول تعالى : « ومن يتولهم منهم فإنه منهم » .

وقد قال الأئمة المفسرون أن معنى قوله تعالى : « فإنه منهم » أى من جملتهم وحكمه حكمهم . هذا حكم الله وهذه حدوده « ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٩

السيد الحميري

لمؤتلف الشيخ محمود النوازي

المفتش بالأزهر

إذا أنا حاولت أن أعرف القارئ الكريم بشاعر كالسيد له ناحية من نواحي الشذوذ في بعض عتيدته فإنني في الوقت نفسه أحاول أن أزف إليه من طرائف الأدب العربي عرائس تهديها قريحته الصافية وعروبته الصادقة وطبعه السليم أحاول أن أقدم له شاعرا مغمورا ، وكنزاً مستورا ، شاعراً حلوا الشعر عذب الديباجة ، جزل العبارة . يستهويك نظمه ، ويقتحم على فؤادك أسره ، ويعمل في نفسك عمل السحر لا يواتيه في الشعراء إلا أمثال أبي نواس وبشار وأبي العتاهية ممن طبعوا بطابع يضم جزالة إلى حلاوة . وسموا إلى دنو قد أقاموا عمود الشعر العربي مشرق الديباجة وضاح المحيا ولئن كان السيد الحميري عن زلت بهم التقدم فما كان زلله إلا غلوا في حب دين سرى إليه من بيئة مضللة ولعل جانبه أقرب إلى الأمن من أمثال بشار وأبي نواس وغيرهم ممن نوهوا بالخلاعة ، وروجوا للدعارة ، وما طعن ذلك في نواحيهم الفنية ولا حال دون الإيمان بأدبهم ووضعهم في مراتب الفحول ، وبعد فهل درس الناس شاعرا يوما على أنه صديق أو ناسك أو قديس إذ الوضع في قائمة الصوفية والحنفاء . ولم يكن جدير أن يكون من الشعراء .

* * *

هذا الشاعر — إسماعيل بن محمد بن يزيد — من محضرمي الدولتين الأموية والعباسية نشأ والشعر العربي قد قوى لم يتسرب إليه وهن ولا ضعف في أخريات أيام بني أمية الذين أسلخوا زمام اللغة العربية إلى البهايل من بني العباس فزادوها روعة . وصنموا صقلا . وباركوا أدبها ، فأحفلوه خصوبة . ولد في سنة ١٠٥ للهجرة فهو ناشئ منذ عهد هشام بن عبد الملك ذلك العهد الذي اشتدت فيه الدعوة الهاشمية وبدأ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يطلب الخلافة لنفسه . ويحتج بأن

أبا هاشم بن محمد بن الحنفية أوصى بها له قبل وفاته ثم هو من البيت الهاشمي الذي هو أحق من بني أمية بهذا الأمر وهذا مبدأ معروف من قبل وله شعبة وأنصار حتى في الشعراء من أمثال العزوق والكهيت وكثير وغيرهم من شعراء الشيعة العلوية قبل أن يتحول الأمر إلى بني العباس .

صادف هذا المذهب هوى في نفوس الناس وقامت له دعايات فصلها التاريخ في كتبه وهفت إليه نفوس كثير من الشباب المولعين بكل جديد طريف .
والثائرين على كل قديم سخيف ، ولا سيما إذا كان ذلك القديم شيئا طال أمده كعهد بني أمية ، وحف به بعض المسكاره ومظاهر الشر كما كان في خلافتهم أيضا ، وكان من أولئك الشباب المولعين بالدعاية الهاشمية والمصنفين لها والمجروفين بتيارها . شاعرنا الشاب الأملعي إسماعيل بن محمد (السيد الخيري) وكان قد اتصل بمذهب الكيسانية وهم قوم ينتسبون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي من الرافضة الذين ينصرون الابن الثالث من أبناء علي ، محمد بن الحنفية وكانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما تغيب عن الناس واحتجب عنهم حيناً وسيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . وكانوا يقولون إنه في الجبل بين أسد وتمر يحرسانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وكان السيد الخيري إذا سئل عن مذهبه أشد :

سمى نبينا لم يبق منهم	سواء فعنده حصل الرجاء
تغيب غيبة من غير موت	ولا قتل وسار به القضاء
وبين الوحش يرعى في رياض	من الآفاق مرتعها خلا
لحل قبائها بشر سواء	بمقوتها له عسل وماء (١)
إلى وقت ومدة كل وقت	وإن طالت عليه لها انقضاء
فقل للتأصب الهادي ضللاً	تقوم وليس عندهم غناء
فداء لابن خولة كل نذل	يطيف به وأنت له فداء

وإن تعجب أيها القاري الكريم فعجب تلك العقائد المدخولة ، والمذاهب المرذولة وفي الحق إنها أفكار بثها اليهود والمجوس في الأمة الإسلامية ليردوهم

وليلبسوا عليهم ودينهم وهو مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلو جحر ضب ادخلتموه ، وقد عرف من عقائد اليهود أنهم كانوا يقولون إن الياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والحديث حول هذا الشاعر من هماته الناحية يطول . ولكن هذا أصل تعرف به كيف كان شعره في هذا الموضع وحده من بين أغراض الشعر ^(١) وأنه كان أحيانا ينكر المدح المنبعث عن مطلب دنيوى ويتعنى على صاحبه .

روى صاحب الأغاني وصاحب غوات الوفيات أن السيد الحميرى وقف على بشار وهو ينشد شعرا فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليعطى إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت إليهم وارج نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه وتسم البخيل باسم الجواد

فقال بشار من هذا ؟ فأخبر به ، فقال لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا ، وهى لعمر الله شهادة عظيمة من شاعر فحل ، ولو أن السيد كان قد قصر شعره على مدح بنى هاشم فقط لكان أمره ، ولكن عصبية المقيته دفعت به في تيار من الإثم كان يسجله في شعره ، وكانت الرواة تحامى روايته تأثما أحيانا ، وتقية أحيانا . فقد أظهر في شعره خلطا دينيا ، وخطبا اعتقاديا ، وسب بعض الصحابة ، وبعض أمهات المؤمنين ، لخلافهم على على كرم الله وجهه ، ولولا ذلك الخطب لكان لنا ثمر شهي كثير وأدب رائع وفير من آثاره ، فانظر ما يقول صاحب الأغاني في شأنه ^(٢) ، كان شاعرا متفوقا مطبوعا يقال : إن أكثر الناس شعرا في الجاهلية والإسلام ثلاثة ، بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فانه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر واحد منهم أجمع ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب الصحابة وأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره ، ويستعمله من قذفهم والطعن

(١) هو الاختصاص بمدح بنى هاشم والمصية لهم .

(٢) ٧ - ٩٣٢ .

عليهم فتحوى شعره من هذا الجنس وغيره لذلك ، وهجره الناس تخوفا وتراقبا ، وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقاربه .

كان السيد الحميري إذاً من شعراء الشيعة يمثل نوعاً من العصية الديفية السياسية وكان السيد الحميري يضم إلى تلك الناحية ناحية أخرى بغيضة من السلوك تلك هي استباحته ضرورياً من اللهو والمجون ومعاقرة الخمر ، وحجته في ذلك أوهى من حجته في عقيدته ، فقد كان يفعل ذلك بحكم الدالة على محمد وآله ويقول إنهم شفعاء له ، وإن حبهم يمحو كل خطيئة ، يفعل ذلك وهو أمين بدينه في زعمه ، ويفعل ذلك وهو آمن في دينه من سخط الولاة وإقامة الحد عليه لأن الولاة في حاجة إلى مرضاة شاعر خل ، فهم لا يهجون ولا يتبحثون مساخطه ، وبخاصة أنه يجاملهم ويمدحهم لأنهم بنو هاشم ، ولأن الإمام الختبي لم يظهر بعد ، وهؤلاء العباسيون وصية إبنة أبي هاشم ، على أنني أعتقد أنه لم يكن خالص الحب لبني العباس ، وأنه كان ربما جاراهم وداراهم خلا أن بعض المتزمتين من أهل العلم والمروءة كانوا يكرهون ذلك المجون منه ، ويمقتونه أشد المقت ، ويحاولون إغراء الخلفاء به .

وكان سوار بن عبد الله قاضي البصرة للنصور من هؤلاء وله معه أحاديث وحوادث يطول سردهما ، ولكنني أذكر منها حادثة تلي ضوءاً على بعض شعره في الجملة مع ما تصوره من رأى القاضي فيه .

روى صاحب الأغاني بسنده قال : قال الحارث بن عبد المطلب :

كنت في مجلس المنصور بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة بالبصرة ، وسوار قاضي قضاء البصرة جالس والسيد بن محمد بين يديه ينشده :

إن الإله الذي لا شيء يشبهه أعطاكم الملك للدنيا وللدن
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له حتى يقال إليكم صاحب الصين
وصاحب الهند مأخوذاً برمته وصاحب الأرك محبوساً على هون

والمنصور يضحك سروراً بما ينشده ، لحانت منه التفاتة فرأى وجه سوار يتربد غيظاً ، ويسودّ حزناً ويدلك إحدى يديه بالآخرى ويتحرق فقال له المنصور مالك ؟ أراك شيء ؟ قال : نعم هذا الرجل يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، والله

يا أمير المؤمنين ما صدقتك ما في نفسه وإن الذين يواليهم لتغيركم . فقال المنصور مهلاً هذا شاعرنا وولينا وما عرفت منه إلا صدق محبة وإخلاص نية ، فقال له السيد : يا أمير المؤمنين والله ما تحملت غضكم لأحد ، وما وجدت أبوى عليه فافتنت بهما وما زلت مشهوراً بموالائكم في أيام عدوكم ، فقال صدقت . قال : لكن هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً . والذين نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فنزلت فيهم آية من القرآن (أكثرهم لا يعقلون)^(١) وجرى بينهما خطاب طويل فقال السيد قصيدته التي منها :

يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة
إن سوار بن عبد الله من شر القضاة
نعتلى^(٢) بجمل من لكم غير موات
جده سارق عز جحر من جرات
لرسول الله والقبا ذف بالمنكرات
وأمين من كان ينادى من وراء الحجرات
يا هناء أخرج إلينا إنا أهل هنات^(٣)
مدحنا المدح ومن نر م يصب بالزفرات
فاكفيه لا كفاه الله شر الطارقات

واشتدت الخصومة بينهما ، وتكرر الشعر من هذا النوع ، حتى عزل المنصور سوار عن القضاء على السيد ، ولم ينفعه احتياله في إقصائه .

[١] هم قوم من تميم منهم هذيل بن حصن والأقرع بن جابس .

[٢] نعتلى نسبة إلى نعتل كان يلعب به هذان مجاء له وجمل بسببه إلى الجمل جمل عاتقة .

[٣] يا هناء يا فلان وهنات كناية عما يستفح - يهددون رسول الله .

السياسة الخارجية للإسلام

لمحاضرة الأستاذ الدكتور محمود ديباض

مدرس التاريخ الإسلامى بكلية أصول الدين

تحدثت إليك أيها القارئ الكريم فيما سلف ، عن مبادئ الإسلام السياسية والدستورية ، والاجتماعية والاقتصادية وأظهرت لك أنها أسمى النظم ، وأن كل النظم الحديثة - سواء منها الديمقراطية الرأسمالية ، أو الديمقراطية الاشتراكية - لا يمكن عن أن تصل إليها حاولت ، الى قريب مما تكلفه المبادئ الإسلامية من سعادة للإنسانية ، وخلصنا مما قدمته من بحوث الى أن الإسلام قد أقام دولة لها كيانه وشخصيتها ، ولها دستورها العام ، وتشريعاتها لمواجهة الجزئيات والمستجدات ولها نظام خاص (هو النظام الإسلامى) يتميز به عن غيرها ، فى جميع أمور السياسة والاجتماع والاقتصاد ، ثم حدثتك عن غاية الدولة الإسلامية ، وعن هدفها الأول . وهو الدعوة الى توحيد الله ، ونشر هدايته بين خلقه ، وتحقيق السلام والرخاء ، فى ظل الأخوة والمحبة . للبشرية كلها ؛ فإذا عرفت هذا فاعلم أيضا ، أن الإسلام دين عام للناس كافة ، ومن حق الناس الذين لم يعرفوه ، وحتم على عارفيه أن يبلغوه الى جاهلية ، ومن هنا تدرك معنى بوضوح ، أنه لا بد من وجود صلات بين المسلم وغير المسلم ، ولا بد من قيام علاقات بين جماعة المسلمين « الدولة الإسلامية » وبين غيرها من الجماعات والدول فى بقاع الأرض ، فعلى أى أساس تقوم هذه الصلات ، وكيف تنظم تلك العلاقات ، وهل الاصل فيها الحرب أو السلام ؟؟ وهذا ما سنحاول الكشف عنه ، راجين التوفيق من الله ، وإليك هذه الكلمات :

أولا - السلام طابع الدعوة : عرفت أن المسلمين قد ورثوا نبيهم عليه السلام ، وخلفوه على رسالته والحفاظ عليها ، وأن الأمة الإسلامية أمة مكلفة مسئولة ، وقد نيط بها تبليغ رسالة الرسول الكريم بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ، الى جميع الخلق ، وأوجب الإسلام على المؤمنين دعوة الأمم الى الإسلام ، وإرشادهم

الى هداية الله ، والدعوة الى الإسلام — في عهد الرسول وبعده — دعوة مسالمة
 هيئة لينة ، ليس فيها عنف ولا إكراه ، أتدرى لماذا ؟ لأن مبادئ الإسلام سهلة
 ميسرة للأفهام ، لا غموض فيها ولا أسرار ، مبادئ فطرية تتجاوب معها النفوس
 الفطرية ، وتهش لها العتول الزكية ، ولقد يسرنا القرآن للذكر . فهل من مدكر ؟ ،
 والايان يمثل هذه الدعوة يجب أن يكون إيماننا خالصاً قائماً على الاقتناع والاطمئنان
 القلبى ، وما لم يكن القلب مطمئناً الى الدعوة ومبادئها ، فحال أن يحل فيه إيمان
 بها ، وهذا شأن العتيدة الديفية دائماً ، بل شأن العتيدة مطلقاً ، لا بد أن يتفتح لها
 القلب ليتركز فيه الايمان ، بعد الاقتناع البرهانى بمقرراتها ، وإذن فدعوة الاسلام
 يجب أن تسلك الطريق الطبعى الى القلوب والعواطف ، وطريق الوصول الى القلوب
 والعواطف ، طريق سلام وبرهان وحكمة ، ولم يكن يوماً طريق حرب وإكراه
 وتعسف ، والناس أمام الدعوة أصناف ، صنف العلماء والحكماء ، وطريق دعوتهم
 ، الحكمة ، ومقتضياتها ، وصنف العامة وهؤلاء تستهويهم الموعظة الحسنة ، وضرب
 الأثال ، والوصول بهما الى عقولهم وقلوبهم ، وصنف مجادل مكابر ، يحسدون
 الناس على ما آتاهم الله من فضله ، ويعرفون الدعوة وصاحبها كما يعرفون أبناءهم ،
 وهم مع ذلك يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق ، وهؤلاء طريق دعوتهم حسن
 الجدل ، وهذا هو ما رسمه الله لرسوله عليه السلام إذ يقول له : « أدع الى سبيل
 ربك . بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، وهى خير الطرق
 الموصلة الى القلوب والعتول ، والتى تضمن الاقتناع والرضى وحسن الايمان ؛
 وفى ذلك دلالة على أن السيف لا يبنى فى القلوب ديناً ، ولا يؤسس عقيدة ،
 إذ لا سبيل للسيف الى القلوب ، لأن العتائد يبنيها القلب عن رضى واطمئنان لا عن
 جبر وقهر وإكراه ، وهكذا الدين الحق ، السليم المبادئ ، لا يحتاج فى توغله فى
 القلوب الى القهر والطغيان !!

« لا إكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى . . . » فمن شاء فليؤمن ومن
 شاء فليكفر ، « أفأنت تمكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، ولقد أثبتت التجارب
 فشل كل المبادئ والدعوات التى اعتمدت على الإكراه والعنت ، وما كان لدين
 يطمئن الى قدسيته أن يتخذ القهر والعنف والإكراه وسيلة لإرغام الناس على قبوله ،

لأن مثل هذا لا يمكن أن تتقبله القلوب ولا تؤمن به ، وكفى أن يكون القهر وسيلته لتفتر منه القلوب ، لأنه بذلك يعلن عدم حقيقته ، وعدم صلاحيته ، ومن هنا تدرك مبلغ التجنى على الإسلام ، من أولئك الذين يزعمون : « إنه قام بالسيف ، واعتمد عليه ، واحتجى به » ، وهم يعلمون أنهم كاذبون ؛ وسأزيدك اقتناعاً بكذبهم فيما سأعرضه عليك فيما بعد إن شاء الله ، ومن هنا أيضاً تدرك أن الصلة أو العلاقة التي تكون بين المسلمين وغيرهم ، إنما تقوم على أساس هذه الدعوة ، دعوة المسلمين غيرهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن ، والوسائل المسادية التي تحمل الدعوة إلى غير المسلمين هي : السكتب والرسل والوفود ؛ وقد تقبل الدعوة ، وقد ترفض رفضاً سليماً ، وقد ترفض رفضاً مصحوباً بالأذى للرسل والوفود ، أو مصحوباً بحملة حربية ولكل حالة حكمها ، ووسيلة مجابتهها .

ثانياً — تأمين الدعوة والدفاع عنها : قد رأيت أن الإسلام ، يقرر الحرية الفكرية . حرية الرأي والاعتقاد ، وحرية الدين والعبادة ، وأنه جعل ذلك حقاً فطرياً لكل إنسان في كل زمان ومكان ، يجب تمسكته من التمتع به دائماً ، غير باغ ولا عا ، ولا معطل لحق من حقوق الآخرين ، وإذا كان الإسلام يعطى هذه الحقوق لغير نبيه ، فبدهى أنه لا يحرم نفسه وأتباعه منها !! وإذن فن حق المسلم أن يدعو الناس إلى الإسلام ، دعوة هادية رشيدة بالطرق السليمة التي نحدثنا عنها . ولكن ماذا يفعل المسلم إذا صودرت حقوقه وحرياته ، ومُنِع من ممارسة ما وهبه الله له من حريات ، وصد عن الدعوة إلى الله بمختلف الوسائل ؟ أيستكين ويسلم لعدوه صغيراً دليلاً ، أم يحرص على مباشرة حقوقه ، ودفع العدوان عن دعوته وعن نفسه ؟ لقد حتم الإسلام على المؤمن أن يكون قوياً عزيزاً كريماً ، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وألا يقبل الذلة والذنية ، لأن المسلم الذي يقبل الضيم لم يخالط الإيمان بالله قلبه ، أو ليس في مصادرة حريات المسلم في الدعوة إلى عقيدته استهانة به وبها ، واحتقار له ولها ؟ وكيف يقبل المؤمن الاستهانة والاحتقار ؟ وإذن فلا بد من تأمين الدعوة ، وحماية أصحابها والدفاع عنها !

أقام الرسول عليه السلام بمكة زمناً طويلاً يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل المكيين بالتي هي أحسن ، ولقي الرسول والمؤمنون من المكيين أذى

كثيرا ، وكان المؤمنون يستأذنونهم عليه السلام في دفع أذى المشركين بسيوفهم ، فكان يقول لهم : « لم أؤمر بقتال . لم أؤمر بقتال » ، لأن الدعوة حينئذ في طورها الأول لم تستفد بعد كل الوسائل السلبية ، ويجب أن تستفدها ، حتى تقيم الحجة على المعاندين ، وتقطع التعلل على المكابرين ، الذين ألفوا الشرك وورثوه كابرا عن كابر . سيما والأذى لم يصل بعد مرحلة سفك دماء المسلمين ، وهو لهذا يمكن أن يحتمل رجاء أن يثوب القوم إلى رشدكم ، فلما عظم الأذى ، وفكر المكابرون في سفك دماء الرسول الكريم والمؤمنين به ، خرجوا من ديارهم مهاجرين ، ولكن المكابرين تعسفوا وتعقبوا المسلمين وترصدوهم في مهجرهم ، وقصدوهم بالعدوان ، ولم يعد البرهان صالحا لملاقاة السيوف ودفع شرورها ، وهناك أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير . . وهكذا قرر القرآن أن المسلمين قد ظلموا بمصادرة حرياتهم ، والعدوان عليهم ، وصددهم عن الدعوة إلى الله ، وأن المظلوم من حقه أن يدفع الظلم عن نفسه بالسيف والسنان ، إذا لم يسعفه اللسان والبرهان وبهذا يقرر الاسلام مشروعية الحرب ، دفعا للظلم ، وردا للعدوان ، وتأمينا للحريات ، وتمكيننا لحرية الدين والاعتقاد ، ودفاعا عن الدعوة وأصحابها ؛ ويؤكد لك هذا المعنى قوله تعالى : « قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم . ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين . واقتلواهم حيث ثقتهم . وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل . ولا تقاتلوا عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه . فإن قاتلوكم فاقتلوا . كذلك جزاء الكافرين . فإن انتهوا . فإن الله غفور رحيم . وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة . ويكون الدين لله . فإن انتهوا . فلا عدوان إلا على الظالمين . . الشهر الحرام بالشهر الحرام . بالشهر الحرام والحرمات قصاص . فمن اعتدى عليكم . فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم . واتقوا الله . . وأنت ترى في هذه الأوامر الصريحة أن القرآن يحرم الحرب العدوانية التي لا يدفع إليها إلا فساد الفطر ، والطغيان ، والرغبة الآثمة في استغلال الناس ، ومصادرة حرياتهم وحقوقهم الفطرية . واتخاذهم عبيد للطغاة كحروب الاستعمار في هذه العصور ؛ بل إن تحريم العدوان مصحوب بإنذار المعتدين بغضب الله ، وهذا أمر يدفع المسلم دفعا جبارا إلى تجنب العدوان حرصا على حب الله ورضاه ، ولا تعتدوا . إن الله لا يحب المعتدين . .

وفي السنة الثامنة للهجرة بعث الرسول عليه السلام كتباً وزسلاً إلى كسرى وقيصر والنجاشي ومقوقس مصر والامراء المجاورين لجزيرة العرب . فأما كسرى الفرسى فزق الكتاب وأهان الرسول وحجسه ، وبعث إلى عامله على اليمن يأمره بإحضار هذا العربي الذي تجرأ على دعوته إلى دين يجهله ، وأما غيره — باستثناء النجاشي والمقوقس — فقد مزقوا الكتب ومنهم من عذب الرسل ، ومنهم من قتل الرسل وبالجملة قد قوبلت كتب الرسول ورسله بمقاولة شاذة لم يتعود مثلها أهل الشرف والكرامة ، وقد توفى عليه السلام قبل أن يعاود دعوتهم إلى الله ، أو يفصل هذه الإهانة . وكان ذلك واجبا على خلفائه من بعده ، وقد قاموا بهذا الواجب ؛ واتصلوا بالفرس والروم والشعوب المجاورة للعرب ، واتبعوا في صلاتهم بهم المنهج السلي الذي سار عليه الرسول ، ثم المنهج العسكري الذي قررت قواعده الأصلية بالوحي في عهد الرسول ، ونحن نجعل ذلك فيما يلي :

يجب على المسلمين أن يعرفوا الناس بالإسلام ، ويلفغهم رسالة الله . فن أسلم فأولئك تحروا رشدًا ، ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وحيثما يجاوزهم المسلمون إلى غيرهم ، فإذا اعتدى غير المسلمين ، أو صدمهم عن الدعوة إلى الله ، فعلى المسلمين أن يردوا العدوان ، ويرزقوا العقبات التي تصدمهم عن مباشرة حقوقهم في الدعوة السلبية إلى عقيدتهم ، فإذا انتصر المسلمون ، ورفض العدو الدخول في الإسلام ، وآثروا البقاء على عقائدهم . فلم ما اختاروه ، ولكن عليهم الإذعان ، والخضوع للدولة الإسلامية ، وعليهم أن يشاركوا في أعبائها ، بالأموال المناسبة ، وعلى الدولة حماية دمايتهم وأعراضهم وأموالهم ، وضمان حرياتهم الشخصية والدينية ، قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

وإذا دعى المسلمون غيرهم إلى الإسلام ، فرفضوا الدخول فيه ، غير معتدين ولا محاربين ، ولا يحاولون فتنة المسلمين عن دينهم ، ولا يظاهرون أعداء المسلمين فهؤلاء موضع الرعاية والبر من المسلمين ، يدفعون الجزية مختارين غير مضارين

« لا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . »

ولما كانت الدعوة الإسلامية دائمة خالدة ، وواجب المسلمين نحوها دائم مستمر ، أمر الله سبحانه بالاستعداد الدائم لحماية الدعوة ورد العدوان عن الإسلام وأهله ، وأمر المسلم أن يحمل القرآن في يده والسيف في أخرى داعياً إلى الله ، مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم . . . وعلى المسلم أن يكون دائماً مسلحاً مستعداً بالذل والتضحية ، ابتغاء وجه الله وصالح الإنسانية ، ولتندرع لذلك بكل أسباب القوة ، وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وأنت ترى الدعوة إلى الجهاد ، والاستعداد للحرب الدائم ، مبعثه عدوان الأعداء علينا ومصادرتهم لحرماننا ، وصددهم عن سبيل الله . ولو أنهم تركونا وشأننا ، لما رأوا سيفاً مصلتنا ، ولا جيشاً محارباً ، ولكنهم قد عودونا الغدر والعدوان ، فأمرنا الله أن نكون لهم يقظين ، أقوياء مستعدين للزوال عند داعيه ، وما الفرق بين موقف الإسلام من الدعوة إلى الجهاد والاستعداد للحرب الدائم ، وبين ما يسمونه اليوم : السلام المسلح ، أو التسليح من أجل إقرار السلام ؟ إن يكن ثمت فرق ، فهو أن سلامنا المسلح لا يقصر الاعتداء على الضعفاء ، ولا المباداة بالعدوان على الأقوياء ، ولا الغدر ولا الخيانة ، وإن السلام المسلح الحديث ، يقر العدوان والطغيان والغدر ، على الضعفاء والأقوياء على حد سواء .

وإلى هنا يتضح لنا أن السياسة الخارجية للإسلام ، تقوم على أساس الدعوة إلى الإسلام ، وإلى الجهاد في سبيل حماية العتيدة ودفع الظلم ورد العدوان ، وهذا الأساس هو الذي يحدد العلاقات الدولية وينظمها بين المسلمين وغير المسلمين ، أما كيف ينظم الإسلام العلاقات الدولية على هذا الأساس ؟ فهذا ما أحدثك عنه في كلمة تالية بإذن الله ، والله يهدينا إلى الحق ، ويوفقنا لخدمة الإسلام وإيقاظ المسلمين .

قصّة

لفضيلة الشيخ ابراهيم أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

الحديث في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متعة روحية ، وغذاء نفسى وجلاء للقلوب من صدا الجهالة ، ودنس للجلود ، ووضر الغفلة والنسيان ، لأنهم أمثلة من الإيمان النقي ، والعقيدة القوية ، والدين الصحيح ، والعزيمة التى لا تعرف التردد ، ولا تألف النكوص ، ولا تستسغى التخاذل والضعف .

وقد كان النبى الأمين - هداانا الله بهديه ، ورزقنا حسن الاقتداء به - لا يترك مناسبة من المناسبات دون أن يشيد بقدرهم ، وينوّه بذكورهم ، ويعلم عن حبه لهم . ورضاه عنهم ، واعتزازه بهم ، من غير تفضيل لواحد على الآخر . أصحاب كالنجوم بأبهم اقتديتم اهتديتم .

ولعل السر في ذلك أنهم لم يكونوا مؤمنين به ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الكفر ومسبة المروق ، ووصمة التردد على الله سبحانه وتعالى . ولكنهم كانوا مؤمنين بكل ما تحمله كلمة الإيمان من معنى الإذعان والخضوع ، والانقياد والطاعة ، والبذل والفداء ، والجهد والتضحية ، والإخلاص للدين ، والذود عن راية الإسلام ، ولهذا دوت بهم صيحة الحق ورزقت عروش الباطل ، وطارت تيجان الظلم ، ومادت صروح العسف والطغيان ، وجعل الله لهم المهابة فى أفئدة العدو الغاشم .

وكان الرجل منهم لا يعتبر نفسه فرداً منكوراً فى سواد الإنسانية ، يزيد فى حسابها ، ويخط الكاتبون اسمه فى ديوانها ، لمعرفة العدد ، وترتيب الجماعة ، إنما كان يجعل جوارحه وإحساسه ، وجهده وتفكيره ، ووجه وميله ، وعطفه وودّه ، مصروفة كلها إلى العمل على أن تدرك الأسرة البشرية بمن تربطه بهم الروابط ، وتصله بهم الوشائج ، أنه يكمل نقصها ، ويدعم بناءها ، ويؤدى أياها رسالة للنهوض والعمران ، والرقى والتقدم ، والحضارة والتمدن ، والسياسة والإصلاح .

وبذلك حققوا الاخوة التي أرادتهم عليها الشريعة ، وساقطتهم اليها التكليف ،
وهذبهم بها تربية السماء .

وهذه حادثة جرت المناوشة فيها بين اثنين منهما ، ثم لم تزد على أن تجلت عن
أدب جم ، وحرص على دوام الصلة ، ورغبة أكيدة في نمو الحب ، وازدهار شجرة
المؤاخاة .. مع أن الظروف التي أحاطت بها ، . الملابس التي اكتتفتها ، كان
الشأن فيها ألا يجد المتلس فيها سيلا إلى الصفو . ولا مرتعاً إلى الرضا والصفح ،
والعفو والتسامح

وتفصيل ذلك أن عثمان رضى الله عنه مانت زوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فكان حزنه عليها شديدا ، وأسفه لفراقها ألما ، وهمه بفقدتها
بالغا ، وبث . من جراء ما حمل بها يتجاوز غاية الاحتمال ، لا لأنها كانت تواسيه
في الشدائد ، وتعينه على المصائب ، وتوازره لدى المحن ، وتمسح عليه حين تعركه
خطوب الأيام والليالي ، وهناك يزول ما أصابه ، ويهون ما غشيه ، ويخف وقع
الضربات التي تسدها نحوه المقادير .

بل كان حزنه إلى جوار ذلك وذلك أنها ابنة ذلك الرجل الذى وضع الله
مصير العرب والعجم بيده ، وجعل حديثه على الأفواه ، وشريعته ناسخة للشرائع ،
وكتابه معجزاً للناس ، ومكانته لا يتسامى إليها متطلع . ولا يشرب إليها عقق ،
ولا يدانيها متوثب طموح ، وإن شرف الانقساب إليه توفيق من الله الذى يهيم
على ملكوت السموات والأرض ، وما كانت تخطر بخياله الداهية بموتها إلا تارت
فيه نوازى الفضب ، وبراكين الحسرة ، وعواصف الكآبة العميقة .

وكان كل كلام يخرج عن نطاق العزاء أو المجاملة في إبداء الاسف لا يجد
الأذن التي تسمع ، ولا القلب الذى يسعى ، وبينما عثمان في غمرته هذه جاء إليه
عمر يعرض عليه ابنته حفصة ، وربما كانت هذه شفتنة كثير من العرب في زواج
بناتهم ، وليس من العيب أن يختار الأب لابنته ، أو يذكرها للكفء من ذوى
الأحساب العظيمة ، والأنساب الشريفة ، والأعراض الطاهرة ، والسلوك الحميد .
ولذلك لم يكن في صفيح عمر من الغضاضة ما يستأهل معه الإعراض
والإنصراف .

فلما قابله صاحبه بالإغضاء ، وجازاه على عنايته به ، واهتمامه لأمره ، هذا الجزء كانت دهشته داهشة ، وذهوله كبيراً ، وأخذ الألم يحز في نفسه حزاً السكين في قلب المذبح ، ولم يسعه إلا أن يذهب إلى الرسول الكريم يقص عليه قصته وقصة عثمان معه ذلك الذي أنساه هول المصاب أن الذي يكلمه عمر بن الخطاب ، وأنه لا يكلمه كلاماً وكفى .

وكيف يكون كذلك وهو يعرض عليه أن يجعل ابنته حفصة ، في مكان رقية التي فرق الله بينه وبينها ، وقطع أسبابه عن أسبابها ، فلم يعد له منها سوى الذكرى المعضة ، واللوعة المقضه ، والحزن الحار .

وكان عليه أن يعلم أن عمر لم يقصد إلى حاجة ابنته بمقدار ما قصد إليه هو من العزاء والسلوى ، والمجاملة والتصبر .

ومثل الفاروق بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يشكو له 'مرء الشكوى ما لاقاه من عثمان .

وجاء عثمان — كذلك — يشكو عمر ، وجعل الرسول يقاب القضية على وجوهها ، وينظر إلى الخصمين في معنى من الاشفاق والعطف ، قائلاً لكل واحد منهما إن المسألة أقل مما يخلع كلاهما عليها من الاشكال والالوان ، ولما ذهب ما بهما من حدة الغضب ، وثورة الألم .

قال يا عثمان ليست زوجتك أول حي يموت ، والناس كلهم للفناء ، لانهم بدؤوا من التراب ولا بد أن يعودوا إليه .

فلا نذهل هذا الذهول ونفسي ما يجب عليك لله والناس .

وهناك اختفت العبرة عثمان وقال له بصوت منقطع : والله يا رسول الله ما فعلت ما فعلت إلا لحوفي أن تزول وشيئتي بك ، وآصرتك منك .

وحينئذ ساد الصمت المجلس كله ، وانطلق صوت القاضي يقول يا عمر سيزوج الله ابنتك خيراً من عثمان وسيزوج عثمان خيراً من ابنتك .

وانصرف الرجلان تبدو نواجزهما من الرضا والارتياح ، والسرور والبشر .

ثم تكشفت الأيام فيما بعد عن زواج النبي بحفصة ، وزواج عثمان بأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

مدرسة فيثاغورس

للمؤلف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فؤاد

اشتهرت المدرسة الفيثاغورية في التاريخ شهرة واسعة ، ولو أن معلوماتنا عنها يسيرة ، لأن كل ما يتعلق بفيثاغورس وحياته يكتنفه الغموض ، ويضيف إليه المتأخرون كثيراً من المبالغات ، التي تخرج عن حد التاريخ الصحيح الذي يرتفع إلى مرتبة اليقين .

وهي أول مدرسة فلسفية في اليونان ، لأن المدرسة الملطية التي قامت في ملطية من أعمال آسيا الصغرى ، والتي بدأت بطاليس ثم بأنكسمندر ، ثم بأنكسمانس ، لم تكن مدرسة بمعنى الكلمة ، لها مكان خاص ، وفيها تلاميذ متعددون . كل ما في الأمر أن أنكسمندر ، صاحب ، طاليس ، وكذلك أنكسمانس ، صاحب ، أنكسمندر ، عنه أخذ العلم والفلسفة ، وإنما نقول إنه كان تلميذه تجوزاً .

أما مدرسة فيثاغورس التي أنشأها في كريتون ، فهي مدرسة على الحقيقة : إذ تضم بين جذرائها مئات من الطلاب ، اجتذبتهم شخصيته القوية ، وتعاليمه المتنوعة ، واستعداده لاستقبال النساء والرجال على حد سواء . وبذلك وضع فيثاغورس ، قبل أفلاطون بقرنين من الزمان ، مبدأ شوعية النساء ؛ ولم يعلن ذلك نظراً ، بل عملاً ومع ذلك فإنه كان يميز بين الجفسين تبعاً للاختلاف الطبيعي بينهما ، فكان يعلم المرأة الفلسفة والآداب ، كما كان يعلمها تدير المنزل والأموعة ، حتى لقد اشتهرت المرأة الفيثاغورية في الزمن القديم بأنها أفضل نساء الإغريق .

واعند تأسيس مدارس فلسفية فيما بعد ، مثل أكاديمية أفلاطون ، ومدرسة المشائين لأرسطو ، ومع ذلك لم نسمع أنها كانت تتسع لهذا العدد الكبير من الطلاب ، أو كانت تضم الذكور والإناث . اللهم إلا مدرسة أفلوطين التي أنشأها في روما ، فقد ذكر المؤرخون أسماء بعض النساء ممن كن يحضرن دروس الأستاذ .

ووضع فيثاغورس قواعد للطلبة تجعل من المدرسة كأنها دير أو معبد : فهم يقسمون يمين الولاء للأستاذ ، وكانوا يقتسمون كل شيء في أثناء الطلب ، ويمتنعون عن أكل اللحم والبيض والبقول . ولم يكن الخمر ممنوعاً ، ولكن المندوب شرب الماء القراح . وكان محرماً على الطالب أن يقتل الحيوانات التي لا تؤذى الإنسان ، أو أن يقطع شجرة نامية . وكانوا يلبسون ملابس بسيطة ، وبما يؤثر أنهم كانوا يلبسون البياض ، ويتصفون بالتواضع ، ويعتدلون في مظهرهم ، فلا يكثر من الضحك أو يظهرون بمظهر العيوس . ولا يحلفون بالآلهة ، لأن واجب المرء أن يكون صادقاً بغير قسم . وفي آخر كل يوم ، كانوا يحاسبون أنفسهم ، فيسألونها ما الشر الذي ارتكبه الواحد منهم ، وما الواجب الذي أهمله ، وما الحسن الذي قام به .

وكانت سيرة فيثاغورس هي القدوة للتلاميذ ، فكان يطبق هذه المبادئ على نفسه بغاية الدقة ، حتى ذاعت سيرته في الناس ، وأقبل عليه الطلاب أفواجا بدافع من الحب والإجلال . ويروى أنه لم يشرب خمرأ في النهار ، وكان يعيش على الخبز والعسل والخضر ، وكان لباسه أبيض نظيفاً ، ولم يسرف أبداً في تناول الطعام ، ولم يكثر من الضحك أو الإشارة أو الثرثرة . ولم يعاقب أحداً حتى لو كان من طبقة العبيد .

ويروى أنه لم يتزوج قط . على أن بعض الروايات التاريخية تحدثنا أنه صاهر أحد تلاميذه ، وهو « بروتينوس » ، Brotinus ، فيقال إنه تزوج ابنته « ثيانو » ، Theano . وتحدثنا بعض الروايات الأخرى أن ثيانو كانت زوجة بروتينوس ، وأنهما معاً كانا من تلامذة فيثاغورس ، وتحدثنا رواية ثالثة أن زوجة بروتينوس هي « دينونو » ، Deinono ، وكانت امرأة موهوبة مفرطة في الذكاء ، ومن جملة تلاميذ المدرسة . وقيل إن دينونو هي ابنة فيثاغورس .

ويشترط فيمن يرغب الالتحاق بمدرسة فيثاغورس ، أو فرقة عدة شروط ، منها طهارة البدن وذلك بالامتناع عن أكل اللحم ، وطهارة النفس وتصفيتها بدرس العلم . وكان التليذ مطالباً ، بالصمت ، خمس سنين ، وأن يعود الطاعة فيقبل التعاليم بدون أسئلة أو جدال ، ثم يصبح له بعد ذلك الحق في محضوة الجماعة ، وأن يتلقى

العلم عن فيثاغورس شخصياً . ذلك أن القرب من المعلم خطوة لا ينالها إلا الصفوة من التلاميذ أو الاتباع .

وكان التلاميذ على ضربين : مريدون Mathematikoi ، ومستمعون Akonsmatikoi . أما المريدون ، فعددهم قليل ، وهم خاصة الفرقة الذين يعرفون أسرار تعاليم فيثاغورس . على حين أن المستمعين ، وهم أغلب الجماعة ، فكانوا حلقة واسعة لا يسمح لهم إلا باستماع الشهور من التعاليم بغير تفسير دقيق . والمنهج نوعان : على وديني ، أما العلني فيتكون من أربعة مواد هي : الحساب والهندسة والفلك والموسيقى . أما الديني فيتعلق بعقيدة فيثاغورس في التناسخ .

ومن المبادئ المفروضة على الاتباع الاحتفاظ بسرية التعاليم ، وكان عقاب من يفشى الأسرار هو الطرد ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن هذه السرية كانت متبعة بدقة إلى حد أننا لم نعرف شيئاً عن أسرارهم إلا في عصر أفلاطون . عند ما كتب ، فيلولاوس ، وهم من الميثاغوريين ، تحت سلطان الحاجة إلى المال ، كتاباً في ثلاثة مجلدات . اشتراه منه «ديون» حاكم سراقوسة ، حسب طلب أفلاطون ، ويذهب آخرون إلى أن العلم بالنظريات الهندسية تسرب في حياة فيثاغورس نفسه بخيانة بعض الأعضاء أو بسبب آخر ، ويروي أن «إيباسوس» Hippias ، وهو من تلاميذ فيثاغورس ، عوقب بالطرد لخيانة من هذا القبيل ، ولأنه أفشى طقوسهم بغرض الإساءة إليهم .

وكما كان فيثاغورس شديداً في نظامه الخاص بتعاليم المدرسة ، كان كذلك شديداً في القبول بها ، حتى لقد رفض التحاق سيلون ، Cylon ، وهو نبيل غني لسوء أخلاقه ، فأمرها سيلون في نفسه ، وحارب فيثاغورس حتى قضى عليه في كروتون .

كانت طريقة التعليم سماعية ، بالتلقين والرواية ، وكان التلاميذ يرجعون دائماً إلى العبارات التي ينطق بها ويحفظونها ، ومع ذلك فنحن لا نجد بين أيدينا شيئاً من هذه العبارات .

ومع ذلك يروي أنه ألف ودون ، ويذكرون له عبارة وردت في بعض كتبه

هذا نصها : أقسم بالهواء الذي أتنفسه ، وبالماء الذي أشربه ، أني لن أعدل عن هذا المذهب . . ويروي كذلك أن فيثاغورس كتب كتباً عزاها إلى « أورفيوس » ، وهذا دليل على أن بعض الكتابات الاورنية من عمل فيثاغورس .

أما الذين يذهبون إلى أن فيثاغورس لم يدون كتباً ، فيقولون إن ما ظهر من كتب تتعلق بمذهبه ، فهي من قلم بعض أتباعه ، مثل ايباسوس ، وليسيس Lysis وأستون Aston .

وتفرعت عن المدرسة بعد موت صاحبها فرقتان ، فرقة أخذت بالجانب العلي والرياضي ، وأخرى عنيت بالمذهب الديني ، ويرجع ذلك إلى الميل الطبيعي لا إلى تمييز فيثاغورس .

وسوف نتحدث فيما بعد عن هذين الجانبين للمدرسة ، نعى الرياضة والدين

التزيه الخالص

قال الله تعالى : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً . . » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وإن الملائكة على يطلبونه كما يطلبونه أتم) .
وقال علي كرم الله وجهه ورضي عنه : (كل ما يتصور في الاوهام فالله بخلافه) .

وقال الشافعي رضي الله عنه : (من انتهض لطلب مدبره فان اطمئن إلى موجود ينتهي اليه فكره فهو مشبه : وإن اطمئن إلى نفي محض ، فهو معطل ؛ وإن اطمئن إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد) .

الأدب العربي

في عهد الأمويين

المؤلف: الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسعودي

الأستاذ بكلية اللغة العربية

- ٢ -

تولى معاوية بن أبي سفيان أمور المسلمين والأمة طوائف متعادية وفرق متنايزة وجماعات متنافرة متشاكسة . ولكنه لم يترك سيلاً لتوطيد عرشه وتأييد ملكه إلا سلكها . فأحياناً تكون وسيلته إلى ذلك المال . فهو يسخر في بذله ويخف لمنحه حين يكون المنح والإعطاء مدعاة إلى تأليف القلوب وتسكين الأحقاد . وقد جعل عطاء الحسن والحسين ألف ألف درهم بعد أن كان خمسة آلاف أيام عمر بن الخطاب كما أغدق هو وخلفاؤه على أبناء الأنصار والمهاجرين ليشغلهم بالدنيا ومتاعها والحياة ولهوها ومفاتها عن المطالبة بالخلافة حتى صار الحجاز مباءة الترف والفساد وانتشر فيه الفناء وشغل الكثير عن ضعف وقارهم وخفت موازين الدين في أنفسهم بما دفع إليه الترف من إقبال على اللذات وإيثار للشهوات يقول السعدي في مروج الذهب (كان معاوية يجلس في مجلسه ويقول : إرفعوا إلينا حوائج من لا يصل إلينا فيقوم الرجل فيقول استشهد فلان . فيقول افرضوا لولده ويقول آخر : غاب فلان عن أهله فيقول تعاهدوهم . أعطوهم . اقضوا حوائجهم . أخدموهم .

وعند معاوية إلى الشعراء فقربهم وأثار شاعريتهم ودفعهم إلى الإحسان والتجويد دفعا بما أقسح لهم في قلبه ومنحهم من سمعه وخلع عليهم من عطايا وأغدق من هبات ومنح حتى جعل لهم نصيباً في بيت المال . وكذلك اتبع خلفاؤه من بني أمية سنته وآثروا طريقته ليشتروا ألسنتهم ويرضوا رغائبهم بما تفيض به قرائحهم من جيد المدح ورائع القول ومتخير القصائد .

فهذا عامل أثار عواطف الشعراء وجعل للأدب سوقاً رائجة وبضاعة نافقة وجعل الحياة تزخر بهذا التراث العبقري الخالد الذي نطالعه فلا ينتهى إعجابنا ولا يتضاءل تقديرنا وإكبارنا . ولقد ظل الشعراء يأخذون عطايهم من بيت المال حتى أبطل ذلك الخليفة الصالح الورع عمر بن عبد العزيز في عهده ثم لم تلبث هذه الحال أن عادت بعد موته إلى ما كانت عليه . وعمّا يؤثر عنه أن الشعراء وقفوا ببابه بعد توليه الخلافة حتى طال بهم الوقوف . فكلّمه عدى بن أوطاة وكان أثيراً عنده فقال له إن الشعراء بيا بك وأقوالهم باقية وأسئتهم مسنونة . فقال يا عدى مالى وللشعراء . قال يا أمير المؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى وفيه أسوة لكل مسلم . فسأله عمن بالباب من الشعراء فجعل عدى كلما ذكر له شاعراً عد عليه من قوله ما يفسقه به أو يكفره ولم يأذن إلا لجريز فلما مثل بين يديه قال له : اتق الله يا جريز ولا تقل إلا حقاً فأنشأ يقول :

كم باليمامة من شعناء أرملة	ومن يتيم ضعيف الصوت والبصر
من يمدك تكفى فقد والده	كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر
يدعوك دعوة ملهوف كأن به	خبلا من الجن أو مسا من البشر
خليفة الله ماذا تأمرن بنا	لسنا إليكم ولا فى دارم ^(١) منتظر ^(٢)
ما زلت بمدك فى هم يؤرقنى	قد طال فى الحى إصعادي ومنحدري
ما ينفع الحاضر المجهود ^(٣) باديها	ولا يعود لنا باد على ح ^(٤) ضري ^(٥)
إننا لئرجو إذا ما ألغيث أخلفنا	من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة إذ كانت له قدرا	كما أتى ربه موسى على قدر
هذى الأرامل قد قضيت حاجتها	فن لحاجة هذا الأرامل الذكر

فقال يا جريز والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلاثمائة فسائة أخذها عبد الله ومائة أخذتها أم عبد الله . يا غلام أعطه المائة الباقية فقال يا أمير المؤمنين أنها لأحب مال كسبته إلى ثم خرج وهو يقول خرجت من عند أمير المؤمنين يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض ثم أنشأ يقول .

رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطانى من الجن راقيا

(١) لسنا إليكم . أى لسنا واصلين . ومنتظر أى انتظار . (٢) المنتظر عند البادى .

وكان من سياسة الخلفاء الآلهيين إغراء الشعراء ببعضهم ودفعهم إلى التهاجي
ليُشغِل الناس بمهاراتهم وأهواجهم عن الشعب عليهم وتبعب أخطائهم كما كانوا
يغضون عن زلاتهم ويتخافون عن هفواتهم ويحملون إزاء سيئاتهم حتى يستلثوا
من نفوسهم النعمة ويتزعموا منها الحق والغضب .

يروى صاحب الأغانى ^(١) أن عبد الرحمن بن حسان شيب بأخت معاوية
فغضب يزيد ودخل على معاوية فقال يا أمير المؤمنين أقتل عبد الرحمن بن حسان
قال ولم قال إنه شيب بعمتي قال وماذا قال : قال إنه يقول :

طال ليلى وبث كالحزون وملكت الزوام في جيرون
فتمال معاوية وما علينا من طول ليله وحزنه أبعد الله عنه قال إنه يقول :
فلذلك اغتربت بالشام حتى ظن أهل مرجات الظنون
قال يا بني وما علينا من ظن أهله قال إنه يقول :

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون
قال صدق يا بني . إنها لكذلك قال إنه يقول :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء . نمت في مرمر مسنون
قال لقد كذب في هذا يا بني . ثم استنشد القصيدة فأشده . فقال يا بني
ليس يجب القتل في هذا والعقوبة دون القتل . ولكننا نكفه بالصلة والتجاوز
وقيل إن هذا الغزل كان في بنت معاوية وإن عبد الرحمن قد استمر يشيب بها
ومن ذلك قوله .

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمنى
إذ تقولين عمرك الله هل شيء وإن جل سوف يسليك عني
وكلنا ألح يزيد على أبيه بقتله قال له ليست العقوبة من أحد أقيح منها من ذوى
القدرة . ولما قدم عبد الرحمن على معاوية وكان يدخل في أخريات الناس أجلسه
على سريره وأقبل عليه بوجهه وحديثه ثم قال له : إن ابنتي الأخرى عاتبة عليك .
قال في أى شيء قال لأنك مدحت أختها وتركتها . قال فلها العتبى أنا ذا كرها .
فلما فعل علم الناس أنه كاذب في غزله بينت معاوية لأنه ليست له إلا بنت واحدة .

وكذلك كان من أساليب الخلفاء أن يشغلوا الناس عن خلافتهم ويصرفهم عن ملكهم بإثارة العصيات وبعث الحزازات وذكر الخصومات الجاهلية التي أماتها الإسلام وقضى عليها فاستجيت بينهم المفاخرات وقويت المنافسات الحاقدة وانقسم المسلمون إلى أحزاب وشيع . وطوائف وفرق . وعناصر متحفزة نائرة . كل عنصر يناصب أخاه العداوة ويضمر له البغض والكرهية ويخلق له من المثالب والثقائص ما يثير حفيظته ويهيج ضغته . ظهرت فيهم البنية والمضمرية . وكانت المضمرية تؤيد معاوية وتسنده . وقد استطاع أن يستند كذلك على البنية إذ كان متزوجا ميسون بنت يحدل أم يزيد وهي من قبيلة كلب من البنية .

وقد لعبت هذه العصيات دورها في التمسك لهذه الدولة وتقوية أسباب بقائها . على أنها من ناحية أخرى كانت من أسباب سقوطها وزوال حكمها . فقد عمدت البنية جاهدة فيما بعد لانتصار العباسيين والتمسك بقيام دولتهم .

ولعل من أوضح الأمثلة على اضطراب العصيات وإثارة الحزازات ما يرويه المبرد ^(١) من أن يزيد بن معاوية لما غضب على الانصار حاول أن يدفع كعب ابن جعيل التغلبي إلى هجائهم . فقال له كعب أأهجو الانصار أراى أنت إلى الكفر بعد الإسلام ولكن أدلك على غلام من الحى كأن لسانه لسان ثور (يعنى الأخطل) فأغرى يزيد الأخطل بهم فقال يهجوم :

لئن الإله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصرار ^(٢)
قوم إذا هدر العصير رأيتهم حمرا عيونهم من المسطار ^(٣)
خلو المكارم لستم من أهلها وخذلوا مساحيكم بنى النجار ^(٤)
ذهبت قريش بالمكارم كلها واللوم تحت عمامم الانصار

ولما سمع الثمان بن بشير الانصارى هذا الهجاء دخل على معاوية فحسر عمامته

(١) وغية الآمال ٢٥ ص ٢٠٧ .

(٢) صليصل : موح على سبعة أميال من المدينة - وصرار بكسر الصاد موضع على ثلاثة أميال .

(٣) المسطار : الحرة المتخذة من أبكار الضب حديثاً .

(٤) المساحى : جمع مسحاة وهي محرقة من حديد .

عن رأسه . ثم قال يا معاوية أترى لؤمًا ، فقال ما أرى إلا كرمًا . فقال النعمان
يتهدده ويتوعده :

معاذى إلا تعطنا الحق تعترف لحي الأزدمسدولا عليها العاثم^(١)
أيشتمنا عبد الأراقم ضلة فما الذى تجدى عليك الأراقم^(٢)
فما لي نأر دون قطع لسانه قدوتك من ترضيه عنك الدراهم

فلما سمع معاوية هذه القصيدة أمر بدفع الأخطل إليه ليقطع لسانه ، فاستجار
بيزيد فنفعه وأرضى النعمان حتى كف ٤٤ .

وكان بنو أمية لشدة حرصهم على ملكهم ، ورغبتهم في رفع الخطر ورد عدوان
الطامعين لا يترددون في القضاء على منافسيهم . وتشريد من تحدته نفسه بالوثوب
على ملكهم . حاربوا الخوارج ، وقعدوا لهم كل مرصد ، وتعقبوهم في كل مكان
ونكلوا بمن وقع منهم في قبضة أيديهم أشد تسكيل ، وتبعوا العلويين فسفكوا
دماءهم ، ومثلوا بهم في عنف . كما كان حكمهم وولاتهم يزدلفون إليهم بالقضاء
على الخوارج وقتلهم وتشريدهم . كانوا كذلك يتقربون إليهم بالعدوان الغاشم
على العلويين .

ولقد رثى شعراء الخوارج والعلويين قتلاهم ، وصوروا في قصائدهم وأشعارهم
بما حل بهم من ظلم ، وما لاقوا من عسف ، واستطاعوا بما صدر عنهم من قول
رائع مؤثر أن يكتسبوا قلوب الناس ، وأن يبعثوا فيها السخط والضعينة على
هؤلاء الظالمين .

على أن الحق أن معاوية كان يسع بحلمه وصفحه من يحمل عليه بلفظ أو يخاشنه
في قول ، وهو الذى كان يقول : لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت .
قبل له : وكيف ذلك فقال إن هم شدوا أرخيت ، وإن أرخوا شددت . وإن لم
تكن إلا كلمة يشتق بها قائلها لجعلتها دبر أذن وتحت قدمي . ويقول في إحدى
مقالاته (إنى كنت أخطب فيكم فيقوم إلى القائم منكم فيكذبني على رموس الناس

[١] تعرف : قصير . لحي الأزدمسدولا : أى لصبوح الأزدمسدولا .

[٢] الأراقم : حى من قلوب منهم الأخطل وجعله عييدهم تحقيراً له .

فأحل ذلك وأصفح . وبمثل هذه المعاملة اللينة استقر الأمر لبني أمية ، وتوطدت
أركان ملكهم ورسد دعائم حكمهم . على أن هذه الدولة كانت كما يقول الجاحظ
عربية أعراية يحرص خلفاؤها على الصبغة العربية في منطقتهم ، وفي مظاهر حياتهم
حافظوا على الأساليب الرفيعة ، وبعثوا بأبنائهم إلى البادية رغبة في تقويم ألسنتهم
وتصحيح سلاتنهم وخطرهم ، وتعهدوهم برواة الشعر وحفظته . ولقنوهم غرائب
القصائد ، واستقدموا لهم المربين والمؤدبين حتى نفقت سوق الأدب ، وراجت
بضاعته ، وأصبح الخلفاء مقصد الشعراء ، ومثابة الرواة من كل فج . بل إن الخلفاء
أنفسهم كانوا يجمعون الشعراء في مجالسهم ، ويستشددونهم وينقدونهم ، ويسألون
بعضهم رأيهم في معاني الآخرين ، ويعقبون على هذه الآراء بالموافقة أو المراجعة .
ومجالس عبد الملك بن مروان ونقريه للشعراء ، وكثرة سؤاله من أشعر الناس ،
ومن أغزل الناس ، أو أمدح الناس ، وأى بيت أجهى أو أغزر أو أغزل ،
مشهورة معروفة .

قال شيخ لابنه يشكو عقوقه

غذوتك مولوداً ومشتك يانعاً	تعلى ^(١) بما أجنى ^(٢) عليك وتهل ^(٣)
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهراً أتملل
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	طريقته به دونى فعينى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وإنها	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والفاية التى	إليها مدى ما كنت فيها أوئل
جعلت جزائى غلظةً وفظاظه	كأنك أنت المنعم المتفضل
فلتلك إذ لم ترع حق أبوقى	فعلت كما الجار المجاور يفعل

(١) عل شرب مرة بعد مرة (٢) أجلبه وأحضره إليك (٣) نهل شرب المرة الأولى حتى
دوى . والمراد تنفذى بما أجلبه إليك من المأكول والمشروب بقدر ما تحتاج ونفسي .

لغويات

لفضيلة الأستاذ محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

السُّبْحَةُ ، التَّسْبِيحُ ، الْمُسَبَّحَةُ ..

تستحب الشريعة الإسلامية للمؤمن في بعض المواطن عددا من التسبيح ، والتحميد ، والتكبير . وتطلب أيضا من المؤمن عددا من الذكريات به رغبة في الثواب والعلی من الدرجات .

ففي صحيح البخاري ومسلم من حديث طويل : « تسبِّحون وتحمِّدون وتكبرون خلف كل صلاة ، ثلاثا وثلاثين ، وفي صحيح مسلم : « من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . غفرت له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر ، وفي صحيح مسلم أيضا : « من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة . غفرت له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر ، .

وقد كان المسلمون في مبدأ الأمر يستعينون على عهد هذه الأذكار بعقد الأصابع ، وما يزال هذا مألوفا عند كثير من الناس ، وهو أدنى إلى يسر الدين ، وأتأى عن مظاهر الرياء .

ولقد روى أبو داود والترمذي والفسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيده . وروى أبو داود أيضا عن بسيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يراعين بالتكبير والتقديس والتسبيح والتلهيل ، وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مشغولات مستطقات . وظاهر أن الأمر ليس مقصورا على التسبيح وحده ، بل يراد التسبيح وقرينه التحميد ،

والتكبير . وإنما اقتصر على التسبيح لأنه المبدوء به في أكثر الروايات . ويقول ابن حجر في فتح^(١) الباري : « وقع في أكثر الأحاديث تقديم التسبيح على التحميد وتأخير التكبير . وفي رواية ابن عجلان تقديم التكبير على التحميد خاصة . . . وهذا الاختلاف دال على أن لا ترتيب فيها ، فقد صار التسبيح في هذه المواطن يعني به الأذكار الثلاثة ، بل يعني به غير ذلك من أنواع الذكر ؛ قال في النهاية : « وقد يطلق التسبيح على غيره من أنواع الذكر مجازاً ؛ كالتحميد والتجديد وغيرهما . »

وقد كان بعضهم يستعين في العد بالنوى ، وبعضهم بالحصى . روى الترمذى والنسائى عن صفية قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نواة أسبح بهن . وروى أبو داود الترمذى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به . وفي طبقات ابن سعد أن سعد بن وقاص كان يسبح بالحصى . وفي طبقات ابن سعد أيضاً عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينالم حتى يسبح بها .

وهذا هو الأصل في اتخاذ السبحة . وقد استبدل بالعقد الخرزات تنظماً في خيط ويعد بها .

وجاء في الأخبار تسمية الأداة التي يعد بها الذكر تساييح وسبحة . وفي مسند الفردوس للدبلى عن علي مرفوعاً : نعم المذكر السبحة . وفي ابن شبة عن زاذان قال : أخذت من أم يعقور تساييح لها ، فلما أتيت عليها قال : اردد على أم يعقور تساييحها .

وترى أنهم جعلوا لها اسمين من التسبيح : إذ كان التسبيح أول الأذكار وأظهرها فقالوا تساييح وسبحة .

وظاهر الأمر أن الآلة تسمى تساييح بصيغة الجمع ؛ إذ كانت كل نواة أو خرزة أو عقدة تسبيحة أى تعد بها التسبيحة بمعناها العام ، فهي عدة تسبيحات . ويرى الشهاب الخفاجى أن الآلة تسمى التسبيح ، وتجمع على التساييح . وهو يقول في

(١) أبواب الإمامة من كتاب الصلاة .

شفاء الغليل في حرف التاء : « تسبيح مصدر سبّح بمعنى قال : سبحان الله ، وبمعنى المسبحة — ويقال لها السبحة — ، وهو يستشهد يقول أبي نواس :

التسبيح في ذراعى والمصحف في لبتى مكان القلادة

والمألوف أن يحمل المتعبد سبحة واحدة لا سبحات ، وكذلك ما جاء في خبر أم يعقور السابق ، فالظاهر أنه أخذ منها سبحة واحدة . وسيمر بك كلام في بيت أبي نواس .

والسبحة صيغت من التسبيح ، كالسخرة من التسخير ، فأصلها التسبيح ثم سمي بها الآلة التي يعد بها التسبيح . وقد درجت المعاجم على إثبات هذه الكلمة والتعريف بها ، وأهملت الكلمة الأخرى « التسايح » ، وإنما أثبتتها الخفاجي كما رأيت .
وهناك نصوص المعاجم في السبحة :

في اللسان : « والسبحة : الخرزات التي يعد المسيح بها تسبيحه » . وفي القاموس وشرحه : « (والسبحة) بالضم (خرزات) ينظمن في خيط (للتسبيح تعد) » ، وفي المصباح : « والسبحة : خرزات منظومة » . وكأن إهمال المعاجم للتسايح لأن هذا استعمال مجازي ، يتوقف على القرينة التي تصرف عن المعنى الحقيقي ، ولم يشتهر هذا المعنى في الكلمة حتى يكون من معانيها .

وترى السبحة كثيرا في مجارى الاستعمال . وقد أورد السيوطي في رسالته « المنحة في السبحة » حديثا مسلسلا بالسبحة ، ينتهى بالحسن البصرى ويقول عمر المالكي الذي أخذ عنه : كذلك رأيت أستاذي الحسن البصرى يحدث ومعه سبحة ، فقلت يا أستاذ ، مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت الآن مع السبحة ؟ فقال : شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات ، وفي مطالع البسودور (١٣٩/٢) : « وأخذ يوسف بن تاشفين من عبيد بن المكيين الصهاجي — وكان ملك لإفريقية — لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر ، كل حبة قومت بمائة دينار » .

وتطلق السبحة أيضا على صلاة التطوع ، وذلك أن الصلاة تشتمل على التسبيح . وهذا أيضا مجاز . فمكان السبحة تطلق على الآلة التي يعد بها التسبيح مجازا من

إطلاق الشيء على سببه ، وعلى الصلاة مجازاً أيضاً من إطلاق الجزء على الكل ، وكلاهما مجاز مرسل . ويقول ابن الأثير في النهاية : « ويقال للذكر ولصلاة النافلة سبحة ؛ يقال قضيت سبحتي . والسبحة من التسبيح كالسخرة من التسخير . وإنما خصت النافلة بالسبحة وإن شاركتها الفريضة لأنها نافلة كالتسبيحات والأذكار في أنها غير واجبة . »

وإذا صح ما أسلفت من الأخبار التي فيها ذكر التساييح والسبحة وأنهما يرجعان إلى الصدر الأول ، وإلى عصر على رضى الله عنه كانت هاتان الكلمتان عربيتين ، إذ صيغتا في عصر الاحتجاج قبل فساد اللسان . ولا يفيض من عريتهما أنهما لم تعرفا في الجاهلية ؛ فيحسب الكلمة وثوقاً بها أن تقع عن يوثق بعريتهما وعن لم يتسرب اللحن إليهم ، ويمتد هذا دهرًا بعد الإسلام . وقال في المصباح : « قال الفارابي — وتبعه الجوهري — : السبحة : التي يسبح بها ، وهو يقتضى كونها عربية . . وفي الحق أن هذا هو ما ينبغي التعويل عليه ، والركون إليه . »

وقد وقع من الأزهرى أن قضى بأن السبحة مولدة . ففي المصباح : « وقال الأزهرى : هي كلمة مولدة . وفي التاج : « وهي كلمة مولدة ، قاله الأزهرى . . وأكبر الظن أن الأزهرى يريد بتوليد السبحة أنها حدثت في الإسلام ولم تعرف في الجاهلية ؛ إذ كانت مقرونة بعبادة حادثة في الإسلام ، ولا يريد بذلك ما اصطلاح عليه المتأخرون . فعندهم أن المولد : « ما أحدثه »^(١) المولدون الذين لا يحتج بالفاظهم ، وعلى هذا فن الإسراف في القول ما نقله صاحب التاج عن شيخه في السبحة : « وقال شيخنا . ليست من اللغة في شيء ، ولا تعرفها العرب . وإنما حدثت في الصدر الأول إعانة على الذكر وتذكيراً وتفتيها . » وقوله « لا تعرفها العرب ، إن أراد عرب الجاهلية فصحيح ، ولكن هل كل ما لم يكن جاهلياً منكر في اللغة ورد على قائله وخلف من القول ! وإذا عرفت السبحة في الصدر الأول فهل يقال : إنها ليست من اللغة في شيء ! ونرى نصاً معزواً لكتاب « الدرر المتخبات المشورة في الأغلاط المشهورة » على ما أثبت في هامش التاج ولم يتيسر لي الإطلاع على هذا

الكتاب ، وهاك النص : « والسبحة مولدة ، وإطلاق التسبيح عليها غلط ، وهذا أيضا مما لا يستحق أن يعاج عليه .

ويقول الشهاب في التسايح إنه أيضا موأد ، وتارة يقول : إنه عاتى . وقد عرض لهذا في موضعين من كتابه « شفاء الغليل » ، في حرفي التاء والسين . وتبعه الشيخ مصطفى المدنى في كتابه في المعربات . وهو من مخطوطات دار الكتب المصرية ، وقد كان الشيخ مصطفى المدنى من تلاميذ البغدادى صاحب الخزانة . ويجعل الشهاب اسم الآلة التسبيح لا التسايح ، فإن التسايح عنده الجمع ، فالتسبيح عنده يرادف السبحة . وهو يقول في حرف السين : « والمسبحة : ما يسبح به . والعامة تقول له تسبيح » . وقد علت مما سلف لك في حديث زادان وأم يعفور ذكر التسايح على أنه اسم للآلة مفرد ، وأن ذلك كان في زمن على رضى الله عنه ، فهو عربى صحيح .

وبعد هذا أعرض لحديث « المسبحة » . فقد درج الباس على استعمالها في عصرنا و تراها في الصحف والمجلات ، ولا تكاد غيرها . وقد أنكرها بعض الباحثين ، ونقاهما من عداد المفردات العربية . وكانت الحجة في هذا أنا لا تراها في المعاجم ؛ فقد أغفلتها ؛ كما أسلفت آنفا .

والبحث في « المسبحة » يعود إلى مسألتين :

الأولى : ما أوليتها ، وما تاريخ نشوئها ؟

والثانية : ما ضبطها ، وما شأنها في القبول والإنكار ؟

فأما أوليتها فليس لدينا عليها سند قويم . وفي ديوان أبى نواس من أبيات يخاطب فيها الفضل بن الربيع .

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى الفــــسك وعودتني والخير عادة
فارعوى باطلى وأقصر جملى وتبدلت عفة وزهاده
لو ترانى ذكرت بى الحسن البصرى فى حسن سمعته أوقتاده
المساييح فى ذراعى والمصــــحف فى لبتى مكان القلادة
« يتبع »

الاتحاد خلق اجتماعي . ومجد وطني

لفقيه الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم المنقاري

وكيل معهد محمود الدين

إن نور الله يتجلى على الناس ديناً سمحاً . وتشريعاً كريماً . يضع للناس هداية مشرقة . وطريقاً مستقيماً . ولهذا الدين استقصاء في وضع أصول الخير الجامعة . التي تضمن للبشر حياة سعيدة وادعة . وفيما شرع الله ضمان أكيد لبنية المجتمع الفاضل الرشيد . فكل أمر من أوامر الله يشيد كالا . وكل نهى من نواهيه يدفع اختلالاً . وما الدين في كل أطواره إلا مجموعة من الأخلاق الفاضلة السامية . ترسم للناس الحياة المثالية العالية .

وإذا نظرنا إلى الأخلاق . وجدنا إصلاحها أساس النهوض الأول . وفيها الرجاء . وعليها المعول . وكل رقى مقفر من الأخلاق . رقى زائف لا بد أن ينهار . ويكون مآله حتماً إلى الهدم والدمار . . .

وللأخلاق مظاهر فردية تقوّم الفرد وتصفله . وتجمل صفاته وتكمله . وتغرس فيه المحامد والسمو . وتحبب إليه الترقى والعلو . وبذلك يكون فرداً صالحاً يرتبط بأفراد صالحين . . . يكوّنون مجتمعاً موفق الدنيا . سعيد الدين .

وحينئذ يبدو للأخلاق مجال آخر قوى . يتمثل في الخلق الاجتماعي . الذي يرتبط المجتمع برباط من الصفاء الساطع . وينظم علاقات الناس على أساس من الحب الجامع . والخلق الاجتماعي في كل صورته وألوانه يهدف إلى وحدة المجتمع وتماسك بنيانه . . . حتى يصبح كالجسد الواحد . الذي يجري فيه روح واحد . ويسمى إلى هدف واحد . . .

لهذا كان جماع هذا الخلق ما يتمثل في الاتحاد والتآزر . وما يتجلى في التكاتف والتضافر . وحسبنا حثاً على الاتحاد أن يجعله الله في دينه أصلاً رفيعاً . حيث يقول في كتابه (واعتصموا بحبل الله جميعاً) ويكني الناس به بركة فيما يعزّمون . وتوفيقاً فيما يقصدون . أن يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : يد الله مع الجماعة . . . وما أكرم يد الله . وما أقواها حين يلتصمها الناس لاتحادهم . وحين يستعينون

بها على مرادهم . لأنها القوة التي تنضال أمامها قوى البشر . وإذا أعانت أهلها فلا تبقى على خصمهم ولا تزر ، . . . ويد الله هذه . عدد الضعيف وعدده . وينبوع معنويته ومدده . . .

فإذا تألفت القلوب واتحدت . وألقت ما فيها من أسباب الخلاف وتخلت . فهذا بشير النصر . والتمهيد الموفق لنجح الأمر . . .

وإننا لنفس يد الله تبارك حركة التحرير في مصر . ونؤيد موقف الحزم الذي أعلته أولو الأمر . فقد اجتمعت الأمة على كلمة الحق . التي تحطم أغلال العبودية وقيود الرق . وقد استقبلت الأمة غضب رجالها على غريمها . استتبالا يسيل نبالة ويقطر بسالة . ويجلى مجد أمة كريمة . ويعلن صيحة وطنية صميعة يعبر عنها روح ناثر ودم فائر . وأصبح الوادى كله نشيداً واحداً مدوياً بالثبور والويل . على الغاصب المستمسك بأساليب الحق والجهل . وهكذا يتكتل الوادى كله . لينال من التحرير ما هو أهله . وكأن الله قد أراد لهذا المستعمر نهاية أئيمة . تناسب ما جرعه للعالم من سياسة خسيصة لثيمة . . . فكل شر في العالم من صنعهم . وكل خداع وتدليس لا يصدر إلا عن طبعهم . والويل لهم وقد تحركت مصر . لتخلص العالم كله من هذا الشر . فصر كنانة الله . من أرادها بسوء قصمه الله . . وإن هذا الاجماع الرائع ليلوّننا أملاً . ويجعلنا بعون الله للنصر أهلاً . . .

لقد تجلى مظهر الاتحاد في مصر جباراً . . . وانطلق الحماس الشعبي مجلجلاً هداراً . وهنا يقف التاريخ موقف الإعجاب . ويحيى هذا الشعور الزاخر العباب . ويحمل إلى آذان العدو الرهبة والإرهاب . ويبقى أن يأخذ الاتحاد ألوانه الحكيمة . وتسلك الأمة فيه مسالكه الجدية القويمة . فالاتحاد يتطلب التعاون على البر . والاخلاص للقضية في الجهر والسر . ويستدعى أن يندل كل فرد ما يدخل في طاقته . ولا يدخر وسعاً في الجود على الدولة بكل قوته . . . وليتخذ كل فرد لنفسه ميدان النضال الذي يحسنه . وليوجه نفسه إلى العمل الذي يتقنه . . . فللشجاعة ميدان يهرع إليه الأقوياء والفتيان . فهذا سبيل الله ينادى قصاده . ويفتح أبواب الجنة ليدخل رواده . وإن النفوس المؤمنة تتعشق الجهاد . وتولع بالجللاء . ولها إحدى الحسينين . إما النصر . وإما الاستشهاد . . . ولن يدخر الجبن عمر الجبان . ولن تعجل الشجاعة بموت الشجعان . فلكل أجل كتاب . . . لا تمنعه الحصون . ولا تجلبه الحراب . . . وهذا سيف الإسلام خالد بن الوليد . يقول لكل جبان رعديد . لقد شهدت

مائة زحف أو زهاءها . وما في جسدي شبر إلا طعنه ربح أو ضربة سيف . وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير . . فلا نامت أعين الجبناء ...

وميدان الشجاعة إذا ازدحم بالعدد . . فقد بقي دور السخاء لتزويده بالعتاد والعدد . وفي هذا ميدان فسيح لأريحية الأغنياء . ليؤدوا حق الله أكرم الأدياء ، وقد حدثنا التاريخ الإسلامي عن قوم خرجوا من أموالهم لنصرة دينهم . . وجهزوا لقتال المشركين على قدر ما يتسع لهم الإيمان واليقين ...

وبهذا تعان الدولة على التزاماتها . ويحمل عنها بعض العبء في تحقيق غاياتها . . حتى يشعر الجميع أن مال الأغنياء في خدمة أغراضهم . . يساهم بالنصيب الوافر في الذود عن حياتهم . . والاتحاد لا يؤتى أكله . . إلا إذا تضافرت كل القوى على تمكينه . وأدى كل مواطن رسالته تحت رقابة ضميره ودينه . فليفرغ كل واحد لعمله . . وليجعل كل مواهبه في خدمة أمله . فأهل الرأي يخدمون بالخطط والأفكار . والأغنياء بالبذل والإيتار . والعمال بالانقائ والجِد . وأصحاب الفنون المختلفة . والمهن المتباينة لكل منهم رسالة تتطلب بطوكة وإقباله . . . وعلى رأس هذه التعبئة العامة يكون التنظيم . وتقدير الأمور على نمط سليم حكيم . لتواجه الأمة الموقف الراهن كتلة واحدة . . تتولى قيادتها حكومة مغلصة راشدة . . .

فليس أضمر على الحركات الزورية من الخطط الفردية . التي تخضع للارتجال . . ولا يكون منها إلا تعويق الآمال . . .

وهكذا تمر بمصر فترة كريمة مشرفة . . تظهر فيها كل العناصر متحدة متألفة . . فليبارك الله هذا الاتحاد . وليذك في دماء الشعب حرارة الجهاد . وليرع الله هذه الحركة المباركة . التي تؤتى أكلها مرتين فتخلصنا من الأعداء . وتديم فينا هذا الاتحاد والصفاء . . .

وبذلك يصل الوادي إلى أمله ومبتغاه . في ظلال الفاروق العظيم حفظه الله ورعاه . . . وجعله رمز الكرامة والأمان لمصر والسودان . . وأبقاه مصدراً للغيرة الوطنية وموجهاً للسياسة الآبية . للنيل من فتوته عزم . . وللشرق من كياسته حزم وكما كان ميلاده مقترناً بالثورة . . سيكون عهده المبارك مقروناً بالثمرة . .

وبهذا ينال الإسلام على يده ما يتمناه . . .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .

في منزل الوحي

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد خليفة

المدرس بمعهد القاهرة

الليل موحش مخيف ترعش وحشته قلوب الفئاك ، والجبال جائمة على صدر
الصحراء يثير وجوها الرعب في نفوس الدالجن ، والناس خلدوا في دورهم وبين
خيامهم الضاربة عند سفوح الجبال وبين بطون الأودية ، ومجالس السمر جرّ عليها
الليل أذياله فحأها .

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وخبت المشاعل ونامت ذبالاتها فنام كل صوت إلا غطيط الحالمين ، وليس
في مكة عين يقظى إلا عين خديجة بنت خويلد إنها تنزع بخيالها إلى البطحاء يتجاوز
التلاع ويتسلق الجبال إلى حراء يرفرف ويحوم حول أمل الروح وبسمة الحياة
محمد بن عبد الله إن قلبها يضطرب بين جنبها خوفا على محمد من ذؤبان الصحراء
وأفاعى الأحاديث ، فتمسك بقلبها خشية أن ينخلع ، فلقد خرج محمد منذ أيام إلى
حراء ليعيش مع روحه وأفكاره أياما وليالي بعيداً عن صخب مكة وما تزخر به
ليالها من هو الشباب والغناء ، أما محمد ، فقد جلس على باب حراء هائثاً بوحدة ، له
من أفكاره العميقة ما يشغله عن وحشة الليل ، وعواء الذئاب ، وهرير الكلاب .

لقد بعث خياله وراء الأفق الداكن يلج الكعبة ، ويفتقل بين ضواحي مكة
يرى صور الجباه المطبوعة على الثرى بين يدي اللات والعزى ومناه ثم يكر راجعاً
تفرعه هذه الوثنية الحقاء فيصبح : ليست هذه آلهة ولا أنصاف آلهة ولا همزات
الوصل بين الناس والآلهة إنها لا تتفع ولا تضر ، إنها لا تحيي ولا تميت ، إنها
لا تطفئ ثورة الجائع ، ولا تروى غلة الظامء إنها لا تجيب نداء الملهوف
ولا تستجيب لدعاء البائس لا . لا . فلم تغنوها الوجوه ، وتغر عندها الهامات ،
وتعفر من ثراها الجباه ، وتقاد لها القرايين ، وتساق السواثم ؟

أواه .. إنه الشيطان أغرى ناحته الصخر فتحته وصوره ثم نفخ يديه من ترابه وخر له ساجدا يكبر الصنعة التي ألقنها والفن الذي جوّده وراه الناس نغزوا من ورائه سجدا والتفوا حوله يسامونه على بيع الإله فباعه . هذه أول صفحة من صفحات الضلال العقلي حلت غامضها .

ثم رفع بصره إلى السماء فرأى تلك النجوم المتناثرة على صفحاتها الزرقاء تلعب وترتفع أضواؤها فتهتف : إنها نجوم الأمس وأموس مضت فإلها لا تفرق في أمواج الظلام ، وما لها لا تهوى إلى الأرض وليست هنالك أسباب تمسكها ؟ إن قوة جبارة هي التي أرسلتها تسبح وأمسكتها أن تهوى ، ومدتها بالنور ليهتدى بها كل مساء يخط في ظلمات الليالي .

وذلك هو القمر انبعث من المشرق يطارد الظلمات فتعشو إلى أضوائه عيون النجوم ، إنه يشق الطريق إلى كبد السماء فأين تلك القوة التي تحركه وتدرج به في معارج السماء وتدير صفحته فينير بها المشرق والمغرب إنها قوة خارقة أرى أثرها ولا أراها .

وتلك هي الأرض جثت من فوقها الجبال كأنها الاوتاد حتى لا تميد فتמיד معها قلوب العابرين وقد صلب ظهر الأرض فلا تلين فتغوص فيها أقدام المختالين إن القوة القادرة هي التي صنعت الأرض وأرست فوقها الجبال .

والبحر لقد رأيت صفحته تموج وتضطرب وتمتد نائرة ترغو وتزيد ثم تعود ثورته إلى جوفه ولا يمتد تمردها إلى الشواطئ فتكسرهما وتتطلق صاخبة تزيل التلال وتطيح بالجبال فأين تلك القوة التي سخرت صفحة البحر للسفن تمخر عباها رغم الثورة الطاغية .

أواه : أيتها القوة الجبارة التي تمسك السماء بنجومها وأقارها والأرض تلالها وجبالها وشطآنها هل تستطيع نفس إنسانية أن تمد أسبابها بعالمك العظيم .

أيتها الثورانية ، التي مدت الشمس بقوتها فغمرت العالم بنورها : مسدى إلى روحى شعاعا يكشف له أسرار هذا الوجود ، كأنى بهذه القوة مسكنها السماء لا . بل هي أرفع وأعظم من الأرض والسماء .

أيتها القوة التي هي أعظم من الوجود أرضه وسمائه ، وما غاب غير أرضه وسمائه . عنك أتلقى المعرفة ومنك يصل الى روحى شعاع الحقيقة ، وفي ظل تأييدك وعونك أحمل المشعل وأهتف للعالم الحائر في ظلمات الحياة المتعثر بين الشكوك والريب :

هذه هي الحقيقة علمتها وآمنت بها فهللوا هللوا لتعلوها وتؤمنوا بها .
أيتها القوة التي ترانى وتدرى مكانى وتدرى كيانى ولا أراها ولا أدرى مكانها ولا أدرك كيانها وإن كنت أدرك آثارها : لقد عركتني الأفكار ، وأنهكتني الحيرة ، وتلبست سبيل الوصول الى ما لا أعلم فتشعبت على المذاهب وتوعدت السبل فازدادت حيرتى ولكنى لم أقنط فتنى تنجاب عن نفسى تلك الحجب وتنشع تلك الأستار وتزول السدود التي وقفت بينى وبين الحقيقة .

ليت اليد الخفية التي خلقت هذا الوجود وبعثت فيه الحياة تمسك يدي فتقودنى الى محرابها المقدس أتمسح به وأقبل أركانه وأسجد فيه متبتلا خاشعاً ثم أصبح فى الناس :

هذا هو المحراب الحق الذى نسجد فيه لمن فطر السموات والأرض .
ليتنى أعلم هذه القوة التي خلقتنى ، وصورتنى بشراً سوياً ، ورعتنى جنيناً ، وسقنتى وليداً وأطعمتنى شاباً ، ومنحتنى القوة ، وهبتنى البصر فأشكر لها نعماءها وآلامها .

إنى لأحس بقبس من النور يكاد يربط قلبي بعالمها العظيم . إنه نور قوى كنور الشمس بل أعظم وأجل من نور الشمس يهز جوانحي ويرتعش بين أمواجه قلبي .

وعاد محمد يستعرض الصور التي مرت به ثم انتقل إلى نفسه يتبصر فيها .
إن له عينين ولساناً وشفقتين ، وفكر وأوغل فى التفكير حتى أثقلت رأسه الأفكار فأطرق وألقى جسده المسكدود على صخر الغار ، فأخذته سنة أو ما يشبه السنة رأى فيها أن قوة ليست من قوة البشر ، وإنما هي فوق قوة البشر تضمه بين أحضانها ثم تهمس : اقرأ . فيقول وقد ضاق صدره بما لا قبل له به : ما أنا بقارىء

تَرَاثُ الْقُوَّةُ !!

لمؤسّاذ الشيخ كامل محمد عجمون

المدرس بالأزهر

معارض الأدب العربي حافلة مزدانة بالمعاني القوية النائرة على القيود والمحفزة
لرد الطغيان ورّدع المتعصّيف .

وتاريخ الأدب القديم لا يعتز بفنّاج الترف ولا يعتمد على فضحات الاستسلام
ولنما تجرى صفحاته قلب لدى الدارس أفانين البطولة وصرخات الدفاع وبدائع
الانهاض وطرائف التحرر سواء في ذلك المروى عن المتبدين والمسطور
من المتحضرين في الجاهلية والإسلام .

فتطلقه ثم تعود فتضمه في شدة وتقول : إقرأ فيعود إلى ضيقه فيقول : ما أنا
بقارىء ، فتطلقه ثم تعود فتضمه في شدة وترسله هاتفة :

« إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربك الأكرم
الذى علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم . » . فينتفض مزعورا ، ويفتح عينيه ليرى
ما ألم به فلم يجد شيئا . وهنا أخذ محمد يقلب الطرف حواله ، ويتنبه ليفكر فيما
كان ، ويرجع ما سمع ، وما قال ولكن الخوف جدّ به نخشى أن يكون مس من الجن
قد أصابه من هذه الوحشة المفزعة ، فانطلق يأخذ الطريق إلى مكة إلى خديجة
البارة يشكو إليها ما أتته لعل في أحضان عطفها وحنوها ما يفسيه شدة الوجل ،
ولكن صوتا ناداه من السماء يسمعه ولا يراه :

يا محمد أنا رسول الله إليك أنا جبريل أنا السبيل الى الحقيقة التى تفشدها
غدا سأحمل إليك كتاب الله مشعلا خالدا على الزمن يهدى الناس الى الإيمان برب
الناس

والعربي ثم العربي المسلم تتخذ البيان عدة يحرص عليها كما يحرص على سلاحه وكانت الكلمة القوية في فمه كالضربة المسددة في يمينه وربما كانت الطعنة اليانية أصمى في جراحاتها من رمية السهم وأقسى من وقع النبل .

وقد تلمضى الموقعة وينفض الاحتراب ثم لا تجد في أطواء التاريخ غير غبار الذكرى الخافته ولكن البيان الصادق في خطبة أو قصيدة يأتي إلا أن يخلد الحادثة في جملتها بما يهز العاطفة ويلهب الشعور وكلما مررت عابراً أو متأملاً استوقفك الأثر فهتت نفسك وتنمرت فيك الغيرة واستبدت بك الحمية واندفعت وراء حقك السليب بفضل المأثور من الحماس والمروى من البيان القوى والانفصاح السليم والتدفق الهدار .

وهكذا أحسن البيان ويحسن البناء حين يتخطى غوارب الزمن ليمشي حادياً الخلف آتياً من أرواح السلف في حرارة قوية ونبرات حية مسعفة مسعدة .
وأينا في مأزمة الشدائد لا يستردمته إن أراد الوهن تخطفها حين يُردّد قول الناصح الحكيم : استقبال الموت خير من استدباره ، ثم يُردّد قول شاعر الرسول حسان بن ثابت (١) .

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أعقابنا تظفر الدما
وقول العلوى :

محرمه أكفال خيل على القنا ودائمة لباتها ونحوها
حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها في الصدور صدورها

* * *

وفي أسلافنا من كان يتحامي الشر ولا يتعنّى يومه ولكنه متى حمل عليه كان له بالمرصاد يحمى حماه ويدفعه بالقوة المكافئة من أمثال هدبة العذرى .

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أحل على الشر أركب
ولست بمفراح إذا الدهر سرفى ولا جازع من صرفه المتقلب

* * *

(١) روى هذا البيت في الحاسة للحسين بن الحمام المرى من شعراء الجاهلية .

وإني حين أدعو في عجلاتي إلى معارض الأدب والأدب القوي لا أغفل
ما يمنح إليه الكثير من أن الصولة لم تعد للقلم وعلى الرغم من طغيان الجلبة المادية
وأن حياة العالم أسكتت بحديدها ونارها صرخ اليان فأني مع الجانب الخالد
والسحر الباقي ولست بذلك مستخفاً ولا منكراً خطر العدة المادية كما قال شاعرنا
العربي العباسي .

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحدين الجد واللعب
لأن الذي حرك السواعد لمل السيوف والاستخفاف بالخوف والترهات
لم يكن إلا البيان وإلا من استل الجين من حنايا القادة قبل الاقدام في الموقعة
التي عنها الشاعر وفي الحادثة عينها وما شابهها .

* * *

والشعر العربي كان - ولا يزال - مصدر تحميس وتشجيع وملاذ إرهاب
يجمع الأفراد والجماعات والقبائل والشعوب على الآمال والآلام ويدوى في آذانهم
ويذكرهم بالماضي ويحمل لهم المستقبل ويثبتهم على النصر ويقومهم على الفوز
ثم يهزم بنشوة الغلب وراحة الوفاء على الغاية المنشودة .

وهو هجير القاعد والمقدم وأنشودة الصغير والكبير وتسيحة الخائف المتراجع
حتى يندفع وتيممة المحارب حتى ينتصر .

فاذا نحن تلفتنا إلى شعر العرب ونقبتا في أهازيج شفيها النفس وصدقنا
بضروبه وتفاعلت في جوانحنا أفاعيله .

وسأعرض بين يدي القاري لما عارية سافرة كاشفة عن قوة عاجلت وخامرت
وتعالج وتخامر وتمازج من يشدو بها مما قال ابن بدر التيمي مثباً نفسه مهونا
عليها أمر الخواف .

وقل للفؤاد ان نزابك نزوة من الورع أفرخ أكثر الورع باطله

وهذا عترة الفوارس يقول :

بكرت تخوفني الختوف كأتني أصبحت عن غرض الختوف بمعزل

فأجبتها أن النية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقتى حياك لا أبالك واعلى أنى أمرؤ سأموت ان لم أقتل
وأصدق ما يكون الشعر حين يثير النخوة ويحث ويقوى على الأخذ بثأر
المهزيمة وليس العار فى أن تغلب ولكن العار كل العار أن تنام عن دفع العادى
وتستكين على هوان ومذلة .

من هذا اللون الباقي على الأيام فى كل عصر يردد للنفرة والثأر قول عبد الرحمن
ابن دارة الغزارى .

لئن أنتم لم تثاروا بأخيكم فكونوا نساء للخلق وللكمل
ويعبروا الدينيات بالحكى واقعدوا عن الحرب وابتاعوا المغازل بالنبل

* * *

لمثل هذا ومن هذا النبع جرى شعر الحماس وانتفعت الحياة العربية والإسلامية
بالشعر وأدى رسالته وأينع وكان حصادة قويا فى شعوب قوية هزم واهتزوا
للبيان كما اهتزت أعلى المرات .

حتى إذا انطمست جداول الفطر وتظامنت القرائح السليمة وانبسبت قوى
الاعاجم على الامبراطورية الإسلامية تخلف سلطان البلاغة وخفت أغاريد البيان
وراح الشعراء صناع حلية رخيصة ورصاف محسنات ضحلة لها بريق الزيف
وخدع السراب .

* * *

ثم كان عصر النهضة الحديثة وكانت فيه بقطة شاعرة لم تكد تنمى حتى أنقلتها
(عامية) الأغاني و (ميوعة) الانين والحنين .

وجدت بنا الأحداث الحاضرة ومشقات الاستعمار فاذا الأسف بعض بنابه
وإذا الدعوة صارخة تتادى بأدب القوة وأغاني القوة وأناشيد القوة .

إذا بكل هذا ونحن فى حاجة إلى أكثر منه فهل إلى رجعه من سبيل ؟؟

ذلك ما ندعو اليه وتلك معارض الأدب القوى وهى زعيمة بالانتقاد فإليها ...
وعليها أن تسمح كل غوائل الضعف فى التاج الشاعرى .

التسابق الى الجهاد

لفيف الأستاذ الشيخ سيد شريف

المدرس بمعهد القاهرة

لقد ضرب رسول الله وصحابته أعظم المثل في التضحية والإيثار . والشجاعة والإقدام ورسموا للشعوب أقوم السبل إلى الحياة الكريمة . حياة العزة والألفة . والعدالة والمساواة . والحرية والإيابة . ورصدوا للحفاظ على هذه المبادئ الإنسانية القويمة آمن ما عندهم . وأعلى ما تقع عليه نواظرهم . لهم من صدق إيمانهم . وببل هدفهم وسمو غايتهم قوة ومنعة . وجرأة وصلابة . لا يعرفون معها إلا أن يظفروا بالنصر . أو يكرموا بالاستشهاد .

وكان لهذه العقيدة أثرها في تسابقهم إلى مواطن البذل . وميادين الجهاد . تراهم إذا ما جدّ الجد . وحان وقت العمل . ودنت ساعة الكفاح . يتزاحمون بالمناكب وهم معشر خشن لا تلين لها قناة . ولا تنهم منهم عزيمة . وما استكانوا وما ضعفوا . وكانت على أقدامهم تسقط دماء كلومهم . وما أصابت يوماً أعقابهم . لأنهم لا يعرفون الهزيمة . ولا يركنون إلى الفرار . ولا تحفظ أفهامهم . وتعي أذهانهم إلا أن يعيشوا كرماء . أو يموتوا شهداء . كذلك عليهم القائد المسدد محمد بن عبد الله . ونشأهم على أسنى السجايا . ورفع الخلال . ولقنهم دروس الصبر عند الشدة . وكظم الغيظ . والعفو عند المقدرة . وأن يكونوا أباة للضميم . وأن تحرك أريحياتهم الدعوة إلى البر والسخاء . وفاء بحق الدين والوطن عليهم ولقد تمثل كل ذلك حينما دعا رسول الله إلى غزوه تبوك لما بلغه أن الروم تهيء جيوشاً لغزو حدود العرب الشمالية . حتى توقف سلطان المسلمين الزاحف في كل مكان . ليتأخم سلطان الروم في الشام . وسلطان فارس في الخيرة . وكان في الصيف بقية . ثم إن المسافة بين المدينة والشام طويلة شاقة . تتطلب شدة الجلد . وقوة الاحتمال . وتحتاج إلى مزيد من المؤونة ووفر من الماء .

وكان الناس إذ ذاك يشعرون بعسرة وضيق . وجذب ومحل ، إذ لا مناص للنبي من أن يطالع القوم بعزمه السير إلى الروم . وعقده النية على قتالهم إذا التقى الجمعان . حتى يأخذوا لذلك الأمر عدته . وقد خالف بهذا تقاليده في سابق غزواته إذ كان يسير بجيشه في غير الجهة التي يقصدها تضليلا لعدوه . وإخفاءً للخطة التي يزمع اتباعها حتى لا يفشو أمرها . وتذاع أسرارها .

وقد بعث إلى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم للجهاد . فاستجاب لهذا النداء أولئك الذين أقبلوا على الدين بقلوب تفيض هدى ونورا . ونفوس تمتلئ عزيمة وإخلاصا . ولم يصدف عن هذه الدعوة إلا أناس نفعيون دخلوا في الدين رغبة في المغنم التي تدفقت على المسلمين بمن رضوا أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . أو دخلوه خوفا من القوة التي أذلت الطغاة المتجبرين . وأخضعت السادة المفتونين . هؤلاء تناقلوا والتسوا الأعذار لتخلفهم [وقالوا لا تفروا في الحر . قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا . وليبكوا كثيرا أجزاء بما كانوا يكسبون] وتتابعت الأعذار تترى على رسول الله من الذين في قلوبهم مرض . وكان من بينهم الجدي بن قيس أحد بني سلمة إذ يقول يا رسول الله . أو تأذن لي . ولا تفتني . فوالله لقد عرف قومي إنه ما من رجل أشد مني عجبا بالفساد وإنني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر . يقصد ببني الأصفر . الروم وفيه نزل قوله تعالى . [ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني . ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين] .

واستأذن كذلك كثير من المنافقين فأذن لهم وفيهم يقول تعالى : إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وأرتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون . وقد كشف الله مستورهم وبين أنهم كاذبون فيما يعتذرون به إذ يقول « ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره انبعاثهم ، فلبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين » . وقد ظاهر هؤلاء جماعة تطوى نفوسهم على بغضاء الرسول . ساروا بين الناس يحرضونهم على التخلف عن القتال . ويذيعون بينهم إذاعات مغرصة . تهدف إلى إشاعة التخاذل والتفكك . والخوف والذعر في صفوفهم ، واتخذوا بيت سويلم

اليهودى نادياً لهم . ولما رأى رسول الله خطر إرجافهم ، أخذهم بالشدة ، فبعث إليهم طلحة بن عبد الله في نفر من أصحابه لخرق بيت سويلم عليهم . وقد أصيب أحدهم ، واقتحم الباقون النار فأفلتوا ، ثم لم يعودوا بعدها إلى مثل عملهم . وكانوا عبرة لغيرهم ، فلم يجزأ أحد على افتراء هذا الإثم بعدهم حذراً بما حاق بهم .

ثم أخذ الرسول بعد أن طهر صفوف الامة من دعاة الهزيمة . يعد جيشاً قوياً يستطيع أن يواجه جيوش الروم . وحينما رأى أن موارد بيت المال لا تنق بالغرض المرموق . أشرك سراة المسلمين في تجهيزه . وقد دعاهم إلى المساهمة بأموالهم في سبيل الله ، فلبوا مسرعين . وكان أول من جاء أبو بكر الصديق ، قدم أربعة آلاف درهم . فقال له الرسول هل أبقيت لأهلك شيئاً قال أبقيت لهم الله ورسوله . وجاء عمر بنصف ماله . فسأله هل أبقيت لأهلك شيئاً . قال نعم نصف مالى . وحمل العباس وطلحة . وسعد بن عباد مالا كثيراً . وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائتي أوقية . وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقاً من تمر . وأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار . وأعطى ثلاثمائة بغير بأحلاسها وأقتابها ، وخمسين فرساً . وتقدم كل قادر على نفقة نفسه ، بعدته ونفقته .

وبهذه المساهمة السمحة ، تم إعداد جيش قوى ، بلغت عدته أكثر من ثلاثين ألفاً . ولولا ما اقترن به خروج الجيش من عسرة وشدة ، لبلغت عدته آلافاً مؤلفة لكثرة الراغبين في الجهاد ، الطامعين في شرف الاستشهاد . وحين قال الرسول بجمرة منهم ، لا أجد ما أحلکم عليه . تألموا ألماً بالفاً ، وفاضت أعينهم بالبكاء . وفيهم نزل قوله سبحانه ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحلکم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، ألا يجدوا ما ينفقون ، .

وخرج هذا الجيش الجرار مخترقاً الصحراء ، صوب الشام ، مستهيناً بما يلقى من حر وظلمة ومسغبة . ولما بلغ تبوك وجد أن الروم آثرت الانسحاب لتحصن داخل البلاد بمحصونها ، ومكث المسلمون بتبوك قرابة عشرين يوماً . يتاجزون من شاء أن يتاجزهم . ثم قفل راجعاً إلى المدينة بعد أن أمن الحدود . وأقر الهدوء والنظام . وترك خالد بن الوليد ليعيد أمير دومة الجندل إلى الطاعة . وكان يريد

الاتفاض . فأسره وأتى به إلى المدينة ومعه ما حمل من إبل وشاء ، ودروع وبر . وقد فرح المسلمون بنصر الله العزيز الحكيم . وذلك جزاء الصادقين الصابرين .

ولأن حال المصريين اليوم مع عددهم الظالم المغتصب ، لهى قرية الشبه بحال المسلمين الأولين فى غزوة بتوك مع عددهم القوى المغرور . تستدعى من القائمين على الأمر أن يضربوا على أيدي العابثين الذين يحاولون أن يخرجوا على ما عقدت عليه الأمة عزمها : من مقاطعة العدو ، والتضييق عليه ، وأن يأخذوا بالشدة البالغة كل داعية إلى التردد والتراجع ، وكل من يثير الشكوك فى قدرة الشعب على الثبات والاحتمال ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المرجفين من المنافقين .

والظروف الراهنة تدعو المجاهدين من أبناء النيل إلى القدوة الحسنة بأسلافهم الذين هبوا إلى الجهاد سراعاً يتسابقون . حتى إذا قال النبي لبعضهم لا أجد ما أحملكم عليه ، حز ذلك فى نفوسهم ، وفاضت ما قيمهم بالبكاء حزناً ألا يجدوا ما ينفقون . لأنهم كانوا يأملون أن يتسنى لهم أداء الواجب المقدس عليهم لدينهم ووطنهم رجاء أن تكون لهم إحدى الحسينين . وبوادر الإقبال الزائد على كتاب الكفاح الشعبي مما يملأ الجوانح رضى وإعجاباً ، وثقة بالفوز القريب ، والنصر المبين . ويقينا بأن بنى الوادى خير خلف لخير سلف . والحاجة إلى المسال الآن تعدل حاجة المسلمين إذا ذاك إليه . وحبذا لو أسرع الموسرون إلى الخروج عن بعض ما يملكون ، لا عن كل الذى يملكون كما فعل السابقون الأخيار ، ليساهموا فى معركة التحرير التى تدعو إلى مقت العيش تحت نير الذل والاستعباد ، وتقديس الحياة فى ظل العزة والاستقلال . حتى يفرسوا بصنيعهم فى القلوب حباً لهم وتقديراً وإخلاصاً ووفاءً ، ويستحقون من الله أجزل الجزاء ، وأوفى الأجر . والباخلون فضلاً عما يملكون من أثر سيء يملأ القلوب بغضاً لهم . وحقداً عليهم وتربصاً بهم فيسقطون ما بخلوا به يوم القيامة . والشعب يرقب أفعالهم ، ولن ينسى إحسان المحسن ، أو إساءة المسيء ، من عمل صالحاً فلنفسه . ومن أساء فعليها .

والله خير مسئول أن يوفق أبناء الوطن جميعاً للعمل على رفعة وإعزازه ، وأن يهديهم سواء السبيل .

مولد النور الأعظم

بداية عهد جديد في تاريخ الإنسانية

لفضيلة الأستاذ محمد عبد النعم مغامبي

المدرس بكلية اللغة العربية

— ١ —

ذلك النور السماوي العظيم ، الذي كان يظهر بين الحين والحين ، مبشراً برسالة سماوية جديدة ، فيها خير الحياة والوجود ، لا بد أن يظهر مرة أخرى على الأرض لبيد الظلمات ، ويحارب الأوهام والضلالات ، ويمحو ما ران على قلوب الناس من أباطيل وأساطير ، وجمود وجهل ، وعصية أنيمة كاذبة .

وذلك الناموس الذي كان ينزل على إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبل ، لا بد أن ينزل على رسول كريم من جديد : ليدعو الناس إلى أمثل الأخلاق ، وأكرم الآداب ، وأفضل الشرائع .

بهذا كان أهل الكتاب يتحدثون ، وبه كانوا يؤمنون ، تصديقاً لبشارة الأنبياء والكتب السماوية بظهور إمام الأنبياء وخاتم المرسلين .

ومرت الأيام بطيئة مسرفة في بطنها ، والظلام يشتد ، والظلم والاستبداد والطغيان ينتشر ، والوثنية والشرك يصبحان عقيدة الناس في الحياة ؛ وتوالت البشارات بتجدد الأمل ، وتحجى الرجاء ، وتؤمن الناس على مستقبل الإنسانية ، وتنبئهم بقرب بزوغ نور الفجر الجديد .

لا بد أن ينهار ملك كسرى وقبصر . لأنه يقوم على أسوأ النظم والشرائع والعقائد ؛ ولأن عهد استعمارهما للعالم لا بد أن ينقرض ؛ والحرية الكبرى منذاً يصد تيارها الزاخر القوى المتدفق بقوة الله ؟

وهؤلاء الباحثون عن الحقيقة الكبرى : ورقة بن نوفل الأسدي ، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، وعثمان بن الحويرث الأسدي ، وعبيد الله بن جحش ؛ يجتمعون في الجزيرة العربية في يوم عيد لهم ، فيقول بعضهم لبعض : تعلنن والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يبصر ولا يضرب ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أتمم على شيء... وذهبوا يطوفون في البلاد يلتمسون الخيفية دين إبراهيم...

وكان زيد يسند ظهره إلى الكعبة ويقول : يا معشر قريش : والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري : ثم يقول : والله لو أني أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحلته .

وفي مكة في صباح يوم خالد ميمون ، ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، تسبقه إرهابات ، وتحف بمولده الكريم معجزات وكرامات . وتسير معه يوما بعد يوم بشرات وأى بشرات ؛ ويحفظ الناس ما ذاع من ذكريات مولده ونشأته الكريمة المعطرة . وبدأ التور الألهي يظهر في الأفق ، وأخذ الناموس السماوي يستعد لآخر رحلة له إلى الأرض .

وشب الغلام ونما ، نبيلاً شريفاً وسيداً سورياً ، وفقى زكياً ، ولقي قومه وقوم مرضعته التمام والخير على وجهه الأغر . وقدمت به حليلة السعدية على أمه بعد فصاله ، ترجو أن تطيل لبث فتاها عندها ، متعلقة بوباء مكة ، فقبلت آمنة بنت وهب ، ورجعت به حليلة فرجة مستبشرة .

وبعد شهر كان محمد الغلام يلعب ومعه ابن حليلة خلف الرجال ، وبعد قليل جاء أخوه يشتد ، وهو يقول : ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان ، فأضجعا فشقا بطنه ، فهما يسوطانه ؛ فخرجت حليلة وزوجها نحوه ، فوجدته قائماً متقاعاً وجهه فالترمته هي وزوجها ، وقالت : مالك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان ، عليهما ثياب بيض ، فأضجعا وشقا بطني ، فالتسا شيتا لا أدري ما هو . فتخوفت عليه حليلة ، وقدمت به على أمه ، وقصت عليها القصص ، فقالت آمنة : إن لبني لشأنا أفلا أخبرك خبره ؟ قالت حليلة : بلى ، قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي به قصور بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله

ما رأيت من حل قط كان أخف ولا أيسر منه ، ووقع حين ولادته وإنه لو اضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة .. وما أصدق ما يقول محمد بعد ذلك : أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى .

ورأى بحيرا الراهب محمداً الفلام ، في بصرى بأرض الشام ، مع عمه أبي طالب ، فرأى المعجزة الكبرى قرية منه ، فأخذ يحدث محمداً ويسأله ، ثم قال لعمه : اذهب بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه فإن له لشأناً عظيماً .

وسمع ورقة بن نوفل ما كانت تتحدث به خديجة بنت خويلد عن محمد وشأنه ، وكان عالماً بالديانات والكتب السماوية ، فقال لها : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه .. وجعل ورقة يستبطن "مرور الأيام" ويقول : حتى متى رسالة الله ؟

— ٢ —

وبينها كان محمد يتعبد بغار حراء ، جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله ، يبلغه رسالة الله ، ويحمله أماته .

ورأى محمد ما رأى من الآيات الكبرى ، وسمع الصوت الإلهي يناديه من كل مكان : يا محمد أنت رسول الله وهذا جبريل . ورجع إلى خديجة ينبئها النبأ ، فقالت : أبشر يا ابن عم وائيت ، فوالذي نفس خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ؛ ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل تقص عليه القصص ، فقال ورقة : قدوس قدوس ، والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه التاموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة .. ولقيه ورقة في الكعبة وهو يطوف بها فقال : يا ابن أخي والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك التاموس الأكبر الذي جاء موسى .

ونزل القرآن الكريم دستور هذه الرسالة المحمدية العظمى ، وجاهد الرسول ومن آمن معه جهاد الأبطال ليبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة ، وليحمي حرية الدعوة إلى الدين من أذى المشركين وطغيانهم .

وقبل الهجرة ، بينما رسول الله صلوات الله عليه نائم في بيت أم هانئ عمته ،

إذ جاء جبريل وملائكته معه ، فأضجع محمداً وشق صدره ، وأسرى به إلى بيت المقدس فصلى بالأنبياء والرسل إماماً ، ثم أتى بثلاثة آية : من لبن وخمر وماء ، فأخذ إناء اللبن فشرب منه ، فقال له جبريل : هديتَ وهديتَ أمتك يا محمد ، ثم عرج إلى السماء ، فاستقبلته الملائكة والرسل والنبيون ؛ حتى إذا كان بالافق الأعلى ، وقف أمام ربه يناجيه ، وثبته الله بالقول الصادق ، والإيمان الحق ، واليقين النبوى العظيم .

وهاجر محمد إلى المدينة ، وأنفذ الدعوة من خطر المشركين وأذاهم وصدهم ، فذاعت في كل مكان ، ودعا إليها الناس كافة ، وأرسل بنبها الرسل إلى الأمراء والملوك والأقبال .

ثم اختاره الله إلى جواره الكريم ، بعد أن أنشأ أمة ، وأسس دولة ، ونشر شريعة الله ودينه الحق في العالم كله .

صلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً ، وصلوات الله عليه كلما ذكره الذاكرون وحده الحامدون .

— ٣ —

وخفقت أعلام الإسلام وبنوده في كل مكان ، وانطلق هدايته ودعائه في كل قطر ، يبشرون الإنسانية بهدى الله ، ويحررون العقول من جمود التقليد والجهل والخرافات ... يبشرون بحريات الناس والشعوب ، ويطلقون الأمم من إسارها ؛ ويرفعون عنها الأغلال التي قيدها بها الملوك المستبدون ، والفتياصرة المتكبرون ، ويمحون ظلال الاستعمار والاستعباد والاضطهاد من الأرض ؛ ويطلبون ما تعارفتم عليه الأجيال من آراء زائفة ، وأفكار باطلة ، وتقاليد ضالة ، فليس الحاكم ظل الله في الأرض ، وليست الأمم ملكاً للملك ، وليس الحكم مغنياً لأمير ، وليست هناك وصاية على أمة ، ولا حجر على جماعة . ولا استغلال أو نهب لمرافق طائفة من الناس لحساب طائفة أخرى .. الحكم شورى ، ولا يجوز أن يستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً .. العدالة والانصاف والمساواة والإخاء والحرية حق لكل إنسان في الحياة .

— ٤ —

وبعد قليل كانت الجامعات الإسلامية في قرطبة ، وطليطلة . وغرناطة ، وفي القيروان والمهديّة ، وفي القسطنطينية والقاهرة ، وفي دمشق وحلب ، وفي بغداد والبصرة والكوفة ، وفي بخارى وخوارزم وقزوين ، وفي كل مكان ... كانت تعج بالطلاب والأساتذة ، وتنشر العلم والثقافة والنور في كل ناحية ، وتقوم على حرية البحث والفكر والرأى ، وعلى الإخلاص في خدمة الحقيقة ، وعلى التعاون الإنسانى بين شتى العناصر والألوان والأجناس والشعوب لخدمة الإنسانية والرفق بالحياة .

بينما كانت أوروبا تافى في الظلام ، وتعيش على الأوهام ، وتحيا على الجهل والجور والفساد والحجرات على الحريات ؛ وتنقل من عصور الرق البائدة إلى عهود الاقطاع القاسية المستبدة .

فمن مثل محمد في عظّمته وجليل أثره على الدنيا ، وعظيم أياديه على الحياة ؟ ومن مثله من الدعاة والمصلحين والزعماء والفاتحين ، نجح في رسالته ذلك النجاح المنقطع النظير ؟ ، ومن مثله كان يعمل لأغراض إنسانية عالية ، فينسى نفسه وأهله وقومه ، ويجهاد لتحطيم رموس الضلال ، وشياطين الظلام في كل مكان ؟ ومن مثله كان مع هذا السلطان العظيم ، والنفوذ الضخم ، يعيش مع الفقراء ، ويحيا مع المساكين ، ويعمل في مهنة أهله ، ويأكل التمر ، ويقنع بالخبز ، مع حسن العشرة والأدب والتواضع والرحمة والرافة والوفاء وحسن العهد ، وصلة الرحم والعدل والعفة ، والأمانة والصدق ، والإخلاص لله رب العالمين ؟ ومن مثله حطم رموس الاستعمار في كل مكان ، وهدم الاستبداد في شتى صورته وأشكاله ، وأقام للحرية مناراً عالياً ينفى إلى ظله كل إنسان ؟ .

إنه لرسول الله إلى الناس كافة ، ونبي البشرية الذى أُنقذ الدنيا من ظلمات الجاهلية الأولى ، وقائد العالم إلى النور والعدالة والخير والمساواة . وخاتم الأنبياء والمرسلين . . . وصدق الله العظيم : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليماً » .

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتى عوض الرامسى

المدرس بمعهد القاهرة

نقتصر في بحثنا هذا على خمس طرائف تتعلق بتشابه النظم في قصص القرآن الكريم حيث يكون المعنى الاصلى واحد أو كالواحد يحكى في أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديمًا وتأخيرًا وذكرًا وحذفًا ونحو ذلك .

نكشف عن سر ذلك بطريقة تفصيلية بعد ما هو مفروغ منه من أن ذلك في جلته مرده إلى التفنن والتتويج ومناسبة المقام لمقتضى الحال من غير مناقضة للواقع خارجا ومن غير مدعاة إلى أن نرد ذلك إلى ما يسميه بعض الباحثين بالفن القصصى في القرآن (١) .

الطريقة الاولى : في قول قوم صالح له في سورة هود ، : « أتنبأنا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وأتألفى شك » تدعونا إليه مريب ، مع قول قوم نوح وعاد وثمود لرسلهم : « إنا كفرنا بما أرسلتم به وأتألفى شك » تدعوتنا إليه مريب ، فإن المعنى واحد فما الذى أوجب في القول الاول أننا لنرى شك بنونين وأوجب في القول الثانى إنا لنرى شك بنون واحدة ؟؟

والجواب أن المخاطب في الآية الاولى واحد فكان « تدعونا ، بنون واحدة لا يصلح إلا ذلك والمخاطب في الآية الثانية جمع فكان « تدعوتنا ، بنونين الاولى نون الرفع والثانية نون الضمير لا يصلح إلا ذلك .

فإذا كان ذلك كذلك وكان من الجائز عربية أن يقال في صدر كل من الجملتين أنا أو أننا لنرى شك كان من الحسن والتعادل أن يقال أننا فيما كان فيه تدعونا

(١) راجع كتاب الفن القصصى في القرآن نحمده - غفر الله لصاحبه - قد هدا هذه الظاهرة إلى أن القصص في القرآن صنيع أدبى فنى من الضرورى أن يلغى فيه الصدق والمطابقة للواقع في الخارج .

وأنا فيما كان فيه تدعوتنا وهكذا كان الصنيع الأول برمته في الآية الأولى والثاني برمته في الآية الثانية .

على أننا لو أردنا أن ندقق النظر أكثر لوجدنا أن كل صنيع في موضعه مشابه لسابقه في نفس الآية فالصنيع الأول تقدمه في نفس الآية ضمير نصب متصل بالفعل لا يحدث في آخر الفعل تغيير من أجله وذلك في قولهم : « أتئاننا أن نعبد ، فلحقه ما لا تغيير فيه فقيل على الأصل أننا دون حذف بيننا كان الصنيع الثاني قد تقدمه ضمير رفع متصل بالفعل يتغير له آخر الفعل من الفتح إلى السكون وذلك في قولهم : « كفرنا بما أرسلتم به » ، فلحقه ما فيه التغيير بحذف النون فقيل أنا بدلا من أننا ...

الطريقة الثانية : في قول قوم صالح له في سورة الشعراء : « إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثنا » مع قول قوم شعيب له في سورة الشعراء : « إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثنا » : فإن المعنى واحد فإلى الذي أوجب حرف العطف بين الجملتين في قصة دون أخرى ٢٤

والجواب أن الحرف دال على المغايرة والتعدد والذهاب بالجملتين مذهب الشيثيين كونه بشراً مثلهم وكونه مسحوراً معللاً بالطعام والشراب أو أن السحر جعله يهذى ويخلط وحذف الحرف دال على أن الثاني بيان للأول فالجملتان كشىء واحد ففي طريقة الوصل والعطف بالواو من الضراوة في الجدال والكفر ما ليس في طريقة الفصل وترك الواو فإذا علمنا أن قوم صالح كان لهم في كفرهم هوادة لأنهم كانوا عابداً الثانية قريبي عهد بعاد الأولى وما نزل بها من الهلاك وأن قوم شعيب كانوا أكثر منهم جدلاً وأعنف كفراً علمنا لماذا كانت طريقة الوصل في قصة شعيب وطريقة الفصل في قصة صالح . ألا يرى كيف استرسل قوم صالح في الهوادة فطلبوا آية في قولهم لصالح : « فأت بآية إن كنت من الصادقين » ، فأجابهم « هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم » . على حين أيقن قوم شعيب في عتو ونفور فقالوا : « فاسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين » ٢٥

ولو قيل إن صالحا دعا قومه بالقليل فأجيب منهم بالقليل وشعيبا دعا قومه بالكثير فأجيب منهم بالكثير لم يكن بعيدا ^(١) .

الطريقة الثالثة : في قوله تعالى في سورة المؤمنين ، في قصة نوح من قول قومه له : « إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين » . مع قوله تعالى في السورة نفسها في قصة هود من قول قومه فيه : « إن هو إلا رجل افتري على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين » .

ما السر في اختلاف ما رمى به كل قوم رسولهم ؟؟

كان نوح أمهر الناس في الدعوة إلى الله يدعو قومه ليلا ونهارا ، اعلانا واسراراً ، وقد شرع في أخريات دعوته الطويلة المدى يصنع السفينة في برية لا ماء فيها ، فلا يحلو والحالة هذه لقومه وصف يخلعون عليه إلا وصف الجنون ، كما قال تعالى عنهم في سورة القمر « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ، أما هرد وقومه فلم يكونوا بهذه المثابة والملابسات ، فاكثفوا بوصفه بأنه « رجل افتري الكذب على الله » .

الطريقة الرابعة : في قوله تعالى في سورة هود ، في قصة إبراهيم من قول الملائكة له « لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وفي سورة الحجر نفس القصة والمقالة » ^(٢) لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم ، وفي سورة الذاريات نفس القصة والمقالة « لا تخف وبشروه بغلام عليم ، مع قوله تعالى في سورة العنكبوت في قصة لوط من قول الملائكة له « لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك ، فإن المذكور في قصة إبراهيم في جميع مواضعها هو النهي عن الخوف ، بينما المذكور في قصة لوط هو النهي عن الخوف والحزن ، فهل من سر لهذه الزيادة ؟؟ السر - والله أعلم - أن الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه مستقبلا ، والحزن غم يصيبه لأمر وقع ، فإذا علمنا أنه لم يكن في حال إبراهيم مع الملائكة ما يدعو إلى الحزن ، إنما هو الخوف حين

(١) راجع القصتين في السورة الكريمة وغيرها من السور .

(٢) الوجل . الخوف . وامرار اختلاف العبارات في قصة إبراهيم مبينة في مفارقات نصته

على حديثها

علم من امتاعهم عن الطعام أنهم ملائكة وأنهم لا يزلون إلا لأمري يخيف ، علنا وجه الاختصار على ذكر الخوف في هذا الموطن ، ونظيره قول شعيب لموسى حين جاءه وقص عليه القصص ، لا تخف نجوت من القوم الظالمين ، وقول الله لموسى حين ولى مدبراً عن العصا ، يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين ، . وإذا علنا كذلك أن لوطاً كان في حالة خوف من قومه أن يعتدوا على ضيوفه الملائكة وفي حالة حزن على ما أظفروه من ارادة هذا الاعتداء ومرآته على مرآى ومسمع من ضيفه ، علنا وجه ذكر كل من الخوف والحزن في هذا الموطن ، ونظيره قول الله لأم موسى ، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، فانها خافت عور فرعون عليه وحزنت لفراقه ،

الطريقة الخامسة : في قوله تعالى في سورة القمر في سائر قصص السورة ، فكيف كان عذابي ونذر ، فان هذه الجملة بهذا النص قد ذكرت في قصتي نوح وشعيب مرة واحدة ، وفي قصة هود بهذا النص أيضاً مرتين ، وفي قصة لوط كذلك مرتين ولكن بلفظ ، فدوقوا عذابي ونذر ، فالمسؤول عنه ها هنا شيثان اثنيثتها في قصة هود خاصة ، واثنيثتها في قصة لوط مع التعبير بالدوق بدلاً من الاستفهام ؟؟

أما الاول : فجوابه أن عاداً قوم هود خاصة كان لعذابها الاخرى في القرآن ذكر مع عذابها الديوى ، وذلك في قوله تعالى في سورة فصلت ، فأرسلنا عليهم صرصرأ في أيام نحسات لتذيقهم عذاب الحزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ، فاخصت بالتوبيه بالعذاب والنذر مرتين ، أولاهما لعذاب الدنيا ، وأخراهما لعذاب الآخرة ، وهذا عندى ضعيف ، لأن قوم نوح كذلك توه القرآن بالعنايين لهم الديوى والاخرى في قوله تعالى في سورة نوح ، أغرقوا فأدخلوا ناراً ، فأظهر منه أن يقال أن عاداً هذه الاولى قد كانت ضربت في النعيم والترف والقوة والمسكنة في الأرض بسهم أوفر ، فكان ذلك مدعاة اغترار واستبعاد أن تقدر قدرة ما على قلمهم منه ، فكان التكرار في هذا المقام لتوكيد حصول ما كان يستبعد حصوله من إصابة المحز يمكن . ألا يرى كيف قالوا من أشد منا قوة ؟ وكيف رد الله عليهم بقوله ، أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد

منهم قوة ، ؟ وكيف قال لم نبيهم (أتركون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلحها هضم وتحتون من الجبال بيوتا فارحين) ؟ وكيف قال لم في مقام آخر (استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم) ؟ وكيف قال الله فيهم ، ألم تركبوا ربك بعاد أرم ذات العباد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ؟؟

أما الثاني : لجوابه أن أولى هاتين العبارتين في قصة لوط إنما كانت في عذاب المعتدين على ضيف لوط الذين راودوه عنهم ، ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فنذروا عذابي ونذر ، وثانية هاتين العبارتين إنما كانت في عذاب القوم عامة ، ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فنذروا عذابي ونذر ، . أما التعبير بالذوق خاصة في هذه القصة بدلا من طريقة الاستفهام السابقة في سائر القصص فلعله لأن هذه القصة كانت آخر هذه النصوص ، فكانت أقرب إلى ما ذكر فيه الذوق في نهاية السورة السكرية من عذاب الكافرين في قوله تعالى ، إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس صقر ، ولعله لمراعاة نوع الجريمة التي كان يحترفها قوم لوط فان فيها بالنسبة لجرائم الآخرين نوع ذوق للذة حسية آثمة ، فليذوقوا مر العذاب آخر لانهم ذاقوا حلاوة الفاحشة أولا .

الرأى السديد

أشار حكيم على حكيم برأى ، فقال : لقد قلت بما يقول به الناصح الشفيق الذى يخطط حلوكلامه بمره ، وسهله بوعره ، ويحرك الإشفاق منه ما هو ساكن من غيره ؛ وقد وعيت النصيح وقياسه ، إذ كان مصدره من عند من لا يشك في مودته ، وصفاء غيبه ، ونصح حبه ، ومازلت بحمد الله الى الخير طريقا واضحا ، ومنازرا بينا .

قال العتيبي : قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم اقال : نحن ألف رجل وفيما حازم واحد ، فنحن نشاوره فكأننا ألف حازم .

الحيرة في شباب محمد

مظهر التضوج العقلي وطريقه إلى الحق

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم علي شعوط

المدرس بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم :

كانت الأمور في مكة تسير سيرها العادي الرتيب ، وعكف السمار والتدامي إلى حاناتهم يديرون بنت الحان ، من عتيق الدنان ؛ وتسلسل الشباب المفتون إلى شعاب الجبال ومنعطفات التلال ليلتقوا بالخليلات اللاتي اعتدن أن يكن مع الفتيان في هذه الأماكن على ميعاد .

وفريق آخر من الموسرين قد نصبوا لليسر ساحات واسعات لا تخلوا من الفن والنزاعات ، ويسمع في جنباتها أيمان مغلظات بالعزى وباللات .

وقد انصرف الشيوخ والجمهور إلى ضرب من العبادة ، تلمس فيه كل قبيلة عبادتها لآله تعمل على تقدسه وتقدم له القربات .

وفريق اتخذ نوعا من تجارة الأعراض وسيلة للفنى ، فأكرهوا على البناء الفتيات ؛ حتى هانت منزلة الانثى عندهم فلجأوا إلى وأد البنات وعاش كثير من القبائل على السلب والنهب والغارات .

كل ذلك كان يجرى في دجى الليل أو في ضحى النهار في مكة وفي غيرها ، من بلاد العرب .

وكان الفتى عبد الله بن عبد المطلب قد بلغ مبلغ الرجال فاختر له والده العظيم فتاة من أكرم السلاطات لتكون له زوجا حتى تفر عينه بولده الذى نجا من الذبح بأعجوبة رضى عنها الآلهة وأقرها السكبان .

هذه الفتاة هي آمنة بنت وهب كريمة العنصر طيبة المنحدر .

لم يحقق زواج عبد الله من آمنة ما كان يصبو إليه الزوجان من متاع نفسى أو جنسى رغم أنهما كانا فى ريعان الشباب وميعة الصبا .

وكان المولى سبحانه وتعالى لم يجعل هذا الزواج سوى وسيلة لإيجاد محمد عليه السلام . فلم تطل إقامة عبد الله مع آمنة إلا ريثما تم حملها فيه عليه السلام ثم اختفى عبد الله من الوجود بعد أن قام بدوره المقدور فى علم الله .

ولأن الفتاة آمنة بنت وهب التى نكبها الدهر بفقد زوجها الحبيب وهى فى عنفوان قوتها وسطوع شبابها لتتشعر بمرارة الحزن وضراوة الوحده لولا ما كان يتحرك فى أحشائها من أمل وما ينتظره من سلوى فى وضعها هذا الجنين .

والشيخ عبد المطلب ! قد لفه الحزن بثوبه الأسود وانعكست سحب الهموم على وجهه الضاحى الطروب ، فاخفت وراء هذه السحب بسماته الوضاعة الجميلة وهو يعد — بفارغ الصبر أيام آمنة فى حملها ويعد نفسه ليوم سعيد .

ومضت فترة الحمل واستكملت آمنة أيامها فى منتصف العام السبعين بعد الخمسةائة من ميلاد المسيح عليه السلام حيث كان عام الفيل .

وتحققت الآمال بوضع هذا الوليد ليخلف أباه ويملا الفراغ الذى تركه . فعادت لإشراقة الوجه إلى آمنة وانبسطت أسارير عبد المطلب .

وهناك بين خيام بنى سعد وعلى رمال أرضهم نما محمد ونضج مبكرا وبدت نجابته على كل أقرانه من أطفال بنى سعد .

رجع محمد إلى أمه ليرأها وتراه بعد فترة قضاها فى مدرسة البدو التى ظهر واضحا فى خلقه وفى خلقه .

عاد متلهفا على أمه ولكن المقادير كانت قد أعدته للصدمة الأولى فى وفاتها وهو فى سن يحتاج فيه للحنان الدافق من قلب الأم التى ليس لها سواء .

ووجد عزاءه فى جده عبد المطلب الذى أعطى حفيده كل قلبه ولكن لم يكد يطمئن إلى هذه الرعاية حتى لجعه الموت فى كافله العظيم بعد أن أوصى به عمه أبا طالب .

فكانت حياته عليه السلام قاسية لا استقرار فيها فن، خيام بني سعد السوداء إلى دار الأم المتواضعة إلى جنان يثرب إلى بيت جده المريح إلى كنف عمه أبي طالب حيث وجد نفسه في أسرة تجارية كادحة يؤدي كل عضو فيها لو قصر فيه للحق الجهد وأدركه شظف العيش وشدته .

مرت أيام الصبا سراعاً ومحمد يكبر في عقله وجسمه ، وأحداث الزمان تزيده في الدرس والتحصيل وتساعد على تكوينه خير تكوين . ثم أدرك أن عمه أبا طالب رقيق الحال كثير العيال يجهد نفسه إجهاداً مضنياً في سبيل الحصول على قوتهم .

ولم يكن محمد ذا مال يضعه في صفوف الأغنياء إذ كل ما تركه له أبوه إنما هو قطيع من الغنم ونخسة من الأبل وجاريتة أم أيمن التي حضنته بعد وفاة أمه .

فلعل محمداً اضطر أن يقوم بعمل ؛ وماذا عسى أن يكون هذا العمل للطفل في سن محمد إلا أن يرعى الغنم لحساب غيره على قلال مكة ؟

الراعي والرعية — أول الحيرة

كان رعيه للغنم من العوامل المهمة التي فتحت في ذهنه آفاقاً شتى للتفكير والتأمل . فأخذ يعلق على كل حركة وهمسة تمر على سمعه وبصره ، واستغرق في السكون استغراقاً عميقاً للدرس والفهم .

« أليست أشعة الشمس تحييهِ ، ويغمره ضياء القمر ويتصل وجوده بالآفلاك والعوالم جميعاً ؟ [لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون] .

وإذا كان نظام القطيع من الغنم أمام محمد يقتضي انتباهه ويقظته حتى لا يعدو الذئب على شاة منها ، وحتى لا تضل إحداها في مهامه البادية ؛ فأى انتباه وأية قوة تحفظ على نظام العالم كل أحكامه ؟ . .

وظلت هذه الأفكار تعمل في صدره وهو مجد في البحث عن طريق الهدى فيما بينه وبين نفسه .

واستمر على إطراره وتفكيره حتى عرف بين قومه باتجاه جديد في حياته ؛ فلم تغمره البيئة بتقاليدها ، ولم تطغ عليه العشيرة بعباداتها وطباعها فلم يلاحظ عليه أيام طفولته أنه قلد القائمين على أمره في تقديس اللات والعزى ، ولا ورث الهيبة التي كانت لهبل في نفوس قريش . ولم يحدثنا التاريخ أن محمداً حضر موسم الحج منذ عرف أن قومه يعبدون الأصنام ويقدمون لها القرابين في هذا الموسم من كل عام ، وعرف عنه عليه السلام أنه رفض أكل ما ذبح على النصب . وبقي نظيفاً طاهراً لم يلوث بدنه كما لم تلوث عتميدته ؛ قال عن نفسه [ما عبدت صنماً قط . وما شربت خمرأ قط ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر] فلم تحمله ميعة الصبا على معاقرة الخمر ومنادمة الرفاق في مجالس اللهو التي كانت منتشرة إذ ذاك في نواحي مكة وطبقاتها المختلفة بل إن اللهو البريء لم يتخذ طريقه إلى نفس محمد عليه السلام .

والسر في ذلك أن دور الشباب افترن عنده بمرحلة التفكير والحيرة ؛ فكان كلما هم بمحاولة المتاع واللهو كما يصنع أقرانه وأهمته أفكار وتأملات ملأت جوانب نفسه ، وشغلت قلبه ، وبدا له البيت العتيق وقد تكدست في ساحاته المعتمة ثلاثمائة وستون صنماً جلبت من أنحاء البلاد لتحظى بالتقديس والعبادة ، في هذا المكان تبدت سخافة هذا الأمر كله لعين محمد كما يبدو الفجر الوليد ، فكان من المحال أن يوفق بين ما يعمل في عقله من أفكار وبين عبادة هذه الأصنام الضخمة وراح محمد يفكر فلم يجد حلاً . وكان كلما قلب الأمر ازداد حيرة وقلقاً ، كل هذا كان بينه وبين نفسه وره .

أما فيما بينه وبين الناس فكان أفضل قومه مروءة وأكملهم خلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً وأصدقهم حديثاً . وأبعدهم عن الفحش وأعظمهم حلاً وأكثرهم أمانة حتى كان يلعب فيما بينهم بالأمين ، يدعون عنده ودائعهم ويحكمونه فيما شجر بينهم .

عرفته خديجة بنت خويلد الأسدية بهذه الصفات وكانت ذات تجارة واسعة فساكادت تسمع من أبي طالب أنه يرغب في أن يكون محمد هو الأمين على هذه التجارة حتى وافقته فيما اقترح من أجر قافلة لأبي طالب : لو سألت ذلك لبعيد بغض لفعلنا فكيف وقد سألته لحبيب قريب ؟

وبورك لخديجة في مالها وتجارها . وكان الربح الذي لقيته من تجارها وحسن الطالع الذي رافق محمداً عليه السلام في رحلته إلى الشام ذا أثر كبير في تصديق خديجة كل ما بلغها عن محمد من أمانة وصدق ووفاء ومروءة وشهامة ونبل فارتفعت منزلته عندها ثم أيد هذا المعنى في نفسها حديث ميسرة غلامها عن محمد وكرم أخلاقه ولين جانبه مما فعل في قلبها ما يفعل السحر فراحته رغبته في التجارة تتضاءل على مر الأيام وبدأت تمنى في نفسها أن ترتبط به ارتباطاً دائماً غير رباط التجارة .

ولقد أحست خديجة لأول مرة أنها تحبه وتتمنى الزواج به فعملت من جانبها على أن يكون هذا الزواج ؛ وتم لها ما أرادت لأمر يريده الله سبحانه وتعالى من إتمام الخطى التي رسمت في لوح الغيب لتهيئة محمد بن عبد الله للرسالة العظمى والانتقال بالعالم جميعه إلى حياة أسعد في الدنيا والآخرة باختيار خديجة زوجا وسنداً له في أول أمره حتى تثبت فؤاده ؛ ونذهب عنه الوحشة والروع من الطارق الجديد الذي لم يكن يتصوره .

وكان محمد عليه السلام بعد أن تزوج بأمر المؤمنين خديجة بفت خويلد قد وجد في نصيبه من تجارها ما جعله يزهد في العمل التجاري . وعأوده التفكير والاطراق للبحث عن الحقيقة التي يرتاح اليها في مصير هذا العالم .

ومن قبل ذلك كان قد سمع أن قريشاً كانت قد اجتمعت يوماً بوادي نخلة لتقديس العزى وتقديم القرابين اليها فخلص منهم أربعة رجال نجياً ، هم زبد بن عمرو ، وعثمان بن الحويرث ، وعبيد الله بن جحش ، وورقة بن نوفل فقال بعضهم لبعض [تعلموا والله ما قومكم على شيء ، وأنهم لفي ضلال مبين ؛ فما حجر نظيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ومن فوقه يجري دم النحور ؟ يا قوم اتسوا لكم ديناً غير هذا الدين الذي أتم عليه] .

فكان هذا التدمير من عقلاء قريش مؤيداً لما يجول في خاطره ويعتمل في عقله من مقت وكراهة لما عليه قومه . فلم يكن بعد هذا في حاجة إلى كثير من التأمل ليرى أن ما يباشر قومه من شئون الحياة وما يتقربون به إلى آلهتهم ليس حقاً . فما هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن أحد غائلة شر يصيبه ؟

« وهبل واللات والعزى ، وكل هذه الأنصاب والأصنام القائمة في جوف الكعبة أو حولها لم تخلق يوما ذبابا ولا جادت مكة بخير .
ولكن : أين الحق إذا ؟ أين الحق في هذا الكون الفسيح بأرضه وسمواته ونجومه ؟

أهو في هذه الكواكب المضيئة التي تبعث إلى الناس الدفء والنور ومن عندها ينحدر ماء المطر فيكون للناس ولأهل الأرض كافة من خلائق حياة بالماء والنور والدفء كلاً ؟ فها هذه الكواكب إلا أفلاك كالأرض سواء .

أهو فيما وراء هذه الأفلاك من أنير لا حد له ولا نهاية ؟ ولكن ما الأثير ؟ وما هذه الحياة التي نحيا ثم تنقضى غدا ؟ ما أصلها ما مصدرها وهل بعدها من حياة فيها حساب وعقاب ؟ .

لعل كل ذلك أو مثل هذه الخواطر كانت تجول في خاطر محمد وهو بمن في أطرافه وتفكيره فيشغله نشدان الحقيقة حتى ينسى نفسه وينسى طعامه وينسى كل ما في الحياة .

وهو بعد لم تلح له بارقة من أمل فتتير له مفترق الطرق فيختار أكثرها ضياءً وأوضحها مسلكاً .

وكان كلما اشتد به الوجد لجأ إلى غار حراء ينقطع فيه عن الناس والحياة لعله يستشعر ما يثلج صدره ويطفى غلته .

كان هذا شأنه في رمضان من كل عام فإذا فرغ من رمضان عاد إلى خديجة يلتقي عندها حمله ، ويتخفف قليلاً من عناء الوحدة وسقم الصيام .

ولم يعرف عن رسول الله في هذه الفترة طريقة تعبدية ولا على أى شرع كان يقوم بالعبادة في حراء لأنه لم يتحدثنا عليه السلام عن نفسه وخطته في هذه الفترة ولم يكن معه من يعلم كيف كان يتصل بربه في ذلك الحين .

أمضى عليه السلام في هذه الحال سنوات لم تعرف بعد بالتحديد ولكنها طالت عليه وطال فيها شغله بالحقيقة التي ينشدها وصارت نفسه تسبح في ملكوت السموات والأرض وتخلق في الملأ الأعلى عساها تظفر بالسر من مولاها وتهتدى

إلى طريق هداها فرجعت روحه من مسارحها العلوية في جوانب الكون المختلفة وبدا يلوح له الخيط الذي يهديه .

وابتدأت مراحل اليقين من هذا الخيط وكان أول ذلك إحساسه بالراحة النفسية للطريقة التي كان يسلكها في التفكير والعبادة وظهر فيض النور يملأ قلبه ويثير جوانب نفسه .

ثم صارت صلته بربه تتضح وتبلغ فانتقلت من الراحة النفسية إلى مرحلة أقوى وأروع وهي مرحلة الرؤيا الصادقة .

فصار يرى في نومه الرؤيا الصادقة تبليج أمام باصرته بأنوار الحقيقة التي يشهد ويرى معها باطل الحياة وزخرفها .

إذ ذاك آمن أن قومه قد ضلوا سبيل الهدى وإن حياتهم الروحية قد أفسدها الخضوع لآلوان وأصنام لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً وليس فيما يذكر اليهود والنصارى ما ينقذ قومه من ضلالهم .

ولكن ما هي وسائل الانقاذ التي يقدمها إلى قومه حتى يسعد بإنقاذهم مما هم فيه من ضلال إلى الهدى والخير في دينهم ودنياهم ؟

ولكنه في انتظار الخطوة التالية من الفيض الإلهي الذي يرشده فيه إلى تفصيل الهدى وتوضيح الطريق الحق للخير والاسعاد .

كانت الخطوة التالية هي الخطوة الكبرى والحد الفاصل بين الخيرة التي اتبته سنوات متتالية وبين اليقين الذي ألقى في روعه عن طريق الوحي من ربه تلقاه من جبريل عليه السلام بقوله [اقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم]

ومن هنا ابتداء محمد رسول الله أخطر دور في حياته وفي حياة البشرية كافة .

لَيْكَ يَا مِصْرَ

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

داعى الجهاد لمجد مصر دعائى لا يستحق حياته متخلف
عار على الأحرار فى أوطانهم أن يخضعوا لمذلة وهوان
دعنى أشق إلى الطفافة كتابياً صمّاً تدك كتائب الطفيان
لا ساغ ماء النيل يوماً فى فى إن لم أطهره من (القرصان)
ابن الجهاد أنا سقانى ورده وطن على حب الجهاد نمانى
هذا الدم المسفوح من شهدائه قد هاج إحساسى وهز كيانى
دعنى أريق على نواحيه دماً بين العروق يشور كالبركان
غضبان يزأر مستشيطاً حائقاً متأججاً كشاعر النيران
ليست تظلل أهلها حرية حتى تروى بالنجيع الفانى
ودم الضحايا شعلة قدسية تذكى فؤاد الحامل الوسنان
إن لا مست قلب الجبان شرارة منها غداً من أشجع الشجعان

قل للطفافة الإنجليز ترصدوا للوادين ترصد الذوبان
وتتمروا كيف استطعتم واحشدوا عند القتال كتائب العدوان
سدوا الفضاء بوارحاً وبوارجاً وارموا بكل قذيفة وسنان
واستأسدوا للآمنين ، وفى الرغى أقم نعام ككرهة وطعان
وتجهموا لذوى الحقوق وأرعدوا وتنكروا للفضل والإحسان
وانسوا لمصر جميلها فى موقف ضقت به حرجاً مع الألمان

هذى بطولكم ، وذلك بأسكم
صفعنكمو عبدانها لجلوتنوا
صولوا كما شتم فإن مصيركم
وليزأر الأسد المعجوز بفابكم
إنا غضبنا غضبة مصرية
ولقد عقدنا عزمنا لجلانكم
إيماننا بالحق يفري بأسكم
من راح يزهى بالسلاح فإنما

ضربت به الامثال في إيران
عنها كأسراب من الجرذان
للأس والتسليم والخذلان
فزئيره ضرب من الهذيان
خلعت قلوب الأسد في الذيلان
عنا ووحدة مصر والسودان
والحق نعم السيف في الإيمان
أقوى السلاح حراة الإيمان

* * *

يا مصر بحر النصر لاح فأبشرى
أم الحضارة أنت يا مهد الملا
قد كنت في جيد المشرق درة
أيام كان الغرب جيوان الخطا
بعشو إلى أضواء مجدك منلما
مجد بناء الأولون ثكلتنا
وثرى خصب لأطعمنا خيريه
لم تبق في قوس التجلد منزعا
حتى إذا ما ضاق صدرك بالعدا
ثارت على الأغلال آساد الحى
والصبر في بعض الأمور تواكل
والحق لا يعطى بذلة طالب
ما إن يسف الذنب منطلق واقع

وانشت شمل نواعب الغربان
والمجد أجمع من قديم زمان
ومثارة للعلم والعرفان
متخطلا في ليله المدجان
يتلس السارى شعاع أمان
إن لم نزد في ذلك البنيان
إن لم يخضبه دم الشبان
سبعون في كبت وفي حرمان
وبدت وعودهمو سراب أمانى
ونبت بقاء الذل والأذعان
والحلم أحيانا قسلة وان
لكن ينال بصولة وتقان
في الحق من فم وادع المخلان

* * *

يا من دعوتهم للسلام بموثق
أين السلام وأتمو حراسه ؟
شيعتموه وكلكم سفاحه

أكدتموه بأغظ الإيمان
وئد السلام ولف في الأكفان
بش المشيع للقتيل . . . الجاني

وبكىتموه بأعين خداعة فيها بريق الزور والبهتان
لا تغترر بالسيف في لمعانه فالفنك كل الفنك في اللعنان
أو تخدعناك من الصلال ملاسة فالسم تحت ملاسة الثعبان
شر البرية في الخلائق فأتك تبدو عليه مسحة الرهبان

دينوا بشرع الغاب فتكا واهدموا بالعلم ما تبنى يد العمران
والووا عن الحق المسالم جيدكم واستسدوا لقيادة الشيطان
الشرق نار على القيود وهب من نوم ليحطم صولة الاوثان
بعث السلام على يديه فأذنوا منه بحرب للسلام عوان
من صم عن داعي السلام أصممه في الروح قصف المدفع الرنان
نخذوا من الشرق الهدى وتعذوا خلق الوفاء وخلة العرفان
خلق الشعوب أعز ما تبنى به ملكا وترفع راية السلطان
والنصر للشرق العتيد ، وإنه دان ، وكل مقدر بأوان

المبالاة بالعدو

خرج بعض أهل خراسان على قتية بن مسلم ، فأهمه ذلك . فقيل له : ما يهملك
منهم اوجه إليهم وكيع بن أبي صرد ، فإنه يكفيكم . فقال : لا ، إن وكيعاً رجل
به كبر يتحاصر أعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بأعدائه ، فلم يحترس منهم ،
فيجد عدوه غرة منه .

ومن نصائح علي بن أبي طالب في نهز الحرب : انتهزوا الفرصة فإنها تمر مر
السحاب ، ولا تطلبوا أثراً بعد عين .

رثاء..

« أبو العيون ،

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبو الوفا المراغى

والمنايا رَصَدُ للفقى حيث سلك
كل شيء قاتل حين تلقى أجلك

إلى جوار الله الكريم مضى الشيخ أبو العيون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .
وعزيز على وعلى كل أزهرى ، بل على كل مصرى ومسلم أن يبكىك ، فقد عظم
مصاب هؤلاء جميعاً فيك . لقد جل خطب الأزهرين فيك ، فقد كنت مدى
حياتك حامل اللواء فى معارك الإصلاح بالأزهر ، والمحامى عنه ، الغيور عليه ،
المجاهد فى سبيله بلسانك وقلبك ، ولسانك سيف يثار ، وقلبك سنان نافذ .

لك القلم الذى بشبابه يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
كنت فى تلك المعارك القائد والمفاوض ، لك شجاعة القائد ودهاء المفاوض ،
لخالفك التصرف فى أكثرها ، ونالك ما ينال القائد فى الميدان ، فما لانت لك قناة
وما باليت بتهديد ولا وعيد ، واشتركت فى أكثر الجماعات واللجان التى ألقت
لإصلاح الأزهر ، وكان لك فيها رأى السديد والإشارة النافذة ، وستحتل مكانك
فى أكثر من صفحة من تاريخ إصلاحه ، وحملت عبأ فى رسالة الأزهر الدينية ،
وحملت أعظم الأعباء فى رسالته الاجتماعية ، وللأزهر كما ترى رسالات فى شتى
النواحي ، وكنت أليفاً مألوفاً بطبيعتك ، ومواهبك وتجاربك ، فكنت قريباً
إلى نفوس المصلحين ، وذوى الغيرة بمصر وغيرها من الأمم الشرقية تنووا إليك
أبصارهم ، وتطلع نفوسهم ، ويستصرخونك فتجيهم ، ويدعونك فتلبى النداء ،
لجاهدت فى ميدان الإصلاح الاجتماعى حتى كنت زعيم هذا الميدان ، ورمزاً للجهاد
فى سبيل الفضيلة والكرامة ، عرفت بذلك وخصصت به ، لا فى مصر وحدها ،
بل فى غيرها من الأمم الإسلامية . ولن نفسى لك ما كنت تستقبل به رؤساء

الحكومات من كتب رائعة تذكرهم فيها برعاية الدين والمحافظة على تقاليده ، ووجوب البذل في النهوض بمعاهدته ، والعناية بتدريسه في المدارس الحكومية ، ولن ننسى لك جهادك ثلاثين عاماً أو تزيد في محاربة البغاء في البلاد لدى الحكومات وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، ومكافحته بكل وسيلة ، وقد سخر قوم بدعوتك كما سخر قوم نوح منه ، فما ضعفت ولا ينست ، وتابعت كفاحك ونضالك حتى نصرك الله على أعدائك أعداء الفضيلة ، وكلل جهودك وجهادك بالنجاح ، وأزلت عن مصر الإسلامية ، بل زعيمة الدول الإسلامية أكبر وصمة في جبينها وجبن الإنسانية عامة ، ولا زال كتابك «مذاهب الأعراض» سجل تاريخك ، ورمز جهادك في هذا السبيل ، ولن ننسى لك ثورتك الصيفية على اختلاط الجفنين في الشواطئ بالمصايف ، والخروج فيها على تقاليدنا الإسلامية ، حتى كنت الرقيب المهيّب ، يخشى رقابتك الحكم والمحكومون على السواء ، ولن ننسى ثورتك على المستهترين بالفضيلة في الحفلات العامة ، وبخاصة حفلات الطبقة العليا ، لا يرهيك في هذا الشأن سلطان ولا يثنيك عن محاربتها وعيد ، وأعرف أنك هددت أحياناً بما يمسك في منصبك ومعاشك ، فما باليت وما هادنت .

وجل مصاب الوطن ، وفدحت خسارته فيك ، فلقد كنت في الرعيل الأول من المجاهدين لحريته واستقلاله ، وجهادك صفحة خالدة في تاريخك يعرفها المجاهدون الأحرار ويتدرونها لك ويضعونك بها في الصف الأول من المجاهدين الصادقين . لقد كنت في طليعة العاملين في فجر النهضة الوطنية ، عرفتك المنابر العامة في الأزهر وغيره خطيباً مبرزاً من خطباء الثورة ، واستضافتك السجون كما استضافت غيرك من قادة الثورة وعركيها ، وشاركت في المظاهرات بشخصك ، وعرضت نفسك للحراب والرصاص ، ولقيت ما يليق الأحرار من نفي وتشريد ، وكسب تجار الوطنية ما كسبوا من مال وجاه ، ولم تكسب إلا ما ادخره الله لأمثالك من المجاهدين المخلصين . وكنت بين الأدباء من مواطنيك أديباً ممتازاً ، واضح الأسلوب مشرق الديباجة ، جزل العبارة تصل إلى غرضك في لباقة وكياسة ، عفاً في عبارتك وخصومتك لم تدنس قلبك بما لا ترضى عنه أصول المناظرة وقواعد الآداب . وما هي ذى جولتك في مجلات الأدب الراقية ، وأنديته الوقيلة تشهد بطول باعك في الأدب وتبرزك في فنونه ، وتضعك في الطليعة من أدباء العربية ، ولن ننسى لك

جزالة أسلوبك وقوة روحك وشخصيتك في مؤلفاتك التاريخية لطلاب المعاهد الدينية، وفي مقالاتك بمجلة الأزهر والحلال وغيرها من المجلات الراقية ذات الطابع الأدبي الخاص .

أما علاقتك بأصدقائك وبانثاس عامة فقد كان لك فيها منهج خاص ، كان لك مع رؤسائك ومرءوسيك منهج يسوده التسامح والرفق ، وكنت تعتقد أنهما أم ما يعتمد عليه الرئيس في حل مشكلاته وأنجح الوسائل لسرعة القضاء فيها ويسودك أنه يبدو الرئيس متفطرساً متعالياً ، بل كنت ومن معك من الموظفين كبيرهم وصغيرهم ، هدفك لإنجاز الأمور وتيسير الاعمال ، وما كنت تقيم لما يقيم له غيرك من الشكليات وزياً ، فظلت محبوباً من الجميع في كل أمر وليته يذكر لك هذا النهج لإخوانك من العلماء وغيرهم في المعاهد التي توليت شئونها ، وفي الإدارة العامة للأزهر ويرون لك اللطائف والطرائف في حسن المعاملة ، ورقة المعاشرة . حدثني أحد الإخوان أن جفوة وقعت بينك وبين موظف من مرءوسيك ولفتك إليها بعض إخوانك ، فما لبثت حتى أسرعته إليه في مكتبه فصافيته وأزلت جفوته وشكر لك سعيك كل من تراهي إليهم هذا الصنيع من موظفي الديوان .

وهكذا كان منهجك في المعاملة مع من عرفت ، وما أكثر من عزفت وعرفوك وعقدت بينك وبينهم أواصر المعرفة والصداقة ، حتى كان لك بكل طبقة صداقة تقوم على أساس قوى من الود والتقدير ، وكان من رواد مكتبك ومنزلك العالم والاديب والسياسي والتاجر والفلاح يبادلونك الرأي في مشكلاتهم ، ولا يتخرجون ثقة بخالص نصحك ، وسديد رأيك ووافر أمانتك ، وكنت في السر ملاذ البائسين وطلاب الحاجات يستمعون بما وهبك الله من جاه وما كنت به ضئيلاً .

هذه لمحات من سيرتك العطرة وسيرتك سجل حافل بالمآثر سيذكرها لك التاريخ وسيكشف مرور الزمن منها ما كان خافياً شأنه مع عطاء الرجال تنكر آثارهم أحياء وتقدر وتشكر أمواتاً على أنك قد أنصفت سريعاً أيها الراحل الكريم فقد وفي لك الشعب ، وقدر عظم المصاب بفقدك وقدر لك أعمالك وأفضالك ، فاحتشد لتكريمك وتشجيع جثمانك بسائر طبقاته وما كان دافعه الى ذلك إلا الوفاء وحسن التقدير وشارك مصر العزاء فيك أقطاب الأمم الإسلامية .

وإذا بكاك الشعب فإنما يبكي فيك مجاهدا من قدماء المجاهدين الذين قام على جهادهم أساس نهضته وأورقت بجهودهم شجرة حريته وهو اليوم أحوج ما يكون الى القادة والجنود ليكتبوا الفصل الأخير في كتاب مجده وتحريره .

وإذا بكاك الأزهر فإنما يبكي فيك علما من أعلامه وقطبا من أقطابه كان يسفر له في جهات كثيرة على الأزهر أن يكون له في كل منها من يمثله ويرنو ببصره الى من يسد الفراغ وعسى أن يظفر به ، وإذا بكتك أسرة مجلة الأزهر فإنما تبكي بفقدك المشرف الوقور والربان الماهر الذي جنبها بكياسته وسياسته الأعاصير ووجهها وجهة الخير في أداء رسالتها ، وتبكي كاتبا من أعلام كتابها وأندام صونا وأهدام الى مواطن الأدواء وأعرفهم بوسائل العلاج .

رحمك الله يا أبا العيون ، وعوض الله فيك الأزهر والإسلام ، وأنزلك منازل الأبرار من جناته مع الصديقين والشهداء والصالحين .

عدل الولاية

قال ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال : استعمل ابن عامر عمرو بن عروة ! أصبح على الأهواز ، فلما عزله قال له : ما جئت به ؟ قال له : ما معي إلا مائة درهم وأثواب . قال ابن عامر : كيف ذلك ؟ قال أصبح : أرسلتني إلى بلد أهله رجلا : رجل له مالى وعليه ما على ، ورجل له ذمة الله ورسوله . فوالله ما دريت أين أضع يدي . فأعطاه ابن عامر عشرين ألفا مكافأة له على أمانته .

وقال معاوية : إني لا أستحي أن أظلم من لا يجد على ناصرا إلا الله .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : الظلم ظلمات يوم القيامة .

الشيخ أبو العيون

ألقيت في الازهر الشريف يوم وفاته رحمة الله عليه

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

شيعوا كواكب التقى والرشاد وطلوا راية الهدى والجهاد
حين قالوا : أبو العيون تردى لجمت أعين العملا في السواد
قائد مات ، والبسلاذ جنود ثارت ، ترنو إلى القواد
حرة تشد الحياة ، وتدعو من بينها ، بكل حر مفادى

يا قريع الخطوب في كل هول يا لواء الكفاح في كل عادى
كيف طاح اللواء ، قل لي ، متى طلعت ، وما طحت في زحام الجلاذ
كم تدرعته عزيزاً كريماً خضبت وجهه دماء الأعداى
واقطعت الصفوف تزخر بالمو ت ، مشيحا ، نصيح : تحيا بلادى
في الرعيل السباق من حاملي الع به ، ومن كل أريحي جواد
نزلت مصر منهمو في السويدا ، فهزت نفوسهم للطراد
رفعوا راية الجهاد وهبوا حين نادى الجهاد كالأساد
لا يبالون بالحديد وبالنسا ر ، وبالموت ، في سبيل المراد

لطف نفسى عليك ، فارقت مرما ك ، إلى غير رجعة أو معاد
الهدى والجهاد في يوم منعا ك ، توارى سناهما في الحداد
فعزاء لمصر فيك ، إذا أغنى عزام لى الكبود الصوادى
وسلام عليك في جنة الخلد ، مجيدا ، من عزة أجداد

زفرة الشعر

على فقيد مصر والاسلام « أبو العيون »

نفسيد الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

على مثله فليكن من كان با كيا
دهاء الردى والنيل يرنو نطلعا
سل الثورة الكبرى فكهم حاض نارها
وسل منبر (المعمور) عن خطب له
وسل ظلمات السجن عن خير زائر
وسل ثورة الاصلاح عن كلم له
مواقف لن يحصى مدى الدهر ذكرها
عرفناه سباقا إلى كل غاية
له صولة في الحق كالرعد صاخبا
وكان لدين الله خير مناصر
تطالع منه حين تلقاء بسمة
وترتج منه في خلال حميدة
كأنى إذا أرعيت سمعى يياته
أنست به دهرأ فأشربت حبه
وفاء ، وفهم للحياة ، وفطنة
تحمل عنى البشر إذ قيل قد قضى
مضى ونفوس القوم ترأم نعشه
وخلطنا في ليلة نابغة
ونهنهت دمعى أن يكف فلم يزد
سألت لملهى أن يجود ترابه
تهنا « أبا العيون » وامرح بجنة
رسالتك الكبرى وفيت بجنتها
بكيت وما يجدى البكاء على امرئ ؟

ومن هو أولى بالدموع هواميا ؟
إليه فيلبيه على الأرض جانبا
ومتديداً للذوت أحر قانيا
دعت مصر للجلى فدكت رواسيا
قضى دهره فى السجن جذلان راضيا
دعت وهدت للخير من كان آيا
ولسن على مر الزمان خوافيا
أخاهمة شماء تدنى الأفاصيا
وكالسيف بتارأ وكاليت ضاربا
فكم ذاد عنه كل يوم أعاديا
تريك منا القلب الكبير مناديا
يحوطك منه العطف والبر حانيا
أنمق فى طاق من الزهر جانبا
وألفيت منه الفضل والنبل ساميا
له الرأى فى ليل الحوادث هاديا
وأجفل منى العقل إذ خر ثاويا
وترمقه الآمال حسرى عوانيا
(كأن على الاعناق فيها أفاعيا)
على أن توالى هاميا من شئوننا
سحاب تزجها الرياح غواديا
ونم فى جوار الله تنعم هانيا
وكتت شجاعا فى جهادك غالبا
بنفسى من ودعت أسوان با كيا

في جنازة البطل الشهيد أستاذنا (أبو العيون)

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السير

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

طويت صحيفة عالم موهوب قاد الطلائع وهو غير هبوب
ومجاهد في الله حق جهاده لم يخش من يمن ولا تعذيب
الثورة الكبرى ذكت نيرانها يراعه ويسانه المشبوب
فلو استمعت إليه في عزاتها لرأيت أي مناضل وخطيب
كم ذا يجلجل صوته فيهننا كالعاصفات تهز كل قضيب
وتخالها من عجب نعيم يسانه ناراً تظلي في نهي وقلوب
في كل مجتمع وكل صحيفة ذوب البراعة من بنان أريب

هو واحد حرس الفضيلة جاهدا لم يلف من تدّ له وضرب
يا مذكي العزمات في أبنائه ومواصل الارشاد بالتهذيب
مترقفا في كل ما يديه من نصح بلا لوم ولا تريب
وشعاره (في حكمة) لا تفضين لكنه للحق جد غضوب
في كل ناحية ترى آثاره كالغيث شوبوا على شوبوب
أوفى على السبعين وهو مجاهد بذ الشباب بعزّة ودموب
الدين أول ناكل بمكافح قد كان عدته لكل عصيب
لو كان في الإعلام مثلك داعياً مان المصاب لتاكل محروب

يا من رأى بطل الجلال بجندلا في غير ميدان وغير حروب
واها لحدثان الحياة فإنه يأتي من الأموال كل غريب
يا يوم نعي أبي العيون، تركتا ريع النهار بحالك غريب
فالليل ممدود الرواق مخيم والصبح آذن ضوءه بمنيب
وترى العنادل أمسكت لهواتها شجناً وللغربان شرنعيب
لله أي شهادة كتبت له حين الجهاد فقال خير نصيب
أدى رسالة ربه حتى إذا هتف الحام أجاب خير مجيب
هني يراعك أقض حق مآثر كالشمس لكن غير ذات غروب

رثاء

فقيده الازهر والشرق

فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ د محمود أبو العيون ،

لفقيه الأستاذ الشيخ السباعي السناوي

المراقب بكلية الشريعة

كذلك كنت في سجل المات	فريداً كنت في نهج الحياة
إلى أن رحلت نهب الحوادث	تحديث الحوادث غادرات
فكنت غضنفرأ صلب القناة	وخضت من المعارك داميات
تغير لنا دياجير الحياة	وكننت إذا ادلم الخطب شمساً
وأيناهم أسوداً ضاريات	نفخت الروح في الأشبال حتى
يقود الشعب في كل الجهات	إذا ذكر الجهاد ذكرت فرداً
فأيقظهم وكانوا في سبات	خطيب هز في الوادي شعوراً
ولم يخش المعافل موحشات	فلم يرهب للاستعمار بطشاً
ولم ترعبه أهوال الطفلة	وما لانت له أبداً قناة

* * *

فألغيت د الخنا والساقطات ،	بعثت رسائل الإصلاح ترى
فأضحت مصر خير الطاهرات	وكانت وصية بحبين مصر
ويالك في التصامح والعظات	فيالك مصلحاً فذاً حقياً
تبوأ منزلاً في الثيرات	رفعت الازهر المعمور حتى
نغار الازهرين الاباة	وكم لك صيحة دوت فكانت

* * *

وغاض معين دجلة والفرات	لنعيك غاض ماء النيل حزناً
وربع الشرق في غفر اللدات	وروعت العروبة في نهاها
إليك فأنت رمز التضحيات	طواك الموت أحوج ما نكون
فديننا بالآلوف وبالمئات	ولو كان الفداء يفيد كنا
وفي الفردوس يا خير الهداة	عليك سحائب الرضوان تهمي

الأزهريون أساتذة شعراء العصر

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

لم نكن لتزيد هذه الدعوى معتسفين في الدليل ، ولا مبالغين في الفهم والاستنباط ، ولا مستوحين عصية لمعهد أشرق في عتمولنا وقلوبنا ، ولسكننا توخينا دقة البحث ، ونزاهة المنحى ، وقد سقنا فيما نؤيد به هذه القضية حديثا عن صلة « البارودى » الشاعر الفحل « بالمرصنى » العالم الأديب النقاد ، وأثبتنا أن الشيخ حسين المرصنى وجه البارودى وعلمه ، وهدهاء وأخذ يده حتى صح أن يكون هدية منه .

ونحن في مقالنا هذا نسوق حلقة جديدة بهذا الصدد نكشف فيها القناع عن صلة زعيم الشعراء المغفور له أحمد شوقى بك بمن هو كالأستاذ له من علماء الأزهر وأدبائه ، وهو المرحوم الشيخ محمد البسيونى .

(٣) الشيخ البسيونى وشوقى :

وقبل أن نتكلم عن ارتفاع أمير الشعراء « أحمد شوقى بك » ، والاختذ من بعض أساتذته نقدم بكلمة عن « الشيخ محمد البسيونى » ، أستاذه فإن الحديث يدور عليه .

من هو البسيونى ؟ الشيخ محمد البسيونى البلياقى ، ينسب إلى « ببيان » قرية من قرى البحيرة ، ولد بها في منتصف القرن الثالث عشر الهجرى تقريبا ، وبعد أن حفظ القرآن أشخص إلى القاهرة لطلب العلم في الأزهر ، وما أن استقر به المقام بين جدرانها حتى طفق يدرس على أساتذته مختلف العلوم العقلية والنقلية ، ولازم شيوخه بالأزهر سنين يقرأ عليهم أمهات الكتب في الفنون التى كانت تدرس إذ ذاك حتى حذقها ، ولما نضجت كفايته ، واكتملت قدرته تصدر للتدريس

فكان معدوداً من جلة الأساتذة ، وامتاز الشيخ بنوع خاص في دراسة العلوم العربية ، فكانت له طريقة لم تكن معهودة في ذلك العصر ، إذ يعتمد إلى جوهر الموضوع فيبرزه في أبهى حلة ، ويحليه للطلاب غاية التجلية ، باحثاً في سره دون التعرض للضجة اللفظية ولغظ الكائنين .

وقد ظهر أثر هذه الطريقة في كتابه « حسن الصنيع » الذي ألّفه في المعاني والبيان والبديع ، وكتبه بأسلوب أدبي رقيق ، وجاوزت شهرته العلمية والادبية المحيط الأزهرى إلى أفق غير الأزهر فأستندت إليه « نظارة المعارف » ، تدريس علوم اللغة العربية بالمدرسة التجريبية « الخديوية » ..

واختاره الجالس على العرش « الخديو توفيق » ، إماماً لحضرته ومدرساً لأنجاله فقام بما عهد إليه خير قيام .

ثم أسند إليه مع عمله هذا تدريس اللغة العربية بمدرسة الإدارة التي سميت فيما بعد « مدرسة الحقوق » ، وكان من بين تلامذته التابهين في هذه المدرسة المرحوم « أحمد زكي » ، والمرحوم « أحمد شوقي » ، وكان يدرس علوم البلاغة لأمثال هؤلاء ثم عين الشيخ « البسيوني » مفتياً للبيعة السنية وظل في وظيفته هذه إلى أن جاور ربه في ليلة الخميس ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٣١٠ هـ الموافقة ٣ من نوفمبر سنة ١٨٩٢ م في عهد الخديو عباس الثاني رحمه الله تعالى .

شعره والعوامل المحيطة به :

في أثناء هذه الحقبة التي قضاها « البسيوني » ، في خدمة بيت الملك كان يقرض الشعر في مدح الخديوى كلما حل موسم أو أهل عيد ، أو بدت فرصة ، وقلما نظم الشعر في غير هذه الأغراض .

ولم يكن من الميسور له وهو من رجال الملك وخلصائه أن يتعرض في شعره إلى السياسة إلا بقدر يسير جداً ، كما لم يكن من المستطاع له وهو من رجال الدين أن يتحدث إلا قليلاً عن اللهو والخمر والفساء وما لا يتفق مع جلال الدين ووقار العلم ، لذلك جاء شعره محدود الغرض يدور في أفق ضيق ومدى قريب ، فلم نعرثر

له على شعر إلا في المدائح والتهاني وغيرها مما تنشره له الوقائع المصرية مما كان يرضيه لصاحب العرش .

وفيا وقفنا عليه قصيدة يهني بها الخديوي « توفيق » بعودته من الاسكندرية إلى العاصمة بعد إخفاق الثورة العرابية ووقوع الثوار في قبضته .

وفي هذه القصيدة يؤرخ العودة بسنة (١٢٩٩) هجرية ١٨٨٠ ويضفي على وليه حللا من الثناء ، ثم يعرض إلى الثوار فينال منهم ، ويسفه أحلامهم ، وإلى الثورة فيصف مآسها وشرها ، وأخيرا يكل أمر هؤلاء الخارجين على طاعة ولي الأمر في أسلوب جيد بالفتبة لعصره ، ويقول في مطلعها :

رجوعك يا توفيق مصر هناؤها	وشمس بها دائما وضياؤها
فأنت خديوبها ، وأنت مليكها	وأنت لها من كل سقم شفاؤها
وأنت لها حصن على رغم حسد	وأنت لها بدر وأنت سماؤها
وما هي إلا روضة وفكاهة	وما أنت إلا حسنها وازدهاؤها
وأنت لها إنسان عين حياتها	ولولا تلافها لحيف عناؤها
وما هي إلا جثة أنت روحها	وما أنت إلا مجدها وعلاؤها
وما مثلها إلا لملك ينمي	فيسمو بها بين الأنام اتجاؤها
لبعدك كم قاست لعمرى شدايدا	فأفضت إلى أن تستباح دماؤها
ولولا تلافها لأصبح نالفا	بقية أهلها وعز نماؤها
وأضحت لأرواح الرياح ملاعبا	وما طاب فيها للقيم هواؤها

ومنها :

على عصيته البهتان لا تأس إذ هو	بها في مهادى الموبقات افتراؤها
فقد خلعت ثوب النجاة مذ اكتست	ثياب الردى جهلا وبس اكتساؤها
وحيث أبت إلا هواها سفاهة	وساق لها الأخذ الويل شقاؤها
رأيت لها رأى الملوك فأصبحت	وقد ساءها إصباحها ومساؤها
فإن شئت فاصفع أو إذا شئت فاتقم	فإنك بقاها لو تشاء فناؤها

شوقي ثمرة البسيوني

حين تولى الشيخ البسيوني تدريس اللغة العربية بمدرسة الإدارة (الحقوق) كان من بين تلامذتها أحمد شوقي (بك) وأحمد زكي (باشا) كما قلنا فانتفعا بعله ، واغتنيا بثقافته ، وتفطن الأستاذ إلى الموهبة الشاب في نفس شوقي فأقبل عليها بالتوجيه ، ويحدثنا أحمد زكي باشا في حفل تأبين شوقي الذي أقامته وزارة المعارف في ديسمبر سنة ١٩٣٣ م بأن الشيخ البسيوني أستاذهما في فنون البلاغة وكان لا تخطئه النكتة البارة اللاذعة ، أو الساحرة الساخرة ، وما لبث أن رأى في تلميذه شوقي بواكير العبقرية ، وبوادر المواهب الربانية فأنشأ يعرض قصائده على تلميذه قبل أن يرسلها إلى المعية السنية ، وإلى جريدة الوقائع المصرية ، وغيرها من الصحف العربية ، وكان شوقي ببساطة التليذ الناشئ* يشير بمحو هذه الكلمة ، وتصحيح تلك القافية ، وحذف هذا البيت ، وتعديل ذيك الشطر ، والأستاذ يقتبط بقوله ، وينزل على رأيه .

ويقول أحمد زكي باشا : وأحسن ما أذكر لأستاذي البسيوني رحمه الله : أنه كان يتحدث بذلك إلينا وإلى الفرق المتقدمة علينا (وفيها أصحاب السعادة عثمان باشا مرتضى ، وأبو بكر يحيى باشا ، وعلى ثاقب باشا ، وشاكر بك أحمد) دون أن تأخذه العزة بالإثم ، وأن يغريه الكبرياء اللازم للدرس بإنكار الفضل الذي منحه الله للدارس . فلهذه أول سعادة أحرزها « شوقي » .

أجل هذه أول سعادة أحرزها ، فما من شك في أن إقبال الشيخ البسيوني على شوقي وتنزله معه إلى هذا الحد قد ملأ نفسه بشاعريته ، وإيمانا بموهبته ، وكان أول ما أخذ بيده إلى النهوض وشجعه على المضى في سبيل مجده صعدا ، فما شيء يدنى الأمل من نفس التليذ ، ويوطيء له أسباب المجد والسعادة ، مثلما تفعله رعاية أستاذه البار الكريم ، الطيب النفس ، النزيه المسالك ، الخبير بأسلوب الترية وطرق التشجيع .

على أن الأستاذ البسيوني تحدث بهذا النبوغ الباكر إلى صاحب العرش ، وأفهمه أن بين أثواب هذا الفتى الناشئ براعة نادرة وذكاء فذا ، وأنه خليف

هدى الاسلام فى اصلاح ذات البين

لفقيه الأئمة السبع المشاوي عبود الخولى

المدرس بمعهد القاهرة

كما تعرض للأجسام العطل والأسقام فتمس الحاجة إلى طبيب فاحص يشخص الداء ويصف العلاج الحاسم الذى يبحث جذور المرض ويستأصل شأفته . ويصرعه فى مهده قبل أن يزعج أثره ويشتد خطره . كذلك يفتاب الصلات والروابط الوهن والانحلال . وهذا هو المعول الهدام لبناء الأسر والجماعات الذى يقوض دعائمها ويأتى على صرحها من القواعد فيجعله أنقاضا . فهو أسرع فتكاد أقصى لجمعة من مرض الأجسام . لذا كانت الصلات المريضة أحق بالرعاية الفائقة والعلاج الناجع الذى يرسمه أطباء القلوب لإنقاذها من مخالب الفتنة . وصيانتها من نار

بالرعاية العالية ليكون زهرة يتضوع شذاها فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكانت هذه الشهادة من أكبر الأسباب التى حفزت الحديو « توفيق » فى سنة ١٨٨٧ م إلى إيفاد شوقى إلى باريس ليمدرسه العلية على نفقته الخاصة ، ولتغذى مواهبه بروائع الغرب وبداياته ، وقد تحققت به وفيه الآمال فكانت هذه ثانية السماعات .

ومن هنا نرى أن الأزهر ممثلا فى شخص الأستاذ البسيونى هو الذى كشف عن هذه القوة الكامنة فى نفس شوقى وهو الذى تهدى بشاعرية أحد أبنائه وفراسته إلى عبقرية أمير الشعراء فوجهها التوجيه الصالح ، وتعهدها حتى نمت وأزهرت ، وأنبتت نباتا حسنا وأثمرت ثمرا لا ينفى ولا يبدد ، وجميل حقا أن يتفطن شيخ أزهري لم ير مفاتن الغرب ، ولم يكتمل بمشاهدته وبجاليه ، إلى ما يجب لشوقى أن يطلع عليه من روائع باريس وحضارتها ، ومباهجها ومفاتيحها ، فيشير على ولى الأمر بإرساله إليها ليتسع أفقه ويخصب خياله ، ويمتلى ناظره بأسباب القول ودواعى الشعر

فلا عجب إذن أن يكون شوقى أمير الشعراء من أفق الأزهر ، وثمره من ثماره أو فكرة من أفكاره ؟

العداوة . وتطهير النفوس من الأحقاد المثيرة . والضغائن المدمية والقضاء على أسباب
الفرقة والانقسام . وغرس بذور المودة والوئام لترجع للأواصر قوتها وللأخوة توقفها .
ولما كان الإسلام هو دين البشرية الخالد والترياق الشافي من أمراضها
الاجتماعية فقد عني بإصلاح ذات البين عناية لم تظفر بها في تشريع ما . فسن لها قانونا
حازما لو أقيم على وجهه الصحيح لجعل من الناس كافة أمة واحدة متماسكة العرا
رفيعة الذرا . بل جسما واحدا تتعاون أعضاؤه في توفير قوته وهناءته :

كفّل الإسلام هذا الخلق القيم في مراحلہ المختلفة فتعده في الأسرة بين الزوجين .
وتعده في نزاع الأقارب . وأوصى به في الخصومة بين طائفتين من المؤمنين .
وحث عليه عند الشقاق وبين جماعتين من الناس مطلقا أيا كان شعارهم الديني .
الصلح في الأسرة : وجه الإسلام اهتماما بالغاً إلى إصلاح ذات البين في الأسرة
لأنها لبنة في بناء الأمة . فإلا الأمة إلا مجموعة من الأسر فإذا كانت متماسكة
متناصرة استمدت الأمة من ذلك بأسها وسلطانها وهيبتها في نفوس أعدائها
وإن كانت متنازعة متخاذلة ترامت هذه الأشباح في مرآتها فبدت تلك الأمة هزيلة
خائفة ذهبت ريحها وانكمش سلطانها وهان أمرها على أقرانها وعندئذ تخط قبرها
بيدها . وتقذف بنفسها في هاوية الذل والدمار . ولذا أمر الإسلام بالإصلاح
بين الزوجين ووضع لذلك خطة رشيدة لو استوى المصلحون على صراطها لظفروا
بالتوفيق في مهمتهم لحسموا مادة النزاع وأعادوا للحياة الزوجية صفاءها وبهجتها .
قال جلّت حكمته (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها
إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خيرا) .

أرأيت أسرع في تحقيق هذه الغاية السامية من الوصية يجعل الصلح بين الزوجين
من طريق الحكّمين من أرقارهما ؟

إنما كان مباشرة الأقارب له أتم وأكمل لأنهم أعرف بخبايا الأمور .
وأحرص على إزالة الشحناء . وللزوجين ثقة بهم . وإذا وجدت الثقة انفتح باب
الآمل في الوئام والوفاق أضف إلى ذلك أن الله تعالى ملا قلب الحكّمين مراقبة له
وخشية منه فين لها أنه إن صلحت نيتهما بإرادة الخير تبع ذلك حتما التوفيق
بين الزوجين . وإن لم يتم التوفيق كان هذا أمارة على عدم إخلاص الحكّمين
في مهمتهما وخبت طويتهما وخيانتهم للأمانة التي في أعناقهما .

فهل سمع الناس بمثل هذا في إذكاء روح الحماس عند المصلحين وحفزهم إلى التفاني في القيام بواجبهم ؟

الصلح بين المؤمنين : قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تنق إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنين إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)

وكما حضر الإسلام أقارب الزوجين على الصلح بينهما أشعر المؤمنين عامة أنهم بعد أن استظلوا بلواء الإسلام قد أصبحوا بنعمة الله إخوانا . وأن بينهم من الروابط ما يفوق قرابة النسب قوة وإحكاما . فأهاب بهم إذا وقع نزاع بين طائفتين من المؤمنين أن يبادروا إلى الصلح بينهما . فإن أسرفت إحداهما في الخصومة والعدوان فعليها أن تقانلها حتى ترجع إلى صوابها وتسكن إلى ما أمر الله به من الصلح وإخفاء زعة الفساد وبعد ذلك فصلح بينهما بالتقسط المستقيم لا يدفعنا حب طائفة إلى محاباتها ولا يحملنا شأنها على ظلمها . وبذا نظفر بما وعد الله به المقسطين من عزة وأجر جزيل . وتشريف ومقام كريم . ورحمة سابعة وفضل عظيم . وما نال المصلحون هذا كله إلا لأنهم بذلوا جهدهم في إطفاء نار العداوة بين المتخاصمين وإقامة صلح كان بردا وسلاما على قلوبهم . فرحمهم من فتنة تسرى في الصلوات سرعان النار في المشيم . لهذا كان المقسطون جديرين بحزاء من جنس عملهم قال عليه الصلاة والسلام (ولأنما يرحم الله من عباده الرحماء)

الصلح بين الناس مطلقا : قال الله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما) .

لما كان الإسلام رحمة مهداة إلى البشر جميعا لا فرق في ذلك بين من انضوى تحت لوائه ، ومن حرم شرف الانسحاب إليه حت اتباعه عل أن ينهضوا للإصلاح عند النزاع بين جماعتين من الناس أيا كان لونهم الديني إنقاداً للإنسانية ، وحرصاً على إسعادها ونهاتها . ولا يقع هذا الصنيع من الله موقع القبول إذا كان الباعث عليه طلب السمعة الزائفة والرياء الأنيم فيلزم أن يكون احتساباً لوجه الله الكريم

وتوسلا إلى رحمته بالإحسان في طاعته حيث قال عظمت منتته ، وإن رحمة الله قريب من المحسنين .

وهذا النوع من الصلح ، رفع الله به قدر المسلمين وأعلى شأنهم ، إذ يمكن لهم في الأرض وشرقهم بالخلافة عنه والولاية على عبادته جميعاً ينشرون بينهم السلام الدائم والصفاء الشامل فتمت عليهم كلمة ربك الحسنی بما أصلحوا وأنجز لهم وعده الكريم الوارد في قوله : ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . لم يقف أمر الإسلام في علاج النزاع عند هذا الحد ، بل سلك أساليب أخرى تسرع بتطهير النفوس من أدرانها ، ونجمل ذلك فيما يأتي :

(١) وجه المسلمين إلى عناية بعضهم ببعض وبين لهم أن الاشتغال بالصلح أحمد عاقبة عند الله ، وأجزل ثواباً من الصيام والصلاة والصدقة ، وذلك لأن الإصلاح حماية للعداوة والاختلاق من أن تلتهمها نار العداوة والشقاق . روى أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله . قال : إصلاح ذات البين . وفساد ذات البين الخالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) .

(٢) حرم الكذب في جميع الحالات وأباحه للقائم بالإصلاح وجعله مثاباً على صنعه لأنه قصد جمع القلوب . ووصل ما أمر الله به أن يوصل . روى البخاري وأبو داود عن أم كلثوم بنت عتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمي خيراً) .

(٣) ذم الفاجر في خصومته وجعل ذلك آية النفاق ، وأخبر بأن المسرف في الخصومة المكثر منها أكثر الناس تعرضاً لمقته الله وسخطه . روى الشيخان والنسائي عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أيفض الرجال إلى الله الأله^(١) الخصم^(٢)) .

(٤) مدح العفو عن المسيء ونفضل تعالى بإيجاب حق عليه للعافي يقدمه إليه يوم الجزاء على رموس الأشهاد تكريماً له وتشريفاً . فقد روى أن النبي عليه

(١) الأله : شديد الخصومة . (٢) الخصومة : كثير الخصومة .

الصلاة والسلام قال : (إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله من كان له حق على الله فليقم فلا يقوم إلا إنسان عفا) .

وأورع من هذا ما أرشد إليه الدين من مقابلة الإساءة بالإحسان كي يتحول الغيف في خصومته إلى وفي لصداقته ، لدفع بالتي هي أحسن السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . . هذا ولم يقتصر منهج الإسلام في موضوع النزاع على علاجه ، بل لجأ أيضاً إلى الوقاية منه ، فحرم اقتراف الأسباب التي يترتب عليها منعاً لوقوعه وسموا بالعلاقات من أن يدنو منها شبهة البغيض وإليك الأمثلة :

أولاً : بالغ الرسول عليه الصلاة والسلام في الوصية بترك الغضب ، وحكم بأن خير الرجال من كان بطنه الغضب سريع الرضا . وشر الرجال من كان سريع الغضب بطيء الرضا .

ثانياً : حرم ظلم الإنسان لغيره لأنه لا شيء يثير الحفاظ ويبيث الحزازات كاتقصا الحقوق والاعتداء على الحريات .

ثالثاً : حذر من النعمة ولو كان ما يقال صدقا وأخبر بأن أبواب الجنة موصدة في وجه النمام ، ونهى عن الاستماع إلى الوشاية خيفة أن تعكر سماء المودة . روى عن الرسول الحكيم صلوات الله وسلامه عليه أنه قال (لا يلفني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) إلى غير ذلك من الوصايا الحازمة والتوجيهات الرائعة .

أيها المسلمون : هذه تعاليم دينكم الذي تنسبون إليه ، ولكن يحز في نفس وفي نفس كل غيور أنى أجد المسلمين قد أغفلوا إصلاح ذات بينهم ، فباءوا فقط بإثم التفريط ولكنى أجد بعضهم مشعلا لجنوة الفتنة يجمع لها حطبها ، ويؤجج نارها ، ويسره أن تقطع الأوصال وتمزق العلاقات .

حسب هؤلاء أن يذكروا قول رب العزة (ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطرهم قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم) اللهم إنا نسألك للمسلمين عامة فقها في دينك واعتصاما بحبلك واستمسكا بهدى نبيك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم ؟

بَابُ الْأَسْئَلَةِ وَالْفَتَاوَى

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر الاستفتاء الآتي : —

تحدث عدد من نظار القبائل السودانية في مؤتمر صحفي عقد بالخرطوم حديثاً نشرته جريدة الأهرام بتاريخ ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥١ مرفقاً بهذا الطلب .

وأنى أرجو أن تسكرموا فتقرروا مشكورين حكم الدين الخفيف في هؤلاء
النظار الذين أعلنوا تعاونهم مع غير المسلمين
توفيق أحمد البكري
بالجامعة العربية

الجواب :

الحمد لله رب العالمين : والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال وعلى ما ورد في جريدة الأهرام مما أشير إليه في السؤال . ونفيد بما يأتي :

قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وقال تعالى « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربكم » ، وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ، وقال تعالى ، لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم . »

أوجب الله بهذه الآيات وغيرها من القرآن الكريم على المؤمنين أن يعتصموا بحبله المتين ، وأن يتحدوا فيما بينهم على حفظ دينهم وتركيز سلطانه وإقرار كلمته ، ونهاهم عن الاختلاف والتفرق وحذرهم عاقبة ذلك من الفشل ، وذهاب الريح وتلاشي السلطان .

ولما كانت موالاته بعض المؤمنين لأعداء الدين وتعاونهم معهم سبيلاً للتفرق وخروجاً على وحدة المسلمين وسبباً للفتنة غنى القرآن في غير آية بنهى المؤمنين عن اتخاذهم أولياء من الكافرين يلقون إليهم بالموعدة ويعملون معهم على ما يمكنهم من تحقيق أغراضهم في التسلط على المسلمين وإضعاف شوكتهم في بلادهم ، وقرر أن هذا الصنيع خيانة لله وللرسول ، وخيانة للأمانات التي ناط الله رعايتها بالمؤمنين

وأنه لا يمكن أن يوجد مع الإيمان بالله واليوم الآخر ، وأن دعوى الإيمان بمن يخرج على أمته ويعاون من حاد الله ورسوله دعوى كاذبة لا قيمة لها عند الله ولا وزن لها عند جماعة المؤمنين .

هذا ما تدل عليه هذه الآيات الواضحة ، ولا ريب أن دعوة بعض المسلمين إلى التعاون مع غير المسلمين الذين يعادونهم ويحتلون بلادهم ظلما وعدونا واستنادا إلى ما لهم من قوة غاشمة خيانة ومحادة لله والرسول ، وخيانة للأمانات التي أوجب الله رعايتها على المؤمنين ، وخروج على الوحدة الإسلامية وتمكين للعدو من التسلط على المسلمين وسلب حريتهم وزلزلة سلطانتهم ، وقضاء على دينهم وقوميتهم ، وكل ذلك من مظاهر الكفر التي لا تصدق معها دعوى الإيمان .

وقد صرح القرآن بأن أمثال هؤلاء الذين يخرجون على أمته لا ينجيهم من الوعيد الشديد ما يدعونه من أنهم يتحامون بذلك شرا قد ينزل بهم ، أو يتوخون مصلحة تصل إليهم ، وقرر أن ذلك ليس إلا اتحالا لأعداء موهومة ، وركونا إلى شبهة باطلة يزيناها ضعف الإيمان وابتغاء عرض الحياة الدنيا ويقول في شأنهم - بعد النهي عن اتخاذ الأعداء أولياء وبعد تقرير أن من يتولاهم ملحق بهم ومعدود منهم - يقول « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين » . هذا هو حكم هؤلاء المسئول عنهم عند الله وفي نظر الدين : وترى اللجنة أن الدين يوجب على المسلمين أن يكافوا هذا الصنف من الناس الذين منيت به الشعوب الإسلامية فزعزع سلطانتها ، وأطمع الأعداء فيها ، فأخذوا ينتقصون أرضهم من أطرافها ويدخلون عليهم من كل باب حتى صارت بلاد المسلمين طعمة للأكلين وغرضا للمستعمرين .

ولو أن المسلمين تنبهوا إلى هذا الواجب وكافوا هذا الوباء الاجتماعي الذي نبت فيما بينهم وطهروا بلادهم من جرائمه واحتفظوا بعزتهم وسلطانتهم وتمتعوا بحريتهم وسيادتهم ولكان لهم ذلك المجد الذي تقلص عنهم بموقف أمثال هؤلاء الخونة الآثمين « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، والسلام على من اتبع الهدى ؟

كيف ندرس الأدب^(١)

لمؤلفه الأستاذ الشيخ أحمد محمد صفر

خريج كلية اللغة العربية

للأزهر في قديمه وحديثه طابع يمتاز به في درسه بما يعطى من حرية المناقشة لطلابه . فللطالب أن يناقش الأستاذ في كل ما يقول . وعلى الأستاذ أن يتقبل ملاحظات تلميذه بصدر رحب . ولكن لا أدري : أمن طوابع الأزهر ألا يعالج طلابه مشاكل الآداب والعلوم بأقلامهم على صفحات المجلات العلمية أم أن لهم الحرية في الكتابة والنشر دون تعرض لسنخ أو انتقام ؟

أعتقد أن للطالب الحق في علاج المشاكل العلمية والأدبية كتابة ومحاضرة ومناقشة سواء أكان كل ذلك في قاعة الدرس أم خارجها . وسواء أكان في محبته أم في محيط آخر . لأنه مشغول عن كل ما يصدر عنه فلا حرج عليه إذا كتب معبرا عن رأى يحتاج نفسه أو معالجا لمشكلة يراها تتصل به . ولكن يظهر لى أن الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان يرى غير ذلك فهو يقول في كلمة نشرها على صفحات مجلة الأزهر ردا على مقالى السابق : « إني أعتب عليك - يا ولدى الأستاذ أحمد محمد صقر - عتباري فبقا أبويا لأنك تخطيت أساتذتك مدرسى الأدب في كليتك الكريمة . . . مع أنى لم أكتب عن طريقة دراسة الأدب في كلية اللغة العربية وحدها بل كنت أتحدث حديثا عاما لأن الشكوى عامة من جميع طلاب الأدب في مختلف معاهده . فليس في ذلك تخطئ لأساتذتى ولا تجن على الحقيقة فدراسة الأدب في حاجة قصوى إلى تنظيم بل في حاجة إلى انقلاب شامل .

ولم يقف فضيلة الأستاذ عند هذا الحد بل حرص مجلة الأزهر على إغلاق بابها في وجه مقالاتى واتهمها بمجاملتى حين كتبت في أول مقالى . هذا رأى

(١) بهذا العنوان « كيف ندرس الأدب » نشرت مجلة الأزهر مقالين أحدهما لى في عدد ربيع الأول سنة ١٣٧٠هـ والثانى للأستاذ عبد الجواد رمضان في عدد جمادى الأول سنة ١٣٧٠ . فليرجع إليهما

في دراسة الأدب للكاتب ، وحين ختمته بقولها : نشرنا هذا المقال لحضرة كاتبه الفاضل لما رأينا فيه من وجوه تقدر قدرها . .

ولكن المجلة لم تستجب له عاملة بحمها في حرية النشر مفسحة صدرها لأبناء الأزهر الذين يعملون على رفعته إذ هي لسانهم وميدان تباريهم . فشكر الله لها وزادها رفعة . أما أن فضيلته : من أقدم مدرسي الأدب في كلية اللغة العربية ، وأنا : أحد طلابها ، كما يقول فليس في ذلك ما يحول بيني وبين خدمة العلم الذي وقفت شباني عليه وليس أمام الحق إلا باحث عنه سواء أكان أحد الطلاب أم أقدم المدرسين .

ويبرر فضيلته مسلكه بقوله : « إنه يحتم على الكلام واجب العمل الذي أكل به خبزي . . وأنا أربأ بفضيلته أن يكون في هذا الوضع لأن أكل الخبز لا يحرك فلم كاتب حر يتوخى الحقيقة ويطلب الإنصاف ، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ، وليس أكل الخبز أمل العلماء في الحياة . بل إن نصرة الحق وكشف اللثام عن الصواب أدعى للكتابة وأقوى تحريكا عليها . وأؤكد لفضيلة الأستاذ أن الذي دعاني للتعقيب على ما كتب حب للإصلاح لا طمع في أكل خبز . لأن الخبز لا يؤكد مؤثما بدماء الحقيقة .

والذي بعثني على فتح هذا الباب ما أراه في طرق دراسة الأدب من نقص ظاهر ، وما أحسه عند طلاب الأدب من سأم وكلال على أن الأدب من الفنون الجميلة التي تسترعى الانتباه ، وتدعو إلى الاستزادة . وكنت أحسب أن الأستاذ عبد الجواد قصد بمقاله وجه الحق ، ولكنني رأيته لا يرد على الفكرة بالفكرة ، بل يعتمد إلى نوع من التهمك والسخرية ملأ به تلك مقاله ، ولست أبيع لنفسي أن أساجل فضيلته في هذا النوع لإجلاله واحتراماً لأستاذيته . وملا تلك الثاني بإرشادات ونصائح ضمنها تنفاً أدبية أعلن بها عن قدرته التي لا تنكر ، وسأعود إليها في مقال آخر - إن شاء الله - أما تلك الثالث فقد عاب فيه مقال من الناحية اللفظية وهو الذي يعني الآن .

يقول الأستاذ : « إن أول شرط في هجائية النقد الأدبي الذي حبرت مقالك فيما سلامة الأسلوب وقوته . . . ولا أكتمك أنه قد جرح شعوري (المهدي)

ما يشيع في أسلوبك من تخاذل وتفكك واضطراب . وهنا أسأل فضيلته أن يبين معنى ، الأسلوب ، ومعنى ، التخاذل . . . والتفكك . . . والاضطراب . . . وإذا كان فضيلته يرى أن هذه مهمة معلم الإنشاء لا مدرس الأدب ، فأنا أرى أن أول واجبات مدرس الأدب أن يحدد معاني الاصطلاحات التي تدور على ألسنة النقاد فإنك تجد كثيراً من الكتب النقدية حينها تمدح بيت الشعر تقول : « وهذا البيت كثير الماء حسن الرونق » . وحينها تعيبه تقول : « وهذا البيت غث بارد مستكره » . عبارات معينة لا تتغير ولا تدل بوضوح على المقصود .

وإذا جاز لأصحاب هذه الكتب أن يهتموا في عباراتهم فإنه لا يجوز لنا في عصر الوضوح أن نلجأ إلى الإبهام . فإذا يقصد الأستاذ من « الأسلوب » - وهو أستاذ الأدب ، ورب القلم ، وصاحب المذكرات التي نرجوا أن تتاح لنا فرصة تقديمها فيما بعد - ؟ إن تمثله يد على مراده فقد مثل لتخاذل الأسلوب وتفككه واضطرابه بألفاظ مفردة صحيحة لغة وذوقاً ، ولكنه يعيب على اختيارى لها وتركى ألفاظاً أحسن منها . فهل معنى ذلك أن فضيلته يسمى اللفظ المفرد أسلوباً ، وعلى هذا يكون هذا اللفظ متخاذلاً مفككاً مضطرباً ؟ إن أراد الأستاذ ذلك فإنه عجب . . وأنا لا أعلم أن اللفظ يسمى أسلوباً ، إذ أن الأسلوب هو نظم الكلام ونسق التركيبات ، ولا يسمى اللفظ المفرد متخاذلاً . . ولا مفككاً مضطرباً . ولم يمثل فضيلته للأسلوب بغير تلك الألفاظ . قال فضيلته - أمد الله في عمره - ليرهن على فساد الأسلوب ، وتخاذله وتفككه واضطرابه : « فالناقد الأدب - يا بني - لا يقول - مساغاً - كما قلت . وإنما يتهدى بالأسلوب القرآني : « وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائح شرابه وهذا ملح أجاج » .

وأقول لفضيلته : إن الذوق الرفيف يحتم استعمال كلمته « مساغاً » اقتداء بالقرآن الكريم حيث يقول : « يتجرعه ولا يكاد يسيغه » ، فإن « يسيغ » مضارع « أساغ » ، الرباعي والمفعول منه « مساغ » ، وفي الإساءة معنى العسر والمشقة وهو مقصودى حين قلت : ولم يعد مساغاً ذلك الشيوخ في الفكرة . . أما سائح فهو وصف من ساغ الشيء إذا ارتاحت إليه النفس وليس ذلك ما أقصده . وإذا كان الذوق يهdy إلى ترجيح استعمال « مساغاً » واللغة لا تمنع مع وجود اقتداء بالقرآن فن أين يأتي العيب وفساد « الأسلوب » الذي هو اللفظ كما يرى الأستاذ ؟

ربيع آخر سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

مجلة الأزهر

تصَدُرُ شَهْرِيًّا عَنْ مَشِيخَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

احتفال بالآزهر

بذكرى المولد النبوى الشريف

أقامت مشيخة الأزهر في عصر يوم الثلاثاء ١٢ من ربيع الأول ١٣٧١ الموافق ١١ من ديسمبر سنة ١٩٥١ بالرواق القبائى بالجامع الأزهر حفلاً رائعاً لذكرى مولد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم أمه كثير من زجالات الأزهر وعلية القوم . وقد تبارى فيه الخطباء والشعراء وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر فالتى كلمة بليغة جامعة فتشرها فيما يلى :

كلما جاءت ذكرى مولد محمد صلى الله عليه وسلم يتذكر المسلمون تلك الحوادث العظيمة التى كان لها الأثر الكبير فى ظهور الإسلام وانتشاره فى المشرق والمغرب وفى تكوين الدولة الإسلامية التى اتسعت أطرافها وتعددت أقطارها .

ولا ينسى المسلمون تلك الحوادث وإن طال الزمان وتتابعت الأحقاب لأن حاضرم وما هم فيه من نعمة وهداية متصل بتلك الحوادث لأنه أثرها الخالد ونتيجتها الباقية على مر الأيام وكر الدهور .

ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً فقيراً ، ولما كبر كان أحسن الناس خلقاً وأكرمهم عشرة ، فصدق وأمانة وكرم وشجاعة وحلم ووفاء ولين عريكة وحسن معاشرة ونفور مما كان يفعله أترابه ويحبه أقرانه من اللهو واللعب وبعد عن النقائص فما شرب خمرأ ولا أكل ما ذبح على النصب ولا حضر احتفالاً بصنم ولا عيداً لوثن ، وبالجمله فقد تحلى بالفضائل والأخلاق الحميدة وقد كان لهذه الأخلاق أثر فى قبول رسالته وتصديق دعوته ، فإن بعض عارفيه لم يحتاجوا فى قبول الدعوة إلى دليل يذكر ولا حجة تقام .

وقد اختاره رب العالمين ، لحمل أماته . وتبليغ رسالته ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ويضع أماته ، ولما دعى الناس إلى الدين الحق وترك ما هم عليه من شرك وضلال آمن نفر قليل وكذبه مترفو قومه ، وأرباب الجاه والثروة وقالوا .

(إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وخافوا أن يكثُر أعوانه وأتباعه فبالغوا في إيذائه صلى الله عليه وسلم وإيذاء من اتبعه ، فكان عليه السلام يلتمس الأعوان والأنصار للقيام معه على أعدائه لنصرة دين الله وإعلاء كلمته ، ولإقلاق من المصاعب والمشاق ما لا يحتمله إلا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد هاجر إلى الطائف وبها بطون ثقيف وعمد إلى أشرافهم وذوى الرياسة فيهم ، وهم أخوة ثلاثة ، عبد ياليل . ومسعود . وحبيب . أبناء عمرو بن عمير الثقفيون ، لجلس إليهم ودعاهم إلى الإيمان بالله والدين الحق ، وكلهم فيما جاء به من نصرة الإسلام ومعاونته على من خالفهم من قومه فردوا عليه رداً قبيحاً . فبئس منهم وعاد عنهم ، فأغروا به سفاهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به . حتى اجتمع عليه الناس . وألجأوه إلى حائط لعبة وشيبة ابني ربيعة ورجع عنه من كان يتبعه من السفهاء ، فلما اطمأن قال : اللهم إليك أشكو ضعف قوتي . وقلة حيلتي . وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين . أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني . إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل على سخطك لك العتي حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك .

ولما عاد عليه السلام إلى مكة . أرسل إلى مطعم بن عدي أنه يريد دخول مكة في جواره فقبل . وتسلح هو وأهله . وتوجه إلى المسجد . فرآه أبو جهل فقال له : أبحير أم متابع فقال بحير . فقال أجرتنا من أجرت ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل المسجد فطاف بالبيت ، وصلى عنده وانصرف إلى منزله وفي ذلك يقول حسان بن ثابت في رثاء مطعم .

أجرت رسول الله منهم فأصبحوا عبيدك مالبي مهمل وأحرما
وهذه الحادثة تصور لك بعض المصاعب والمشاق التي لاقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصبر الجميل والرضى التام بما كان يقاسيه عليه السلام في سبيل تبليغ رسالته .

وأخيراً من الله على رسوله بما يريده ، وقبض له ما ينتغيه . وأنعم على خزرج

يثرب بالإسلام ووفقههم للدخول في الدين ، فبايعوه على القيام معه ومنعه مما يمنعون منه نساهم وأبناءهم ، فأمر المسلمون بمكة بالهجرة ، وهاجر إلى المدينة فتضامت صفوف الأنصار والمهاجرين ، وتأخوا في مساعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإظهار الدين وانتشاره ، وحاربوا مع رسول الله أعداءه أعداء الدين فكانوا نواة دولة إسلامية كانت أقوى دولة بين الدول . وأعد لها وأرحمها ، وظل عليه السلام مثابراً على الدعوة والناس يدخلون في دين الله زرافات ووحدانا حتى أكمل الله الدين ، وأتم نعمته على المسلمين فكان هذا الدين ، أقوى دين وأحكم نظام ، غير أحوالهم وبدل أوضاعهم ، هداهم إلى الحق بعد الضلال ، فأثقفوا بعد اختلاف واجتمعوا بعد تفريق .

وقرر هذا الدين المساواة بين الأفراد في الحقوق ، قال تعالى : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وقال عليه السلام : يا أيها الناس كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، فألقى بذلك الفوارق الجنسية والقبلية وغير ذلك من مظاهر الحياة . فلا فضل للجنس على جنس ، ولا لقبيلة على أخرى ولا لفرد على فرد بنسب ولا حسب وحولم إلى الأعمال الصالحة ، والتي تنفعهم في الدنيا ويجعل لهم الفضل عند الله ، والكرامة لديه . وبذلك جعل الأعمال الصالحة ميدان التسابق في القرب منه تعالى ، وهذه الأعمال مقدرة للأفراد وتقع باختيارهم وبذلك يشعر الأفراد الذين لم يكن لهم حظ من نسب ولا نصيب من جاه بسمو النفس والكرامة ، ويتقارب الجميع ويدنو بعضهم من بعض وتنتشر المحبة والالفة .

ووجه هذا الدين الأمة إلى ما يعلى قدرها ، ويرفع شأنها بين الأمم . طالب الأمة بأعداد ما تقدر عليه من قوة . وباتخاذ ما تستطيعه من عتاد ، وطالبها بجهاد الأعداء ، الذين يحاولون لها كيدا ، ويريدون بها شراً ونوءه بفضل الجهاد وعظيم ثوابه ، وجزيل ما يلقاه المجاهد من النعيم المقيم ، والرضوان العظيم ، قال تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وقال عليه السلام : لعدوة في سبيل الله أو روحه خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تجعل الأمة تجود بالنفس وتسخر بالمال ابتغاء العزة والكرامة والدرجة السامية . والمرتبة العظيمة ، وحرصاً على ما أعدّه الله للمجاهدين من ثواب في الآخرة .

وقد سارت الأمة على هذا الهدى وعلى هذه المبادئ القيمة ، فخاربت الأعداء بشجاعة وبسالة نادرتين ، وجادت بالمال في سبيل الله وقد أثنى الله تعالى على بعض من المؤمنين ، نذروا إذا لقوا حرباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا ويقاتلوا حتى يستشهدوا ، فقال تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلاً .

وهذا محارب على فرسه ويده تمرات يأكل منها ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض القوم على القتال ويقول لهم ، سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض فقال المجاهد ، ما بيني وبينها يا رسول الله فقال له : أن تقتل في سبيل الله فرمى بالتمرّات وقال . إن أكملت هذه التمرّات فإنها حياة طويلة ودفع فرسه وقاتل حتى قتل . ويقول أحدهم .

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان في الله مصرعى

نسأل الله تعالى ، أن يقوى الإيمان في نفوس المسلمين ، ليعملوا مثل سلفهم الصالح ، وأن يؤلف بينهم ويجمع كلمتهم ويرفع شأنهم ، كما نسأله جلّت قدرته ، بمناسبة هذه الذكرى العظيمة أن يحفظ حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان وأن يقيه ذخراً للبلاد والمسلمين ، وأن ينيل شعب وادى النيل مصره وسودانه ما يصبو اليه من عزة ، وما يبتغيه من سؤدد في عهده السعيد وأن يوفق رجال حكومته لتحقيق ما بدأوه لخير البلاد .

النفس

البقرة

لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ همام محمد عيسى
رئيس الفتيش وعضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم :

يقول الله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » .
استئناف جعل أساس الجملة فيه اسم الإشارة دون أى نوع آخر من الأسماء .
ولأنما سلك هذا المسلك ليعبر به للذهن موضع تلك الأوصاف ، وهى التمكن من
الهدى مع صفة الإفلاح حتى إذا أجرى الوصف عليهم أجرى عليهم وهم فى حلية
من عقائدهم وأعمالهم ، وحلّل من صالحاتهم وحسناتهم ، فى حلّ وحلّ من إيمان
بالغيب ، وإقام للصلاة ، وإنفاق بما رزقوا ، وإيمان برسول الله وما أنزل عليه
من أحكام وإرشادات ، وإيمان بمن قبله من الرسل ، وما أنزل عليهم من كتب
وشرائع ، إذ فى ذلك تصوير وتنبية إلى مناط استحقاقهم لتلك العاقبة ، عاقبة التمكن
من الهدى وعاقبة الفلاح جزاء لهم حسناً ، وعلى العموم فالاستئناف على ذلك الوجه
إنما هو جواب سؤال نشأ من تعديد كريم الأوصاف والعقائد التى وصفوا بها
ما يدفع السائل أن يسأل إذا كانوا على هذا الجانب من صلاح فى عقائدهم ،
رصلاح فى أعمالهم ، فما هو المدخر لهم من جزاء ؟ وما هو ما سيصلون إليه
من حسن العواقب ؟ فكان الجواب أنهم قد صاروا من الهدى فى سنامه ،
فتمكنوا منه أى تمكن ، وذلك هو المعنى المفاد بالتعبير بعلّى هدى بدل التعبير
بأداة أخرى من أدوات الربط ، تلك الأداة التى قد صورتهم فى حال هى أتم
الأحوال فى الانتفاع بالهدى .

ولأنما نكسر الهدى فقال : « على هدى من ربهم » ، لإيداناً بأن ذلك الهدى
الذى هم عليه هدى بلغ فى كفايته وجميل آثاره أن يتجاوز حد العهد فلا يجاء معه
(بال) التى تجعله معهوداً ومحدوداً . بل أطلق منكرأ حتى لا تحده حدود ،
ولا تحيط به حوائط . ثم زاد فى بلاغة آثاره ببيان مصدره وبدايته فقال من ربهم

التعبير الذى يملأ النفوس ثقة بآثار ذلك الهدى ما دام من الله تعالى ، فهو الهدى الذى لا يحيد فيه المهتدى به عن الجادة ، وهو الهدى الذى لا يتعرج معه الطريق بمن سايه ، وزاد فى الثقة به أنه عبر بلفظ الرب ، وفى التعبير بالرب إشعار برحلة الهادى والعناية بمن يمنحهم ذلك الهدى .

ألا فلتعد فى بهجة وتقدير مرة ثانية قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم ، لتتلى نفسك إعجاباً ، ولتلهب شعورك تقديرآ ، ولتثير فى قلبك نواحي الإعجاز فى ذلك الكتاب المبين . هذه أول فائدة لما اعتقه المتقون من عقائد صحيحة ، وما أتوه من أعمال صالحة ، أما ثانية الفوائد لذلك ، وهى مع الأولى فى ترتيب طبيعى تلك التى عبر عنها بقوله ، وأولئك هم المفلحون ، وأنه ليشير إعجابك إن لم يكتف بذكر اسم الإشارة مع النتيجة الأولى ، بل كررها مع الثانية ، حتى يكون الاتصال بين الوصف والموصوف فى الثانية كما هو فى الأولى ، فكما أجرى عليهم وصف هو عاقبة أو جزاء صورهم للذهن بالإشارة إليهم ليرزهم فى حلهم وحلهم بما صاغوه ونسجوه من عقائدهم وأعمالهم .

وإلى تلك الفاصلة تمت آيات تحديد المتقين وأوصافهم ، وما لهم من جزاء وما لهم من عاقبة ، وبجمل ذلك إن هذا الكتاب المعهود ببلاغته المعجزة ، وحكمته الصادقة ، وإشراقه الواسع المديد ، إنما هو هدى ونور للذين بعثتهم فطرم إلى النظر فيما سطرته يد القدرة فى الآفاق وفى الأنفس من بين الآيات . وواضح البراهين على عظمة خالقهم القدير ، والمبدع الحكيم لتلك الكائنات ، فأمنوا به وقدروه حق قدره ، فكان عن إيمانهم الصادق ، ويقينهم الذى ملأ نفوسهم نوراً ، وقلوبهم ثقة كان عند ذلك أن عبدوه ، وخشعوا له وعظموه ، وسارعوا إلى كل عمل يرضيه فأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقهم الله ، وآمنوا برسوله وما جاء به من شرائع ، وآمنوا بمن قبله من الرسل وما أنزل عليهم من ربهم .

هؤلاء الذين صدق إيمانهم ، واستنارت بالإيمان قلوبهم ووثقوا بيوم الحساب العادل والجزاء الحق . هؤلاء إنما عاقبتهم تمسكن من الهدى ، وسير بنوره على الجادة إلى ساحة الفلاح والفوز بحسن الجزاء وما جزاء الإحسان من الله إلا الإحسان . يقول الله تعالى : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، لما انتهى بيان شأن الكتاب وأثره فى الهداية والارشاد ، وتصوير

حال المتقين الذين اهتموا به وما اكتسبوه بالهداية من أوصاف سامية ، وما كان لهم على ذلك من خير العاقبة وحسن الجزاء — لما انتهى بيان ذلك شرع في بيان حال الكافرين ، وما حاطهم من سوء الحال وقبيح الأوصاف .

ولأنه ليبهرك ويملا نفسك إعجاباً بما تراه من استئناف الحديث عن الكافرين بترك العاطف ، ومن قطع الصلة بينه وبين الحديث عن المؤمنين ، وما للكتاب فيهم من حسن الأثر ، وما تراه من المغايرة بين الأسلوبين إذ جعل موضوع الحديث في الطائفة الأولى من الآيات هو الكتاب وما له من جميل الآثار في نفوس المتقين ، وما كان عن ذلك من حسن العاقبة والجزاء . وجعل موضوع الحديث في الطائفة الثانية من الآيات هم الكافرين مع أن الكافرين بالقياس إلى الواقع على التقيض من المتقين في أن هؤلاء لم يؤثر فيهم الكتاب ، فكان عن ذلك ما لبسوه من ذميم الصفات وسوء العواقب أما الاستئناف وترك العاطف فللبعد بالكتاب عن أن يكون له وصف عدم التأثير فيمن يخاطب به هداية وإرشاداً ، لأنه لو عطف الكافرون على المتقين لاقتضى ذلك المقابلة في الآثار للمقابلة في الأوصاف ، وذلك ما يرفع بالكتاب عنه ، هذا ومن ناحية ثانية فللمبالغة في تخبيب الكتاب ذلك الوصف جاء التباين في الأسلوب فعبر عن المتقين بالاسم الذي يقتضى ثبوت الوصف للذات ودوامه إذ قال هدى للمتقين ، وعبر عن الكفار بالفعل الذي يقتضى حدوثاً وتجدداً : وكما ترى فإن هذه المغايرة باعدت بين الكافرين والكتاب إذ الأسلوب يقتضى تصويرهم في الأذهان بأوصافهم دون تعرض للعلاقة بينهم وبين الكتاب ليكون ذلك مفيداً في قوة أن المانع من تأثير الكتاب فيهم هداية ورشاداً إنما هو من جانبيهم لما لبسوه من ذميم الصفات ، ولما غرقوا فيه من غفلة وبعد عن الاعتبار والتدبر لآيات الله .

هذا وهناك نكتة أخرى لاختلاف التعبير ، وأن عُبِّرَ بصيغة الاسم عن المتقين وبصيغة الفعل عن الكافرين . ذلك أن التقوى وخوف الله أساسه الإيمان ، والإيمان إنما يقوم على الدليل والبرهان المستنبط من آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ومن طبيعة ما قام على البرهان ثبوته واستقراره في النفوس ودوامه فيها وارتسكازه ، أما الكفر فهو قائم على شبه وخيالات وأباطيل وأوهام ، ومن طبيعة ما يقوم على ذلك القلقلة والاضطراب فلا ثبوت له ولا دوام إذ الشبه تراها في نفوس

الضالين متلاحقة متناحرة ففي كل حال لهم خيال ، وفي كل حال لهم شبهة ، وما يبنى على ذلك من شأنه أن يكون مضطرباً ، فالكفر ومبناه هذا يكون كأنه حادث متجدد . هذا هو السر الآخر في اختلاف التعبير .

ولما كانت طبيعة الأشياء ومقتضى الأحوال ألا يستوى إنذار وتخويف بالنسبة للتذنين مع عدم الإنذار ، لما كان كذلك كانت قضية التسوية بينهما من شأنها ألا تأخذ في النفوس مكاناً مطمئناً لأول وهلة ولا تستقر منه في مكان الإذعان — لهذا جرى بالتأكيد في قوله تعالى : **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ، إِذْ أُنْذِرُوا بِالنَّارِ الَّتِي هُمْ فِيهَا مَلْعُونُونَ** ، إذ أن المسند إليه في القضية هو الموصول والخبر هو قوله : **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ** ، والمصدر المؤول من الفعل الواقع بعد همزة التسوية مرفوع بالوصف ، إذ معنى الجملة إن الذين كفروا مستو عندهم لإنذارهم وعدم إنذارهم ، وإنما استوى لدى هؤلاء الإنذار وعدم الإنذار مع أن الإنذار إنما يواجههم به قوى أمين مصدق مؤيد في أسلوب أعجز البشر من أهل اللغة وأساطين البلاغة . من المشتدين في المعارضة والعناد . إنما استوى لديهم هذا لأن القوم لما كفروا فجدوا نعم الله ولم يشكروها وعموا عن آيات الله فلم يتدبروها فهم لا محالة ينزلون إلى حضيض يخمد فيه شعورهم ويبرد فيه احساسهم فلا تؤثر فيهم موجعات القول ولا تنفذ إلى قلوبهم بالغات الحجج إذ اهتم قد وصلوا إلى ذلك المتحدر فقد صاروا كما شبههم القرآن كالأنعام بل أضل سبيلاً ، ولهذا تراءى كما بينا آنفاً قد ترتفع بالكتاب عن ربطه بحال هؤلاء وسلك المسلك الذي بينا سره فهم كما قال الأول .

لقد سمعت إذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

وهكذا من غرقوا في غفلاتهم وملثوا بشهواتهم وأخذ عليهم العناد جميع نواحيهم لا بد أن تصم آذانهم وتظلم قلوبهم فلا يصل صوت النذير ، وأن أفرع الكواكب إلى أسماهم ولا يؤثر أبلغ الحجج وأضوأ البراهين في قلوبهم .

ولما كان قوله تعالى : **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ، مَا يَسْتَدْعِي تَرْدُّ السَّامِعِينَ** بين ناحيتي الاستواء ، استواء في الإيمان أم استواء في عدم الإيمان كان لا بد أن يدفع ذلك التردد بكواب سائل فجاء قوله : **لَا يُؤْمِنُونَ ، لِيَفْقِدُوا أَنْ يَسْتَوُوا** النذر وعدمها إنما هو في ناحية عدم إيمانهم وسيوضح ذلك أكثر في مقال آت .

ذكرى المولد الشريف

أفضيل الأستاذ الشيخ عبد الجواد رمضان

أستاذ الأدب في كلية اللغة العربية

هفت بغواده الذكرى فها ما ولاح لعيته وزد فها ما
مشوق كاد أن يفنى غراما فهل أمل يبلغه المراما ؟

* * *

صبا - بعد المشيب - وما تصابي وشبب بعد أن زعموه ثابا
إذا غنت مطوقة أجابا يساجل في أغانيه الحما

* * *

إلى مهوى القلوب ، إلى شمام سما شوقي ، وأزعجني هيام
إلى البطحاء ، والهضب السوامي على أعطافها ضربوا الخياما

* * *

هناك ، هناك ، في الأفق البعيد شعاع قد أطل على الوجود
وقال لمكة الفيحاء : سودى بدا النور الذي يمحو الظلاما

* * *

تجلى بيت آمنة منارا أحل بدارة الشمس الديارا
وأصبح في محله مزاراً قد ارتن الملائكة الكراما

* * *

ترى بفنائه فرع الثريا وعرف أنحل المسك الذكيا
ومس طبق الدنيا دويا طوى الآكام ، وانتظم الأناما

* * *

ترنحت الجزيرة منه سكرى تفيض شعابها بشراً وبشرى
تسحت الدرا دنيا وأخرى تصرف فى الحياتين الزماما

* * *

سلوا نوحا : أرضاه دعاه سلوا داود : هل أغنى غناه !
سلوا موسى : أأجده عصاه سلوا الإنجيل : هل خدتم السلام !

* * *

سلوا تلك المهامة والموامى تخب بها الموجة الطوامى
على الانساع والدبر الدوامى حطام تاخر يزجى حطاما

* * *

فما أجرى بها ماء الحياة وبذل بالمساوى الصالحات
وخرج من زعانفها الجفافة هداه ، علوا الأمم النظاما !

* * *

سرت فى أفقها أنفاس طه فى موانئها ، وزعت رباهما
وأقشع عن مجاهلها دجاها وصاح الحق ، فانطلقوا أماما

* * *

سهم سددت شرقا وغربا تشع فصالحها ، حبا وحربا
جنى آثارها المفتون كربا وراجى الحق غنما واعتصاما

* * *

دعوا التاريخ ، فالتاريخ ذكرى وهبوا هبة للمجد أخرى
طلاب المجد بالاحرار أخرى وخير المجد مانيل اقتحاما

* * *

لقد مهد الرسول لنا المعالى وكان صحابه أسد الصيالى
نفوسهمو تسيل على العوالى إذا الرعيد يوم الروح غاما

* * *

غزا بالحق والقرآن ، يتلى فتقطر آيه سحراً ونبلا
فلما أمعنوا في الكفر جهلا طوى القرآن ، وامتشق الحساما

* * *

دعا بالرفق والحسنى ففروا وعادهم فصدوا واشتمخروا
فلما قعقع الصمصام خروا جثيا ، تحت رحمته ، لثاما

* * *

كذاك الحق يسعده الحديد وتدعمه الضحايا والجهود
تذل أمام سطوته الأسود ويمضى فى جلالته إماما

* * *

هو الإسلام ! ما أغنى وأما وما أجلى مناجه وأسنى !
فن لم ينتهجه فإ اطمأنا لدعوته ، وإن صلى وصاما

* * *

وقفت على أبى الزهراء فى كأنى حين أمدحه أغنى !
ليرويه لسان الدهر عنى فرادى - كالقلائد ، أو تواما

* * *

شعور فاض جائشه قريضا سرى لياض إخلاصى وميضا
حويت بمجده غمراً عريضا إذا أكدت بي الأحساب قاما

* ■ *

مزجت بنفحة الذكرى دعائى ليدرج فى معارجها رجائى
ويسمو فى جلالها ثنائى على المختار ، بدءاً واختاماً

لغويات

بقية للبحث المدرج بالجزء الثالث

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد علي النجار

الأستاذ بكلية اللغة

ونرى ، المساييح ، في نسخة الديوان المطبوعة في المطبعة العمومية في مصر سنة ١٨٩٨ م ص ١٠٨ ، وهو أيضا في مخطوطة الديوان المحفوظة في دار الكتب تحت رقم ٢٥ م أدب .

ونرى في نسخة الديوان المطبوعة على الحجر في مصر سنة ١٢٨٣ هـ : «التساييح ، بدل ، المساييح ، . وهذا ما أثبتته الشهاب الخفاجي ، كما ذكرت فيما سلف . وإذا صح ما في النسختين السالفتين ، « المساييح ، كان ذلك إثباتا للمسبحة . وذلك أن المساييح جمع المسبحة ، بزيادة الياء ، وقد جاء هذا في بعض الكلمات ، كالصياريف في جمع الصيرف ، في قول الشاعر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهم تنقاد الصياريف

ونرى المسبحة في كتابات القرن التاسع الهجري . فقد جاء في شرح بحرق للامية الأفعال التمثيل للفعلة بالمسبحة ، والمعهود عند من تقدمه التمثيل بالمسكحة وبحرق لقب محمد بن عمر بن المبارك الحميري الحضرمي . ولد سنة ٨٦٩ هـ وله ترجمة في الضوء اللامع . وقد لقيه السخاوي وأثنى عليه . وفي رسالة السيوطي في السبحة في سياق قصة ساقها : « أخبرني من أثنى بقوله أنه كان مع قافلة في درب بيت المقدس فقام عليهم سرية عرب وجردوا القافلة جميعهم وجردوني معهم ، فلما أخذوا عمامتي سقطت مسبحة من رأسي . » والسيوطي كان يعيش أيضا في القرن التاسع .

ونرى الشهاب الخفاجي بعد هذا يذكر المسبحة . وظاهر كلامه أنها عربية عنده فقد ذكرها في الكلام على التسميع ولم يذكر أنها مولدة ، بل نراه في حرف السين

من شفاء الغليل يذكر المسبحة ولا يذكر السبحة ، كأن المسبحة أعرف من السبحة عنده . والشهاب الحفاجي هو أحمد بن محمد بن عمر ، توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

وأما ضبطها فالامر فيها لا يخرج عن صيغتين : المسبحة على صيغة اسم الفاعل من سبج ، والمسبحة على صيغة اسم الآلة .

فالضبط الأول يوجه بأنها لما كانت تعين على التسبح أسند التسبيح إليها مجازاً غير أن المعروف في المسبحة أنها الإصبع التي تلى الإبهام . قال في المصباح : « والمسبحة اسم فاعل من ذلك مجازاً . وهي الإصبع التي بين الإبهام والوسطى ، وقال في النهاية : « والمسبحة : الإصبع التي تلى الإبهام . سميت بذلك لأنها يشار بها عند التسبيح ، فمن الخير أن ينأى بها عن هذا الإشتراك .

والذي تركن إليه النفس أن تضبط « المسبحة » على صيغة اسم الآلة . وقد علمت قبيل هذا أن يحرقا مثل بها للآلة .

وإذا كانت المسبحة اسم آلة فإن قبولها يتوقف على سماعها من العرب ، أو ورودها على قياس صحيح .

فأما السماع فلا قبل أيدينا به في هذا المضمار .

وأما القياس فإن اسم الآلة إنما يتقاس من الثلاثي . فهل ورد للتسبيح فعل ثلاثي ؟

وهذا موضع نزاع طويل الذيل .

فنرى ابن يعيش في شرح المفصل (١/١٢٠) في الكلام على « سبجان » يقول : « وهو من المصادر التي لا تستعمل أفعالها ، كأنه قال : سبج سبجانا - بتخفيف الباء ؛ كقولك : كفر كفرانا ، وشكر شكرانا ونرى مثل هذا في الإتيان نقلاً عن الكرماني ، ففيه (في النوع الأربعين) في الكلام على « سبجان » : « وهو بما أميت فعله ، يريد فعله الثلاثي . وحاصل هذا الرأي أنه لم يرد في معنى سبج سبج ثلاثياً .

وهناك فريق يثبت سبج في معنى سبج لغة . وهذا الفعل يتصرف عندهم هكذا : سبج ، يسبج ، سبجنا . ونرى في اللسان : « وسبج لغة » ، وفي القاموس

« وسبح - كنع - سبحانا .. قال سبحان الله ، وزاد الشارح بعد قوله : « سبحانا » ، كشكر شكرانا . وهو لغة ذكرها ابن سيده وغيره . قال شيخنا : فلا اعتداد بقول ابن يعيش وغيره من شراح المفصل ، وقول الكرماني في العجائب : « إنه أميت الفعل منه » .

وقد أشد بعضهم في إثبات سَبَحَ الثلاثي قول الشاعر :

فبح الإله وجوه تغلب كلها سَبَحَ الحجيج وكبروا إلهلالا

فظاهر « سبح الحجيج » ، أن المراد : قالوا سبحان الله ، إذ كان ذلك قرين التكبير . وهذا الاستدلال ليس بالقوى . فن القريب أن يراد بالسبح في البيت الإبعاد في السير والسرعة ، وهذا من معاني سَبَحَ الثلاثي التي لا نزاع فيها . وسرعة الحجيج وسيرهم لا يلبو عن أن يقرن بالتكبير والتلبية . وإن كان المألوف عندهم ذكر سير الإبل عليها الحجيج ، كما قال الشاعر :

حلفت برب الراقصات إلى منى يقول القياقي نصها وذميلها

وإذا ثبت « سَبَح » ثلاثياً في معنى قال سبحان الله كان صياغة اسم الآلة منه قياسية ، كما هو معروف . ولا نظر إلى قصر بعضهم قياس الآلة على مفعّل ومفعال ؛ فجمهور الصرفيين على خلاف ذلك وأن من المطرد المنقاس مفعلة ويقول ابن مالك في لاميته الأفعال :

كفعل وكفعال ومفعلة من الثلاثي صغ اسم به مابه عملا

ونرى للشيخ نظام الدين أحد شراح شافية ابن الحاجب رأيا غريبا في قياسية اسم الآلة يهدم القياس ولا يتفق معه . فهو يقول : « هذه الأوزان الثلاثة قياسية لا من حيث إنه يجوز أن يشتق كل منها من أى فعل اتفق وإن لم يسمع ، بل من حيث إن كلا منها إن كان قد ورد به السماع في فعل معين أمكن أن يطلق على كل ما يمكن أن يستعان به في ذلك الفعل ؛ كالمفتاح فإن كل ما يمكن أن يفتح به البيت يسمى مفتاحا وإن لم تكن الآلة المعروفة بذلك .

وأقف عند هذا القدر من القول ، والله المستعان ؟

الأزهر

الجامعة القديمة - الحديثة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

وهو تعريب للمقال الفرنسى أنشاء فضيلته إجابة لرغبة وزارة الخارجية المصرية ،
نشره فى جريدة "الموند" الباريسية فى عددها الخاص بمصر ، بمناسبة انعقاد
جمعية الأمم المتحدة فى دورتها السادسة بباريس (١٩٥١ - ١٩٥٢) .

إذا حق لجزيرة العرب أن تفخر بأنها هى مبعث الشعاع الأول للنور الإسلامى
وأنها هى الحارسة لرمزه الروحى فى الكعبة المشرفة ، فإن الفخر يعود فى المرتبة
الثانية إلى مصر ، التى اقتبست هذا الضوء فى باكورتها ، ثم احتفظت بسراجها دائماً
التوقد فى تلك المشكاة العلية الديفة التى اسمها "الأزهر" ، والتى هى اليوم أقدم
جامعة فى العالم على الإطلاق .

وفى الحق إن هذه البنية المعظمة فى القاهرة ، تعد فى نظر المسلمين شبه كعبة ثانية .
فهذا المعهد هو قبل كل شئ مثابة المتفقيين فى الدين ، يحج إليه فى كل عام ألوف
من الطلاب من كل فج ليترودوا منه غذاء عقولهم وأرواحهم . وهو من وراء
ذلك قبة المسلمين الذين تقاعد بهم الديار ، وبشق عليهم المزار - لا أقول إنهم
يرلون وجوههم شطره فى صلاتهم ، كما هو الشأن فى الكعبة المكرمة . ولكنى
أقول إن أربعائة مليون من المؤمنين يتجهون إليه بقلوبهم وعقولهم ، ينتظرون
إشارته فى المهمات ، ويستشيرون برأيه فى الشبهات ؛ إذ هو أكبر المجمع الذى يضم
أكبر عدد من أهل العلم بهدى الإسلام .

هذا الدور المزدوج الذى يقوم به الأزهر فى تثقيفه للشباب الإسلامى ، وفى قيادته الروحية للشعوب الإسلامية ، يفسر لنا لماذا أحاطه الخلفاء والملوك والأمراء والمحسون فى كل العصور بذلك الاهتمام البالغ وتلك العناية الصالحة فى السهر على شؤونه المادية والأدبية .

- ١ -

لمحة عن التاريخ المعارى للأزهر

ذلكم البيت المعمور الذى أرسيت قواعده فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله على يد قائده جوهر الصقلى فى سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) كان يتألف فى أول إنشائه من قسمين : « فناء » ، فسيح يحيط به نطاق من الأعمدة المحقودة ؛ و « مقصورة » ، أو « مصلى » ، لا تقل عنه اتساعا ، يشقها « مجاز » ، تمتد من بابها إلى المحراب .

ولا تزال معالم القسمين قائمة إلى يومنا هذا لم ينها تغيير جوهرى .

نعم إن بعض أجزاء المقصورة قد تناولها شيء من الترميم استجابة لضرورة حفظها وصيانتها . ولكن سائر أجزائها لا تزال كما وضعت أول يوم ؛ ولا سيما « المحراب » ، الذى نراه الآن بنقوشه ورسومه العتيقة ، و « المجاز » ، الذى نشاهد أعمدته بنقوشها ورسومها الأولى . وكذلك ترى الأعمدة المضروبة حول الفناء قائمة على حالها لم تتسنه ، وإنما أضيف إليها فى مبدأ القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) نطاق آخر من الأعمدة من أمامها .

هذا ولقد بقى الأزهر قرونا عدة مكتفياً بحدوده الأولى هذه ؛ حتى كانت بداية القرن الثامن الهجرى ، فهناك أخذت تضاف إليه فى عصور مختلفة زيادات كثيرة أصبحت فى مجموعها أشبه بصوان يحيط به من كل جانب ، حتى صار « فناءه » ، الخارجى « صحن » ، داخليا ، وحتى بلغت مساحة المسجد الآن ١١٣٨٠ مترا مربعا ، لا يدخل فيها حساب الملحقات .

أولى هذه الإضافات تستقبلنا بمجرد ما نضع أقدامنا فى المسجد عند دخولنا

من الباب الكبير الشمالى الغربى المطل . على الميدان ذلك أننا نجد أنفسنا فى دهليز متوسط الاتساع ، فاصل بين جناحين من الابنية عن يمين وشمال ؛ ونجد أمامنا باباً كبيراً آخر داخليا يفتح على صحن المسجد . فهذا الباب الداخلى الذى يفتح على الصحن هو أول حدود المسجد التاريخى . أما كل هذه الابنية عن اليمين والشمال فيما بين البابين ، وكذلك الأرض التى أقيمت عليها هذه الابنية ، فإنها من الزيادات التى ضمت إلى الجامع فى القرن الثامن الهجرى وما بعده .

فالجناح الايمن (ما عدا منارتيه) أنشأه الأمير طبرس فى سنة ٧٠٩ هـ (١٣٠٩ م) والجناح الايسر بمنارته أقامه الأمير أقبغا فى سنة ٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) . والباب الداخلى والمئذنة الرشيدة التى فوقه إلى يمين الداخل من عمل السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٣ هـ (١٤٦٨ م) والمئذنة العظيمة ذات البرجين التوأمين وهى التى تلى هذه على اليمين أيضا من صنع السلطان الغورى فى سنة ٩١٥ هـ (١٥١٠ م) .

لقد كان الجناحان فى نظر مؤسسيهما مدرستين ؛ ولكن التثقيف العقلى فى رأيهما (وكذلك هو دائما فى نظر كل سياسة رشيدة) لم يكن لينفصل عن التهذيب الروحى ؛ ولذلك أقام كل منهما فى مدرسته محراباً ^(١) أنيقاً دقيقاً من الرخام والذهب ، لا يزال يتحدى الزمان بنضارته وجدته ، كأنما صنع أمس .

والجناحان ^(٢) اليوم مشغول معظمهما بالمكتبة الازهرية التى تعد من أنفس المكتبات فى العالم ، بما فيها من المخطوطات النادرة ، والمجلدات التى تبلغ زهاء مائة ألف مجلد .

فلنغادر الآن هذه الزيادات ، ولنعتبر الصحن ، فى خط مستقيم ، ولندخل المقصورة مجتازيها إلى المحراب . . . هنالك سنشعر بشيء من الدهشة ؛ إذ نجد المحراب غير مستند إلى جدار القبلة كما هو شأن المحارب ، بل نراه منعزلاً تمام

(١) بل إن مدرسة أقبغا تحتوى عرابين اثنين .

(٢) الجناح الايسر حول إلى مكتبة منذ سنة ١١٦٤ هـ (١٨٩٦ م) . والجناح الايمن شغل بجانب منه بعض القطار فى عهد قريب .

العزلة في وسط المصلى ؛ ونلاحظ فوق ذلك أن الأرض التي تمتد من خلف هذا المحراب ، والتي تكاد تعادل مساحة الأرض التي أمامه ، مرتفعة عن هذه بحيث يصعد إليها بدرجتين ؛ ونرى أخيراً أن هناك محراباً ثانياً مستنداً كالعادة إلى الجدار الجنوبي الشرقي ، الذي هو جدار القبلة .

غير أن هذه الدهشة ستزيلنا متى عرفنا أن هذا الإيوان المرتفع قليلاً ، والمحراب الذي عليه ، المتصل بالجدار ، (وكذلك البابين اللذان في هذا الجدار ، والمنارتان المقامتان فوقهما) كل هذه زيادات جديدة في المقصورة أضيفت إليها أخيراً على يد الأمير ^(١) عبد الرحمن كتنخدا في سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣ م) . ومن السهل حينئذ أن نعرف إلى أي حد بلغ ورع هذا الأمير وتقواه في المحافظة على تراث سلفه الصالح ، وعدم الجرأة على تغيير شيء من معالنه بغير ضرورة مادية .. وهذا هو ما يسمى في لغة العصر الحاضر : احترام الماضي وصيانة آثار القدماء .

قبل أن نتأهب للانصراف من هذه المقصورة يحمل بنا أن نقرب من جدارها الشمالي الشرقي ... فسنجد فيه باباً صغيراً تنفذ منه إلى مبنى جميل أقامه الأمير جوهر قانقباي المتوفى سنة ٨٤٤ هـ (١٤٤٠ م) . لقد بناه هذا الأمير ليكون مدرسة صغيرة ، ولكنه جمع فيها كل عناصر المسجد الكبير مع جمال التنسيق ودقة الفن . وفيها قبة تقوم على قبر يانها .

ولقد جدد الخديوي اسماعيل في سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) بناء أحد البابين اللذين في جدار القبلة ؛ كما أن الخديوي توفيقاً جدد في سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) بناء الإيوان الذي ينتهي بهذا الجدار ؛ وهاتان المنشأتان المجددتان كانتا من عمل الأمير كتنخدا كما يعلم مما أسلفناه .

(١) إلى هذا الأمير يرجع الفضل أيضاً في بناء الباب الكبير الذي في المدخل على الميدان ، وفي تجديد واجهته اليمنى ، وهي جدار المدرسة الطيرسية .

على أن أحدث الزيادات وأنغمها هي المنشآت التي أقيمت بأمر المغفور له الملك فؤاد الأول وتم بعضها في عهده ، ولا يزال العمل جاريا في تكميل باقيها تحت رعاية شبله وخليفته جلالة الملك فاروق الأول . وهي مجموعات قائمة خارج نطاق المسجد ولكنها تشرف عايه من الشمال والشمال الشرقى ، ومن الشرق والجنوب الشرقى - فأما في عهد فؤاد فقد برز الى الوجود في سنى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ م أربع عمارات كبيرة خصصت واحدة منها لإدارة الجامعة ، والثلاثة الباقية لسكنى الطلاب . وأما في عهد فاروق فقد تم حتى اليوم : (١) مدرج نغم على أحدث طراز يتسع لآلئى مستمع . (٢) كلية للشريعة الإسلامية . (٣) كلية للغة العربية ، والكلية الباقية وهى كلية أصول الدين فى دور الإنشاء ، وإن للتصميم بعد لتسكلمة ستأخذ دورها فى التنفيذ تباعاً : (١) مكتبة فسيحة تسع لنصف مليون مجلد (٢) معهد ابتدائى وثانوى يحضر للكلليات الأزهرية . (٣) مستشفى . (٤) حديقة .

ولما كانت أزمة المساكن لا تزال فى حداثها فإنه ينظر الآن فى مشروع لبناء عدة بيوت أخرى لسكنى الطلاب ، ولا سيما الوافدين منهم من الأقطار الخارجية الإسلامية ، بحيث يتألف منها ومن المساكن القائمة الآن مدينة جامعية ^(١) حقيقية تتصل بحرم المسجد ومنشآته . « يتبع »

(١) هذا المشروع ، الذى كان عند كتابة هذه الكلمات أمس لا يزال فى دور التفكير والتروى ، أصبح الآن له قوام ملموس . فقد أذاعت الصحف اليوم نبا الأمر الكريم الصادر من جلالة الملك فاروق بالمساهمة فى هذا العمل المبرور بمبلغ عشرة آلاف جنيه من الجيب الملكى الخاص - وهكذا يعزف جلالتة ماثرة أخرى الى مآثره السابقة فى رعاية ضيوف الأزهر من طلاب الأم الإسلامية .

مصر حصن العروبة والإسلام

بقلم الأستاذ محمد صبرى عابدين

أمين سر ديوان الهيئة العربية العليا

« نبذة موجزة عن جيش مصر فى مواقفه الحاسمة فى الذود
عن بلاد العروبة والإسلام وفضل مصر والأزهر على
الشريعة الإسلامية الغراء » .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد النبي الأمين
وعلى آله وصحبه أجمعين ومن كان بسنته وهدية من العاملين .
أيها السادة :

إن الهيئات الإسلامية والعربية التى تقيم هذا الاحتفال الكبير بدار جمعية
الشبان المسلمين بالقاهرة من أجل مؤازرة مصر العزيزة وتأييدها فى موقفها
من مقاومة الاستعمار الاجنبى الناشئ إنما تؤدى هذه الهيئات بعض ما يجب عليها
نحو مصر شعبا وملكا وحكومة : فصر أيها السادة هى حصن العروبة والإسلام
وقضيتها قضية المسلمين والعرب جميعاً وقوتها قوة لهم جميعا وإن مصر لتنبوأ
عن حق وجدارة مكان الزعامة والقيادة للعرب والمسلمين ولأنى لأقول بأعلى صوت
إنه لن يتحقق لبلاد العروبة والإسلام استقرار ولا خلاص من المطامع الاستعمارية
الاجنبية إلا إذا تم استقلال مصر وتم جلاء الانجليز عن وادى النيل مصره وسودانه
واستعادت مصر قوتها الحقيقية وعادت للجيش المصرى الباسل عظمته التاريخية
المسطرة أخبارها ومفاخرها فى سجلات التاريخ العسكرى بحروف من نور .

ويكفيكم فى وصف مكانة جيش مصر ومنزله الجليلة القدر قول النبي صلى الله
عليه وسلم فى حديثه الشريف « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا
فذلك الجند خير أجناد الأرض » فقال أبو بكر ولم يا رسول الله قال لأنهم وأزواجهم
فى رباط إلى يوم القيامة ، أخرجه شيخ الإسلام الشرقاوى فى تحفة الناظرين .

أجل أيها السادة لقد كان جيش مصر كما وصفه الرسول الكريم من خير الجيوش وأقواها فكان حى لبلاد العروبة والإسلام مؤيدا بالانتصارات التاريخية الحاسمة فى مواقع ومعارك كانت نقاط تحول فى تاريخ الحروب والمعارك العالمية فكان السلطان صلاح الدين الأيوبي على رأس جيش مصر فى معركة حطين بفلسطين سنة ٥٨٣ هـ تلك المعركة الحاسمة التى انهزمت فيها أوروبا وجيوشها أمام بأس جيش مصر ومن معه من جيوش المسلمين ووقع ملوك الصليبيين وكبار أمرائهم وقادة جيوشهم أسرى أذلة بأيدي المسلمين المنتصرين وأثمرت تلك المعركة فتح القدس وتطهيرها وسائر بلاد فلسطين وجانب من بلاد سوريا واستخلاصها من الاحتلال الصليبي .

وفى الحملة الصليبية التى شنتها أوروبا على مصر سنة ٦٤٨ هـ وفى معركة المنصورة صمد الجيش المصرى أمام جيوش المعتدين وقاومهم أشد المقاومة وأسفرت المعركة عن هزيمة جحافل الفرنسيين ومن معهم من الصليبيين ووقع لويس التاسع ملك فرنسا وكثير من كبار قواد الجيش الصليبي أسرى بأيدي المصريين وقد سجن الملك الفرنسى بدار ابن لقمان فى مدينة المنصورة المصرية وما زالت هذه الدار قائمة إلى الآن شاهدة على قوة جيش مصر وبسالته وشدة سطوته التى حطمت جيوش المعتدين وألقت بفلولهم إلى البحر مهزومين مطرودين على أعقابهم ناكسين وقد ذكر الأمير حيدر الشهابى فى حوادث سنة ٦٤٨ هـ من تاريخه ، إن الفرنج خسروا فى معركة المنصورة ثلاثين ألف قتيل وما يزيد عن مئة ألف أسير .

وفى سنة ٦٥٨ هـ لما كانت جيوش التار تجتاح الممالك وتلك العروش وتنساقط أمامها العواصم والاقطار تساقط أوراق الأشجار وقف جيش مصر وحده ليصد التار عن مصر الآية وعن سائر بلاد العرب وكانت معركة عين جالوت بين بيسان وحيفا بفلسطين وفى ذلك السهل المنبسط تحت أقدام الجبال الشامخة نشبت المعركة بين جيش مصر بقيادة الملك المظفر قطز والأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى ، الملك الظاهر بيبرس ، وبين جيش التار وقد استمات التار بقيادة كتبغانوين فى القتال وصمد لهم الجيش المصرى وجالدهم أشد الجالدة وأسفرت المعركة عن هزيمة التار وقتل قائدهم كتبغانوين .

وبانتصار جيش مصر على التتار في عين جالوت سلبت مصر وسلبت بلاد العرب من كارثة دامية كانت محتقة الوقوع لو انعكست الحال وانتصر الغزاة التتار وكانت هذه المعركة الحاسمة نقطة تحول وبها بدأ نجم التتار في الأفول وكان الفضل في ذلك لمصر وجيش مصر . وقد أورد الحافظ بن كثير الدمشقي تفصيلات هذه المعركة في تاريخه البداية والنهاية ج ١٣ : ص ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ . منوها بما آداه جيش مصر من دفاع جليل القدر ذودا عن بلاد الإسلام والعرب .

وفي سنة ٥٧٦ هـ لما جهز البرنس أرنات الصليبي حاكم الكرك والشوبك بشرقي الأردن في ذلك الحين حملة برية وبحرية بقصد فتح الحجاز وإيذاء المسلمين وجهد هذه الغاية أسطولاً نقله قطعاً على ظهور الجبال إلى خليج العقبة وحاصر فريق من جيشه المسلمين في قلعة العقبة وأخذت سفنه الحربية تجوس خلال البحر الأحمر مهاجمة بلاد المسلمين في الشاطئين الآسيوي والأفريقي وأمسى الطريق إلى الحج تحت سيطرة الصليبيين في البحر والبر ، ولما وصل الخبر إلى السلطان صلاح الدين أمر نائبه بمصر أخاه الملك العادل أبا بكر بن أيوب بإنشاء أسطول نقله إلى خليج السويس قطعاً على ظهور الدواب وسلم قيادته للأمير حسام الدين لؤلؤ فسارع إلى فتح مدينة العقبة ومطاردة الفرنجة حتى أوقع بهم وهزمهم شر هزيمة بعد أن أمضوا شهوراً يجوبون أرجاء البحر الأحمر إلى عدن حتى أنزلوا فريقاً من مقاتليهم إلى ساحل الحجاز وذكر بعض المؤرخين أنهم توجهوا إلى المدينة المنورة النبوية الشريفة فلم يبق بينهم وبينها سوى مسيرة يوم واحد : ولكن عزيمة جيش مصر الماسية وشجاعة جنده وخبرة قادته وشدة شكيמתهم وقوة إيمانهم قد قضت على حملة البرنس أرنات في البر وأغرقت سفنه في البحر وحمى الحجاز وشواطئ البحر الأحمر من الغزو الصليبي .

وبهذه المناسبة فإنني أوجه أنظار قادة المسلمين والعرب وحكوماتهم داعياً الجميع إلى الاستعداد العسكري السريع لدفع الخطر اليهودي الجاثم الآن في خليج العقبة مما يعيد إلى الأذهان حملة البرنس أرنات وأسطوله في البحر الأحمر فان اليهود الذين يحتلون الآن ميناء العقبة ، أيلة ، و يقيمون فيها القلاع والحصون ويشحنونها بالسلاح والمراكب الحربية والجنود الهائلة إنما هم يعملون بكل قوتهم لإعادة

تمثيل الدور الذي قام به في القرون الأولى البرنس أرناط وأسطوله الصليبي في محاربة العروبة والإسلام والكيدها وإذا لم يجد اليهود أمامهم القوة الساحقة الساحقة التي تعيدهم إلى الصواب وتضرب على أيديهم بشدة وبدون هوادة فإنهم من غير شك سيقومون بعدواتهم على أراضي مصر والحجاز والأردن وسواها إن عاجلاً أو آجلاً لتحقيق أهدافهم الاستعمارية في البلاد الإسلامية والعربية . اللهم ألهم قادتنا الصواب حتى يتنبهوا لهذا الخطر الداهم فيعملوا على صده كما عمل جدودهم المجاهدون الأجداد في مختلف عصور التاريخ .

ولما احتل الفرنسيون مصر واثارت الأمة المصرية ضد جيش نابليون سنة ١٢١٣ هـ وقاومت الغواة المعتدين أشد المقاومة اشترك في تلك الثورة طائفة من علماء المسلمين وطلاب العلم بالأزهر الشريف من أهل الشام والمغاربة وغيرهم من وفود الأقطار الإسلامية وقفوا إلى جانب أخوانهم من علماء مصر وطلبها ومجاهديها وفي قضية مقتل الجنرال كليبر نائب نابليون بمصر اتهم سليمان الحلبي وجماعة من علماء رواق الشوام بالأزهر الشريف وقد حاكمهم الفرنسيون ونفذوا فيهم حكم الاعدام بالقاهرة كما في تاريخ الجبرتي وغيره .

وقد ذكر الجيوش أيضاً أن السيد بدر الدين التقيب الحسيني المقدسي الذي كان مدرساً في جامع سيدنا الحسين بالقاهرة كان على رأس الثائرين من أهل حي الحسينية ضد جيوش نابليون .

وأن الفرنسيين بعد تمكن جيشهم من إخماد الثورة طاردوا السيد بدر الدين للقبض عليه ومحاكمته ففر إلى فلسطين ، فهدم الفرنسيون داره ، وجامع أخيه السيد على وضريحه بالحسينية بالقاهرة ، ولبت السيد بدر الدين في القدس حتى تم جلاء الفرنسيين عن مصر ، فعاد إليها برفقة الجيش العثماني ، وعاد للتدريس في جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه ، وجدير بالذكر أن السيد بدر الدين الحسيني الذي قاوم الفرنسيين مع إخوانه مجاهدي مصر هو ابن عم سماحة السيد محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين وهو وأخوه السيد علي التقيب الحسيني المقدسي من علماء الأسرة الحسينية المقدسية الذين سكنا مصر وتولوا تدريس العلوم في مساجدها .

وفي عهد محمد علي باشا الكبير كان جيش مصر أقوى الجيوش في حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكان مؤلفاً من نحو ربع مليون جندي ، وله أسطول بحري قوى البأس ، شديد المراس ، تحسب له الدول الكبرى كل الحساب ، وقد انتصرت جيوش مصر بقيادة إبراهيم باشا وغيره من القادة انتصارات باهرة وتمكن من دق أبواب القسطنطينية . وبعد أن فتح فلسطين وسوريا والحجاز والجزيرة العربية ، واستولى على الأقاليم الشاسعة في السودان وأوغندا والإريتريا والصومال وزيلع وهرر وسواها من أرجاء شرق أفريقيا ، ولا تزال قلاع جيش مصر وحصونه قائمة إلى الآن في تلك الاقطار ، شاهدة على قوة مصر وجيشها العظيم . ولولا تدخل الدول الاستعمارية ووقوفها في وجه مصر لحرباتها من ثمرة انتصاراتها لكان الحال غير الحال والله الأمر من قبل ومن بعد .

وأن جيش مصر في عهد محمد علي هو الذي هزم جيش انكلترا في معركة رشيد التاريخية ، وأجلاهم عن مصر مطرودين مدحورين . وهذا الجيش نفسه هو الذي سيطرهم بإذن الله مرة أخرى ، وهو الذي سيحجم قناة السويس ويحمي مصر وبلاد العروبة جميعها من كل معتد أثيم ، ويحقق لمصر الجلاء العاجل ووحدته وادى النيل تحت تاج الفاروق العظيم قريباً إن شاء الله .

أيها السادة : لقد هبت مصر حكومة وشعباً لنجدة فلسطين بكل قوتها ، وبكل إمكانياتها وبذلت من مائها ودمائها . وكاد الجيش الباسل المصري أن يقذف باليهود إلى البحر لولا مؤامرة انكلترا وأمريكا ومن معهما من أعداء العروبة والإسلام . ولولا دسائس وأعوان الأجانب في بلاد العرب ، ومسارعهم إلى نجدة اليهود بالهدنة ، فكانت النكسة التي منيت بها الأمة العربية والإسلامية بخسرانها معركة فلسطين أمام عصابات اليهود الصهيونيين .

قد كانت مصر كريمة في نجدة سوريا ولبنان ، وكان لها الفضل الكبير في تحقيق استقلالهما . ولقد كانت مصر تنسى نفسها وقضيتها في سبيل قضايا العروبة والإسلام ، والذود عن حرية الشعوب العربية والإسلامية . وكان صوت مندوبي مصر وممثليها يدوي في المحافل الدولية بالحجج الدامغة القوية ،

مؤيداً كل قضية عربية أو إسلامية ، مناصراً لشعوبها في حقهم في الاستقلال .
وكم من مؤتمرات عقدت في مصر من أجل قضايا فلسطين وسوريا ولبنان والمغرب
العربي وليبيا وأندونيسيا وباكستان وكشمير وكم من وفود بعثت بها مصر إلى
الهيئات الدولية من أجل نصرة تلك القضايا وموازرة الشعوب الشقيقة في مطالبتها
والعمل على خلاصها من برائن الاستعمار الأجنبي الفاشم ، فلنصر دين كبير في
أعناق المسلمين والعرب كافة عليهم أن يفوا لها به وأن يقفوا شعوباً وحكومات
إلى جانبها في المحافل الدولية ويؤيدوها بكل الوسائل حتى تتحقق وحدة مصر
والسودان ويتم جلاء الانجليز عن وادي النيل جميعه قريباً بعون الله .

وإن مصر التي قام فيها الازهر الشريف منذ ألف عام منارة للدين ومثابة
لعلماء المسلمين ومنهلاً ضافياً وحصناً لعلوم الشريعة الفراء ، وكعبة يؤمها طلاب
العلوم الدينية والعربية من جميع بلاد الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ،
فيجدون كل رعاية وعناية ثم يعودون إلى أقوامهم وشعوبهم حاملين اليهم ما تعلموا
من علم وهدى ، ونور وأخلاق وثقافة ، ذاكرين بالشكر والثناء الجزيل مصر
الكريمة المضيافة منوّهين بعلوم علمائها الأبرار الأخيار وما يبذلونه من جهود
كريمة في سبيل نشر الدين . حقاً أيها السادة إن جهاد علماء الازهر في نشر علوم
الشريعة الإسلامية واللغة العربية والدفاع عنها قروناً طويلة لا يقل أثره عن جهاد
جيش مصر وانتصاراته العسكرية . فلأزهر المعمور ولعلمائه العاملين المخلصين
أصدق التحية ، جعلنا الله وإياهم من الذين يعملون لأعلاء كلمة الدين ورفعة شأن
المسلمين ، وأن يحقق سبحانه لمصر العززة تمام استقلالها ويصونها من عدوان
المعتدين ، وأن يكلاً بعين عنايته الصمدانية ملكها وقادتها المجاهدين ، وأن يحقق
على أيديهم آمالها في العزة والقوة في القريب العاجل إنه سميع مجيب .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سبيل الظفر في المحنة والمنحة

لفضيلة الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ العام بالأزهر

يقول الله جل شأنه « ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ، إن آية الصدق في القون ، وغاية الرشد في القصد ، وقوة اليقين في العقيدة ، معان تجليها وتبسطنها في نواحي الحياة نفوس المؤمنين المطمئنة الراضية ، فتنبض بها قلوبهم ، وتستروح منها مشاعرهم ، وتحلق في آفاقها عزائمهم ، متدافعة إلى المجد تستدفقه ، وإلى الذروة تتجاوزها ، وإلى العظائم والمسكرات تمسك بها وتهفو إليها ، ودعاوى الناس متأثرة بين الناس ، تلوكها الألسنة ، وتسمعها الآذان ، وتتجاوب أصدائها بين متصايح بها ، ومردد لها ، فإذا لم تقم هذه الدعاوى على سناد من الحق ، وإذا لم يدعمها برهان من الواقع ، تهاوت وبطلت وخسر مدعوها وانطفأ مصباح أملهم وعملهم :

والدعاوى إن لم يقيموا عليها بينات ، أصحابها أذعياء

وإن هذه الآية الكريمة من كتاب الله لتلفت الناس الذين هم بصدد دعوى الإيمان : أنهم لن يتركوا وما يدعون ، دون أن يمحض الله دعواهم ، ودون أن يفتنهم بالوان من الأحداث ، وصنوف من المحن ، ليتكشفوا عن صبر جميل أو عن جزع أليم ، ودون أن يفتنهم بسابغات من النعم ، تتغايير طعومها ، وتترادف محاسنها ليتكشفوا كذلك عن شكر جميل ، أو عن بطر آثم . ونكران ذميم ، قال الله تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون » .

وإن الله جل جلالته ، وتعالى حكمته ، لا يجزى الناس بالثواب والعقاب على ما يعلم عنهم ، بل يجزيهم على ما يبدو منهم ، قال عز شأنه « والله ما في السموات وما في الأرض ليجزى الذين أساموا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ،

الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى . .

يفتن الناس بنعمة المال فتفتح لهم أبواب الثروة ، وتتشعب بهم طرق إنمائها ويذهبون في غمرتها فرحين ممتعين ، والدين يحفزهم إلى هذا الكسب حلالا ، ويدعوهم إليه طيبا ، ويصرهم به مشروعا ، ويريدهم أن يكونوا في الدنيا أعزة ، أصحاب سيادة ومجد ، على أن يكونوا شاكرين لأنعم الله ، فيقومون عزتهم وسيادتهم على بر ومرحمة وبذل يسعدون به أمتهم ووطنهم وعشيرتهم ، فإن التوى بهم القصد ، وساء منهم العمل ، وطفخوا بالنعمة فكفروها ، وجحدوها ، وحبسوا المال حتى عن المكروبين والمملوفين ، فقد قوضوا صروح بجدهم بأيديهم ، وشيعتهم قلوب الفقراء بلعنة البغضاء ، واستعجال تقمة السماء ...

وما لهم الذي اكتنزوه وجمعوه وحبسوه ، يصبح بعدهم طليقا تحسر عنه ظلمة خزائنه ، وتفرح عنه ضوائق سجنه ، فتلعب به الأيدي ، أيدي الأهل والعشيرة في غير تحفظ ولا احتشام ، وصاحب المال في قبره مقبور مقهور ، تبدل عزه ذلا ، وأنسه وحشة ، ونعيمه عذابا .

يقول الله تعالى : « الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون . والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمة أوائلهم أصحاب النار هم فيها خالدون » . وقال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

وما أجل قول الشاعر :

تمتع بمالك قبل المات وإلا فلا مال إن أنت منا
شقيت به ثم خلقته لعيرك ، بعداً وسحقاً ومقتنا

لجادوا عليك بزور البكاء وجدت عليهم بما قد ملكنا
وأرهنهم كل ما في يديك وخلوك رهناً بما قد كسبنا

* * *

ويقتن الناس في أوطانهم بأعداء مستعمرين ، يحطمون كيان الأمة ، ويهدمون
من صروحها دعائم الفضيلة والآلفة ، ويوهنون أسباب المقاومة والأعداد ،
لتكشف الأمة بعد ذلك عن تخاذل واستسلام ، فتعيش واهنة ضعيفة ، وتفتى
متكسرة ذليلة ، أو تتكشف عن عزة تأبى الضيم ، وحمة تحطم قيود الأسر ، وتبرز
إلى ميدان الجهاد تفتدى الوطن بالنفس ، والمال ، والجاء ، والمنصب ، لتحيا حياة
العزة والكرامة ، فتصافح المجد في ذروته ، وتطوف حول الشمس في علاها ،
ولتستجيب إلى أمر القرآن العزيز : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيال ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

* * *

ويقتن الناس في أخلاقهم ، فتقوم طائفة من تحالت فيهم عناصر الفضيلة ،
وانهارت معنوياتهم لينفثوا في المجتمع الإنساني سموم الإثم والدنس ، دون إبقاء
على عرض ، ولا كرامة ، ولا خلق ، وهؤلاء قد طوعت لهم نفوسهم العابثة ،
إشاعة المجون والخلاعة ، والمضى بالتهتك إلى أبعد مداه ، خلع الشبان ثوب الطهر
والشرف ، وكشف النساء عن مظاهر الفتة والإغراء ، ولعب الشيطان ، فألف
بين الخطيئة والإثم ، ليقذف الأمة بالعار والدمار ، فإذا لم تقم تجاه هذه الفتنة ،
ولإزاء هذا الداء ، مناعة الأمة ، وقوة تحصينها ، وصمود مقاومتها ، والضرب
على أيدي العابثين والعابثات ، لا يبد الحكومة فحسب ، بل وبغضبة الشعب ،
الحريص على شرفه ، المستمسك بعفافه ، البصير بشئون مقوماته الأدبية
والخلاقية ، حتى يبرأ المريض ، ويقوم العابث ، ويوجه الضال ، إذا لم تقم الأمة
بذلك ساء الحال والمآل .

وإذا نحن أهبتنا بالشباب ، وهم عدة الأمة ، وعتادها ، وأملها ، وأجنادها
أن استردوا ما فقدتم وفقدنا ، واسكبوا من فتوة الشباب في غراس المجد لامتكم ،
وانهضوا بعزيمة الشباب في رفع لوائكم أمام نهضة الفضيلة والشرف والاخلاق ،

إذا نحن أملنا خلق بهم تحقيق رجائنا فإنما نبني لهم ، ونفخر بهم ، ونعتز وإياهم بكرامة الوطن ، وسلامة بنيانه ، وتطهير نواحيه .

* * *

وقد يفتن المرء ويبتلى في نفسه بمرض أو ضيق ، وقد يبتلى في ماله بنقص أو عسرة ، وقد يبتلى في أهله وولده ، وقد يبتلى فيمن يحيط به من عشراء وخطاء وسبيل الظفر في ذلك كله اضطراب ، وتجلد ، وسكينة ، ثم استمسك بأسباب التقوى واعتصام بعوامل الخير . ذلك قول الله تعالى :

« لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور . »
يا معشر الناس :

إن الله ليمحص في هذه الحياة أقوالكم وأعمالكم وعقائدكم ، فإن كنتم تريدون لأنفسكم خيرا ولدينكم خيرا ، ولأمتكم خيرا ، فاصبروا في محنة الاختبار ، واذكروا في إخلاص القول والعمل كرامة أنفسكم ، وكرامة أمتكم ، وكرامة دينكم ودنياكم .

« يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . »

الآخاء

قال حكيم : الإخاء جوهرة رقيقة وهي ما لم ترقها وتحرسها معرضة للآفات ، فمرض الابن بالحذاء له حتى تصل إلى قربه ، وبالكظم حتى يعتذر إليك من ظلمك ، وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك بالفضل ، ولا من أخيك بالتقصير .

قال عبد الصمد بن المعدل :

من لم يردك ولم ترده لم يستفدك ولم تفده
قرب صديقك ما نأى ورد التقارب واسترده
وإذا هت أركانها ومن أخى ثقة فسد

السيد الحميرى

شعره

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود النواوى

المفكش بالأزهر

شعر السيد الحميرى يذكر جداً فى غرض واحد، وهو شرح عقيدة العلويين والكيسانيين والدفاع عنها والنهى على من خالفها أو حال دون تحققها من السلف الاولين. ولو كان من كبار الصحابة أو التابعين. وإن شاء قائل أن ية ول إن السيد الحميرى قصر شعره - فيما عدا قليلا قاله على الراجح يتكسب به - أو يلجى داعى القرينة والاستعداد قصر شعره على هذا النمط، وإن قال فى غيره فليكون ذريعة إلى تحقيق غرضه فيه. أو لإنهاء شعره وطبعه بطابع القبول، فإذا نسب فى صدور بعض قصائده ^(١) فلأن ذلك كان مما يحسن الشعر فى نظر الدهماء وقد جرى فيه تقليد عربى شعرى كما فى قوله فى مفتاح قصيدة يذكر فيها ابن الحنفية منوها به :

أشافتك المنازل بعد هند وتربها وذات الدل دعد
منازل أفقرت منهن تحت معالمهن من سيل ورعد ^(٢)

وإذا هجا كما فى هجائه لسوار القاضى فى قوله للنصور

ولا تستعن بخبيث الرأى ذى صلف جم العيوب عظيم الكبر جيار
قضى الخصوم لديه من تجبره لا يرفعون اليه لحظ أبصار
تيها وكبرا ولولا ما رفعت له من ضبعه كان عين الجائع العارى

إذا قال ذلك فلأن القاضى يعاديه فى مسلكه ولا يقبل شهادته لا لأنه خبيث الرأى ذو صلف ولا لأنه جم العيوب عظيم الكبر. ولا لأن الخصوم لا يرفعون

(١) نسب بالمرأة نسب ونسباً شبيهاً فى شعره

(٢) محذوف عفت والسيل المطر

إليه لحظ إبصار ولكنه، داعي العفيدة وحكم الدفاع وربما لم يكن لسوار شيء مما قال أو كثير مما قال، وإذا مدح غير العلوية ولو متكسبا فلا تنسابهم اليهم واجتماعهم معهم في أقرب النسب كبنى العباس، فانه يمدح المنصور ويقول إنني أمدح بني هاشم الذين كان المنصور من بينهم فله وله شيرته حق الوفاء والولاء.

أليت لا أمدح ذا مائل من معشر غير بني هاشم
أولتهم عندي يد المصطفى ذي الفضل والمن أبي القاسم

وهكذا يمدح المدارس لشعره يحوم حول هذه الناحية حتى لا يكاد يمودها إلا ليعود إليها، ولهذا حدث الموصلي عن عمه أنه جمع ألهين وثلاثمائة قصيدة للسيد الحميري في بني هاشم حتى جلس إليه يوما رجل ذو أطوار وثقة فسمعه يفتش شيئا من شعره فأنشده ثلاث قصائد لم تكن عنده ولهذا أيضا قل بشار لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا.

وقد بلغ من أمر تغلغله في هاته الناحية من الشعر أنه يذكرها في أدق مواقف حياته وأشدّها حروجة مفتخرا موجبا. أو مدلا مستشفعا.

فمن الأول: ما يروى أنه اجتمع في طريقه بامرأة نيمية إباحية^(١) فأعجبها فقالت إنني أريد أن أتزوج بك ونحن على ظهر الطريق، قال: يكون كمنكاح أم خارجة قبل حضور ولي وشهود^(٢) فاستضحكت ثم قالت تنظر في هذا. وعلى ذلك فمن أنت. فقال:

إن تسألني بقوى تسأل رجلا في ذروة العز من أحياء ذي يمن
حتى قال:

لى منزلان بلحج منزل وسط منها ولى منزل للعز في عدن
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به من كبة النار للهادي أبي حسن

(١) الإباحية طائفة من الغوارج تنسب إلى ابن أبيض والغوارج يهرؤن بعد عثمان وعلى.

(٢) منكاح أم خارجة يضرب به المثل في السرعة كان يأتيها الغاطب فيقول خطب فتقول نكح.

والقصة بقية طريفة وهي في كتاب الأغاني (١) .

ولننما قصدت إلى أن السيد كان غارقاً في هذا الباب يكاد لا يفساه أبداً حتى في أدق ظروفه .

ومن الثاني : أن بعض الولاة كان قد سجنه بسكرة ، فكتب أحياناً يقول في بعضها :

قل للأمر إذا ظفرت بخولة منه ولم يك عنده من يسمع
هب للذي أحبته في أحمد وفيه إنك حاصد ما تزع
يخص آل محمد بمحبة في الصدر قد طويت عليها الأضلع

هذا وقد أشرت في صدر هذا المقال إلى أنه ربما لي بالشعر داعية الاستعداد الفطري فإن الشعراء ولا سيما المكثرين منهم تغلب عليهم ناحية النظم ، وتغلب على أقوالهم في بعض الظروف الاتجاه بها إلى الوزن مع أن الخيال الغالب هو الخيال الشعري فينشأ من ذلك شعر لطيف مقبول ، وبخاصة عند المتقدمين من الشعراء ، ولهذا يقول أبو العتاهية لو شئت أن أجمل كلامي شعراً لفعلت ، وقد رأينا شيئاً من ذلك في بعض إخواننا من الأدباء المعاصرين ، وربما كان منه في هذا الشعر بعض الارتجالات في المناسبات التي أشرت إلى بعض صورها كآيات الخطوبة السابقة .

وإذ قد علمت الأمر من شأن الحميري في أغراض الشعر فهذه مناسبة يستطيع أن تعلم فيها أن له نظراء من الشعراء ، ويختلف شبه بهم في ناحية الجود الكلي أو الجزئي وما إلى ذلك . ومن هؤلاء الكهيت الأسدي أشبهه في الولوع ببني هاشم وآل النبي ، وله قصائد بليغة مطولة تسمى بالهاشميات ، منها بائته المشهورة :

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب

ولكنه لزم مذهب التقية في أخريات حياته ، فقد وشى الوشاة به إلى هشام ابن عبد الملك ، وألحوا عليه في أمره حتى أمر بقتله ، ولكنه احتال حتى خرج من السجن ، وتاب عن التشيع ، ومدح بني أمية ، على أنه له بعض أنواع من الشعر أهمها المديح .

وعن أشبهه في التأثر بغرض واحد ، والإسراف فيه ، وإن كان له نصيب من غيره عمر بن أبي ربيعة الذي أكثر من الغزل والنوادر والوقائع والمجون ، وهو معروف مشهور .

وعن اخنص بنوع واحد لم يقل في غيره العباس بن الاحنف العباسي صاحب الرشيد ، فإنه كان متوفراً على الغزل لا يقول في غيره لأنه كان مترفاً فارغ البال للحب والعاطفة ، ولولا خشية الخروج عن الغرض لبسطت هاته الناحية ولسكن حبسك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وأما أسلوب السيد الحميري ومسلكه في الالفاظ ، فقد كان يذهب مذهب فحول المقدمين الذين جمعوا بين مظاهر القوة والجزالة ومظاهر النعومة والحضارة ، وما يفلت نظر الأديب والشاعر فيه أنه تحامى الغريب العصري تحامياً وجافاه الى حد البغضاء حتى كان يعترض عليه كثير من الناس ويقولون مالك لاتستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل ذلك الشعراء فأجاب بجواب الغنى الماهر المعتد بصناعته . لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذ من سمعه خير من أن أقول شيئاً معقداً تفضل فيه الأوهام ، وهذا المذهب من التخير عند التحقيق بمجهود جبار يقدره أهل الفن قدره ، ولهذا كان فحول الشعراء والمتقدمون على من عداهم من أمثال بشار يقفون من شعره موقف الخشوع والإخبات والغبطة وقد مر بك صورة من ذلك في المقال الأول .

تحاسد الأقارب

وقف أمية بن أبي الأشكر على ابن عم له فقال :

نشدتك بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من لؤي بن غالب
فإنك قد جربتني فوجدتني أعينك في الجلي وأكفيك جانبي
وإن دب من قوم إليك عداوة عقاربهم دبت إليهم عقاربني
قال نعم كذلك أنت ، فما بال مثبرك لا يزال إلى ديسا ؟ قال لا أعود . قال
قد رضيت وعفا الله عما سلف .

«الشعر والحروب الصليبية»

لغضبه الأستاذ الشيخ رياض هزل

المدرس بكلية اللغة العربية

تقدمة تاريخية :

إن الباحث عن الأسباب الدافعة الى هذه الحملات الدينية المنظمة التي قامت بها «أوربة» ، مدة من الزمان لتخليص الأراضي المقدسة في فلسطين من أيدي المسلمين ولإيجاد كنيسة وحكومة «لاتينية» في الشرق يجدها سلسلة متلاحقة سبقت العهد الايوبي بكثير وإن كانت لم تأخذ شكلها الواضح ومظهرها السافر إلا في تلك الحقبة ، ذلك بأنه كان لاتنصارات العباسيين ونقصهم من أطراف الدولة الرومانية وضياعها شيئاً فشيئاً أثر سىء في نفوس الفرنجة جعلهم يتحينون الفرص للوثوب على دولة العباسيين ومحاولة رجوع مجدهم ودولتهم ، فلما كانت دولة البويهيين وضعفت الخلافة العباسية حاربهم الرومانيون وأرهبهم ، ولكن السلاجقة الأتراك أعادوا الأمور الى نصابها لما عرف عنهم من شجاعة وبسالة ، حتى إذا مات ملك شاه «السلجوقي تبددت دولته فأرسل «الكسيوس» الى «أوربة» يستنجد بها لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وصور المسلمين بصورة ظالمة فيها كثير من الإفتراء والطغيان . عندئذ ثارت «أوربة» وتمردت وأعلنت حرباً دينية على الشرق الإسلامي فأرسلت جنودها في سنتي ٤٨٩ ، ٤٩٠ هـ واحتدم القتال في الأناضول وهزم المسلمون وبلغ الفرنجة الشام فأقاموا دولهم الأربع في الرها وأنطاكية وطرابلس ، وبيت المقدس ، وبذلك تم للفرنجة ما أرادوا من القضاء على شوكة

المسلمين حتى انحسرت موجة الفتح الإسلامي عن القسطنطينية بتلك الضربة القاصمة ، ويجب أن يلاحظ أن انقسام الدولة الإسلامية المترامية الأطراف الى دويلات صغيرة وظهورها بمظهر التفكك بما أدى الى هذه النتيجة السيئة ، فالأندلسيون في الغرب والعباسيون في الشرق والفاطيون في مصر والشام وكل يكيد بعضه لبعض ، والحق أن هذا الضعف كان ضعفا عارضا وليس انكسارا عاما وموتنا للروح المعنوى عند المسلمين فما كاد البطل الإسلامي عماد الدين ^(١) زنكي يظهر حتى هبت ريح النصر على المسلمين من جديد .

وبدأت العقيدة الإسلامية تأخذ في الظهور والوضوح بشكل يسترعى النظر والانتباه ، فكانت حرب بين الصليبيين والمسلمين انتهت بهزيمة الصليبيين واستيلاء عماد الدين على أمرها في عام ٥٣٩ هـ . وحينئذ فرغت أوروبا ثانية بيد أن نيران الحماسة في هذه المرة كانت فاترة ، فلم يستطيعوا أن يستعيدوا ما أخذ منهم ، وما زال المسلمون جاهدين في تخليص الشرق من أيدي الأجانب حتى ظهر رجل الجهاد الأكبر « نور الدين محمود زنكي » فنصب نفسه لإظهار العقيدة الإسلامية والدود عنها ، وكان « أسد الدين شيركوه » ، وأخوه « نجم الدين أيوب » ، ونجله « صلاح الدين أيوب » من أقوى دعائمه وأسناده في ذلك .

وليس يبدع أن ينشأ زعيم في حجر زعيم آخر ، ثم تتوافر أسباب الشهرة والنبوغ للتابع حتى يغطي على المتبوع ويحمله ، فذلك ما كان من أمر صلاح الدين الأيوبي مع نور الدين محمود ، وحينئذ أخذ الفرنجة يتجهون إلى مصر ، لأنهم يعرفونها بلداً غنياً خصباً وليس به أمثال نور الدين ممن يخشون بأسهم ، ويهربون من لقائهم ، فكانت منافسة بين الصليبيين ونور الدين وأعوانه في دخول مصر في وقت كانت الخلافة الفاطمية فيه في أخريات حياتها ، ونهاية مراحل الضعف ، وكانت جولات حرية انتهت بانفراد صلاح الدين بمصر واستقلاله بها ، وكانت له هو مع الصليبيين مواقف خالدة لن ينساها له التاريخ على كثرة أحداثه ، ولم تنقطع هذه الحروب الإسلامية بموت صلاح الدين بل اتصلت بعده بين أبنائه وخلفائه من جهة ، والفرنجة من جهة أخرى حتى كان آخر هؤلاء وهو توران شاه

(١) والده نور الدين محمود قتله أحد مماليكه سنة ٥٤١ هـ

ابن الملك الصالح فهزمهم هزيمة حاسمة ، وأسر ملكهم لويس التاسع ^(١) . ولما جاء السلطان بيبرس من المماليك جدد عهد صلاح الدين الأيوبي في غرب آسيا ، وأخذ يخضع ممتلكات الفرنجة الواحدة تلو الأخرى ، فاستولى على يافا وأخذ أنطاكية ، ثم سقطت طرابلس في زمن السلطان قلاوون ، وأخيراً سقطت عكة في عهد ابنه خليل ^(٢) وبذلك انتهى عهد الصليبيين في الشرقية ^(٣) . وليس مما يهم باحث الأدب في شيء أن يعلم تفاصيل هذه الحروب وما لابساها من ظواهر حرية ، فتلك صناعة المؤرخ السياسي ، وإنما يهم الأديب أن يعرف هذه الظاهرة بوجه عام ، ويعلم مركز الشاعر وأثره فيها وتأثيرها فيه مما سجل في شعره من نصر للملك أو أهاب بعزائم الرجال ، وشد من أعضادهم حتى أحسهم يخاضوا غمرات القتال وأحرزوا النصر مؤزرا ، وذلك ما سنحاوله في هذا البحث إن شاء الله .

كرم

مدح ربيعة الرافي يزيد بن حاتم الأزدي وهو والي مصر ، فاستبطنه ربيعة فرحل عن مصر وقال :

أراني ولا كفران لله راجعاً بخفي حنين من نوال ابن حاتم
فباغ قوله يزيد بن حاتم الأزدي ، فأرسل في طلبه فرد إليه ، فلما دخل عليه قال له أنت الفائل : (أراني ولا كفران لله راجعاً) ، قال نعم ، فقال له هل قلت غير هذا ؟ قال لا والله . قال أترجعن بخفي حنين مملوءة مالا . فأمر بخلع نعليه وملأته مالا . فقال فيه لما عزل عن مصر وولى بدله يزيد بن حاتم القيسي ، فقال ربيعة من أبيات :

قشتان ما بين اليزيديين في الندي يزيد سليم والأغر ابن حاتم
فهم الفتى الأزدي لإنفاق ماله وهم الفتى القيسي جمع الدراهم

(١) هو الفرنسيين عند العرب كما في شعر ابن مطروح .

(٢) صلاح الدين خليل بن قلاوون كان للحمراء فيه أماديج توفي سنة ٦٩٣ هـ .

(٣) كان ذلك مما يقال ولكنه بدأ مرة أخرى قوياً شديد المراس فهل من صلاح الدين آخر ؟

نقحات من عبقرية الرسول

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم الحفناوي

وكيل معهد سمود

لم يعرف التاريخ - على كثرة ما وعى من الشخصيات الفذة - شخصية توفرت لها نواحي العبقرية ، وتجمعت لها مقومات العظمة ، واكتملت لها دواعي السمو الإنساني ، كمحمد بن عبد الله ، ذلك الإنسان الكامل الذي ألهمه طبعه السليم ، وهدته فطرته الخالصة . أن حياة الجاهلية ضلال في ضلال ، وأن السير في طريقها وبال ونكال ، ففجر الأصنام وسفه عابديها ، وقاطع المنكرات وتجنب مرئديها ، ووجد أنس نفسه في البعد عن الشهوات ، وشفاء قلبه في العزلة والخلوات ، وطرب روحه في التفكير في ملكوت الأرض والسموات ، وهو بعد لم يتصل بالسماء ، ولم يدر بخلده أنه من الأنبياء ، ولكنها عصمة الله وحياطته ، وعنايته بأكرم خلقه ورعايته ، أدبه فأحسن تأديبه ، وخصه بأكرم ما يخص به حبيب حبيبه ، فسبحان الذي قومه أحسن تقويم ، وشهد له في محكم كتابه بالخلق العظيم ، كذلك لم تعرف البشرية - على كثرة ما توارد عليها من الأنبياء والمرسلين ، وما تتابع على أجيالها من الهداة المصلحين - رسالة بلغت من شمول الإصلاح ، وتوفر لها من عوامل الفوز والفلاح ، وبلغت في فترة وجيزة أقصى ما يمكن من النجاح ، ما بلغت الدعوة الإسلامية التي شملت بخيرها كل نواحي البشرية ، وأطلقت العقول من عقالها ، وساعدت البشرية على تحطيم أغلالها ونقلت العالم من الظلمات إلى النور ، وطهرت جنباته من الأرجاس والشرور ، وتلفتت أول ما تلفتت إلى العرب فوجدتهم متنافرين متناحرين ، وإلى أذقانهم في الضلال غارقين ، فطهرتهم من الأرجاس والأدران ، وغمرت قلوبهم بطهر العقيدة ونور الإيمان ، فبدانهم من الجفاء لإخاء ، ومن الغدر وفاء ، غمّلوا مشاعل الهداية إلى جميع الأقطار ، وأخلصوا لله في الاعلان والإسرار ، ضاربين أكرم المثل في التضحية والإيثار ، حتى ملأوا القلوب إعجاباً بهم ، والنفوس إعجاباً لهم ، ودانت لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها ، وانقاد لهم كل صعب ، وأسلم لهم كل معاند ، وما ذلك إلا لقوة روحهم ، وثبات يقينهم ، وسمو عقيدتهم ، وسيروهم على تعاليم قائدهم الأول ، خير الهداة وإمام المصلحين

محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقد ظهرت الحكمة والرصانة وبعد النظر وقوة الحزم في كل ما صدر عنه من قول أو فعل ، وتفجرت منه ينابيع العلم والمعرفة ، وآيات البلاغة التي طأطأ لها البلغاء هماماتهم إجلالا وهيبة ، جمع إلى فصاحة اللسان . فصاحة اللغة ، كما كان ذا قدرة على تأليف القلوب ، واجتذاب النفوس ، حدثت عائشة رضي الله عنها قالت (ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسر دكم هذا . ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه) .

هذا إلى ما اشتهر به عليه السلام قبل النبوة من الصدق في قوله والإخلاص في عمله ، والسيرة المحمودة والأمانة النادرة ، كان السر أبلغ السر في نشر دعوته ، وبث رسالته ، وحسبك أنه فرد غير مجرى التاريخ ، وبذل عقائد وعبادات ، في قوم غلاظ جفافة ، ليس من السهل أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم ، ولا من الهين أن يذروا ما كانوا عليه من عادات وأخلاق تغلفت في نفوسهم ، وتمكنت من قلوبهم ، وما ذلك إلا لأنه أوقى الحكمة وفصل الخطاب ، ورزق من قوة العقيدة ورجاحة العقل ، ما جعله يحجو بنور الإيمان الباهر ، ظلام الليل الدامس .

ولقد كان عليه السلام عبقريا في فنون الحرب ، فذا في أحوالها وأساليبها ، ومع ذلك لم يبدأ بقتال ، ولم يسبق إلى اعتداء ، بل دعا قومه بالحجج الداحضات ، والآيات البينات ، مما جعل السابقين الأولين يتهافتون على دعوته ، ويستجيبون لرسالته ، اللهم إلا قوما أكل الحقد قلوبهم ، وقطع الحسد أكبادهم ، حسدوا الرسول على ما حباه به ربه ، فأصروا على عنادهم ، ولم يستمعوا لدعوته ، بل جدوا في إحباط رسالته ، وناصروه العدا ، ولم يتركوا بابا من أبواب الإيذاء إلا ولجوه ، ولا طريقا من طرق العنت إلا سلكوه ، فكانوا هم البادئين بالعدوان وظلوا كذلك حتى نزلت الآية الكريمة (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فكان عليه السلام قائد حرب لا يشق له غبار ، يرسم الخطط ويحدد الأماكن ، ويتخذ لكل حال ما يناسبها ، وما هي ذى حروبه المتنوعة ، لم تكن على وثيرة واحدة ، وكثيرا ما كان في مقدمة الجيش ثدا مقداما فهذا علي بن أبي طالب يقول كنا إذا حمى البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فسا يكون أحد أقرب منه إلى العدو ، وتتجلى عبقريته في الأخذ بآراء أصحابه الناضجة ، والنزول على إرادتهم غير مستبد برأيه ، ولا مستهين بأفكار صحابته ، - أنظر إليه في غزوة بدر يستمع إلى مشورة الحباب بن المنذر حين اقترح عليه الانتقال إلى غير المكان الذي نزل فيه

قائلا يا رسول الله أهذا منزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال يا رسول الله ليس لك هذا بمنزل فانهض بالأسحق حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فأني أعرف غزارة مائه وكثرته ، فنزله ونعور ما عداه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا فتملؤه فنشرب ولا يشربون ، فقال الرسول عليه السلام قد أشرت بالرأي .

وفي غزوة الخندق وقد أجمعت العرب أمرها ، وأتوا المسلمين بما لا قبل لهم به من عدة وعديد لم يسبق لها مثيل من قبل فلما هال المسلمين أمرهم وأخذوا يفكرون في التحصن في المدينة ، إذا بسلمان الفارسي وكان يعرف من أساليب الحرب ما لم يكن معروفا عند العرب ، يشير بحفر الخندق حول المدينة فتهل وجه النبي فرحا بهذا الرأي وأشار به وشارك المسلمين في حفره بيده الكريمة ، وأي عبقرية أظهر من أنه كان يختار الموقع الملائم له ، ويتحين الفرصة ، ويعاجل العدو قبل تمام استعداداته إلا أن يكون الهجوم ليس من مصلحته كما حدث في غزوة الخندق ، وكانت قوة الإيمان هي السر أبلى السر في انتصاره الرائعة ، والقوة المعنوية تتضاءل أمامها جحافل الجيوش ، وتندحر أمامها قوة الأساطيل ، ووفرة العدد والعدد (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً) وإن جيشاً تروى روحه المعنوية فيتقدم جنوده للقاء العدو بنفسه لا تخشى الموت ولا ترهب الفناء مقبلي غير مدبرين ، متكرين ذواتهم ، مضحين بنفوسهم في سبيل وطنهم لا بد أن يفتصر هذا الجيش قل أعداؤه أو كثروا فالمستमित لا يموت والمستقتل لا يقتل ، ولا سيما إذا كان هذا الجيش يدافع عن وطن خصوب ، وحق مسلوب ومال منهب وكرامة مهينة ويقاقل غاصبا استمرأ العدوان والحق بوطنه الدمار والخسران ، ولم يرقب فيه إلا ولاذمه ، ولم يرع له وفاء ولا حرمة ، هنا تنجلي القوة المعنوية ، ويتسابق الجميع إلى خوض المعركة ، واهبين أنفسهم وأموالهم فداء لوطنهم ، مضحين بالغالي والرخيص في سبيل استرداد كرامتهم ، والذود عن حياتهم ، فما استحق الحياة من دعاة الوطن فتشكر ، ومن هتف به الداعي فقدم رجلا وآخر ، ولا معنى للحياة يحياها المرء تحت نير الاستعباد ، وربقة الذل والعبودية ، وللموت خير من مقام على الأذى .

ألا نفوس أبيات لها هم تستعذب الموت في تحرير أوطان
ألا نفوس تؤدي بعض ما ملكت لتمحو العار عن مصر وسودان

أول اللحن في لغة العرب

لفضيلة الشيخ عبد الحميد المسعود

المدرس بكلية اللغة العربية

عاش العرب في جزيرتهم قبل الإسلام محصورين بين جنباتها متقلين في ربوعها وأرجائها لا يعدو عليهم دخيل ولا يختلط بهم أجنبي - ومن هنا ظلت سلاتهم سليمة لا يتسرب إليها زيف وبقيت ألسنتهم نصيحة لا يساورها هجنة ولا ضعف لأنهم نشأوا نشأة عربية خالصة ، وارتضعوا أفوايق الإعراب من قديم الزمن ، وورثوا سلامة المنطق عن آبائهم وأجدادهم على تقادم العصور وتطاول الحقب .

فلما جاء الإسلام وبعث محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين إلى الناس يهديهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم . واقضى عموم دعوته وشمول رسالته أن يدعو إلى دينه أقوام ما ليسوا من أهل لغته ولا يستطيعون التكلم بلسانه ، كان لابد أن يختلط بهم العرب ، وأن يداخلوهم ويتحدثوا إليهم ويفهموهم الدعوة ويلغوم الرسالة .

ثم بعد الجهاد الشاق والكفاح الطويل كان الملك الإسلامي والدولة الجديدة واتساع رقعتها وامتداد أطرافها ، وتبع هذا اختلاط الغالين بالمغلوبين وارتباط الحاكمين بالمحكومين ، واتخذ الفاتحون من الأعاجم عبيدا وخداما وحاضنات ومرميات أشرفن على تربية أبنائهم وتنشئتهم ، إذ أقبلت عليهم الدنيا وأسرع إليهم ترفها ، وتكاثر لديهم زخرفها وزينتها ، فلشأ عن ذلك بعض الخلل في النطق والاضطراب في الألسنة .

ولقد راق لكثير من العرب جمال البلاد المفتوحة وكثرة خيراتها ، ووفرة أرزاقها فزحوا إليها واستوطنوها وعاملوا أهلها وعاشروهم ، إذ آخى بينهم الإسلام وجعلهم الدين سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، فأصهروا إليهم وأعقبوا منهم وامتلكوا منهم كذلك بحكم الفتح والغلبة . ولذلك

نشأ في الأمصار الإسلامية جيل من الناس جديد ، الثالث لهجته واضطربت ملكته وتسرب الفساد إلى منطقته . ووجدت له لغة تخاطب هي مزيج من العربي والأعجمي الذي يختلف باختلاف البيئات ، فلون الفساد في العراق يجرى من الفارسية لغة أهل البلاد ، وفي الشام من الرومية ، وفي مصر من القبطية .

أما العرب الأصليون فقد ظلت ألسنتهم سليمة لم يشبها تحريف وبقيت لغتهم صحيحة لم يطرأ عليها فساد ، وحتى هؤلاء المحدثون الذين كانت نشأتهم وليدة الاختلاط والامتزاج كانت محادثتهم في مجموعها عربية ، وإن سرى إليها اللحن وفشت فيها العجمة .

ولا يظن ظان أن التحريف لم يتمكن من الألسنة ، وأن اللحن لم توجد له مظاهر إلا في العصر الأموي حيث اتسعت الدولة وامتد ظلها وفشت الخلطة وتم الامتزاج ، فإن من طبائع الألسنة أن يقبورها القصد ويلتوي عليها النهج في بعض الأحيان . وهذا يحدث في كل عصر وفي كل زمان حتى ليروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن رجلاً لحن بمحضته فقال : أرشدوا أخاكم فقد ضل ، ولكن ذلك كان يقابل بالازدراء والامتناع ، ويحد من الاستهجان والاستفطاع ما يقضى عليه لوقته . ولقد قيل إن عمر بن الخطاب مر بقوم يتناضلون وروى بعضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت ، فقال يا أمير المؤمنين (نحن متعلمين) فقال له عمر : والله لخطوك في كلامك أشد علينا من خطئك في نضالك ، ثم قال : احفظوا القرآن وتفقهوا في الدين وتعلموا اللحن^(١) .

ويروى أن كاتب أبي موسى الأشعري كتب عنه كتاباً إلى عمر بن الخطاب فلحن فيه وقال (من أبو موسى) فأرسل إليه عمر يقول (قع كاتبك سوطا) .

ثم إن من شأن الدخيل على لغة غير لغته ، والطاوي على لسان غير لسانه أن يتعرّض لظقة وتلتوي لهجته ويترنح لسانه ، وما يزال كذلك حتى يستطيع بمضي الزمن وتتابع الأيام أن يندمج في اللغة الجديدة وتصبح سليقة فيه وطبيعة له أو أشبه بسليقته وطبيعته ، ولذلك قيل إن بلالا كان يرتضخ لسكتة حبشية ، وسلمان كان

[١] أي تعلموا اتقاء اللحن أو اللغة المجردة .

يميل لسانه إلى الفارسية ، وصهيب كانت فيه لسكنة رومية . لكن هذا في صدر الإسلام كان قليلا لقلة من خالط العرب من الأعاجم .

أما في عصر بني أمية فقد شاع الاختلاط وامتزج العرب بغيرهم ، ورحل كثير منهم إلى الأمصار المفتوحة فسكنوها وعاشروا أهلها وأصبروا إليهم وخالطوهم خلطة القرابة القريبة ، وشب وأيفع ذلك الجيل الذي كان وليد الاختلاط . ومن هنا تمكن الفساد من الألسنة وعلق الخلل بالسلاتق وجثم الضعف على المسكات . ووجد الخاصة والحراس على اللغة والكلفون بالعروبة أنه لا بد من توجيه العناية إلى أبنائهم وناشئتهم فلبوا لهم الرواة والمؤدبين ليشبوا على القصيح ، وينشأوا على الإعراب ، على أن تيار العجمة لم يلبث أن جرف ما أمامه من مقاومة وطفى على الخاصة والعامة ، حتى أصبح القصيح المنطوق يخشى أن يتسرب إليه من اللحن ما لم يكن يتوقعه حتى كان عبد الملك بن مروان وهو المعروف بقوة بيبانه ، وفصاحته لسانه يقول : شينى صعود المنابر وتوقع اللحن . وبعد أن كان اللحنون في غير هذا العصر يعدون قلة قليلة ، أصبح الناس يعدون على أصابع اليد من لا يلحن في إعرابه .

وقد روى عن الأصمعي (أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي وعبد الملك ابن مروان والحجاج بن يوسف الثقفي وابن القريّة . والحجاج أفصحهم) .

وحق هؤلاء الأربعة لم يسلم بعضهم من هجنة اللحن فإن أفصحهم وهو الحجاج أثر عنه أنه قال مرة للشعبي كم عطاءك (بنصب عطاء) فقال ألفين (بالنصب) فأدرك الحجاج خطأ وأعاد السؤال مصححاً ، وقال : كم عطاؤك (بالرفع) فقال الشعبي ألفان (وصحح كلامه) فقال الحجاج فلم لحننت فيما لا يلحن فيه مثلك ؟ فقال : لحن الأمير فلحننت وأعرب فأعربت ولم أكن ليألحن الأمير فأعرب أنا عليه فأكون كالمفرع له يلحنه والمستطيل عليه بفضل القول .

ويروى ابن سلام في طبقات الشعراء أنه قال ليحيى بن يعمر أسمعني ألحن . قال في حرف واحد ، قال في أى قال في القرآن . قال ذلك أشنع فما هو قال تقول (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم . . . إلى قوله أحب فتقروها بالرفع) فقال لا جرم لا تسمع لي لحننا . ثم ألحقه بخراسان غاضبا عليه .

واللحن دائماً كان يقابل بالاستنكار والتجهم ، وكان عبد الملك بن مروان يقول (الإعراب جمال للوضع واللحن هجئة للشريف) وكان يستسقط من يلحن حتى يروى عنه أن رجلاً من عليّة أهل الشام استأذن عليه وبين يديه قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال : يا غلام غطها ، ودخل الرجل فلما تسكّم لحن فقال عبد الملك يا غلام : اكشف عنها الغطاء فليس للأذن حرمة ، ومن وصاياهم : أصلحوا من ألسنتكم فإن المرء تنوبه النابتة فيستعير الوب والدابة ولا يمكنه أن يستعير اللسان .

وقيل أول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي وأول لحن سمع بالعراق حتى على الفلاح (بكسر الياء) وهي مفتوحة وكان هناك لحن آخر دفع إليه ضعف الملكة والقصور في التعبير عما تتطوى عليه النفس من أفكار وآراء أو يحمله اضطراب الفؤاد حين مباغته حادث أو مفاجأة أمر جلل ، كهذا الذي يروى عن عبيد الله بن زياد حين قال للجند وهو يخاطب فيهم (افتحوا لي سبوفكم) وقد عيره بذلك يزيد بن مفرغ بقوله :

ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكان أمرك للضياع
وقد عد على خالد بن عبد الله القسري أنه قال مرة وهو على المنبر أطعموني ماء
وقد عيره بذلك يحيى ابن نوفل إذ يقول :

بل المنابر من خوف ومن وهل^(١) واستطعم الماء لماجد في الحرب
واللحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديد في الخطب
يقول المبرد إن خالداً كان متقدماً في الخطابة متناهيّاً في البلاغة ، فخرج عليه
المغيرة بن شعبه بالكوفة في عشرين رجلاً فعططوا به^(٢) . فقال خالد وهو على
المنبر أطعموني ماء فغير بذلك .

على أن هذا اللحن مع شيوخه وكثرته ، ومع استشرائه وتغلغله كان يقاوم بشدة ويقابل دائماً باستهجان واستنكار ، لأن القوم إذ ذاك عرب يزدهمهم جمال الفصحى وتسويهم روعة الإعراب ، ولأنهم شديداً الحفاظ على كتابهم الكريم

[١] وهل : الضعف والفرع .

[٢] العططة : تنابع الأصوات واختلاطها في الحرب وغيرها . وعططوا به أي صاحوا .

ومن هنا أنفو من اللحن وحاربوه وعابوا على أصحابه ما مسهم من ضره أو لحقهم من شره ووزره حتى ليروى أن رجلا دخل على زياد فقال : « إن أبونا هلك ، وإن أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا فقال ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من ميراثك فلا رحم الله أباك حين ترك ولدًا مثلك .

واختصم رجلان إلى عمر بن عبد العزيز فجعلا يلحنان فقال الحاجب (قفا فقد أذيتما أمير المؤمنين) فقال عمر أنت والله أشد إيهاء لى منهما .

وتكلم رجل فسبق إلى لسانه ما لم يرد فلحن فقال : حسبي الله والله لقد وجدت حرارتها في حلقى قبل أن أتكلم بها . ودخل أعرابي السوق فسمع الناس يلحنون فقال : يا سبحان الله يلحنون ويربحون . وكان يحيى بن نوفل يقول : اللحن في المنطق أقبح من آثار الجدرى في الوجه . وقال أبان بن سعيد اللحن في الرجل ذى الهيبة كالدينس في الثوب الجديد .

هذه المقاومة العنيفة لمظاهر اللحن إنما دعا إليها الحرص على احترام السلائق وتقديس الفطر التي طبعوا عليها .

وكانت مظاهر المقاومة تتمثل في استنكار اللحن كما رأينا التشفيغ على اللحانين ، وفي الاحتراس بتلقى اللغة عن الأعراب الخالص والعلماء والمؤددين .

فلما ضعفت الألسنة أمام تياره الجارف وطوفانه الطاغى تهض العلماء لوضع النحو والشكل والأعجام .

الحلم

قال قيس بن عاصم المنقرى وكان مشهورا بالسيادة والحلم :

أنى امرؤ لا بطيء حسبي دنس بهجنه ولا أفن
من منقر فى بيت مكرمة والغصن يثبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفظنون لعب جارهم وهم لحفظ جواره فطن

محمد

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

لم تبلغ كلمة من الذبوع والاشتهار — بعد لفظ الجلالة — ما بلغته تلك الكلمة التي ترددها السنة الملايين من المسلمين في بقاع الأرض ، تيمنا بها ، وتلذذا بذكرها وارتياحا لنعمتها ، وسرورا بخطورها على البال ، ومرورها بالذهن ...

ولقد سجل التاريخ للإنسانية مراحل مختلفة للتضوج الفكري ، والنهوض الأدبي ، والعمران والإصلاح ، والرقى والتقدم ، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلم يكن بين ذلك كله من الأسماء ما وصلت به نباهة الشأن ، وطنين الصيت ، ودوى الجرس ، ما كان لمحمد ، بين السمكات .. وكلنا نعلم أنه نشأ في مهود الفقر ، وخطائد اليتيم ، والمألوف في الأطفال الذين تتلقاهم هذه الحياة وتولاهم تلك الظروف ، أن يموت فيهم النزوع الى المجد ، والتوئب للعالى ، والرغبة في السكال ، والتطلع نحو الغايات البعيدة ، والأهداف السامية .. ولكنه صلى الله عليه وسلم على الرغم من أن المقادير رمت بهاتين الداهيتين ، لم يؤثر ذلك في طموحه وعلو نفسه ، ودأبه على الخير ، ورغبته في البر ، وحبه للسلام ، وميله دائما أبدا الى التي هي أقوم . وكان الذي كان يقدر له في الغيب خوارق العادات ، وتأيد هذه المعجزات ، أبي إلا أن يجعله هو في ذاته معجزة تحار الأفسار في فهم سننها ، وكشف المستور من طريق الحياة معها ، ليغنى العلماء والفلاسفة بدراستها ، والاشتغال بها ، والحديث عنها ، عنايتهم بشريعتها ، التي تضمنت من الدستور ، ورسمت من المناهج ، ما لا يبقى بعده عذر لتخلف ، ولا حجة لمقصر ، أو رأى لعاقل ، أو نظر لحصيف ..

وإن سلوكه منذ نعومة أظفاره ، وسمته من لدن طفولته ، وحزمه وكياسته من أول يوم ارتاد فيه مجالس قومه ، ومجالى عشيرته ، وحديثه إليهم بالفصل ،

وحكمه بينهم بالعدل ، وشهادتهم له بالصدق ، ونظرتهم إليه بالاحترام ، وتوسمهم فيه الجلال ، وترقبهم أن مستقبلا باسماء ينتظره ، ويسمى نحوه ... أشياء أخرى كانت كلها تجعله الشغل الشاغل الذى لا يستطيعون فهمه ، ولا يدركون غايته ، ولا يعلمون متى تنكشف سمائته ، ويتجلى غيظه ، فلما بلغ مبلغ الرجال ، وكان يقرى الضيف ، ويحمل الكل ، ويعين على الحق ، ويكسب المعدوم — كما شهد له ورقة بن نوفل — هالهم أمره ، وعناهم شأنه وظنوا أن الأيام سوف تتمخض منه عن كسرى أو قيصر ، ولم يزالوا هكذا يتوهمون حتى سفه أحلامهم ، وعاب آلهتهم وأظهرهم في ترهاتهم الباطلة ، وأفسكارهم النازلة ، بمظهر الحق المأفونين ، وهناك قالوا لعمه أبى طالب كن لنا عند ابن أخيك شفيعا ، لأنه جاوز في النكابة بنا الغاية ، ووصل من تحقيرنا الى النهاية ، وأصبحت معبوداتنا بعد تعرضه لها تنهاوى كبرياؤها ، وتتضاءل عظمتها ، وله علينا أن نملكه ، وأن نبذل له من المال ما يريد . . . وما كانوا يترقبون أن الرجل الفقير المعدم سيرد عليهم هذا الرد . . . والله يا عمى لو أنهم وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما رجعت عن هذا الأمر حتى يظلمه الله أو أهلك دونه ، لذلك تحولت حريمهم الباردة الى التفكير في قتله ، وكان هذا اتجاها جديدا اتجهت إليه الدعوة المباركة .

ولا يعنينا من هذا العنوان أن نسترسل مع الحوادث ، وأن نرجع بالفارى الى ما عساه أن يكون قد حفظه من بطون الكتب ، إنما الذى يعنينا أن نقوله إن جوانب العظمة في هذا النبي الامى أدهشت الناس ، وبخاصة فيما يتناول تلك السرعة في انتشار العرب مما كانوا يتورطون فيه من السفاسف التى كانت تسيطر على عقولهم سيطرة ما كان يظن إقلاهم عنها ، وتركهم لها ، أو نسيانهم إياها .

ويجبل الى أن هذا بعض ما حمل جماعة من المؤلفين القدامى لكتب السيرة أن يضيفوا عليه صلى الله عليه وسلم من النعوت والخلال ما يتجاوز به حدود البشرية ، زاعمين أن ذلك يجعلهم منه في موضع الرضى والزلنى ، مع أنه كان لا يفتأ في مناسبات مختلفة يصرح بأنه بشر يأكل الطعام ويمشى في الأسواق ، دفعاً لهذه التزييدات التى يفترها المبطلون .

وقد كنا نحمد لأولئك المجددين أساليبهم في الكتابة التى يكتبونها عنه ، لأنهم

يحاولون أن يؤرخوا له من الحوادث والأخبار ، وأن يجعلوا سلوكه مع أصحابه ، وتواضعه لأهله ، ورحمته بالبائسين ، وحده على المعوزين ، وإيثاره لغيره ، وإشاعته الأمن بين الناس ، ومحاولته القضاء على عناصر الفساد في البسيطة ، صدى لهمته الكبيرة ، وضميره النقي ، ودخيلته الطاهرة ، وبخبرته الشريفة ، ورغبته الخالصة من شوائب الفضول ، وهو نمط لا غبار عليه في البحث ، ولا عيب فيه من حيث الدراسة ، لأنه يجرى على طريقة علم النفس ، لولا أنهم في كثير من الأحيان يبالغون في هذه البحوث فيظهرون الرسول الكريم في صورة البطل الفاتح أو صورة الحاكم المسلط ، أو صورة العبقري النابغة ، أو صورة القائد المظفر ، وتلك ألفاظ من حقنا أن نتخددع بها في محيطنا الذي نعيش فيه ، ودياننا التي نملؤها بالزهو والخيلاء ، إلا أنها لا تخلو من المزالق ، ولا لنأى عن المآخذ ، ولا تفرغ من السقطات ، وإن غطت عليها فضيلة من الفضائل فبمقدار ماتعمى أعين الناظرين إلى رذائل ورذائل .

وعلى العقلاء ألا يغريهم هذا السراب اللامع ، وأن يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، فوق مستوى الإنسانية كلها ، وأعظم مما يظن كاتب مجدد ، أو فيلسوف باحث ، لأن الذي اختاره من البشر تحداً به ، وجعله أبعد من خيالهم الواهم ، وشعورهم الواسع ، ونظرهم المحدود . . وسيظل تاريخ الحياة والأحياء أهلاً بتقليب صفحاته إلى يوم يعثرون .

حكم

لعيسى عليه السلام في كتبنا حكم كثيرة منها قوله للحواريين .
 « اتخذوا المساجد بيوتا والبيوت منازل ، وكلوا بقل البرية ، واشربوا الماء القراح ، وانجوا من الدنيا سامنين » .
 وقال عليه السلام : « لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ، وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » .

مولد النور

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

شاق الوجود صباحه المتألق
سرحوته من السماء سريرة
ينساب في الأصلاب وهي مجامر
الله أودعه بها من نوره
تسأل الدنيا : متى ميغاده
وتبيت تحسد يومه أيامها
والكون مشوب الضرام مفزع
والخند يوغل في النفوس ضراوة
والناس فوضى لا ترى من بينهم
جمل وظلم عارم وسفاهة
ضلوا عن الحق القويم وحدم
وإذا ادلم الليل واعتكر الدجى

■ * *

حتى أراد الله رحمة خلقه
في ليلة نشر الريح لواءه
والأفق عطرى الفضاء كأنما
وازيغت قبب السماء بموكب
وتقلد الحور النجوم فلانداً
والأرض عرس والربا مجلوة
والرمل نشوان المني متهاوس
والشرك لهفان السؤال وقصر
شقت من الأبد الفضاء وجلجلت
طارت بألباب الحداة فوققوا

والله يلفظ بالعباد ويرفق
وسرى النسيم بها عبيراً يفتق
في كل ناحية بخور يحرق
فيه الملائكة الكرام تحلقوا
غراً يفسقها لمن مفسق
فاح العرار بها ورف الزنبق
والليل هيمان الرؤى متشوق
حيران مهوور وكسرى مطرق
بشرى تهز المشركين وتضعق
وتلفنت طرباً إليها الأيتق

وهوت لروعتها الغرائيق العلا واندك إيوان وزُلزل جوسق
والنور يهزم في الشباب ظلامها ويغير منه على البطائح فيلق
وأشاع في الدنيا بهاء جلاله لجر عليه من النبوة رونق
ولد الهدى والنور فيه بمولد الهـ ادى وطالعها الصباح المشرق

* * *

يا من أعدت إلى الوجود شبابيه فكأن مولدك الربيع المونق
وجرى على فكك البيان وهديه نبعا تفجر أو حيا يتدفق
ألفت ما بين القلوب فلم يمد باغ يصول أو مغيظ يحنق
وفتحت لإسعاداً ، وكم من فاتح في فتحه حل الشقاء المحدق
ما كان إلا للسعادة والهدى رخ يسدد أو حسام يمشق
وبنيت ملكاً باذخاً بشريعة تسع الحياة جديدها لا يخلق
الحق والسلم الموطن أسها والعدل خفاق عليها يسمق
لا جاء إلا الصالحات ولا غنى إلا أصاب الحق فيه الملق
إن الذين تسكبوا دستورها ضلوا الطريق إلى السلام وأخفقوا
وإذا استبدت بالسلام مطامع كان البشير به غراباً ينق
الامة العزلاء أين مكانها مما يصول به القوى الاحق
فاطرح أمانى السلام فإنما خدع الشعوب سراجهن الديسق
ماذا جئنا في القتال بسلنا إلا دماً يجرى وروحاً يزهرق
أمل الكنانة في لبيب صراعها أبداً بغير السيف لا يتحقق

* * *

يارب هذا الغرب في غلوائه غاض الوفاء به وضاع المونق
والشرق من أخلاقه في محنة تودى بآمال الشعوب وتوبق
الجاه فيه قرابة وشفاعة والكفاء فيه مهرج ومصفق
وبه يضيع العبقري ترفعا ويفوز فيه الجاهل المتعلق
يارب إن طم الفساد فلم يزل يوى إليك مغرب وشرق
طهر رحاب الأرض من أرجاسها وأعد لواء العدل فيها يخفق
والعطف لأجل محمد بشعوبه واكشف بفضلك ما يعانى المشرق
من يعتصم بك يقو جانبه ومن تهديه ينجح سعيه ويوفق

صفحة خالدة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد غنيم

المدرس بمعهد القاهرة

من ذلك الواقف على شاطئ البحر تنكسر الأمواج تحت قدميه ويتناثر الزبد
حواليه وكأنه غائب عن عالمه ؟

من ذلك الذي يجاهد أنفاسه فيعلو صدره ويهبط كأن برائن الحيرة تنهب
ما بين ضلوعه وتنهش ما بين جانبيه ، فيرسل النظر وراء الأمواج لعل بين طياتها
بشراً أو بشري ؟

من ذلك الذي تنتهم ثورة البحر ما تحت رجله من رمال فيغوص ساقه
ولا يفيق إلا على لطات الأمواج لفخذه وهو ذاهل لا يفكر إلا فيما
وراء البحر ؟

من ذلك الذي انطبعت على وجهه غضبة البحر وثورته فتجدد وجهه يحكي
صورة البحر أو ثورة أفكاره ؟

من ذلك المشمخر الذي يشرب ويطول كأنما يراقب وراء الآفاق النائية
أهوالاً طاحنة ؟

إنه موسى بن نصير . إنه البطل الذي أقام في أوروبا للإسلام ملكاً ودام
ثمانية قرون للإسلام .

لقد وقف ذاهلاً يستطلع خبراً عن جيشه الذي بعثه تحت إمرة طارق لفتح
الأندلس ، يراه الليل وهو على سيف البحر يصيح لعل صوتاً من وراء الآفاق
يهتف به ، ويطالعه الفجر وعينه بين معارك الرياح والأمواج تنقب عن يد تلوح له
وتشهد الظهيرة وهو المائل على الضفاف .

إنه يخشى أن تكون هذه البلاد قد أصبحت مقبرة لاثني عشر ألفاً من المسلمين
اتخذوا منها سبيلهم إلى الجنة .

إنه يخشى أن تحقق الأيام رأى الخليفة الوليد بن عبد الملك في خوفه على المسلمين حين يفصل بينه وبينهم البحر ، وليس لدى العرب أسطول يحمي ظهور الفاتحين .
لقد مضت الأيام وكأنها الأعوام وانقضت الأسابيع وكأنها القرون وهو الحائر المبلبل .

لقد اضطرت في نفسه الوسوس وأدعت الهواجس خواطره ولكن قبسا من نور الإيمان بنصر الله كان يشع حيناً بعد حين على ظلمات حيرته فتأنس نفسه بالثقة بالله وتأييد الله الذي يقول : ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وليس بين جنوده الذين عبروا البحر غير صابر يستعذب كل شيء حتى الموت في سبيل الله . فإله يستسلم لثرثرة الآلام أو يخشى مجالدة الأخطار على رجال أسعد أيامهم تلك التي يعضونها بين الضرب والطمع تحت ظلال السيوف وبين اشتجار الأسنة ، واستروح يوماً راحة الاطمئنان فوقف على الصخرة التي ودع عليها جنوده يعرض على خياله صورة أولئك الأبطال في عزوماتهم الفتية ونفوسهم القوية ونظر فإذا صفحة البحر تنفتح عن زورق صغير توججه الأمواج كأنه الريشة في مهب العواصف . ودلف الزورق رويدا رويدا إلى الشاطئ فأمعن موسى النظر في الزورق ومن فيه ، وأصاخ فإذا الصدى يجلجل : الله أكبر الله أكبر .

وإذا بشارت المنى تبدل هدأة الشاطئ المهجور إلى أفراح وأعياد لأنها أفراح النصر تدق بشارتها وأعراس الفتح تزخر مواكبها .

وما كان موسى بالرجل الذي تغره ألوان النصر فتصرفه عن التفكير البعيد العميق ، إنه كفائد حربي يخشى أن يكون ذلك النصر خداعاً وأن الجيش الذي ظهر في صورة المهزوم المرتد وعدده يربى على المائة ألف وقد يفتح جناحيه فيبتلع اثني عشر ألفاً يقودهم طارق . وفي وسط أغاريد الفوز ، وأهازيج الانتصار دوى نغيم الجهاد وصاح موسى : إلى الأندلس إلى الأندلس ، فإذا بأعماق الصحراء تجاوب ذلك الصدى وتتجمع حشودها المتعطشة إلى الفتح على الشاطئ فينب بهم موسى إلى السفن والزوارق ويمتاز المضيق وتلفف الأندلس قائداً من أعظم ما عرف العرب من قواد ويتقدم ويتقدم حتى يلتقي بطارق فيقسم الجيش الإسلامي إلى فرق تزحف فتفتح وتطهر البلاد من بقايا القوط الذين حكموا في البلاد فأكثروا فيها

الفساد . لقد كانت الاندلس من أغنى البلاد بأنهارها وجنانها وقصرورها ولكن كل ذلك لأمراء القوط وحكامهم ، أما سواد الشعب فحسبه من الحياة ثوب مزقته يد الأعداء واقعة تعافها كلاب القصور ولكنها أجبر لما تغله أيديهم وجهودهم هؤلاء السادة ، ولكن موسى جاءهم بجديد إنه يحكم بحكم الله ولا يريد المال ولا الجاه إنما يريد إنفاذ الضعفاء من استغلال الأقوياء ، إنه يريد للمستعبدين الحياة التي يريدتها الإسلام ، حياة الحرية والإخاء والمساواة ، إنه يريد أن يحول هؤلاء الذين سخرهم القوط لشهواتهم وآبارهم كما تسخر الحيوانات إلى نفوس إنسانية تجمعها كلمة الوحيد ولا حكم لاحد عليها بعد ذلك .

وفر أمراء القوط وحكامهم أمام ذلك الجيش الذي يطارد عشرة أمثاله ، ويمزقهم في الأرض شرمزق ، فروا من مدينة ليتحصنوا بمدينة ، ولكن لم تسكد طلائع المسلمين تدق أبواب تلك الحصون حتى يهجروها إلى غيرها ، وهكذا وهكذا حتى تسلقوا جبال البرانس ليتخذوا من أغوارها وأحجارها ملاذا لهم ، ولكن همة موسى تسلفت وراءهم الجبال لتطهر حدود الاندلس من آثار البغي ، وصعد وصعد حتى وقف على القمة وعركها بقدميه فتطاير الصخر شررا روع قلوب الفرنسيين وراء هذه الجبال ، وأطل موسى من تلك القمة على الشرق البعيد على بلاد الشام ، وفيها خليفة الإسلام ، ففكر وأطال التفكير ، ثم نظر إلى جيوشه تتوالب هممها إلى المزيد من الفتح ، فكتب إلى الخليفة يستأذنه في أن يتجه بجيشه إلى الشرق ، غازیاً شمال البحر الأبيض ، ليكمل منه بحيرة إسلامية تدين جميع دولها بالإسلام إنه يريد أن يحول كنائس روما وأديرتها وصوامعها إلى مساجد تناطح السماء مآذنها ، ويدوى من فوقها أذان الفجر : الله أكبر الله أكبر فتردد صدى الآذان القيروان والإسكندرية ودمشق . ليت أحلام موسى تتحقق ، وليت الأخوة الإسلامية ربطت بين دول البحر الأبيض جميعاً برابطها فعاشوا في كنف الإسلام لا سيد ولا مسود .

لقد وصل كتاب موسى إلى خليفة المسلمين يخاف أن تتوغل جيوش المسلمين على قلنها في هذه البلاد ، فتؤخذ عليها السبل ، ويضيق الخناق فتهلك كلها ، وبعث

الخليفة بكتابه يثنى موسى عن ذلك العزم ، ويطلبه إلى دمشق . وتحرك موسى إلى الشرق ونفسه بين خواطر متباينة بين فرح بذلك الفتح ، وبين ألم لانهايار الخطة التي رسمها لذلك التوسع الذي أراده وأراد الخليفة غير ما يريد .

تحرك إلى الشرق يسوق مئات الأسرى من أمراء القوط وقوادهم وإلى جانبه القوافل تضج بها الصحراء تحمل الغنائم والأسلاب التي لم يحلم بها الشرق من قبل . إنها غنائم قصور غصت بكنوز لم يحوها إيوان كسرى ولا ضم مثلها قصر قيصر .

قصور لفظت المتجبرين من الرعاة لتستقبل رحاء الولاة ، قصور كانت تمرح بين أبنائها الغيد الحسان من بنات الرومان الرافلات في الدر والمرجان ، وهنّ بين نشوة الخمر والغناء ، قلبها الإسلام حيناً إلى محاريب يقتتل فيها المأبدون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والتناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله .

أيها المسلمون . هل من رجعة إلى ذلك التاريخ لتتخذ من سطورهِ قبساً يضيء لنا ليالي هذه الأحداث التي أماخت على الشرق الإسلامي ؟

هل من إيمان كإيمان أولئك الحفاة الذين فتحوا الأندلس . يحول المسلمين الذين سلبوا اليوم حريتهم ، وهبوا يدافعون عن حياتهم إلى غزاة فاتحين ؟

هل من أيد بأسلة قوية تبنى للإسلام ما تهدم من مجده وما تحطم من أركانه لتعيده على الوجود شامخاً عزيزاً كما خلفه السابقون الأولون من المؤمنين ؟

يا شباب الشرق ، إذا عز عليكم السلاح فليس الإيمان بعزيز ، ولأنه نعم السلاح لأنه هو الذي فتح البلاد ، وهو الذي ملكها ، وهو الذي يطهر الشرق من غت الغرب وعدوانه .

ليت في قلب كل مسلم همة كهمة موسى بن نصير نستعيد بها مكائنا في الوجود .

من أحداث التاريخ الاسلامى

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم مفاوى

المدرس فى كلية اللغة العربية

قل اللهم مالك الملك ، 'تؤتى الملك من تشاء ، وتنزعُ الملكَ ممن تشاء ، وتعزُّ من تشاء ، وتُبدِّلُ من تشاء ... وهكذا أراد ولا راد لمشيئته ، أن تفتى حياة دولة ، وتفتتَحَ صفحات دولة جديدة .

فى يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول عام ١٣٢ هـ (٣٠ أكتوبر عام ٧٤٩ م) :
صعد أبو العباس السفاح منبر الكوفة مهيباً جليلاً ، ووقف بين أعوانه وجنده ودعائه ، المؤمنين بحق آل البيت فى الخلافة ، الناقين على بنى أمية جورهم واضطهادهم لآل محمد ؛ وجمهور المسلمين يهللون ويكبرون ، وأبو العباس فى أعلا المنبر ، وعمه داود بن عليّ قائم على المنبر دونه . ثم أخذ أبو العباس يخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وغر بقرابته من رسوله ، وذكر الخلفاء الراشدين وأثنى عليهم ، ونهى على بنى حرب وبنى مروان أثرتهم وظلمهم ، وكان فيما قال : « وزعمت الشامية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والخلافة منا ، فشاغت وجوههم ، ولم أيها الناس ؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم ، وأظهر بنا الحق ، وأدحض الباطل ، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً . وإنى لأرجو ألا يأتىكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ؛ وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله . يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ... ثم وعدهم وأوعدهم إلى أن قال : « فاستعدوا فأنا السفاح المبيع ، والتائر المبير ، .. وبهذا لقب السفاح . وكان مريضاً فاشتد به المرض فجلس على المنبر ، وقام معه داود بن عليّ فخطب ، فقال فيما قال : « الحمد لله شكراً شكراً ؛ الذى أهلك عدونا ، وأصار إلينا ميراثنا من نينا محمد صلى الله عليه وسلم . أيها الناس : الآن طلعت الشمس من مطلعها ، وبزغ

القمر من مبرغه ، وأخذ القوس باريها ، ورجع الحق إلى نصابه ، فى أهل بيت نبيكم ، أهل الرأفة ، والرحمة بكم ، والعطف عليكم . ثم ذكر سياسة بنى أمية الخرقاء ، وقال : « أيها الناس : « لكم ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذمة العباس رحمه الله ، أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير فى العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ثم أثنى على أهل الكوفة ، ومدح جند خراسان ، وقال فى آخر خطبته : « ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبى العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فىنا ، ليس بخارج منا ، حتى نسله إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم . والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا » .

ونزل أبو العباس ، وداود بن على أمامه ، حتى دخل القصر ؛ وأجلس أخاه أبا جعفر ليأخذ البيعة على الناس فى المسجد ، فلم يزل كذلك حتى صلى بهم العصر ثم المغرب ، وجنهم الليل فدخل .

وبذلك بدأت دولة جديدة ، وقامت خلافة بنى العباس .. التى كان قيامها حدثا عجيبا فى تاريخ الأمة الإسلامية .

ونحن نعلم أن الامويين اضطهدوا آل النبى وشردوهم ، ونفوا بعضهم واعتقلوا البعض الآخر فى قرى قريية من عاصمتهم « دمشق » .. وشمل هذا الاضطهاد : البيت العلوى عن يفسبون إلى ابن عم النبى على بن أبى طالب ، والبيت العباسى « الذين يفسبون إلى العباس »^(١) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العلويون منذ قامت الدولة الاموية عام ٤١ هـ ، يطالبون بخلافة المسلمين ، وأخذت شيعتهم تدعو لهم فى العراق ، ورشعوا للإمامة من ذرية على كرم الله وجهه سيدا بعد سيد .

(١) ولد العباس قبل مولد الرسول بعامين ، ومات بالمدينة عام ٣٢ هـ وكان شاعرا مفلحا ، وكان يستسقى به فى الجذب - وابنه عبد الله بن العباس حبر الأمة ، وولد قبل هجرة ثلاث سنوات ، وتوفى عام ٦٨ هـ .

فكانوا يدعون للحسن ، فلما توفي عام ٥٥ هـ دعوا للحسين ، فلما قتل بكر بلاء عام ٦٣ هـ دعوا لآخيهما الأصغر : محمد بن الحنفية ، فلما مات محمد ذهب جمهورهم إلى إمامة ابنه أبي هاشم بن محمد .

وكان أبو هاشم العلوي مقبياً في « الحميمة »^(١) ، بالقرب من بادية الشام ، حيث أقام على بن عبد الله بن العباس (٤١ - ١١٨ هـ) هو وأولاده ، منفياً فيها ، بأمر الوليد بن عبد الملك خليفة « بنى أمية » .. ولما حانت منية أبي هاشم في « الحميمة » ، ولم يكن له أبناء يرثونه ، رشح لإمامة الشيعة بعده ابن عمه « على »^(٢) ابن عبد الله بن العباس ، وأدلى بنصيبه من الخلافة إليه وإلى أولاده ، وأوصى أوليائه باتباعه ، فصارت الشيعة مع بني العباس .

وورث محمد بن علي (٦٢ - ١٢٥ هـ) بعد أبيه هذا الشرف ، فأصبح الإمام المختار ، وقام أتباعه بالدعوة لولاية أهل البيت ، وألقوا الجماعات السرية في الكوفة وخراسان ، لنشر مذهبهم السياسي ، والدعوة إلى عودة الخلافة لآل محمد ، وإلى أحقية ساداتهم بها ، وإلى القضاء على دولة بني أمية ، لأنها اغتصبت خلافة المسلمين من بيت الرسول ، واضطهدت آله وعترته ، وقتلت الحسين في كربلاء ، وارتكبت من الآثام والمنكرات ما لا يعيه العدد .. وكان محمد بن علي يبصر دعائه بأساليب الدعوة ، والبلاد التي يبتون فيها مذهبهم ، وكان يوصيهم بالتوجه إلى خراسان ، حيث « المشرق ومطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق » ، وحيث ضعف سلطان بني أمية ، وسلامة القلوب والصدور ، والبعد عن العصبيات والأحزاب السياسية ، والحب لآل النبي وسلالته .

ومات محمد بن علي بعد أن أوصى إلى ابنه إبراهيم ، فقام بأمر الدعوة بعده^(٣) ؛ ولكن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حبس إبراهيم حتى مات في الحبس ، وكان قد أوصى بالامر بعده إلى أخيه أبي العباس .

(١) هي قرية بالشراة من أرض الشام على طريق المدينة من دمشق .

(٢) ويرى بعض المؤرخين أن أبا هاشم تنازل لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، لا لوالده علي

(٣) ١١٦ / ٣ العقد القوي .

ونجح الدعاة فى جمع الأنصار ، وتكوين الكتائب ، وغزو البلاد . . وأنزلوا بجيش الأمويين أفدح الخسائر ، وطردها ولاتهم فى خراسان وفارس ، وكان والى خراسان من قبل بنى أمية نصر بن سيار يستغيث بهم فلا يغيثونه ، كتب مرة إلى مروان بن محمد يقول له :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام
أقول من التعجب ليت شعرى أيقاظ أمية أم نيام ؟
فإن يك قومنا أضخوا نياما فقل : قوموا فقد حان القيام
فقرى عن رحالك ثم قولى على الإسلام والعرب السلام

فرد عليه مروان - وكان مشغولا بحرب الخوارج فى الجزيرة - يقول : . إن الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ، فاحسم أنت هذا الداء الذى قد ظهر عندك ، . . وكان قائد جيش الشيعة هو أبو مسلم الخراسانى الذى هزم عمال بنى أمية ، وفتح خراسان كلها ، ثم انطلق يغزو العراق ، فدخلت جيوشه مدينة واسط ، ثم دخل أبو سلة الخلال أحد قواده ، الكوفة ، فى صفر عام ١٣٢ هـ ، فأنزل أهل البيت فى إحدى دور الكوفة ، وكنتم أمرهم عن سائر القواد أربعين ليلة ، وكان أبو سلة ، يلقب بوزير أهل البيت ؛ وفوجيء الناس - بعد أن استتب الأمر للعباسيين فى خراسان والعراق - بصعود أبى العباس منبر الكوفة فى ١٣ ربيع الأول عام ١٣٢ هـ ، معلنا بده الخلافة العباسية الجديدة .

وكان لابد لجيوش بنى العباس المتدفقة كالسيل أن تصطدم بجيش بنى أمية ؛ وحدث ذلك ، فلاقوا مروان وجنده على نهر الزاب ^(١) الأعلى ، وانتصروا عليهم انتصاراً ساحقاً ، وقضوا على ١٢٠ ألفاً من نخبة أهل الشام وجنود بنى أمية ، فى ١١ جمادى الآخرة عام ١٣٢ هـ ؛ وفر مروان إلى حران ثم قنسرين فحمص ، فدمشق ، والعباسيون فى طلبه ، ثم خرج إلى الأردن وفلسطين ، حتى أتى القسطنطين ،

ونزل بقرية ، بوسير ، النائية من قرى الواسطي بنى سويف ، فتبعه العباسيون حتى قبضوا عليه فيها ، وقتلوه في ٢٧ ذى الحجة عام ١٣٢ هـ .

وأخذ العباسيون يقتلون آل أمية ، ويتبعونهم في كل مكان ، ويقبضون على رجال دولتهم ، ويقضون على فلول جيوشهم ؛ دخل سديف الشاعر مولى بنى العباس على السفاح ، فألقى بمجلسه سليمان بن هشام هادئاً مطمئناً ، لتأمين أبي العباس لرياءه ، فأنشد :

لا يفرنك ما ترى من رجال إن بين الضلوع داء دوما
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أموما

فأمر السفاح من فوره بقتل سليمان ناكثاً بعد أمانه .. ودخل شبل ن عبد الله مولى بنى هاشم عليه ، أو على عمه ، وعنده من بنى أمية نحو المائة ، فأنشد :

أصبح الملك ثابت الأساس باللهـالـليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد ساءنى وساء قبيلي قربهم من نمارق وكرامى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والإتعاس

فأمر بهم جميعاً فقتلوا ... وكان ممن قبض عليه كاتب بنى أمية البليغ عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، الذى أخذ فى البحرين وهو عند صديقه ابن المقفع ، فقتل عام ١٣٢ هـ . ولم يستطع النجاة من بنى أمية إلا عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك الذى فر إلى الأندلس ، وأقام بها دولة أموية عام ١٣٨ هـ ، وكان المسودة قتلوا أهل بيته ، واتبعوه فنجوا منهم .. وبهذا انتهت دولة بنى أمية ، وقامت دولة بنى العباس ، وصدق قول محمد بن علي : « إن أمرنا هذا شرق لا غربى ، ومقبل لا مدبر ، يطلع كطلوع الشمس ، ويمتد على الآفاق لامتداد النهار ، »

الخطر اليهودي

لحضرة الأستاذ عز الدين اسماعيل

مدرس اللغة العربية بكلية الآداب

بجامعة إبراهيم باشا

أهدى إلى منذ قليل صديق الكريم الأستاذ محمد خليفة التونسي نسخة من ترجمته لكتاب يعد أخطر كتاب في العالم دون منازع هو كتاب «الخطر اليهودي» أو بروتوكولات حكماء صهيون . وخطورة هذا الكتاب لا تأتي من حيث ندرته في العالم ؛ حيث يعد الأصل الذي نقل عنه المترجم أحد نسخ ثلاث في العالم ، وإنما تأتي خطورته من حيث المسادة التي يعرضها . والحق يقال إن هذه الوثائق التي يعرضها هذا الكتاب لا تكاد تعدلها في تاريخ البشرية كله أية وثيقة ، لأنها الوثائق التي تكشف للعالم أجمع تفاصيل المؤامرة المدبرة لخرابه وانهاره ، تلك المؤامرة التي حبك خططها حكماء صهيون وكبراؤهم في فن الخداع والحيلة .

وقارىء هذا الكتاب لا يستطيع أن يمر به مرأ عابراً ؛ فإن كل صفحة بل كل سطر منه يستوقفه ملياً ليكشف له في أجلى بيان وأتم وضوح عن خيط من خيوط تلك المؤامرة المدبرة ، والتي بدأ تنفيذها منذ أكثر من نصف قرن دون أن يشعر بها إلا من كان له حظ الاطلاع على تلك البروتوكولات بعد أن سرقت من حرزها الحرير وطبعت طبعات مختلفة ، وقليل من أتيج لهم هذا الحظ ، لأن كل هذه الطبعات كانت تخفى من الأسواق بمجرد ظهورها ، وكلما خطا الإنسان فيه خطوة أحس بما تم من مراحل هذه المؤامرة المدبرة للعالم أجمع ، كما أحس بما هو واقع في الوقت الحاضر من فلاق واضطرابات وعدم توازن بين القوى المختلفة ، واتجه العالم إلى التجمع والتكتل تحت ألوان سياسية مختلفة الاتجاه والمشب ، كما هو واقع الآن بين الكتلة الديمقراطية والشيوعية ، كما يعرف تماماً أن هذا التكتل مدبر وأن ما يهدد العالم الآن من حروب بين أقوى التكتل فيه إنما هو أمر مدبر وله مكانه من المؤامرة اليهودية المدبرة .

ونحن - مع ما نعرفه من تاريخ اليهود ، ومع الوصمات الشنيعة التي وصمهم بها القرآن الكريم ، وحذر المسلمين منهم أكثر مما حذرهم من الكفار ، ومع ما نعرفه تماما من محاولاتهم لهدم الإسلام ، وما ملأوا به كتب الدين كالتفسير وكتب الحديث من أخبار وتفسير هي بمثابة السم في العسل ، ونجاحهم في تفتيت الوحدة العقيدية التي جمعت المسلمين إلى فرق ومذاهب ... الخ ما يمكن أن نعرفه - فإننا لن نكون على جلية من الأمر ، وإدراك كامل للسياسة اليهودية ما لم نقرأ ونندبر تفاصيل هذه المؤامرة التي تفرس العالم عضوا فعضوا .

وسيعرف قارىء هذا الكتاب أن الدولة اليهودية في غاية أمرها لا تبغى لنفسها رقعة من الأرض تستكن فيها كأي دولة من دول العالم ، لأنها بذلك ستكون ضعيفة الجانب ، تستهدف لكثير من الضربات الخارجية ، وإنما هي في طريقها إلى حكم العالم أجمع ، والسيطرة على كل موارده ، وعندئذ يعلنون في كل صراحة احتقارهم وبغضهم الموروث للعالم وشعوب العالم على اختلافهم ، لأنهم هم الجنس المختار المميز عند الله وسائر البشر كالبهايم إن لم يكونوا - في رأيهم - بهائم بغير تشبيه .

فإذا رأينا اليهود يحاولون أن يقيموا لهم دولة في فلسطين فليس معنى ذلك أنهم سيجمعون فيها من أنحاء العالم ، فإن ذلك ما تأباه طبيعتهم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) كما أن الخطة المدبرة تقضى بهذا التشتت في أنحاء البلاد ، وليس تمسكهم بهذه الرقعة من أرض فلسطين إلا ليتحكموا في تجارة العالم بين الشرق والغرب في تلك البقعة التي تلتقي عندها أوروبا وإفريقية وآسيا ، وليستغلوا هذه المنطقة الغنية بترولها وخاماتها . أما نفوذ الدولة فيمتد ليشمل العالم متخذين وسيلة إلى ذلك جمعياتهم الدينية والسياسية السرية منها والعلمية ، المنبثة في أنحاء العالم ، معتمدين على الصحافة ودور النشر التي يملكون أزمتهما ، وغيرها من الوسائل الناجعة . وانتشارهم في العالم هو الذي يمكنهم من التسلط على اقتصاديات الدول الكبرى كأمريكا وروسيا ، وامتلاكهم لهذه الاقتصاديات في الدول الصغرى . وفيما يختص ببريطانيا فإننا نلاحظ أنها تنفذ لليهود كل رغباتهم لأنها لم تعد تستطيع العيش إلا بالمعونة الأمريكية ، وأمريكا في واقع الأمر أيدي اليهود . ولذا تجدها تعترف بدولتهم في فلسطين ، وربما كان في نيتها ، أن تمكن لهم من قناة السويس إذا اضطرت إلى الجلاء عنها وهي مصرية ، فتبقى جيوشها فيها على

أن القنافة يهودية ، كما يقول المترجم الفاضل في مقدمته ص ٣٠ .
 ويعجب الإنسان كيف يستطيع اليهود — وعددهم في العالم أجمع في حدود العشرين مليوناً — أن يوجهوا السياسة العالمية الوجهة التي يرغبونها ، وأن ينفذوا خططهم بكل إحكام . والواقع أن العدد هنا لا قيمة له إذا عرفنا أن الرموس والآيادي المحركة في سائر الدول رموس وآيادي يهودية . ويكفي أن نعرف أن ترومان يهودي ومستشار البيت الأبيض يهودي وكثيراً من الوزراء وأعضاء الكونجرس من اليهود . وإن لم يكن هؤلاء الروس في بلد آخر يهود الأصل فإنهم يكونون عادة من صنائع اليهود المشترون بالمال والنساء .

وفي إنجلترا نجسد لويد جورج رئيس الوزارة بعد الحرب الأولى معروفاً بمطغفه الشديد عليهم . وكان في وزارته وزيران يهوديان . وكان للملك ستة مستشارين كلهم يهود . والمكتب السوفييتي في روسيا يتكون الآن من سبعة عشر عضواً منهم أربعة عشر يهود صرحاء والباقيون يهود الأصل أو صنائع لليهود ، على أن زوجات الثلاثة يهودات .

وهكذا تملك هذه القلة المبعثرة في العالم الأزمة وتوجه الناس في طريق الخراب والدمار ، تلك الوجهة التي رسمها لهم حكامهم ووضعت جلية في بوتوكولاتهم التي ترجها الصديق الفاضل الأستاذ الثونسي إلى العربية .

وقد كان يودى أن أضاع لصبح القارى الكريم على تفاصيل هذه المؤامرة اليهودية العالمية ، كما هي مصورة في البروتوكولات . غير أن هذه البروتوكولات من الترتيب بحيث لا يمكن استيعابها في مقال . ولا بد من رجوع القارى إليها والتأمل العميق فيها فإنه واجد فيها ما يجد الواقع على السر الدفين والدسيسة المحبوكة . وحسبي هنا أن أعرض للقارى الكريم نماذج يدرك منها قيمة هذا الكنز الذي كشف .

في البروتوكول الأول نقرأ : « إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسى في قوة الدولة . فيجب أن تتمسك بخطة العنف والخديعة لامن أجل المصلحة فحسب ، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً . وهذا معناه أنهم لا يجدون أى مانع في اتخاذ كل وسيلة لتنفيذ خططهم مهما كانت هذه الخطة منافية للأخلاق هادرة للكرامة الإنسانية .

ومن أعجب العجب أن يهدف اليهود إلى الاعتماد على الطبقة المتعلمة في نشر وسائلها الفعالة . يقول البروتوكول الثانى : « إن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً

أما أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافا في مزاوله المعرفة التي حصلتها من العلم الذي قدمه إليها وكلاؤنا رغبة في تربية عقولها حسب الاتجاه الذي توخيناها . ونجسد تسكلمة هذه الخطة في البروتوكول السادس عشر حيث يقول : « رغبة في تدمير أى نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا — سنعيد العمل الجمعى فى مرحلته التهديدية ، أى أننا سنغير الجامعات ، ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة . وسيكون رؤساء الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً وسيلته برنامج عملى سرى متقن سيهذبون ويشكلون بحسبه ... الخ » .

ثم لننظر كيف هم يدبرون الثورات حيث يقول البروتوكول الرابع : « يؤمن الجمهور فى جهله إيماناً أعمى بالسلطات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التى أوحينا بها إليه كما يجب ، وهو يحمل البغضاء لكل الطبقات التى يظن أنها أعلى منه لأنه لا يفهم أهمية كل فئة . وإن هذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة ، لأنها ستوقف الأسواق والإنتاج وستخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التى فى قبضتنا ، وبمساعدة الذهب الذى هو كله فى أيدينا . وسوف نقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال فى أوروبا . وسوف نقذف هذه الكتلة عندئذ بأنفسها إلينا فى ابتهاج ، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدهم — لغفلتها — منذ الطفولة ، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ما لهم من أملاك ... الخ » .

ونقرأ فى البروتوكول العاشر : « من رحمة الله أن شعبه المختار مشنت . وهذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية » .

وفى البروتوكول العشرين : « إن الضرائب التصاعدية المفروضة على نصيب الفرد ستجلب دخلاً أكبر من نظام الضرائب الحاضر (١٩٠١) الذى يستوى فيه كل الناس . وهذا النظام فى الوقت الحاضر ضرورى لنا لأنه يخلق الثغمة والسخط بين الأثمين [غير اليهود] » . وهذا ما صار إليه الآن نظام الضرائب .

وهكذا نرى من خلال هذه الاقتباسات أن المؤامرة تقتضى سيطرة اليهود على النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية فى العالم أجمع للصيرورة به إلى الحكم اليهودى العالمى المطلق .

نقد أدبي

السرققات الشعرية ، أدبيات أو (ديليات) !!

ذكريات عن الشاعر الديب

كتبت في حياته جدلاً وملحمة ، وهي بعده صلاة ومرحة

بغلم سماحة الأديب الكبير الأستاذ (السيد)

لا تكاد تعجبنى تهمة الاقلام للشعراء بالسرققات الشعرية ، ، ذلك أنها حكاية "مكرورة" ، بل ممضوغة متبدلة ، على أن السرققات لهذا العهد ، أيسر مافى الشعر من هجنة ومعابة .

إن جمهرة ضخمة من الأدباء الناقدين ، لا يحسنون أن يتعرفوا كيف تكون السرققات ، ويحسبونها تكون في هذه الغاديات الرائحات من القول ، وفي كل مسحة من اللفظ تشبه "مسحة" ، حتى لو أن جليساً ، قال لجليسه : أسعد الله صباحك ، فردّها أو حكاها جليس آخر ، صاحوا بشرطة الادب والبيان : تعالى ، غفنى اللص ، ومن يقتص ؟؟

كلاً ، ليست سرقة هذه السوقيات من المعاني المتضغطة ، في شيء من السرقة الادبية ، وإنما السرقة ، هي سرقة المعاني الخائمية ، كالجواهر الكريمة ، والأغراض المنفردة ، أما السوقيات فهي طوع كل خاطرة ، ملك لكل قائل ، ليس لشاعر فيها مزية على شاعر ، بل تمرّ على أسنة الاقلام والآلات ، مرّاً الهواء على الرئات .

يبد أنه لا يكاد يعجبنى على ذلك تنزّل بعض شعرائنا ، ولا سيما الكبار منهم - وفيهم بعض من لا أسميه - إلى الاغارة على عيون الشعر ، وعلى الابتكار من معاني الشعرية خصيصاً ، فقد لجج بعضهم بهذا حتى عرف ، ولم يعترف !! .

لقد كنت أحسب أن أديباً كالاستاذ عبد الحميد الديب ، الشاعر الفاجع ، شاعر البائسين ، وأديب المتفكرين ، من أعف شعرائنا عن السرققات الادبية ، لمكان الاسترسال واطراح الكلفة في سجيته النفسية ، لولا أن لجأتني في شعره أشياء

من السرقات أصبتها عفواً - على غير تطلب ولا اعتماد - سألوا أثارة منها على القراء ، مذاكرة للأدب ، لا للصخب والمحاضرة ، لا للمهاجرة .

إنه لا موجدة بين الموتى وبين الأحياء ، وقد استوفى الشاعر الديب أنفاسه ، وقضى نجه ، ومضى بشعره الباكي ، وثفره الباسم ، فذهبها معاً ، فقدأ على فقد ١١١ .

لقد كنت في طليعة النشأة الادبية للأستاذ الديب ، أغس قلبي في شعره بالإصلاح ، والنقد ، فلا يتعاصى على ، ولا يأنف ، لأنه لم يكن يومئذ في النظراء ، ولا من الأكفاء ، فلست أعتذر اليوم من غمس قلبي في شعره ، إذ هو في قبره ١١١ .

أنشد صاحب « كتاب الكشكول » هذه الأبيات للقاضي عبد الوهاب ، قال :

أطال بين الديار ترحالى قصور مالى وطول آمالى ١١١
إن بت فى بلدة مشيت إلى أخرى فما تستقر أحوالى
كأننى « فكرة الموسوس » لا تبقى له على حال ١١١

استمع الشاعر الديب إلى هذه الأبيات لا محالة ، ولمح بخاطره المتجسس ، « فكرة الموسوس » فاستهوته ، فقال :

كأننى « فكرة المجنون » يرسلها فى غير قصد فلا تصفى لها أذن
أليست « فكرة الموسوس » المفتون ، هى (فكرة المجنون ؟؟؟) أجل .

وقال شاعر قديم : - لا أذكره - من كلبة فى صفة شعر عليها مسحة من الجانة ، لا أذكر منها إلا هذا البيت وحده ، على اضطراب تأليفه .

« وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق »

معنى يكاد اللفظ يعشقه ويكاد يؤكل بالضمير ويشرب
فقال الأستاذ الديب من التغزل المذكور بجميل من الأحياء ، لا الخريدة الحسنة
به شحوب يكاد الصب يأكله أكلا ويشربه دون الطلا كاسا

أما أن المعنى الجميل يكاد يؤكل بالضمير، لا بالفم ويشرب، فذلك طيب عذب، يرضى الخيال، ولا يشبه المحال، وأما أن المحب يأكل الشحوب أكلا وكيف؟؟؟، ويشربه كأساً ومتى؟؟؟، فذلك من مشابه المحال، لا الخيال، نضرة الله قبر الصديق المحسن الأستاذ الديب، ولقاءه بديلاً من شدته في حياته، نعيم جناته، فقد استمع إلى الشاعر الماجن الخليل «أبي الشمقمق» حيث يقول:

أتراني أرى من الدهر يوماً لي فيه مطية غير رجلى !!!
كلما كنت في جميع فقالوا قربوا للرجل قربت نعلى !!!
حيثما كنت لا أختلف رجلا من رآني فقد رآني ورجلى !!!
وسمعه ينشد قوله:

الحمد لله ليس لي نسب خف ظهري وقل أوزاري
من نظرت عينه إلى فقد أحاط علماً بما حوت داري
خبري في البيت كامن وعلى مدرجة الراحين أسراري !!!
فقال وهو يصف حجرة الشاعر، وهي حجراته:

أراني بها كل الأثاث فعطاني غطائي ملق أو وقائي من البرد
وهذا البيت في البؤس هو وشعر «أبي الشمقمق» سواء، على حكم النقل، حدوك النعل بالنعل، أما وقد جرى حديث صفينا القديم، الأستاذ عبد الحميد الديب، وهو ناهيك في طيبة النفس، وطلاوة السيرة، فإن بنا أن نسوق عنه هذه الطرفة الساحرة.

شكا الأستاذ الديب إلى أديب كبير، كان الديب يجلس إليه، أن حسناء فاتنة تعرض له بدلها وكيف؟، وتحنو عليه بحسنا!، ومتى؟، ولكنة - زعم - يتعفف، فلا يتعطف!؛ بل يتصلف، وأقبل يسائل جليسه: ماذا يصنع بفائقته هذه؟ أيعف؟، أم يسعف فيخف؟، وهل يحشتم؟، أم يغتم؟، فقال له الأديب الكبير هذين البيتين، كالراضى عن إقدامه، يأساً من صلاح الجان، من شيبه البيان، وبعض الرضى لباء!، واللوم لغراء، قال:

بكرت تصوغ لك الشكاة فأسعف ودنت إليك بوردتها فأقطف
يا ديب غادة يوسف في خلوة فأغسل عن لفتاك عفة يوسف ١١١

لست أدري بعد هذا ماذا كان جواب الديب ؟ ، أما أكبر اليقين لا الظن ،
فذاك أن الاديب الديب قد تعفف أجل ، ولكن عن العفاف ١١١ ، وكان
- لا كيوسف - قدوة للفتاك ! ، لا الفسак ، تحن وزير أديب ، على الديب ،
فأجازه بعمل في وزارة كما يحب المحسنون ، فلما استقر في ديوانه زاره صديقه
الاديب الكبير ، فحياه تحية الزميل المتلطف ، للزميل المتخلف ، ثم هنأه بمنصبه
الطريف ، بل محله المتيف ١ .

ثم قال الاديب الكبير للديب يمازحه : يا سيد عبد الحميد ، هنيئاً لك ، ها أنت
ذا قد استويت على كرسيك موظفاً غمماً ، وسيداً ضحكاً ١ ، أفلا تذكر تلك الورقات
التقديية ، والورقات المالية التي كنت أحشدها ولا من عليك ، في راحتك ،
ساعة العسرة ، خمساً ، أو عشراً ؟ ، وأنت العليم الحرأية وصية كان أوصى بها
في إخوان الصفاء ، وعشيرة الوفاء ، سلفك الحكيم ، أبو تمام حبيب بن أوس
الطائي ، حيث يقول حبيب :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألهم في الموطن الحشن
فصاح بغلام الديوان : يا غلام ، القهوة ، للسيد الصفوة ، قال الاديب الكبير :
هاتها على العلات ، إنه لحير من تلك القهوة النشوى التي يتجرعها الشارب حتى
يبحن ، قهوة البن ١ ، فقد رضينا منك بهذه الجائزة ١ ، إذ كانت جائزة ١ ، ثم افترقا
فلم يلتقيا ١١١ .

قد سألنا متى اللقاء فقبل الحش مر قلنا صبراً إليه وحزنا
برداً لله في الاديب الديب فجיעه الادب والبيان ، ولقاءه النضرة والرضوان .

المرأة المسلمة

لفقيه الأستاذ الشيخ سيد شريف

المدرس بمعهد القاهرة

اعترف الإسلام بوجود المرأة بعد أن مرت بها حقبة طويلة ، لا تعرف لها حقوق ولا تحفظ لها أقدار ، وقد نحيبت عن المجتمع ، وأبعدت عن معترك الحياة ، وعوملت معاملة فيها مهانة واستخفاف ، ووزارة واحتقار ينظرون إليها كما ينظرون إلى المتاع ، حرية مطلوبة ، وكرامة مهددة ، تؤمر فتنطيع ، لا تملك لنفسها نفعا ولا تدفع عنها ضررا ، ولا تعرف لما ينزل بها من سبب .

وكان أول اعتراف رسمي بها في بيعة العقبة الثانية ، إذ شارك الرجال في البيعة امرأتان تكفلتا بما تكفل به الرجال أمام رسول الله . ثم قفلوا جميعاً عائدين إلى يثرب ، كل يفشر دعوته بين أبناء جوفه ، وأخذت المرأة بعد ذلك تساهم في ميادين العمل المتنوعة التي بدت إذ ذاك حرة فسيحة ، تدعو إلى تضافر القوى ، واستغلال الأرقام ، والانتفاع بنتائج العقول ، وبرزت نتيجة لهذه السياسة إلى مجالس العلم ، وترشف من مناهله ، وتنهل من سلسله ، ثم تعمل جاهدة على نشر ما تعلمت بين النساء تبصرهن بشئون الدين ، وتقرئن كتاب الله وسنة رسوله ، وتفرس فيهن حميد الخلال ، ورفيع الصفات . وتحجب إليهن البحث والتأمل فيما يحيط بهن من أمور حتى ينبغ منهن عدد يشار إليه بالبنان ، تعمق في المعرفة ، وعنى بالتفكير ، واتسع أفقه في القياس والاستنباط مع ذاكرة واعية وقريحة ناقدة ، تنقل ما سمعت عن رسول الله ، أمانة في النقل ، حريصة على الوفاء بما حفظت .

وها هي ذى السيدة عائشة تعتبر مصدراً من مصادر السنة ، ومرجعاً من مراجع الفتيا فيما يعرض للأمة من شئون ، تعقد فهمها ، وخفي حلها ، وبادلت ذوى الرأي فيها حتى قال الرسول اعترافاً بأثرها : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » . وقال عطاء بن رباح بعد أن تبين فضلها في خدمة الدين ، ونشر تعاليمه :

كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم الناس وأحسنهم رأياً في العامة . ويقول عروة :
ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ، ولا بشعر من عائشة .

واشترك بنات السابقين الأولين بقيادة السيدة عائشة في تلك النهضة المباركة التي
أخذت تتمر شيئاً فشيئاً حتى سارت الدعوة الإسلامية في الذبوع والانتشار .
يعضدها الرسول ويتمدها بعده الخلفاء والولاة . وبعد فترة وجيزة انتظمت كثرة
من النساء ، فكان منهن الفقيهة الشاعرة ، والخطيبة البارعة ، ومن خاضت الميادين
لحفز الهمم ، وشحن العزائم ، وتمريض الجرحى ونقل القتلى ، ومن اشتركت اشتراكاً
فعلياً في المعارك ، فضربت بالسيف ، ورمت بالسهم ، تبارز الأبطال . وتقاوم
الاجتاد غير وجلة ولا هيابة ، تحمل قلباً كبيراً ، ونفساً مؤمنة بأن الحياة جهاد في
سبيل العقيدة ، وجلاد عن الحق ، وذود عن الرأي . وبعد عن مقائن الحياة .

وقد ضربت السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه ، أحسن المثل للأم الصالحة
التي تنشئ للأمة جيلاً قوياً ، يابى الضيم . ويلبى نداء الوطن ، ويسترخس البذل ،
ويستعين بالتضحية دفاعاً عن رأيه وبلده إذ تقول لابنها عبد الله بن الزبير في لهجة
حازمة حينما قال لها يا أماء خذلني الناس حتى أهلى وولدى ، ولم يبق معي إلا السير
ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا قالت :
أنت أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعوا فامض له . فقد قتل عليه
أصحابك . ولا تمسكن من رقبتك غلمان بنى أمية تلعب بها ، وإن كنت إنما أردت
الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكك نفسك ومن معك ، وإن قلت كنت على حق فلما
ومن أصحابي ضعفت . فهذا ليس فعل الأحرار من أهل الدين ، فقال : يا أماء
أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمتلوا بي ويصلبوني . قالت : يا بني إن الشاة لا تتألم
بالسلخ . فامض على بصيرتك واستعن بالله ، فقبل رأسها وانصرف .

وتلك سيدة أخرى تقول ما تعتقد . غير عابئة بما يشيره قولها من آثار .
ما دامت قد أرضت ربها وبرأت ذمتها ، وأذاعت رأيها ، تتناقله الألسن ، وتنفج
له الاسماع ، وتحدث به الركبان وهي أم الخير بنت الحريش بن سراقه ، قالت
من خطبة طويلة لها : فيأى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصهره وأبي سبطية صلى والناس مشركون . وأطاع والناس كارهون ،

قتل الله به أهل خير و فرق به جمع أهواتهم ، فقال معاوية : يا أم الخير ما أردت بهذا إلا قتلى ولو قتلتك ما خرجت في ذلك ، قالت والله ما يسوؤني أن يجرى قتلى على يد من يسعدني الله بشقائه ، وقد أعجب معاوية بصراحتها وجرأتها وأمر لها بجائزة وقد حمد عمر رضي الله عنه لإمرأة من قريش صراحتها ونزل عند رأيها حينما وقف ينهى عن المغالاة في المهور على أربعمئة درهم فاعترضته بقولها أما سمعت ما أنزل الله ، وآتيتم إحداهن قنطارا ، فقال : اللهم غفرا لكل الناس أفقه منك يا عمر ورجع عن نهيه .

وأن هذا النهج الواضح في التربية الإسلامية للمرأة لخلق بأن يخرج رجالا يدينون بالشجاعة والإقدام ولا يعرفون الحياة الهائلة ولا العيش الناعم ولا النظر الساخر ولا الترف الآثم ، وإنما تراه إذا الشر أبدى ناجزيه لهم طاروا إليه زرافات ووحيدانا .

وفي مبادئ الغزو وساحات الوشى سجل التاريخ عددا منهن حضر المعامع وقام بنصيب موفور في الأعمال الإنسانية التي تتفق وطبيعة المرأة . وتلائم ما فطرها الله عليه من عطف ورحمة وبر وشفقة وعناية ورعاية تأسو الجراح وتخفف الآلام وتيسر الصعاب ، وحسبي أن أذكر على سبيل المثال أميمة بنت قيس والغفارية فقد اشتهرت برواية الحديث وكانت مع ذلك تحضر الوقائع وتداوى الجرحى وتدور بين القتلى وتحث الناس على ذلك فقالت يوما لرسول الله وقد جاءت في نسوة من غفار إنا نريد أن نخرج معك فنداوى الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا فقال الرسول : على بركة الله وكان ذاهبا إلى خير ، ومنهن خزانة ابنة خالد بن جعفر كانت على جانب عظيم من الفروسية وقد حضرت فتوح العراق مع سعد بن أبي وقاص وخاضت المعارك والمعامع وحضرت فتوح الحرة حينما استشهد خمسمائة وثلاثون فارسا وحمل بعضهم السيف والتحم بالفرسان وأظهر من البراعة والمهارة ما كان موضع الإعجاب والتقدير أمثال خوله بنت الأزور خرجت مع أخيها إلى الشام في خلافة أبي بكر الصديق وكانت تفوق الرجال بالفروسية والبسالة ولها وقائع مشهورة وقد عملت في جيش خالد بن الوليد وكانت ملثمة الوجه لا يظهر منه

خير مولود؟

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المرنى

المدرس بالأزهر

في مهامه شقينة من الجهل والضلال ، وأردية ملتوية من العقائد والآراء .
 وأنماط متباينة من الطبايع والعادات ، وحال من المعصية والصلف ، وأشتات من
 الفجور والشرك والإ انحلال .

منه إلا الحدق وكأنها شعلة نار تجول يمينا وشمالا تعمل في جيش الروم قتلا
 وأسرا حتى تخضبت ثيابها بالدماء وقد أعجب بها خالد أيما إعجاب .

واستمرت المرأة بفضل تشجيع الإسلام تندرج نحو السكال في رزانة وحذر
 وعفة وتصون تحمل العبء المنوط بها في أمانة وإخلاص بعيدة عن ضجيج
 الاندبية العابثة والمجتمعات اللاهية مستمسكة بحياة الجد والعمل تقطع جل وقتها
 في تلقين النشء تعاليم الحرية والكرامة . ومبادئ الوفاء والقناعة . وبذلك توفر
 للأمة الإسلامية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . يروا بدينهم ووطنهم . فكانوا
 قادة الأمم . وسادة الشعوب . ساسوم بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما غفت المرأة عن الأسوة بسلفها ، واندفعت في تيار التقليد ، وعنيت
 بالمظاهر الزائفة ، وغدت تقطع جل وقتها في أعمال لا تمت لاستعدادها بصلة ،
 ومن بناء الأبرمة ، وأصيب المجتمع بالنفك والاحلال ، فلعبت به الأعاصير ،
 وتجاذبت التيارات وسار على غير هدى .

وأغلب الظن أن ما نشهده من ضعف وهوان تغفل بين شعوب الإسلام ،
 فأضاع هيبتها ، وعصف بكيانها . ليس له من سبب قوى يبوء بإثمه ، كأنصراف
 المرأة المسلبة في حاضرها عن واجبها المقدس نحو بذنها ، واهتمامها بولوج ميادين
 لا تتفق وطبيعتها .

والأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الأعراق

كانت قريش وغير قريش من أبناء الصحراء ، يعيشون قبل مولد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

البنات يوءدون في مهودهن ، والضعاف تؤكل حقوقها . والنمرة الجاهلية تقضى على الود وأسباب الحياة ، وكلمة الحق تنحبس عنها الشفاء ، والحجارة الصماء آلهة تعبد من دون الله ، والدنيا تضيق بأسباب الرزق ، والشمس محرقة تنذف الأهلين لها يستعر ، والأرض مجذبة فلا زهر ولا ثمر ، والأخلاق متداعية بالفقراء حقد وبالأغنياء بطر ، فشاء الله أن تنقذهم يد القدر ، فكان منهم محمد سيد البشر .

كان العالم يقاسى قبل مولده صلى الله عليه وسلم تفكك الخلق وتحلل الرجولة . فكان من أظهر صفاته خلق كريم سما على الزمهرات ، وارتفع عن الدنايا والصعائر والمنكرات ، ورجولة عالية دانت لها الدنيا ، وأكبرها العالم ، وخلدت على الأيام وكلما مر بها الزمن تفتحت عن معنى من الرجولة جديد ، ذلك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم نشأ يتيمًا يتما يتمناه ذووا الآباء ، فقيرا فقرا يرجوه السراة والأغنياء وحيدا وحيدة يبتغيها من يعيشون في صحبة من الأصفياء والأصدقاء ، أفرغ الله في وجوده الوجود الإنساني كله ، كأن الله قد بعث آدم جديداً ، تبدأ به الحياة طورا جديدا ، فإن كان آدم سر وجود البشرية فإن في محمد سر كمالها .

نزهه الله وليدا ففطيا فطفلا يتما فشابا فرجلا كريما فنبيا ورسولا فكان سيد الخلق جميعا .

أدبه ربه بأدب سماوى روحى عال فأحسن تأديبه . جرد نفسه من صفات الحياة لتطل على الزمن كبيرة ، وسما بروحه عن إغراء المادة ليظل على الدنيا نبلا ، وارتفع بإنسانيته عن الدنايا لتسكون الإنسانية العليا ، وأفرغ فيه الفضائل كلها ليكون الرجل - الكامل ذلك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . كان فقيرا وهكذا أراد الله ليعمل ويجهد ويكدح ليعيش ، ويجوع يوما ويشبع يوما . لم يقلب يديه في تلبد من المال يرثه . ولم يجمع طارفا من المال يورثه ، ليسمو بالإنسانية فلا يتخذ الغنى من الفقير عبدا ذليلا . ولم يكن في الواقع - صلى الله عليه وسلم فقيرا بالمعنى الذى نفهمه وبالمعنى الذى يلجئه إلى رهن درعه عند اليهودى . كلا فقد خير أن يكون له جبل من الذهب كجبل أحد فقال : لا يارب أجوع يوما فأدعوك وأشبع يوما فأحمدك . .

إذاً فلقد كان فقره درساً يتعلمه العالم وتتناقله الاجيال ليقدّم دليلاً ثابتاً ملموساً على أن الحياة ليست بالمال والثراء ، بل بالصبر والكفاح والمعاناة . ولم يكن صلى الله عليه وسلم يريد بذلك أن يضن الواحد منا على نفسه وعياله ، أو أن ينقطع لله والدين . ويدسى أهله ونفسه ودنياه . كلا فلقد رأى صلى الله عليه وسلم عابداً انقطع للعبادة ، ونسى الدنيا وما فيها ، وامتدحه الناس واثى عليه الجميع . فقال صلى الله عليه وسلم من يعوله ؟ فقال القوم : كلنا يعوله يا رسول الله . فقال كلكم خير منه . ذلك محمد وتلك نظرتة في الحياة . فأى غنى لا يرجو أن يكون فقيراً .

إنه درس فليحفظه الناس وليفهمه الاغنياء فيحمدون الله وينفقون في سبيل الله ما يزيد عن الحاجة فيقرضون بذلك الله قرصاً حسناً ، يرد لهم يوم القيامة مضاعفاً وليفهمه الفقراء فيدعون الله ويذكرونه ويتأسون برسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لهم فيه أسوة حسنة .

وكان سيدنا محمد صلوات الله عليه رجلاً كامل الرجولة ، تحمل الأذى فلم تقتر له عزيمة ، وأصابه الضيم فلم يضعف له إيمان ، وعذب في نفسه ، وكذب وأهين ، ورجف به الناس ، وتابذه أهله وانفض من حوله الناس جميعاً إلا من آمن . فكان يتقيا في كبره من أهله ، كما كان يتقيا في صغره من أبويه ، فما زاده ذلك إلا إيماناً برسائله ، فسار بها إلى الغاية قدماً لا ينحرف ولا يتعثر .

ولقد كان أميناً فلم يخن ، صادقاً فلم يكذب ، أياً فلم يهن ، عادلاً فلم يظلم . استطاع بفضل الله عليه أن يوطد دعائم الرسالة التي بعثه الله بها ، فدان له أشات الملوك وانتظم تحت لوائه مختلف القباصة ، ونظم للعالم على شتى دوله ، واستطاع في أقل من ربع قرن أن يغير العقيدة البشرية ، ويسمو بالنواحي الإنسانية ، ويترك للعالم من بعده تراثاً خالداً يجدون فيه الرشاد إن ضلوا السبيل ، والهادى إن أعوزه الدليل .

سما صلى الله عليه وسلم بالعقل إلى أسنى درجاته ، وانتشل العالم من جاهلية حقاه ، تعبد الحجارة والأجرام والحيوان إلى إنسانية عالية باللغة المدى في الرقي والتقدم تعبد الله ولا تشرك به شيئاً .

هذا أيها القراء شيء عن سيد الكونين صلوات الله عليه وسلامه .

فأما أصحاب محمد فكانوا في الذروة من الإيثار والتضحية والوفاء والعزة والحمية كان الواحد منهم يضرب في سبيل الله ، وتفرع جسمه الضربات فتمزقه فما يحسها إلا في المعنى الخالد ، وإلا أنها تحيات الملائكة له يوم القيامة ، حتى كتب لهم النصر وخفقت راية الإسلام في الخائفين ، وجلجلت كلمة الدين مدوية في العالم مؤذنة بانتشار تعاليم السماء بين البشرية كلها واستساغتها النفوس الطيبة ، وحقت كلمة الله ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

إلا أنه قد ران على قلوب المسلمين ما جعلهم يفسون الله ففسبهم حتى حل بالمسلمين ما غير من سطوتهم وبدل من مكاتهم ، فأغار الغرب على تراث المسلمين وكانت حقبة كلها آلام وآمال .

والآن وقد صحت الأمة من نومتها ، وفكر الشرق في ماضيه السعيد وحاضره المؤلم ، وهب يدافع عن كرامته ، وينافح عن عزته ودينه حتى أدرك الغرب أن تلك القومة لن تهدأ حتى تفر الأوضاع السليمة ويرجع للإسلام عزه ومجده وسؤدده ، ونعتبر بما مضى وبما حوى التاريخ من عبر وعظات ، وعندئذ نقول للمسلمين ابشروا بالحاضر السعيد والغد الباسم . أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وإلى أثني خيراً في أمة محمد ، لأن العقيدة الصحيحة تملأ القلوب ، والإيمان الحق يغمر النفوس ، وما حالتنا الراهنة إلا غفوة ستعقبها الصيحة ، وهذا تحتقب الدوى الذي يمسح عن النفوس الغشاء الأسود الرقيق الذي نشره عليها أدب الغرب ، وسياسة الغرب .

ستعلن العقيدة عن نفسها ، ويثبت الإسلام مكانه ، ويغير أهله ما بأنفسهم ، ويعودون إلى القرآن الدستور الصحيح فيه لكل نقص لإتمامه ولكل عجز كماله .

وأنت يا رسول أنها نجوى يهتف بها قلبي صاحباً وغافياً في السر والعلانية وهادئاً وصاحباً ، أناجيك بها في سماء عليائك ، وأتوسل إليك أنت تشفع لنا يوم القيامة ، فإن أمتك وإن تخلفت في الطريق وتعثرت في الميدان ، فإن نظرة رحمة منك وإلهاماً مسدداً من روحك وتوفيقاً من ربك ينقذها من ضلالها ويفتح لها أبواب المجد ، يا رسول الله اشفع لنا يوم القيامة فإنك أنت رحمة مهداة .

الزاد الأدبي

حفصة الأستاز طامل محمد عبيد

من يهيم بالرحلة يعد ما يعينه على وعناء السفر ومشقات المخاوف حتى لا يعيا .
ومن يقرع باب الكفاح يسعى الى جمع السلاح ولما راح إلى الهيجاء كأنه
فاعد الساعدين يلاقى الهيعة بالبصر الزائع والحسرة المرتعشة والزفرة الناكسة .
وحياة الأديب مشحونة بالمآزم التي لا تنفرج ييسر ولا تنفثع غياها في سهولة
لكنها دنيا من الآمال والآلام .

والناشئة تقلد وتستعجل الشهرة في عصر خضعت فيه الناشئة لفن (الإعلان)
التجاري حتى إذا فتشت وراء الجعجعة قلبت كفك ندماً على العودة بغير طحن .

وكثير من الذين يعيرون أدبنا العربي ، وزادنا الموروث يصدرون في رأيهم
عن آفة الجهل أو الخدع الجلية من الطلاء الغربي .

وأهم ليعيرون أدبنا والعيب فيهم وليس علينا إلا أن نكشف للناشئة المتأدبة
المتشوقة عن الزاد المعنى والفن البديع الخالد ، والتناج المشرق في ماضي العرب
العميق وحياتهم التي امتزجت بالاحداث ، فكانت نواطق بالنعير الصادق ،
والتصوير الساحر مما يشده الذواق ويخلب الحساس ، ويروي غلة الوارد الظمان .

والتراث الذي تخلف على مائدة الأسلاف فيه غذاء وتقوى ، وفيه ما يسعد
الواغل في الخير والشره المتكالب على احتقاب النافع المثمر والصالح المشرف .

ولست برائح الى بعد ، ولا مغرب على القارىء وإنما أوجه الى سجل الحروب
وقصيد الكفاح وما تخلف عن وقائع البسوس بين بكر وتغلب أو بين قبيل وقبيل
كحروب اليمن وعدنان .

ولدينا منشور المعلقات مما ديج عنبرة الفوارس ، وما صور ابن ظالم المري ،
والحصين بن الحمام وابن الطفيل العامري وابن الأسلت والأنصاري وغيرهم من
القدامى والمحدثين . مهذباً ميسراً بالحساس المنشور ولو كان لي في أسر لأدب شيء لأطلت
الوقوف بأبنائنا عند مقامات البطولة من كل سباق إلى النجدة وهمام إلى الجسلاذ
والكفاح .

حتى إذا أوفيت على بعض الغايات زحفت إلى الشعر الإسلامي الذي صور
ميادين الحرب من الصين إلى بحر الظلمات ، ثم صاحبت القادة والملوك الطامحين
الظافرين من كل عباسي أو أموي أو مسلم أندلسي أو فاطمي ، شامي أو عراقي
أو مصري .

وما أظن لإنسانا يخالفني في حاجتنا اليوم إلى التزود من شعر صاحب الليل
والخيل والبيداء (أبي الطيب) الذي خلد مآثر (سيف الدولة) في كفاح الروم .
إنك إن صاحبت شعره لمست النقع المثار ، وطربت لسليل السيوف ، وأخذت
بفضوة الصراع والضراب ، وامتلأت نفسك بعزة العربي المسلم في نضاله المصمم
وعزمه الذي يقل الحديد .

ومنتهى ما يتمنى حب العروبة والإسلام أن نقبل على الزاد القوي الذي يكافح
اليبونة ، وفي أدبنا معارض مشرفة ولأنها لحقائق ماثلة جلاها الشعراء والكتاب
إذا ضيقنا عندها بقسوة الحروب ، فإتانا نفتنح بما فيها من تحميس وتشجيع
وتصوير وتأريخ وتسجيل لأحداث كان المتنبى قد شغل عبقريته بفنها وسحرها
تسع سنين حتى رحل إلى كافور بعد أن نزغ الشيطان بين الشاعر وسيف الدولة .

وسوف أضع لدى القارئ مثلاً من شعر المتنبى كقطوعات للزاد الأدبي الذي
أدعو إلى التزود منه بكثرة والاقبال عليه بنهم .

وأقتبس من لقاء المتنبى لسيف الدولة عقب اتصاواته وتأمين الثغور بالقضاء
على أعدائه الروم وطرد (الدمستق) :

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم وأنك حزب الله صرت لهم حزباً

فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم ويوماً بجود يطرد الفقر والجدا
سراياك ترى و«الدمستق» هارب وأصحابه قتلى وأمواله نهى
مضى بعدما التف الرماحان ساعة كما يلتقي الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة إذا ذكرته نفسه لمس الجنا

* * *

وإني لمعجب بتصوير المتنبي لسيف الدولة في اجتياح أعدائه ، وتهكم الشاعر
بكثرة الجيش المولى حين واجهه القائد العربي والمحارب العبقري .

فودع قتلاهم وشيع فلهم بضرب حزون البيض فيه سهول
على قلب (قسطنطين) منه تعجب وإن كان في ساقيه منه كبول
لعلك يوما يا (دمستق) عائد فكم هارب مما إليه يؤول
أتسلم للخطبة ابنك هاربا ويسكن في الدنيا إليك خليل
أغرّم طول الجيوش وعرضها (على) شروب للجيوش أكل

ولست بناس فارس بنى حمدان (أبا فراس) ولا فارس مصر (البارودي)
ولنما أنا مذكر يدعو الناشئة ومن على توجيههم إلى مائدة زادها القوة وعنادها
الآدبي تحميس ، وانهاض وتقويم في أيام ركدت فيها ريح الآدب القوى
بام شرواع سفيتها .

وما ينبغي والعواصف تطير بنا أن نخلف أكبادنا التي تلتقى الآدب وتدرس
فته ، تتناهبها مغريات الاسفاف والتدنى حتى إذا جدت الحرب بهالم تجدد لسانا
ناطقا ، ولا حاديا مفصحا ولا مصورا صادقا ولا معبرا مجيدا .

فإلى الزاد القوى ، وإلى الآدب الحى الخالد ، والإبداع المفصح الناضج .

الازهريون أساتذة شعراء العصر

لفضيلة الشيخ محمد طاهر الفقي

- ٤ -

شكر واعتذار : على أثر المقالات المتابعة التي تناولت فيها بيان كثير من فضل الازهر على النهضة الأدبية في هذا العصر ، وخاصة بعد ما تحدثت فيه عن أن الازهريين في صدر النهضة وقريبا من اليوم كانوا نجوما اهدى بها لخور الشعراء ، وفدت إلى عدة كتب من ازهريين وجامعيين وأدباء يحمدون جهدي الذي كشف عن كنز دفين - كما يقولون - وهم يعتبرون علينا في لطف حيننا ، وفي عنف حيننا آخر ، أننا لم نخرج هذا الجهد في كتاب ، ولم نعرضه للناس كافة .

ولست أجد رداً على شكر هؤلاء إلا عرفاني بفضلهم ، واعتدادي بتقديرهم ، وصرفي ذلك آخراً إلى كافهم بالبحث : وشفهم بالتقريب والدرس ، ورغبتهم الواضحة في توفية الرعيل الأول من أدباء هذه النهضة حقهم من التجلية والخلود .

أما اعتذاري هؤلاء فإنه مزيج من العجز والتواكل ، فقد كان طبع أمثال هذه البحوث فوق طاقتي إذا نازعتني مع ذلك عوامل التواكل ، فقد كان شيطاني يقهرني على التعمود عن إخراج هذه البحوث ، لاويا عزمي عن المضى في إخراجها ، مبرراً لي ذلك بأن الحديث المضنى المعنى كان يصدد الازهر ، والابانة عن فضله ، وليس أجدر بأولى الأمر فيه من النهوض بتجليته للناس ، وقد كانت حجة الشيطان مفحمة لي ، وطالما عدت على الازهر نفسه باللوم والتأريب قائلاً ، أهان الازهر على نفسه إلى هذا الحد حتى يضن بفشر هذا الذي يعتبر دليلاً وحده على حياته الأدبية ، أليس بجحى هذا جديراً بمثل الرعاية التي تولت بحوثاً وكتباً كان كثيراً عليها الورق الذي طبعت فيه ... ؟

وأخيراً فالرجاء معقود بالاستاذ الأكبر فإن للأدب فيه أملاً ، وقد كنا من غراسه ...

عود على بدء :

دل السياق الذى سقناه على ارتفاع « أمير الشعراء أحمد شوقي بك » بالأزهر ، وأنه كان هدية للعالم من أستاذة الأزهرى « الشيخ محمد البسيونى » هدايا وعلمه ، ووجهه وشجعه ، ولفت إليه نظر الحديوى فأصبح عليه من ضروب العطف وظلال الرعاية ما كان أسباب مجد ، ومراقى نهوض .

وفى مقالة لنا هـذا ندعم البحث الدال على فضل الأزهر على أمير الشعر باعترافه نفسه .

اعتراف شوقي :

لشوقي رحمه الله حديث بصدد الأزهر يشهد بحسن تقديره لهذا المعهد العظيم وإجلاله لمهبط أساتذته ، فقد أقيم حفل لتأبين المرحوم ، عاطف بركات باشا ، بمدرسة المعلمين العليا فى الخامس الثالث عشر من صفر سنة ١٣٤٣ هـ ، الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٤ ، وأرسل أمير الشعراء قصيدته لتلقى فى الحفل ، وكان مما قاله فيها :

وحارب دونها صرعى قديم كأن بهم على الزمن انقطاعا
إذا لمح الجسد لهم تولوا كذى رمد على الضوء امتناعا

وكان فى الحفل صفوة من رجال مصر وجمهرة من شيوخ الأزهر ، منهم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة مفتى الديار المصرية إذ ذاك ، فعدوا ذلك جرحا لسكراتهم ، مطعنة فى صدورهم ، وكتب المغفور له الأستاذ الشيخ محمود الغمرأوى طيب الله ثراه مقالا بعنوان « أمير الشعراء ورجال الأزهر للحقيقة والتاريخ » نشرته جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ من صفر سنة ١٣٤٣ هـ الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٢٤ م ، وقد كانت يراعه رجلاً رُديفياً شك أمير الشعراء الذى نفى عنه الكاتب أن يكون كنادبة المسجى التى تجامل الحاضرين بذكر شيء من محاسن موتاهم .

وقد ظهرت جريدة الأخبار بعد هذا المقال بيوم واحد وفى صدرها حديث

لامير الشعراء ينفي ما فهمه صاحب المقال من تسكر شوقي للآزهر ورجاله . فكان مما قاله :

« وما أما من ينسى أن معظم أساتذة مدرسة القضاء نفسها في العلوم الشرعية بوجه خاص كانوا من شيوخ الأزهر ورجاله ، وليس من المعقول أن يكون هؤلاء الأفاضل حرباً عليها وهم في النهوض بها شركاء .

إن للآزهر عندى حرمة لا أحب أن يتشكك فيها الأساذ ، وأعتقد أن الأزهر قد سدّ فراغا كبيرا كان التعليم في مصر والبلاد الشرقية جميعاً لا يرجى له بدون الأزهر من سداد .

وسأظل غفوراً دائماً بأن من أساتذتي شيوخاً من صميم الأزهر الشريف وكبار علمائه . »

ذلك هو ما قاله شوقي تلافياً لما عساه أن يكون قد فهم من قصيدة التأبين ، وإفصاحاً عن تقديره الأزهر الذي يفخر أمير الشعراء بأن فيه أساتذة من شيوخه . على أن أمير الشعراء أراد أن يزيد في تأكيد تقديره الأزهر وينفي عنه مظنة النيل من أبنائه فالتمس إصلاح الأزهر في أقرب فرصة ، ونظم آيته الكبرى التي قالها في نفس العام الذي أدلى فيه بحديثه عن الأزهر ويقول فيها : —

قم في فم الدنيا وحى الأزهر	وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدرر لفصلته	في مدحه خسرر السماء النثيرا
واذكره بعد المسجدين معظما	لمساجد الله الثلاثة مُكبرا ^(١)
واخشع مليا واقض حق أئمة	طلعوا به زهرا وما جوا أجرا
كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الأمان وكان حصنهم الذرا ^(٢)
من كل بحر في الشريعة زاخر	ويريكه الخلق العظيم غضنفرا
ثم يقول :	

يا معهدا أفنى القرون جداره	وطوى الليالي ركنه والاعصرا
ومشى على ييس المشارق نوره	وأضاء أبيض لجها والاحرا

(١) المسجد الحرام والمسجد الأقصى . (٢) الذرا : الملجأ .

إلى أن يقول :

عين من الفرقان فاض نيرها وحيأ من الفصحى جرى وتحدرأ
ما ضرنى أن أليس أفقك مطلقى وعلى كواكبه تعلت السرى
وهو يشير فى هذا البيت إلى أنه وإن لم يكن طلع فى أفقه ودرج فى رحابه ،
فقد اهتدى بأسانذه وتعلم السرى على كواكبه ، وهو أيضا الذى يقول : —
لا والذى وكل البيان إليك لم أك دون غايات البيان مقصرا
شوق وكتاب الوسيلة الأدبية :

وما دنا بصدد انتفاع أعلام الشعر بأسانذة الأزهر وجهودهم الأدبية فى هذا
العصر ، فقد يطيب الحديث عن هذا الكتاب الذى نهل منه « شوق » ، وحافظ . .
وكان الكتاب الأول الذى راض خيال شوق وصقل طبعه وصحح نشأته الأدبية ،
كما كانت منه بصيرة « حافظ » .

ذلكم الكتاب الذى ألفه العالم الأديب الناقد المغفور له « الشيخ حسين
المرصنى » ، وليس سر هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ، ومختارات الشعر
والكتابة ، فقد كان ذلك فى مصر قديما ، ولم يخرج لها شاعر مثل شوق ، ولكن
السر هو ما فى هذا الكتاب من شعر « البارودى » ، لأنه معاصر والمعاصرة اقتداء
ومتابعة ، وقد تقضت القرون الكثيرة والشعراء يتناقلون ديوان المتنبي وغيره
ثم لا يجيئون إلا بشعر الصناعة والتكلف ، ولا يخلد الجيل منهم إلا لما رأى
فى عصره ، ولا يستفتح غير الباب الذى فتح له إلى أن كان البارودى نجاء بذلك
الشعر الجزل الذى نقله « المرصنى » ، بإلهام من الله تعالى ليخرج للعربية « شوق
وحافظاً » ، وغيرهما .

فكل ما فى الكتاب أنه ينقل روح المعاصرة إلى روح الأديب الناشئ فتبعته
هذه الروح على التمييز وصحة الاقتداء ، فإذا هو على ميزة وبصيرة . وإذا هو على
الطريق التى تنتهى به إلى ما فى قوة نفسه ما فيه ذكاء وطبع . وبهذا ابتداء « شوق »
« وحافظ » ، من موضوع واحد ، وانتهى كلاهما إلى طريقة غير طريقة الآخر (١) ؟

(١) من مقال للرحوم مصطفى صادق الرافعى فى المقتطف الصادر فى ٢ من رجب سنة ١٢٥١ هـ .

نكاح المتعة

لمحاضرة الأستاذ إبراهيم أحمد الوقفي

مدرس بالأزهر

إذا نظرنا الى أقوال الأئمة في تعريف نكاح المتعة فإننا لا نستطيع أن نعهده نكاحا شرعيا ولا زنا صريحا بل هو وسط بين هذا وهذا ونوع ثالث يختلف عن كليهما ولا يخرج عنهما ، فهو يشبه النكاح الشرعى في وجود العقد والمسال الذى يسمى مهرأ أو أجرة واختصاص المرأة برجل واحد فى مدة معينة وشبهته بالزنا أقوى وأظهر ، فإما هو إلا تمتع مؤقت بالمرأة ليلة أو ليلتين أو أسبوعا أو أكثر وحدد بعض العلماء له أجلا غايته خمسة وأربعون يوما ليقضى منها وطرا ثم يتركها ولا يثبت به إرث ولا نسب ولا تجب نفقة على المتمتع وليس على المرأة عدة بعد الفراق ولا يشترط فى صحته وجود شاهدين .

ولولا وجود العقد وتسمية المال لاتفت شبهته بالنكاح الشرعى ولكن مع هذا نرى أن تلك الشبهة واهية متداعية لا تكاد تقف على رجلها عند البحث والتحصيل فالزاني لا يواقع زانية إلا بعد تفاهم بينهما ورغبة منه تقابلها استجابة منها ورضا بالمسال المعروض عليها فى مقابل هذا التمتع وهذا التفاهم والرضا بينهما هو العقد بعينه .

وإذا أردنا تسمية الأشياء بمسمياتها الحقيقية الصريحة من غير غموض أو تأويل فإننا لا نجد مانعا شرعيا يحول دون تسمية هذا النوع من التمتع زنا .

وحجتنا فى ذلك أن الزنا كان أكثر انتشارا فى الجاهلية من شرب الخمر ، بل كانت تنصب له البيوت وترفع عليها الرايات الحمراء لتعرف منازل البغايا ، وكان بعض زعماء الجاهلية لا يرون فى ذلك غضاضة ويقتنون الإماء لهذا الغرض ، ويتخذون منه حرفة ومرزقا ، وهؤلاء أنزل الله فيهم قوله ، ولا تكرر هو أفتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ،

فأراد الله أن يكون تحريم الزنا تدريجياً كما حرمت الخمر بالتدريج فأباح ما نسميه المتعة عند الإضطرار الشديد كما أباح الخمر — في أول الأمر — في غير أوقات الصلاة قال عطاء: سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلولوا نهيه عنها ما احتاج إلى الزنا أحد إلا شفى .

وما هذا النوع من الاتصال الجنسي إلا رخصة للبضطر عند اشتداد العزبة وفطر الشبق وخوف الوقوع في الزنا فكان من قبيل ارتكاب أخف الضررين واختصاص رجل بامرأة بعد عقده عليها نكاحاً مؤقتاً أهون من تصديه للزنا بأية امرأة يمكنه أن يستميلها . روى عن ابن مسعود قال (كننا نعزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معنا نساء فقلنا : ألا نخنصى ؟ فها هنا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل . ثم قرأ عبد الله : يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، الآية متفق عليه .

وفي الترمذى . عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال : (إنما كانت المتعة في أول الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فتحفظ له متاعه وتصلح له شأنه حتى نزلت هذه الآية : إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم . قال ابن عباس : فكل فرج سواهما حرام .

ثم نسخت هذه الرخصة بعد تمسك الإيمان في قلوب المسلمين وتهيؤهم لقبول أحكامه والإفلاق عما ألفوه في جاهليتهم .

وعلى هذا انعقد إجماع جماهير العلماء من السلف والخلف ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الروافض وبعض الشيعة مستدلين بقراءة شاذة رويت عن أبي وابن مسعود في قوله تعالى : فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن ، فقد زادا بعد قوله : منهن . إلى أجل مسمى .

وذكر الزجاج ^(١) أن هذه الآية غلط فيها قوم غلطاً عظيماً لجهلهم باللغة وذلك أنهم ذهبوا إلى قوله : في استمتعتم به منهن . من المتعة التي قد أجمع أهل العلم أنها

حرام ، وإنما معنى فما استمتعتم به منهن : فما نكحتم منهن على الشريطة التي جرى في الآية أنه الإحصان . أن تبغوا بأموالكم محصنين أى عاقدين التزويج أى فما استمتعتم به منهن على عقد التزويج الذي جرى ذكره فأتوهن أجورهن فريضة أى مهورهن فإن استمتع بالدخول بها آتى المهر تاما وإن استمتع بعقد النكاح آتى نصف المهر .

وبعد بيان فساد المعنى الذي فهموه من الآية الكريمة وشذوذ القراءة المروية لم يبق لهم حجة أقوى مما روه عن ابن عباس أنه كان يراها حلالا ولم تنسخ لإباحتها . وقد كثرت الروايات التي تحكى رجوع ابن عباس عن القول بإباحتها ، فروى الخطابي بإسناده إلى سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : قد سارت بفتياك الركبان وقال فيها الشعراء . قال : وما قالوا ؟ قلت قالوا :

قد قلت للشيخ لما طال محبسه يا صاح هل لك في فتوى ابن عباس
وهل ترى رخصة الأطراف آنسة تكون مثواك حتى مصدر الناس

فقال ابن عباس : سبحان الله والله ما بهذا أفئيت وما هي إلا كالميتة والدم ولحم الخنزير لا تحمل إلا للضطر :

ومع كثرة روايات رجوعه فإننا نرجح أن ابن عباس مات وهو مصمم على إباحة هذه الرخصة ، ولا نسلم أن الاضطرار إلى الزنا كالاضطرار إلى أكل الميتة فإن الامتناع عن الأكل منها مفض إلى الموت والهلاك ، ولا سبيل إلى الإبقاء على النفس إلا الأكل منها ، أما الزنا فهناك وسائل أخرى تصرف عنه وترفع الاضطرار إليه ومن هذه الوسائل ما دلنا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم البائة فليتزوج ، فإنه أحسن للفرج وأغض للبصر ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) وإذا لم يكن الصوم علاجا سريعا لا يخلص من هذا الاضطرار فقد أباح الإمام أحمد بن حنبل الاستمناة بالكف إن فعله خوفا من الوقوع في الزنا أو خرقا على بدنه وجعله كالقصد والحجامة ، واحتج بأنه لإخراج فضلة من البدن فيجوز عند الحاجة الشديدة وعن العلاء بن زياد عن أبيه أنهم كانوا يفعلون الاستمناة في المغازى .

وأجمع غيره من الأئمة على أنه معصية يعاقب عليها بالتعزير لا بالحد .

وقول ابن عباس على فرض ضعف ما روى من رجوعه عنه لا يقاوم الإجماع ولا يصلح حجة يحتج بها عاقل ولا يصلح الارتكان إليه وترك إجماع الأمة على تحريم نكاح المتعة ، فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحهما عن على كرم الله وجهه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية .

وعن سيرة الجبى : أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم فتح مكة قال : فأقننا بها خمسة عشر يوماً فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى متعة النساء . وذكر الحديث إلى أن قال : فلم أخرج منها حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى رواية أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً (رواه أحمد ومسلم .

قال عمر بن الخطاب : لا أوقى برجل تزوج متعة إلا غيبته تحت الحجارة ^(١)

وقال ابن المنذر : جاء عن الأوائل الرخصة فيها ولا أعلم اليوم أحداً يجيزها إلا بعض الرافضة ولا معنى لقول يخالف كتاب الله وسنة رسوله .

ولولا قول ابن عباس لأجمع العلماء على وجوب إقامة الحد على ناكح المتعة ولما جعلوا هذا النوع من النكاح شبهة يدرأ بها الحد وما اقتصروا على تعزير من يفعلها .

وقد حصر القرآن حل التمتع بالمرأة فى حالتين لا ثالث لهما : الزواج وملك اليمين والمرأة المتمتع بها ليست زوجة ولا ملك يمين والشبهة أنفسهم لا يعدونها زوجة فإنه يحل للرجل عندهم أن يتمتع بالكثير من النساء من غير تحديد ولا يقولون برجم الزانى المتمتع إذ لا يعدونه محصناً وليس بعد هذا تناقض ولا تحبط وضلال . نسأل الله لنا ولهم الهداية والرشد والوقاية من الفتن والشبه والاهواء (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

شيوخ الجامع الأزهر

في القرن الثاني عشر الهجري

هذا بحث مستخرج من مجلة الجمعية الملكية للدراسات التاريخية وضمه
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ زكي محمد غيث المدرس في كلية اللغة
العربية بالأزهر أتى فيه على اسم أول من روى مشيخة الجامع الأزهر ثم أسماء
من خلفوه من كبار الشيوخ الذين اختبروا لشغل هذا المنصب العظيمة قال :

تقديم :

الجامع الأزهر أول مسجد شيد في القاهرة المعزية ، وثالث مسجد أسس
بالديار المصرية بعد الفتح الإسلامي لها ، وهو اليوم أكبر معهد ديني على إسلامي
في الشرق ، وأقدم جامعة علمية في العالم قامت على حفظ علوم الشريعة الإسلامية
الغراء أصولها وفروعها . واللغة العربية وآدابها ، وعلى نشرها ، وتخرج علماء يوكل
إليهم تعليم علوم الدين واللغة في مختلف المعاهد والمدارس ، ويلون الوظائف
الشرعية في المملكة المصرية .

وللجامع الأزهر شخصية معنوية مصرية الجففس ، وهو من ناحية النظام
الإداري للمملكة المصرية يمثل إحدى الوزارات الحكومية ، وإن لم يكن له اسم
الوزارة ولا لرئيسه . هذا الوصف رسمياً .

« وشيخ الجامع الأزهر » : هو الإمام الأكبر بجميع رجال الدين ، والمشرف
الاعلى على السيرة الشخصية للملائمة لشرف العلم والدين بالنسبة إلى أهل العلم ،
وحملة القرآن الشريف ، سواء أكانوا متممين إلى الأزهر ، أم غير متممين إليه .
وهو المنفذ الفعلي للعالم بجميع القوانين ، والمراسيم ، والأوامر الملكية ،
والوائح ، والقرارات المختصة بالجامع الأزهر ^(١) .

وهو الذي يمثل الجامع الأزهر في كل ما يتصل بشئونه قبل الغير من المصالح
الحكومية ، والهيئات الأهلية ، والأفراد .

[١] المادتان رقم ٥١ و ٥٢ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر .

ويختار شيخ الجامع الأزهر ، من بين جماعة كبار العلماء ، أو من تتوافر فيهم الشروط الآتية : أن تكون سنه خمساً وأربعين سنة على الأقل ، وأن يكون معروفاً بالورع والتقوى في ماضيه وحاضره ، وحائزاً لشهادة العالمية منذ خمس عشرة سنة على الأقل ، وأن يكون قد اشتغل بالتدريس مدة خمس سنوات على الأقل في إحدى كليات الجامع الأزهر ، أو بالقسم العالي المقرر بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ م ، أو بإحدى الكليات بجامعة فؤاد الأول وفاروق الأول ، أو يكون قد شغل منصب مفتي الديار المصرية ، أو عضو بالمحكمة العليا الشرعية .
ويعين شيخ الجامع الأزهر ، بأمر ملكي ، ويصير من يعين شيخاً للجامع الأزهر من غير جماعة كبار العلماء عضواً في هذه الجماعة بحكم القانون ^(١) .

هذا هو الوضع الذي صار إليه أمر الجامع الأزهر ، ومشيخته في العصر الحاضر ، أما قديماً فلم يكن له شيخ يتولى رئاسته الدينية ، ويدير شؤنه الإدارية ، بل كانت يتولاه الولاية العامة سلاطين مصر وأمرؤها ، كباقي المساجد الجامعة بالديار المصرية ، ويباشرون شؤنه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة ، ومشايخ الأروقة ، يعاونهم خطيب المسجد ، والمشرف ومعاونوه من العمال والخدم .

بقى هذا النظام متبعاً في الجامع الأزهر غالباً مدة حكم الفاطميين والأيوبيين ، والمماليك الأولى (البحرية) ، وفي عهد سلطنة الملك الظاهر برقوق ، أول سلاطين المماليك الثانية (البرجية) عين للأزهر : « ناظر ، سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) » ، وكان « ناظر الأزهر » يختار من بين كبار موظفي الدولة ، وكان هذا « الناظر » هو الأمير « بهادر الطواشي كبير المماليك السلطانية » ، وكان « ناظر الجامع الأزهر » ينوب عن سلطان مصر ، أو حاكمها في الإشراف على شئون الأزهر ، والقيام على تنفيذ الأوامر والأحكام السلطانية ، والسهر على رعاية مصالح الجامع الأزهر ، ومصالح أهله من علماء وطلاب .

وقد عرف من « ناظر » هذا العهد المملوكي أيضاً الأمير : « سودوب »

(١) المادان رقم ٦ ، ٧ من القانون ٢٦ لسنة ١٩٣٦ ، بإعادة تنظيم الجامع الأزهر ، والمرسوم الملكي المعدل (٧) من هذا القانون الصادر في ١٩٤٥/١٢/٢٦ .

القاضي ، وحاجب الحجاب ، ولي « نظارة الجامع الأزهر » سنة ٨١٨ هـ (١٤١٥ م) ^(١) .

ولما استولى الأتراك العثمانيون على مصر سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) ساروا على نهج من سبقهم من سلاطين مصر وأمرائها ، لحافظوا على الأوضاع المرعية في الأزهر ، واهتموا برعاية شئونه ، والسهر على مصالح أهله ، واقتدى الولاة العثمانيون بسلاطين آل عثمان فعرفوا لهذا المعهد العلى الدينى الإسلامى حقه من الرعاية والتقدير ، وجددوا به كل دارس ، وزادوا فى عمارته ، ووسعوا من رقعته ، وأوقف الأمراء ، والولاة ، وكبار رجال الدولة ، والأعيان الكثير من الأموال ، والأملاك ، والعقارات على علمائه وطلبته . فاتسعت إدارته ، وتشعبت مصالح أهله ، وأصبحت الحاجة ماسة إلى وجود شخص يتفرغ للإشراف على شئون هذا المعهد الدينى والإدارية معا ، ويكون رئيساً لشيوخ المذاهب والأروقة ، وسائر علماء الأزهر وطلابه ، ومستولاً مباشرة أمام الولاة والسلاطين ، وحلقة اتصال بين الحكومة وأقسام الأزهر المختلفة ، فاستحسن « الدولة العلية » قبيل نهاية القرن الحادى عشر الهجرى (السابع عشر الميلادى) أن يعين للأزهر : « شيخ عموم ، يدير شئونه ، ويراقب أموره من تعاليم وغيرها ويلقت : « بشيخ الجامع الأزهر » .

ومنذ العهد (التركى العثمانى) والجامع الأزهر يحتفظ بهذه الوظيفة التى تطورت مظاهرها ، واتسعت اختصاصاتها على حسب تطورات الزمن ، ومقتضيات الظروف والأحوال حتى آلت إلى ما هى عليه الآن .

وقد حفظ لنا الجبرقى فى تاريخه المسمى : « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، نبأً بأسماء « شيوخ الجامع الأزهر » ، لاكثر من قرنين من الزمان .
والجبرقى أسبق مصدر فيما أعلم تناول ذكر شيوخ الجامع الأزهر خلال هذه الحقبة التى تؤرخها ، وهم عنده أحد عشر شيخاً .
وقد أوردت دائرة المعارف الإسلامية أسماء : « اثنى عشر شيخاً » خلال

[١] الخطط التوفيقية ، ج ٤ ص ١١ ؛ كثر الجوهري فى تاريخ الأزهر ، للشيخ سليمان وصد ص ٥١ ، ٥٦ ؛ كتاب « الأزهر » لمحب الدين الخطيب ، ص ١٧ ، ١٨ ؛ كتاب : « الأزهر » ، للأستاذ عبد الله عنان ، ص ١٢٩ [ينقل عن خطط المقرئى ج ٤ ص ٥٤] .

هذا القرن الذى تؤرخه ليس منهم الشيخ : « إبراهيم البرماوى ، الذى عدّه الجبرقى من بين شيوخ الجامع الأزهر »^(١) ، ولا الشيخ : « محمد المنير ، الذى ذكره المرادى ، أنه كان شيخاً للجامع الأزهر »^(٢) .

والمعروف فى الدوائر الأزهرية أنه لم يل مشيخة الجامع الأزهر خلال هذه الفترة غير عشرة ليس منهم :

- ١ — الشيخ إبراهيم البرماوى المتوفى سنة ١١٠٦ هـ (١٦٩٥ م) .
 - ٢ — الشيخ أحمد النفراوى المتوفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م) .
 - ٣ — الشيخ عبد الرحمن العريشى المتوفى سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) .
 - ٤ — الشيخ محمد السمنودى الشهير بالمنير المتوفى سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٣ م) .
- وستنقص بحثنا على : « شيوخ الجامع الأزهر ، الذين ذكرهم الجبرقى فى تاريخه خلال القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) وهم المشايخ :
- الحرشى ، البرماوى ، الذشرقى ، القلبنى ، شنن ، الفيومى ، الشبراوى ، الحفنى ، السجيني ، الدمهورى ، العروسى .

وسلاحظ القارىء أننا لم نستطع تحديد الزمن الذى أنشئ فيه منصب « مشيخة الجامع الأزهر » بالدقة ، وبصورة قاطعة . وأن أول شيوخ الجامع الأزهر لم نعرف على وجه الدقة مبدأ توليه المشيخة ، وسبب ذلك قصور المراجع التى تحت أيدينا ، كما أنه سيلاحظ اقتضاباً فى بعض التراجم يجعل البحث قاصراً ومرجع ذلك ما ذكرناه آنفاً أيضاً ، ومع شعورنا بأن البحث فى صورته يعتبر ناقصاً فإننا أشرنا نشره راجين أن تتاح لنا فرصة أوسع لاستكمال ، وسد هذا الفراغ الذى أشرنا إليه حتى يحىء محققاً لأمل الكثير من الباحثين .

وبعد : فهذا جهد المقل أرجو أن يكون مساهمة عملية منا فى تحية الأزهر لمناسبة مرور نيف وألف سنة على تأسيسه ، ذلكم المعهد الخالد الذى فيه تعلمت ، ومنه تخرجت ، وبه أعمل الآن مدرساً فى كلية اللغة العربية ، إحدى كلياته الثلاث .

[١] عجائب الآثار للجبرقى ، ج ١ ص ٧٠ [المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٢ هـ] .

[٢] سلك القدر فى أعيان القرن الثانى عشر ، ج ٤ ، ص ١٢٢ . [المطبعة الأميرية ، بولاق] .

سنة ١٣٠١ هـ .

وفاء...؟

في ذكرى الأربعين

لوفاة الأستاذ الجليل فضيلة الشيخ محمود أبو العيون
السكرتير العام للأزهر والمعاهد الدينية

لأستاذ عبد الحميد محمد الفضالي
المدرس بالسعيدية

قد عاش في دنيا الجهاد حميدا	وثوى بدار الخالدين شهيدا
يا أيها الثّـاوى بدار إقامة	قد نلت في فرد وسك الموعودا
ما كنت في دنياك غير مجاهد	حفظ الكرامة سيدا ومسودا
فرفعت قدر العلم ، فهو مكرم	كم قد وقفت الموقف المشهودا

* * *

لحقى عليك أبا العيون مضرجا	وتصيح : مهلا ، يا قطار ، وثيدا
أشفق علينا ، لا تكن متجنيا	وارفق بشيخ في الدنا مكدودا
قيدتني بالتوب ، مهلا ، لآتى	قد عشت حرّا ما خشيت قيودا
أنا يا قطار قضيت عمرى منصفا	أنا ما بغيت ، وما ظلت عبيدا
أنا لست إلا غلصا ومسالما	أُتري لمثلى يستحق وعيدا ؟
قطعت أنفاسى ، ومنزقت الحشا	وفعلت فعلا قاسيا وشديدا
إنى انتهيت كما قضى لى خالقى	وافد رخصيت بأن أكون شهيدا

* * *

ماذا دهاك ، وكنت تمتلك الخطا	وتسير سيرا صالحا وحميدا ؟
لكنه القدر المتاح إذا أرا	د إمامة ، ترك الحياة همودا
لاشئ يرفع حين ينزل بامرئ	مهما بدا متاسكا وجليدا
أما قطع الآمال ويحك قد سطو	ت على العلا متجنيا ، ومبيدا
إن المنايا إن أرادت زلزلت	وعمت من الغاب المنيع أسودا

يأيها الثاوى بدار سعادة
الناس مشتاقون بعبد لقولكم
محمودُ عشت مدى حياتك مفردا
كم صرخة لك فى الضلالة حطمت
لانى رأيتك قبل فقدك قوَّة
وتذيع فى الآفاق أكرم صيحة
وتزيح عن أرض السكينة لوثة

أرسل نداءك مسعداً وسعيدا
فهب الصحائف من لَدُنْكَ جديدا
ورحلت عن دار الفناء فريدا
وكر الضلال ، فصيرته صعيدا
مأمولة تزجى لمصر خلودا
كانت لمصر معاقلا وجنودا
كم ضيعت فى عهد مصر عهدا

* * *

محمود والإصلاح نكس بنده
كنا وأنت تجوب آفاق العلا
لطفى عليك وأنت أسمح من مشى
لطفى عليك وأنت خير محدث
لطفى عليك وأنت خير علق
فلكم حصدت من الفساد بمنجل
ولكم أخفت البحر عند شواطئ
أمن الشباب على كريم شبابه
إن العفاف كمال كل جميلة

لما رحلت فما أقام بنودا
نرؤ بأعيننا لكم تمجيديدا
فى ساحة الإحسان ينضح جودا
صاغ الحديث لآثما وعقودا
يبغى لأمته سنا وسعودا
عودا تمادى فى الضلال فعودا
خوفاً ، فعاد جبانة رعديدا
وبدت فناة الجيل أنضر عودا
وأرى العفاف تسامياً وصعودا

* * *

محمود والآمال صار جميعها
فيض من الإصلاح ، أنت ذخيرة
هل من سبيل أن تعود إليهم
ما كنت تعرف فى الجهاد مطامعاً
نم فى جوار الله ، واهناً بالذى

بدداً ، وكنت مؤملاً محمودا
للصلحين تزيدهم تأييدا
فالكل يطلب من هداك مزيدا
أو يعرف الإصلاح منك حدودا
أعطاك ، طبت مكفناً ملهودا

العقل العلمى

(العلم أثبت وجود العالم الروحانى)

قال العلامة الفيلسوف المشهور كاميل فلامريون :

يوجد فى الحياة الأرضية خصائص لم يكتشفها الإنسان للآن وحده. واس
لا تزال مجهولة لديه . فكيف يجد الحمام السباح والسنونو أعشاشها التى تركتها ؟
وكيف يعود الكلب إلى بيته بعد أن يبعد عنه عدة مئات من الكيلومترات
فى طريق لم يعده من قبل ؟ وكيف تستهوى الحية العصفور إلى فها ؟ وكيف
يجذب البرص إليه الفراش بعد أن يوقعه فى خدر الخ الخ ؟ وقد بينت فى كتاب غير
هذا أن سكان الدنياوات الأخرى يجب أن يكونوا ممتعين بحواس مخالفة لحواسنا .
« ليس لنا علم مطلق بشئ من الأشياء فكل معارفنا نسبية أى ناقصة وقاصرة » .
« فالعقل العلى يوجب علينا أن نتحفظ فى إنكاراتنا ، ولنا الحق فى أن نكون
متواضعين ، ولنقل مع أراغو أن الشك دليل على التواضع وما أضر بتقديم العلم
إلا نادرا ، ولكننا لا نستطيع أن نقول مثل هذا القول عن الإنكار المطلق » .
ويوجد كذلك عدد عظيم من الحوادث لا تزال بعيدة عن التفسير تختص
بالعالم المجهول ، ومن هذا الباب الحوادث التى سننكم عنها فى هذا الكتاب .
فالتلبانيا أى الشعور عن بعد ، وظهور أشباح الموتى ، وانتقال الأفكار ، والرؤى
فى النوم ، وفى حالة الانتقال النوى بدون استخدام العين لقرى ومدن وآثار ،
ومعرفة المستقبل من حادثة قرية ، والشعور بما هو آت ، والاندازات الخارقة
للعادة ، والحس بحوادث مستقبلية ، والاملاء بواسطة الطرق على الأخونة
(الترايزات) ، وحدوث ضوضاء لا يمكن تعليلها ، وظهور أرواح فى بعض
البيوت ، ونقل الأشياء من أمكنتها ورفعها إلى فوق ضد نواميلس الثقل ، وحركة
الأشياء وانتقالها بدون مس أو حوادث تشبه تجسد القوى (وهو ما يظهر محالا
لاول وهلة) والظهور الوهمى أو الحقيقى للأرواح ، أو لنفوس من جميع الرتب ،
وظواهر أخرى غريبة لا تزال بعيدة عن التفسير للآن كلها نستحق أن نطلع عليها
وأن نوجه إليها اهتمامنا العلى .

ثم قال :

والذين يقولون : حاشانا أن نصدق هذه المستحيلات . لا لا ، نحن لا نصدق إلا نواميس الطبيعة ، وهذه النواميس معروفة ، هؤلاء يشبهون قدماء الجغرافيين السذج الذين كانوا يكتبون على خرائطهم عند ما يصلون في رسمهم إلى جبل طارق هذه العبارة (هنا تنتهى الدنيا) ولم يعرفوا أن فى تلك الشقة القرية المجهولة يوجد من الأرض ضعف ما كان يعلمه أولئك الجغرافيون الجسورون فى ذلك الحين .

« كل ما نعرفه من العلوم الإنسانية يمكن أن يشبه بجزيرة صغيرة ، صغيرة للغاية محاطة بأوقيانوس لا سائل له » .

وقال فى صفحة ٧٥٠ .

« المشاهدات الحسية تثبت وجود عالم ورعانى محقق كتحقق العالم المادى المدرك بحواسنا الخمس » .

* * *

وقال هذا العالم الكبير أيضا فى صفحة ٨ من كتابه (القوى الطبيعية المجهولة) : أنا لا أخفى عن نفسى أن كتابى هذا سيثير ثائرة مناقشات واعتراضات أصولية ، ولا يستطيع أن يقنع غير الباحثين المستقلين . ولكن ما أقل العقول المستقلة الحرة على سطح كوكبنا هذا ، وما أقل الميل الصحيح للاطلاع مجردا عن كل مصلحة ذاتية . كأنى بجمهور قرأى يقولون : أى شىء فى هذه المسئلة يوجب الاهتمام : أخونة (أى ترايبرات) ترفع عن الأرض ، ومناضد تتحرك ، وكراسى تتنقل عن مواضعها ، وبيانات تقفز ، وستائر تضطرب ، وطرقات تحدث بلا سبب معروف ، وأجوبة توجه إلى أسئلة عقلية ، وجمل على عكسا ، وأيدى ورؤوس وأشباح تظهر ، كل هذا من الأمور النافهة أو الهذيان الذى لا يصح أن يلفت نظر عالم من العلماء . أجل من الناس من قد تسقط السماء على رؤسهم فلا يتأثرون .

« أما أنا فأجيبهم قائلا : ماذا تقولون ألا يجدى شئ فى نظركم أن نعلم ونشاهد ونعترف بأنه توجد حولنا قوى لا تزال مجهولة ؟ ألا يعد شىء يؤبه له عندهم أن ندرس طبيعتنا الخاصة وخصائصنا الذاتية ؟ ألا تستحق مثل هذه المسائل أن تكتب فى برنامج المباحث ، وأن يخصص لها ساعات من العناية ؟

في رثاء

المغفور له فضيلة الاستاذ الشيخ محمود أبو العيون

لمناسبة ذكرى الأربعين

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد النبي دباب

من علماء الأزهر

لم يبق مني على طول النوى رمل	يكاد جسمي من الاحزان يحترق
أمر بالدار على أن أراك بها	فيستبد بعيني الدمع والارق
لولا بنوك بها ما جزت ساحتها	أن الوفاء لم من بعدكم خلق
يا من رآني على ضراء مضنية	يساور الصدر منها اليأس والفرق
وصد كل خليل كنت أرقبه	لمثلها وتخلي من به أثق
أعارني حاله حتى به انفرجت	غماؤها وأتاني الين يستبق

« إنني كلما أفكر في هذا الأمر أدهش من أن دهماء الناس لا يزالون يجهلون هذه المسائل كل الجهل بينما قد عرفها ودرسها وقدرها حق تقديرها وسجلها من منذ مدة مديدة جميع الذين تتبعوا حركتها بكل نزاهة في مدى هذه السنين الأخيرة ، انتهى . وقال العلامة الإنجليزى الكبير السير وليم كروكس أحد رؤساء المجمع العلمى البريطانى الحاصل على أكبر الألقاب العنيفة ، وهو مكتشف أشعاع المسادة ، قال من خطبة ألقاها في جمعية المباحث النفسية في ٢٩ يناير سنة ١٨٩٧ وكان إذ ذاك رئيسا لها (أنظر مجموعة خطبه) قال :

إنني لأستطيع أن أؤكد لكم بأن أعمال ومنشورات جمعيتنا هذه فيما يختص بالتدوين الدقيق للشهادات الجديدة الهامة ، أو بالفائدة التي تنتج من هذه المشاهدات تؤلف مقدمة لا تقدر قيمتها لعلم هو أبعد غورا من أى علم ظهر على سطح الأرض (تأمل) سواء في كشفه عن حقيقة الإنسان أو عن حقيقة الطبيعة ، وعوالم أخرى ليس لنا عليها إلى الآن أقل إثارة من علم . »

من لى بمثلك من أخرى تعاودنى
 فجئمة فيك أنستنا فواجهنا
 وغيرت سمعات اللحن فى أذنى
 فكل ساجعة فى الورق باكية
 تنصل الدهر من كبرى جنايته
 ألم تروا نعيه ما صاغه وضح
 وحسب أسرته منى وأمه
 أبو العيون ومسناء وما فتئت
 فى ظاهر الأرض نفاح وباطنها
 نور من العلم لم يطفأ ولا ح به
 طود اجتماع يلود المصلحون به
 مجاهد من طراز غير متهم
 مهند شهرته مصر فى يدها
 ما غيب الموت فى إنسانه علما
 فى ملة الحق هاد غير مبتدع
 والشرع كالدهر لا تقى عجائبه
 والعالم التدب من يملئ مشيئته
 فيم التكلم والآثار ما تركت
 حتى الدماء التى من جسمه سفحت
 هى الشهادة فى أعلى منازلها
 أقول للسحب إن سحت بوابها
 إن كنت باكية فلتنرفى أبدا
 فليس من من الإحسان منهمر
 سقياً ورعياً وبقياً للضريح وما
 فأتى شاعر من دهره قلق
 فيها تجمع ما فى الناس مفترق
 وليس فى العين يبدو منظر أنق
 وكل شادية خفساء تختنق
 بأنه خطأ قد جسر الغسق
 من النهار ولكن صاغه السفق
 أن الزمان على عادى الدجى حنق
 عيون إحسانه بالفضل تفتق
 فى البيت فى القبر يهدى نشره العبق
 لعالم آخر من بعدنا قلق
 فى سفحه حمة أو منهل غدق
 ومن رجال إذا ما عاهدوا صدقوا
 حتى تكسرت الأغلال والربق
 إلا ليعرفه من قبله سبقوا
 وإن يكن وجديد العصر يتفق
 وإنما كل نظار له أفق
 على الزمان ولا تعيا به الطرق
 لقائل من مجال فيه ينطلق
 فى كل صبح بها الأيام تألق
 ثانى الحسين بها فى مصر يرتفق
 هل هذه من أم هذه حرق
 ولتكتحل ببروق الهاطل الحدق
 فى البحر فهو مزيد منه يندفق
 حوى الضريح من الرحمن تفتق

جمادى الأولى سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

مَجَلَّةُ الْأَزْهَرِ

تَصَدَّرَ شَهْرِيًّا عَنْ مَشِيخَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشبية طالبنا بالمعرفة

ورد إلينا الكتاب التالى خلوا من التوقيع إلا الأحرف م . ع . ع . وهو يكشف عما يكنه صدر الشبية المتعلة فى هذا العصر من الشبهات فى الدين ، فكان حقا علينا أن ننشره ، وأن نعلق عليه بما يجب علينا نحو هذه الصفوة من الأبناء فإننا مسئولون عنها الى حد بعيد ، فإليك :

بسم الله الرحمن الرحيم : سيدى العزيز الأستاذ محمد فريد وجدى بك .

السلام عليكم ورحمة الله : وبعد :

أنا ياسيدى طالب بإحدى المدارس الثانوية وبالسنة الرابعة ... وكما تعلم ياسيدى - كما هو الحال فى جميع المدارس - أننا لا نعرف عن أمور ديننا شيئا ، وتسكاد الناحية الدينية فى المدارس وعند الطلبة ، أن تكون معدومة . وما تلك الحصص التى تسمى حصص الدين إلا وقت ضحك وسرور ومرح ، تنال فيها قسطا من الراحة والحرية . فالطلبة المسلمون حقا لا ينطبق عليهم هذا اللفظ ، إلا عددا قليلا منهم يؤدى الصلاة ، وهؤلاء قلة ، وهذه القلة يؤدون صلواتهم بدون تمنع ولا تفكير ، ناهيك عن جهلهم المطبق بأمور الدين ، وكأنهم لا يعرفون الإسلام إلا ركعات وسجدة ... وإننا فى عصر تشيع فيه العقائد والنظريات التى تناقض الدين فى كل شيء ، بل تشكك فى وجود الله ...

ولسكنى - والحمد لله - أصلى صلاة أقل ما يقال عنها أنى أفهمها ، وقد قيص لى أصدقاء من الأزهر الشريف ، واستطعت أن أحصل منهم على بعض أعداد من مجلة الأزهر ، وقرأت لك ياسيدى عدة مقالات ، إن جردناها عما تتصف به من جمال

وروعة وإبداع وفهم للإسلام واعتزاز به ودفاع عنه مجيد ، فإنها تجارى روح العصر الحديث في تسليطها نور العلم على الإسلام ، فتكشف عما يحتويه هذا الدين من مبادئ سامية ، وبأنه استحق أن يكون ديننا عاما خالدا ، وإننى ياسيدى لأدين لك بشيء كثير من إيماني ...

سيدى العزيز : لقد قرأت أخيرا شيئا عن هؤلاء المتشككين في وجود الله فكانت كعاصفة من الشك أخاف أن تقتلع إيماني . وحاولت أن أجد بغيثي في كتب الفلسفة ، فسكنت كمن يرمى بنفسه في بحر خضم وهو لا يجيد السباحة ، فما ازددت إلا حيرة وشكا - ولى العذر في هذا فأنا لا أعلم عن أمر ديني إلا شيئا قليلا ، شأني كشأن التلاميذ جميعا طلبة العلم في المدارس . حاولت ياسيدى أن أعرف ديني فلم أجد لي هاديا يهديني ، ولا ناصحا ينصحنى ، ولا أحدا يُدسِّرُ لي السبيل . فأنا ياسيدى في حاجة إلى ما أوقن به من وجود الله سبحانه وتعالى ، وأنى لأومن بذلك لولا هذا العقل الذى خدع هؤلاء المتشككين ، وفي حاجة إلى ما تثبت لي بطريقة لا تحتمل الشك أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول - فقد سألت طالب قبلى عن ذلك فلم أستطع أن أجيبه بجواب مقنع . وفي حاجة إلى أن أعرف الإسلام - ديني - الذى يترتب على إيماني بالله ورسوله ، فأرجو ياسيدى أن ترشدني وتدلني على ما أرجع إليه من الكتب في بحثي . فهل أنت مجيب رغبتي وفاعل هذا من أجل شاب مسلم يبحث عن الحقيقة وسط هذا العالم المليء بالباطل فتستحق شكركى . وإن كنت في غنى عنه . وتستحق ثواب الله إذ كنت سببا في هدى إنسان حائر ؟

ع.ع.م

إن ما ذكره الطالب النجيب يعترى جميع الذين يقبلون على الثقافة العلمية ، فإن العلوم الطبيعية التى تطلعهم على ما وصل إليه العلم من أصل المادة وأسرار تعاوراتها ، وما هو مسلط عليها من النواميس التى تحدث بتأثير تلك التطورات فيها ، وما تنأدى إليه من أدوار وجودها ، وما ثبت لهم من أن تلك التطورات ثابتة لا تنغير ، توحى إلى عقولهم أنها آلية محضة ، وملازمة للبادة لا نزايلا في أية

حال من أحوالها ، وما دامت على هذه الحال منذ وجدت فأية حاجة تدعو إلى
إلى افتراض وجود عقل مستقل عنها يدبر تطوراتها ؟

ونحن لا نخالف الطبيعيين في وجود النواميس التي تتولى المادة بالتطور
والترقى في أدوار وجودها ، ولكننا لا نفتتح بالانتهاء إلى هذه المرحلة ، لأنها
في العقل لا تصلح لأن تكون حداً نهائياً للبحث فيها ، وذلك لأن منطق البحث يرمى
بنا إلى ضرورة فهم نوع العوامل القائدة لتلك النواميس لتنتج آثارها المعقولة ،
بل إلى إنتاج ما تعجز العقول عن فهم إبداعه ، والتي تدل على مقاصد غاية
في السمو تناسب عقلية راقية للدرجة القصوى . اليس هذا يدل دلالة قاطعة على
أن وراء هذه النواميس عقلا علويا لا حد لمدرجاته ، ولا نهاية لإبداعاته ، يمد
العقول الجزئية بالقوى الفكرية ، والإبداعات المعنوية والصورية التي ترقى
بالإنسانية إلى مستوى من الوجود لا يتخيل سموه تخيلا ، فضلا عن تحديده
تحيدياً آليا ؟ .

إذا أطلق الإنسان لعقله العنان في الشك ، ودفعه إلى المبالغة فيه إلى أقصى
حد ، فلا يستطيع أن ينكر أن الكائنات الحية من نباتات وحيوانات وجدت
بتدبير عقل لا حد لسموه ، وسعة تصوره . ولا أستطيع أن أتخيل أن يكون
في العقلاء من يستطيع أن يتصور أن كل هذه الإبداعات النباتية والحيوانية
وجدت بدون تدبير عقل ، أي بمجرد الاتفاق المجرد عن القصد !

هذا ما لا سبيل إليه مهما جرد الإنسان نفسه من الميول الاعتقادية .

فإذا كان الإنسان إذا رأى شيئا يحتاج في وجوده إلى قوة عقلية تنتجه ،
وليس في وسعه بوجه من الوجوه ، أن يعزوه للاتفاق المجرد عن القصد ، بادر
فعزاه إلى فاعل ذي عقل أوجده ؛ فهل يكون في وسعه أن يتصور أن هذا الوجود
كله على ما فيه مما هدتنا إليه قوانا البصرية الضعيفة . قد وجد من أزل الآزال
بنفسه بدون موجد يوجده ؟

أليس العقل الجزئي الذي تتمتع به ، ونستهدى بنوره في كشف المجاهيل
لا يستطيع أن يتخيل وجود حصاة صغيرة بدون عامل أوجدها ، فهل يستطيع

هذا العقل نفسه أن يدرك أن هذا الوجود كله على ما فيه من شمس وأقمار ، وما على تلك الكواكب من أحياء : إنسانية وحيوانية ونباتية قد وجدت اتفاقاً (أى مصادفة) بدون قصد ولا تدبير ولا حكمة ولا تدبير حكيم ؟ إذا كان يوجد لإنسان في هذا العالم يسوغ لنفسه أن يرتكب هذه الغباوة وجب عليه أن يبكي على نفسه أسفاً ، وأن يندب عقله ندباً ، وأن لا يعد نفسه رجلاً ذا رأى حصيف ، بل أن لا يحسب إنكاره هذا إلا انحرافاً في الإدراك لا يعقل أن يتصف به إلا ذو تصور سخيف . وما يدهش أن كثيراً من الناس يعدون الرجال الذين يلتاثون بمنزل هذا القصور العقلي من ذوى العقول القوية . وهو في الحقيقة انحطاط في الإدراك ليس يفرق عن الهذيان إلا في صدوره من غير محموم . وإلا فكيف يسوغ لأحدنا أن لا يعقل أن الذرة قد تفتقل من مكانها بدون قوة تدفعها عنه ، وفي نفسه يعقل أن هذا الكون كله بما اشتمل عليه من الأجرام السماوية التي لا تحصى ، وما عليها من الكائنات التي لا تقف في تنوعها عند حد ، قد نشأ اتفاقاً بدون قصد ، وأن كل ما فيه من إبداع يتعالى عن الإدراك قد وجد بذاته بغير عوامل عقلية راقية رقباً لا يدرك مداه الفكر . إن هذا التناقض بعيد المدى لا يرضاه لنفسه إلا من لا يحترمها الاحترام الذي يحفظ عليه كرامة الإنسانية .

لقد عزی بعض الناظرین بنكران الخالق وهي سقطة عقلية كانت جديرة بالذين لا منطق لديهم ، أما ومصدرها حاة المنطق ، وقادة الآراء الركيكة عن العلم والفلسفة ، فهو من أعجب ما تبلى به الفلسفة . ويلتاث به العلم . ولا بد من عجب عهد ينعكس فيه هذا الوضع ، فيتنزه أصحاب الآراء عن مثل هذه السقطة الشائنة ، ويتصف بها عيان القلوب لا الأبصار .

محمد فريد وهدي

النفس

البقرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ مامد محسن
رئيس التفتيش وعضو جماعة كبار العلماء

يقول الله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .
ولهم عذاب عظيم » .

لما بين في الآية السابقة أن هؤلاء الكافرين لنعم الله الجاحدين لآياته لا تؤثر
فيهم النذر ولا توقظهم الحجج بل هم على كلا الحالين أنذروا وخوفوا أم لم يندروا
ليسوا بمؤمنين ولا بتاركيين عنادهم — ذكر في هذه الآية علة غرقهم في غفلتهم
واستجابتهم لشهوتهم وأن صوت النذير لا ينفذ في آذانهم ونور الحق لا يسطع
في قلوبهم فقال : ختم الله على قلوبهم (الخ) ولهذا جاءت الآية بغير عاطف تمام
الصلة بينها وبين ما قبلها .

ولما كان الختم معناه في جملته الاستيثاق من إغلاق الشيء بحيث لا ينفذ إليه
شيء كصنيعنا في ذلك من وضع أداة ذات نقش خاص على قابل للتأثر يوضع على
منفذ ما أردت أن تثق بعدم نفاذ شيء إليه — لما كان الختم كذلك فقد أريد
بذلك السكناية عن أن سمعهم لا يصل إليه صوت الحق وقلوبهم لا ينفذ إليها نور
الهدى . وليس من أسلوب أدل على صممهم نحو الحق وغفلة قلوبهم عن الهدى من
ذلك الأسلوب المفيد أن حواجز حصينة وأقفالا متينة قد ضربت على أسماعهم
وعلى قلوبهم فلا يفرغهم نذير ولا يرغبهم بشير .

وإنما عبر في جانب السمع والقلب بالختم . وعبر في جانب البصر بالغشاوة
لمعنى سام وحكمة رائعة . ذلك أن آفة البصر معروفة مدركة إذ غشاوة العين

معلومة لنا . فالتعبير في جانب العين بالغشاوة مما يحدد لنا مدى عجزهم عن إدراك آيات الله بتلك الجارحة فإن من غشى بصره ليس له مطمع أن يحاول إدراك آيات الله وحججه مما أقام في خلقه ، وأما القلب والسمع فإنهما لما كان لا يدرك آفتهما فقد صور لنا حواجزها عن سماع الحق وفهم الحجة بصورة الختم والاستيثاق من عدم نفاذ ذلك إليهما حتى يبلغ بذلك التصوير حقيقة ما هم عليه من بعد عن الحق وعزلة عن الرشاد . لذا تراه قد عبر في جانب القلب والسمع بالختم وفي جانب العين بالغشاوة .

هذا وإنما عبر في جانب القلب والسمع بحملة فعلية مما يفيد الحدوث والتجدد وفي جانب البصر بحملة لاسمية مما يفيد ثبوتاً واستقراراً ذلك بأنهم قبل الرسالة ما كانوا يسمعون صوت نذير ولا يواجهون بحجة . وإنما كان صوت النذير وصياغة البراهين بعد رسالة الرسول فكان بذلك صممهم عن صوت النذير وتغليظ قلوبهم عن فهم الحجة ، حادثاً بعد ما أرسل الله رسوله وأنزل كتابه ودعاهم إلى الهدى وبصرهم بدلائل عظمة الله وآيات رسالته .

وأما ما يدرك بالبصر من دلائل وجود الله وآيات قدرته فقد كان قائماً في السموات وفي الأرض وفي الأنفس يصح أن يدرك قبل الرسالة وأن يستدل به المتبصرون المتدبرون على وجود ربهم وحكمته وبالغ تدبيره وعظيم قدرته فلم يكن عما هم عن آيات الله القائمة الواضحة حادثاً متجدداً بل هم قد صممهم العمى سمماً في السموات وما في الأرض من آيات بينات من بدء وجودهم وأول خلقهم إلى أن دعوا إلى التبصر والتدبر فبقوا على ما كانوا عليه . فلم يكن العمى والغشاوة الحاجة لأبصارهم حادثة متجددة . ذلك هو السر في اختلاف التعبير في جانب السمع والقلب عن التعبير في جانب البصر .

وتراه في هذه الآية . قد قدم القلب في الذكر على السمع . وفي آية أخرى في سورة الجاثية وهي قول تعالى : أفرايت من اتخذ آلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ،

في هذه الآية قدم السمع في الذكر على القلب . ذلك أنه في آية الجاثية قد ذكر الختم معطوفا على قوله اتخذ آلهه هواه . وأن من اتخذ إلهه هواه يكون أول ما يبدو منه للناس ويعرف هو إعراضه عن النصيح أولى رأسه عن استماع الحجة ، فكان مظهر عدم السماع أول ما يبدو للناظرين وإعراض القلب عن الحجة والفهم إنما يدرك منه بعد إدراك إعراضه وعدم سماعه . فلذلك قدم السمع على القلب .

وأما في آيتنا تلك فقد جاءت تلك الآية إثر الآية المختومة بقوله لا يؤمنون . والإيمان تصديق يتموم على الحجة والبرهان . وإدراك الحجة والبرهان إنما هو بالقلب . فكان التعليل المتصل الواضح لنفي الإيمان أن قلوبهم مغلقة لا ينفذ إليها ريح الحجة ولا نور البرهان . لذلك قدم القلب على السمع وحيء بالحق على القلب قطعاً واستئصالاً للمنايع الحجة وحجبا لصدى البرهان ليتم بذلك تصوير حالهم التي هم عليها وأنهم أمسوا وليس بمجدبيهم حجة قارعة ولا نذر صارخة وتراه في هذه الآية أيضا ، قد عبر في جانب الأبصار بحملة لاسميه مما يفيد الثبوت . ولم ينسب لإحداثها له تعالى ولا لهم هم . بل أخبر عن وجودها . وتراه في آية الجاثية قد عبر في جانب البصر بحملة فعلية . ونسب الإحداث لنفسه تعالى . ذلك أنه في آية الجاثية يتحدث عن اتخذ إلهه هواه وأن سفته اقتضت إضلاله بعد علم فكان الختم محدثا والغشاوة محدثة لآلهما سبقت بعد الإضلال على علم مما يفيد تجردا وإحداثا .

وأما في تلك الآية . فإنه لم يذكر فيها إضلالا على علم وإنما ذكر حالهم الحادث وغير الحادث إزاء دعوة الداعي فبين ما كان منهم بعدد صوت النذير وما كانوا عليه قبل الدعوة وبعدها .

وتراه أيضا قد جمع في هذه الآية القلوب والأبصار وأفرد السمع فقال : دخن الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، وما ذاك - والله أعلم - إلا لأن القلب يختلف باختلاف مقدار ما يفهمه مما يلقي إليه من إنذار أو تبشير ومن حجة أو دليل . فكان عن ذلك تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم وكذلك شأن الناس فيما تنظمه أبصارهم من آيات الله في السكون فإن أنظارهم تختلف في عمق تدبرها وضحوته . فكان من ذلك تعدد المبصرين بتعدد

مقادير ما يستنبطون من آيات الله في الآفاق . وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شيء واحد هي الحجة يناديهم بها المرسلون . والدليل يوضحه لهم النبيون . ليس به اختلاف باختلاف الناس ، فما يسمعونه للدعوى أولا وآخرها هو شيء واحد . فهذا كتاب الله - القرآن - هو هو للأولين والآخرين . لذلك كان الناس جميعا كأنهم على سماع واحد إذ هم لا يسمعون إلا شيئا واحدا . فكان أفراد السمع إيدانا من الله بأن حجته واحدة ودليله واحد إذ الحق واحد لا يتعدد ، فسبحان من أعجز البشر بذلك الكتاب الذي أنزل على محمد الأسمى يدعو به هؤلاء الذين كم أقاموا للبلاغة من ميادين ، وكم تسابق فيها منهم فرسان ، وأساطين ولكنهم لم يبلغوا في تنافسهم ذلك الحد الذي بعد عن مدى قواهم ، ونأى عن نهاية أشواطهم . وبعد فإن حكمة الله قد قضت أن يكون لكل شيء سبب ، وأن يربط بين الأسباب والمسببات برابط وثيق لن تجد معه لسنة الله تبديلا ، ولن تجد معه لسنة الله تحويلا ، فن باشر من الناس سببا ، حصل عنه بلا تخلف مسبيه ، حيث تتم مقتضيات وتنتفي جميع الموانع ، وعلى هذا فإننا إن نظرنا إلى أن الربط بين السبب والمسبب إنما هو بتكوين الله وخلقه وعن ربطه الوثيق بين الأسباب والمسببات نسبنا الأشياء لله تعالى غير تاركين النظر إلى أن قدرة الله فوق ذلك كله ، وأن في نطاق القدرة أن يتخلف المسبب عن السبب ، غير أن حكمة الله لكامل نظام الكون ، وتتميمه جعلت استتباع السبب لمسبيه نظاما مطردا وسنة لا تتخلف .

وإن نظرنا إلى مباشرة الخلق للسبب وأنه الفاعل المختار صحت النسبة للعبد ، وعلى ذلك فإنه لما كانت نتيجة الهوى الجاهل ، والإعراض الثاني عن الحق ، ومتابعة التقاليد الباطلة ، ومسايرة الجاهلية الأولى الداعية إلى الكبر والمفاخرة ، لما كان كل ذلك مما ينتج ألا يصيخ الغارق فيه والمستغشى بحواجزه إلى صوت حق فيسمعه أو يتبصر نور هدى فيلمحه ، أو يفهم برهانا فيفهمه - لما كان كذلك كان الذين ضلوا هم الذين أضلوا أنفسهم والذين حادوا عن الجادة ، وعموا عن نور الحق هم الذين حادوا بأنفسهم ، وهم الذين أعموا أبصارهم بأيديهم وهم الذين أصموا آذانهم ، فاعلمهم جزاء ما اكتسبوا من شر ولهم جزاء ما كسبوا من خير .

وبهذا تجد القرآن مرة يحمي فيه نسبة الإضلال إلى الله ومرة تجد فيه نسبة

الضلال إلى الناس ، فيقول مرة ، يضل به كثيرا ، وأخرى يقول ، وضلوا عن سواء السبيل ، هذا وذلك إنما نظر فيهما إلى الناحيتين الميئتين آنفا ، وفي الآية التي نحن بصدها قد نسب الختم على القلوب والسمع والتغشية على البصر إلى الله تعالى بناء على ما لله من سنة مطردة بالربط بين الأسباب والمسببات . فالناس هم الذين باشروا من فاسد الأعمال ومتابعة الهوى ما نسج على قلوبهم الأغلفة السمكية وأصم إلى ذلك آذانهم وأعشى أبصارهم فما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

ولما كان الذين وصلوا في متابعة الهوى والتعمق في الشرور إلى ذلك الحد الذي جمد معه إحساسهم ومات فيه شعورهم وتبلدت منه عواطفهم - لما كان هؤلاء قد لا يفزعهم وعيد بالحرمان من الأدبيات ، ولا يقلق بالهم العقوبات المعنوية ، قد لا يتأثرون بأن يواجهوا بأنهم قد أمسوا مظلة قلوبهم لا يشع فيها نور للرشد ، وصمت آذانهم لا ينفذ فيها صوت للحق ، وغشيت أبصارهم لا يلوح لها ضياء للهدى - أتبع هذا الوعيد وذلك الحرمان بالعقوبة المادية ، إذ قد أصبحوا جسدانيين غير روحانيين ، فلا يتألمون إلا بما يؤلم أجسامهم ويوجع أجزامهم فقال ولهم عذاب عظيم . لذلك تراه وصف العذاب بالعظم ولم يصفه بالإيلام فقال ولهم عذاب عظيم ، ولم يقل ولهم عذاب أليم ، لأنهم ماديون لا يدركون الكيفيات وإنما يدركون الكميات .

وعليه فهؤلاء الذين كفروا نعمة الله فلم يشكروها ، ووجدوا آيات الله فلم يتدبروها قد استحقوا من الله العقوبتين : المعنوية والمادية . وليس أسوأ من جزاء يحرم فيه العبد من كل ما يزينه من أدبيات وما يرفعه من معنويات ، وإلى ذلك يهان بالعذاب والتسكيل ، وما أوفر عدل الله إذ يجازى كل امرئ على مقدار ما يستحقه جزاء وفاقا . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . . .

فيا أيها الناس : اشكروا نعمة ربكم ، وتدبروا آيات الله تستير قلوبكم ، وترهف للحق أسماعكم ، وتحتل آيات أبصاركم ، وتحلون بذلك من الله ساحة الرضا وتجزون أحسن الجزاء ، والله لا يضيع أجر المحسنين ؟

الهدى النبوى

نظرة الاسلام إلى الجهاد

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمود النواوى

المفتش بالأزهر

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلى أن أرجعه
إما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة ولولا أن أشق على أمتى ما تعدت خلف
سرية . ولو وددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل .

أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود واللفظ من البخارى .

هذا الحديث الجليل فى موضوع الجهاد فى سبيل الله وبيان منزلته الخطيرة
فى الإسلام وما يستتبعه من كفالة الجنة لمن قتل مصداقا لقول الله عز اسمه .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله
فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من
الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » أما من لم يقتل فإن له
أجر الجهاد العظيم . وثواب الدفاع عن حوزة الدين ، مع الجائزة الدنيوية من الغنيمة
الهنئية الطيبة إن غنم المجاهدون ، فالجاهد فائز فى كل أمره وعلى كل وجه يتصل به
مبشر من الله ورسوله كما تقرر ذلك الآية الكريمة « قل هل تربصون بنا إلا إحدى
الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا
إما معكم متربصون » وهكذا يحث النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد ويبين أنه
كان حريصا على أن يخرج مع أصحابه فى كل جماعة تجاهد لولا خشيته أن يشق على
المسلمين وأنه كان يود لو يغزو فيقتل ثم يبعث ثم يغزو فيقتل ثم يبعث أيضا ثم
يغزو فيقتل وذلك لما يعلم من فضل الجهاد وما يحمله من سعادة فى الدارين .

شرح الحديث

انتدب فى الأصل بمعنى أجاب ومن شأن الإجابة أن تكون أثرا لطلب ودعاء وليس هنا طلب حقيقى ولا دعاء ، فهذا التعبير نكتة لطيفة وهى أن الجهاد فى سبيل الله بمثابة الطلب من الله سبحانه ، والمطمع فى ساحة إحسانه وأن المجاهد طالب بلسان حاله يتولاه الله سبحانه بخير ما يتولى به عباده المؤمنين وهو إشارة عظيمة الى أن الجهاد لا يكون إلا فى نفوس كريمة قد صفت من الرعونات واتجهت بصادق النية الى بارئ السموات إتنا يارب قد أسلمنا وجوهنا لك وضحينا بنفوسنا نرجو رحمتك ونخشى عذابك فأجرنا عليك وعوننا منك ولهذا يقول الله سبحانه « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » وقد أورد صاحب القاموس عبارة الحديث الشريف وشرحها فقال ، وانتدب الله لمن خرج فى سبيله أجابه الى غفرانه أو ضمن وتكفل أو سارع بثوابه وحسن جزائه أو أوجب تفضلا أى حقق وأحكم أن ينجز له ذلك .

والتفسير الأول فى كلامه تفسير بالمعنى الحقيقى وأما ما بعده فهو محاولة للوصول الى مراد الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما يلزم الإجابة ويتصل بها اتصالا قويا كما هو شأن المعانى المجازية فإن كل هذه المعانى من الضمان والتكفل والمسارة والإيجاب والتحقيق يتصل بالإجابة التى تفهمها كلمة انتدب فى أصل وضعها . وقد جاء الحديث فى روايتين لمسلم على المعنى المقصود بلفظه الحقيقى . وفى رواية له تضمن الله وفى أخرى تكفل الله ، وقوله لمن خرج فى سبيله . متعلق بانتدب لما فيه من معنى الضمان والكفالة . وفى سبيله متعلق بخرج . وكلمة فى تفيد التعليل كما يسلك العرب فى تعبيرهم بها أحيانا وهى فى حديث « دخلت امرأة النار فى مرة حبستها ، كذلك ، وهى مستعملة فى هذا المعنى نفسه فى الكتاب والسنة .

قال الله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله . وتجاهدوا فى سبيل الله . . وأمثاله كثير وفسرها النبى صلى الله عليه وسلم للسائل فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا . فهو فى سبيل الله وإذا فعنى لمن خرج فى سبيله لمن خرج لإعلاء كلمته ونصرة دينه وإظهار هدايته وإتمام نوره ولو كره الكافرون .

وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن هذا الجهاد الذي يستحق صاحبه كل ذلك الأجر المبين في الحديث الكريم مشروط بإخلاص النية لله سبحانه فقال (لا يخرج به إلا إيمان بي وتصديق برسلي) ولعلك ترى أن ذلك إطناب في القول لزيادة العناية وقوة التوجيه ، فإن الأمور العظيمة لا يكتفى فيها بملزوم عن لازم ولا بمعقول عن ملفوظ وإلا فإن المجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، لا يكون كذلك إلا إذا كان خالص النية لله وكان خروجه إيماناً بالله سبحانه وتصديقاً برسله وفي الحق إن كل شعائر الإسلام لا يقبل الله سبحانه منها إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه . وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين .

ولأنك لو اجد أيها القارئ الكريم إطناباً أيضاً في قوله وتصديق برسلي فإن الإيمان الصحيح بالله لا يكون إلا عند مصدق برسله ولذلك قالوا إنه عطف لازم على ملزوم والسرف في هذا الإطناب أيضاً التوجيه إلى فاحشة القدوة الصحيحة في ذروة سنام الإسلام الجهاد ، فإن الأنبياء بعثوا بالهداية والدعوة الصالحة ولا بد للدعوة من حماية وحصانة والجهاد دعامة الحماية والسلاح رديع لكل جبار .

ويقولون إن في الحديث الفاتناً ونحن نرى الالتفات من مسالك العرب في الفصيح من كلامها ، وأنه يجري كثيراً في الكتاب الكريم كقوله « إياك نعبد ، بعد قوله « الحمد لله » .

فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب وكقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم . وهو التفات من الخطاب إلى الغيبة . وهو تلوين جميل وسر من أسرار اللغة القوية ، ولستكني أنهم في الحديث أن الجملة الثانية وهي لا يخرج به إلا إيمان بي ، وتصديق برسلي محكية عن الله سبحانه ، وأرى فيها تقدير القول كأنه يقول انتدب الله عز وجل . . قائل لا يخرج به إلا إيمان بي والكلام على هذا جار على الظاهر المترقب ، وأما الأول فهو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لإخباراً عن ما صنع الله سبحانه للمجاهد ، فالتكلم مختلف والكلام في وضعه الذي لا ينتظر السامع غيره فلا التفات في الحديث ، وعلى ذلك تكون جملة لا يخرج به إلخ حال من فاعل انتدب على تقدير هذا المحذوف ، ذلك ما ظهر لي والله العليم .

وأما قوله (أن أرجعه بما نال الخ) فإن أرجع بمعنى أرد مفتوح الهزة أو مضمومها رجع وأرجعه وفى القرآن الكريم ، فإن رجعتك الله إلى طائفة وهو مؤول بمصدر مجرور بالباء كأنه قال تكفل الله عز وجل المجاهد أن يرجعه بما نال ثم إنه بين الذى نال بقوله من أجر أو غنيمة ،

وأما قوله أو أدخله الجنة فهذا بيان للقسم الثانى الذى لم يعد إلى وطئه ، والمجاهدون قسمان راجع إلى أهله ناج من القتل وجزاؤه الاجر أو الغنم . وقتيل ميت بأجله وجزاؤه الجنة قد باعها الله سبحانه له ، وتكفل بالإحسان بها إليه كما فى قوله : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة .

ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم شدة حرصه على هذه الفريضة العظيمة ووجه العذر له فى تخلفه عن بعض السرايا بأنه يخاف المشقة على الأمة السكرية ، لأن خروجه يؤكد خروج المستطيع ، فإنه لا يقعد خلاف رسول الله بغير عذر إلا منافق .

وقد يحرص من لا استعداد له فيقع فى الحرج ، فقال صلى الله عليه وسلم : (ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ^(١)) ، وقد بين فى حديث آخر رواه مسلم جهة المشقة فقال (لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبداً ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني) . فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتخلف عن سرية واحدة إلا رحمة بالأمة ، وتخفيفاً عليها ، ولولا ذلك لم تفته واحدة إذا كان ذلك كان الجهاد فى منزلة لا تنسأى إليها منزلة بعد الصلاة والصوم والزكاة والحج ، بل إن الجهاد يرخص فى هذه الأركان بتقص أو تأجيل أو إعفاء إذا اقتضى ذلك الأمر ، كما فصل فى كتب الفقه . وقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم أمر الجهاد تأكيداً وترغيباً فقال (ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل) . وهذه هى الجملة الثالثة من جمل الحديث الشريف :

وأما إينار (ثم) فى العطف فإنه من باب التراخى فى الرتبة وليس للتراخى

(١) السرية : القلعة من الجيش من خمسة أنفس إلى أربعائه .

في الزمان بدليل رواية مسلم المذكورة فهي بالفاء وتكرار القتل ثلاث مرات جرى على العادة في التكرار والتأكيد لبيان شدة الحرص وليس للتحديد .

بقي مما يخطر بالذهن من مباحث الحديث الشريف أن دخول الجنة مكفول لكل مؤمن فما منزلة الشهيد ؟ وللجواب على هذا نقول إن هذا ضمان من الله سبحانه للمجاهد أن يموت على إيمانه وطهره وأن خاتمته خير وأنه ليس بمن يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الإذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار .

ويقول النووي في شرح مسلم نقلاً عن القاضي إن المجاهد يدخل الجنة عند موته كما قال تعالى في الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ويحتمل أن المراد دخوله الجنة عند دخول السابقين والمقربين بلا حساب . وتكون الشهادة مكفرة للذنوب كما في الحديث الصحيح . ١ هـ وهذا كلام مقبول وهو مؤيد بالآية الكريمة التي جعلت الشهيد في صحبة النبيين والصديقين ، ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وحسن أولئك رفيقا .

وأما ما يستفاد من الحديث فكثير وعلى رأسه فضل الشهادة والغزو في سبيل الله . وأن الجهاد لا بد أن يكون لاعلاء الحق والنضال دونه وكذلك رفق النبي صلى الله عليه وسلم بأمته وإيثاره الرفق بهم على ما يجب من الخير . وكذلك تقديم بعض المصالح على بعض عند التعارض . وكذلك القسم عند العناية والتأكيد وفيه جواز تمنى الخير ولو كان غير ممكن في العادة كالأحياء بعد الموت وفيه أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين . قال الفقهاء إن الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقيين إلا إذا هجم العدو فإنه يكون فرض عين فتخرج المرأة بدون إذن زوجها والعبد بدون إذن سيده . وبعد فإن نواحي الترغيب في الجهاد والترهيب من إهماله تحتل فراغا كبيرا جديدا من الكتاب الكريم والسنة النبوية ولا غرو فهو ذروة سنام الإسلام وحامي حمى المجد وحارس الشرع الكريم ، وما يحمله من سلام ووثام ومودة بين الناس ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين .

الأزهر

الجامعة القديمة — الحديثة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تعريب المقال الفرنسي الذي أنشأ فضيلته إجابة لرغبة وزارة الخارجية المصرية ،
لنشره في جريدة « الموند » الباريسية في عددها الخاص بمصر ، بمناسبة ائتماد الدورة
السادسة لجمعية الأمم المتحدة في باريس (ديسمبر ١٩٥١ — يناير ١٩٥٢) .

— ٢ —

لمحة عن تاريخ الأزهر الثقافي

يقوم الأزهر منذ افتتاح (في يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ
٢٢ يونيو سنة ٩٧٢ م) بوظيفتين في وقت واحد : وظيفة روحية ووظيفة
عملية . فهو بيت تحيا فيه القلوب بإقامة الشعائر والعبادات ، وتستنير فيه العقول
بالتعلم والتعليم .

لا أقول إنه كان من أول يوم مسجدا ومدرسة فحسب ، بل أقول إنه من أول
يوم مسجد وجامعة ، بأدق وأحدث معاني كلمة « الجامعة » .

وبحسبنا أن نشير إلى ألقاب بعض العلماء الذين عهد إليهم بالتدريس فيه غداة
إنشائه لنعرف سعة ميدان نشاطهم وتشعب وجوه بحثهم في مختلف العلوم :
فقد كان منهم رجال القانون الشرعي أمثال القاضي علي بن ميمون المتوفى
في سنة ٣٧٤ هـ (٩٨٤ م) وأخيه القاضي محمد المتوفى في سنة ٣٨٩ هـ (٩٩٨ م)
والمؤرخون أمثال الحسن بن زولاق المتوفى في سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨ م) والفلكيون
أمثال المسبحي المتوفى في سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) والتحوييون أمثال الحوفي
المتوفى في السنة نفسها .. وهكذا ..

وكاننا نعلم مبلغ اهتمام الفاطميين بالعلوم الرياضية والطبيعية والفلسفية والجغرافية ، تلك العلوم التي أنشؤا لها في عهد الحاكم سنة ٣٩٥ هـ مؤسسة خاصة أسموها دار الحكمة . وهذا مما يرجح في نظرنا أن هذه العلوم كانت موضوع دراسة في الأزهر أيضاً ، بالإضافة إلى العلوم المشار إليها آنفاً . غير أنه ليس من شك في أن الصدارة والشرط الأكبر من العناية كانتا للعلوم التقليدية الدينية ولا سيما علم قانون الشريعة .

نعم إنه في عهد الدولة الفاطمية - أعني في غضون قرنين كاملين - اقتصر التعليم الديني على المذهب الشيعي فأصبح هو المذهب السائد في التطبيقات العملية والأحكام القضائية ، وصارت مذاهب أهل السنة مجهولة ، بل كانت كتبهم تصادر في بعض الأحيان . على أنه لم ينته العصر الفاطمي حتى انعكست الآية وصارت الدولة في مصر لتلك المذاهب التي كانت مطاردة من قبل . ذلك أنه منذ استولى الأيوبيون على الحكم ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) أدخلوا فقه أهل السنة بمذاهبه الأربعة المعروفة ^(١) ومنعوا تدريس المذهب الشيعي فانقرض من الأزهر ومن مصر كلها ^(٢) .

وقد شملت هذه المقاطعة مكان التعليم نفسه ، فبحر الأزهر أو كاد ، ومنعت منه خطبة الجمعة ، وانصرفت العناية إلى المساجد الأخرى التي أنشئت من قبل ، كمسجد عمرو بن العاص ومسجد ابن طولون ، وأنشئت عشرات من المدارس خصصت كل واحدة منها بطائفة من العلوم ، فلم تبق واحدة منها بأداء الرسالة الجامعية التي كانت للأزهر .

فلما أقبلت دولة المماليك الأولى وولى السلطان الظاهر بيبرس أعاد للأزهر مكانته في سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) بل صار اسم الأزهر أعظم وألمع منه في أي

(١) كان أول المذاهب التي استولت مصر في عهد الأيوبيين مذهب الشافعي ثم تلاه المذاهب الثلاثة الأخرى من بعد ذلك .

(٢) حتى أصبحت كتب الشيعة مجهولة في مصر ، وبالعكس . وصار هذا التناكر مدعاة للفرقة العنيفة بين أهل العلم . وهذا هو ما تسعى الآن لادراكه جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، التي أنشئت في مصر منذ أعوام قليلة .

وقت سبق ؛ ذلك أن مصر كانت يومئذ ملجأ لآخر الخلفاء العباسيين ، وداراً للخلافة الإسلامية ، بعد وقوع بغداد في أيدي التتار^(١) سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، ونال الأزهر قسطه من هذا الشرف ، فضاعف من جهده وقوة إشعاعه ، ووفرة نتاجه العلمي . وكان ذلك العهد على حد تعبير بعض المستشرقين ، هو العصر الذهبي للجامعة الأزهرية .

بيد أن هذه الحقبة من الإشراق والازدهار ، تلتها حقبة من الركود والانحدار منذ استولى العثمانيون على مصر في سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٧ م) إذ كان فتحهم لها فتحاً حريياً مجرداً ، لم يزيدوا به شيئاً في ثروتها المادية أو الأدبية — وكذلك كان شأنهم في سائر البلاد التي حكموها — بل لأنهم ، بشهادة واليهم « محمد علي » مؤسس الأسرة المالكة الآن في مصر ، تركوا هذه الثروات تضمحل من جميع الوجوه ؛ ونضيف نحن أن هذا الانحلال في الميدان الثقافي كان أفدح مصاباً ؛ لأن قلة عنايتهم بالتعليم في مصر جعلتهم يميلون المدارس التي أنشئت في اليهود السابقة ؛ كما أن جهلهم باللغة العربية جعلهم يقررون اللغة التركية لغة للحكومة .

هنالك بقي الأزهر وحيداً ، منطوياً على نفسه ، منقطعاً عن تيار الحضارة والعلوم التي بدأت تزدهر في أوروبا إذ ذاك ؛ واستمر الأزهر مدى القرون الثلاثة التي حكم العثمانيون فيها مصر يحاهد لحفظ البقية الباقية من اللغة العربية والعلوم القرآنية التي أصبحت في حال ذبول أو شبه جفاف ؛ وكان له الفضل على كل حال في الإبقاء على حشاشة هذا التراث الإسلامي ، على الرغم من العوامل الكثيرة التي كانت تتعاون على فناءه .

ثم كانت ولاية (محمد علي) لمصر منذ سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) بداية

(١) يشهد التاريخ أن العالم الإسلامي مدين دينا مزدوجا لسلطين مصر في صد غارات الاعداء الذين انقضوا على بلاد الاسلام من الغرب تارة ومن الشرق تارة أخرى . فهو مدين أولا للأيوبيين الذين كان لهم الفضل في وقف هجوم دول الغرب الصليبية عند بلدة « حطين » في فلسطين ؛ ومدين ثانيا للمالكة الذين صدوا تيار الغزوات الشرقية التتارية عند بلدة « عين جالوت » في فلسطين أيضا . ويمتاز عصر المالكة هذا بأن مصر كانت في « هدم هي قلة أنظار المسلمين باعتبارها مركز خلافتهم .

مبعث حقيقى لمصر جعل الحياة تدب في جميع أوصالها ، بعد أن خيم عليها السكون والعقم قروناً .

ولئن كانت مراعاة هذا الأمير المبقرى لشعور بعض الشيوخ الأزهريين - الذى كانوا سيء الظن بكل علم غير مألوف إذ ذاك في دائرتهم الضيقة - قد حالت بينه وبين إلزام الأزهر بضروب من الإصلاح الجوهري الذى أدخله في كل مكان ، لقد فكر هذا الثابغة في أسلوب آخر من الانتفاع بالأزهر ؛ إذ أوفد عدداً من شباب علمائه في بعوث علمية ، للدراسة في أوروبا ، وفي فرنسا على وجه أخص وإن أشهر الأسماء في قائمة هؤلاء الأزهريين الذين نالوا حظاً من الثقافة الغربية ، هو اسم رفاعة الطحطاوى ، الذى أصبح بعد عودته من فرنسا ناظراً لمدرسة الآلسن . ولكن الأزهر نفسه بقى حيناً من الدهر مقاوماً لفكرة تعديل مناهج دراسته وإمدادها ببعض العلوم التى كان يسميها « العلوم الحديثة » ، مع أنها في الحقيقة جد قديمة ، وأنها بدخولها في بلاد الشرق إنما عادت إلى موطنها الأصل الذى منه خرجت .

وكانت أول خطوة متواضعة في سبيل إدغال هذه العلوم — أو على الأصح إعادتها — في الخطيرة الأزهرية هي الخطوة التى قام بها الخديوى عباس بطلب المرحوم الشيخ محمد عبده (قانون الجامع الأزهر الصادر في ٢٠ من المحرم سنة ١٣١٤ هـ أول يوليو سنة ١٨٩٦ م) . فقد جاء في هذا القانون أن بعض العلوم الرياضية كالحساب والجبر تعد مواد إجبارية (مادة ١٧) ، وبعضها كالمهندسة والجغرافيا والتاريخ تعد اختيارية ، ويكون بها الترجيع والإيثار (مادة ١٨) .

وفي عهد الخديوى نفسه تقدمت المناهج خطوة ثانية ، وفقاً للقانون المسمى بقانون الجامع الأزهر وما شاكله من المدارس الدينيّة العلية الإسلامية (وهو القانون رقم ١ لسنة ١٩٠٨ م الصادر في ٢ صفر سنة ١٣٢٦ هـ - ٥ مارس سنة ١٩٠٨ م) وطبقاً لللائحة الداخلية المصدق عليها في المجلس العالى المنعقد بالإسكندرية تحت رئاسة الخديوى في ٢٠ من رمضان سنة ١٣٢٦ هـ (١٥ أكتوبر

سنة ١٩٠٨م). فقد أدخل هذا القانون في المناهج مجموعة العلوم الرياضية والعقلية التي لا تنافي الدين ، ، وحددت اللائحة الداخلية هذه العلوم فلم تكتف بجعل المواد الاختيارية في القانون السابق إجبارية ، بل أضافت إليها علوماً أخرى نكحواص الأجسام ، وقواعد الصحة ، والتربية العملية ، والهيئة والميقات ، في سبع وثلاثين مادة كلها إجبارية . بدل خمس عشرة مادة في القانون السابق .

إلا أن هذا المنهاج الجديد لم يستطع أن يفرض نفسه على الجمهور الأزهرى إلا بعد مراحل من المقاومة تارة ، ومن التردد تارة ، ومن التجربة الجزئية تارة أخرى ، وإلا بعد أن آتت تجربته ثماراً طيبة في المعاهد التابعة للأزهر في الأقاليم .

فإذا بحثنا عن سر هذه المقاومة الجامعة التي قوبل بها التنظيم الجديد في أول الأمر ، وبما ظننا أن مردها إلى أن هذه المواد كانت جديدة كل الجدة في أعين الأزهريين جميعاً . ولكن الواقع أنه لم تمض فترة واحدة في التاريخ كانت فيها هذه العلوم غريبة بالكلية عن الأزهر ؛ فقد رأينا في كل العصور عدداً من الطلاب الأزهريين كانوا يعنون قليلاً أو كثيراً بالدراسات العلمية إلى جانب دراساتهم الأدبية أو الشرعية . وإن أسماء حسن الجبرتي ، قبل محمد علي ؛ وحسن العطار ، الذي صار شيخاً للأزهر في عهد محمد علي ؛ ورفاعة الطحطاوى ، في عهده محمد علي وإسماعيل ، ومحمد عبده ، في عهده توفيق وعباس الثاني ، لمي أمثلة بارزة تقرر لنا هذه الحقيقة . وسنكون بها أشد اقتناعاً إذا نحن اطلعنا على بيان العلوم الواردة في الإجازة التي نالها الشيخ أحمد الدمنهورى ، الذي صار شيخاً للأزهر في سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) . فهذه الإجازة تعد في أثناء سياقها للعلوم التي تلقاها في الأزهر علوم الحساب والجبر والهندسة ، وعلوم المواليد الثلاثة ، وهو المسمى الآن بالتاريخ الطبيعى ، وعلم استنباط المياه ، وعلم التشريح ، وعلى الهيئة والميقات إلى غير ذلك .

ولدينا وثيقة أخرى أعجب من هذه . تلك هي المذكرة التي وضعتها مشيخة الأزهر في عهد إسماعيل وبعثت بها على يد الحكومة المصرية إلى لجنة معرض باريس في سنة ١٢٨٢هـ (١٨٦٤م) . فقد جاء في هذه الوثيقة ذكر مادة يدesh

لها المحافظون ، ويصفق لها أنصار التقدم والتوسع في العلوم . تلك هي مادة الموسيقى^(١) التي كانت تدرس في ذلك العهد لنفر من الطلاب الأزهريين .

والنتيجة التي تخلص إليها من ذلك كله هو أن سر المقاومة الأولى لم يكن هو الغربة التامة لهذه العلوم ، ولا مجرد ورود أسمائها في المنهاج ، ولكن طابع الإلزام بجميع هذه المواد لجميع الطلاب هو الذي نفر جمهورهم منها في بادئ الرأي ، ثم استسلموا لها بالتدريج ، وكأنا بها وقد نالت في آخرة الأمر رضاعهم واستحسنهم .

* * *

هذه الخطوة الواسعة في تطور مناهج التعليم في الأزهر ستبدو لنا ضيقة النطاق

قليلة العمق ، إذا نحن قارنا بينها وبين الإصلاحات الحديثة التي تحققت بأمر الملك فؤاد الأول إجابة لالتماس شيخين متعاقبين من شيوخ الأزهر ، وهما المرحومان الشيخ الظواهري والشيخ المراغى .

فن قبل كان المفروض فيمن يحمل شهادة العالمية الأزهرية أن يكون أهلا للإجابة عن كل سؤال يوجه إليه في أمر العقيدة أو الشريعة أو اللغة أو غيرها .

غير أنه لما كان التشعب المطرد والتنوع المتزايد في كل مجموعة من العلوم سببا في عجز المتعلمين عن الجمع بين التعمق والاستيعاب لجميع موادها ، فضلا عن الجامع الأخرى ، أصبح الحل الوحيد للمشكلة في عصرنا هذا هو الالتجاء الى فكرة التوزيع والتخصيص . وهي الفكرة التي أخذت بها جميع المؤسسات الثقافية الحاضرة ؛ وجاء الأزهر في آخر الأمر فاعتنقها بدوره ، وسار الى تحقيقها بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة متصاعدة ، حتى أتمها في مرحلتين اثنتين .

ففي المرحلة الأولى (قانون ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م) كانت أقسام التخصص إنما تبدأ بعد الاجازة العامة المسماة بشهادة العالمية . أما في المرحلة الثانية (قانون

(١) هكذا وصلت سعة الاتفاق في البحث العلمي إذ ذاك الى حد ربما يتووع الأزهر في أوج نهضته الحاضرة أن يفكر في الوصول إليه .

١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م) فإن هذا التوزيع قد أخذ به في صميم التعليم العالي نفسه ، فانقسمت العلوم عتب الشهادة الثانوية إلى ثلاث شعب ، لكل شعبة منها كلية ^(١) وترك الباب مفتوحاً لتوزيع التخصص ^(٢) بعد إجازة التعليم العالي ، كما ترك مفتوحاً لإنشاء كليات أخرى .

هذا هو أول الجوانب الجديدة في التنظيم الأزهرى الذى استحدث في عهد فؤاد . وسنرى أن الجانب الثانى منها أبين جدّة وأعظم ابتكاراً : فقد كان الأزهر منذ أنشئ لا يعرف في دروسه وكتبه إلا اللغة العربية ولم تكن هناك لغة أخرى تدرس به في أقسام عامة أو خاصة ، حتى صدر القانون المشار إليه آنفاً وهو قانون ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م فأدخل لأول مرة في التاريخ تعليم لغة أجنبية في منهاج التخصص لسلكية أصول الدين ؛ ثم جاء القانون الذى بعده في العهد نفسه (قانون ٣ من المحرم سنة ١٣٥٥ هـ - ٢٦ مارس ١٩٣٦ م رقم ٢٦) فعمم ذلك في سائر السلكيات حيث أدخل فيها تعليم جملة من اللغات الأجنبية ، غربية وشرقية ، اجبارية أو اختيارية .

ولا حاجة بنا إلى الخوض في تفاصيل المواد الأخرى التى زودت بها المناهج لأول مرة في عهد فؤاد ، مثل تاريخ الملل والنحل ، وتاريخ التشريع ، وتاريخ القضاء والقضاء ، ومقارنة المذاهب ، والقانون الدولى ، والآداب المقارنة وغيرها ...

ولكنه لا ينبغي لنا أن نختم الحديث عن هذا العهد ، دون أن نذكر من بين التنظيمات الأزهرية عملاً جليلاً ثالثاً توج به المغفور له الملك فؤاد حياته ؛ وأعنى به نظام البعوث الأزهرية للدراسات العليا في أوروبا ؛ ذلك العمل المبرور الذى جدد به ذكرى سلفه العظيم مؤسس الأسرة العلوية . فإن فؤاداً رحمه الله

(١) كان الامتحان الرسمى للكليات الثلاث بحضور الملك فؤاد في يومى ١ و ٢ من ذى الحجة ١٣٥١ هـ (٢٧ و ٢٨ مارس سنة ١٩٣٣ م) أما الامتحان الفعلى فكان قبل ذلك في سبتمبر ١٩٣٠ م أى في نفس العام الذى صدر فيه القانون .

(٢) وصدر القانون فعلاً بتنظيم هذا التخصص الثانى في ٥ صفر ١٣٥٢ هـ مايو ١٩٣٣

شرف باسمه الكريم في سنة ١٩٣٦ م قبل وفاته بقليل بعثة أزهريّة — هي أولى البعثات في هذا القرن إلى جامعات أوروبا — مؤلفة من سبعة من شباب الأسانذة المدرسين في الكليات ، أوفد أحدهم إلى ألمانيا ، واثنين منهم إلى إنجلترا ، وأربعة إلى فرنسا ، وكان لكاتب هذه السطور شرف عضوية هذه البعثة الفرنسية .

* * *

بقيت حلقتان أخريان في هذه السلسلة من التشريعات المنظمة للجامعة الأزهرية تحققت كلتاهما في عهد جلالة الملك فاروق . وإنهما لجديران بالإشارة إليهما لما فيهما من الدلالة على مبلغ عناية جلالة بفسر الثقافة الدينية بأوسع قدر ممكن بين الجمهور المصري وبين الشعوب الإسلامية .

أما الأولى فإنه لما رأى أن هذه الرغبة السامية لا تسدّها الأقسام النظامية التي يقصدها الطامعون في الشهادات والألقاب أصدر تشريعا منظما لأقسام عامة يؤمها عشاق المعرفة لذاتها ، بغير قيد من سن ولا ثقافة معينة (قانون ١٩٣٦ م — ١٩٤١ م) .

وأما الثانية فإنه تشجيعاً لطلاب الوفود الإسلامية من البلاد التي لا تحسن التكلم باللغة العربية أمر بإنشاء أقسام إعدادية تمكّنهم بعد إتقان هذه اللغة من دخول ما يشاءون من الأقسام النظامية أو العامة (قانون ١٩٣٦ م — ١٩٤٤ م) .

وهكذا أصبحت الجامعة الأزهرية مجهزة — من حيث المناهج والنظم — بكل الأدوات والوسائل التي تجعلها في مستوى أحدث الجامعات ، مع المحافظة في الوقت نفسه على طابعها الجوهري وهو حراسة لغة القرآن وعلومه .

ومهما يكن من أمر ، ومهما نفّض نظرنا عن هذا التطور في النظم والمناهج ، فإن هذه الجامعة تعدّ قفيا نعلم مثالا فذا في عالم الجامعات ، بفضل هذا الدور المزدوج الذي تقوم به دائماً في تثقيف العقول وتهذيب النفوس ، بحيث لم ينفصل طابعها الروحي عن طابعها الزمني في عصر ما من عصور التاريخ ، وإن اختلف مقدار العناية بهما باختلاف تلك العصور .

العدل والمساواة

لفضيلة الشيخ محمد عبد التواب

مفتش الوعظ العام بالأزهر

قال تعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

في تعاليم هذا الدين الإسلامى الذى ختم الله به الأديان السماوية ، وأكمل به نعمه على الإنسانية ، ورضيه ديناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وفي أسسه القائمة على دعاءات من الحق والهدى ، أمر الله بالعدل ، وهو واسطة عقد الفضائل وسبيل سعادة الأمم والأفراد وعنوان قوة النفس ، ورجاحة الرأى ، وسلامة التفكير .

فالعادل الذى يزن الأمور بالقسطاس الذى لا رجحان فيه للهوى ، ولا إمالة به عن الحق ، إنما ينصب نفسه لمجد الناس له ، وتقديرهم لنصفته ، وتكريمهم لهذا الخلق الذى يملأ الدنيا كرامة وسلامة وأماناً ، ثم هو ينصب نفسه لحب الله قال عز شأنه :

« وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » ، وحب الله يستتبع فى هذه الحياة طيب العيش ، ومتعة الرضا ، ويستتبع فيما بعد هذه الحياة أكرم الجزاء قال تعالى « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

وروى مسلم والنسائى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا) .

إن العدل وضع للأمور فى نصابها وعدم التجاوز بها حدودها ، فإن التجاوز بغى وإثم وطفیان . وأعلى مراتب العدل هو عدل العقيدة فى الاعتراف بوحداية الله ، وأحقية أن يعبد فلا يحجد ، وأن يشكر فلا يكفر ، وأن يذكر فلا ينسى ،

لأنه الواحد المتفرد بالالوهية في قدرة لا يعجزها شيء ، وفي علم لا يعزب عنه شيء ، وفي حكمة قام على أساسها ملك السموات والأرض ، فمن لم يعدل في عتيدته فقد ظلم نفسه ، وباء بغضب من الله ، قال تعالى : « والكافرون هم الظالمون » .

أما العدل في المعاملة ، فعلى نظامه يعمر هذا الكون حين يتجلى في الناس جلال الحق فيتخذونه هدفاً ، ويتملك نفوسهم حب النصفة فيجعلونها غاية ، هنالك يسمو بالناس عدلهم ويحمل منهم صديعهم :

يعدل التاجر فلا يبخس الكيل ، ولا يخسر الميزان ، ولا ينفق سلعته باليمين الفاجرة .
ويعدل الموظف فيما يقوم عليه من شئون فيؤدى واجبه في مراقبة للحق ،
وفي غير شطط ولا اعتات .

ويعدل الرئيس ، فلا يميل به الهوى ، ولا تتنجس به الزاني ، فيهدر
السكفايات ... للشفاعات .

ويعدل الحاكم فلا يظلم بريئاً ولا يبرئ ظالماً ، ولا يقهر ضعيفاً ولا ينصر آثماً .
ويعدل الرجل في بيته بالقوامة الراشدة ، والاشراف الحازم ، والحب الكريم .
وتعدل المرأة فيما يحيط بها ، في مراعاة حقوق التربية ، وفي الحفاظ على
صيانة العرض والمال والولد ، فلا تبذل ولا تضيع ولا إسراف .

يعدل هؤلاء وأولئك فلا تسمع إلا قولة الحق ، ولا ترى إلا وثبة العزة ،
ولا تسود إلا صيحة القرآن في أمة القرآن : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله
شهداء بالقسط ، ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، عدلوا هو أقرب للتقوى » .

يا معشر الناس :

تعالوا لنوازن بين هذه التعاليم الإسلامية السامية ، وبين هذا الشذوذ الصارخ
والتجاوز الأثيم في رعاية الحقوق والعدل بين الطبقات . جاء الإسلام فانتصف
لكل مظلوم ، وكفل لأصحاب الحقوق حقوقهم ، فأخذ بيد الضعيف ، وواتاه
حقه المضيع ، وضرب على يد الأثم المتطاوّل ، حتى أرجعه وأقعده ورشده ، وهد
من كيان الظلم والظالمين ، فإذا بالمسلمين تكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ،
وهم عون على من سواهم ، وإذا بسياسة العدل تؤمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم
وأعراضهم ، وتعطى كل ذي حق حقه .

أفسمعت ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لأبي مریم السلولی ،
 وكان هو الذى قتل أخاه زید بن الخطاب ، والله أنى لا أحبك حتى تحب الأرض
 الدم ، قال : أفیمنعنى ذلك حقاً ؟ قال : لا ضیر ، إنما یأسى على الحب النساء ...
 نعم لم تحمل كراهية عمر لقاتل أخيه على أن یمنعه حقاً ، وكيف یظلمه ؟
 وهو الذى تلقى فى المدرسة الأولى عن معلم الإنسانية سيدنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قوله : « أحب الناس إلى الله يوم القيامة ، وأدناهم منه مجلساً إمام عادل ،
 وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر » .

* * *

أما هؤلاء الطغاة العتاة ، المتشدقون باسم المدنية والإخاء والمساواة ، فهذه
 مدنیتهم الطاغية تسمى إلى الآمنین ، وتستعمر فى عدوان وطفیان بلاد الوادعین .
 وهذا أخاؤهم الكاذب یحفزهم حتى فیما بینهم إلى حروب مستعرة ، ونیران
 متأججة ، وإعداد ما یقوضون به البلاد والعباد .
 وهذه مساواتهم المزعومة ، ینقضون بها على الشعوب المهضومة ، لیسلبوا
 أعراضهم وأموالهم ویسفکوا دماءهم ، ثم یتصایحون بالحرية والإخاء والمساواة .
 فأینا أهدى سبیلاً ؟

عدل الإسلام وكفالة الحقوق بین الناس ، أم ظلم الإنسان لأخيه الإنسان
 فى سفك دمه وسلب ماله وهتك عرضه ؟

ألا فلیبئ الظالمون بغضب الله ، ولیرتقب المظلومون نصر الله ، فإن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم یقول : « ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حتى یفطر والإمام
 العادل ، ودعوة المظلوم ، یرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء . ویقول
 الرب وعزتی لأنصرنك ولو بعد حین » .

أما بعد فإن رسول البشرية سيدنا محمد بن عبد الله أقام صرح العدل على أمتین
 أساس ، وجاهد فى سبیل الحق أهل الهوى فظفر بنصر الله ، وهذه ذكرى رسالته
 الخالدة تتجدد فتحمل معها فى جمال وعزة تعالیم الحق والعدل ومكارم الاخلاق .
 يا أيها الذین آمنوا استجیبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما یحییكم واعلموا أن
 یحول بین المرء وقلبه وأنه إلىه تحشرون ، ٢

لغويات

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد علي النجار
الاستاذ بكلية اللغة العربية

الثُرَيَّا ، الثُرَيَّات ، الثُرَيَّات

الثريا عند العرب في وضعها الاصلى اسم لعدة نجوم مجتمعة تبدو نجما واحدا .
ويذكر كثير من العلماء أن الثريا كوكب يجمع عدة نجوم ، ولا يرضى هذا
الشهاب الخفاجي في كتابته ^(١) على الشفا للقاضي عياض ، وإنما هي عنده منزل
من منازل القمر تكون عنده النجوم ، وهو يقول : : وهي منزل من منازل القمر ،
به نجوم مجتمعة ، جعلت علامة . فقول بعض الشراح : إنها كوكب وهم منه ، .
ويبدو أن إنكار الشهاب للقول بأنها كوكب لأن الكواكب محصورة معينة
في السبعة المنظومة في قوله :

زحل شرى مريخه من شمسه فزاهرت لعطارد الأقار

وما عدا هذه السبعة نجوم ، فالثريا من النجوم لامن الكواكب ، وفي الواقع
أن العرب تسميها النجم إسما غالبا عليها ، وقد فسر بها بعضهم النجم في قوله تعالى :
« والنجم إذا هوى ، » .

والثريا فيما يقال — سبعة أنجم ، ستة ظاهرة ، وواحد خفي يمتحن الناس به
أبصارهم . وفي الشفا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أحد عشر نجما ،
ولكن قال ^(٢) السيوطي في مناهل الصفا : هذا لم يوجد في شيء من كتب الحديث .
وقد كانت كثرة نجوم الثريا سببا في تسميتها بهذا الاسم ؛ إذ أخذ من الثروة
وهي الكثرة . والثريا - في الأصل - تصغير الثروى ، وكان التصغير للتعظيم .
والثروى مؤنث الثروان ، وبه سمى الرجل .

(١) ج ١ ص ٧٠ من طبعة استامبول . (٢) انظر شرح الشهاب الشفا .

ولا نرى في المعاجم ولا فيما وقفنا عليه من كلام العرب جمعا للثريا ولا تثنية لها . والسبب في هذا واضح جلي . فإنهم إنما يعرفون منها النجم المؤلف من عدة نجوم ، فالثريا علم له . وليس عندهم من داع لطلب تثنيته وجمعه .

ولقد سمي العرب بالثريا من النساء . وهذا على التشبيه بالنجم . وكان عمر بن أبي ربيعة يفسب بالثريا ، ومن قوله فيها :

من رسولى إلى الثريا فإنى ضقت ذرعا بهجرها والكتاب
وهذا مما يدعو إلى تثنيتها وجمعها .

والثريا أيضا تطلق على شيء شبيه بالنجم ، وهو أداة تجمع عدة مصابيح وسرج إذا أضيئت معا كان لها لآلاء وضياء شديد . وجاء التنويه بهذا المعنى في اللسان فقيه : ، والثرى من السرج على التشبيه بالثرى من النجوم ، .

وتسمى الثريا - في معناها الأخير - عند العامة بالنخفة . ولا أدري متى هذا الاسم وبجازه .

وكانت الثريا - بهذا المعنى - معروفة متداولة في المغرب والاندلس ، وكانت تتخذ في المساجد الجامعة الكبيرة . وكان يرادفها عند المشاركة التنور ، وهو في الأصل الموقد الذى يختبئ فيه أو الفرن ، وكأنا سمي بذلك الثريا لسكثرة ما يوقد فيها من السرج ، فكأنما تنقلب تنورا .

وهاك بعض النصوص في ذلك .

ففي كتاب : الانيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبوع في أوربة في الكلام على جامع القرويين إذ يتحدث عن سيدة محسنة انفقت عليه ^(١) : « وجعلت محرابه في موضع الثريا الكبرى الآن » وفيه أيضا : « ^(٢) وفيها علق الثريا بالجامع الجديد من فاس ، ووزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلا . »

وفي الكامل لابن الاثير في حوادث سنة ٤٩٢ حيث يتكلم على ملك الفرنج لبيت المقدس : « وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة ، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمئة درهم . وأخذوا تنورا من فضة ، وزنه أربعون رطلا بالشامى . وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا نقرة ، ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا ، وفي نفح الطيب في الكلام على جامع قرطبة : « وقال صاحب نشق الأزهار : إن في جامع قرطبة تنورا من نحاس أصفر ، يحمل ألف مصباح . وفيه أشياء غريبة من الصنائع العجيبة ، وصاحب نشق الأزهار هو ابن إياس المصرى ، فهو مشرقى كابن الاثير .

وأعود الى الثريا فأقول : إن الثريا في معنى العلم للبرأة أوفى معنى جماع المصاييح يحتاج الأمر الى تنقيتها وجمعها ، فكيف تجمع وتثني ؟

إن الجمع الجارى على ألسنة الناس قديماً وحديثاً هو الثريات ، وتثنيها قياساً على ذلك الثريان .

ونرى في صحيفة المصرى الصادرة في يوم ٢ / ١ / ١٩٥٢ بصدد عرض تجارى (إعلان) لصنف من الثريا - في معنى المصاييح - : « ثريات رائعة الجمال ، من إيطاليا وتشيكوسلوفاكيا ، تتلأل كأحجار الماس في صالات بيتك وغرفة . »

وفي نفح الطيب في الكلام على جامع قرطبة (١) : « وثریات المقصورة فضة محضه ، وفيه أيضاً : « وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة ٢٨٠ ثريا . » وفيه أيضاً : « وذكر أن عدد ثريات الجامع التى تخرج فيها المصاييح بداخل البلاطات خاصة سوى ما منها على الأبواب ٢٢٤ ثريا . »

وقد جرى بحث طويل الغزيل في هذا الجمع المتعارف : « الثريات ، فأنكره بعض الباحثين ، ووسموه بالخطأ واللحن ، ومجافاة المعروف من قواعد العربية .

ذلك أن الواجب أن يقال : الثرييات ، كما يقال الحبليات والكبريات والصغريات والدرجات العليا . وهذا على ما هو المقرر في أمثاله أن تبدل ألف التأنيث المقصورة ياء .

وهذا كلام صحيح لا غبار عليه . لولا أن (التريبات) قد ذاعت وشاعت ، وأصبح من العسير صرف الناس عنها وتجنبهم إياها .

وقد وجدت لها تخريجاً من مذهب الكوفيين : فهم يجوزون حذف الألف إذا كانت خامسة فصاعداً ، في الثنية والجمع ، ويحملون ذلك مقيساً مطرداً . ويقول الرضى في شرح الكافية ^(١) : « وقد يحذف الألف الزائدة خامسة فصاعداً في الثنية والجمع بالألف والتاء ؛ كما في زبعرى وقبعرى . ولا يقاس عليه خلافاً للكوفيين » . وفي اللسان (قهر) : « ابن الأنباري : إذا ثبت القهقرى والخوزلى نفيه بإسقاط الياء ، فقلت : القهقران ، والخوزلان ؛ استقالا للياء مع ألف الثنية وياء الثنية » .

وقد بدأ خاطر في تخريج (التريبات) ، وهو قياسها على التصغير . ذلك أنك لو صغرت عليّة قلت : عليّة يحذف إحدى الياءات الثلاث نسبياً ، وأصلها عليّة ، وكذلك لو صغرت عطاء قلت : عطى ، وأصله عطى ، بثلاث ياءات . فكذلك التريبات تحذف إحدى ياءاتها الثلاث فتحوّر إلى التريبات ، وهو ما ينطق به الناس .

ولكن هذا الخاطر لا يستمر لصاحبه ، وهو لا يلبث أن يرتدع وينقطع . ذلك أن صيغة التصغير لازمة للبصر ، مستقلة ، لها أحكامها الخاصة ، واشتهر عنهم أن التصغير يهدم صيغة المكبر . فأما الثنية وجمع التصحيح فهما مبنيان على صيغة المفرد ، ومن شأنهما ألا يتغيرا عن بناء الواحد ، فإن حدث فيهما تغيير كما في قلب الألف واوا أو ياء فهذا أمر تدعو إليه الضرورة . والعبرة في هذا أن النقل في (التريبات) الناشئ من اجتماع الياءات الثلاث أمر غير لازم ، فلا يستوجب الحذف لتخفيف هذا النقل .

وهنا يخطر بالبال سؤال . فقد يقول قائل : هلا جرى الحذف في المحي والمحيمة واجتماع الأمثال هنا لازم لا مفر منه ؟

والجواب ^(٢) عن هذا أن المحي والمحيمة جاريان على الفعل إذ هما إسماء فاعل لحيا ، والفعل لا يجرى فيه الحذف لاجتماع الأمثال . تقول : هو يحيى وأريد أن

(١) ١٧٤ / ٢ . (٢) راجع في هذا شرح الرضى للشافية ٢ - ١٨٦ وما بعدها .

أحييك ، ولا تحذف لأن الحذف يغير صيغة الفعل ، وهي مما يجب المحافظة عليه
لثلاث تنبس صيغة بصيغة ، وحكم الفعل في هذا يسرى الى الجارى عليه من
الأوصاف .

هذا وقد رأيت في كتاب الأنيس المطرب الذى سبق التنويه به كتابة الثريا
في صورة (الثرية) . وقد ذكر هذه الصورة في كتابة الثريا دوزى في معجمه ،
وهذا كما ينطق به العامة اليوم . وهو جار على أصل سرى في لسانهم . فقد
يستبدلون بألف التأنيث تاء التأنيث ، يقولون في الحبلى : الحبلة ، وفي الحمراء بعد
قصرها الحرة .

وهنا يخطر بالذهن أن (الثريا) جمع للثرية . وهذا صحيح إذا كان هذا الجمع لم
يستعمل إلا بعد أن استعملت هذه الصيغة المملوثة .

ويحاول بعض الباحثين أن يجعل الثرية تصغير ترخيم للثرى . وعلى هذا
فالثريات جمع صحيح .

وبعد فهذه آراء عرضتها في هذا الموطن ، وعلى القارىء أن يختار ما يحلى
في عيذه ، والله الموفق للصواب ؟

تصحيح

سقط من المجلد الثالث والعشرين لشهر ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ من المقال
(الأزهر الجامعة القديمة الحديثة) لفضية الدكتور محمد عبد الله دراز عضو جماعة
كبار العلماء من الصفحة ٣٠٠ سطران بعد قوله « كما يعلم مما أسلفناه ، وهما :

ثم أقام الخديوى عباس الثانى فى سنة ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) بجوار المدرسة
الطبرسية قاعة جميلة للمحاضرات وزودها أيضا بمحراب رشيق . فلزم التنبيه ؟

الشعر والحروب الصليبية

لفيفيد الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

- ٢ -

ما يزال الأديب والشاعر في الحروب أداة تستنهض الهمم الوانية ، وتحفز بها العزائم الواهنة ، وتسترد بها الشجاعة المذاهبة ، وتسجل بها مواقف الرجال في غمرات القتال وميادين النزال . نعم فليس أفعال في النفس ولا أفعال في التأثير ولا أهيج للشعور ولا أحسن للعاطفة من بيت شعر ينشد في وسط المعركة وفي ساحات النزال . ذكروا أن المتنبى لما أحرق به عدوه حاول الحرب فقال له خادمه ألسنت القاتل :

الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والفرطاس والقلم ؟

فقلبت رجلاه عن الفرار وثبت في مكانه يدافع عن نفسه . وكان صلاح الدين الأيوبي يقول : ما فتحت البلاد بالعساكر . إنما فتحها بكلام القاضي الفاضل ، ولو ذهبنا نعرف أثر الشعر والشعراء في الحروب الصليبية ومقدار ما أغنوا فيها وشدوا من عزائم المقاتلين وأشادوا بكفاحهم لوجدنا من ذلك مددا لا ينفد من الشعر الجهادي الذي يصف فيه الشعراء مواقف الملوك من الأيوبيين وقوادهم في الذود عن الإسلام والدفاع عن بلدانه ومعاذهم فقد دأب الشعراء على أن يحبوا إلى الملوك والأمراء حياة الحروب وقمععة السيوف وأصوات المعامع ويطالبوهم بالعزم المصمم والجسد الغلاب والاستشهاد في سبيل الله . تجد مثل هذا في قول بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري في المنصور بن العزيز الأيوبي لما هزم الفرنجة :

ما لذة العيش إلا وسط معمعة تال فيها المنى بالبيض والأسل
 يأبها الملك المنصور نصع فتى لم يلوه عن وفاء كثرة العذل
 لعزم ولا ترك الدنيا بلا ملك وجد فالملك محتاج إلى رجل
 يا أوجد الناس ياخير الملوك ومن فاق البرية من حاف ومتعل^(١)

وقد نجد بعض الشعراء يضربون الأمثال تهكماً وسخرية بمن لا يملون
 في الجهاد ويرمونهم بأشد أنواع السباب على ما فرطوا في جنب الله وأضاعوا
 من فريضة الجهاد .

استمع إلى أحد الشعراء يسخر من سامة صاحب بيروت حين أخذها منه
 الفرنجة بدون قتال أو نزال فيقول :

سلم الحصن ما عليك ملامه ما يلام الأولى يرون السلامة
 إن أخذ الحصون من غير حرب سنة منها بيروت سامة

وأى إنسان يسمع هذا التندر الساخر ثم لا يجود بنفسه ليشق السنة الشعراء
 ولو كان جباناً رعيدياً ؟ والحق أن الروح الذى كان يسيطر على الشاعر فى هذا
 العهد روح إسلامى عال يتيقن له أن يحاسب الأمراء والقواد على تقصيرهم دون
 تهيب أو مبالاة .

ولقد كان الشاعر يقول القصيدة فى بلد منكوب أو قلعة محاصرة مصوراً شدة
 اللفة ووقع المصاب ليهيج الدم فى العروق ويبعث الحرارة فى النفوس فتخف
 إلى الحرب على ساق وقدم لتفك ذلك البلد العانى وتدفع عنه غائلة العدوان .
 من ذلك قول جمال الدين الكنانى فى دمياط لما حاصرها الفرنجة مستنجداً بالملك
 الكامل ومصوراً له كيف تهدمت شرفات ذلك الثغر وكيف أحرق به العدو
 حتى شخصت عيناه وتطلع إلى الكامل لولا أن سدت دونه الطرق ثم يدعو أن
 يحقق الرجاء فيه ويذخر بذلك لنفسه عملاً صالحاً لا يضيع أجره عند ربه . قال :

يا مالكى دمياط ثغر هدمت شرفاته وكأن تبحث أصوله
 يأبها الملك الذى ما إن يرى بين الملوك شبيهه وعديله

أشكو إليك عدو سوء أحدثت بجميعة^(١) فرسانه وخيوله
ولو استطاع لأم بابك لانتذا لكنه مدت عليه سبيله
وبقى له رمق يسير يرتجى أن يشتقى لما دعاك عليه
ولئن قعدت عن القيام بنصره جفت نضارته وبان ذبوله
ووهت قوى القرآن فيه ورفعت صلبانه وتلى به أنجيله
هذا وحقك وصف صورة حاله حقاً وجلته وذا تفصيله
حقق رجاء فيك يا من لم يخب أبداً لراجي جوده تأميله
ولإذ خرو ليوم البعث فعلاً صالحاً الله ضامن أجره وكفيله

تلك صرخة مدوية وصوت دام باك عسى أن يخترق حجب الاسماع حتى يصل إلى شفاف القلوب فيفعل فيها فعل السحر ويستثير العواطف ويستدر الدموع على ما أصاب بلداً من بلدان المسلمين وثغراً من ثغور الإسلام على أيدي الكفر الباغى من عنت وبغى وطغيان ، وما ظنك وقد وهت به راية القرآن ، ورفعت رايات الصليبان ، وارتفعت الحناجر بتلاوة الانجيل . بهذا التصوير الباكي الحزين استطاع السكناى أن يحمس الكامل ويبعثه على الجهاد حتى أمر أهل مصر بالخروج إلى المنصورة فخرجوا إليها وكتب إلى أخيه المعظم يستنجده ويقول :

يا مسعفى إن كنت حقاً مسعفى فارحل بغير تلبث وتوقف
واحش قلوصك مرفلاً أو موجفاً بتجشم في سيرها وتعصف
واطوا المنازل ما استطعت ولا تنخ إلا على باب المليك الأشرف
وإذا وصلت إلى حماة فقل له عني بحسن توصل وتلطف
إن تأث عبدك عن قليل تلقه ما بين كل مهتد ومثقف
أو تبطل عن إنجاده فلقاؤه بك في القيامة في عراض الموقف

وكان من أثر هذه الشكوى وذلك الاستنجاد أن أقبل الملك المعظم وأخوه الأشرف لنجدة أخيهما الملك الكامل وتخليص دمياط من أيدي الكفرة حتى انتهى الأمر بانتصار المسلمين وأخذ المدينة وانحسار ظل الكفر عنها ، فجلس

الكامل في خيمة عظيمة وقد مد سباطا ، وأحضر ملوك الفرنجة ووقف المعظم والأشرف والملوك في خدمته ، وقام الشاعر شرف الدين راجح الحلي فأنشد يهنيء الكامل بهذا النصر العظيم ، ويصور الدهر وقد تهلل بشرا بهذا النصر بعد عبوس وتقطيب حتى انتهى إلى هذه الثورية الرائعة الجميلة . قال :

هنيئاً فإن السعد راح مخلداً	وقد أنجز الرحمن بالنصر موعداً
حباونا إله الخلق فتحاً بدا لنا	مينا وإنعاماً وعزاً مؤيدا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه	وأصبح وجه الشوك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهل الط	خاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل سيفه	صقيلا كما سل الحسام مهندا
فلم ينبج إلا كل شلو مجدل	ثوى منهمو أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكون في الأرض رافعا	عقيرته في الخافقين وملشدا
أُعَبَّادَ عيسى إن عيسى وحزبه	وموسى جميعا ينصران محمدا

قال صاحب النجوم الزاهرة : قلت : صبح للشاعر ما قصده من الثورية في المعظم عيسى والأشرف موسى لما وقفا في خدمة الكامل محمد فله دره لقد أجاد فيما قال .

لفت نظر

نشر بعدد ربيع الأول سنة ١٣٧١ بمجلة الأزهر بيان نسب صدوره إلى الهيئة العربية العليا . وقد كتب إلينا حضرة الأستاذ محمد صبرى عابدين أمين سر الهيئة العربية العليا لفلسطين ينهنا إلى أن هذا البيان هو باسم حضرات موقعيه وهم حضرات أصحاب السباحة والفضيلة مصطفى صبرى شيخ الإسلام بالدولة العثمانية سابقا ، محمد السكوثرى وكيل مشيخة الإسلام بالدولة العثمانية سابقا ، محمد أمين الحسنى مفتى فلسطين ، صالح مفتى مفتى البانيا ، يعقوب شينكوفتش مفتى مسلى بولونيا ، محمد علال القاسى المراكشى ، محمد الخضر حسين من كبار العلماء ، السيد مبشر الطرازى التركستانى البخارى ، عبد الله بن عبد الكريم الجرافى الباقى ، إبراهيم طفيفش الجزائرى .

لهذا لزم التنويه بتصحيح الوضع وشكر سماحتهم على مشاركتهم مصر في شعورها القومى .

صولة الحق

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم على أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

لا تجد لذة يتبها للإنسان أن ينعم بها ، ويقر بعينه العيش في جوارها ، والحياة في ظلها ، تساوى ما يتمتع به من « صولة الحق » الذي يتمسك بأهدابه ، ويجد نفسه مؤمنة به ، عامرة بنوره ، آهلة بعظمته ، ناعمة بهيله وهبليانه ، قوية بما يبعثه فيها من أمل باسم ، وأمان متفتحة الأسارير ، وبخاصة حين يكون له من خلقه الطاهر ، وأدبه الجم ، وسلوكه الطيب ، وتاريخه المجيد ، وماضيه الناصع ، ما يجعله من هؤلاء الذين تهنو لهم الأرض هيبة واحتراماً ، وتخضع لهم جباه المتكبرين إجلالاً وإعظاماً .. لأنهم لا يميلون إلى الإسفاف ، ولا يتحدرون للباطل ، ولا يمشون إلا على السنن السوى ، والصراط المستقيم .. ويحدثنا الزمن الماضي ، والفلك الذاهب ، والقرون المنطوية ، عن قوم لم يكن لهم من جدهم ، ولم يحصلوا من حظوظهم ، على عنجية المختالين ، ولا غطرسة المتكبرين ، إلا أنهم كان فيهم من الإباء والشعم ، والكرامة والعزة ما لا يصل إلى مثله أرباب التيجان في الفرس ، ولا أصحاب الصولجان في الروم ، ولا أديعاء الآلوهية في « منف » .. وذلك لأنهم كانوا محقين صادقين ، وكانوا منصفين عادلين ، يدافعون عن الواجب ، وينتصرون للصواب ، ولا يبالون في سبيل وضع الأمور في نصابها أزلزلت الأرض أم مادت الجبال ، ولا قوا الشدائد والأهوال ، أم واتاهم ما يشاءون من بلهية ونعيم .. وشئ إلى الخليفة المنصور أن رجلاً من ذبول بنى أمية عنده أشياء مما خلفوه من أموال وأعلاق ، وكان هذا الرجل من أولئك الذين يبالغون إلى حد بعيد في السمو بنفوسهم ، والتعالى بكرامتهم ، وكان إلى جانب هذا يتيه على الناس بأنه أقوم من السيف ، يغار على الحق غيرته على حرمانه ، ويهاب الباطل أكثر من هيبته للبوت فلما قادوه إليه ، ووقفوا به بين يديه ، وواجهه بالجريمة ، لم ترتد فرائصه ، ولم تتغير ملامحه ، ولم يزد نبض قلبه ، وقابل التهمة بإغضاء الغافل ، وتهاون اللاهى ، وزرابة

الساخر ، ولم يشأ أن يرد باديء ذي بديء بما يشعر أنه في موقف المتورط الذي ينتبه أن يسلم ، أو المرتبك الذي يهمه أن ينجو ، أو المأخوذ الذي يعمل جاهداً للخلاص مما هو فيه . وظل ساكتاً يخيل لمن يراه على حاله من الوجوم والحرس أنه يزور لإجابة يتلس فيها الاعتذار عن الذنب ، ثم انطلق انطلاق السهم يقول لأمير المؤمنين ، وبأى وجه أرد إليك ما معى من أموال وودائع ، ولست وارثاً لبنى أمية يطالب بنصيبه من التركة ، ولا دائئاً يقتضى دينه مما أعقبوه ، ولا وصياً على ذريتهم يريد أن يصون لهم تراث الآباء والأجداد ، والشأن فيمن يحاسبني أن يكون واحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأنا لا أعدو أن أكون من رعية الخليفة أدين بالولاء ، وله على السمع والطاعة في حدود ما أملكه وأقدر على بذله له .

وهناك أخذت رأس بنى العباس رعدة المحموم ، وود لو أنه لم يرم بنفسه في هذا المأزق الذي صير الهزيمة تلاحقه ، والضعف يحيط به ، والتخاذل يستولى عليه ، ولم يجد إلا أن يقول له إن بنى أمية ظلموا الشعب ظلم المستبد ، واغتصبوا حقوقه اغتصاب المستهتر ، وفككوا به تشكيل المستخف ، ونحن حينما نأخذ منك هذا المال إنما نأخذ منك حتماً كان مضيعاً ، ونسترد شيئاً كان مسلوباً .

فقال الرجل ولكنك يا أمير المؤمنين لم تقم البيئة على ، ويمنعني حيائي أن أذكرك بقوله تعالى « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ، ومثلك لا يأخذ بالظنة ، ولا يعاقب على غير جريرة ، ولا يستمع للباطل ، ولا يتأثر بقول الواشي الكذاب ... وكان المنصور لا يخفى إعجابه بمنطق خصمه ، ولا يدارى لكباره لهذا الجدل اللبق ، والبيان الحصب ، والنسج القوى ، والدفاع المحكم ، وبش في وجه المظلوم ، إذانا بأنه لا يرى للريبة سبيلاً إليه ، ولا للجريمة طريقاً إلى ساحته ، وأراد أن يتبسط معه في الحديث فقال له اقترح علينا ما شئت فإن قلوبنا قد افتحت لك ، ونفوسنا قد هفت إليك ، وإعجابنا بك قد بلغ أقصى غاياته ، وسوف تجد حاجتك مقضية . ورجاءك مجاباً ، ورجبتك حاضرة ، وكان هم المهم - حينئذ - أن يعرف « الواشي » فقال أرجو يا مولاي أن تجمع بيني وبين من سعى في هذه السعاية لأعمل على أن أتجنبه وأتقيه ... فلما فاجأه به رأى أنه غلامه الذي أبقي منه ثلاثة آلاف درهم ، وقد صنع ما صنع لينجو بما أخذه ويفلت

بالذي خان فيه ، ثم لم يلبث أن عفى عنه ، وترك له ما غله ، وكان هذا مثار إعجاب آخر تملك الخليفة ، وأخذ كلنا جلس إلى أحد من خاصته يقص عليه هذا الحديث لا على أنه مقال نادر من الصفح الجميل ، والحلم الواسع ، والتسامح الكريم ، والأدب العالي ، والخلق العظيم ، فربما كان على ظهر الأرض ، أو في بطنها من لا يقل عنه في تلك السجايا النبيلة ، والمزايا الجليلة ، ولكن لأنه أيقن أن نشوة الإحساس بالحق وحدها هي التي ألهمته أن ينطق بهذا الكلام ، وحملته على أن يقف هذا الموقف . وبعثت في نفسه تلك الشجاعة النادرة ، والصرامة البالغة ، والصراحة القوية ، حتى لقد ضحى بعلامه الآبق ، وماله الضائع وهو لم يكن من الأثرياء الذين لا يرهقهم هذا البذل ، ولا يؤودهم ذلك الإنفاق ، وخيل إليه أن الغبطة لا تصل بمخلوق ظفر بضالته ، ولا يأنسان حصل على غايته ، أكثر مما وصلت به .

وهذا هو الحق الذي جعله سبحانه لإسمه ، وأقام على دعائمه الكون ، وملا به الدنيا خيراً وبركة ، وجعل السعادة نفحة منه ، ولحمة من ضيائه ، ورغبنا فيه ، وطالب إلينا أن نتعاون عليه ، ونذود عنه ، ونحرص دائماً أبداً على أن نكون من جنوده المتفانين في الوقوف بجانبه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

حكم

وقال الشاعر الحكيم :

ألا أيها المستظرف الذنب جاهرا	هو الله لا تخفي عليه السرائر
فإن كنت لم تعرفه حين عصيته	فإن الذي لا يعرف الله كافر
وإن كنت عن علم ومعرفة به	عصيت فأنت المستهين المجاهر
فماية حاليك اعتقدت فأته	علم بما تطوى عليه الضمائر

موازنات أدبية :

نونية ابن زيدون

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن جاد

المدرس بكلية اللغة العربية

لم تل قصيدة من قصائد ابن زيدون شاعر الأندلس ، من ذبوع الشهرة ، وبعد الصيت ، ما نالته قصيدته النونية ؛ تلك القصيدة التي كانت صدى لبعده عن ولادة ، وذكرياتها الجميلة ، وما فجعه به الدهر من بين وغربة ، وما سعى به الوشاة حتى انحل المعنود ، وانبت الموصول . ولو لم يكن لابن زيدون إلا هذه القصيدة لأغته بهذا الدوى العظيم الذي أحدثته في اليئات الأدبية ، وتلك المدرسة التي خلقتها من الشعراء الكثرين الذي أعجبوا بها وعارضوها في كل زمان ومكان .

وترجع شهرة هذه القصيدة - كما يقول الفتح بن خاقان - إلى أنها « ضربت في الإبداع بسهم ، وطلعت في كل خاطر وروم ، ونزعت منزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم » .

ومن الطريف أن يجعلها بعض الأدباء عنواناً على الظرف ، وبعد حفظها وروايتها شرطاً من شروطه ، ومظهرراً من مظاهره ، ويلزها في قرن مع التفقه في الدين ، والقراءة لبنغاء الكاتين ، وأناقة اللباس ، ولباقة الحديث . يحدثنا الصفدي أن بعض الأدباء قال : « من لبس البياض ، وتختم بالعقيق ، وقرأ لأبي عمرو ، وتفته للشافعي ، وروى قصيدة ابن زيدون فقد استكمل الظرف » .

وأبعد من هذا طرافة وغرابة أن يتخذ بعضهم من موضوعها ، وهو يدور حول البين والغربة والفراق ، مادة للخرافة أو الطرافة ، تخرفاً أو نظرفاً . يقول الصفدي : « ومن ذلك قصيدته النونية التي سارت في البلاد ، وطار في العباد ، وقد اشتهرت حتى صارت محدودة ، فيقال إنه ما حفظها أحد إلا مات غريباً » ١١ ، وأظنه عارض بها البحرى في قوله :

يكاد عاذلنا في الحب يغرينا فما لجالك في لوم المحيينا

ومهما يكن من شأن هذا الظن فإن البحترى لم يقصد في قصيدته إلى تصوير حالة من حالاته ، أو عاطفة من عواطفه ، على نحو ما قصد ابن زيدون . وإنما قدم غزله هذا بين يدي مدحه على عادته ، ومن ثم لم يلتفت إليها الشعراء ، أو يفكروا في معارضتها ؛ وإنما كانت وجهتهم في المعارضة قصيدة ابن زيدون ، بدليل أن كل المعارضين أو جلهم كان يصرح بذلك ، أو يشير بما يغنى عن التصريح من استعمال كثير من ألفاظ القصيدة ومعانيها .

وقد عارض هذه القصيدة الزيدونية كثير من الشعراء منذ عصر ابن زيدون إلى الآن ، فهذا أبو بكر بن الملح الأندلسي يقول :

هل يسمع الربيع شكوانا فيشكينا أو يرجع القول مفناه فيغنيننا
يا باخلين علينا أن نودعكم وقد بعدتم عن اللقيا فخيونا
قفوا نزرکم وإن كانت فواندکم نزرا ومتمكوا بالوصل نمونا

ينظر بهذا إلى قول ابن زيدون :

أبکی وفاء وإن لم تبدل صلة فالطيف يقنعنا والذكر يكفيننا
ثم يقول أبو بكر :

سرى من المسك عن مسراكو خبر يعيد عهد هواكم نشره فينا
أيام بدرکو يحیی لیالینا قربا وظیکو یرعی بوادینا

متأثراً بابن زيدون في قوله :

حالت لفقدکو أيامنا ففدت سوداً وكانت بكم بیضا لیالینا
لیسق عهدکوا عهد السرور فـ کنتم لأرواحنا إلا ریاحینا

ويعضی أبو بكر على هذا النحو والنظر إلى معاني ابن زيدون ، ولكن شتان بين الصوغ والصوغ ، وبين الإحساس والإحساس ، فهو وإن كان قد نازعه فيها الراية ، فقد قصر عن الغاية ، كما يقول ابن بسام .

ويقول ابن زيدون في نونيته :

من مبلغ الملبسينا بانتراحهمو حزناً مع الدهر لا يبلى ويلينا
إن الزمان الذي ما زال يضحكننا أنسا بقرهموا قد عاد يبكينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نفص فقال الدهر : آمينا
فاحل ما كان معقوداً بأنفسنا وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
فيا نسيم الصبا بلغ تحييتنا من لو على البعد حياً كان يحيينا
فيجىء شاعر واعظ هو شمس الدين محمود الكوفي ، فيقول :

ملابس الصبر نلبها وتلبينا ومدة الهجر نفنيها وتفنينا
شوقاً إلى أوجه متاً بفرقتها حزناً وكانت تحيينا فتحيينا
كننا جميعاً وكان الدهر يسعدنا والكائنات بكأس الامن تسقينا
فالآن قرت عيون الحاسدين بنا بما جرى واشتفت منا أعادينا

وهكذا تجد معاني ابن زيدون وروحه تسرى في القصيدة ، ولسكنك بعد هذا تجد (مدة الهجر) و (الكائنات بكأس الامن) و (ملابس الصبر) ونحو ذلك مما تسمو عنه لغة الشعر . ومع هذا يجب أن تذكر أن الشاعر كان فقيهاً واعظاً .

ويذكر الصفدي أن الشيخ صفى الدين الحلبي قد خمس قصيدة ابن زيدون ، وجعلها مرثية في الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماء ، ونحن نعلم أن لهذا الشاعر قصيدة أخرى في الفخر يعارض بها تلك النونية ومطلعها :

سلى الرماح العوالى عن معالينا واستشهدى البيض هل خاب الرجافينا

والصفدي نفسه يعارض ابن زيدون راثياً فيقول :

تحكمت بعدكم أيدي التوى فينا وقد أقامت بنادينا تنادينا
وقد أناخت بنا من بعدكم عن عدت علينا بما يرضى أعادينا
كأنهم لم يكونوا العيون منا أنس وللأنفس الحرى وباحينا
يا دهرنا إذ دعا الداعي بفرقتنا كيف انخدعت إلى أن قلت : آمينا

هى هى معاني ابن زيدون ، لوعة أذكأها الين ، وحرقة أورثها البعد ، وأعداء
يشمتون ، ودهر يستجيب لما يدعون به . ولكن أين فن ابن زيدون ؟ .

أما صدر الدين بن الوكيل المتوفى بالقاهرة سنة ٧٠٦ هـ ، فينسج على هذه
الزيدونية موشحة ، نجدها على هذا النحو :

غداً مناديتنا محكما فينا	(يقضى علينا الأسى لولا تأسينا)
بحر الهوى يفرق	من فيه جهدا عام
وناره تحرق	من هم أوقدها م
وربما تفلق	فتى عليه نام
قد غير الأجسام وصير الأيام	(سودا وكانت بكم بيضا ليالينا)
من هام بالغيد	لاقي بهم هما
بذلك مجهودى	لاحور ألى
بهم بالجود	ورد ما هما
وعند ما قد جاد بالوصل أوقد كاد	(أضخى التناثى بديلا من تدانينا)

وهكذا لا يتمى بنا المطاف ، إذا نحن وقفنا مع كل شاعر عارض قصيدة
ابن زيدون . تلك القصيدة الخالدة ، التى هزت كل شاعر فى كل جيل ، فراح
يساجلها ، ويطارح صاحبها ، وإن كبا دون الغاية ، وعثر دون الشوط .

فيحسن بنا أن نبحت عن صادق آخر استطاع أن يقف مع ابن زيدون على فن
أو يحلق فوقه على ذروة . إلى متى يستبد ابن زيدون بالسبق والفن ؟ وإلى متى
يستولى على أمد الحصل ، ويستأثر بخطر السباق ؟ أليس هناك من أنجبه واد كواديه
ودوح كدوحه ، وأفق كأفقه ؟ أجل ! على ضفاف النيل ، ذى الماء السلسيل ،
وفى جنة الدنيا مصر ، صدح شاعر ، على فنها الزاهر ، فأطرقت الأندلس ، وأنصت
ابن زيدون ، إنه شوقى . .

خلفاء بني أمية

وعنايتهم بالأدب

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس بكلية اللغة العربية

لم يشهد الأدب من عناية الحاكمين به ورعايتهم له وإعظامهم لشأنه ما شهده من عناية الخلفاء الأمويين . فقد أفاضوا عليه من ألوان التشجيع وعوامل النهوض ما مكنه من أداء رسالته ، والاتجاه إلى هدفه وتحقيق غايته .

ولو شئنا أن نضرب الأمثال ونستقصى الأخبار ونستعرض الوقائع عن عنايتهم هذه واحتفالهم بما تجود به القرائح وتتفق عنه الأذهان من صور بارعة ومعان رائعة وأخيلة نادرة . واهتمامهم بالمظاهر التي ترفع من شأن الأدب وتعلي من قدره وتمكن له في البقاء والخلود . لو حاولنا أن نحصى كل ذلك لما وسعتنا مئات الصحف .

ولعل من أهم الدوافع إلى ذلك أن خلفاء بني أمية كانوا عربا يطربهم المعنى الرائق واللفظ الفائق ويعجبهم الأسلوب الناضج والتعبير البديع والتصوير الجميل . لما فطروا عليه من ذوق حساس ، وسليقة مرهفة ، وبصيرة ناقدة ، وذكاء متوقد ، وعلم غزير ، ومعرفة بأنساب القبائل وأحسابها ، ومفاخرها ومثالبها .

فلا عجب إذا أن تزداد عنايتهم بكل مظهر يعلى من شأن الأدب ويرفع من مكانته ، وأن تعظم رغبتهم في تشجيع الأدباء ورعاية الشعراء وصيانة التراث الأدبي بكل ما فيهم من رغبة مستعرة وإقبال دافق على نحو ما سجلته كتب الأدب ووعته صحائف التاريخ ونقله الرواة والثقاة .

ثم كان من وسائل هؤلاء الخلفاء إلى حفظ ملكهم وتأثيل عروشهم والإبقاء على سلطانهم حتى لا يشغب عليه طامع أن عمدوا إلى إثارة العصبيات وبعث

الخصومات وإحياء ما اندثر من منافسات الجاهلية وأحقادها ليشغلوا الناس بذلك عن موائمتهم على الملك ومساورتهم على السلطان ، ومنازعتهم فيما استقر لهم من أمور الخلافة . فعاد الشعراء إلى تسجيل ذلك في أشعارهم وتصويره في قصائدهم وشغلوا عن سياسة الدولة بالحديث عن أجداد القبائل ومخازنها رغبة في مدح أو شفاء لحقد أو طمعا في عطاء .

ولعل المفاجرات والمنافرات والخصومات التي كانت قائمة منصوبة بين جرير والفرزدق والاختل وأمثالها مثل من أمثلة ذلك وصورة حية من آثاره .

وإلى ذلك كله كان الخلفاء والأمراء في هذه الدولة نقدة كلام وأمرأ بلاغة ، وفرسان فصاحة ، والباء أدياء يميزون جيد الأدب من رديئه ويعرفون صحيحه من زائفه ويتدرون منازل الشعراء ويزنون الكلام بمعيار صحيح فيقبلون الجيد ويثيبون عليه ، ويستنكرون الضعيف الزائف ويدلون على موضع نقصه ومكان عيبه . ذلك لأن لهم من سلاتقهم العربية وفطرم الأديبة وعليهم بشوارد الخواطر وغرائب الأشعار ما يعينهم على صدق الحكومة ويدفعهم إلى حسن التقدير وجمال المثوبة . فمن أجاد من الشعراء وأحسن . أفضلوا عليه وأثابوه في سخاء وأريحية . ومن تخلف عن سبق وقصر فطنوا في سرعة إلى مكان تخلفه وموضع قصوره وتجهموا له وقطعوا عنه المثوبة وربما أسرعوا إلى بذل العقوبة لأن معنى من المعاني لم يصادف من نفوسهم هوى أو لم يجد من قلوبهم خلا مقبولا .

وهل هناك أدل على صفاء الذوق وقوة الملاحظة ودقة النقد وصادق التمييز مما يؤثر عن عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب الأريب إذ دخل عليه ابن قيس الرقيات وقد أمته بعد خروجه عليه فدحه بقوله :

إن الأغر الذي أبوه العا صى عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كسأته الذهب

فقال عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كأنى من ملوك العجم ، وتقول في مصعب بن الزبير :

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

ثم قال له عبد الملك : أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن لا تأخذ في المسلمين عطاء أبدا .

ومما يدل على شدة ملاحظتهم وحضور بديتهم والمعيتهم في النقد أن أبا زيد الأسلي دخل على إبراهيم بن هشام ، فأنشده : يا ابن هشام يا أخا الكرام ، فغضب إبراهيم وقال : إنما أنا أخوهم وكأني لست منهم . ثم أمر به فضرب بالسياط .

فهذه حالة تدل أبلغ دلالة على ما كان يلقي الشعراء المتخلفون من إغضاء ، أو يصل إليهم من سوء جزاء .

ولما أدرك الشعراء أن الخلفاء والامراء يمنحون جيد الأشعار ومتخير القصائد ، منزلة عالية ، ويثيبون عليه مثوبة طائلة ، وأنهم يتجهمون لموطن الغيب ، ويفطنون في سرعة ، بحجة لمكان النقص وموضع الزلل ، وأنهم قد يعاقبون على ذلك عقوبة أفلها حبس العطاء ، وقبض الصلة ، لما أيقن الشعراء من ذلك حرصوا أشد الحرص على التجويد والتهديب ، وبالقوا أعظم المبالغة في تقبح بنات أفكارهم وتهذيب قصائدهم ، لفتح لهم القلوب المغلقة ، وتلين النفوس العصية ، وتستدر العطايا السنية ، وتستل ما في النفس من حقد دفين ، وغل مكين ، وغضب مقيم .

وكان الخلفاء والامراء يطربون أيما طرب لسماع الجيد من المدح والبلغ من الثناء ، وكانوا في نشوة هذا الطرب ، وفي غمرة تلك الأريحية ، يصفحون عن المسيء ، ويعفون عن المذنب ، ويقبلون شفاعة الشعر فيه .

يروى أن يزيد بن عبد الملك رد الأحوص الشاعر من منفاه لبيت شعر له غنته فيه (جميلة) المغنية وهو قوله :

كريم قريش حين ينسب والذي أقرت له بالملك كهلا وأمردا

فطرب يزيد وقال : ويحك من كريم قريش هذا ؟ قالت : أنت ، وقد قاله الأحوص المنفي ، فكتب من فوره برده ، وأنفذ له حللا سنية ، وأدناه وقربه ، وقال له يوما : لو لم تمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا بقولك :

عيد المال

لمحاضرة الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السيد

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

في هذه الأيام ترى تهالك الناس على المادة ، وتهاقهم في طلبها ، ويروعك أن ترى كثيراً من العقلاء يجعلونها نهاية آمالهم ، ومعقد رجائهم ، حتى هانت الفضائل في سبيل المال ، وذلت نفوس — كانت أبية — لتحصيله فألى أولئك المتهاككين المتهاقنين أوجهه قائلين لعلها تبلغ من نفوسهم ما أحب فترشد من عقولهم ما غوى ، وترفع من أقدارهم ما اتضع .

وإني لاستحييكمو أن يقودني إلى غيركم من سائر الناس مطمع لكفكاك ذلك عندنا .

ويؤثر كذلك أن الحجاج طلب المديل الشاعر ، ليوقع به عقوبة ، وضيق عليه الخناق حتى لم يجد منه مهرباً ، وآثر أن يصير إليه ويسلم له نفسه ، فلما دخل عليه أنشد بين يديه :

خليل أمير المؤمنين وسيفه لكل إمام صاحب و خليل
به نصر الله الخليفة منهمو وثبت ملكا كاد عنه يزول
فأنت كسيف الله في الأرض خالد تصول بعون الله حين تصول

فلما استمع الحجاج إلى هذا الشعر أخذته نشوته ، وتملكته روعته ، وطرب لحسن وقعه وقوة جرسه ، وقال للشاعر : أولى لك ^(١) قد نجوت ، وفرض له وأعطاء عطاه .

فهذه صور تدل على ما كان للشعر في النفوس من منزلة ، وما يحتل في القلوب من مكانة ، وفي المقال التالي سنعرض صوراً أخرى من عناية الخلفاء بالأدب في هذا العصر ؟

(١) أولى لك كلمة : تهديد ووعيد أى قلوبك ما يملكك ، والمراد هنا الاستحسان والاستجابة .

أيها الموقضون في جمع مال
لا تبالون إن عثرت عليه
لمن المال تجمعون ؟؟ وأتم
كم نصبتهم حبال المكر لما
رازق الذر في مساريه الجو
ومعز العبيد بعد هوان
ومنجى الظباء من ربة الأسر
لم يساو الإنسان في رشده الوح
فضعاف الطيور أهدأ بالآ
إن مجد الحياة بالعلم والدي
ليس من بات ساهراً يحرس الما

قد أضعت حياتكم في ضلال
بحرام عثرتكم أم حلال ؟؟
في حياة قد آذنت بزوال .
ل وغالبتم شديد الحال .
ن وبجري الأهار بين الجبال
ومذل الملوك بعد صيال .
ومردي الآساد والأوعال
ش فأضحى للمال في أوجال
وسراة الأنام في بلبال
ن وأنتم عن ذاك في أشغال
ل كن بات ساهراً للمعال

* * *

كم غبي وعاجز محدود
وذكرى وحول محدود
حكمة لا تحار فيها عقول
أى وزن للبال إن قيس بالعه
غلبت شهوة الورى حين ظنوا
تركوا العلم والمحامد طرا
غفل الناس عن مواهب شتى

غمرته الحياة بالانقال
نام فيها بفادح الانقال
غير عقل عن الهدى في عقل
ل أو العلم أو كريم الخلال ؟؟
قيمة المرء ما زوى من مال
ثم آلوا بالمال شر مآل
لم تقيض لسادتي الاموال

* * *

ما لقوى عفا المهيمن عنهم
فتراهم إذا طلبت يسيرا
كم جهول من أوفر الناس مالا
وعليم من أتعس الناس جعداً
إن فقر النفوس يا قومنا ذا
كل ما في الحياة للحر عبد

جعلوا المال ذروة الآمال ؟؟
لفقير تسوقهم للشكال
هو بين الابداد ومضة آل
هو بين الأنام بدر ليل
دوى يمت حتى الفعّال
والغنى البخيل عبد المال

الازهريون أساتذة شعراء العصر

الشيخ محمد عبده وحافظ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد كامل الفقى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٥ —

« حافظ ، غفر الله له أحد الشعراء الذين تفخر بهم العربية في هذا العصر ،
ولواء من ألوية الشعر الخفاقة في هذا الجيل .

وقد كان هدية الإمام محمد عبده الى الحياة ، وغرسه الذى نما في رعايته .

فحين عاد « حافظ ، من السودان إلى مصر واستقال من الجيش ، اتصل
بالشيخ محمد عبده ، وفرغ للأدب ، وتوفر عليه ، فبدأ من ثم تكوينه الأدبي المنديج
الحكم ، وقد كان شعره من قبل ظاهر التكلف ، واهن المنسج ، مضطرب الفكرة ،
لم تشرق عبقريته ، ولم تنضج موهبته .

درس في مدرسة الشيخ محمد عبده من سنة ١٨٩٩ م إلى سنة ١٩٠٥ م وهذا
الإمام رحمه الله كان من كل نواحيه رجلا فذا ، وكأنه نبى متأخر عن زمنه فأعطى
الشريعة ولكن في عزيمته ، ووهب له الوحي ولكن في عقله ، واتصل بالسر القدسي
ولكن من قلبه . ولولا هو ولولا أنه بهذه الخصائص لكان حافظ شاعرا من
الطبقة الثانية ، فإنه من الشيخ وحده كانت له هذه القوة التي جعلته يصيب الإلهام
من كل عظيم يعرفه ، وكان له من أثرها هذا الشعر المتين في وصف العظماء والعظائم
إلا أن حافظا وجد في الإمام ما هو أسمى من ذلك في النفس والجادية ، وبهره
منه ما هو عليه من ذوق الأدب والبلاغة ، وحضر دروس الإمام في المنطق وأسرار
البلاغة ودلائل الإعجاز فنضج منها أسلوبه التمكن وذوقه الدقيق ، ولازمه وحضر
مجالسه فكانت مادة موضوعاته الاجتماعية وأغراضه الوثابة ، وكشف له من الشيخ
عن آراء في الفكر والسياسة والمسائل التي تشغل مصر والشرق فطبع عليها متأثرا بها .

« وحضر نظرات عينية ، وخرج منها بروحانية قوية هي التي تتضرم في شعره إلى الأبد ، لحافظ لإحدى حسنات الشيخ على العالم العربي ، وهو خطة من خطته في عمله للإصلاح الشرقي الإسلامي والنهضة المصرية الوطنية ، وإحياء العربية وآدابها وإذا ذكرت حسنات الشيخ أو عدت للتاريخ وجب أن يقال أصلح وفعل وفسر القرآن وأنشأ حافظ إبراهيم ^(١) . »

على أن أذن الإمام هي التي أتمت ملكة الشعر في حافظ ، فقد ألف أن يسمعه شعره ، واعتاد أن يعرض على ذوقه الأدبي المصقول كل ما يقرضه ، وصار ذلك طبعاً في حافظ حتى إنه ليتحسس مواطن الأدياء والشعراء في المجالس والأندية كي يسمعهم نظمه .

وكان المرحوم ، مصطفى صادق الرافعي ، قد نظم أول عهده بالشعر قصيدة في مدح الإمام وأنفذها إليه ثم لقي حافظاً فقال حافظ إنه تلاها على الإمام وإنه استحسناها ، فقال له الرافعي ، فإذا كانت كلبته فيها ؟ قال : إنه قال لا بأس بها ، فاضطرب شيطان الرافعي من الغضب وقال إن الشيخ ليس بشاعر ، فليس لرأيه في الشعر كبير معنى . فقال له حافظ ويحك . إن هذا مبلغ الاستحسان عنده . قال الرافعي : « قلت لحافظ وماذا يقول لك أنت حين تنشده ؟ قال أعلا من ذلك قليلاً . فأرضاني والله أن يكون بيني وبين حافظ (قليل) وطعمت من يومئذ ، وأنا أرى أن حافظ إبراهيم إن هو إلا ديوان الشيخ محمد عبده لولا أن هذا هذا لما كان ذلك ذلك ^(٢) . »

قراءة وعبد المطلب

فضل الأزهر على المرحوم ، محمد المطلب ، الشاعر معروف لا يمحى ، فقد اغتنى بثقافته في الصبا سبع سنين قضاهما بين طلابه ، وهي فترة ليست قصيرة في حساب ذوى المسكات والموهوبين ، ثم التحق بمدرسة دار العلوم العليا فدرس كتب الأزهر فيها ، وتلقى العلم والأدب على أساتذة الأزهر بها . كالشيخ حسن

[١] نقلنا ذلك من بحوث المرحوم مصطفى صادق الرافعي في المقتطف ٢٠ من ذي القعدة

سنة ١٣٤٣ هـ الموافق أربوينة سنة ١٩٢٦ م .

(٢) مجلة الرسالة المجلد الثاني ص ١٨٨٢ .

الطويل والشيخ حسونة النواوي والشيخ سليمان العبد وغيرهم من العلماء والأدباء الذين أمدوا هذه المدرسة بالحياة ولولا أننا قصرنا حديث دراستنا على الأزهريين بدءاً ونهاية لكان عبد المطلب أحد الذين تناول حياتهم بالإسهاب ، وشعرهم بالدراسة والتحليل ، ولكننا نلج إلى اغتذائه بثقافة الأزهر وارتفاعه بعد مرحلة الطلب بعلم من شعرائه الأفاضل وهو المرحوم ، الشيخ محمد قراعة ، .

حين تخرج محمد عبد المطلب في مدرسة دار العلوم أصبح مدرسا بمدرسة «سوهاج» الابتدائية حيث قضى بها بضع سنين : ذاع صيته فيها بين كبار الحكام والأعيان وتعطرت مجالسهم بخطبه وقصائده « واختصه منهم بصداقته علامتنا الفاضل الشيخ عبد الرحمن قراعة ، فاقبض كثيرا من علمه وأدبه وطيب أخلاقه وسجاياه » (١) .

انعقدت الصداقة بين الرجلين ، والمرحوم الشيخ قراعة أديب خل وعالم فذ وشاعر ضخم فكان ذلك قادما فكر عبد المطلب ، باعنا على نمو قريحته وبسط أفقه ، وتذشيط موهبته ، ولا شك أن قراعة كان أسبق منه قرضا للشعر ، وأكثر منه دراية بالعلم والأدب وفنونه ، وهو بهذه المثابة أولى بتوجيه عبد المطلب وتهذيب فكره وتقويم شعره ، ولعلنا لا ننسى أثر المرحوم «إسماعيل صبرى باشا» في ترويح الشعر وتهذيبه وصقله فقد كانت داره منتدى للشعراء يعرضون شعرهم على أذنه الموسيقية التي يؤذيها نغم الوتر ، وكذلك كان قراعة اتخذ من بيته كلبا حل ناديا للأدباء والشعراء ، وكان عبد المطلب ألصق الناس به وأكثرهم ملازمة له ، وهو يحدث بذلك في ديوانه إذ يقول : « وكانت بيني وبين الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة صداقة انعقدت بيننا منذ سنة ١٨٩٧ م وكنت من الذين يعرفون فضله في العلم والأدب فلا غرو أن ترى لي فيه قصائد عدة ، أهديت إليه خلعه تشريف العناء فقلت أهنته :

أجد عهدك في التشبيب بالغيد ووجد يحمي بتخان الأغاريد

ويقول في هذا القصيدة مادحا قراعة :

(١) من كلية المرحوم الأستاذ السكندري في تأيين عبد المطلب وهي في مقدمة ديوانه .

وللفصاحة من ألفاظه درر تملو فرائدها من غير تضديد^(١)
تجلو المعاني للأسماع صافية تروى النفوس بمحلول ومعقود^(٢)
وللبلاغة في أسلوبه نغم يغنى الأديب بها عن نعمة العود
بكل معنى جرى حسن البيان به مع البلاغة جرى المساء في العود

ويقول د. وكان صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن قراعة جاراً إلى
بسوهاج فلما نقل إلى أسوان ونازعني الشوق إلى رؤيته كتبت إليه مشطراً البيتين:
د. أمر على الديار ديار سلى الخ ، : وقد رد عليه قراعة بشعر رقيق لطيف :

وفي ديوان عبد المطلب كثير من شعره الذي نظمه في صديقه قراعة . ومن
الطريف أن أول قصيدة تطالعك في ديوان عبد المطلب في حرف الألف وتجهها
إلى قراعة رداً على كتاب ورد منه . وأن الديوان يكاد ينجم بقصيدة قالها
عبد المطلب في توديع الشيخ قراعة يوم نقل من سوهاج إلى أسوان في فبراير
سنة ١٩٠٥ م . ومما جاء فيها .

فيا قاضيا بالدين تجرى فعالة ويرضاء في أحكامه العمران
ويا نائباً في دينه عن نبيه نياحة فضل لاتشان لشانى
ويا أيها البحرين كيف افترقنا وقد مرج البحرين يلتقيان ،
تقاسمتا منا قلوبا قد اغتدت بسوهاج من آدابكم بلبان

أما بعد ، فليس هؤلاء وحدهم الذين انتفعوا من أدباء الأزهر وكانوا تلامذة
وأشباهم لهم . فغير هؤلاء كثير وكثير ، راض شعراء الأزهر وأدباؤه بيانهم ،
وصقلوا شعرهم وهذبوا فكرهم ووجههم إلى الأدب الناصح والبيان الكريم ،
من أمثال محمود صفوت الساعاتى وحفنى بك ناصف وغيرهما فقد وجد هؤلاء
من خول البيان في الأزهر معينا لا ينضب ، وهدى لا يضل ؟

(١) الفرائد الجوهريّة النقيصة وإحداها فريدة وتضديدها ضم بعضها إلى بعض في الساق .

(٢) المحلول من الشراب الرقيق ، والمعقود التليظ التحين .

الاسلام

يدعو إلى عزة الفرد والجماعة

لمحاضرة الأستاذ الشيخ محمد ابراهيم الحفاوى

وكيل معهد سمود الدينى

نظرة عابرة إلى الشريعة الإسلامية وما اشتملت عليه من المثل العالية والحكم السامية تدلنا بوضوح على سعة مداها فى إصلاح العالم . وكفالة تعاليمها بانقاذ البشرية الضالة وتطهيرها من الأدران المتأصلة ، والأوباء المستعصية . التى شملتها وسدت مسالكها وطرقاتها ، حتى لقد غيرت مجرى التاريخ ونظمت سير المؤمنين . وفنحت للناس عالماً جديداً ملؤه الهدى والنور . بفيض بالأمل وبزخر بالرجاء ويحقق سعادة الدنيا ونعيم الآخرة ويثبت الطمأنينة فى النفوس المضطربة الحائرة . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . على أن أبرز الخطوط فى الشريعة الإسلامية وأوضح المعالم فى هدايتها السماوية هدفها إلى عزة الفرد وحرصها على كرامة المجتمع . بوضع الأسس الثابتة القويمة إلى الحياة الحرة الكريمة فأطلقت العقول من قيود الجهل وحررت النفوس من سجون الوهم وطهرت النفوس من أرجاس الشرك ، وأنقذت الناس من ذل العبودية للأحجار إلى عزة العبادة للواحد القهار ، فمزت عقائدهم بعد ذله ، وسمت نفوسهم بعد ضعة واهتدت قلوبهم بعد ضلال هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى ، ألغى الاسلام الفوارق الاجتماعية . وقضى على نزعات العصبية ، فليس هناك عظيم وحفير . وصعلوك وأمير ، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، فأكرم الناس أئفامهم وأفضلهم ماعم فضله وأنفعهم ما شمل بذله ولقد شعر الناس بعزة الاسلام أصدق شعور وأحسوا به أعمق الاحساس وأدركوه غاية الإدراك . حتى لقد كان الغليظ الجافى من جفأة الأعراب يقدم على الرسول وهو جالس بين صحابته فيقول له يا محمد أعطني من مال الله الذى استخلفك فيه

لا من مال أيك وجدك - فلا يخرج النبي صلى الله عليه وسلم من وقاره - ولا يضرب عنه صفحه ، بل يتسم في صفاء ويأمر له بإجابة طلبه ويحميه ما بهم به الصحابة من تأديبه على إساءته القول وغلظته في التعبير ، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يتألم غاية الألم حينما يرى مسلماً أذل نفسه وامتن كرامته وطاف يسأل الناس . لما في ذلك من إهدار الشخصية وفقدان الثقة بالنفس ، ويقول عليه السلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس ، والزكاة المفروضة إنما شرعها الله لسد حاجة المحتاجين وإقامة أود المعوزين ولكن بطريقة تحفظ للفقراء عزتهم ، وتبقى لهم كرامتهم وتصور لهم ماء وجههم .

والإسلام هو الذي جاء فوجد المرأة متبوءة في المجتمع ، يستقبل ميلادها بالأسى والحزن ، وتدفن حية في التراب ، وتورث كما يورث المتاع ، وتلاحقها الذلة في كل نواحي حياتها - فأعلى من شأنها ، وأعلى من قيمتها ، وبين للناس قدرها وأنزل في الكتاب قدسيته فأشعرها العزة ، وكساها ثياب الكرامة حتى علا شأنها ونافست الرجل في طريق العلا ، وساهمت مغامر المجد وخلدت اسمها بجانب الرجل بفضل ما أفسح لها الإسلام من مجال ، وأخذ بيدها إلى مراقى القوة ، ومدارج الكمال ، وهكذا نجد العزة ، تشيع في المجتمع الإسلامي ، ونلح الكرامة في كل مظاهر الإسلام ، فالمسلم عزيز في عقيدته ، عزيز في نفسه ، عزيز في بيته ، عزيز في مجتمعه ، وما كانت حروب النبي صلى الله عليه وسلم في الأعم الأغاب إلا دفاعاً عن كرامة الإسلام ، وحفاظاً على هيبة المسلمين ، وإبقاءً على حرمة المجتمع الإسلامي من أن تنالها يد الطغيان أو يصب بها ذو البغي والعدوان ، ولقد عرف المسلمون الأولون ذلك الهدى من شريعتهم ، فعملوا له بإخلاص ، وفنوا فيه بصدق حتى تغلغل في نفوسهم وتمسك من قلوبهم ، وسيطر على عواطفهم ، وظهر فيما صدر من أعمالهم وأقوالهم مهما كلفهم من مجهود وتقاضاهم من متاعب .

والناظر إلى حروب النبي وأصحابه يجدها حافلة بأسمى مواقف العزة ، فياضة بشتى معالي الكرامة ، جياشة بكل معنى كريم وموقف حكيم ، وها هو التاريخ يتحدثنا عن غزوة الخندق التي تجمعت فيها الجموع ، واتحدت كل أحزاب الشر ، ونسكتلت كل أحلاف الشيطان لتقضى على محمد وأصحابه - فقد علا صيته ، وارتفع

شأنه ، وصار خطراً على كيانهم ، ومعولاً يهدم في بنيانهم ، وسبفاً مصلتنا على ظلمهم وطفليانهم ، ونظير محمد بعد أن ثبت المشيطون ، وتهرب المنافقون - وثبت المؤمنون الصادقون - فشرع في تجربة يكشف بها مدى ثبات المؤمنين - ويعرف قوة احتمالهم ومبلغ يقينهم ، فأرسل إلى الأعداء يصالحهم على ثلث ثمار المدينة ، ويرجعوا دون قتال - فقبلوا وكتبوا وثيقة بذلك ، وأرسلوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم لإتمامها وإمضاها - فجمع النبي عليه السلام أصحابه ليعرف رأيهم ، واتجاههم فقام السعدان بن معاذ وابن عبادة وقالوا يا رسول الله أمرأتجبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعه لنا ، فأجاب عليه السلام : بل شيء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتمكم من قوس واحدة ، وكالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما - فقال سعد بن معاذ يا رسول الله : قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان - لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو يبعأ . أخين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ، والله ما لنا بهذا من حاجة ، لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فاستبشر النبي صلى الله عليه وسلم وتهلل وجهه وقال : (فأنت وذاك) ، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فحما ما فيها ورفض المسلمون في عزة وإباء ، ذلك الصلح الذي رأوا فيه ما ينال من كرامتهم ، ويحط من عزتهم واستمعوا على موقفهم العزيز الكريم حتى هزم الله الأحزاب . . ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . .

وها هي ذي مصر تثب وثبتها الكريمة وتسلك طريقها القويمة وتتجه في عزة وإيمان إلى طرد غاصبها ، واستخلاص حريتها واستعادة مجدها وعزتها وقد خطت بحمد الله خطوات موفقة قربتها إلى الغاية وأدتها من الهدف .

ستجنى في القريب العاجل إن شاء الله ثمرة جهادها وثمن ما قدمت من دماء أبنائها هنالك يخسر المبطلون ويندم المتخاذلون المشيطون ويفرح بنصر الله المجاهدون النابتون ، فقد دنت ساعة النصر ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم . وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

من أحداث التاريخ

الاسلام لا يغلب

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم علي سموط

المدرس بكلية اللغة العربية

وهل رأيت في وقائع الزمن ، وروائع الحادثات أن هدفا وجهت إليه المدمرات ليبيد ، وصوبت إليه السيوف ليقطع ، والحرب ليخرق ويمزق حتى يهلك ؛ ثم إذا مرت ليال وأيام ، وكشف عنه غطاء الأحداث وجد سليما معافى لم يمر البلى بأجزائه ، ولم يتسرب الفساد إلى شيء من مقوماته ؟

هل رأيت أمرا عبرا كهذا الأمر ؟ يذهب بالفكر مذاهب التيه والخيرة ؛ ويضرب بالخيال في مهامه ليس لها منتهى ، ولا إلى الخروج منها سبيل ؟

هذا هو حال الإسلام كعقيدة يعتدى عليه في شخص المسلمين كدول وجماعات وذلك سر من أسرار الشريعة الإسلامية لم يدركه لأن تعليقه ، ولم تظهر للناس حكمته ؛ وإن برهن التاريخ على أن ذلك كان .

فقد امتحن الإسلام في قلوب المسلمين ، وابتلى بهزات عنيفة أدركته في كل عصر من حياته ، فخرج منها ظافرا متجاهلا ما أصابه ، ساخرأ من عقلية المعتدين عليه .

ولم يكن غريبا على الإسلام أن يعتدى عليه ؛ فقد نشأ بين قوم معتدين ، وترعرع في بيئة كانت تحاربه وتحرص على القضاء عليه ، فلم يكد يتم أمره ، ويقوى عوده ، ويدوق المسلمون حلاوته حتى انتقضت الجزيرة كلها بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام ؛ ووقف أبو بكر رضي الله عنه يقلب الأمر على وجوهه ، وقد اضطربت الأرض نارا من حوله ، وخلع العرب الثوب الذي ألبسهم إياه

رسول الله ، متعللين بالتخلص من ضريبة الزكاة التي كانوا يرون أنها من حق رسول الله وحده ، ثم صارت في نظرهم الآن تحمل وصمة الضريبة ، وذلة الاناوة . وكشف القناع قوم آخرون ، وارتدوا عن الإسلام في وضوح النهار غير مباين بقوة الخلافة ، وشعور المسلمين ، واستمرت حركة التذمر تزداد في صورة مفزعة حتى تشجع الجبان ، واجترأ الضعيف ؛ فعادت الجزيرة جاهلية كما كانت تعلن عداها للإسلام والمسلمين .

ولم يبق في ظل الإسلام سوى المدينة وبعض ضواحيها ، وشعرت طائفة المسلمين أول الأمر أن الزمام كاد يفلت من أيديهم ، وأنهم لا قبل لهم بالجموع التي ارتدت ، أو أعلنت عصيانها ثم أدركوا أنهم ما زالوا على الحق ، وأن قومهم قد ضلوا ، ورجعوا عن الأمر الذي حاربهم من أجله محمد عليه السلام ، فاستمسكوا بحبل الله ، وأخلصوا دينهم لله ، وجندوا أنفسهم في سبيل الله ، فزلزلت أركان الكفر ، وتصدعت صفوف المرتدين ؛ وما زالوا بهم حتى رجعوا إلى الإسلام صاغرين ، فكتب النصر لهذا الدين . [إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم] .

وهكذا شأن الإسلام الذي يخاطب القلوب ، ويمتزج بالدم ، وتؤمن به الروح شأنه ألا يغلب أبداً لأن عناصر القوة كامنة فيه ، وعلاج أمراض الجماعات مستمد منه ، ومقومات الأمم ، وصلاح البشر لب تعاليمه .

فإن رأيت مجموعة مسلمة في أي زمان أو مكان ذليلة حقيرة ، أو مستضعفة مظلومة أو متخاذلة متدبرة ليست على قلب رجل واحد ، فاعلم أنهم ليسوا مع الإسلام على وفاق ؛ ولا لتعاليمه عندهم وضوح ؛ وإنما صاروا مسلمين بالوراثة والبيئة التي لم تعظم من الإسلام سوى الاسم والمظهر ؛ فقيدوا في دفاتر المواليد مسلمين ، واتخذت بيوت عبادتهم الصورة التي كانت للمسلمين الصادقين .

لم توجد إلى الآن دولة في الأرض مسلمة تتخذ الإسلام ديناً وهي مستقلة مستعبدة بأي حال . لأن الإسلام بمعنى العقيدة لا يوجد أبداً مع الضعف والذل ، والخضوع والتفرق والتباغض ، والخيانة ، والغدر ، وموالات الأعداء .

ومن الظلم البين أن تحسب تلك الدول الذليلة المنحلة على الإسلام إلا إذا كان

الإسلام لحية ترسل ، ومسبحة تستغرق وقت صاحبها ، وألفاظا من طرف اللسان تصدر بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومساجد تعج بذوى العمام ، وتدوى بالتكبير والتهليل .

وكيف يعيش الإسلام في دول أو جماعات يكون شأن القادة والزعماء فيها أن يقولوا دائماً ولا يفعلوا ، وأن ينموا حتما ولا يغموا ، لم يقوموا على أمور الناس بما أمر الإسلام من سهر الراعى على رعيته ، ودفع ثمن الزعامة والرعاية من ماله وصحته وراحته ؟

استعرض التساريخ وقلب صفحاته تجد فيها ظاهرة عجيبة يراها الفاحص بعقله وقلبه ، وهى أنه إذا دب الخلاف بين المسلمين ، وانحلت روابطهم ، وانحطت أقدارهم ، وهانت منزلتهم ، يكون الإسلام في هذه الحالة قد جانبهم ، وانتزع تعاليمه من قلوبهم .

فإن رأيت أن فريقا منهم عدا على فريق ، أو رأيتم جميعاً غلبوا من عدو دينهم فلا تظن أن الإسلام قد غلب ، لأنه لم يكن هناك ؛ وإنما غلب المسلمون الذين لم يعملوا بالإسلام [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] .

مرت بالإسلام عن وكوارث في أزمنة متفاوتة ، فكان كلما استمسك المسلمون بالإسلام ، وتعلقوا بأهدابه ، ونزلوا بقوانينهم وأنظمتهم على أنظمه وأحكامه كتب لهم الفوز والنصر ، واحتفظوا لأنفسهم ولدينهم بالعزة والكرامة . وأما إذا أهملوا أمره وضعف إيمانهم به تركهم الإسلام لأعدائهم ينوشونهم بالسيف ، ويضأونهم بالآقدام وذهب عنهم بعيداً غير مغلوب ؛ وأنهم لهم المغلوبون .

ومن أهم ما ابتلى الإسلام به من عن في نهاية القرن السادس الهجرى حيث كانت الدولة الفاطمية قد انتهت على يد صلاح الدين الأيوبي . وشغل المسلمون بالخلافات وتدير المؤامرات من رؤساء الإمارات ، وصار كل أمير يكيد لجاره ومنافسه ؛ فتمحكت جموع أوربا المسيحية بتحريض رجال الدين فيها إلى غزو بلاد المسلمين والاستيلاء على بيت المقدس ، ونشطت الدعايات الدينية ، وقذفت أوربا بمجاهل المغيرين ، وظلت توالى غاراتها على آسيا الصغرى وبلاد الشام حتى كونت هناك إمارات ، وأقامت معازل وحصونا في غفلة من المسلمين أو في ذلة منهم حين تخاذلوا واختلقوا .

ولكنهم رأوا أن إسلامهم لا يقر النخاذل ولا يرضاه ؛ فنادوا باسم الإسلام من كان في قلبه ذرة منه ، وتنادوا بالجهاد في سبيل الله ، وهو أعر أركانه ، وأقوى بنيانه . فلما وجد الإسلام أنهم يتنادون باسمه ولبه وتعاليمه عاد فلأ القلوب الفارغة ، وزود الأرواح بالإيمان فأحبت الشهادة في سبيل الله ؛ فلما تآقت إلى الموت وهبت لها الحياة .

فأهى لإجولات لمعت فيها سيوف تعلقت بها أرواح أصحابها ، والتفت حول صلاح الدين الأيوبي ، ونبذت الخلافات ، وطرحت العداوات . فأصبحوا بنعمة الله إخوانا ونالوا من عدوهم كل منال ، وضربوا له في الشجاعة الأمثال .

ولم يكد يمضى بعد ذلك زمن على ظهور أمر المسلمين واجتماعهم تحت راية واحدة هي راية الإسلام حتى تورطوا في خلافات وعداوات وأصبح بأسهم بينهم فتقلص ظل الإسلام من القلوب في الشرق وفي الغرب مقدمة لزوال دولة المسلمين . ففي الشرق في بلاد ما وراء النهر وخراسان كانت دولة خوارزم شاه قد بلغت قمة مجدها ثم أخذت طريقها إلى الانحدار فظهر فيها الفساد حيث أخذ السادة بالترف والنعيم واللهو واللعب والانغماس في الشهوات والموبقات فاختل ميزان العدل ومال ، وتبوأ الظلم مقاعده في قلوب الرجال ، وانتزع الأمن والإيمان من الأقوياء والضعفاء .

وفي العراق شغل الخلفاء بمظاهر الآبهه ، وشكليات الخلافة فأهملوا شئون الرعية حتى عم الظلم والاضطراب .

وفي بلاد الشام ومصر أصبح في كل بلدة أمير من أعقاب الأيوبيين ، وفي كل شبر من الأرض ملك يدعى لنفسه قوة السالفين . فنشطت المؤامرات حتى كشفوا للصليبيين عن عوراتهم واستعانوا ببعضهم على بعض حتى تحطمت قوى الجميع على صخرة هذه الخلافات .

ولكن ما هو السر الحقيقي في تردد حال المسلمين في دولهم وجماعاتهم بين القوة الجارفة التي كان لهم فيها العز والمجد ، وبين الذل والاستكانة والخنوع لعدوهم ولدينهم ؟

السر في ذلك أنه حين تعمر القلوب بالإيمان ، ويشيع نوره في جوانبها تسمو النفوس وتقوّم الاخلاق ، ويحلو للسلم أن يضحي بكل شيء في سبيل دينه ؛ فتحقر الحياة في نظره ، ويتوق إلى الشهادة في تحقيق غاياته .

هنالك تسمو دولة المسلمين ، ويعز الإسلام في حواشها ، ويفشأ سباق جميل بين الإسلام والمسلمين ؛ فكلما حقق المسلمون هدفاً من أهداف الإسلام بدأ لهم الهدف الذي يليه قريب المنال ، سهل التحقيق . وتظل الأمور هكذا طالما كان الإسلام والمسلمون على وفاق .

أما إذا اتخذ المسلمون عن ركب الإسلام ، وأعشاهم نوره ، وبعدت بين الإثنيين المسافات ، ترك الإسلام جماعته ، وطوى عنهم بضاعته فلا يزالون ينحدرون ، وتنحدر بهم الاخلاق حتى يصبحوا وليس بينهم وبينه نسب أو سبب ، ويعود الإسلام غريباً بين المسلمين فيضيق بهم ذرعاً حتى يصيروا أبغض أهل الأرض إلى هذه العتيدة ؛ فيبحث الإسلام عن درع يحميه ، وفميلة تؤويه .

ولا يزال يبحث حتى يصادف قلوباً ضجعت من الفساد ، وملت الموبقات ، وضافت بالحياة الفاجرة ذرعاً فراحت تبحث من جانبها عن طريق الهدى والإنقاذ فتؤمن بألا منجاً من الهلاك في الدنيا والآخرة إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام كما كانت في حجره . فيظهر المصباح في الدجى المالك ، ويبدو المشعل الهادي في يمين الدعاة المخلصين ؛ وقد تقدموا الركب الحائر يوقعون الانقاص للحادى ، وينشدون نشيد الخلاص . فإذا جوانب الأرض تهتز ، وبراكين الثورات المكبوتة تنفجر في كل ناحية .

ثورة على الفساد والنفاق والكذب والجبن والتفرق والتواكل وحب الشهوات هذه الثورة هي دعوة الحق التي دعا بها محمد بن عبد الله ؛ فإذا أسلحة العدو مقلولة ، وأيديهم مغلولة ، وجموعه الكثيرة ذليلة أمام إيمان يقصم الحديد ويزلزل الجبال .

ويبدو الإسلام باسمه وضاح الجبين ، ناصحاً كما كان بيد داعيه وراعيه محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . فهل يغلب الإسلام ؟ لا وإنما يغلب المسلمون .

(يتبع)

تنظيم الحرب والسلام

للمؤسس الدكتور محمود فياض

المدرس بكلية أصول الدين

تقوم سياسة الإسلام الخارجية - كما عرفنا فيما سلف - على أساس الدعوة إلى الله بالتى هي أحسن ، وأن الظروف التى تحيط بالدعوة ، تحتم أن تكون مصحوبة بقوة عسكرية لحمايتها ، وتأمين القائمين بها ، ومن هنا كان « الجهاد » من لوازم الدعوة ، على نمط ما يسمى فى العرف الدولى اليوم « بالسلم المسلح » ، وأن هذه الدعوة قد تقبل ، وقد ترفض رفضاً سليماً ، أو رفضاً مصحوباً بتهديد الدعوة وأصحابها ، ولكل حالة حكمها .

ومعنى هذا الذى قلته : أن ردود غير المسلمين على الدعوة ، هى التى تحدد نوع العلاقات بينهم وبين المسلمين ، سلمياً وحرباً ؛ فمن قبل الإسلام ديناً فهو مسلم مكلف بما يكلف به المسلمون ، لا سيادة لأحد عليه إلا الله ، ومن ابغى السلم مع البقاء على دينه ، سلمناه وعاهدناه ، لأن السلم هو أنشودة الإسلام . « ادخلوا فى السلم كافة » ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، « ادفع بالتى هى أحسن » ، ومن أراد الحرب ، دافعنا عن كيانتنا مضطرين ، ونحن نؤمن بأن الحرب خطوة من خطوات الشيطان ، ولا نخوضها إلى مكرهين ؛

منهج الدعوة : وقد جرت التقاليد الإسلامية منذ عهد الرسول الكريم وخلفائه ، على اتباع منهج السلم فى الدعوة إلى الله . ألم تر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه ، يأمرون قواد جيوشهم بأمر لا تكاد ألفاظه تختلف إلا قليلاً رغم صدوره إلى الجند آلاف المرات ؛ « إذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم إلى إحدى ثلاث ، الإسلام ولهم ما لنا وعليهم ما علينا ، ثم جزتهم إلى غيرهم ، أو الجزية ، فإن أجابوك إليها فكف عنهم ، وهم فى ذمة المسلمين ، أو الحرب واستعن بالله عليهم ، ولهذا قال الفقهاء ، « إننا بهذه الدعوة نعلم أننا لا نقاتلهم

على أخذ أموالهم وسبي عيالهم ، فربما يجيئون إلى المقصود من غير قتال ، وقتالهم قبل الدعوة لئلا يثم يستوجب غضب الله .

ولتعلم مبلغ اصرار الإسلام على التزام السلام ، ونفوره من العدوان ، أقول لك : إن الخليفة الثاني ، عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان يحتم على قواده عرض الاسلام من جديد على كل من بلغته الدعوة ، وردھا زمن النبي عليه السلام وخليفته الصديق ، عرضاً فكرياً أساسه الحجة والبرهان توصلاً إلى إقناعهم ، ونفوراً من القتال ، وقد أمر « سعد بن أبي وقاص » قبل موقعة القادسية أن يرسل وفداً من علماء المسلمين إلى كسرى فارس « بزجرده » يدعو من جديد إلى الإسلام ، مع أنه قد وصله كتاب من الرسول فرقه ، واعتدى على الرسل ، ثم دعى مرات بعدها إلى الله بوساطة جنده وقواده قبل كل اشتباك بينهم في عهد أبي بكر ، فأرسل « سعد » إلى « بزجرده » وفداً فيه « النعمان بن مقرن » ، والأشعث ابن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، وعاصم بن عمر ، فعرضوا الاسلام على كسرى عرضاً جميلاً ، فأبى . فغيروه بين الجزية مع السلام . فغضب ولم يدع لهم فرصة . وقال : « لولا أن الرسل لا تقتل لقتلت لقتلتكم » ، ثم أمر بطردهم شر طردة ، وأن يحمل أشرفهم وقرا من تراب ، وتطوع عاصم بن عمر فادعى أنه أشرف القوم فحملوه التراب . ثم قال لهم كسرى : « إرجعوا إلى صاحبكم وأعلموه أنى مرسل إلیه » . رستم ، حتى يدفعكم وإياه في خندق سابور وينكل بكم وبه ، وإذن فهى الحرب ، وقد أعلنها كسرى على المسلمين الذين تشبثوا بالسلام ، ورأوا أن يعرضوا دعوتهم قبل المعركة على القائد العظيم رستم صاحب النفوذ الكبير في فارس فعساه يجيبهم إلى خطة سليمة رشيدة . فعرضوا عليه الاسلام ، وناقشهم كثيراً ، وكان مما قاله للمسلمين : فإن أسلنا فإذا ؟ قالوا : لكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وجزناكم إلى من ورائكم ، ليس لنا عليكم من سبيل ، ومع هذا اختار الفرس الحرب ، وانتصر عليهم المسلمون . وهذا الذى حدث مع الفرس - وهم أكبر دولة شغلت قوات المسلمين حتى تحطمت على أيديهم نهائياً - حدث مع غيرهم من الشعوب التى دعت إلى الاسلام فى كل مكان ، وكانت ردود القوم الذين حاربهم المسلمون ، ردوداً نارية كما رأيت فى رد كسرى ، وتستطيع أن تتبع أسباب المعارك الاسلامية كلها

وستجدها راجعة إلى هذا الذي ذكرته لك^(١) . ونحن نتحدى أن يدلنا أحد على مرة واحدة بدأ فيها المسلمون غيرهم بالعدوان ، ولم تفرض عليهم الحرب ، رغم تعلقهم بالسلام نخاضوها مرغمين !! وكيف يطلب خصوم الاسلام من المسلمين ، أن يقيموا وخدم على السلام حتى يحتاجهم قوات الاعداء ؟ إنهم إن قبلوا ذلك . كانوا أذلة . وتخلوا عن رسالتهم إلى الأبد !! وهكذا ترى أن غير المسلمين الذين رفضوا الدعوة هم الذين هددوا المسلمين ، وأعلنوا عليهم ، وحددوا بأجوبتهم نوع العلاقات مع المسلمين ، وأنهم اختاروا حالة الحرب ، وستحدث عنها لكثرة ما يتعلق بها فيما بعد .

حالة السلام : والسلام هو الأصل في العلاقات الدولية في نظر الاسلام ، وهو إما سلام طبعى دائم ، وذلك في حالة اسلام الذين يدعون إلى الاسلام . فيصبحون أعضاء في الأمة الاسلامية أفراداً وشعوباً ، وأما أن يكون سلاماً هو امتداد للسلام وهو إما دائم تنظمه معاهدات دائمة . وذلك في حالة ما إذا قبل شعب دفع الجزية للمسلمين مع البقاء على دينه . كما حدث بين الرسول عليه السلام وبين نصارى نجران ، وأمير دومة الجندل والقبائل المسيحية واليهودية على البحر الأحمر ، مع خضوعهم الكامل لسيادة المسلمين ، أو مع استقلال ذاتي . كما في معاهدة أمير دومة الجندل^(٢) ، ومعاهدة عمير^(٣) بن سعد بن عبيد الانصاري لأهل بلدة عربسوس . ومعاهدة معاوية لأهل أرمينيا وأهل قبرص^(٤) ، وقد يكون السلام ناشئاً بعد حرب وذلك بعد هزيمة الاعداء فيصبح سلاماً دائماً تحكمه معاهدات خاصة تقتضيها الظروف ، وإما سلام مؤقت بعد حرب لم يهزم فيها العدو وهي الهدنة أو المهادنة ، كما فعل الرسول عليه السلام مع قريش في صلح الحديبية الذي جعلت مدته عشر سنين ، وتحديد التوقيت متروك لقيادة المسلمين على الأصح حسب ما يرون من مصالحهم ، قلت المدة عن عشر سنين أو كثرت ، وأن تشبث بعض الفقهاء بعدم الزيادة في المهادنات (الهدنة) عن عشر سنين .

(١) راجع أخبار الممارك في الطبري وابن الأثير وطبقات ابن سعد والبخارى . الجهاد .

(٢) انظر نص المعاهدة في سيرة ابن هشام « غزوة تبوك » (٣) أمير حمص من قبل عمر بن الخطاب .

(٤) الفتوح للبلاقرى ص ١٤٩ - ١٦٤ والمراجع التاريخية الأخرى .

فن اختار السلام ، وأخلى الطريق أمام المسلمين ، ودفع الجزية . عاهده المسلمون وهم في ذمة المسلمين . يحمون دماءهم وأعراضهم وعقائدهم وأموالهم ، ويخضعون لحكم الإسلام ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله . . غير أن الإسلام يشترط أن تكون رغبة القوم في السلام رغبة حقة لا تشوبها حيلة ، أو خداع ، أو تغرير بالمسلمين ، فإن دلت الظروف على أن القوم قد اختاروا السلام والجزية خدعة يراد بها الخلاص مؤقتا من خطر الحرب للاستعداد والتقوى مثلا — كما رأيناه في هدنة أرباب المدينة الحديثة — فعلى المسلمين أن يرفضوا خدعهم ، وحسب المسلمين نصر الله وقوتهم ، وإن يريدوا أن يخدعوك . فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين . . وإذا لم يظهر للمسلمين قبل المعاهدة ما يدل على نية الغدر من القوم فعاهدوهم وسالموهم ، ثم ظهرت بعد عقد المعاهدة أمارات يتوقع المسلمون بها غدر المعاهدين ، وجب على المسلمين إعلان فسخ المعاهدة ، لإعلاننا واضحاً لا لبس فيه ولا غموض ، ولا خنوع . . وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء أن الله لا يحب الخائنين ، وهكذا يأمر القرآن الكريم المسلمين في حالة توقعهم غدر المعاهدين ، بنبذ معاهدتهم نبذا قويا واضحاً ، وفي نفس الوقت يحرم على المسلمين أن يتخذوا من توقعهم غدر الخصوم سبباً للغدر بهم . كأن يهاجمهم بمجرد التوقع من غير إعلان فسخ المعاهدة ، وعد ذلك خيانة لا تقبل من المسلمين لأن الله لا يحب الخائنين ، ولا يهدى كيد الخائنين .

والإسلام لا يقصد من المعاهدات إلا إقرار السلام ليتفرغ الدعاة للهداية والإرشاد ، ويحتم الوفاء بها ما وفى بها المعاهدون ، . فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم . . ولا يبنى الإسلام من وراء المعاهدات سيطرة ولا تمسكاً ، ولا استعماراً ، ولا يتخذها وسيلة للتكليف بالطوائف والشعوب وإذلالهم ، واستغلال مواردهم ، بل يحرم كل معاهدة تهدف الى شيء من هذا الطغيان ، رجاء أن تكون أمة هى أقوى من أمة ، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها . وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً . إن الله يعلم ما تفعلون . ولا تكونوا كالتى نقضت عزها من بعد قوة أنكاثا . تتخذون أيمانكم دخلاً^(١) بينكم

أن تكون أمة هي أربي^(١) من أمة ، وهكذا لا يقر الإسلام معاهدة تملّيها القوة والطغيان : وتتخذ وسيلة لغش الشعوب وخداعها ، واستعبادها واستغلالها ، ويحرم على المسلمين قبول أحكامها ، كما يحرم عليهم إملاء مثلها ، حتى قال الفقهاء : لو أن أمير بلد عاهد المسلمين على أن يدفع لهم الجزية ويسلمهم ويعاونهم على عدوهم ، بشرط أن يتركوا له التجبر على رعيته وإذلالهم ، فإنه لا يحل للمسلمين معاهدته على ذلك ، وتجدر كثيرا مما يثير دهشتك في كتب الفقه في بابي الجهاد والمعاهدات ، مما يقطع بأن المسلمين كانوا حقا مبلغين عن الرحمن الرحيم سبحانه وتعالى :

وقد أمر القرآن بالوفاء بالعهد ، ولو أدى ذلك الى عدم نجدة إخواننا المسلمين الذين يقيمون في بلد غير إسلامي معاهد للمسلمين ، والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا . وإن استصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق . . . مع أن القرآن يعتبر المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلادهم أمة واحدة ، ومقتضى هذا أن كل عدوان يقع على طائفة أو شعب من المسلمين فهو عدوان على الأمة الإسلامية كلها يجب عليها أن تتعاون على دفعه . وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . . . إنما المؤمنون إخوة ، ولكن القرآن في مثل هذه الحالة يأمر المسلمين بعدم نجدة إخوانهم حتى لا يوصف المسلمون بالحيانة ، ونقض العهود ، وهو وصف يصد الناس عن الإسلام ، ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم ، فزّل قدم بعد ثبوتها ، وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم .

فإذا أخل المعاهدون بشروط المعاهدات . كلا . أو بعضا . فقد نقضوا المعاهدة ، ووجب على المسلمين قتالهم ، واعتبر هذا النقض عدوانا وإعلانا للحرب على المسلمين ، وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم . وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر لأنهم لا أيمان لهم . . . ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم ، وهموا بإخراج الرسول . وهم بدوكم أول مرة ؟

ومن هنا تدرك أن حالة السلام بين المسلمين وغيرهم . تنظمها معاهدات خاصة ، يجب على طرفي التعاقد التزام شروطها والوفاء بها ، واحترامها ، ولا يحل نقضها ، وللمعاهدات شروط يجب تحققها لتكون محترمة في نظر الإسلام ، والوفاء بها ، أو عدم اعتبارها منوطان بتحقق هذه الشروط التي أجل لك الحديث عنها في العبارات الآتية :

شروط الوفاء بالمعاهدات :

(١) يجب أن تكون المعاهدة متفقة تماماً مع المبادئ والأوضاع الإسلامية التي اختارها المشرع سبحانه للمسلمين . فإذا ناقضت نصاً ، أو تشريعاً إسلامياً . كأن تحل حراماً أو تحرم حلالاً فهي باطلة ، وكمعاهدة تجعل لغير المسلم سلطاناً على المسلمين لأن الله يقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » .

(٢) يجب أن تتفق المعاهدة مع ما قرره الله من السيادة للإسلام ، وسلطان المسلمين على بلادهم ، فإذا تضمنت المعاهدة نصاً يناقض ذلك فهي باطلة . كمعاهدة تمنح غير المسلمين وغير الذميين حقوقاً في بلاد المسلمين لا تكون إلا للمسلمين . كحق وضع جيش أو قوة عسكرية رمزية في أرض المسلمين ، أو حق الارتفاق بمرفق إسلامي ، أو حق احتكار شيء يضر احتكاره بالمسلمين ، أو حق المرور بأرض المسلمين ، وتسخير مرافقهم بأي شكل من الأشكال ، لأن ذلك ، يناقض ما كتب للإسلام وللمؤمنين من السيادة والعزة « والله العزة والرسول وللمؤمنين » ، وعلى هذا فكل معاهدة لا تتضمن عزة المسلمين ، وعلو كلمتهم ، وصيانة دينهم ، وحفظ جميع صواحبهم فهي باطلة . وبعبارة أخرى . كل معاهدة تتنافى مع سيادة الإسلام وأهله في أرضهم ، أو تقيدها أو تحد من سيادتهم فهي باطلة .

(يتبع)

تهنئة بالعيد

رأى العيد وجهك عبداً له	وإن كنت زدت عليه جلالاً
وكبر حين رآك الهلال	كفعلك حين رأيت الهلال
رأى منك ما منه أبصرته	هلالاً أضاء ووجهاً تلالاً

من طرائف القرآن الكريم

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتى عوض الرامحي
المدرس بالأزهر

نقتصر في بحثنا هذا على ست طرائف تتعلق بتشابه النظم في قصص القرآن الكريم حيث يكون المعنى الأصلي واحدا يحكى في أكثر من موضع بعبارات تختلف تقديمها وتأخيرها وذكرها وحذفها ونحو ذلك نكشف عن سر ذلك تفصيلا بعد أن عرف أجمالاً ومناسبة المقامات المختلفة لمقتضيات أحوالها المختلفة .

الطريقة الأولى : في قوله تعالى . في سورة هود . قصة . ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا . . . مع قوله تعالى في نفس السورة قصة شعيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة . . . مع قوله تعالى في نفس السورة قصة لوط . فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مع قوله تعالى في نفس السورة قصة صالح فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا . فإن آيتي هود وشعيب نسقتا بحرف الواو بينما آيتنا لوط وصالح نسقتا بحرف الفاء في الأولين : « ولما جاء أمرنا » وفي الآخرين « فلما جاء أمرنا » فهل من سر لهذه التفرقة ؟ الجواب نعم ، وسر عظيم . فإنه حيث يتقدم في نفس القصة وعيد بالعذاب مقرون بالدلالة على قرب وقوعه يكون حرف الفاء ، وحيث لا يتقدم ذلك يكون حرف الواو ، وذلك لما في طبيعة الحرف الأول من الدلالة على التعاقب دون الثاني ، ففي قصة لوط تقدم تقدما مباشرا قول الملائكة لوط : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ؟ وفي قصة صالح كذلك تقدم تقدما مباشرا قوله لقومه : « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب » أما في قصتي هود وشعيب فلم يتقدم في الأولى إلا قوله لقومه : « فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ » ولم يتقدم في الثانية إلا قوله لقومه : « سوف تعلمون من يأتيه عذاب تخزيه ومن هو كاذب وارهبوا أنى معكم رقيب » .

فهذان وإن كان فيهما إبعاد وتهديد بمجيء بأس الله وأمره إلا أن ذلك عار عن توقيته والدلالة على قرب وقوعه .

هذا جانب من جانبي هذه الطريقة ، أما الجانب الآخر فهو أن قصص هود وشعيب وصالح يذكر فيه بعد مجيء أمر الله نجاته النبي والذين آمنوا معه ثم يتلوهم هلاك الأقوام ، وفي قصة لوط خاصة لا تذكر نجاته عقب ذكر مجيء الأمر بل الذي يذكر مباشرة هلاك قومه . . . والسرف في ذلك أن لوطا لم يكن حين مجيء أمر الله بين قومه حتى ينص على نجاته بل أنه غادرهم قبل ذلك حيث قيل له فأسر بأهلك بقطع من الليل ، فأذعن للأمر . . . ثم صبحهم العذاب . . . أما الأنبياء الآخرون فلم يكونوا قد فارقوا أقوامهم قبل مجيء هذا الأمر ^(١) .

الطريقة الثانية : في قوله تعالى في سورة هود ، قصة هود ، وأخذ الذين ظلموا الصيحة ، مع قوله تعالى في نفس السورة ، قصة شعيب ، وأخذت الذين ظلموا الصيحة ، فالفعل في الأولى مذكر وفي الثانية مؤنث والفاعل واحد والتركيب واحد فما سر ذلك ؟ الفعل جائز التذكير في هذا التركيب على أرادة الصوت من الصيحة ، كما أريدت الصيحة من الصوت في قول القائل :

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

وجائز التذكير لوجود الفاصل بينه وبين فاعله ، حتى لو كان فاعله حقيقى التأنيث ، فكيف وهو مجازيه ، فإذا كان ذلك كذلك ، وكان التأنيث هو الآخر جائزا ، وكان التأنيث فرع التذكير على ما هو مقرر في علوم العربية ، ولتقدم الذكر على الأنثى كان من وضع الأول في الأول والثاني في الثاني التذكير أولا والتأنيث ثانيا ، فيرد القرآن بالطريقتين بيانا لجوازهما فهو كتاب العربية الأكبر وديوان تراكيها وقاموس عباراتها .

الطريقة الثالثة : في قوله تعالى في سورة هود قصة هود ، وانبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة . . . مع قوله تعالى في نفس السورة قصة موسى ، وانبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بثس الرعد المرفود ، فالتركيان وإن كانا في قصتين

(١) مراجعة الآيات ودراسة القصص تبين على سرعة ادراك هذه الطرائف .

مختلفتين إلا أنهما في سورة واحدة ومعنى واحد ، وحيث كان في أولها اتباع اسم الإشارة بما بينه وهو لفظ ، الدنيا ، كان في ثانيهما الاستغناء عن ذكره . ولهذا لم يقع هذا الاستغناء عن هذا البيان حيث وقعت هذه العبارة واحدة في سورة القصص قصة موسى أيضاً .. هذا لو لم تكن قضية المقابلة بين يوم القيامة وما قبله من الإشارة معنية على بيان هذه الإشارة عند حذف هذا البيان ، فكيف وهي كذلك ؟؟

الطريقة الرابعة : الذين ذكر الله نجاتهم مع الرسل اضطرد التعبير عنهم بالاهل في سائر مواضع قصة لوط « فنجينا وأهله أجمعين » ، « فأنجينا وأهله إلا امرأته » ، « إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين » ، ويعبر عنهم بالاهل تارة وبغير الاهل أخرى في قصة نوح « فنجينا وأهله من الكرب العظيم » ، « فأنجينا ومن معه في الفلك المشحون » ، « ونجى ومن معي من المؤمنين » ، « احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن » . ويطرد التعبير عنهم بغير الاهل في قصص هود وصالح وشعيب « نجينا هودا والذين آمنوا معه » ، « نجينا صالحا والذين آمنوا معه » ، « نجينا شعيبا والذين آمنوا معه » . ولعل ذلك - والله أعلم - لأن قوم لوط كان فيهم إطباق على الكفر ، فلم يؤمن إلا إبطاء وإحدى زوجته . وكان ذلك هو كل الناجين معه حين خرج بهم ليلا قبل نزول العذاب ، ولا شك أنهم محض أهله . ويتلوه في هذا المعنى نوح فقد آمن معه قليل ، اختلفت الروايات في بيانه من ثمانية إلى ثمانين ، وكان من هذا القليل من هم محض أهله من أولاده ونسائه ونسائهم ، فتردد التعبير في قصته بين التعبير عنهم بالاهل تارة وبغيره أخرى وبالجمع بين الاهل ومن آمن تارة ثالثة ، أما أقوام الأنبياء الآخرين فكان في مؤمنهم كثرة كثيرة ، فحسن التعبير عنهم في معرض نجاتهم بما كان سبباً في هذه النجاة وهو الإيمان .

الطريقة الخامسة : في قوله تعالى في سورة المؤمنون قصة هود « فبعداً للظالمين » مع قوله تعالى في نفس السورة في أقوام رسل أخرى كثيرة « فبعداً للظالمين » . لماذا - والمعنى واحد والتركيب واحد - عرف القوم الأول ووصفه بالظلم ، ونسكت الثاني ووصفه بنفى الإيمان ؟ . عرف القوم الأول لأن

المراد به قوم مخصوص معين هو قوم هود ، ونسك الناني لأن المراد به أقوام كثيرة لم يقع تعيينهم في الحكاية ، ألا يرى إلى قوله تعالى عقب قصة نوح في نفس السورة « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » فإنه تعيين لقوم هود ؟ وإلى قوله تعالى في نفس السورة بعد قصة هود « ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » فإنه إبهام لهذه القرون ؟ . ووصف القوم الأول بالظلم لما ذكر في مطاوى قصتهم في هذا الموضع من الاطناب في بيان كفرهم وعنادهم وظلمهم لرسولهم الذي أرسل إليهم ولنفسهم التي تمكن بين جنبيهم ، مما كان له مدخل في تعيينهم وتعريفهم ووصفهم بهذه الصفة . أما القوم الثاني فلأنهم لم تحك أمورهم إلا على سبيل الاجمال ، اكتفى بالوصف الاجمالى الذى هو عدم الايمان ، وأريد كل من لم يؤمن منهم ومن غيرهم .

الطريقة السادسة : في قوله تعالى في سورة الحجر قصة لوط « فأخذتهم الصيحة مشرقين » مع قوله تعالى في نفس السورة قصة صالح « فأخذتهم الصيحة مصبحين » . هل من سر للغاية بين « مشرقين » ، « مصبحين » ؟ الوقتان المذكوران الصباح والشروق كوقت واحد من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، فأبما كان التعبير بمشرقين أو مصبحين فهو صحيح بحسب مبدأ الوقت ونهايته . فقوم صالح نزل عليهم العذاب صباحا ، ولم تبين الحكاية امتداده إلى الشروق سواء كان في المحكى تمتدا إلى الشروق أم لا . وقوم لوط بينت الحكاية امتداد نزول العذاب عليهم إلى الشروق ، ولا شك أنه بدأ صباحا على ما هو مذكور في مواضع أخرى . « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » . « ولقد صبغهم بكرة عذاب مستقر » .

فيؤول السؤال إلى أن قوم لوط مبين في عذابهم لامتداده من الصبح إلى الشروق دون قوم صالح الذين اكتفى فيهم ببيان أنه نزل عليهم صباحا . فإذا علمنا أن قوم لوط كانوا في كفرهم وجرمهم أبشع وأشنع من قوم صالح الذين كان لهم في كفرهم هوادة على ما سبق بيانه في مباحث ماضية ، علمنا لماذا كان كل صنيع في موضعه . حيث كان بيان امتداد العذاب وتطاول مدته في صدد الحديث عن الاظلمى الأظلم . وكان الاكتفاء ببيان مجرد نزول العذاب في مبدأ وقت نزوله بصدد الحديث عن الأقل ظلما وطفيانا ؟

العصامي المنصور

لفضيل الاستاذ الشيخ محمد خليفة

المدرس بالأزهر

تسع جوانب التاريخ الإسلامي لعشرات من العصاميين الذين سودتهم نفوسهم وبنت لهم سواعدهم بروجاً تتطامن عندها هامات المتوجين ، أو شادت لهم عبقرياتهم مجداً شاعراً تعنو لديه رؤوس المالكين ، وبين جوانب التاريخ صفحة براقة العنوان وضادة السطور للعصامي المنصور ، المنصور بن أبي عامر المعامري العربي ، الذي وثب جده « عبد الملك » مع الوائين من جند « طارق » إلى بلاد الأندلس ففتحوها وظل أبناء عبد الملك وأحفاده يتناسلون في بلاد الأندلس ، حتى ولد المنصور في قرية « تركش » ، ونشأ بها نشأته الأولى ، ثم نزح إلى « قرطبة » عاصمة الملك وعط النازحين من علماء الشرق وأدبائه ؛ فتنقل بين مساجدها ومدارسها ومكاتبها ينهل من العلم والأدب ما راق له ، وقرطبة في ذلك التاريخ تنافس « بغداد » في علمها وحضارتها ، بل تبرزها في فنها وعمارتها ومجدها وسياستها ؛ ونضجت عقلية المنصور في ذلك الجو الزاخر بالعلم والأدب والسياسة ، وهياً له قلبه مكانة في الكتابة بعد أن بحث أحوال ذلك المجتمع ، ثم أرسل نقشات قلبه تصور ما عن له من مشاكل .

وقد اتخذ لنفسه مكاناً على مقربة من قصر الخليفة « الحكم المستنصر » ؛ يكتب للظلمين شكاياتهم التي يرفعونها إلى الخليفة وعلمت (صبح) زوجة الحكم بمكانة المنصور في الكتابة ، فطلبت من الحكم أن يعينه كاتباً لها ، ومن ثم نبه شأه ، وتجلت كفايته ، فولاه الحكم قضاء بعض الأقاليم ، فظهر عدله وكياسه ، وقد تمكن في قلبه (صبح) بما قدم لها من هدايا وتحف .

ولما توفي الحكم وخلفه ابنه « هشام المؤيد » وهو ابن اثني عشرة سنة ، تمرد الروم على الدولة ، ونقضوا عهودهم مع المسلمين ، فخرجت الجيوش الإسلامية بقيادة « المنصور بن أبي عامر » وهزمت الروم شر هزيمة ، ومن هنا ظهر نجم المنصور وازدهر .

دهاء المنصور :

في قرطبة شخصيات جبارة ، وطوائف وأحزاب تتنازع السلطان ، ففيها الصقالية الذين يؤلفون قوة لها في قصر الخليفة منزلة ، وفيها ، غالب ، صاحب مدينة سالم وهو رجل له بأسه وسلطانه ، وفيها « جعفر بن الأندلسي ، قائد الشيعة وزعيمهم ، و«مدوح بن هانيء ، ، وفيها « عبد الرحمن بن هشام ، التجيبي وهو رجل له قوة وله أعوان ، وأخيراً في الأندلس جنود ، فكيف يستطيع المنصور أن يتغلب على كل ذلك وهو الطامح إلى أن يصبح اسمه الثاني بعد الخليفة في الأندلس ، بل الطامع في استلاب كل شيء من يد الخليفة ، وأن يصبح هو الخليفة غير المتوج ؟ فأعمل الحيلة والدهاء ، واستغل المصحفي في القضاء على الصقالية حتى قضى عليهم وتخلص من نفوذهم . ثم استعمل دهاؤه في استئصال الوزراء إليه وتظاهر بحبهم وأعمل دسائسه حتى ملأ قلوبهم حقداً على المصحفي ، ثم استعان بغالب صاحب مدينة سالم في القضاء على المصحفي ، ففرض عليه وتزوج عندئذ ابنة غالب ، ولكن هذه المصاهرة لم تحل بينه وبين التفكير في القضاء على غالب حيث اتصل بقائد الشيعة ، ويمكن له من القضاء على غالب واستعان بعد ذلك بعدد الرحمن التجيبي في القضاء على قائد الشيعة ، وأخيراً خشي تأمر الجنود الأندلسيين وأن يقتلوا له بعد أن رأوا هذه الشخصيات التي تطيح الأفئدة برؤوسها نتيجة تدبير المنصور ، فدبده إلى أفريقيا واستقدم جنوداً من زناته وبرابرة المغرب ومكن لهم الأندلس ففرض عليهم على صولة الجنود الأندلسيين .

وهكذا أخذ المنصور بدهائه وحسن سياسته يستعين بزعم في القضاء على زعيم ويضرب هؤلاء بأولئك حتى قضى على الجميع ، وأصبح هو وحده كل شيء في الدولة .

حروب المنصور :

ابتدأت حياة المنصور الحربية بتلك المعركة التي انتصر فيها على الروم ثم توالى غزواته حتى بلغت ستاً وخمسين غزوة لم يهزم له فيها جيش ولم تنكس له راية . وقد أنشأ للدولة أسطولا عظيماً ساعده غزو التتار ولم تنجح له همة أمام الحصون الجبارة التي تحصن بها أولئك النصارى وأعظم تلك الغزوات غزوة

(شفت ياقب) وكانت هذه المدينة حصنا للنصارى وبها كنيسة هى عندهم بمنزلة الكعبة عند المسلمين يحجون إليها من أقصى البلاد ، ولم يستطع أحد من ملوك الأندلس المسلمين فتحها لصعوبة مداخلها وبعد شقتها ووعورة مسالكها وتقدم المنصور بجيوشه يغزو ويفتح حتى خضعت له هذه المنطقة التى استعصت على الغزاة قبله ، وقد جمع المنصور من تلك الغزوات العظيمة التى غزاها ما علق به من الخبار ووضعه فى صرة انوضع فى كفته عند موته .

دين المنصور :

لقد كان المنصور منذ شغلته الغزوات الخارجية ديناورعا ، وقد كتب مصحفا بخط يده ، وحمله معه فى أسفاره وغزواته ويدرس فيه ويتبرك به .

مسكاة المنصور :

لقد تمكن المنصور بعد كل هذا فى الدولة وتمسك من كل شىء فيها فبنى لنفسه مدينة الزاهرة لينافس بها مدينة الزهراء التى ابتناها عبد الرحمن الناصر ونقل المنصور الى الزاهرة خزائن الدولة وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة وأنقد السكتب الى الولاية باسمه كما كتب اسمه على الاعلام والنقود . وهكذا تحققت له أحلامه التى أرادها فأصبح المنصور هو الملك المتصرف فى الأندلس ، أما الخليفة هشام المؤيد فليس له من الحكم إلا مظهر الخلافة لحسب .

أخلاق المنصور :

استطاع المنصور أن يحتل قلوب المسلمين بحسن سياسته وبره وسهره على الرعية وكان يحب ألا يظلم أحد ولو لحساب الدولة فقد روى أنه أمر ببناء قنطرة على نهر قرطبة وتطلب البناء الاستيلاء على قطعة أرض الرجل من العامة فأرسل الامناء لشرائها فطلب منهم صاحبها عشرة دنانير ، وكان ساذجا فقصدوه ما طلب وكانت القطعة تساوى أكثر من ذلك فلما أخبروا المنصور ضحك لفغلة الرجل وأمر بإعطائه عشرة أمثال ما طلب وكاد الرجل يحن فرحا حينما سمع بأمر المنصور .

ومن إنصافه للناس أن كبير خدمه اعتصم بمنزله عند المنصور ، فظلم تاجراً مغربياً فاستصرخ التاجر بالمنصور وهو في طريقه إلى المسجد ، فأمر بإحضار التاجر ولما وقف منه على ظلامته أنصفه من كبير خدمه ، وأقصاه عن خدمته كما روي أن المنصور طلب قصاده يوماً فقبل له في السجن لحيف ظهر منه على أمرائه فطلب إحضاره من السجن ، حتى إذا ما أتم مهمته اشتكى القصاد إلى الخليفة ما ناله من القاضي فقال له المنصور : إنه القاضي وهو في عدله لو أخذني بالحق ما أظقت الامتناع ، فعد إلى محبسك . وسمع القاضي بالقصة فأصلح بين القصاد وزوجته ، ومما يدل على حسن رعايته لرعيته أن تاجراً من تجار الشرق عرض على المنصور جواهر نفيسة ، فاشتري المنصور منها ما شاء ونقده الثمن فوضعه التاجر في صرة من القطيفة الحمراء ، وكان اليوم قاتظاً فانصرف إلى الهر ، وخلع ملابسه ، ووضع الصرة ونزل يستحم ، فخامت حداة واختطففت الصرة وطارت بها ، فتبع التاجر اتجاه طيرانها عساها سقطت منها ، فلم يقف على أثر واتجه إلى المنصور فأمر الشرطة بالبحث ، وبعد أيام بعث إلى المزارعين في هذه المنطقة يسألهم عن ظهرت عليه بوادر النعمة فلم أن فقيراً معدماً من بينهم اشترى له حماراً ، وظهرت عليه آثار نعمة جديدة ، فاستدعاه المنصور وصرخ فيه أين صرة القطيفة ، فأخرجها الرجل من حجرة سراويله ، وقال يا مولاي لقد دعنتي فاقني إلى أخذ عشرة مثاقيل منها فدفعها المنصور إلى التاجر ، وأكمل له ما فقد منها ، وأعطى الفقير عشرة دنانير وقال له لو جئنا بها قبل ذلك لأجزلنا لك العطاء ، وانصرف التاجر وهو يقول : لاملان الاقطار أنك تملك طير أعمالك كما تملك أنفسها .

وبعد فهل كان المنصور إلى جانب عدله وإنصافه وحسن رعايته ، ملهماً أو هي الجاسوسية اليقظة هذا ما تكشف عنه القصة الآتية : فقد حدث ابن حيان أن المنصور كان جالساً في بعض الليالي الشديدة البرد والمطر والريح ، فدعا أحد الفرسان وقال له : انتهض الآن إلى فج طيالس وأقم فيه ، فأول خاطر يخاطر عليك سقه إلى ، فنهض الفارس وبات واقفاً حيث أمر فرأى في المزعج الآخر من الليالي شيخاً هرماً على حمار ومعه آلة الخطب فقال الفارس هذا شيخ مسكين ، فإذا عسى يريد المنصور منه ، فتركة ثم فكر في أمر المنصور ، فنهض إلى الشيخ وقاده إلى

الشعر الحماسي في العصر الجاهلي

لغضبة الأستاذ عز الدين اسماعيل

المدرس بكلية الآداب بجامعة إبراهيم باشا

الشعر العربي شعر غنائي كله ، بمعنى أنه فيض الشعور ولغة الوجدان ، ونظام القصيدة أو صورتها الفنية هي صورة القصيدة الغنائية ، وهي صورة ثابتة الأصول تقريباً في الشعر العربي ، ولم يطرأ على جوهرها تغيير ملبوس ، وإن ظهر بعض التطور والتجديد في الشكل الظاهر وفي ترتيب أجزائها . فالشعر العربي يمثل لوناً أدبياً واحداً ، أو - كما يقولون في مجال الدراسات المقارنة - يمثل نوعاً أدبياً واحداً من الأنواع الشعرية ، وهذا النوع الشعري هو النوع الذي ينفس فيه الشاعر عن

المنصور فقتشه الجند فلم يعثروا معه على شيء وقتشوا برذعة حماره فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا يخدمون عند المنصور إلى أصحابهم من النصارى ليضربوا ويقتلوا المسلمين في إحدى النواحي .

فلما انبلج الصبح أخرج الرجل وأخرج النصارى من القصر ، وضربت أعناق الجميع على باب قصر الزاهرة .

وبعد حياة هذا العصامي الحافلة بأجل الأعمال ، وأحسن السير ، وأعظم الفتوحات ، مات وقد امتلأ فم الدنيا بأخباره ، وحفظ له التاريخ بين أسفاره صحائف خالدة ، مات المنصور ودفن ونقش على قبره :

آثاره تنيلك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

نا الله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحصى الثغور سواء

هذه لمعات من جوانب تاريخ المنصور ، وآيات من أخلاقه ، فهل اتخذ الشباب الإسلامي من حياة ذلك الرجل مثلاً ينير لهم الحياة ، وهل اتخذ الرعاة والحكام من أخلاقه قُبساً يضيء تاريخهم لتسكون أسماؤهم وحياتهم أنشودة الأجيال ؟

إحساس خالجه أو تجربة شعورية مر بها . والمقصود بالتجربة الشعورية هو أن يعاني الشاعر لوناً من المعاناة النفسية . هذه المعاناة قد تكون معاناة لشيء محبب إلى النفس أو لشيء تضيق به النفس ، ويثير اضطرابها وقلقها ، على أن التجربة الشعورية قد لا تستغرق من الزمن أكثر من لحظة واحدة . ولكنها تكون لحظة زاخرة بالحياة ، ويكون إحساس الشاعر فيها إحساساً كاملاً .. هي لحظة التأمل التي يجتمع فيها الماضي والمستقبل ليصبا في الحاضر ، أو قل هي لحظة الإلهام . والشعر في تعبيره عن كل حالة من هذه الحالات ينقل إلى نفوسنا شعوراً هادئاً تارة وثائراً تارة أخرى . ولكنه في الحالين ينقل إلينا شعوراً كاملاً ، أو على الأقل هو ينقل إلينا شعوراً راقياً .

أما اليوم فنود أن نجتلي صورة ذلك الشعور عند ما يكون نائراً ، فربما كان صدق التعبير عن ذلك الشعور أوضح منه في حالة التعبير عن الشعور الهادئ . وربما كان التكلف نتيجة للحاجة إلى التعبير عن ذلك الشعور الهادئ . أما التجربة القاسية حين تولد شعوراً نائراً ، فإن مجال تكلف التعبير عندئذ يكون ضيقاً إن لم ينعدم .

ونريد مما مضى أن نقول : إنه ربما كان أصدق جانب من جوانب الشعر العربي تعبيراً عن النفس ، وتقللاً لإحساس الشاعر هو جانب الشعر النائي ، وأريد أن أسميه الآن بتسميته التي اختارها له منذ القدم أبو تمام وهي : الشعر الحماسي . ولامر ما سمي أبو تمام بمجموعته التي اختارها من الشعر العربي القديم بديوان الحماسة . وكلنا يعرف أن أبا تمام ، فضلاً عن أنه الشاعر المجدد ، كان ناقدًا ذواقاً . وهو حينما يختار هذا الاسم عنواناً لمجموعة الأشعار التي اختارها إنما يدل دلالة كافية على أن جانباً من جوانب الشعر العربي لم يستأثر بلبه ، ولم يكن فيه من صدق الشعور والتعبير معاً ، ما يستأهل معه إطلاقه على المجموعة كلها إلا الشعر الحماسي . ولهذا كان الباب الأول من ديوان الحماسة في الشعر الحماسي يكاد يشغل وحده نصف الديوان .

ولعل كثرة الشعر الحماسي بخاصة في العصر الجاهلي مردها إلى ما كان يسود

الحياة العربية من مثل أخلاقية واجتماعية . وقد تكون هناك أسباب أخرى بيولوجية ، أو وراثية أو غيرها من مكونات الشخصية . ولكن البحث - فيما أعتقد - يكون على أرض مهددة لينة ، إذا نحن اعتبرنا مثل الأخلاقية والاجتماعية في البيئة العربية .

وإذا كانت الفردية ظاهرة واضحة في حياة العربي الجاهلي كانت مثله الأخلاقية 'مثل الفرد الذي لا بد له من تحصين نفسه بما يجعلها على أهبة في كل حالة لدفع الأذى ، ومقابلة الشر بالشر ، وإباء الحسف والضميم . إن التنازع صريح على الوجود ، ولكنه الوجود الكريم الذي لا سيد فيه ولا مسود . وكما كان يشعر العربي بعزة النفس عند ما يلجأ إليه لاجئ أو يحتجى في كنفه تحتم . هذا هو مثله الأعلى الذي يسعى لتحقيقه سواء أكان منفرداً أم كان في قبيلته . أما عن علاقة القبائل بعضها ببعض ، فإنها صورة من علاقة الأفراد أنفسهم بالآخرين ، ومثل القبيلة في رأيي هي مثل الفرد ؛ لأنها كانت أولاً وآخر الأمر هي مثل شيخ القبيلة . ولذلك لا تخطئ إذا قلت إن شخصية القبيلة تبلورت في شخصية الفرد أو العكس . ومن هنا كان هذا التساند العجيب بين أفراد القبيلة الواحدة ، لأنهم ينصرفون كفرد واحد ، ويهدفون إلى تحقيق مثل واحد . وهذا شاعر بنى العنبر يقول :

لو كنت من مازن لم تستبح ليلي	بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذا لقام بنصرى معشر خشن	عند الحفيظة إن ذو لثة هانا
قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	طاروا إليه زرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم	في النائبات على ما قال برهانا

وهم لا يسألونه البرهان فتد يعوزه البرهان . وإذا كانوا هم يؤوون الاجنبي ويدافعون عنه عند ما يسألهم ذلك ، فإن أخاهم أحق بذلك وأولى . فهم لا ينصبون حلقة للنقاش يجادلون فيها أخاهم فيما ندبهم له ، ولا يطلبون منه الحجة الدالة والبرهان القاطع ، وإلا لم يأخذوا بناصره ، وإنما هم يفكرون بعقلية الفرد ذاته . وقد يكون متجنباً فيكونون ولا ضير ، وإنما الضير في أن يناقشوه ، وأن يفضوا عنه إذا لم يقم الدليل . وطبيعي أن النقاش يدل على اختلاف الأفراد من حيث

وجهة نظرهم إلى المثل الأعلى . فإذا توحد هذا المثل الأعلى عند سائر الأفراد كان النقاش مضيقا للوقت ، ودليلا على التكوص والجبين ، الأمر الذى تأباه طبيعة العربي . ولذا يقول الشاعر نفسه بعد هذه الأبيات :

لكن قومي وإن كانوا ذوى عدد ليسوا من الشر فى شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لحشيتة سوام من جميع الناس إنسانا
فليت لى بهم قوما إذا ركبرا شدوا الإغارة فرسانا وركبانا

فالشاعر يحزنه ويؤسفه أن قومه لا يركبون الشر ويتجنبونه ، ويتحملون الظلم ويعتفرونه كما يتحملون الإساءة ويجزون عنها الإحسان . لا يرضى الشاعر عن قومه لأن تصرفهم يحافى المثل الأعلى بل يناقضه ، ويود لو كان قومه مثل مازن ، يقومون بنصره إن ذو لؤثة وضعف جبن عن دفع الضيم والذود عن حقيقته . وهذا المثل الأعلى الذى يتمناه الشاعر لقومه هو بوجه عام المثل الأعلى الذى يصوره لنا الشعر الحماسى فى ذلك العصر الجاهلى بخاصة ، وهذا هو الفند الزمانى يقول فى حرب البسوس :

صفحنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان
عسى الأيام أن يرجع ن قوما كالذى كانوا
فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
يضرب فيه توهمين وتقطيع وإقران
وطعن كغم الزق غدا والزق ملان
وبعض الحلم عند الجبه ل للذلة إذ عان
وفى الشر نجاة حي ن لا ينجيك إحسان

وهو يعطينا صورة واضحة للبادئ التى سبق أن رأيناها : فقومه لم يقبلوا العدوان من بنى ذهل عندما صرح الشر عن ناجذيه بل قابلوا العدوان بعدوان مثله . وإذا كان الحلم محمودا فإن النحل إزاء الجهل والاعتداء ليس إلا إذعانا ورضوخا

للذلة والعار . ولا بأس في هذه الحال أن تكون شريرا فإن شرك ينجيك من العدوان ، بينما تحرك ملاقة الشر بالإحسان إلى البوار والخذلان . أكرمني أكرمك ، وإن تعدت على أعتد عليك . وبهذا تفسر قول أبي الفول الطهوي :

ولا يحزون من حسن بسىء ولا يحزون من غلظ بلين
وتفسر أيضا قول الشميزر الحارثي :

فلسا كن كنتم تصيبون سلة فنقبل ضيا أو نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلط فرضى إذا ما أصبح السيف راضيا

إن الدم لا يشفيه إلا الدم . ولذلك كان الأخذ بالنار أكرم عند العربي من قبول الدية . ولعل هذا المبدأ هو الذي جعل الحروب تمتد إلى ستين عدة بين الفريقين من المتحاربين . ولكنه على كل حال هو المبدأ الذي يتفق وإحساس المرء المعز المكريم على نفسه . وفي ذلك قالت كبشة أخت عمرو بن معد يكرب على لسان أخيها عبد الله ، وكان مر براع للحزم بن سلمة من بني مالك بن مازن فاستسقاء لبنا فأبي واعتل عليه فشملة فقتله عبد الله فنارت بنو مازن بعبد الله فقتلوه وجاءوا إلى عمرو أخيه يتشفعون إليه أن يأخذ الدية إلى أن كاد قتالت :

فإن أنتم لم تثاروا واتديتم فشوا بأذان النعام المصلم
ولا تردوا إلا فضول نساكم إذا ارتملت أعقابهن من الدم

أى أنكم إن لم تثاروا وقبلتم الدية فستمشون كما يمشي النعام المقطوع الأذن ، لا تسمعون ما يقال فيكم من العار ، كما أنكم لا تردون الماء إلا بعد أن تغسل نساؤكم من حيضهن . وفي ذلك ذلة ومهانة . وإذن فلا شرف مع قبول الدية وإنما الدم هو الذي يغسل الدم .

ويستطيع كل من يتتبع الشعر الحماسي في العصر الجاهلي بالدرس أن يجد فيه الصورة المعبرة الصادقة التعبير عن المثل العالية السائدة عند العربي في ذلك العصر ، ويرى إلى أي حد كلفتهم هذه المثل من بذل وتضحية ، وإلى أي حد لعب الشعر الحماسي دورا ما في حياتهم . أما عن قيمة هذا الشعر الحماسي من الناحية الفنية فأرجو أن تتاح له فرصة أخرى .

ورقة بن نوفل

الداعية إلى التوحيد في أرض الوثنية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد المنعم غفامى

المدرس في كلية اللغة العربية

- ١ -

كان ورقة بن نوفل القرشى حكيماً متديناً موحداً ، وشاعراً بليغاً مجيداً ، وسيداً شريفاً سرياً في قومه ؛ عاش يلتمس دين التوحيد في عصم الوثنية الجاهلية ، ويبشر بقرب ظهور نبي العرب ، وخاتم الرسل ، ويولى وجهه شطر السماء يثشد الهداية والنور . حتى أدرك بعثة سيد الأنبياء محمد صلوات الله عليه .

وكان العرب قبل البعثة المحمدية في حيرة وضلال ، لا يجمعون على دين ، ولا يتفقون على عبادة ؛ عبد جمهورهم الأوثان والأصنام ، وفريق منهم عبدوا الشمس أو القمر أو الكواكب ، وآخرون دانوا بالنصرانية أو اليهودية ؛ وجماعة منهم اعترفوا بوجود الله ووحدانيته ، وظلوا على فطرة التوحيد الخالص ، وعبدوا الله على دين إبراهيم وإسماعيل ، يعظمون الشعائر ، ويؤدون المناسك ، ويقصدون البيت الحرام ، ويلتزمون الحج والعمرة والطواف والوقوف بعرفة ونحر الذبائح والأضاحي ، وسوى ذلك من ألوان العبادات والطاعات ، ومنهم : ورقة ، وأمية بن أبي الصلت ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وكعب بن لؤى ، وقصى ، وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد المطلب ...

في هذه الحيرة والضلال ، ونحو عام ٥٢١ ميلادية ، قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم بنصف قرن ، ولد في مكة ورقة القرشى بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن قصي .. من بيت عرف بالسيادة وكرم المحدث .. وأبى مجد ومحدث يلفغان ما بلغته منهما قريش سادة العرب ، وسدنة البيت العتيق ؟

وإلى قصي أيضا يرجع نسب أم ورقة هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي . . وقصّي هو الأب الخامس لمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب . . وقد انقسمت قريش عند قصي قبائل شتى ، منها : عبد مناف بن قصي ، وسوى هؤلاء من مخزوم وتيم وزهرة بن كلاب . وكان قصي في القرن الخامس الميلادي ، وهو الذي جمع شتات قريش ، ووحد كلمتهم ، واستبد بالرياسة والسيادة على مكة ، وجدد الكعبة ، وبني دار الندوة التي كان له رياستها ، وكان في يده حجابة الكعبة ، وسقاية الحاج ، ولواء الحرب ؛ وهو أول من فرض الرقادة على قريش ، وقال لهم : يا معشر قريش إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل حرمة ، وإن الحاج ضيف الله ، وزوار بيته ، وهم أحق الأضياف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم . .

ذلك هو نسب ورقة وحسبه . . ولقد نشأ وشب في هذه السيادة الفاخرة ، وتلك المآثر القرشية الخالدة ، وعاش في مكة مع قومه ، يعمل في التجارة كما يعملون ويلهو كما يلهوون ، وشهد مواطن قريش ، وشارك في مفاخرها ؛ وأصبح بعد قليل رجل صدق وحزم وعزم وإقدام ورحلة . ويصف ورقة جده ولوه في هذه الفترة فيقول :

ولقد ركبتُ على السفينِ مُلجِجاً	أذُرُ الصديقَ وأتجى دارَ العدى
ولقد دخلتُ البيتَ يُخْنِى أَهْلُهُ	بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى
فوجدتُ فيه حرة قد زَيْفَتْ	بالْحَيلى تحسبُه بها جمرُ الفضا
فعممتُ بالآلِ إذ أتيتُ فراشها	وسقطت منها حين جئتُ على هوى
فَلَيْتَ لَكَ لَدَاتُ السِّبَابِ قَضِيَّتْهَا	عنى فسائلُ بعضهم ماذا قضى ؟

* * *

وخالط ورقة في رحلاته للتجارة أهل الكتاب ، واستمع إليهم ، ومال قلبه إلى ما يؤمنون به من فطرة التوحيد وعبادة الله ، فأنكر ما كانت عليه قريش من باطل وجهل ، وما كانت تمعن فيه من وثنية وشرك ؛ وأعرض عن غيرها وباطلها ؛ فاعتزل عبادة الأوثان ، وامتنع عن أكل ما يذبح باسم الأصنام ، وآمن أن قومه أخطأوا دين أبيهم إبراهيم وإسماعيل ، فأخذ يفشد الحنيفة البيضاء ،

ويسأل عنها الأجبار والرهبان . . . يروى أن قريشا اجتمعت يوما في عيد لهم عند صنم يعظمونه وينحرون له ويعكفون عليه ؛ فخلص منهم أربعة نفر نجيا ؛ هم ورقة بن نوفل القرشي ، وابن عمه عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى ابن قصي ، وزيد بن عمرو بن نفيل بن كعب بن لؤي ، وعبيد الله بن جحش الأسدي وهو ابن أمة بنت عبد المطلب ؛ فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليكنم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل ، فقال قائلهم : "تَعَسَلَسُنَّ" والله ما قومكم على شيء ، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ، يا قوم : اتمسوا لأنفسكم ، فإنكم والله ما أنتم على شيء ، فنفروا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم :

فأما عبيد الله بن جحش ، فأقام على ما هو عليه ، حتى بعث الرسول فأسلم ، وهاجر مع المسلمين إلى الحبشة ، ومات فيها بعد أن اعتنق المسيحية وارتد عن الإسلام . . . وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ، وآمن بالمسيحية ، وعاش في القسطنطينية . وأما زيد فأقام على الحنيفية ، يعظم شعائرها ، ويقول : أعبد رب إبراهيم ، وعاب على قومه ما هم عليه ، وكان يستد ظهره إلى الكعبة ويرفع صوته : (يا معشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري ؛ ثم يقول : والله لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ، ولكنني لا أعلمه ، ثم يسجد على راحته ؛ ويستقبل الكعبة داخل المسجد قائلا : لييك حقا حقا ، تعبدأ ورقا ، عذت بما عاذ به إبراهيم ؛ ويصيح في الناس : يا معشر قريش ، والله ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على دين إبراهيم غيري ؛ وكان يعيب على قريش ذبائحها ويقول : (الشاة خلقها الله ، وأنزل من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض نباتا ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟) ؛ وآذته قريش فخرج يطلب دين إبراهيم . ويسأل الأجبار في الشام ، حتى انتهى إلى راهب من شيوخ الرهبان ، فسأل عن الحنيفية ، فقال له : إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يملك عليه اليوم ، ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فألحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه ؛ فرجع إلى مكة ، ولما اشتد ليزاء قريش له ، كان يخرج إلى « حراء » يتعبد فيه ، ولقيه

عامر بن ربيعة في طريقه إلى حراء ، فقال له زيد : (يا عامر إني فارقت قومي ، وانبتعت ملة إبراهيم ، وما كان يعبد إسماعيل بعده ، وأنا أنتظرنيا من ولد إسماعيل وما أراني أدركه ، وأنا أومن به وأصدقه) ؛ وقتل زيد قبل البعثة بخمس سنين ، وقال فيه الرسول الأكرم : (يأتي زيد يوم القيامة أمة وحده) ... ورثاه ورقة ابن نوفل بقصيدة منها :

رشدت وأنعمت بن عمرو وإنما	تجنبت تنوراً من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كئله	وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته	ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها	تلعل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقى خليل الله فيها ولم تكن	من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه	ولو كان تحت الأرض سبعين واديا
أقول إذا ما زرت أرضاً غخوة	حنانك لا تظهر على الأعاديا
حنانك إن الجن كانت رجاءهم	وأنت إلهي ربنا ورجائيا
أدين لرب يستجيب ولا أرى	أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا
أقول إذا صليت في كل سبعة	تباركت قد أكرت باسمك داعيا

هذا شأن هؤلاء الثلاثة الباحثين عن الحقيقة الكبرى ؛ فأما ورقة فرحل إلى الشام يلتمس الدين الصحيح ، ويتحدث إلى الأبحار والرهبان ، ويسمع منهم ، حتى مال قلبه إلى دين المسيح ، وراه إنقاذاً لقلبه من الحيرة ، فاتبعه وعمل به ، وقال لزيد : (أنا أستمع على نصرانيتي إلى أن يأتي النبي الذي تبشرنا به الأبحار) . وأخذ يحفظ من النصرانية ما يحفظ ، ويعي من الرهبان ما شاء الله أن يعي ؛ وعاد إلى مكة ، فأقام فيها آمناً وادعاً ، ما كفا على دينه ونفسه ، لا يعرض لأحد ولا يجب أن يعرض له أحد . وازداد مكانة في قريش ، فكان مستشارها في الأزمات ومرجعها في الخطوب ، والحكيم الذي تسترشد برأيه كلما دجت الظلمات ... وقرأ ورقة الكتب السماوية ، وكان يعرف العبرية ، وينقل من الإنجيل إلى العربية ما شاء ، ويأخذ عن أهل التوراة والإنجيل ما يأخذ ،

من تعاليم القرآن

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المدنى
المدرس بالأزهر

لقد أراد الله للعالم الخير والهناء حين أتم رسالته إلى هذا الوجود ببعثه خير الأنام ، ليقرر مبادئ العدل والسلام في الأرض ، وليبعث المحبة في نفوس الناس بعضهم لبعض بعد إحن اجتاحت العالم من ظلم وطفیان ، وعسف وجبروت ، وأحكام جائرة متعنتة ، يجرىها كهنة عاظم التفتيش تصيب العلماء والمفكرين ، حتى كانت البعثة : المحمدية فطمأنت الناس على حياتهم وحریتهم وتفكيرهم وأبحاثهم .

ووضعت نظم الحياة المثالية التي تقوم على العقيدة الصحيحة والخلق القويم ، والعمل الصالح المنتج الثمر الذي يجعل كل إنسان له حق الحياة والبقاء والعيش الوادع في ظل حكمه العادلين المنصفين الذين يسهرون على صالح الرعية ويدعمون بنيان مجده وعزه وهنائه ، ويفرح ولي الأمر حين يقوم إليه أعرابي ليقول له : « والله يا عمر لو وجدنا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فيحمد الله عمر ويقول : الحمد لله الذي وجد عمر من يقوم لإعوجاجه » .

هذه هي الحكومات المثالية التي وضع قواعدها الإسلام ، ودعما بالخلق للمستقيم والعمل القوي الثمر .

فالإسلام ليس دين تعصب ولا همجية وإنما هو دين عدل وحرية وإنصاف دين محبة وألفة يربط بين الناس بعضهم ببعض لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ذلكم الدين الحنيف الذي جعل عمر حين مر في الطريق فرأى يهوديا أعشى يمد يده للناس طالبا الإحسان منهم فأمر عمر أن يصرف له من بيت مال المسلمين ما يدفع عنه حاجة المسألة ، وقال لقد أخذنا منه الجزية في صحته فلا يليق بنا أن نحوجه في شيخوخته .

هذه التعاليم الحقة التي دعا إليها المصطفى ، هي دعائم الملك السليم ، والمجد التالذ والعز الخالد التي لو سار على هديها المسلمون لاستقامت الأمور وطلعت الأحوال

وكتب لهم النصر في قضية التحرير وصدق فيهم قول الله عز وجل : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفن في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا . .

هذه النظم التي رسم الإسلام حدودها هي التي ترشد إلى العزة والإباء وعدم الرضا بالدون من الأوضاع إذ يقول المصطفى : إن الله يحب المؤمن القوي ويغضب المؤمن الضعيف . .

ونحن الآن في محنة استعمارية ومحنة خلقية نقاتل المستعمر ونحارب الرذيلة فليس لنا والله إلا أن نكون جادين في جهادنا بالقوة الحسنة ، والقضاء الحق والنضحية والبذل عن طوعية واختيار إذ أننا إنما ندعم ديننا ونبنى مجداً وتؤسس ملكة سداها المحبة ولحمها الإخلاص . وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون . .

وهذه المحنة التي تقاسيها مصر الآن إنما تهدف إلى إسعاد العالم الإسلامي كله ، لأنها معركة تحرير العقيدة الصحيحة من طغيان الإباحية والفوضى الاستعمارية التي لا تمت إلى الخلق بوشيجته ، ولا إلى العدل بسبب إذ هي محنة ابتلى الله بها الإسلام في شتى بقاع العالم ، ليرى المسلمين أن التعلق بالمال والجاه والسلطان مآله الدمار والأنهار ، وأن الله جلت قدرته ، لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون . .

وإننا إن شاء الله مدركون حقنا منتصرون على عدونا ، وما نصاب به في هذا المضمار ، إنما هو صهر لذنوبنا وتذكير لقلوبنا بأن نرجع إلى الخالق نلتمس منه العون والنصر ، إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن لا يحب كل خوان كفور . .

هدى الله المسلمين إلى تبصر أمور دينهم والعمل بأحكامه حتى يكتب لهم النصر والظفر في هذا المضمار الدولي المضطرب والذي يرقص على بركان من لهب إذا انفجر قضى على كل حضارة وأنهى كل مدنية ، وما موقف المسلمين عند تمسكهم بأوامر ربهم إلا موقف الحاكم المنصف الذي يرجع كفة السلم على الكفة الأخرى والله ولي التوفيق ؟

عبد الرحمن الداخل

نفسية الأستاذ الشيخ السيد شريف

المدرس بالأزهر

ولد في بيت الخلافة بدمشق . وعاش صدر حياته في خلافة جده هشام بعد وفاة أبيه معاوية بن هشام . وقد حباه الله منذ صغره بخلال تجعل الناظر إليه لأول لقاء به . يحس إحساساً قوياً بما ينتظر هذا الفتى السام في تفكيره . المسترسل في تأمله . المستمسك بجده . من أحداث وتبعات . جعل يهيئ نفسه للقاءها ، وبعد قلبه للصمود لها . حتى يتحقق الأمل المعقود عليه . بعد أن طرقت أذنيه كلمات جده مسلمة بن عبد الملك التي وجهها إلى أخيه الخليفة هشام حينما رآه يأمر بأن ينحى عنه هذا الفتى إذ يقول : يا أمير المؤمنين هذا صاحب بني أمية ووزرهم عند زوال ملكهم فاستوصى به خيراً .

تركت هذه الكلمات بأذن فتى قريش عبد الرحمن بن معاوية بن هشام دويماً قوياً مجلجلاً . دفعه إلى أن ينصرف عما يحيط به من شواغل . ويتجه بقلبه وحسه . وكل إدراكه . يقدر ويفكر في الأعباء الجسيمة التي ترقبه بعد أن لاحت الدعوة الجديدة . دعوة العباسيين في الأفاق البعيد . ثم أخذت تقرب منه بسرعة حتى بلغ دعائها دمشق . وقتل عبد الله بن علي مروان بن الحكم سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتبع بنى مروان بالقتل والتكيل .

ولما وصل ذلك إلى سمعه لم يجد مناصاً من القرار منتقلاً بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ذات شجر وغياض . وبينما هو يجلس في بيته إذ دخل عليه ابن له صغير فازعاً باكياً ، فأهوى إلى حجره وأبى إلا التعلق به . وهو يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع .

وقد خرج عبد الرحمن يستطلع النبأ . فإذا بكوكبة من الجند قد عقدت على رموسها الألوية السود شعار العباسيين ، تدخل القرية . تخرج مسرعاً وكن

في موضع ناه منها . وما هي إلا ساعة حتى أقبل الفرسان فأحاطوا بالدار ولكنهم لم يقفوا له على أثر . لجحدوا في طلبه ، وبثوا العيون والأرصاد تبحث عنه . فلما أحس بقربهم منه ، واصل فراره إلى أن نزل الفرات واجتازه سابحا . وجعل وجهته بلاد المغرب ، ومكث مدة يتنقل بين ربوعها . ثم نزل على أخواله نفزة من برابرة طرابلس .

ولما شعر بن عبد الرحمن بن حبيب وإلى العباسين رحل إلى زناته فأحسنوا قبوله ، وأطمأن عندهم حيناً ، ثم لحق بمليله وبعث في تلك الفترة مولاة بدر إلى موالى المروانيين وأشياهم ببلاد الأندلس . فاجتمع بهم ، وبثوا له في البلاد دعوة ونشروا له ذكرا ، واصفقت البيعة على أمره ، تدعو بدعوته ، وتعدد الخناصر على حمايته والذود عنه ، لأنه كانت بينهم وبين المضرية قوم يوسف بن حبيب أحقاد وإحن . فرقتهم أيدي سبأ ، وأحيت فيهم دعوة العصية البغيضة ، ودفعتهم إلى أن يتربص بعضهم ببعض الدوائر ، ويتحين الوقت الذي يسدد فيه إلى خصمه الضربة القاصمة .

ولما صادف بدر هذا النجاح عاد إلى سيده ، ودعاه إلى الأرض الخضراء فاجتاز البحر سنة ثمان وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور . ونزل بساحل المنسكب ، وجاء القوم من أهل اشدلييه . فبايعوه . ثم انتقل إلى كورة رية فبايعه عاملها عيسى بن مساور ثم إلى شذونه فبايعه عتاب بن علقمة اللخمي ثم إلى مورور فبايعه بن الصباح ، ونهد إلى قرطبة ، فاجتمعت إليه البيعة ونمى خبره إلى وإلى الأندلس يوسف بن حبيب ، وكان غازيا بجليقيه . فعاد مسرعا إلى قرطبة وبعد حرب لم يطل أمد هاتم النصر لعبد الرحمن . ودخل قرطبة في جحفل الجب من أهلها خرجوا للحفاوة به . تفيض جوانحهم بالبهجة والسرور ، وتعلو قسائم وجوههم أمارات الرضى والارتياح . لما فطره الله عليه من صفات نادرة . إذ كان راجح الحلم ، ثاقب الفهم ، كثير الحزم نافذ المزم ، شجاعا مقداما ، لا يتخذ إلى راحة ، ولا يسكن إلى دعة ، حتى كان أبو جعفر المنصور يسميه صقر قریش حين بلغه ما صنع بالأندلس .

وقد ذهب إليها من أنأى بلاد المشرق من غير عصابة ولا أنصار . فانقادت

له القلوب الجائعة ، وخضعت لحكمه النفوس العvisية ، وعقد بها الألوية ، وجند
الاجناد ، ورفع العباد ، وأوثق الأوتاد ، وأقام لذلك آتته وأخذ للسلطان عدته ،
فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، وقد أنى
عليه . فقال : لا تعجبوا لامتداد أمرنا ، مع طول مراسه ، وقوة أسبابه ، فالشأن
فى أمر فتى قریش الاحوذى ، الفذ فى جميع شؤونہ ، ببعد همته ، ومضاء عزمته ،
حتى قذف نفسه فى لجج المہالك ، لا بقتاء مجده ، واقتحم جزيرة شاسعة المحل ، نائية
المطمع ، عصية الجند ، قع بعضهم ببعض ، لقوة حيلته حتى انقاد عصيم ، وذل
له أبيتهم ، فاستولى فيها على أريكتہ ، قاهرا لأعداته ، حاميا لدماره ، خالطا الرغبة
إليه بالرهبة منه . إن ذلك هو الفتى كل الفتى . لا يكذب مادحه .

ومع ذلك فقد خالط ود أبى جعفر بغضا له وحقدا عليه وتربصا به ، لأنه
رغم أنه كان يحكم باسمه ، ويخضع لسلطانه بدمشق ، فعبد الرحمن أموى . وأبر جعفر
عباسى . وبينهما تراث دون نسيانها خرط القتاد ، وهيات أن يغيب عن آل البيت
ما حاق بهم من عسف الامويين واضطهادهم أيام دولتهم . لهذا فقد كان ود هما يشوبه
دخل يترقب كل منهما لصاحبه الفرصة المواتية للإيقاع به ، وأن صنيع المنصور مع
صقر قریش يعد أن مدحه وأطرى عليه ليدل على ذلك أصدق دلالة . إذ أرسل
فى سنة ست وأربعين ومائة العلاء بن مغيث اليحصي من إفريقيا إلى الاندلس ،
داعيا له حينما وجد أن عبد الرحمن قد اشتغل بتأمين أطراف البلاد ، فسار إليه
عبد الرحمن بنواحى إشبيلية . فقاتله أياما ، وأخيرا هزم العلاء ، وقتل فى سبعة من
أصحابه . وأرسلت رؤوسهم إلى القيروان ومكة ، وألقيت فى أسواقها سرا ومعها
اللواء الأسود وكتاب المنصور للعلاء . فارتاع المنصور لذلك .

وقال ما هذا إلا شيطان . الحمد لله الذى جعل بيننا وبينه البحر ، ثم قطع
عبد الرحمن الصلة بينه وبين خلافة المشرق . واستقل ببلاد الاندلس . وأورثها
من بعده عقبه . وقد أحسن إلى البلاد أيما إحسان ، فقد أمن أطرافها ، وأقر
النظام فى أعماها . وجعل سلطان المسلمين بها قويا مهييا . وكان مظفرا على أعدائه
حتى قبل أن الراية التى عقدت له حين دخل الاندلس لم تهزم قط ، ومع شدته
البالغة ، فقد كان حيا . يضحله المدح . ويؤلمه التناء ، ولما مثل بين يديه رجل من

جند قفسرين . فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الأكرمين . إليك فررت
وبك عزت . من زمن ظلوم . ودهر غشوم . قل المال . وكثر العيال . فصير إلى
تلك المآل . وأنت ولي الحمد والمجد . والمرجو للرفد . فقال مسرعا . قد سمعنا
مقاتلك . وقضينا حاجتك . وأمرنا بعمونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك . فلا
تعودن ولا سواك مثله . وإذا ألم بك خطب . أو حزبك أمر . فارفعه إلينا في رقعة
لا تعدوك ، كيما نستر عليك خللك ، ونكف شمت العدو عنك .

وكان شاعرا مجيدا قال الشعر وبرع فيه . ومن شعره يتشوق إلى معاهد الشام
أيها الراكب الميعم أرضى أفر منى بعض السلام لبعضى
أن جسمى كما علت بأرضى وفؤادى ومالكى بأرضى
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا فعمى باجماعنا سوف يقضى
وقد شيد بقرطبة عاصمته المسجد الجامع . وأفرغ جهده في تنسيقه وتنظيمه
فكان قطعة فنية نادرة . وعمده وبعض قبابه لازالت باقية إلى اليوم . لسان
صدق بما بلغه المسلمون في غابرم من عظمة ومجد . وفيه يقول .

وأبرز في ذات الإله ووجهه ثمانين ألفا من لجين وعسجد
وأنفقها في مسجد زانه النقى وقر به دين النبي محمد
ترى الذهب الواج بين سموكه يلوح كلبح البارق المتوقد
ويرى نخلة برصافته فتحرك فيه لواعج الحنين الى بلاد درج على أديمها . وروى
صداه بعدد مائها ، وما لبث يهفو قلبه الى مغانيها ، ويرنو بصره الى مشاهدتها فيقول :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تنامت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهى في الغرب والنوى وطول اكتشائى عن بنى وعن أهلى
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فثلك فى الإقصاء والمتأى مثل
سقتك غوادى المزن فى المتأى الذى يصح ويستمرى المساكين بالويل

وتوفى لست بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين ومائة وهو ابن سبع
وخمسين سنة وأربعة أشهر ، ودفن بقرطبة . رحمه الله . وجزاه عن الإسلام
خير الجزاء ٧

تحت ظلال السيوف

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ طاهر محمد عجمي

من مَرُوي الأدب في الأحداث المصارعة ، أن عبد الله بن الزبير قال حين بلغه قتل أخيه مصعب : إن يُقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفاً ولكن قعصاً بأطراف الرماح ، وموتنا تحت ظلال السيوف .

ويقول السموءل بن عادياء :

وما مات منا سيد في فراشه ولا 'طل' منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباء نفوسنا وليست على غير الظباء تسيل

* * *

وفي ملتي هذه الوجهة :

وأنا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك أخرى مرّة ما تذوقها

* * *

ومن ردّ للإمام على كرم الله وجهه على مخوف له ومشفق عليه : أبا الموت تخوفني ؟ فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت على .

ومن الآيات الكريمة (فأتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وقول الله تعالت كلمته) يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .

وأجمع كلمة في الصبر قولهم : الصبر مطية النصر وفي الاقدام يجمع أن ترسم الأبطال الذين يمثلهم المهلب بن أبي صفرة الذي قبل له : لأنك لنتقي نفسك في المهالك ، فقال : إن لم آت الموت ، مسترسلاً أتاني مستعجلاً ، إني لست آتي الموت من حبه وإنما آتيه من بغضه .

وهو في ذلك يقتدى ويمثل الصورة التي رسمها الحصين ابن الحنّام
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
ومن عيون قصيدته في سمو الصبر وحمل النفس على الحزم والنهوض إلى الحياة
السكرية وإن كان طريقها الموت المخلد .

صبرنا وكان الصبر منا سجية بأسيا فانا يقطعن كفا ومعصا
ولما رأيت الود ليس بناقصي عمدت إلى الأمر الذي كان أحزما
فلست بمبتاع الحياة بسوبة ولا مرتقي من خشية الموت سلما
وهو في هذا يجري في حضر عبده العرب ، وآمنت بأن الشجاعة وقاية ،
والجبن مقتلة ، ورأت أن استقبال الموت خير من استدباره ، واستجاب لدعوة
كان صداها في قصيم ، الصديق ، ومبدئه وتوجيهه لخالد بن الوليد : (احرص
على الموت توهب لك الحياة) .

وما كانت العرب إلا على التمدح بالموت فعصا ، والنفرة من الموت حتف
الآف . وإنهم عند الحروب ليقترحونها كأنما يلقونها بنفوس أعدائهم .

وأصدق وصف للنفوس المقدمة قول أبي تمام :

إذا رأو للنشاي عارضا لبسوا من اليقين دروعا ما لها زرد
نأوا عن المصرخ الأدنى فليس لهم إلا السيوف على أعدائهم مدد

* * *

وكلمهم في إقدامهم وإقبالهم كما قال العلوى :

محرمة أكفال خيل على الفنا ودامية لبانها ونحوها
حرام على أرماحتنا طعن مدبر وتندق منها في الصدور صدورها

* * *

وعبقرية العرب في الحرب ومواقفهم في لقاء الأعداء وبلاؤهم في الآحن
وصراعهم في الكوارث ونزالهم في المناخلة والزياد دفع القرائح الشاعرة إلى ميادين
من القول صادقة التصوير بدبيعة الافصاح تحمل القاريء بل تجمع حماسه وتشد
أزره وتنفث في روعه وتنفخ فيه من روحها فتسويه قويا وتمسح عنه لغوب الرعدة
والتهيب من لقاء المآزم .

المسلمون والتصوير

— خاتمة البحث —

لمحاضرة الأستاذ أحمد محمد عيسى

أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول

آراء المحدثين في التحريم :

انتهى المقال السابق بعرض رأى المرحوم الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذى جاء فيه أن الشريعة الإسلامية لا ترى مانعاً فى إباحة التصوير ، بينما لا تزال لجنة الفتوى بالأزهر - وهى تمثل آراء المحدثين - تنشر فى هذه المجلة ، منذ صدورهما إلى الآن ، آراء لكبار علماءها لا تخرج فى مجلتها عما قال به النووى والشوكافى وغيرهم من علماء القرون السابقة ، دون مراعاة لتغير الأحوال والظروف ، واختلاف الزمان والمكان ، ومن غير دراسة استقلالية مقارنة للمصادر الأولى لهذا الموضوع .

وقديما قادت آيات من الشعر فارسا وردته عن الأدبار فاندفع إلى النصر
فكون من ورائها دولة وشيد مجدا .

أبت لى شيمقى وأبى بلأى	واخذنى الحمد بالثمن الربيع
واقدامى على المكروه نفسى	وضربى هامة البطل المشيع
وقولى كلما جشأت وجاشت	مكانك 'تحمذى أو تستريحى
لادفع عن مآثر صالحات	واحى بعد عن عرض صحيح

* * *

وأختم حديثى بما عدته النقاد أشجع بيت وما نال الإعجاب إلا لأنه وافق
ما ينفون لأشبال العروبة ونجباء الإسلام .

أشد على الكتيبة لا أبالى أحنى كان فيها أم سواها

ولم تخرج اللجنة في فتاواها عن أن التصوير حرام في حرام - كما يرى السلف - وإن ذهب بعض العلماء إلى إباحة ، الصور الفوتوغرافية لفائدة ، [ومعنى اعتقاد تلك الفتاوى على النقل مما جاء في كتب السابقين من رجال الفقه والحديث ، أننا لا نزال بحاجة إلى فتوى تعتمد في جوهرها على المعقول لا على المنقول ، ولا سيما وأن الوارد من أحاديث عن التصوير ، به كثير من التعارض والاختلاف يجعل البعض يتردد في كونها صريحة في القول بالتحريم .

ويدور بالأذهان سؤال يبدو معقدا هو : - ما موقف المسلم الذي يريد أن يطمئن إلى حكم الله في مشكلة التصوير ، أيؤمن برأى الإمام الشيخ محمد عبده ، وهو من هو في عالم التشريع والفتيا أم يؤمن برأى اللجنة ١٩ الحق أن للإنسان أن يختار في أي الرأيين يختار .

لاشك أن الإنسان يرتاح إلى ما ذهب إليه الأساذ الإمام ، فهو لم ير لإباحة التصوير إلا بعد دراسة وإعمال فكر وقبصر وإمعان . ولا يخفى على من في مثل علمه ومركزه و ، أزهريته ، أن يصدر فتواه إلا عن إيمان صادق بأن الإسلام عقيدة راسخة لا تززعها صورة ولا ينقضها تمثال .

وألفت النظر هنا إلى رأى في المشكلة يفشر لأول مرة ، وقد هداني إليه صديق الأستاذ فؤاد السيد بدار الكتب . أما هذا النص فقد جاء في الجزء الثاني من مخطوطة ، كتاب الحجة للقراء ، تأليف أبي علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، المتوفى سنة ٣٧٧ هـ .

قال المؤلف عند كلامه عن الآية الكريمة : ، واتخذ قوم موسى من بعده من حلهم عجلا جسدا له خوار إن التقدير في ذلك كله : اتخذوه إلهاً ، حذف المفعول الثاني . الدليل على ذلك أن الكلام لا يخلو أن يكون على ظاهره كقوله : كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ... أو يكون على إرادة المفعول ، فلا يجوز أن يكون على ظاهره دون إرادة المفعول الثاني لقوله : إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا . ومن صاغ عجلا أو نجسه أو عمله بضرب من الأعمال ، لم يستحق الغضب من الله والوعيد عند المسلمين . فإذا كان كذلك علم أنه على ما وصفنا من إرادة المفعول الثاني المحذوف في هذه

الآية . فإن قال قائل : فقد جاء في الحديث : يعذب المصورون يوم القيامة ، وفي بعض الحديث : فيقال لهم أحيوا ما خلقتم . قيل : يعذب المصورون ، يكون على من صور الله تصوير الأجسام . وأما الزيادة فمن أحاديث الآحاد التي لا توجب العلم

هذا رأى في الموضوع لعالم من علماء القرن الرابع الهجرى ، وهو رأى وجيه ، لأن تصوير الله تصوير الأجسام مما يقبل العقل حرمة تنزيها لله سبحانه وتعالى عن أخطاء البشر في تصور ذاته العلية . أما تصوير صورة خلقه اقتداء به ومحاكاة له في كمال صنعه وحسن إتيانه فما لا يقبل عقلا القول بتحريمها .

الإسلام والفنون الجميلة :

لا يشك أحد في أن الشعر والغناء والموسيقى والتصوير كلها من الفنون الجميلة ، ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الشعر والغناء والموسيقى قد ترعرعت في قصور الخلفاء والسلاطين ، واكتسب المشتغلون بها الكثير من الثروة والمجد ، وتمتعوا بقسط وافر من الاجلال والتقدير من كل الطبقات . وكلنا يعلم أن النبي قرب إليه حسان بن ثابت ، بمجدا الشعر في شخصه ، ومستعينا به في الرد على شعراء الكفار ، بل إنه صلى الله عليه وسلم عفا عن كعب بن زهير وقبل توبته واستمع في المسجد إلى شعره وسر منه وأعجب به وخلع عليه . كذلك كان الخلفاء والأمراء من بعد الرسول ، يميزون الشعراء على إجادتهم وتفننهم ، ولم نسمع فقيها من الفقهاء ثار على شاعر من الشعراء - مع ما نعله من تعريض القرآن بالشعراء - أو على ضرب خاص من الشعر ، لا سيما وأن أبواب الهجاء والغزل والخريات من دواعي المجون والفساد أكثر مما في الصورة أو النثال .

وإذا قال بعض الفقهاء إن التصوير ملهأة ومن أجل ذلك حرم ، فإنى أعتقد أن الغناء ملهأة أكثر ، ومع ذلك لم يقولوا فى حقه ما قالوه فى حق التصوير ، بل إن مجالس اللهو والغناء التى شهدتها قصور الأمويين والعباسيين وغيرهم من أمراء المسلمين فى الشرق والغرب ، لم تجد من العلماء والفقهاء معارضة مثلاً لى موضوع التصوير .

فإذا كان الإسلام قد ضم إلى رحابه الشعر بما فيه ، ولم يحكم على المغنين

والموسيقين بالنار والعذاب الشديد ، وإذا كان النبي لم يظهر استيائه لجماعة من بهم وكانوا يرقصون ؛ بل قال لهم : « جدّوا يا بني أرفدة ، حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديفنا فسحة . » إذا كان هذا كله قد اتسع له صدر الإسلام والمسلمين ، أفترض رحبته حين بهم التصوير أن يدخل إليها ، وحيث يكون في رعاية الإسلام وخدمته ، لا مناهضا له ؟

أعتقد أن الإسلام والمسلمين الذين رعوا تلك الفنون الجميلة لا يعجزهم أن يرعوا التصوير كذلك ، وأعتقد أن الخطر الذي كان يخشاه المسلمون السابقون من إباحة الصور والتماثيل قد زال الآن من الأذهان ، كما يقول الأستاذ الإمام .

الكلمة الأخيرة :

إن المستعرض للآيات التي وردت في القرآن خاصة بالأصنام وعبادتها ، يجد أن التحريم منصب على عبادتها واتخاذها آلهة من دون الله ، وذلك ظاهر في قوله تعالى : « وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر ، أتتخذ أصناما آلهة . » وقوله حكاية عن إبراهيم : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا . » فأبراهيم عليه السلام ينكر على الناس تعطيل عقولهم ويعيب عليهم ما أصابها من فساد جعل الناس ينصرفون إلى تعظيم أحجار لا تتففع ولا تضر ولا تنفي عنهم من الحق شيئا . فالتماثيل ليست بذات أثر في إفساد العقيدة ، ولكن فساد العقل وضعفه هو الذي جعل من هذه التماثيل أصناما تعبد من دون الله .

ثم إن سليمان كان نبيا ورسولا ؛ بعث بعقيدة التوحيد ودعا إليها ، وأنكر على من يسجدون للشمس فعلمهم ، ومع ذلك كانت الجن تصنع له التماثيل ، وكان ذلك منه من الله طالب إليه الشكر عليها . ولم ينقل عن سليمان ولا حكى الله عنه أنه ظن أن هذه التماثيل ستكون سببا في إفساد العقيدة ولوى الناس عن تعظيم الله والاعتراف بوحدانيته . ففساد العقيدة إذن لم يكن ناشئا عن إقامة التماثيل أو عمل التماثيل ، وإنما كان ناشئا عن شيء واحد هو فساد العقلية فسادا جعلها تتصور معنى الألوهية في مصادر الخير المحسوسة ، ومن ثم عبدت الشمس لأنها ترسل النور ، والقمر لأنه يبعث الضوء ، والماء لأنه سبب الحياة ، والنار لأنها مصدر الحرارة ، وهكذا ...

وما زالت العقلية البشرية تتدلى حتى عبد الناس الأصنام متوهمين حلول القوة الإلهية فيها ، ومدعين أنها تقربهم إلى الله زلفى ، فلما بعث الله محمداً كان من واجبه القضاء على الأصنام وما يمت إليها بسبب ، لا لأنها صور وتماثيل ولكن لأنها دليل على انحطاط العقلية البشرية . ومن ثم قرر قبح عبادات كثيرة لأنه لا فرق في فساد العقلية بين عبادة حجر صلد أو كوكب سيار ، أو ملك مقرب . وقد ظل النبي يحارب تلك النزعة ليرد العقل إلى طبيعته ، ويصلح منه ما فسد ، حتى إذا لمح فيه اتجاهها إلى طريق الصواب ، أخذ يخفف من بعض القيود التي وضعها في سبيل التصوير والتثيل ، فأباح ما كان رقياً في ثوب وما كان لعبة لتسلية الأطفال . ومن يدرى ! فلو أن مشكلة التصوير لم تكن ذات صلة بأصنام الكعبة وما قام حولها من صراع بين أهل الإسلام وأهل الشرك ، لأباحها النبي صلى الله عليه وسلم صراحة ، ولكن لها في شريعته مثلها كان لها في شريعة سليمان . ثم بعد هذا كله أليس من الأمور المقررة عند الفقهاء أن كثيراً من الأحكام كان لخصوص الظروف والبيئات ، وبناء على ذلك يتحتم علاج مشكلة التصوير تحت ضوء اعتبارات زمنية ومكانية جديدة مغايرة لما كانت عليه الحال فيما مضى ؟ بعد هذا كله ، لا يساورنى شك في أن الصور والتماثيل لا تتعلق بذاتها حل ولا حرمة من هذه الوجهة التي يثيرها بعض الفقهاء ، وإنما هي صناعة من الصناعات التي يسمو بها العقل ، وفن من الفنون التي يرقى بها الفكر ، وحاجة من الحاجات التي لا يستغنى الناس عنها في عصرنا الحاضر ، ولم يقل أحد إن الإسلام يناهض ما يسمو به العقل أو يرقى به الفكر ، أو يرغب في السير بالناس بعيداً عن ركب الحضارة والمدنية .

تصحيح خطأ

وقع خطأ في مقال ، الجامعة القديمة - الحديثة .

صواب	خطأ	س	ص
النعمان	ميمون	١٠	٣٩٣
٥٤٢٠ (١٠٢٩م)	٥٤٣٠ (١٠٣٨م)	١٣	٣٩٣
سنة ٥٤٢٠ (١٠٣٨م)	السنة نفسها	١٤	٣٩٣

جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ المجلد الثالث والعشرون

مجلة الأزهر

تصَدُرُ شَهْرِيًّا عَنْ مَشِيخَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدين مطمأن النفس

لما كان العالم الإنساني في القرنين الثامن والتاسع عشر ، كان الجو العلى على ما يريته من شمس وأقمار يأخذ لآلؤها بالابصار ، مشوبا بغيوم كثيفة من الشبهات في العقائد التي فيها سلوة الإنسان وعزاؤه على ما يصيبه من قوارع الحدثان فكان كلما أصابته قارعة استقبلها بقلب يعمره الإيمان بأن كل هذه النوازل الحوية من لوازم الحياة المادية ، فإذا ما انتهى دورها ، وانتقل منها الإنسان الى حياته الروحية ، ارتقى الى عالم منزو من الشوائب ، كله روح وريحان ، وأمن واطمئنان ، لا يزال يرتقى فيه بروحه وشموه حتى يبلغ من كرامة الوجود ما لا يخطر ببال ، ولا يمكن بيانه بالأقوال .

هذه كانت عقيدة العالم كافة الى ما قبل قرنين من الزمان ، فلما انتشر العلم بين الناس بانتشار المدارس ، وتولدت الشكوك والشبهات بتأثير الاكتشافات العلمية ، طرأت زعزعة في العقائد الدينية ، فكانت كارثة إن استمرت سائدة في العقول أثرت في أخلاق الإنسان وأطواره تأثيرا ليس من مصلحة النوع البشرى إهماله ، بل قذفت به الى حالة نفسية ليس من فائده الإبقاء عليها ، إن لم يكن بسبب تأثيرها في شخصيته ، فما تولده من فلسفة ليس مما يسمح به الخضوع لها .

نعم إن هنالك فرقا كبيرا بين نفسية من يعتقد أنه حيوان كسائر الحيوانات ، يعيش راتعا في المأكل والمشرب ، ثم يموت كما يموت حصانه وبعيره ويستحيل الى تراب تطأه الأقدام ، وتذروه الرياح الى كل اتجاه ، وبين نفسية من يعتقد أن حياته وإن كانت قصيرة الأمد لا تتجاوز بضعة عشرات من السنين إلا أنه خالد بروحه في وجود أرفع من الذي يعيش فيه سينتهى إليه ويحصد فيه جزاء ما عمل من بر ، وثواب ما بذل من جهد ، أو نشر من علم ، أو هذب من أخلاق ، أو أمات من بدع ، أو أحيا من سنن .

لا شك أن الفارق عظيم بين هاتين النفسيتين ، وتأثيرهما في توجيه الإنسان لا يخفى على أحد . فقد يعيش عشرات كثيرة من السنين حتى يبلغ أرذل العمر ،

ويقل طعمه ومشربه ، وتضمحل قواه ، وتذبل نضرتة ، ويكاد لا يستطيع الحركة ، وتجافيه لذاته ومحابه ، بل قد تساوره الأمراض من كل ناحية ، وتؤلمه حركاته الجسدية ، ومع ذلك يفضل أن يبقى فريسة لهذه المنغصات على أن يموت وتنصب على قبره القباب ، ويحيط به الناس من كل جناب . ذلك لأنه ذاق لذة الحياة وأدرك قيمتها ، ويخشى أن يرد بعدها إلى العدم ١١١

وقد شوهد أن الملح الذي يعترى النفس من الضعف الذي آلت إليه عقيدة خلود الروح ، كان يشتد لدى بعض الناس حتى ليكاد يقعدهم عن العمل ، ويشل حركاتهم الحيوية ، بل ويفضى بهم إلى الموت كذا . وقد استند كثير من الفلاسفة على هذا الشعور واعتبروه من أدل الأدلة على خلود الروح بعد انحلال الجسد . وصرح رجالا من العباد أنهم رأوا الأرواح وحادثوهم كما يتحادث الأحياء سواء بسواء . وجاء العلم أخيرا فصرح بأنه أثبت وجود الروح إنبأنا حسيا باستحضارها والتحادث معها ؛ فكان هذا انتصارا حاسما للدين ليس بعده مرمى ، فقد كان العلم الغربي قد اشتد في إنكار وجود الروح حتى عد القول بذلك خرافة لا يصح أن تبقى إلا عند صغار العقول .

ولم يقف من إثبات وجود الروح عند الحد الذي وقفت عنده الفلسفة ، فتوسع في مناحيه حتى صرح بأنه توصل إلى تجريدها من سلطان الجسد ، والتخاطب معها مباشرة ، وهي الحالة التي تتجلى بها فيما سموه بالتنويم المغناطيسى . وزاد في فتوحاته العلمية المتعلقة بها حتى أعلن أنه توصل بواسطة التنويم أيضا إلى إخراجها من الجسم فيصير ذلك الجسم في تلك الحالة كما يكون في حالة الموت ، مجردا من الحركة ومن التنفس أيضا ، وتكون هي على بعد منه ، وثبت وجودها لمتولى هذا البحث بوسائل توجب اليقين لابتنائها على الحس ، على أنها خارج الجسد ، فترى وتسمع وتفهم ، وتأتى من الأعمال المسادية بما يثبت وجودها خارج جثمانها اثباتا لا يشوبه شك . وقد أثرت هذه الفتوحات العلمية أعظم تأثير في العقول فانكسرت شوكة الملحدين ، وخفت أصواتهم ، وأصبحوا بعد أن كانوا يصيحون هل من مجادل ، يلزمون الصمت حتى ولو دعاهم إلى الكلام داع ، خشية أن يتصدى لهم خصم قوى الحججة ، فيظهر ضعفهم ، ويكشف مستورهم . ولماذا يتحاشى هؤلاء الجدال وقد كانوا من أكثر الناس ولو عابيه واعتاداً عليه ؟ لأن العلم في تقدمه زاد في عداد العقد

التي لا تحمل إلا بافتراض وجود خالق حكيم خلق الخلق على ما هو عليه ، وأقامه على ما اقتضته حكمته من الأصول ، ووجهه التوجيه الملائم له إلى الغايات البعيدة والابداعات التي لا تقف عند حد .

إن من أعجب ما ولدته العقول المريضة من أوهام ووساوس تخيل بعض الناس إمكان قيام هذا الكون بدون قيوم أوجده من العدم ، فيكون الحال أن العقل لا يستطيع أن يدرك أن أية مادة حقيرة يمكن أن توجد بذاتها ، والاستاذ المادى يريد أن يؤم الناس ويجعلهم يصدقون أن العالم كله على ما هو عليه من جلال يقوم بنفسه بدون عقل ينظمه وأنه متع بجميع ما فيه من ابداعات وقوى ونواميس بدون وجود مدبر عليم تولى ايجادها وتديرها ؟ أليس من حقنا أن نعجب من هذا التناقض العجيب ، بل الضعف العقلي المعيب . وإتنا لنسميه ضعفا عقليا لأن سخفه يكاد ينطق باستحالته ، فكيف يتأتى لشبهة هذا مبلغها من الضعف أن تدحض ما تقضى الخاصة الرئيسية للإنسان بضرورة وجوده ، وأن أى عمل إنسانى مهما صغر وحقر لا يتأتى أن يقوم ويثمر ثمرة المقصودة منه إلا تحت قيادته وتديره ؟ نعم إن الأمر جلال ، والعقل الإنسانى لا يستطيع أن يحول إلا فى الممكنات الجزئية التي يعملها بيده ، فلذلك هو يطلق على ما يتعاضى عن إمكانه ، والخضوع لسلطانه من الموجودات صفة المثل الأعلى ، وهو توجيه إلىهى ليستطيع تحت حوافزه الادبية أن يترقى فى أعماله ، وأن يتحرى فى حدود إمكان السبل التي يجب عليه أن يسلكها للوصول من أقرب الطرق إلى أغراضه ، ول هذه الشئون كلها ثمرة جليلة أخرى هى من أرقى مميزات ، وهى سرعة الإلآف للشىء ثم التبرم منه ، والنزوع لتغييره نزوعا لاهوادة فيه ، فتوافر له تحت هذه العوامل النفسية القوى التي تدفعه للعمل ، والمثل التي تترامى له ليتخير منها ما يتفق واندفاعه لاختيار الأكل . فأنت ترى أن حياة الإنسان الادبية سلسلة تطورات نفسية تبدأ ببسيطة ثم تتركب وتتعقد لأجل أن تحال بتفكير المشتغل بها إلى أجزائها خالصة من التعقد ، كاشفة فى الوقت نفسه عن وجوه شتى للأفضل والأكل .

هذه سيرة الإنسان ، وهذه طريقه إلى مثله العليا ، سائقا العالم معه إلى حياة إنسانية لا سبيل لأى عقل على إدراك حقيقة عواملها ، ومدى شوطها .

النفسي

البقرة

مفضّل الأساذ الشّخّ مامد محبسن
عضو جماعة كبار العلماء

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، سبق الكلام على طائفة المتقين وما هم عليه من أوصاف قد جعل الله جزاءها استقامتهم على الجادة وإفلاحهم إفلاحا سيجزون عليه عنده تعالى بالرضى والنعم . ثم تنى بالكلام على الكافرين وما تعمقوا فيه من اعوجاج وضلال حتى استوى عندهم الإنذار وعدم الإنذار . ثم تلك بالكلام على فريق آخر لا هم بالمؤمنين ولا هم بالكافرين ، بل هم فريق المنافقين الذين أبطنوا كفرا وأظهروا إيمانا ... ولما كانت تلك الحال المضطربة لا تطمئن فيها حياة ، ولا يستقر فيها عيش ولا يهأ فيها لأحد بال ، كان الذين يتخذون تلك الحياة القلقة قليلين . ولهذا نرى القرآن قد عبر به عن المتقين وعن الكافرين ، إذ عبر عنهم بما يقيد أنهما فريقان في المجتمع واضحان معهودان سلك كل سبيله في الحياة واضحا .

ف قوله ومن الناس أى وبعض الناس مما يسترعى النظر ويقف بك مواقف الإعجاب مما ارتقى إليه الكتاب من بلاغة ، ف البلاغة إلا تحديد المراد تحديدا لا يزيد فيه عما أردت شيئا ولا ينقص فيه عما أردت شيئا فإنك إذا قارنت الفريقين الأولين بالفريق الثالث وجدت القرآن قد حدد ببالغ أسلوبه واقع الأمر تحديدا دقيقا . فإن هذا الفريق لم يبلغوا إلا أن يكونوا بعض الناس .

هذا ولما كان المنافقون قد أظهروا إيمانا وأبطنوا كفرا فلم يكونوا بحسب ظاهر الأمر مع الكافرين ولا بحسب باطنه مع المؤمنين رأيت القرآن يجردهم

من الوصفين فلا يعبر عنهم بالكافرين . ولا يعبر عنهم بالمؤمنين . بل عبر عنهم بالناس لينطبق التعبير على ما حاولوه لأنفسهم من أنهم لا هم مؤمنون ولا هم كافرون . فانظر كيف قال في الحديث عنهم « ومن الناس » .

ولما كان هذا المسلك الذى سلكوه لأنفسهم فى الحياة مسلكا مكروها داعيا لحذر الفريقين لم مما يلفت الفريقين لم لفتنا قويا ، كانوا على قلتهم كالمعبودين المعروفين بذلك المسلك الشائن المخدور . فقال « من يقول آمنا ، من التى هى اسم موصول والاسم الموصول يفيد معبودية مدلوله وأن للنفوس شعورا خاصا به . ولما كانوا غير صادقين فى دعوى الإيمان ولم يكن الإيمان قد حل قلوبهم ،

ولم يكن الإيمان قد استنارت به نفوسهم ، ترى القرآن قد عبر بقوله « يقول ، مما يفيد أنه مجرد قول باللسان لا استيقان بالقلوب ولا اطمئنان للنفوس بل هم إنما يقولون بأفواههم ما لا أثر له فى قلوبهم ، ولما كان القرآن كما قلنا لا يترك ما يقصد إليه من معنى دون تحديد لا يدع منفذا يخرج منه شيء مما أريد أو يدخل منه شيء مما لم يرد ، تراه أتبع قوله ، يقول آمنا ، ما يؤكد أنه قول لم يمس قلوبهم ولم يحل نفوسهم ، وهو ما نفى به عنهم الإيمان ، أى قوله « وما هم بمؤمنين » ، ولزيادة التأكيد فى أنهم كاذبون فيما يدعون عبر عن نقي الإيمان بجملة إسمية مؤكدة بزيادة الباء فى خبر (ما) مبالغة فى أنهم ليسوا من الإيمان فى ورد ولا صدر .

وإليك لافتة أخرى فى تلك الآية مما يدل على دقة القرآن فى تحديد المعاني تحديدا دقيقا هو مثار الإعجاب ومناط الإعجاز ، فإن هذا الفريق فريق المناققين الذى يتحدث عنه القرآن لم يستطيعوا لشدة بغضهم لرسول الله أن يخادعوا المؤمنين فى شأنه ، وكل ما غلبوا فيه خبث نفوسهم ، أن خدعوا المؤمنين فى شأن الله واليوم الآخر ، فاقصروا فى مزاعمهم على أن قالوا آمنا بالله وباليوم الآخر ، وتعاصت عليهم ألسنتهم أن يقولوا آمنا بالرسول ولو كذبا وزورا ، وبهذا أبرز القرآن نفسياتهم نحو الرسول الكريم حتى يعرف المؤمنون مبلغ بغضهم لرسول الله .

هذا ويصح فى لفظة (من) التى فى الآية أن تكون نكرة موصوفة ، وعليه يكون المعنى ، وبعض الناس ناس يقولون آمنا وإن كان جعلها موصولة أدل على أنهم مع قلتهم قد جعلهم مأم عليهم من خيثة الصفات أولى لون خاص ومظهر محدد يستدعى شعور الفريقين بهم شعورا حادا ، فهم إلى العهد الذى يدل عليه الموصول أقرب منهم إلى التكسير ، وبهذا يكون تفسير (من) بالموصولية أرجح منه بالموصوفية .

يا لله ولعجائب القرآن : المنافقون على الحقيقة كافرون فهم فريق من الكفار والكفار ناس كثيرهم ، فالمنافقون بهذا الاعتبار فريق من الكفار ، ولما كان حالهم أن أخفوا كفرهم وجردوا أنفسهم ظاهراً من الوصف الذي يجمعهم بطائفة الكافرين ، عبر القرآن عنهم بأنهم بعض من الناس فقط لا هم بالكافرين ولا هم بالمؤمنين ، وفي ذلك مبالغة في الخط من شأنهم والاحتقار لوضعهم ، فهم لم يخرجوا عن كونهم ناساً فقط ، لم يخرجوا بأوصاف أهل اليمين إلى اليمين ولا بأوصاف أهل الشمال إلى الشمال ، بل بقوا في منحدر لا يمر بهم سالك الجادة ولا سالك المعوج من الطرق .

وإنما قال : وما هم بمؤمنين ، ولم يقل وما آمنوا ، تعبيراً بالماضي ، ولا لا يؤمنون ، تعبيراً بالمضارع ، بل ترك التعبير بالفعل جانباً ، لأن الذي يحدد المراد هو التعبير بالوصف لأنه للحال ، والذي يراد إنما هو نفي الإيمان عنهم حالا ، أى حال قولهم كذبا (آمنا بالله وباليوم الآخر) . حتى يوافق التعبير بالوصف الجملة التي نفي بها عنهم الإيمان فإنها قد بدئت بواو الحال .

وعلى هذا فأى أسلوب يبلغ مبلغ هذا الأسلوب في تصغير شأنهم وتحقير أمرهم إذ يعبر عنهم بأنهم بعض وبعض من الناس المجردين عن كل وصف حسن أو قبيح والمنعزلين عن كل طائفة مؤمنين أو كافرين فلا يعرفون إلا بأنهم الذين عهدتم منهم محاولة إخفاء شأنهم وما هم عليه مخادعين الأقوياء بظواهرهم مصادقين الضعفاء بباطنهم لم يستطيعوا اطمئناناً من نفوسهم للردية وارتكاناً من قلوبهم للحقارة أن يكونوا إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، بل كانوا مذبذبين بين ذلك ، وبهذا كان جزاؤهم من الله شر جزاء ، لم يرض لهم ما سيحقيق بهم من عذاب أن يكونوا معه في مستوى فريق الكافرين ، بل سينزلهم بما يستحقون في الدرك الأسفل من النار حتى يكونوا وقت عذابهم في مثل ما اختاروا لأنفسهم من أمكنة الخفاء والالتواء ، وما أعظم عدل الله إذ خصهم بشر أنواع العذاب ، فليس أضرب بالاجتماع من هذا الفريق من الناس فهم الفاصلون لعرى المودة بين أفراد المجتمع وهم المشعلون لنار الفتنة بين الناس هم على الجملة المفسدون للعلاقات ، المؤذون دون اتخاذ الاحتياط ، فاللهم احفظ المجتمع شر هؤلاء ، وطهره من أمثالهم حتى يستقيم الحال ويطمئن البال .

الأزهر

الجامعة القديمة — الحديثة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تعريب المقال الفرنسي الذي أنشأه فضيلته إجابة لرغبة وزارة الخارجية المصرية ،
لنشره في جريدة « الموند » الباريسية في عددها الخامس بصرى ، بمناسبة انعقاد الدورة
السادسة لجمعية الأمم المتحدة في باريس (ديسمبر ١٩٥١ — يناير ١٩٥٢) .

— ٣ —

رسالة الأزهر خارج النطاق المدرسى

أما بعد ، فإن أبداع طابع تمتاز به الجامعة الأزهرية ، ليس هو أنها قد جمعت
في تعليمها بين هذين العنصرين الروحي والزماني ، اللذين نراهما منفصلين في سائر
الجامعات ؛ بل ميزتها الكبرى هي أن الميدان الذي تندفق فيه حيويتها يتجاوز كل
حدود التعليم والتثقيف ، ويرتقى إلى دور من أهم الأدوار في توجيه حياة الجماعة .
إن رسالة الأزهر على الجملة ، إنما هي امتداد لرسالة الإسلام ؛ ألا وإن

الإسلام ليس مجموعة مبادئ نظرية تفرس في الأذهان وحسب ، وإنما هو قوة
دافعة خلاقة ، غايتها أن تنظم السلوك الإنساني تنظيمًا فعليًا ، طبقاً لاسمى المثل
وألسها قياداً على التنفيذ العملي . فليس يكفيه إذاً أن يبين هذه المبادئ دون أن يسهر
على تطبيقها ... وهذا التطبيق لا يخص سلوك الفرد في نفسه ، أو في أماكن عبادته وكفى ؛
لأن قانون الإسلام ، الذي هو موضوع التطبيق ، لا يعرف هذا الفصل بين الدين
وشؤون الحياة ، بل إن قواعده العملية تمتد إلى جميع ميادين النشاط الاقتصادي
والأخلاقي ، في حياة الفرد ، والأسرة ، والأمة ؛ بل في حياة الجماعة الإنسانية كلها .

غير أن هاهنا سؤالاً يثيره هذا البيان :

ترى هل في الإمكان أن يوضع جهاز لتنفيذ هذا القانون الشامل في ذلك

الميدان اللانهاى ؟ هل يستطيع أحد أن يتصور هذا الرقم الخيالى لذلك العدد من جنود الفضيلة (بوليس الآداب) اللازم للسهر على تحقيق هذه المبادئ فى كل مكان ؟ لقد حل الإسلام هذه المشكلة من أقرب الطرق وأيسرها . ذلك أنه عهد إلى جميع أفراد الجماعة بمهمة هذه الرقابة ، وجعلها فى الوقت نفسه رقابة متبادلة ؛ إذ خول لكل فرد حقاً - بل ألزمه فرضاً - أن يبذل نصحه للآخرين ، وأن يعارض ويقاوم بقوله وفعله كل من سولت له نفسه أن يرتكب ظلماً ، ولو كان هو الرئيس الأعلى . غير أنه ضماناً لنجاح هذا التدخل ، ومنعاً لاحتimalات اللبس وللإخطاء الضارة فى تطبيقه ، جعل هذا السلطان الادبى - المخول مبدئياً للجميع - حقاً بالأولوية لأولئك الذين نالوا قسطاً كافياً من المعارف النظرية والعملية ، وكانت لهم بذلك أهلية خاصة لاستعمال هذا السلطان .

من أجل ذلك عنى الأزهر - إلى جانب تكوينه لأسرة التدريس - بتخريج جماعة من المصلحين الاجتماعيين ، ليكونوا فى صلة دائمة بالشعب ، ويتجهوا إليه بإرشاداتهم فى كل مناسبة . ولدى الأزهر منهم الآن أكثر من ٢٨٠ واعظاً ، موزعون توزيعاً متناسباً بين العاصمة وسائر الأقاليم . وإن العدالة ، و « الأمن » ، لمدينان أعظم الدين لجبل نصائحهم التى يوجهونها إلى الجماهير ، وإلى الأسوة الحسنة التى يقدمونها لهم فى سيرتهم الشخصية ، وإلى طرق الإصلاح التى يمدونها لهم فى المنازعات ، كما تشهد بذلك السجلات الرسمية .

وفى الوقت نفسه نجد فى الأزهر لجنة دائمة من العلماء تلتقى المكاتبات من كل سائل ، عما أشكل عليه من أحوال السلوك وشؤون المعاملات ، وتجيبه بما يزيل شبهته ، ويثير له السبيل السوى .

ومن وراء ذلك كله - وفوق كل هذه الخدمات الجليلة - يتمتع الأزهر بسلطة معنوية أكثر عمقا ، وأبعد حدودا ، يستعملها فى توجيه السياسة العامة ، لافى مصر وحدها ، بل فى سائر البلاد الإسلامية . وها هنا أيضا لا تعوزنا الشواهد لإبراز هذه الحقيقة . فلقد أتى على عرش مصر لحظة من الزمن ، فى سنة ١٨٠٥ م ، كان

فيها يبدو متردداً بين «خورشيد» و«محمد علي»، فكان الثقل الذي وضعه نفوذ الأزهر هو الذي رجح كفة الميزان في جانب محمد علي، ووضع الباب العالي أمام الأمر الواقع في اختياره والياً على مصر. وفي سنة ١٩١٩ كان الأزهر هو المنبر الذي ارتفع منه أقوى صوت في المطالبة بإلغاء الحماية الانجليزية، وكان حرم الأزهر هو المهبط الذي ولدت فيه الوحدة التي لا تنقسم عراها بين أقباط مصر ومسلميها، لإحباط الدسائس البريطانية التي حيكت للتفريق بين العنصرين.

أما نفوذ الأزهر في الأقطار الإسلامية فليس من نوع ذلك النفوذ الغامض البعيد، الذي يتمتع به الأزهر بفضل مهابة اسمه وجلال مركزه لحسب؛ بل إن له في تحقيقه وسائل حية، وأدوات ناطقة. نعم؛ أليس للأزهر ممثلوه في أقطار الإسلام، ولتلك الأقطار ممثلوها فيه؟ أو ليس هؤلاء الممثلون من الجانبين هم حلقة الاتصال المتبادل الذي يحفظ وينمي هذه العلاقات الوثيقة بين الطرفين في مختلف النواحي الثقافية والأدبية والروحية؟

فأما من أحد الجانبين، فإن الدول الإسلامية (العربية منها وغير العربية) لا تفتأ تلتبس من الأزهر في كل عام، عدداً من علمائه ليصروا شعوبها بحقائق الإسلام، أو ليكبروا أعضاء في هيئات التدريس في جامعاتها ومعاهدها، ولا يسع الأزهر إلا أن يرحب دائماً ببنائهم فلا يرد لهم ملتصاً. وقد بلغ الآن عدد المندوبين من علماء الأزهر في خارج القطر ٧٥ مدرساً في الأقطار الممتدة من جزائر الفلبينيين إلى مملكة ليبيا. بل إن الدول الغربية قد أفادت من نظام الانتداب المذكور، سواء لتغذية جامعاتها، أو لإدارة مراكز الإسلام الثقافية فيها. وما نحن أولاء نرى من أساندة الأزهر مندوبين بالفعل في «لوندرة»، و«واشنطن»، و«سان فرانسيسكو»، وقد نرى قريباً وصول هذا المدد إلى «باريس» أيضاً... لم لا؟

ونعود إلى الأقطار الإسلامية فنقول: إن صلتها الوثيقة بالأزهر تقوم — من جهة أخرى — على تلك الألوف من شباب المتعلمين الوافدين منها، والذين يتبناهم الأزهر فيطعمهم بطابعه، ويصنعهم على طرازه. وإن الحفاوة التي يقدمها لهم لمفعمه بأنواع الكرم والضيافة. فهو يؤويهم بالمجان، ويمنح كلا منهم شهرياً مقداراً من المال كافياً لمعيشته؛ وعلى الرغم من زيادة عددهم عاماً بعد عام، فإن هذه المرتبات يجدونها مكفولة لهم على الدوام، بفضل المسكارم السامية التي يتحلى بها الفاروق،

حيث يكمل كل عجز في ميزانيتهم بما يمنحه جلالته من جيبه الخاص ؛ فضلا عن ذلك فإنه يدعوهم الى مواعيد الملكية لتناول طعام الإفطار في شهر رمضان . كما أن الجامعة تهيب لهم في أثناء العام رحلات مدرسية بالمجان الى الاماكن الاثرية ومعالم السياحة ، وتعد لهم في الصيف مقاما هادئا على شواطئ البحر في الإسكندرية . وفي نهاية دراستهم تمنحهم شهادات ينفعون بها عند عودتهم ، لا في التدريس فحسب ، بل في مختلف المناصب في بلادهم . ولقد بلغ عدد هؤلاء الضيوف في هذا العام أكثر من ثلاثة آلاف طالب ، هم سفراء الأزهر غدأ الى بلادهم . فإذا سارت الأمور على هذا المنوال لم تمض بضعة عشرات من السنين حتى يكون الأزهر قد جعل من جميع الشعوب الإسلامية أمة واحدة متجانسة في ثقافتها ، كما هي متجانسة في عقيدتها وآدابها .

* * *

على أن الرسالة الحقيقية للأزهر لن تتحقق على وجهها الأكمل إلا إذا تجاوزت حدودها الإقليمية في الشرق الإسلامي ، وأسمعت صوتها من وراء تلك الحدود . نعم إننا اليوم - وقد تنازعت العالم قوى متاحرة ، وآراء متافرة ، قد عجزت أطرافها أن تلتقي عند حد وسط يوفق بينها . وقد أخذت في صراعها تسرع بنا الخطأ نحو الكارثة الكبرى - أقول إننا اليوم لنقى أمس الحاجة إلى قوة ثالثة تقسم بطابع التعادل والتوازن ، لا عن طريق التلقيق بين عناصر متناكرة ، بل عن طريق وحدة طبيعية متماسكة ، يألف فيها عنصرا المادة والروح ، وتتساند فيها مطامح المنفعة وعواطف الإيثار ، وتتعاقد فيها حرية الفرد وسلطان الدولة ، وتندرج بها المصالح القومية في نطاق الرحمة الإنسانية العالمية ؛ وبالجمللة فإننا اليوم في أشد الحاجة إلى تلك الحكمة الشرقية الإسلامية ، التي يعد الأزهر خير ممثل لآدابها .

ويوم يتمكن الأزهر من أن يصوغ هذه السياسة الرشيدة في أسلوب واضح سائغ محدد ، ويتيسر له من الوسائل ما يفسر به هذه المبادئ في الميدان العالمي ، ويبدى فيه المعسكران المتصارعان في الوقت نفسه من حسن النية وقوة العزيمة ما يجعلهما يصغيان إلى ندائه الحكيم - يومئذ يكون لنا أن نتحدث بحق وصدق عن السلام الشامل ، وعن الأمن العالمي الكامل ، لا حلماً من نسج الأوهام ، ولكن حقيقة حية صالحة للبقاء .

مركز المسلمين في العالم

أفضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمد المدني

المفتش بالأزهر

إن العالم تنازعه الآن قوتان عظيمتان ، كلتاهما تعمل على توطيد سلطانهما ، وتمكين مبادئها وأفكارها في ربوعه ، ولم يعد خفياً على أحد أن هذه الأحوال المضطربة ، وهذه الظلمات التي تنشى الناس ، وهذه المخاوف التي تملأ نفوسهم ، وتحير عقولهم ، وتفسد عليهم أمورهم ؛ إنما ترجع إلى هذا التنازع العنيف بين هاتين القوتين ، وحرص كل منهما على أن يكون لها السلطان في الأرض ، والأمر النافذ الذي لا مرد له في مختلف شئونها .

وقد سخرت موارد العالم كلها وجميع قواه المادية والمعنوية لإذكاء نيران هذا التنازع الخطير الذي يكاد يودي بالبشر ، ويمحق بجميع الحضارات والمدنيات ، فعبثت الجيوش والأموال ، والصناعات والزراعات ، والمواهب والأفكار وسائر الجهود في كلا المعسكرين ، وصار العالم في كل ناحية من نواحيه موطناً للشقاء والبؤس والحرمان ، والخوف والفزع ، وبدت فيه مشاكل لم تكن من قبل ، وهددته أخطار كان في أمن منها ، وأصبح قاداته ومفكروه وعلمائوه في حيرة من أمرهم ، يدركون وغامة العواقب ، وينادون لإخوانهم محذرين ، ولكن أحداً لم يستمع إليهم ، ولا يعبأ بهم ، والمسلبون في مختلف شعوبهم وأوطانهم يقفون من هذه الأحداث والأخطار موقف الحائر الوجمل الذي لا يدري ماذا يفعل ، ويرى في كلتا الجهتين خطراً يهدده ، وشرأ يوشك أن ينزل به .

وُحِقَ للمسلمين أن يخافوا ويتوجسوا فقد وقفوا أنفسهم في المصير الأخيرة عصور الضعف والتخلف والتقاطع والتخاذل - موقف من لا رسالة له ، ولا فكرة لديه ، فقد جعلهم الله أمة وسطاً بأن آتاهم شريعة سمحة لا ترمى إلى استخلاص

الإنسان لحياة الرهبة والانتقطاع ، ولا تسمح له بأن يكون مادياً بحثاً لا ينظر إلى الأمور إلا بين الأثرة والشهوة الخاصة ، وجعلهم هكذا ليكونوا شهداء على الناس ، أى قوة عاملة مؤثرة فى توازن العالم بين هاتين النزعتين ولكنهم بدل أن يكونوا هذه القوة العاملة المؤثرة ، رضوا لأنفسهم أن يعيشوا موجهين ترسم لهم خططهم ، ويلقى إليهم بها كي ينفذوها ، ويسيروا على منهاجها ، وبهذا صاروا ذيو لا رموساً ، وخيمت عليهم الذلة بعد أن كانت لهم العزة ، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين . .

يقول الله عز وجل « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمنون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » . ويقول عز اسمه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، فقد أسند فى هاتين الآيتين فلاح الأمة وخيريتها إلى كونها موجهة إلى الخير والحق ، عاملة على تركيزهما فى العالم ، داعية إلى المعروف ، ناهية عن المنكر ، فإذا كان هذا هو شأن الأمة وواقع أمرها فى حياتها ، كان لها أن تطمئن إلى أنها خير أمة ، وأن تطمئن إلى « الفلاح » الذى وعدما الله به فى الدنيا والآخرة ، وإن كانت الأخرى فى أمة ضئيلة لا وزن لها ولا مكان فى العالم ، وهى من الخاسرين .

إن العالم كله وحدة متشابكة المصالح والمنافع ، مثله كمثل حوض مليء بالماء تسبح فيه أنواع من الأسماك ، فإذا تغير هذا الماء بالتعطن أو الفساد أو عرست له برودة أو سخونة أو غير ذلك ، فإن هذا لا يعرض لفريق من الأسماك دون فريق ولكنه يعرض للجميع ، ويؤثر فى الجميع ، وقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بدين عام هو نور وهدى للناس أجمعين ، ولم يكن مما جرت به سنة الله أن يحفظ بشراً فيؤتبه الخلد حتى يخلد محمداً ليدعو إلى دينه جميع الاجناس فى جميع الاجيال « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » ، ولهذا كان المسلمون خلفاء على هذا الدين العام الخالد ، عليهم أن يلبذوه ، وأن يؤدوا أمانته فى كل عصر ؛ ولكل قوم وأن يجعلوه فكرتهم ومنهجهم ، ودعوتهم التى يدعون إليها أرباب العقول ، ويعملون على صبغ الحياة بلونها ، وإجرائها على نسقها ، فإن هم قصرُوا فى ذلك

أو نكصوا عنه ، فقد خانوا أمانة الله ورسوله ، وخانوا أمانة التكافل الإنساني الذي يعتبر عهداً فطرياً بين أبناء آدم ، وقد عرّضوا أنفسهم لالوان النكبات والمصائب التي لا تصيب الذين ظلموا خاصة ، ولكن تصيب الساكتين عليها كما تصيب مقترفيها . فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين) . . . واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب . . .

يبد أن الداعي إلى الهدى والرشاد يجب أن يكون مهدياً راشداً ، فقد ألف الناس أن ينظروا إلى أشخاص القائمين بالدعوات قبل أن يستمعوا إلى ما يقولون ، فان رأوهم مؤمنين بها إيماناً عملياً يبدو في أعمالهم قبل أن يبدو في أقوالهم كانوا سراعاً إلى إجابتهم وتلبية دعوتهم ، وان رأوا في مظهرهم وأحوالهم ما يناق دعوتهم قالوا : لو كانوا صادقين لكانوا عاملين ، أو قالوا : لو كانت مبادؤهم تفضى إلى الخير والسعادة والصلاح لكانوا أخيراً سعداء صالحين ، وبهذا تنصرف النفوس عنهم ، أو على الأقل تصعب عليهم مسالك الإقناع بدعوتهم فيحتاجون إلى أن يقولوا - كما يقول المسلمون الآن - : لا تنظروا إلى أعمالنا وأحوالنا ، ولكن انظروا إلى شرعنا وديننا ، كأن العالم كله مؤلف من فلاسفة منصفين محصين يستطيعون أن يفرقوا بين القول والقائل ، والدعوة والداعي .

لهذا يجب أن يبدأ المسلمون بإصلاح أنفسهم ، وأن يعودوا إلى حياتهم الأولى حين كانوا أمة واحدة مؤمنة عاملة ناصبة تقول الحق وتهدى بإذن الله إلى صراطه المستقيم .

تقطعت الأمة الإسلامية شعوباً ، وصار كل شعب يفكر في أحواله الخاصة ، ويرسم سياسته في معزل عن سائر الشعوب الإسلامية الأخرى ، بل صار الشعب الواحد أحزاباً مخلفة متاحرة يضرب بعضهم بعضاً ، ويتبادلون التهم والظنون ،

حتى أهل الدين والعلم نراهم متقاطعين متباعدين ، ترى أحدهم يحل شيئاً والآحر يحرمه ، وترى كل واحد منهم يزعم لنفسه ولمن اتبعه أنه هو الذى يفهم الإسلام فهما صحيحاً ، وأن فلانا وأتباع فلان ضالون أو مضلون إلى غير ذلك مما صورنا أمام الأمم بهذه الصورة التى جعلت أحد المستشرقين الأوربيين يقول لاحد شيوخ الأزهر : أى المبادئ الإسلامية التى تدعون إليها ؟ أى المبادئ التى كان يدعو إليها الشيخ محمد عبده ؟ أو هى المبادئ التى يدعو إليها الشيخ يوسف الدجوى ، أو هى مبادئ الشيخ الطواهرى أو مبادئ الشيخ المراغى أو مبادئ الإخوان المسلمين ، أو مبادئ أنصار السنة .. الخ

نعم إن هذه مغالطة ومجادلة ، لأن الدعوة إلى الاسلام إنما هى الدعوة إلى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتاب والسنة وأصول التشريع الصحيحة ، وما هؤلاء الرجال إلا علماء ومفسرون فى دائرة هذه الشريعة ، لم أن يختلفوا أو يتفقوا ولا يدل اختلافهم على اختلاف الحق وما شرعه الله ، ثم إنهم لم يختلفوا على الأصول التى بها صلاح العالم ، ولكن لكل منهم وجهة هو مولها فيما لا يضر فيه الاختلاف ، ولا يؤثر فى الصلاح والاصلاح . فقول هذا المستشرق مغالطة ومغالبة بالباطل ، ولكنى أنظر اليه من ناحية واحدة هى أنه استعان على مغالطته بما رآه ينتنا من عنف وحدة فى الخلاف جعلاً كثيراً من أهل العلم يتقاذفون ويتنازرون بالألقاب ، ويسرفون فى تجريح بعضهم بعضاً ، وقد كان الخلاف بين العلماء من قبل هادئاً عفا لا يخرج بالمختلفين عن دائرة الحجة والبرهان فحولناه إلى عصبية وأحزاب ذات أنصار وأعداء ، لاهم لهم إلا أن يحتربوا ويتباروا فى خوض معركة التجهيل والتضليل ، بل التفكيك أحياناً ، فكانت النتيجة الختمية لذلك أن يزهد الناس فى علم الدين ، وظنوا بعلمائه الظنون ، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

ومجال القول فى حاجة المسلمين وأهل العلم منهم إلى الاصلاح فسيح ، وأسباب ذلك وآثاره معروفة واضحة ، وإنما ينقصنا العمل والتآزر فيه ، والتعاون الذى أمرنا الله به ، وأن نكون قوامين بالقسط شهداء الله ، فتى نكون كذلك .

أبو زيد الدبوسي

المتوفى سنة ٤٣٠ هـ

لفظيد الاستاذ الشيخ عبد الله المرغني

مدير المساجد بوزارة الأوقاف

يهم الباحثون في تاريخ المجتمعات البشرية بدراسة الأشخاص البارزين والأفذاذ المصلحين الذين ربطوا حياة المجتمع بحياتهم ، وبثوا فيه من روحهم وعزمهم وتفكيرهم وقوتهم ونشاطهم . وهم يقولون إن من أفراد المجتمع ، من يعدون كالأصفار الموضوعة على يسار الأعداد ، فهي لا تفيدها زيادة ولا نقصا ولا تؤثر فيها ارتفاعا ولا انخفاضاً ، وهذه النظرية التي دعم قراءتها علماء الاجتماع ، وعلماء التاريخ والتطور والارتقاء ، يمكننا أن نجعلها أساساً في تاريخ العلوم والفنون والمخترعات والمكتشفات ، بل يمكن اعتبارها أساساً في كل مرفق من مرافق الحياة فكل ناحية من نواحي بناء المجتمع ينبت فيها أفراد يؤثرون تأثيراً واضحاً في علم من العلوم أو في مخترع من المخترعات فينسب ذلك العلم إليهم ويشتهر بهم .

وقد اخترت أحد هؤلاء الأفراد الناجين تنطبق عليه تلك القاعدة إذ نسب إليه علم من العلوم نشأ على يديه وأعني بذلك علم الخلاف والجدل الذي ابتكره أبو زيد الدبوسي . فهو أبو عبيد الله بن عمر بن عيسى القاضي الدبوسي نسبة إلى دبوسية بفتح الدال المهملة وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وسين مهملة . وهي بلدة بين بخارى وسمرقند وإليها نسب جماعة من العلماء .

وقد تفقه على أبي جعفر الاستروشني ، وله في الأصول كتاب الاسرار وكتاب تقويم الأدلة ، وكتاب الأمد الأقصى ، وكان آية في النظر واستخراج الحجج ، وقد ضرب به المثل في شدة عارضته وإخامه لخصومه فقد روى أنه ناظر يوماً بعض الفقهاء فكان كلما ألزمه أبو زيد إلزاماً ، وأخفه إخاماً ، وأعجزه إعجازاً ، تبسم

أو ضحك مكتفيا من إقامة الحجّة ، وإظهار قوة الجنان وحضور البديهة بتلك الحركة الآلية اللسانية . فأنشد أبو زيد في ذلك :

مالي إذا ألزمته حجة قابلي بالضحك والقبضة
إن كان ضحك المرء من فقهه فالذب في الصحراء ما أفقهه

وما جاء ابتكاره عن طريق المصادفة وعفو الخاطر ، ولكن ابتكاره جاء نتيجة للظروف العلمية والجدل المنطقي الذي نشأ في العصرين الرابع والخامس من التاريخ الهجري . في الوقت الذي قام فيه كل فريق يدافع عن مذهب إمام من الأئمة . وقد حمى وطيس الجدل واشتد إواراه على الأخص بين الحنفية والشافعية ، ففتح ذلك الجدل بابا لهذا العالم الجليل ، فأخذ يضع القواعد ويؤسس الأسس ويقيم الدعائم لعلم الخلاف . ولا بد لنا هنا من الرجوع إلى الوراء قليلا لنرى كيف نشأ علم أصول الفقه . وكيف احتاج هذا العلم إلى علم الخلاف ليكون حارسا أميناً على قواعد أئمة المذاهب التي استندوا إليها في استنباط الأحكام الفقهية . فما لا خلاف فيه بين العلماء أن الإمام الشافعي وأضح علم الأصول ، ونسبته إليه كفنسة علم المنطق إلى أرسطاطاليس وكفنسة علم العروض إلى الخليل بن أحمد . فقد أملى الشافعي رسالته التي جعلت كفنسة لما أملاه من كتاب (الام) .

وافتح الرسالة بذكر البيان وتعريفه ثم قسمه إلى بيان قرآن وبيان سنة وبيان اجتهاد . (وهو القياس) ثم ذكر العام والخاص في القرآن وبين العام الباقي على عمومته والعام الذي دخله الخصوص ثم تعرض لبيان منزلة السنة من الكتاب ثم تعرض للناسخ والمنسوخ ، وتعرض لأبحاث تتعلق بالأحاديث المروية وبيان درجاتها في الاحتجاج كما تعرض للاجماع والاستحسان ، وغير ذلك من الأبحاث التي جعلت كحجر الزاوية لهذا الفن . وقد أخذ العلماء يشرحون رسالة الشافعي ، فشرحها أبو بكر محمد بن عبد الله الشيباني الجوزقي النيسابوري المتوفى سنة ٣٨٨ هـ والإمام محمد بن علي التفتال السكيري الشافعي المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وأبو الوليد حسان ابن محمد النيسابوري القرشي الأموي المتوفى سنة ٣٤٩ هـ وأبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي المتوفى سنة ٣٣٠ هـ كما شرحها غير هؤلاء .

وقد كان لهذه الشروح مشربان مختلفان ومسلكان متباينان : مسلك المتكلمين ومسلك الفقهاء ، فنزع كل فريق منهم المنزع المناسب لفنه ، فعنى الفقهاء بجانب الاستنباط والتفريع وعنى المتكلمون بما توحى به مباحث علم الكلام من التعقيد للقواعد والتأصيل للأصول . ويحدثنا فى ذلك ابن خلدون فى مقدمة تاريخه فى باب أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات فيقول وكان أول من كتب فيه أى فى علم أصول الفقه الشافعى رضى الله تعالى عنه أملى فيه رسالته المشهورة تكلم فيها فى الأوامر والنواهي والبيان والخبر والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا تلك القواعد ، وأوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون أيضا كذلك إلا أن كتابة الفقهاء أمس بالفقه وأبقى بالفروع لكثرة الأمثلة والشواهد فيها وبناء المسائل على النكت الفقهية والمتكلمون يجردون صور تلك المسائل عن الفقه ويميلون إلى الاستدلال العقلى ما أمكن لأنه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم . وكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والنقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء أبو زيد الدبوسى من أئمتهم فكسب فى القياس بأوسع من جميعهم وتم الأبحاث والشروط التى يحتاج إليها فيه . وقد فصل ابن خلدون طريقة المتكلمين وبين المؤلفين الذين نهجوا هذه الطريقة .

ونكتفى فى هذا المقال بما ذكرناه عن ابن خلدون متصلا بطريقة الحنفية فى الأبحاث الأصولية وينسخ أماننا المجال لبيان فضل أبى زيد الدبوسى فى تأسيس علم الخلاف الذى جمع زبدة أفكاره فى هذا العلم فى كتاب سماه ، تأسيس النظر فى اختلاف الأئمة فى علم الجدل والخلافات ، .

وبالرجوع الى خطبة هذا المؤلف تبين منها الباعث الذى حدا بأبى زيد الى أن ينصب نفسه منشئا لهذا العلم ومبتكرا له إذ يقول : لما رأيت تصعب الأمر فى تحفظ مسائل الخلاف على المتفقه . وفهم الله تعالى لمرضاته وتعسر طرق استنباطها عليهم وقصور معرفتهم عن الاطلاع على حقيقة مأخذها واشتباء مواضع الكلام عند التناظر فيها جمعت فى كتابى هذا أحرفا إذا تدبر الناظر فيها وتأملها عرف مجال التنازع ومدار التناطح عند التخاصم فيصرف عنايته الى ترتيب الكلام

وتقوية الحجج في المواضع التي عرف أنها مدار القبول ومجال التنازع في موضع النزاع فيسهل عليهم تحفظها ويتيسر لهم سبيل الوصول الى عرفان مأخذها . فأمكنهم قياس غيرها عليها وذلك أني لما نظرت في المسائل التي اختلف فيها الفقهاء وجدتها منقسمة الى أقسام ثمانية ، ثم ذكر الأقسام ، ويظهر فضل أبي زيد وأصحابه جليا في كتبه الأصولية كما يظهر في فتاواه وغيرها من الأبحاث الفقهية وحيث تعرضنا في هذا المقال لواقع علم الخلاف والجدل ، فيجمل بنا أن نلم للمامة عاجلة بهذا العلم فزرى في مقدمه ابن خلدون تعريفا لعلم الجدل إذ يقول : هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم .

فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة الى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وحين يكون مترضا ومعارضاً وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال ، ولذلك قيل فيه أنه معرفة القواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ رأى أو هدمه سواء أكان ذلك الرأى من الفقه أم من غيره ، ثم ذكر مسلك الفقهاء ومسلك المنطقيين وبين حدود وآداب كل من المسلكين .

وبهذه الصورة المصغرة لنشأة علم الخلاف وبيان آثاره في العلوم الفقهية ، وغيرها من أنواع الجدل يتبين فضل مترجمنا . ويتبين أنه علم من أعلام فقهاء الاسلام الذين كان لهم رأى يناخون عنه ويبرهنون على إثباته بجهان ثابت وعقيدة راسخة وحجة دامغة . وقد كانت وفاة أبي زيد بينخارى سنة ثلاثين وأربعمائة من الهجرة ٢

الجهاد خير كله

لفقيه الأئمة السبع محمد عبد النواب

المفتش العام للوعظ بالأزهر

قال الله تعالى في محكم كتابه وهو أصدق القائلين : يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا . وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا ، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً . فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً . .

، انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ، إن العزة الغالبة ، والمجد العتيد ، هذان ، تمفو اليهما كل أمة تحرص على وجودها ، وتستمسك بكرامتها ، وتوثق من عراها :

تحرص على وجودها في حيوية مشبوبة ، وقوة مرهوبة ، ومعنوية مدعمة البنيان ، صادقة الوجدان .

وتستمسك بكرامتها في لغة السيف والقلم ، حاملة علم الحق ، ومدوية بدعوة الحق .

وتوثق من عراها برأب الصدع ، وجمع الشمل ، والتكتل في ميدان الجهاد ، موحدة الصفوف ، قوية الجبهة ، ناصعة الغرض .

والله جل جلاله ، الذي يريد المؤمنين أعزة في صولة الحق ، أقوياء في ظفر الجهاد ، يناديهم ليتخذوا الآهبة ، وليكونوا على حذر ، وليتبصروا أسباب الظفر ، فيكون نفيرهم للجهاد حسب ما تقتضيه عوامل النصر والقلب ، فإن رأوا أن يكون الغزو في جماعات ، وهو المعروف في لغة الحروب ، بحرب العصابات ، كان نفيرهم كتائب موزعة بين الامكنة والازمنة ، في ساعات من ليل أو نهار ، فإن في ذلك اقلاقاً للعدو ، وتوزيعاً لجبهته ، وتوهيناً لقوته .

وإن رأوا أن يكون الغزو في جمع حاشد، وجند كثير، وعدة قاهرة، فلينفروا كذلك ليشدد الأزر، ويقوى الساعد، ويرهب العدو، ذلكم نداؤه عز شأنه: «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم فانفروا ثبات، یعنی جماعات متفرقة سرية بعد سرية، أو انفروا جميعا، یعنی مجتمعين حشدا واحدا، وبليانا مرصوفا. فالقرآن يهتف بالمؤمنين: أن يلبسوا لكل حالة لبوسها، وأن يعدوا لكل ظرف ما يناسبه.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يخرجون لملاقاة العدو في كتائب، كما كانوا يخرجون في جيوش عامرة زاخرة، ومن أمثلة خروج الكتائب ما حدثنا به التاريخ الإسلامي عن خروج عبد الله ابن عتيك وأصحابه لقتل أبي رافع اليهودي، وكان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمين عليه، وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق وكان بمن أعان غطفان وغيرهم من بطون العرب بالمال الكثير على رسول الله.

روى البراء بن عازب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي رافع اليهودي رجالا من الأنصار، فأمرهم عليهم عبد الله بن عتيك، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا من الحصن، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم - یعنی رجعوا بمواشيهم، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فاني منطلق إلى الحصن، ومتلطف للبواب، لعلنى أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضى حاجة، وقد دخل الناس، فتهتف به البواب: ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن أغلق الباب، وقد ظن البواب أنه من أهل الحصن، قال عبد الله: فدخلت فكنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق - المفاتيح - على وتد، قال: فقممت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده وكان في علالي، یعنی كان الناس يجلسون معه في المساء للحديث والمسامرة، وكان في غرفة من داخل غرف الحصن في أعلاه، فلما ذهب عنه أهل سمرة، صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت على من داخل قلت: ان القوم بذروا بي - علوا بي - لم يخلصوا إلى حتى أقتله، فاتتهبت إليه فاذا هو في بيت مظلم لا أدري أين مكانه. فقلت: أنادى... فاذا أجاب النداء، عرفت

موضع الصوت ، فأضرب بسيفي ، فناديت يا أبا رافع ، فقال : من هذا ؟ فأهويت بالسيف وأنا دهش فما أغثيت شيئاً .. وصاح ، فخرجت فمكثت غير بعيد .. ثم دخلت إليه فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع ، فقال لأمك الويل أن رجلاً بالبيت ضربني قبل بالسيف ، فقال فأضربه ضربة أنخته ، ولم أقتله ، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلت ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له ، فوضعت رجلي ، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة ، فالتكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتله أم لا . فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت النجاء فتمد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لي أبسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنها لم أشتكها قط .

أفرايتم أيها المسلمون هذا المثل الرائع في الاقدام الحازم ، وفي براعة الحيلة ، وفي الظفر بالعدو لمرضاة الله ورسوله .

ولقد يكون بين المقاتلين جند يتناقلون ويتباطؤون ويتخلعون عن الصفوف رهبة وخوفاً أن تراق دماؤهم وتزهق أرواحهم ، فإن أصاب المسلمين هزيمة أو قتل فرحوا أن لم يكونوا معهم ، وإن فتح الله على المقاتلين بالنصر والغلب ، وأفاء عليهم من فضله بالأسلاب والغنائم تمنوا أن لو كانوا في صفوفهم ظافرين غانمين ، فذلك قول الله تعالى : « وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة باليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً » .

وهؤلاء ليسوا من صدق الجهاد ، ولا من قوة العقيدة ، ولا من سلامة الإيمان في شيء . ولعل آية التحذير السابقة في قوله تعالى « خذوا حذركم » ، توقظ في المؤمنين قوة الانتباه لهؤلاء ليحذروهم كما يحذرون الأعداء .

« فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ليقاتل في سبيل الله المؤمنون الذين يستحبون الحياة الآجلة على العاجلة . ولا يكن منهم تردد ولا بطء ولا استرخاء ، فإذا تردد المذبذبون أو تباطأ المضطربون مرضى القلوب ، وضعاف

النفوس . أو استرخى في الكفاح حفتة من الناس مدخولة ضمائرهم ، زائفة عقائدهم ، زائفة إرادتهم ، فليقبل الثابتون ، وليقدم المخلصون ، وليظفر بنصر الله الأعزة الغالبون ، ففي سبيل الله ما يبذلون من أنفس ودماء وفي سبيل الله ما يلاقون من تضحية وإبتلاء ، وفي سبيل الوطن ما يقدمون وما يفتدون . وما يجادلون ويجاهدون . ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً .

هذا وعد الله الصادق الذي لا يتخلف للجهاديين المخلصين فإنهم إن قتلوا فلهم الشهادة ، وما يتبعها من حياة عند الله ، فيها عزة وفيها رضوان ، وفيها رزق طيب كريم .

« ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم « أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وإن عادوا ظافرين ، فلهم عزة الغلب ، ونصرة الوطن ، وإعلاء كلمة الله .

روى البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للجهاد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة . وروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« والذي نفسى بيده لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - (يعنى يجرح) إلا جاء يوم القيامة واللون لون دم ، والريح ريح المسك ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس رضى الله عنه قال « لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها » .

أما بعد ، فإن هذا التوجيه الحكيم من العزيز الحكيم ، ومن المجاهد الأول سيدنا رسول الله ، ليهيب بالمؤمنين أن لا يضعفوا ولا يستكينوا ، وأن ينتصروا لدينهم ولوطنهم بالبذل والتضحية ، فذلك أسمى كرامة ، وأهدى سبيلاً . والله الموفق . . والمستعان .

الشعر والحروب الصليبية

لفقيه الأستاذ الشيخ رياض هلال

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

ويقول صاحب النجوم الزاهرة أيضاً ، ويعجبني قول البارع كمال الدين علي
ابن النبيه في مدح مخدومه الملك الأشرف لما حضر مع أخيه المعظم إلى دمياط :

للذة العيش أفراح وأوقات فأنشر لواء له بالنصر عادات
دمياط طور ونار الحرب موقدة وأنت موسى وهذا اليوم ميقات
ألق العصا تتلف كل ما صنعوا ولا تخف ما حبال القوم حيات

ونجد ابن النبيه قد استغل قعة موسى في حديثه عن نصر الأشرف موسى
أعظم استغلال ، فتحدث عن الطور والنار والميقات ، كما تحدث عن العصا والحبال
والحيات ، وهذا اهتبال من الشاعر للفرصة السانحة من تسمية الممدوح موسى
وخربه للكفرة وانتصاره عليهم ، وتلك عادة شعراء هذا العهد وهجئيراهم ، ونجده
عاد بهذا كرنه إلى يوم صفين وفصل ما ألحق بمدوحه بأعدائه من صنوف التعذيب
والوان الخذلان من قتل وسلب وسبي وغير ذلك مما كان ناراً محرقة على الكفر
وهي على الإسلام جنات قال :

تذكروا يوم صفين وما لقيت من حصد سيفك عرفاً والفليعات
قتلاً وسياً وأسراً وانتهاج ثرى لله كم أحسنت تلك الإساءات
شنتها غارة كالنار محرقة للكفر وهي على الإسلام جنات
لله من ثغر دمياط وبرزخها فتح له تفتح السبع السموات

وقد سجل ابن عنين الشاعر الهجاء في هذا العهد ذلك النصر الرائع حين امتدح
الأشرف أيضاً وذكر بلاءه فيه حين قال :

قسما بما ضمت أباطح مكة وبين حواه من الحجيج الموقف
لو لم يتم موسى بنصر محمد لرقى على درج الخطيب الأسقف
ويردد هذا المعنى نفسه في قصيدة أخرى فيقول :

لولاك لاتنقضت عرا الإسلام في مصر وأخمل ذكره وتبدلا
وتحكمت فيها الفرنج وغادرت أعلاجها محراب عمرو هيكلا
لقد انقیت الله حق تقاته ونهجت للناس الطريق الأمتلا
ولا يكتفى ابن عنين بالحديث عن يوم دمياط في مديحه للأشرف موسى غير
مرة بل يعود فيبرزه في رثائه للمعظم عيسى ويقول :

لولا دفاعك بالصوارم والقنا عن حوزة الإسلام عاد كما بدا
وديار مصر لو ونت عزماته عن نصرها لتحكمت فيها العدا
ولأصبحت خيل الفرنج مغيرة تجتنب ما بين البقيع إلى كدا

وأى نصر هذا الذى لو ونى عنه المعظم عيسى وهو فى مصر لاغارت خيل
الفرنج ما بين البقيع إلى كدا وهما فى مدينة الرسول عليه السلام ؟ ثم أى نصر
هذا الذى يشغل ابن عنين عما انطبعت عليه نفسه من حب للهجاء وإيثار له ؟ والحق
أنه كان لبني أيوب مواقف إسلامية تلهج السنة الشعراء بالثناء والمدح ولو كانوا
لا يسировن فى ركاہم ولا يدينون بملكهم وليس أدل على ذلك من حديث عمارة
البنى وهو الشاعر الفاطمى الذى يذكر من أسباب قتله واثؤه للفاطميين بقصيدته
التي يقول فيها :

رميت ياموت كف المجد بالشلل وجيده بعد حل الحسن بالعطل
يذكر لبني أيوب هذه المنقبة ويسجلها لهم فيقول :

من شاكر والله أعظم شاكر ما كان من نعمى بنى أيوب
طلب الهدى نصرا فقال وقد أتوا حسبي فأنتم غاية المطلوب
جلبوا إلى دمياط عند حصارها عز القوى وذلة المغاوب
وجلوا عن الإسلام فيها كربة لو لم يحملوها أنت بكروب

وهكذا نجد الشعراء تفاعسوا في الحديث عن يوم دمياط ودفع الكفر عنها وما كان يدفعهم إلى ذلك إلا العاطفة الدينية التي أخذت شكلا واضحا عنيقا في عهد الأيوبيين .

ولعل بيت المقدس قد لقي من عناية الشعراء حظا وافرا لا يقل عن حظ دمياط إن لم يرب عليه لأنه كان - وما يزال - محط أنظار الفرنجة ومهوى أفئدتهم ، ولعل مستطیع أن أعرض للقارئ الكريم ، صورة واضحة عن هذا الاحتفال العظيم من الشعراء بفتح بيت المقدس ، والذود عن القبة الثانية للسليبي فاقول : لما فتح صلاح الدين بيت المقدس في سنة ٥٨٣ هـ فرح المسلمون فرحا عظيما كاد ينسبهم كل شيء . وجلس السلطان بالتحميم ظاهر القدس للهنا ولقاء الأكابر والعظماء ، وأخذ الشعراء ينشدون ويستنشدون وهم وقوف ، فن ذلك ما قاله ابن الساعاتي مبيا بالشعراء أن يتناولوا فلا عذر لهم ، وقد أصبح مكان القول ذاسعة بعد فتح بيت المقدس وترى الشاعر يرجع بذكرته الى عهد عمر بن الخطاب ، فيتمنى لو شهد خليفته صلاح الدين كيف أبلى في سبيل الله . قال :

أعيا وقد عاينتم الآية العظمى ؟	لاية حال تذخر النظم والكثرا
وقد ساغ فتح القدس في كل منطق	وشاع الى أن أسمع الأسل الصما
حبا مكة الحسنى وثنى يثرب	وأطرب ذياك الضريح وما ضما
فليت فتي الخطاب شاهد فتحها	فيشهد أن السيف من يوسف أصمى
وما كان إلا الداء أعيا دواؤه	وغير الحسام المضب لا يحسن الحسا
وأصبح ثغر الدين جذلان باسما	والسنة الاغماد توسعه لثما
سلوا الساحل الخشى عن سطواته	فما كان إلا ساحلا صادف ألما

وترى ابن الساعاتي يعيد الحديث عن بيت المقدس ويذكر فضل صلاح الدين في الزياد عنه واستجابته الى شكايته التي طال عليها الأمد دون أن يجد من تدفعه نفسه المؤمنة الى الاخذ بتناصره غير صلاح الدين . استمع إليه يقول :

عصفت به ريح الخطوب زعازعا فلقين طودا لا تخف أناه
هو منقذ البيت المقدس بعدما طالت - فما وجد الشفاء - شكاته
بيت تأسس بالكون وإنما عند الزحاف تحركت مكنااته
ونجد الشاعر أبا على الجويني المقيم بمصر يردد هذه الشكوى في قصيدة له
اشتملت على ذكر ملوك الإسلام وإهمالهم بيت المقدس تسعين عاما حتى تجرد له
صلاح الدين وفتحه ، وجاء في أول هذه القصيدة قوله :

جند السماء لهذا الملك أعوان من شك فيهم فهذا الفتح برهان
هذى الفتوح فتوح الأنبياء وما لها سوى الشكر بالافعال أثمان
أضحت ملوك الفرنج الصيد في يده صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا

وبعد أن عرض لكثير من الملوك الذين أصموا آذانهم فلم يستمعوا إلى هذه
الشكاية ، مضى إلى غرضه من تلبية صلاح الدين لهذه الدعوة ، وغلا فذكر أن
هذا الفتح لو كان في عهد النبي صلوات الله عليه لكان له الشرف الاسنى بنزول
القرآن فيه فقال :

فالآن لبي صلاح الدين دعوته بأمر من هو البعوان معوان
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد نزلت فيه آيات وقرآن

ولم يقف حديث الشعر عن فتح بيت المقدس عند الشعراء المصريين والشاميين
بل تجاوزهم إلى شعراء الأندلس ، فلابن جبير الأندلسي شعر في صلاح الدين يهته
فيه بهذا النص فيقول من قصيدة مطلعها :

أطلت على أفقك الزاهر سعود من الفلك الدائر
ومنها :

كسرت صليبهو عنوة فله درك من كاسر
وأدبر ملكه بالثام وولى كأمهم الدابر
فتحت المقدس من أرضه فعادت إلى وصفها الطاهر
وجئت إلى قدسه المرتضى فخلصه من يد الكافر
وأعليت فيه منار الهدى وأحييت من رسمه الدائر

فأما العباد الأصهباني كاتب صلاح الدين وشاعره والذي حضر معه أكثر حروبه ، فله في وصف غزواته قصائد كثيرة ، وقد كان لفتح بيت المقدس منها نصيب وافر وحظ عظيم ، من ذلك قصيدته التي بدأها بقوله :

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفسا وتعاض من ذكر أكو وحشني أنسا
وفيها :

فلا يستحق القدس غيرك في الوري فأنت الذي من دونهم فتح القدس
وطهرته من رجسهم بدمائهم فطهرت بالرجس الذي ذهب الرجسا
وهي قصيدة طال فيها نفس العباد وأطاف فيها بكثير من فتوح صلاح في طبرية
وعكا وصيدا وغيرها ، وأشعار العباد في بيت المقدس وغيره من فتوح
صلاح الدين كثيرة كثرة مدائحه له ولا بنائه ؟ للبحث تكملة

ذخائر وذكرى

أوصت امرأة عون بن عتلم الشيباني ابنتها حين احتملها زوجها الحارث بن همرو فقالت :

أى بنية : إنك فارقت الجو الذي منه خرجت وخلفت العش الذي فيه درجت
إلى وكر لم تعرفيه وقربن لم تألميه فأصبح بملكك عليك رقبيا ومليكا فكوني له
أمة يكن لك عبدا وشيكا .

يابنية : احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرا ، الصعبة بالقناعة
والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا
تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح والكحل أحسن الحسن
والماء أطيب الطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه والهدوء عنه عند منامه فإن
حرارة الجوع ملهية وتنقيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء على
حشمه وعياله فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره وإن عصيت أمره أوغرت
صدره . ثم اتقى - مع ذلك - الفرح إن كان ترحا والاكتئاب عنده إن كان فرحا
فإن الحصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير .

تنظيم الحرب والسلام

لمؤستاذ الدكتور محمود فباض

المدرس فى كلية أصول الدين

— ٢ —

٣ — يجب أن تعقد المعاهدة عن رضى واطمئنان ، واختيار تام من طرفى العقد ، وألا يصحب عقدها ضغط ، أو يشوبها إكراه ماذى أو معنوى ، فإذا جدت ظروف ساعدت غير المسلمين على فرض معاهدة على المسلمين ، تحت ضغط السلاح أو فى ظل قهر الظروف المحيطة بالمسلمين مثلا ، وأرغم المسلمون على قبولها لذلك . فمن حقهم إذا زالت الظروف القاهرة ، بل من واجب المسلمين إذا أنسوا من قوتهم أن يفسخوا هذه المعاهدة . كما حدث بين أمير المؤمنين معاوية والروم ، إبان الحرب الأهلية بين أمير المؤمنين على وأمير الشام معاوية ، وضغط ظروف الحرب الأهلية على معاوية ، الأمر الذى حمله على أن يصالح الروم على مال سنوى يدفعه إليهم ، فلما خلاص الأمر لمعاوية ، واستقامت أموره ، والتفت حوله الأمة ، ألقى إلى الروم بعهدهم ، وجالدهم على السيادة ، وذلك لأن هذا العهد مع ما شرطه للروم من جزية على المسلمين يناقض أصلا من أصول الإسلام ، وهو العزة والسيادة التى أوجبها الله للمؤمنين ، وإذا كانت الضرورة قد أكرهت معاوية على قبول هذه الذلة ، فالضرورة تقدر بقدرها ، وإذا لا ضرورة فلا رخصة ، وقد وجب الرجوع إلى الأصل ، ويلحق بهذا أمر آخر وهو إذا انتهز العدو فرصة ضعف للمسلمين فهاجمهم واحتل أرضهم ، وأملى عليهم شروطا تحت ضغط السلاح ، وأكرههم على قبولها بأسنة الخراب ، فمن واجب المسلمين متى شعروا بقوتهم ، أن ينبذوا هذه المعاهدة ، لأن الرضى والاختيار ، ضروريان لصحة المعاهدة ، وشرطان للوفاء بالتزاماتها ، فإذا انعدها وقعت باطلة ، وعلى هذا فكل معاهدة تكون نتيجة لقسوة ظروف المسلمين ، أو التى تملها قوة عسكرية على المسلمين ، تقع باطلة غير واجبة

الاحترام ، والوفاء بها مؤقت وفسخها واجب عند تقوى المسلمين ، وتقدير ذلك يرجع الى أهل الحل والعقد من المسلمين .

٤ — يجب أن تكون المعاهدة واضحة النصوص في تحديد التزامات كل من المتعاقدين ، وأن تكون ألفاظها مفهومة للطرفين محددة المعاني باتفاقهما ، حتى لا يكون هناك مجال للخديفة بالتأويل والتخريج فيذهب كل منهما في ذلك المذهب الملازم لمصالحه لحسب ، وعلى هذا فكل معاهدة يشوبها غموض ، يفسره كل طرف تفسيراً مغايراً للتفسير الآخر ، تقع باطلة ، فإذا جاء نص أو كلمة غير محددة المعنى والمفهوم ، وأمكن فهمها على غير وجه واحد ، كالألفاظ المرننة التي نسمعها اليوم مثل : توقع الخطر . توقع حرب مفاجئة . خطر الحرب . حالة حرب محتملة ، دفاع مشترك ، ترقية المتأخرين أو المساعدة على التمدن ، والوصاية للنضج والتأهل لحكم نفسه ، وغير ذلك من العبارات التي لا يضبط معناها ضابط ، ولا تخضع لمفهوم واحد محدد عند الجميع . إذا جاء نص أو كلمة من هذا القبيل في معاهدة أبطلها ، لأن النص في المعاهدة يوجب التزاماً ويرتب أحكاماً ، ولا يمكن فرض الالتزام ، وترتيب الأحكام ، على نص محتمل (مرن) يذهب الناس في معناه كل مذهب .

٥ — إذا عاون المعاهد عدواً للمسلمين ضدهم ، بأي نوع من المعونة مادية ، كانت أو أدبية ، فقد نقض المعاهدة ، وذلك كما إذا قدم المعاهد لعدو المسلمين سلاحاً أو رجالاً ، أو سهل له المرور إلى أرض المسلمين ، أو شجعه بالقول ، أو حرّضه أو حسن له العدوان على المسلمين ، أو أمدّه بمعلومات عن المسلمين وعن قوتهم ، أو أطلعه على عوراتهم أو أطلعه على أمر ، أي أمر لا يعرفه العدو ، من الأمور التي يمكن للمعاهد معرفتها عن المسلمين بمقتضى معاهدته ، وأمن جانبه . كل فعل من هذه الأفعال نقض للمعاهدة ، والمسلمون بعد ذلك في حل من حرمة ، وقد أفتى الإمام الأوزاعي رضي الله عنه والإمام الليث بن سعد رضي الله عنه بذلك استناداً إلى صريح القرآن وفتوى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد سئل الإمام الأوزاعي عن حكم الله تعالى : « في قوم صالحوا المسلمين . ثم أخبروا المشركين بعمورهم ، ودلوهم عليها ، فقال : « لهم . إن كانوا أهل ذمة فقد نقضوا عهدهم ، وخرجوا من ذمتهم فأن شاء الوالي قتل وصلب . وإن كانوا صالحاً

(معاهدين) لم يدخلوا في ذمة المسلمين نبذ إليهم الوالى على سواء . ، فإن الله لا يحب الخائنين . ، ولما اشتكى أمير حصص عمير بن سعد بن عبيد الانصارى لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أن أهل عربسوس - وهى بلدة كانت بين المسلمين والروم فى الشام - يطلعون الروم على عوارث المسلمين ، ولا يظهرون المسلمين على شيء من عوارث الروم (يتجسسون لحساب الروم على المسلمين) وأنه لا يدري ما يفعل بهم وقد عاهدهم . فأمره عمر أن يعرض عليهم أخذ ضعف ممتلكاتهم فيها ويرحلون عنها . فإذا رفضوا أمهلهم سنة ثم أجلاهم عن بلدتهم وخربها وعرضهم بعد ذلك ^(١) .

وأنه ليعجبنا ويطنبنا الفقيه المصرى الامام الليث بن سعد عندما استفتى فى أمر أهل قبرص الذين يوادون الروم ، ولا يتوقع المسلمون منهم الوفاء بالعهد . فقد أفى بنبذ العهد وطرحه طرح النواة من الفم بقوة إعلانا لقوة المسلمين بمجرد الانتهاء وتوقع الغدر لأن الله يقول : ، وإما تخافن من قوم خيانة فانتبذ إليهم على سواء ، ولم يفل لا تنبذ إليهم حتى تستيقن خيانتهم وغدرهم ، مع عدم مبادرتهم بالحرب قبل إعلان النبذ وفسخ المعاهدة ، والسرا الذى حمل الإمام المصرى على الفتوى بإعلان فسخ المعاهدة لمجرد اتهام المعاهد . هو أن المعاهد بحكم الأمان وما تفرضه المعاهدة قد يطلع على ما لا يمكن للعدو أن يطلع عليه عن أسرار المسلمين ، فإذا حامت الريبة حوله ، أو بدى منه التودد للعدو المسلمين ، فإنه حينئذ يصبح غير مأمون ، وبالتالي يصبح المسلمون معرضين لخطر أفشاء أسرارهم لأعدائهم ، ولهذا وجب عليهم فسخ هذه المعاهدة التى تجر عليهم الأخطار ، دفعا للخطر عنهم ، وحرصا على كياناتهم ، والاخذ فى إعداد ما يواجه الظروف المحتملة ^(٢) ، أى مجرد التشكك فى نوايا المعاهد وسلوكه موجب لفسخ عهده .

ويقول الفقهاء بعد ذلك : إننا إذا نبذنا عهد الخائنين أو المتوقع خيانتهم ، وجب علينا إهمالهم من غير هجوم أو مدا همة حتى يبلغهم نبأ الفسخ ويتمكن رئيسهم من إبلاغ ذلك إلى أطراف مملكته إن أوجب الفسخ حربا ، والغرض من ذلك الترفع بالمسلمين عن الغدر والخيانة وأخذ العدو على غرة وهو آمن لمعاهدته ، ثم إعطاؤه فرصة كافية يتمكن فيها من التروى والمشاورة عسى أن يثوب ويتوب ،

ويجنح إلى السلام ، أو يلقى المسلمين وهو عالم بانكشاف أمره وخيائنه ، فيكون ذلك من أسباب ضعفه في الميدان ، ومن عوامل النصر للمسلمين .

هذه شروط يجب تحققها في كل معاهدة ، ولا تكون المعاهدة ملزمة للمسلمين ولا يجب الوفاء بها واحترامها إلا إذا تحققت فيها هذه الشروط ، وسواء في ذلك . أكانت المعاهدة منشئة لحالة السلام كأن تكون بعد هزيمة العدو في حرب مع المسلمين ، أو مع عدو لم ينهزم في الحرب ولكن طلب منا السلام ، أو أجابنا إليه أو كانت المعاهدة امتدادا لحالة السلام . كان تكون مع قوم لم يحاربوا المسلمين ، ورغبوا في السلام مع البقاء على دينهم ودفعهم الجزية ، والأصل في هذه الشروط النصوح القرآنية التي أشرنا إليها عند كل مناسبة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل » .

وبعد ، فقد رأيت أيها القارئ كيف يعنى الاسلام بالدعوة الى السلام ، وكيف أنه لم يدع بابا يوصل الى السلام ، والمحبة بين بنى الانسان . إلا وقف به ، ودعا الناس إليه ، ثم رأيت كيف نظم حالة السلام وأقامها على أسس قوية تضمن للمسلمين سيادتهم وعزتهم في بلادهم ، وعرفت رأيه في المعاهدات التي تنظم السلام كما عرفت غايته منها ، والشروط التي يراها واجبة للوفاء بالمعاهدات ، وفي الكلمة الآتية أحدثك عن حالة الحرب ، وأصولها ونظمها في نظر الاسلام ، والله يهدينا الى سواء الصراط وبه نستعين ؟

من كلامه صلى الله عليه وسلم

من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين . نعم الرجل الفقيه في الدين : إن احتج اليه نفع ، وإن استغنى عنه أغنى نفسه .

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا .

من جهادنا الماضي :

الفدائيون^(١) والمشاكل الدولية

نفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم علي شعوط
المدرس بكلية اللغة العربية

كانت عجلات الزمان تقطع أشواطاً بعيدة في مسيرها ، والليالي تمضي سراعاً ، وأحداث التاريخ تدافع تدافع السيول من قنن الجبال حتى تلبد شعور الناس ، وخمد إحساسهم بما هم فيه من مكروه .

واستيقظ أهل بغداد في مستهل عام ٦٥٦ هـ ليجدوا حصاراً محكمًا ضرب حول ديارهم وقد أصدر « هولاكو » زعيم المغول أوامره باستعمال العنف والقسوة للإرهاب والتخويف ليحقق لأهل العراق ما عرفوه عنهم من بأس وشدة ، ووحشية صارخة في القضاء على الأمم والشعوب .

ولم تكن إلا ليالٍ حتى سقط الخليفة المستعصم العباسي قتيلًا بأيدي البغاة ، ومرت يد الزمن بالممحاة لنظمس اسم بغداد من حواضر العالم الإسلامي ؛ فأصبحت عاصمة دولة وثنية قبضت على زمام الأمور في العراق بأيدٍ من حديد ، وعنى الزمان على تاريخها المجيد . ولمع اسم « هولاكو » حاكم دولة المغول في العراق على صفحات التاريخ ؛ وقد أطل على العالم الإسلامي من هضاب أرمينية فوق في نفسه أن يفتح هذه البلاد مبتدئًا بالشام ومصر حتى يفرغ من جميع القوى الإسلامية الموجودة في ذلك الحين .

وكانت مصر والشام تحت سلطان المماليك الذين أثبتوا لأنفسهم بطولة فذة ، وخلدوا على صفحات التاريخ أنهم أول من استطاع هزيمة المغول في الشرق والغرب ، وأظهروا لأوروبا أنه من الممكن التغلب على تلك الوحوش الضارية بعد أن سبقها الرعب هناك فهد لها تسلم البلاد من السكان المذعورين .

(١) راجع رسالة كاتب المقال وموضوعها (علاقة المماليك في مصر بالمغول في فارس)

وبعد أن أصبح للمغول دولة وثنية في العراق تاخمت حدود الدولة المصرية في أراضي الشام كان لابد من وقوع نضال دام مرير في حرب ضروس تمكن في نتائجها الحاسمة الغلبة لأى الفريقين وافتتح عهد النضال فتكسرت النصال على النصال في مواقع ، عين جالوت ، بين ، كتبفانوين ، قائد جيوش المغول من قبل ، هولاكو ، وسيف الدين ، قطز ، سلطان المماليك ، ، وأبلستين ، بين ، البغا ، ملك المغول في العراق والسلطان الظاهر ، بيبرس ، ثم ، مرج الصفر ، بين ، غازان ، والناصر محمد بن قلاوون .

وكل هذه المواقع كانت في جانب المماليك على المغول ، وكانت تحدث أحيانا مواقع أظهر فيها قوة مغول العراق على سلاطين مصر مثل موقعة ، وادى الخزندار ، واستمر النضال عتيفا بين الدولتين نيفا وستين عاما دون أن تحدث الموقعة الحاسمة فيقضى على أحد الخصمين ؛ ومل الفريقان طول العدا والبغضاء ، واستنفد كل منهما جميع الأساليب ، وضروب الحيل في إلحاق الهزيمة بغيره حتى لقد دخل المغول في الإسلام ليكسبوا عطف المسلمين في العراق فلا يكون هوام دائما مع المصريين . ثم حاولوا أن يجعلوها حربا دينية لينتصروا على سلاطين مصر والشام . ولكن كل ذلك لم يحقق الهدف الذى قصدوا إليه ، وطال الزمن بالعداء والبغضاء بين الدولتين ، وبذل المصريون ما فى وسعهم لتوجيه الضربة القاضية ليطردوا هؤلاء القوم من أرض العراق فطال بهم الزمن كما طال بالمغول ، وكان لابد من عمل حاسم يكفل النصر ويؤدى إلى الهدف المقصود ؛ فلم يكن هذا العمل مما يحدث فى ميادين القتال من اعداد العدة ، والاحتفال بالحشود الجراراة فى لقاء الأعداء ، وإنما كان عملا يهدف إلى القضاء على الرعوس المدبرة ، وقتل الرجال الأكفاء الذين لهم شأن فى دولة المغول اغتيالا بأيدي الفدائيين الذين وطنوا أنفسهم على الاستشهاد فى سبيل هذه الغاية .

ولمّا عرف الفدائيون بهذه التسمية لأن كل واحد منهم جعل حياته فداء لفكرة اختمرت فى ذهنه فأمن بها إيمانا يسعده الموت فى سبيلها ، سواء كانت فكرة وطنية أو ديفية أو اجتماعية .

وقد جرت العادة فى الأمم القديمة والحديثة أن يلجأ إلى نظام الفدائيين بعد استنفاء جميع الوسائل فى التغلب على الخصوم ، أو العجز عن الحصول على الحقوق المهضومة .

وذلك لأن الفدائي وحده إذا وفق في مهمته يفعل ما لا يفعله جيش جرار بعناده وأسلحته ، لأن الجيش يمكن الاحتراس منه بدفعه ومقاومته ، ويمكن العلم بتحركاته وتجمعاته فيتخذ الاحتياط بما يفسد على العدو خططه ، ويحبط نذيره . ولكن تحركات الفدائيين خفية ويمكن كتمانها ، ومن السهل أن تظل سرّاً مكتوماً لا يصل إلى الأعداء مهما طال الزمن لأن قلة العدد والتفاني في سبيل الفكرة ، وبذل الحياة رخيصة للقضاء على العدو ، كل ذلك يجعل فتك الفدائيين بالأعداء لا يحتمل .

والفدائية ذات أساليب شتى لا تكاد تحصى لأنها ترجع إلى النهج الذي يضعه الفدائي لنفسه في خدمة القضية التي يعمل لها ، فتارة يجد الفدائي أن طريق الفتنة والتفريق بين صفوف الأعداء هو أنجح ضروب الفدائية ، كما فعل نعيم بن مسعود رضي الله عنه حين اتخذ أسلوب الإيتاع بين قبائل العرب في موقعة الأحزاب ، فكان بعمله هذا فدائياً بارعاً ، وتارة يبدو للفدائي أن طريقه الوحيد هو المغامرة بحياته دون سلاح كما فعل الزبير بن العوام في فتح مصر حين ألقى بنفسه من سور حصن بابلون على حامية في الداخل ليوقع الذعر في نفوس الحراس فيحملهم على التسليم فكان بهذا من أبرع الفدائيين .

والتاريخ الإسلامي غني بهذه المثل عن باعوا أنفسهم في سبيل الله ليخلدوا تاريخهم على صفحات الزمن .

وفي العصور الحديثة نجد أن الدول الصغيرة المستضعفة التي كانت هدفاً للاستعمار والاستغلال حين عجزت عن مقارعة الجيوش ومنازلها في ميادين الحرب المنظمة لجأت إلى حرب العصابات ونظام الفدائيين ، ووجدت أن هذا النوع من المقاومة والمناضلة هو ما ينبغي أن يلجأ إليه ضعيف عاجز أمام قوى غاشم ، وأدركت أن سر نجاح الفدائيين في تقريب آلام الخلاف بين الدول المتحاربة هو أن يمد إلى تهديد الرموس المدبرة والقادة الذين يبدم مصائر الأمور في حياتهم وتعقبهم في حصونهم ومخابئهم ، والوصول إليهم من وراء الحجب الغليظة ، والعيون الساهرة ، والحراس شاكي السلاح ، وهم يبدم وحدهم إعطاء الحق لذويه ، فظالماً كانوا في حرز من سهام الفدائيين وفي مأمن من العدوان على حياتهم ، فهم يقذفون

بالجنود فرقا وكتائب إلى ميادين القتال لتفرض على حركات المناومة وتقتل الروح الوطنية في مهدها كلما حاولت عن نفسها دفاعا .

ولقد عرفت مصر في القرون الوسطى نظام الفدائيين ، واستغلت في حروبها مع المغول رغم انتصار جيوشها في كثير من المعارك الحربية حينذاك ، ولكنها ملئت التماذى في الحروب وسئمت التعبئة العامة في كل حين فعمدت إلى أسلوب الفدائية باستخدام جماعة من الفدائيين لتحقيق الهدف والوصول إلى الغاية .

ونظام الفدائيين في تلك العصور كان محصورا في جماعة الاسماعيلية الذين كانوا يدربون على هذا النوع من الحروب في حصن الموت ، وقلعة مصياف في شمال العراق وأرمينية ، ويعرضون أنفسهم بعد ذلك على الدول المتحاربة لتقديم الخدمات والقيام بأدوار هامة في الأحداث التاريخية في تلك العصور .

ورغم انتصار المماليك انتصارا باهرا في معركة تل شقيب ، المعروفة بـ برج الصفر ، في مطلع القرن الثامن الهجري فإن هذا النصر لم يحملحكام المغول في العراق وفارس على مسألة المصريين ، والخضوع للأمر الواقع فأخذوا يعدون أنفسهم للقاء جديد ، ويستقبلون بالتكريم كل متعرد على الدولة المصرية من أمراء المماليك ، أو من عرب آل مهنا وآل فضل المناهين للشام والعراق .

وتعقدت الأمور ، واشتدت المشاكل ، وبدأت في الأفق البعيد عتبات كأداء في طريق الصلح بين الدولتين ، فكان لابد لسلطين مصر من تقصير هذا الطريق بإلقاء الرعب والفرع في قلوب المدبرين لدولة أبي سعيد بالعراق وتهديدهم في حياتهم داخل قصورهم وبين يدي حراسهم الأقوياء .

ونحن نقول عن كتاب السلوك للمقريزى^(١) أن الناصر محمد بن قلاوون أرسل في عام ٧٢٠ هـ ثلاثين فدائيا ممن دربوا تدريبا كاملا على إصابة الهدف في الهجوم الخاطف بالخنجر والسيوف ، وأجادوا فنون التنكر في أزياء مختلفة إلى العراق لاغتيال الأمراء الفارين من مصر والقضاء على حياة السلطان أبي سعيد بن خدابندا ونواب الدولة وكبرائها ليحملهم على تحقيق أغراضه . فلما اشتهر أمر الفدائيين في عاصمة العراق ، وعرف أنهم حضروا من مصر لقتل السلطان أبي سعيد ونائبه الأمير جوبان ووزيره ، على شاه ، والأمير قراستقر الذي فر من مصر وكان عينا على

المصريين في العراق . وقع الرعب والذعر في قلوب القوم واضطربت أعصابهم فكلما أمعنوا في الاحتياط ، وبالغوا في التحفظ دأمتهم الوسوس والمواجس [يحسبون كل صيحة عليهم] . ويشكون في المخلصين حولهم حتى اختبأ السلطان في قصره أحد عشر يوماً لا يكاد يقترب من نافذة ولا يمر أمام باب ، ولا يدخل عليه أحد إلا بعد امتحان واختبار .

اضطربت أعصاب السلطان والأمراء والوزراء وأيقنوا أنهم مقتولون لا محالة بأيدي الفدائيين الذين أرسلهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فأرسل الى ناجر مصرى كان يتردد على العراق كثيراً ، وبذل جهداً كبيراً في الصلح بين الدولتين يسمى [محمد الدين إسماعيل بن محمد السلاحي] وكان يلى وظيفة ناجر الخاص في دولة الناصر محمد بن قلاوون .

أرسل إليه أبو سعيد بن خدابندا سلطان المغول في العراق ، وشدد عليه التذكير وقال له : [واللك أنت كل قليل تحضر إلينا هدية وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والاسماعيلية وأمر بالقبض عليه]^(١) ثم انتشر بعد ذلك خبر فدائيين جدد قاموا بحركات اغتيال في بغداد فوقع المغول في أمر مريع ، وأخذت عليهم الطرق فلم يستطيعوا حماية أنفسهم ولجأوا الى هذا السلاح يستعملونه ضد سلطان مصر وأمرائها .

ولسنا نعجب بعد ذلك إذا عرفنا أن هؤلاء الفدائيين وما قاموا به من أحداث أقلقّت بال المسئولين كانوا عاملاً مهماً في تقريب وجهات النظر بين الدولتين ، والتعجيل بإبرام الصلح حتى يأمن الخائفون ويطمئن المذعورون .

ويبدو هذا واضحاً في شروط الصلح التي قدمت من السلطان أبي سعيد ابن خدابندا سلطان المغول بالعراق حيث جعل المادة الأولى من مواد هذا الصلح [ألا يدخل الفدائيون أرض العراق بأى حال]

وهكذا كان شأن الفدائيين وما يزال شأنهم في العصور القديمة والحديثة أنهم يصلون من أقرب الطرق الى حل المشاكل الدولية التي استعصى حلها وعجزت القوات المتحاربة في ميادين القتال عن تذليلها والتغلب عليها ؟

الصدق والكذب

لغزيرة الأستاذ الشيخ إبراهيم على أبو الحبيب

المدرس بكلية الشريعة

لعل من الكلمات المتبدلة في النطق ، السوقية في الاستعمال ، كلبنا الصدق والكذب ، والحديث عنهما أشبه بالحديث المعاد ، يمتجعه السمع ، وينفر منه الطبع ، ويأباه الذوق ، والكاتب فيهما أو في واحدة منهما يعرض نفسه - من غير شك - لسخط الساخطين من القراء ، لأنه يضع عليهم من الوقت الكثير ، ويدخل على قلوبهم من الكتابة والألم ، ما لم يمكن نسيانه على تطاول الأيام والليالي ، وأنا شديد الحرص كلما أردت أن أتقدم بمقال إلى مجلة « الأزهر » ، على أن يكون فيه من الطرافة ما يجعل الناظر يستروح من بين سطوره الراحة والإطمئنان للوقت الذي قطعه فيه ، والدقائق اليسيرة التي أمضاها معه ، وليس ذلك منا واستطالة ، ولكنى أعتقد أن الأديب يبني بكل فكرة يديها ، أو مقال ينشره ، لبنة في مجده ، ويضيف شيئاً إلى تراث نضاره وعظمته ، فإن أخطأه التقصد ، أو خافه التوفيق ، فعذره أنه لم يكن يرجو ذلك ، أو يتجه إليه ، وإنما لكل امرء ما نوى .

ولهذا فإني لا أعود بهذا العنوان إلى بطون الكتب ، أو إلى اصطلاح اللغويين ، أو مذاهب الفلاسفة فيهما ، أو أثرهما في حياة الأفراد والجماعات ، ومدى ما يمكن للمصلح أن يستفيد منهما ليسمو بالبيئة التي يحاول أن ينهض بها ، ويرسم من الأمان والآمال ما يتناسب مع استعدادها وفطرتها ، فكل هذا لا يعدو أن يكون دخولا عليهما من الباب الذي لا أحب الدخول منه . .

وقد لفت ذهني أن الدين الإسلامي قامت قضاياه كلها على هاتين الكلمتين ، الصدق والكذب ، فهو لا يكتفى من الناس أن يرددوا ألفاظا تجري على اللسان ، دون أن تكون مستقرة في القلب ، ويرى أثرها عليهم فيما يصدر من أفعال ، ويأتون من أعمال ، ولهذا نرى سبحانه على المنافقين سلوكهم الذي يسلكونه ،

وبهتانهم الذى يفترونه ، لأنهم يلبسون على المجتمع الذى يعيشون فيه ، والبيئة التى يروحون ويغدون بين ظهرانيها ، ويحدث من ذلك كله أثره السيئ فى المعاملات والمعايشة ... وكان أعنف ما لاقاه صلى الله عليه وسلم وهو يدعو إلى سبيل الله عدم الصراحة والوضوح من أمثال أولئك الذين تحدث القرآن عنهم بقوله ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، وإنما كان ذلك أعنف ما لاقاه لأن الذى يكون ملتويا فى سلوكه معك ، مبهما فى معاملته لك غامضا فى أهدافه التى يرمى إليها فيما تراه ، غير واضح المعالم بحسب ما يظهر لعينيك يكون المنهج الذى تقتضى به الظروف ، والمهيج الذى تحتم المناسبات اتخاذه من أجله بعيداً عن الصواب ، بجانب الحق ، بجانب المصلحة العامة ، لأنك ربما تعامله بمقتضى الظاهر ، ثم تكشف الأيام السود — أو البيض — أن الأشياء موضوعة وضعا لا يلىق ، أو مرتبة ترتيبا لا يصح أن يكون ، أموجهة توجيهها تحتل معه الموازين .

والذى يتبع السنة المطهرة ، ويستقصى ما كان يدور بين النبي صلى الله عليه وسلم ، وبين أصحابه رضوان الله عليهم من حوار يعلون منه فقه هذا الدين ، وضرورة السلوك على مقتضى ما يأمر به من خير ، وينهى عنه من ضرر ، يصادفه فيما يصادفه من حديث شهى ، وسمر لذيد ، ومناقشة لطيفة ، وجدل مهذب ، قول بعضهم له « أياكون المؤمن بخيلا قال نعم . أياكون جبابا قال نعم . أياكون كاذبا قال لا . » وليس بعد هذا تفيرا من الكذب ، وكراهية له ، واحتقارا لأصحابه ، ووضعاً فى أحط الدرجات ، وأقبح المنازل ... فإن البخل والجبن وهما من الصفات التى تتنافى مع المرومة ، وتعارض وكال الرجولة ، وتأبأها الإنسانية ، قد يكونان فى المؤمن المسف ، والمسلم الذى تضعف نفسه ، وتخور عزيمته ، وتنحدر همته ... ولكنه لا يصل به التدلى إلى درجة أن يكذب ، لأنه لا يستسيغ ذلك ، ولا يرضاه لطبعه ، أو يوافقه عليه ضميره إلا وقد مات إحساسه . وجدت روحه ، وبردت فيه نوازع الفضيلة كلها ، وهناك لا يرجى منه ما يرجى من المؤمن من البر ، ولا يكون أماله إلا وبالا على المجتمع ، وفسادا فى الأرض ، وشرًا للعالم ، وفوضى تنشر جذورها هاهنا وهناك ...

وإذا صح لنا أن ندير رحي الحديث الى « علم النفس » فإننا لا نشك في أن هذا الضعف الخلقى من الأمراض الخبيثة .. وقد كانت مهمة الإسلام محاربتها بكل وسيلة من وسائل الحرب ، ومقاومتها بأقصى أنواع المقاومة ، ولم يعلم أن هذه الخاصة كانت متفشية إلا حيث كان الناس لا يقيمون وزنا للشجاعة ، ولا يحسبون حسابا للنبل ، ولا يجعلون لمكارم الأخلاق تقديرا بينهم .. وما أظننا نفسى تلك الجملة التى قابلت العرب بها محمدا — هداانا الله بهديه — يوم صعد الصفا والمروة وناداهما لكلمة سواء « والله ما جربنا عليك كذبا ، ولا نفسى كذلك أن هذا الخلق كان له الأثر الطيب فى نجاح الدعوة . وقد ظل المسلمون فى الصدر الأول يقدسون الصدق ، ويجعلونه عنوان أفعالهم وأقوالهم ، ويباهى أحدهم إذا نبا النبوة . أو فرطت منه الكبوة ، أن يعترف بها . ويعلمن الى الخليفة أو الوالى جريمته فيها ، ليقنص منه ، وقيم الحد عليه ، حتى لا يجمع بين الإثم بارتكابها وبين الكذب بالتدليس والتفناق فى القلب ، والتويه فى العقيدة ...

وفى منشور الحكم « الكذاب لص » . والاريب العاقل يتبين معنى هذه الخصوصية ، فى بعض الزعماء ، وبعض القادة ، الذين يحرون على سنن خاص من السياسة ، ونمط بعينه من الحكم ، لا يمت للصدق ، ولا يتصل بالحقيقة ، ولا ينتسب الى الصالح العام ، غير أنهم يكسونه بطلاء وزخرف يخيل إليك أنهم يتحرون الصواب ، ويتوخون الذفع ، ولا يقصدون إلا الجادة المستقيمة ، ثم يظهر لك فيما بعد أنهم كانوا يهدفون الى الغنم الذاتى ، أشبه بالذى يتعلق الرئيس أو صاحب النفوذ رجاء أن يحصل على زلنى عنده ، أو درجة لديه . فإذا ذهبت السكره وجاءت الفكرة بأن اللص والمسروق ؟

من معاملة الخدم فى الاسلام

قال عبد الله بن عمر : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله : كم نغفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ثم قال : اعف عنه فى كل يوم سبعين مرة .

سورة الأنفال

أفضيلة الأستاذ محمود حميدة

المدرس بكلية اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم :

هي سورة مدنية ، مدنية في نزولها ، ومدنية في أحداثها ، ومدنية في مرماها ومغزاها ، ومدنية فيما تناولته من أهداف ، ولم يكن لها مع مكة سوى آيات العبرة والتذكير بالماضي الحافل بكل ما يؤلم النفوس ويستفز المشاعر ويحرض النفس الآية على الثورة العنيفة والصرخة المدوية في وجه الظلم السافر والجور المتأصل : « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يخطفكم الناس »^(١) فآوكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ، . « وإذ يمسركم بالذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمسركم الله ، والله خير المبشرين ، وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ، وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ، وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ، وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون »^(٢) .

* * *

لقد بذل الرسول الكريم من عمر رسالته ثلاث عشرة سنة يدعو مكة للمعاودة ، ويتقدم إليها بكل وسيلة من وسائل الإقناع عسى أن تنقذ إلى أمر الله ، فتقلع عن

(١) سورة الأنفال -

(٢) ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ١٤ ، ١٥ سورة الأنفال -

عنادها وترجع إلى ربها ، ولكن القلوب قد أقفلت دون هذا الحق حتى مال ميزان عمر الرسالة إلى ناحية الانتهاء ولم تتقرر العقيدة ولم يثبت الدين ولم تفسر الدعوة .
وحل أريج الحق مع الوافدين من طيبه وتضوع هنالك وتفتحت له نفوس أهلها ، وعلم الرسول أن نبيه التي قست عليها صخور مكة خرمها التربة والماء ، حتى عجزت عن قيامها وأذبلت نضرتها - قد آن لها أن تغرس بأرض طيبة ، تفرع فيها وتثمر وتؤتي أكلها بإذن ربها . وانتقل الرسول الكريم من دار العدوان إلى دار الإيمان وتعد غرسته فكان البقاء وكان النماء .

أمنت كلمة الله بانتقالها إلى قاعدة الدولة الجديدة ، ووجدت دعوة الحق حرية في اعتناقها وحرية في تحملها وتبليغها ، وتدافع الأنصار عليها ينهلون من منهلها ، ويرشفون من رضائها ، وهي في كل يوم تزداد بالمؤمنين قوة ومنعة ، حقا لقد وجدت الدعوة في المدينة مؤازرة ومتابعة وحماية ومناصرة ولكن...!! يضرب عن أهل مكة صفحا وتولى الدعوة شطرها عنه فتقصد لغيرهم وتربو في غير نفوسهم ، ويتركون ومأم عليه من ضلال وظلام ، والمكيون برغم صلابته ورثوها من صخور أرضهم ، وانحرف عن الجادة تطاير إليهم من مجاورهم ، قد امتازوا بالشجاعة والصراحة فيما يقولون ويعتقدون ، لا يعرفون النفاق ، ولا يعرفهم النفاق ، وهذا النوع من الناس أرحى للحق وأنفع للمعيذة وأقدر على حمل اللواء .

وماذا يفعل المؤمنون بقوم تولوا وأعرضوا واستدبروا واستكبروا ، إنه لا بد من قرعة موقظة ، وضربة مرهبة تحول العيون إلى القلوب ، فترى الحق في قداسه وعلوه ، والباطل في نذالته ودنوه ، وعند ذلك يكون الفتح المبين ، ويدخل الناس في دين الله أفواجا ، أما أن الحق يتخذ العزلة طريقه والبعد سلاحه فهبات أن يشع له نور أو يبدو له ضياء .

إذن لا بد من مناوشة أهل مكة وقرع الباب عليهم ، ليكون ردهم إلى الحق عن طريق العنف الذي عرفوه والغلبة التي مروا عليها ، ولم يكن يخطر ببال أن تكون لغيرهم من خصومهم ، والمروءة بقوته لا تمنعه حجة العدالة ولا دليل الانصاف ولا وخزة الضمير ، وإنما ترده القوة الغالبة والصدمة المطيعة .

وَأَعْلَمَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى لِسَانِ أَمِينِ الْوَحْيِ ، أَنْ عَمِرَا لَقْرِيشَ مِنَ الشَّامِ قَدْ كَثُرَ عَالَهَا وَقَلَ رَجَالُهَا . وَأَعْلَمَ الرُّسُولَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَشْرَأَبَتْ نَفُوسُهُمُ لِلْقَائِمَا وَتَدَافَعُوا إِلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهَا . رَغْبَةً فِي الْغَنَمِ وَحُبًّا فِي الْغَلْبَةِ مَعَ قَلَّةِ الْمُؤْنَةِ . وَهُمْ إِذْ ذَاكَ لَا يَجْهَلُونَ مَغْبَةَ صَنِيعِهِمْ وَعَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ ، وَأَنْهُمْ إِنْ تَغْلَبُوا عَلَى الْعَمِيرِ سَتَخْلَفُ هَذِهِ الْغَلْبَةُ إِحْنًا لَا يَمُحِي أَثَرُهَا إِلَّا عَمَلَ السِّیُوفِ وَفَتْكَ الْهَامِ . وَمَا كَانَتْ رَغْبَةُ الظُّفْرِ بِالْمَسَالِ وَهَيْلِ النَّفْسِ لِلرَّيْحِ الْعَاجِلِ أَنْ تَنْفُسِي هَذِهِ الْحَقِيقَةَ أَوْ تَقْطَعْهَا أَمَامَ هَذِهِ الْعِیُونَ الْمُبْصِرَةِ وَالْقُلُوبِ الْبَاصِرَةِ . فَإِذَنْ هُوَ خُرُوجُ اللَّهَالِ يَتَعَبَّلُونَ بِهِ الرِّجَالَ ، وَأَنْهُمْ سَمُّوا حَيَاةَ الدَّعَةِ وَالِاسْتِكَانَةَ وَرَغَبُوا فِي حَيَاةِ الْمَجَالِدَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ ، إِعْلَاءً لِكَلِمَةِ اللَّهِ وَرَغْبَةً فِي لِنَاهُضِ الْحَقِّ وَكِبَتِ الْبَاطِلِ وَنَصْرَةِ الْإِيمَانِ وَخِذْلَانِ الْكُفْرِ .

وَخَرَجُوا لِلْقَاءِ الْعَمِيرِ وَجَدُّوا فِي السَّيْرِ ، وَالْبَشَرُ يَتَلَا عَلَى وَجُوهِهِمْ وَالْأَمَلِ الْمَحْبُوبِ يَجْلُو نَفُوسَهُمْ بِهَذِهِ النِّفْحَةِ الْقَرِيبَةِ الَّتِي بَدَأُوا بِهَا جِهَادَهُمْ فِيهَا الْمَسَالُ وَفِيهَا الْإِمْتِنَالُ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْمَلَاقَاةُ عَلَى وَزَانِ مَلَاقَاةِ اللَّصُوصِ وَقَطَاعِ الطَّرِيقِ عَلَى أَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَلَكِنْ هُوَ تَعَرُّضٌ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ لِجَانِبِ الْبَاطِلِ لِيُدْحِضَهُ ، وَلِفَتْةٍ مِنْ عِزَّةِ الْإِيمَانِ إِلَى ذِلَّةِ الْكُفْرِ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِيهَا لِأَوْلِيَائِهِ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِأَعْدَائِهِ ، حَتَّى يَبْدُدَ نُورَ الْحَقِّ ظُلُمَةَ الْبَاطِلِ ، وَتَعْلُو كَلِمَةُ اللَّهِ وَتَسْفَلَ كَلِمَةُ الْجَاهِلِينَ .

وَتَرَأَتْ لَهُمُ الْعَمِيرُ وَتَطْلَعَتْ نَفُوسُهُمْ إِلَيْهَا . كَمَا جَاءَهُمُ النَّذِيرُ بِتَجْمَعِ مَكَّةَ عَلَى كُلِّ صَعْبٍ وَذُلُولٍ وَخُرُوجِهَا إِلَى بَدْرٍ لَتَنْقُذَ الْعَمِيرَ وَتَقْضِي عَلَى مَنْ أَرَادُوا أَنْ يَقْطَعُوا حَرْيَقَهَا وَيَسْلُبُوا تِجَارَتَهَا ، بَعْدَ أَنْ جَرَحُوا دِينَهَا وَخَالَفُوا عِقَائِدَهَا وَشَفَعُوا عَلَى آلِهَتِهَا وَتَقَالِيدِهَا . وَقَبْلَ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى النُّفُوسِ يَأْسٌ مَعُوقٌ أَوْ خَوْفٌ مَهْلِكٌ مِنْ تَرَدُّدِ النَّفْسِ بَيْنَ الْعَمِيرِ وَالتَّنْفِيرِ ، نَزَلَ وَعَدَ اللَّهُ بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ فَكَانَتْ بِشَارَةً سَكَنَتْ مِنْ فِرْعَوْنِهِمْ ، كَمَا مَدَّتْ لَهُمْ فِي أَمَلِهِمْ وَكَانَتْ حِصْنًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ إِذَا مَا حَزَبَهُمُ الْأَمْرُ وَضَاقَ أَمَامُهُمُ الْمَسْلَكُ ، وَاشْتَبَكَ الْحَقُّ الْأَعْزَلَ بِالْبَاطِلِ الْمُدْجِجِ ، وَوَقَفَ الْجُنْدِيُّ لِلْمُسْلِمِ أَمَامَ ثَلَاثَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ أَوْ يَزِيدُونَ ، وَاهْتَزَتِ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لِقَاءِ أَعْدَادٍ وَهَدَدٍ ، عَلَى حِينِ أَنْهُمْ قَلَّةٌ عِزْلٌ فَكَّرُوا الْخُرُوجَ وَجَادَلُوا ، وَأَنْسَاهُمُ الْهَوْلُ أَنْ نَصَرَهُمْ قَدْ تَعَمَّدَ بِهِ اللَّهُ ، وَأَنْ فِي غَلْبَتِهِمْ عَلَى قَرِيشَ رَفَعَ لِأَعْلَامِ الْحَقِّ وَنَشَرَ لِدِينِ اللَّهِ وَثَبَّتَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَثَبِيطَ لِلْكَافِرِينَ .

والتقى الجمعان ، وأمد الله المؤمنين بملائكة مردفين ومنزلين ، وأنزل في قلوب أعدائه الفزع والهلع وانجلت الواقعة بنصر التلة المؤمنة على الكثرة الجاحدة ، ولما سكنت الهوجاء ودارت رحى الحرب على أعداء الله وقعت الأسلاب والغنائم في أيدي المؤمنين ، هنالك غفلوا عن تأييد الله لهم وظنوا أن ما اكتسبوه كان بنضالهم وقتالهم ونسوا أنهم قلة مستضعفة سيقت للخروج كما تساق إلى الله ، وأن أسباب النصر الظاهرية لم يكن لهم منها حظ يؤبه له ، فلقد نصرهم الله بيدر وهم أذلة وقاتل عنهم بأيديهم ورمى عنهم وثبت قلوبهم وأقدامهم وكان عليهم أمام هذا الفضل من الله أن يكلوا إليه جميع أمورهم ومنها أمور الغنائم في قسمتها أو تمييزها أو في حلها أو حرمتها ، فقد كانت لا تحل للأمم السابقة وأحلها الله لهذه الأمة .

في هذا العرس الذي أقامه الله لدعوته وهذا المسائم الذي جعله الله لأعدائه ، تلتفت نفوس مجاهدة إلى عبرة هذا النصر فتدرك أن الحق لا يعجزه إقلال ولا قلة ، وأن الباطل لا ينفعه عدد ولا عدة ، وأن عشرين صابرين شديدي الإيمان يحقهم يغلبون مائتين ، وأن مائة ضعيفة مؤمنة يغلبون مائتين فالحق غالب إذا ما وجد رفقة تحميه وأصحابا تأويه ، أما الباطل فهو هزيل بنفسه وهزيل بصحبه ، براق خداع يتجمع عليه المبطلون يأنسونه ويرفون بجوارده ومتابعته لا تقوم قيامته ولا تنشر أعلامه ولا يصول ولا يحول إلا إذا كان انكسار الحق وانكماشه وزهد أصحابه فيه ورغبتهم عنه فالحق عدد وعدة مع أصحابه لا ينزيم أخوه إلا عن وعن يصاب فيه ؛ أو ضعف يعترى الإيمان به ، وما كان الحق بحاجة إلى من يقيم أمره ويدفع عن حوزته وهو الثابت بتثبيت الله والعزير بإعزاز الله ، ولكن الله أراد أن يكرم أحبائه فنصره بأيديهم وكشفه بمجاهداهم ، ونضالهم لتكون لهم الحسنى باشتغالهم بقضيته وبذلهم في سبيل ذلك أنفسهم وأموالهم .

في هذه الظروف وبين تلك الملابسات تأخذ سورة الأنفال ، أو سورة بدر طريقها إلى النزول بالمدينة حامله في آياتها النيف والسبعين ما يكشف عن حقيقة المجند في الله وما تقتضيه الجندية الإسلامية من حزم وتقويض وطاعة حتى تكون مهيطة للرحمة وموضعا للبدد والعناية ؟

أبو محجن

نفسية الأستاذ الشيخ محمد محمد خليفة

المدرس بالأزهر

بين صليل القيد ووحشة السجن وظلمته ، زفر أبو محجن زفرة كادت تصعق لها روحه ، وتحترق فيها نفسه ، حين حملت إليه الأصداء البعيدة صهيل الخيول ، و صليل السيوف ، وهتاف الفوارس وانتهامهم إلى العشائر والآباء

ومن فوق حصن العذيب ، الذي يحن فيه أبو محجن ، جلس القائد العظيم سعد ابن أبي وقاص موعوكا ينفض ويشرف على المعركة ، فيرى عدوه وقد حشد كل قواه ليدحر المسلمين ويردهم عن فتح القادسية ، ويرى سعد مع هذا صمود الأعداء أمام الهجمات الجبارة التي يشنها المسلمون فيود ، وهو الموعوك ، لو استطاع النزول إلى المعركة ليصرع عزائم العدو ويدمر قواه وأنى له ذلك ؟

لقد زاغ بصر سعد بين الملحمة الدائرة ، فرأى لجباً من الدم تسبح فيها الجيوش المقاتلة ، فرد الطرف ثم أرسله إلى السماء يسأل ربه النجدة لهؤلاء الجنود الذين وهبوا الحياة لدين السماء ، ونهبه صليل القيود وراه فالتفت فإذا أبو محجن بثب في قيده يسأله الفكك من الأغلال لينخرج مجاهداً في سبيل الله .

ترى ما هذه الجريمة التي يحن فيها أبو محجن ؟

لقد نشأ أبو محجن في بيت مترف من بيوت ثقيف ، ترفرف عليه ظلال النعم ويدرج مع لدائه الثقيفين بين أعطاف النعيم ، يتلسم أنسام الحرية المطلقة التي تعاف القيود ، ووجد من المسال الجمل الذي تضيفه عليه جناته ما يحقق لنفسه لذاتها ، فشرب وأسرف في الشراب ولذَّ له ذلك الإسراف ، وانطلق لسانه بالشعر يصور به مجالس اللهو ، ويصف الخمر وسقاتها ، ويركض مع الراكضين في ميادين الخلاعة والشباب .

وأسلم أبو محجن ولكن بعد إسلامه لم يفس ذكر الخمر ، ولم يهجر لسانه ترديد ما قال فيها ، بل ظلت تعاوده ذكريات الشباب ، ومجالس الراح فيهتف بما قال في جاهليته ، وأخيراً ضاق به عمر ذرعاً فغنى الحنّاق على تلك العاطفة اللاهية ، ولكن أبا محجن لم يكن الضعيف الذي يخشى درة عمر أو يهاب سياطه ، فقتله سعد ابن أبي وقاص وأودعه ظلمات سجن العذيب في بلاد فارس . وطالت ليالي

السجن على أبي محجن ، واخترق جرس الحديد وصليل السيوف جدران السجن إلى سمع أبي محجن ، فاصطكت أنيابه ، وكيف يهجم إلى السكون والمسلون أحوج ما يكونون إلى رجل له شجاعة أبي محجن خبا في قيوده ، ووئب حتى طلع فوق الحصن ودلف إلى سعد يستشفعه في حسرة تذيب القلوب : إنه لا يريد الفرار من القيد ولسكنه يريد الجهاد في سبيل الله .

ولكن سعداً الذي امتلأ قلبه ضيقاً على لمو أبي محجن لم يخضع لاستشفاعه ، فقفل راجعاً يتلوى عليه القيد كالافعوان وخواطره تهف :

قد كان كالثعبان رمحك في الوغى ففدا عليك القيد كالثعبان
قلبي إلى الرحمن يشكو به ما غاب من يشكو إلى الرحمن
وانحدر في قيده إلى سجنه ونفسه تمزق حشرات ، فالتقى بسلي بنت حفصة ، زوجة سعد بن أبي وقاص ، ففتب بها : يا بنت حفصة هل لك في خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخالين عني وتعيريني اللقاء (فرس سعد) والله على إن سلبنى الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى في القيد فقالت : وما أما وذلك ، فوئب في قيده وهو يقول :
كفى حزناً أن ترتدى الخيل بالقنا وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قت عثان في الحديد فأغلقت مصاريع من دوني تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير وثروة فقد تركوني واحداً لا أخاليا
فله عهد لا أخيس بعده لأن فرجت ألا أزور الحوانيا
فنادته سلي : إني استخرت الله ورضيت بعهدك وأطلقته وأسلته اللقاء ، فخرج بها من الباب الذي يلي الخندق وعدا إلى المعركة والتفت المسلون على صيحة مجلجلة : الله أكبر الله أكبر .

فاذا بذلك الفاتك المثلث يحمل على ميسرة العدو حملة جبارة ، فيزعزع أركانها والمسلون يرمقونه بأبصارهم ثم يغوص ذلك الفارس في المسلمين حتى يحازي ميمنة القوم فيقطع كالسهم المسارق بقذ الأعناق ويطيح بالهامات ، فلا يبدو له فارس يحب في صلفه من فوارس الأعداء حتى يهتك ، وهكذا حتى مرق ميمنة العدو ثم غاص في المسلمين حتى حازى قلب العدو فبرز وأعمل السيف حتى تلاشت عزائم القلب . وهنا عجب الناس وقالوا من هذا الفارس الذي لم نر أصدق من حملانه ؟ فقال بعضهم : هو من جذد الشام الذين قدموا تحت لواء هاشم بن عتبة . وقال بعضهم : إن كان الخضر عليه السلام يشهد الحروب فذلك هو الخضر .

وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر الحروب لقلنا إنه ملك .
 وبهر القواد جميعا وفيهم عمرو بن معد يكرب والقعقاع وطلحة بن خويله .
 أما سعد فقد علق بصره بذلك الفارس منذ نزل المعركة وأمسك قلبه بيده .
 حتى لا يثب فرحا لذلك النصر الذي يكلل به ذلك الفارس تاريخ المعركة
 وقال : والله لولا محبس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء .
 وفي ظلمة الليل وقد نكص الفرس على أعقابهم واحتل المسلمون مواقعهم
 الجديدة ، رجع أبو محجن إلى حصن العذيب فدخله من حيث خرج ورد البلقاء
 إلى مربطها ووضع رجله في القيد وهو يقول :

لقد علمت ثقيف غير نخر بأنا نحن أكرمهم سيوفا
 وأكرمهم دروعا سابقات وأصبرهم إذا كرهوا الخنوفا
 وليلة فارس لم يشعروا بي ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
 فإن أحبس فذلکم بلاني وإن أترك أذيقهم الخنوفا
 وجاءت سلى فقالت : يا أبا محجن فيم حبسك سعد ؟ قال : والله ما حبسني
 بحرام أكلته ولا شربته ، ولسكنني كنت صاحب شراب في الجاهلية وأنا امرؤ شاعر ،
 يدب الشعر على لساني ، فأصف القهوة وتداخلني أريحية ، فألذت بمدحى إياها فلذلك
 حبسني لأنني قلت فيها :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه تروى عظامي بعد موتي عروقه
 ولا تدفني بالفلاة فإني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها
 وانطلقت سلى إلى سعد تتمص عليه قصة ذلك البطل العظيم وتحدث
 عن جهاده وحسن بلائه فدعا به سعد ، وأطلق سراحه وقال : إذهب فإنا مؤاخذك
 بشيء تقوله حتى تفعله

قال : لا جرم والله لا أجبت لساني إلى صفة قبيح أبدا ، وحرمت على لسانه
 ما كان يهتف به من شعر الخمر .

أيها المتطلعون إلى الحياة الحرة الكريمة التسوا من هذه الصفحة المشرقة
 قبسا بضياء لكم سبيل الحرية التي تنشدونها ، واطلبوا الموت كما طلبه أبو محجن
 توهب لكم الحياة كما وهبها .

واستعيدوا للإسلام ذلك المجد الشاخ الذي شيده أسلافكم بعزائم فلت الحديد
 ولا يفل حديد الطغيان إلا عزائم تسخر من كل طغيان .

من طرائف القرآن الكريم

لمفكرة الاستاذ عبد الفتى عوضى الرابعمى

هى فى بحثنا هذا طريقة واحدة ، من هذه الطرائف التى تتعلق بالنظم المتشابه فى القصص القرآنى ، حيث يكون المعنى الأصلى واحدا ، يحكى فى أكثر من موضع ، بعبارات تختلف تقدىماً وتأخيراً وذكراً وحذفاً ونحو ذلك . فذلك وإن كان يعرف إجمالاً ، أن مرده إلى التفنن والتوزيع والاختلاف بغير تناقض ، تبعاً لمقامات الكلام المختلفة ، سيما والمعمود إليه حكاية المعانى لا خصوص الالفاظ ، فيستغفر فى الأولى من التصرف ما لا يغتفر فى الثانية . إلا أننا فى هذه المباحث نعرض لذلك تفصيلاً جزئية جزئية ، بما لا يدع مجالاً للكابرة ، حتى نجهز على هذه القرية التى تشدق بها بعض الباحثين ، الذين يردون هذه الظاهرة فى القصص القرآنى إلى أنه عمل أدبى وجب فنى ، يعتمد على السبك والإخراج ، أكثر مما يعتمد على الصدق والالتزام الحاصل فى الخارج .

الطريقة : فى قوله تعالى فى سورة الشعراء فى سائر قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب فى حكاية ما يقوله كل رسول لقومه : « وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » ، مع قوله تعالى فى سورة يونس قصة نوح فى حكاية قوله لقومه : « فإن توليتم فاسألتكم من أجر إن أجرى إلا على الذى فطرنى » ؛ مع قوله تعالى فى سورة هود قصة هود « ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله » ، فإنه يسأل فى هذه المجموعة من الآيات عما يأتى :

أولاً : الذى نفى الرسل أن يسألوه على تبليغ الرسالة كان بلفظ الأجر فى جميع المواضع ، ما عدا قصة نوح فى سورة هود فإنه بلفظ المال ؟ وجوابه : أن لفظ الأجر أشمل وأعم ، وهو الأصل فى مثل هذا المقام ، حتى فيما كان من خاتم الرسل لقومه العرب : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » ، قل ما أسألكم

عليه من أجر وما أنا من المتكلفين^(١)، وخصوص التعبير بالمال في هذا الموضع، خاصة من قصة نوح، إنما كان لمناسبة ما في هذا المقام خاصة من تعبير قوم نوح له باتباع الأراذل الفقراء له... ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل... مع رده عليهم في قوله: «ولا أقول للذين تردى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا»... وقوله «ولا أقول لكم عندي خزائن الله»... يعنى حتى يكون الفقراء اتبعوه ليعطيهم منها الرزق والمال. فكان لفظ المال، لا الأجر بهذا المقام أمس وأنسب.

ثانياً: في بعض المواضع من قول الرسل لأقوامهم «أن أجرى إلا على الله» وفي بعضها «رب العالمين» وفي بعضها «الذى فطرني»؟، وجوابه أن لفظ الجلالة هو الأصل لا يسأل عن علته، أما «رب العالمين» فإنها اطردت في سائر قصص سورة الشعراء، ولها امتداد إلى ما في السورة من غير القصص، فكان أخذاً ببعضه بحجز بعض، وكان سمة بارزة من هذه السمات التي تنقسم بها بعض السور القرآنية والتي أطينا في شرحها وتعليلها في أبحاث سابقة أما «الذى فطرني» فكانت في سورة هود خاصة لما سبقها من قوله لقومه «إن أنتم إلا مفترون» فافترؤهم على الله يقتضى نسبته إلى العجز الذى منه العجز عن كونه فاطراً فيقابلة لإثبات ذلك.

ثالثاً: كان لفظ الأجر في بعض المواضع منصوباً وفي بعضها الآخر مجروراً بمن الزائدة، ولا فرق بين الطريقتين إلا ما يقولونه من أن الطريقة الثانية مفيدة لتأكيد العموم، فإذا علمنا أن سورة الشعراء من أبرز مقاماتها بيان ملائمة الرسل لأقوامهم والحرص على نصحتهم مع الإمعان في ذلك، علمنا لماذا كانت هذه الطريقة الثانية مطردة في سائر قصص سورة الشعراء ثم في قصة نوح خاصة في سورة يونس^(٢)، بله ما في اطراد التماثل وترادف الصنيع الموحد في السورة الواحدة من حسن الاتساق وجمال الأداء.

رابعاً: في كل المواضع كان لفظ الأجر مسبوقاً بالجار والمجرور «عليه»، إلا ما كان في سورة يونس قصة نوح من عدم ذلك الجار والمجرور وذلك لورودها

(١) سورة ص

(٢) بينا في أبحاث سابقة ما كان يتأثر به نوح من شدة الحرص على هداية قومه أكثر من غيره

مورد الاختصار والأعراض والمشاركة ، يا قوم إن كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى
بآيات الله ، . . القصة .

خامساً : فى كل المواضع ، أسألكم ، بصيغة المضارع إلا ما كان فى قصة نوح
سورة يونس فإنه بلفظ الماضى ، سألتكم ، وذلك لأنه وقع جواباً لشرط بصيغة
الماضى ، فإن توليتم ، والماضى بالماضى أشكل .

سادساً : يقع نفي السؤال أحياناً بما ، وأخرى بلا ، فى بعض المواضع
، وما أسألكم عليه ، وفى بعضها الآخر ، لا أسألكم عليه ، فهل من سر لذلك ؟
الجواب : نعم ، وسر عظيم ، فإن جمهور أهل العربية يقولون ، ما ، للنفي فى الحال
و ، لا ، للنفي فى الاستقبال ، وخالف فى ذلك وسوى بينهما ابن مالك ، ومهما
يكن من هذا أو ذاك ، فإن الطريقة الأولى اطردت فى سائر قصص سورة الشعراء ،
والطريقة الثانية اضطردت فى قصتى هود ونوح المتجاورتين فى سورة هود ، وذلك
جار على عادة القرآن فى مراعاة الجوار وإعطاء سمات موحدة فى الموضع بعد
الموضع . ولو أردنا أن ندقق النظر ونستقصى فى البحث لعلنا أن الحرف الأول
أنص فى النفي من الحرف الثانى ، لخروج الثانى دون الأول من النفي إلى النفى ،
وما كان أنص كان أقوى وأدل ، فإذا ذهبنا نقتنع مواقع الاستعمال وجدنا أن
ما كان فيه الجر بمن الزائدة المفيدة لنا كيد العموم فى النفي كان مسبوقاً بالحرف
الأول ، ما ، وما ليس فيه هذا الجار الزائد ، كان مسبوقاً بالحرف الثانى ، لا ، ،
يطرد هذا بشقيه وجوداً وعدماً ، فيكون التركيب الأول برمته آخذاً ببعضه بحجز
بعض فى قوة إفادة النفي وعمومه ، ويكون التركيب الثانى كذلك آخذاً ببعضه بحجز
بعض ، فى كونه أدون من الأول فى إفادة ذلك : وإذا كان ذلك كذلك فقد كان
الصنيع الأول برمته فى سائر قصص سورة الشعراء وقصة نوح سورة يونس ، كله
بما النافية ومن الزائدة ، وكان الصنيع الثانى برمته فى قصتى نوح وهود
المتجاورتين فى سورة هود ب : لا النافية ونصب الجار بدلاً من جره ، حتى ما كان
فى مقالة خاتم المرسلين لقومه العرب ، ما كان فيه الجار الزائد كان نفيه بما النافية
« قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ، . . وما لم يكن فيه هذا الجار
الزائد كان نفيه بلا النافية ، قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ، . .

مطالعات

محاضرة الأستاذ سعيد زابر

قال الأستاذ مشير حسين كيدوى فى مقدمة كتابه الإسلام والاشتراكية Islam and Socialism المنشور فى الهند سنة ١٩١٠ باللغة الانجليزية ما يأتى :

« لا ينبغى أن يعوق ما يترامى أمام المسلمين من مستقبل مظلم عن إحياء قوميتهم وتدعيم مركزهم عن طريق التمسك بمبادئ الاشتراكية المحمدية فى جميع مناحى الحياة الإنسانية ، فهذه المبادئ تهب الحياة ، وتبعث البهجة فى حين أن المادية الغربية متى تنعارض معها قد تأصلت فيها بعض العناصر التى تحطم النفس . وتعد الحالة لراهنه فى إيران مثلاً يثبت ما ذكرناه . فالطغيان الروسى مسيطر - كما يلوح فى الوقت الحاضر - على البلاد لأنه مؤيد من قبل القوة المادية . ولكن إذا لم تستطع هذه القوة المادية أن تقتل العواطف الروحية القائمة على الأخوة المشتركة بين المسلمين ، وإذا ظلت هذه العواطف والقوى مصممة على أن تجابه قوة العدو المادية بقوتها المستمدة من العزيمة المتحدة لتصون حريتها واستقلالها ، فسيثبت المسلمون أنفسهم فى هذا الشوط الطويل من النضال ، وسيكره الطغيان الروسى بريطانيا العظمى إن عاجلاً أو آجلاً على أن تشبك معه فى قتال إذا كانت فى الشعب البريطانى بقية من غريزة الدفاع عن النفس ، وإذا كانت عواطف مسلمى الهند نحو إخوانهم فى إيران تجعلهم يواصلون مطالبة الحكومة البريطانية بتعديل حقوقهم كما أن روح الاستقلال عند الإيرانيين إذا هى ظلت قائمة فستتاح لها فرصة لتؤكد نفسها ، هذا وإن المرء ليجد هذه الروح المعنوية فى حرب طرابلس ، فلو لم يكن للعرب قواد مدربون على أساليب الحرب الحديثة لاستطاع الحماسى الدينى البالغ الحد أن يثبت وجوده ، وأن يكون قوة مدمرة كما كان الشأن فى موقعة أم درمان وحيث إن العرب الآن قد تلقوا بعض المساعدة المادية ، ففى وسعهم أن يجابهوا جيشاً أوربياً جراًزاً مزوداً بجميع الأسلحة الحديثة لا شئ إلا لأن قوتهم المادية تعززها قوة روحية ودينية ، وهو الأمر الذى يعوز أعداءهم . وإن الانسجام

العاطفی ، والترابط الاجتماعی فی أمة كالامة الإسلامیة لجدير بأن یزودهم بقوة كفیلة بأن یتغلبوا بها علی أية جماعة تعتمد علی القوة المادیة الأوریة . ومن الممكن أن تغل المادیة مادیة أقوى منها ، ومن المیسور أن یقضى علی المادیة ولكن لیس من المیسور القضاء علی الروحیة والعاطفیة ، وقد یمكن إقناء الجسد المادی أما روح الامة وعواطفها فلا سبیل إلی استئصالها ، ومن المتندر قتل فكرة ما بالحرب والقنابل ، ومن الممكن تقویض دعائم الحضارة المادیة الی تقوم علی السكك الحدیدیة والتلغراف والمدرعات والطائرات ، إلا أن النظام الروحی القائم والتمیز الخلقی للإنسان ، وإثیر المصلحة الذانیة فی سبیل خیر الآخرین ، لا سبیل إلی تقویض دعائمه . وتمتاز آسیا فی الناحیة الروحیة بقوة عظمی متمتزة ، ولكن وأسفاه لقد نسیت شعوبها قیمة هذه القوة ... دعمهم یصبغوا قارتهم بالصبغة القومیة ، ویستفیدوا من تجارب الماضی ، ویتمسكوا بمبادئ الانسجام المتبادل والاشتراكیة فی جمیع مناحی حیاتهم ، فسوف لا یحملون خصومهم علی الاعتراف بهم فحسب بل سیتقدون العالم من الكارثة الرهیبة كارثة المادیة . وإن ارتفاع مستوى المعیشة فی أوربا الی تتجثم علی صدر الفقیر ، وترف الحیة الی یسیر علیها الرأسمال لم یأت إلا عن طریق الاستغلال الذی للجهامیر الضعیفة . وقد تیقظ لهذه الحال عمال أوربا فراحوا یقومون بالإضرابات الی لا شك أنها ستعید إلی الرأسمالیین انتباههم ، وما هذه الإضرابات إلا من نتائج هذا الوضع . ومع ذلك فلا تزال شعوب آسیا تغط فی نومها ، بالرغم من أنها وهی الشعوب السقیمة الهزیلة - الی لا یکاد الفرد فیها یظفر بأكلتین فی الیوم ، ویغطی نفسه بأخشن الثیاب ، ویسكن أكثر الاكواخ تواضعاً - هی الی تمد الأوریین الرأسمالیین بأشهر الاطعمة فی أبهی القصور .

وكما أن الساسة الأوریین لا یقرهون العصر الاول من تاریخ الإسلام ویجهلون أن الإسلام ینطوی علی دیموقراطیة حققة واشتراكیة عمیقة واسعة المدى فإن المفكرین والمشرعین لا یدرسون مراحل الحیة الإسلامیة بل یمرون بحقائق متفرقة ، فهم عادة یتناولون مسائل متصلاً بعضها ببعض كالزواج وتعدد الزوجات والمهر والطلاق ویوجهون نقدهم المتحامل إلی الجانب الاجتماعی من الحیة

الإسلامية، وقد رأى قضاة مجلس الملك البريطاني أن ما يوقفه الرجل على ذريته (وقف الأولاد) تعرف ليس له سند قانوني، وما ذلك إلا لأنهم تناولوا مسألة الوقف وحدها دون أن يعيروا الانتباه الكافي للوضوعات المتصلة بقوانين الإسلام من ميراث وهبة وبيع وصدقة، وخطأ آخر يرتكبه النقاد الأوروبيون عامة هو أنهم يعيشون الآخرين بالمقياس الغالب في أوروبا. والفوضوية الأخلاقية أو الزنا أقل شراً عند الأوروبيين من تعدد الزوجات الذي تحرمة أوروبا بالتناون. ووقف الأولاد يعتبر من الأمور التي ليس لها سند قانوني لأنه لا يتسق مع التصور المسيحي للصدقة والقانون الأوربي الخاص بالهبة. والطريق الطبيعي لفك رابطة الزواج كما أباح الإسلام مما يعرض عليه الأوروبيون لأنهم قوم يميلون إلى غسل الثياب القذرة للحياة الزوجية في المحاكم العامة، أو يودون أن ينظف الزوج الذي لديه من الأسباب ما يجعله يكره امرأته في حياة الشقاء أو يريدون أن يورثوا الزوجة التي لا يسعها أن تنفصل عن زوجها حزناً وألماً. ويسوء أوروبا أن ترى امرأة شرقية دون جوارب ولكنها تأذن للجنس اللطيف بأن يعرض مبادئه في المرافق العامة وغيرها في ثوب نصف عار. وأوروبا تحبذ حياة الأثرة التي يحياها المرء في بيته حيث لا يكون أكثر من حيوان إذ لا يعنى بغير زوجه وأطفاله وحين لا تسمو غرائزه الاجتماعية إلى ذلك المستوى الرفيع من الحياة الذهنية الإنسانية المنحصرة وهي الحياة التي يعيشها الشرق ويعمل فيها بنخوة ليعول الآخرين ولينفق على عدد كبير من الأفراد من المال الذي يكسبه بعرق جبينه. وحتى في تلك الأمور الصغيرة مثل الملابس والطهى تزعم أوروبا تفوقها وترى أن كل نظام آسيوى دونها في هذا الشأن. والحقيقة أن أوروبا شديدة التعصب في إدراك تمييزها، إلى حد أن المسئولين من رجالها يحقرون الآسيويين ويتندرون بلغتهم غير أن الآسيويين قد أصبحوا أشد حساسية لمثل هذه الإهانات وستدفع أوروبا إن قريباً أو بعيداً ثمن خيالاتها كما اضطرت الآسيويون مرات كثيرة إلى أن يدفعوا ثمن حماسهم الدينى... نحن لا نستطيع أن يقال عنا إتنا خراف لا راعى لها أو شعب لا يقدر المعاملة الإنسانية المحترمة حق قدرها أو أننا

لسنا اهلا للإدارة الحرة الدستورية . فالحق أن الآسيويين أعظم عاطفة ومن هنا صاروا أكثر حساسية .

وكثيراً ما يعجز النقاد الأوروبيون عن تقدير عالمية الإسلام وعن فهم البطولة الوطنية التي يتسم بها المسلمون ويخالونها تعصبا دينيا . وثمت كثير من المفرضين الذين يرجعون ضعف المسلمين اليوم إلى الإسلام رغم أنهم يعززون الضعف الخلقى الذى يعانيه المسيحيون أقباطا وإغريق إلى الظروف السيئة التي اكتشفتم أجيالا طوالا بدلا من أن ينسبوا إلى المسيحية ، وينسون أنه حينما بلغ كل من الإسلام والمسيحية ذروة المجد انتصر الإسلام على المسيحية خلقيا واجتماعيا وسياسيا ، ولكن عندما ولت المسيحية وجهها شطر المادية وافقد المسلمون المبادئ السامية من إيمانهم استطاعت أوروبا بفضل غلبتها المادية أن تجعل المسلم الشرق الذى تخلى عن روحانيته فى موطنه قديما . فالمسيحية لم تهزم الإسلام قط وان تفعل ذلك ، إلا أن المادية بما لديها من كتائب قوية قد تغلبت حينما من الدهر على الأمم الإسلامية التي بددت كثيرا من قوتها الأزلية الروحية بسبب إهمالها وبسبب افتقار من يسمون برعماثها إلى الإخلاص والنضحية .

فالإسلام ذاته لا يمكن أن يغلب على أمره ، وكذلك المسلمون الذين وفرت فى نفوسهم روح الإسلام ، وإذا كان المسلمون قد عجزوا عن مجابهة المادية فليس ذلك مما جناه الإسلام عليهم فهو - من ناحية أخرى - الدين الأواحد الذى جمع بين الروحية والدينية . فكما وضع قواعد ليندى بها المرء فى حياته الروحية نظم للناس الشؤون الاجتماعية والسياسية والمدنية والعسكرية والقضائية والتجارية ؛ فهو على نقىض المسيحية لم يطرح الروحية تحت ضغط المادية ، ولكن نظراً إلى أن أوروبا المسيحية قد كرس طاقاتها كلها للعمل على تقدم المادية فقد دبست الممتلكات الإسلامية . ومع ذلك تخضوع المسلمين هذا موقوت ولو أن المسلمين لم يضيعوا اتصالهم بروح الإسلام ولو أنهم لم يتجاوزوا السبل التي اختطها لهم الإسلام لصار من المنعذر أحرار هذا النصر المادى الموقوت .

ولكن فن حق المسلمين والأمور تجري على النحو التي تجري عليه الآن أن يطلبوا إلى هؤلاء النقاد الذين ألقوا عليه تبعة بلوغ المسلمين هذه الحال دراسة

الإسلام وقراءة تاريخ المسلمين عند ما كانوا شديدي التمسك بعقيدتهم . إنهم إن فعلوا فسيترفون بأن الإسلام قد نجح فيما عجزت عنه المسيحية فحسب بل اليهودية وغيرها من الأديان في أوج قوتها من النهوض وتمدين شعب متحلل الأخلاق مفكك الأوصال شرير رسى الخلق ، وسيقرون بأن ما ساهم به الإسلام من الناحيتين الثقافية والأخلاقية لرقى الإنسانية لا نظير له في العالم وسيكونون حينئذ أحكم في تقديم للإسلام .

ولعل الزناد الذين يرون أن الفوضى مرحلة من مراحل الاشتراكية لا يعوزهم أن يروا وصفاً مفصلاً لها . والإسلام لم يشجع الفوضى قط رغم أن المسلمين تعرضوا له في وقت ما . وقد تعمدت عدم الإشارة إلى تلك الهيئة الفوضوية التي أنجبتها شر العبقريات الإنسانية المعروفة والتي قامت بفضلها حكومة ظلت ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين عاماً على يد حسن بن صباح وهو رجل قبيح الشهرة وأحد رفاق الشاعر المعروف عمر الخيام . وكان أتباع حسن صباح يعرفون بالحشاشين أو السفاحين .

والجامعة الإسلامية (والإسلام معناه السلام والأمن) هي مثل الأعلى . وفي رأي أن مثل هذه الاشتراكية التي تجنح إلى العنف والفوضى ينبغي ألا تلقى أدنى تشجيع واعتراف من الشعب المتحضر . ويجب ألا يفرق بين الفوضى والقتل بالرغم من أن الأولى بريئة من أعمال الشر أو الطغيان . فينبغي ألا تكون للاشتراكية علاقة بالفوضى التي تهدف إلى القضاء على الحياة الإنسانية . بل على العكس أرى أن تكون الاشتراكية عاملاً من عوامل الانسجام والاتحاد بدلاً من أن تكون من عوامل التدابر والانفصال .

وبعد ، فقد انتهى كلام الأستاذ وهو مكتوب سنة عشر وتسعمائة وألف ميلادية ، ولعل فيه ما يصح أن يكون من مشاكل اليوم وما يحتاج فيه إلى تعليق لا يخفى على فطنة القارئ .

تقيص — تان

نفسير الأستاذ الشيخ محمود النواوي

المفتش بالأزهر

يقاوم الدين الإسلامي (وهو دين الإصلاح الشامل والمثل الأعلى للاجتماع الصحيح) تقيصتين هما أفنك الصفات بالآمة وأسوأها أثراً في تكوينها ، كلتاها مفرق لكلمة الجماعة ، مقطع لروابط الإخاء ، ماحق للبركة ، مضعف للشوكة ، وكلتاها مؤسس على إثارة الدنيا ، وهي رأس كل خطيئة وأس كل مأثمة ، وكلتاها ضعف في الإيمان بالله وفي قدره حق قدره ، وجعل بحق هذا الخالق الرازق العظيم ، وحق عباده : الظلم والشح ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ، وهو كالطبع لا يفارق الإنسان إلا رياضة وجهاداً ، إن الإنسان لظلوم كفار !

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم وهو على ذلك قبيح بشع ، لو تمثل للناس لها لم منظره ، ولخروا صرعى أمام شدة قبجه ، وفظاعة وحشته ، وهو مع العدل كالأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، فبقدر ما في العدل من محاسن تتجلى في الحب والصفاء ، والتناصر والولاء ، وفي العمران والقرار ، وراحة ضمائر الأحرار ، واستدرا رحمت السماء وبركاتها ، يكون مقدار ما في الظلم من مقابح تمثل في العداوة والبغضاء ، وفي التقاطع والالتواء ، وفي التخريب والتدمير ، وفي تعب القلب وحرج الضمير ، والاستهداف للعنات السماء وبلائها ؛ ... لو علم الظالم أنه باستباحته أن يظلم أخاه في ماله أو عرضه أو دمه قد أساء إساءة بليغة إلى عدة نواح كانت جذيرة منه بالإنصاف كل الإنصاف ، لما لها من حقوق تتطلب إحساناً لا إساءة ، وإفضالاً لا بخساً ؛ لو علم ذلك لفر من الظلم فراره من الأسد حتى لا يفتك به .

أما لإحدى تلك التواحي ، بل هي أولاهما ، فإنها نفسة التي بين جنبيه ، فقد رضى لها بصفة الظلم ، ووضعها في تلك الحسياسة التي كان ينبغي أن يكرم نفسه عنها ، ولا يجعل لنفسه سيلاً إليها .

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل

ولكن الظالم ضحى بكرامته ، وتعرض لتلك الخسيسة في سبيل شهوة كاذبة ، أو ثورة طائشة ، أو نزوة جامحة ، أو فتنة خادعة ، أو أية باعثة متضعة ، فكان من الخاسرين . ومن تلك النواحي التي أساء إليها الظالم أخوه المظلوم الذي أمره الدين والاجتماع والعرف بالإحسان إليه ، ونهى عن العدوان عليه ، وقد شددت الأديان السماوية في ذلك إلى أبعد حد ومدى ، فقال الله سبحانه : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « يا عبادى إني حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يتخذله ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا يحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، كل هذا يضحى به الظالم فلا يبال أن يسىء إلى من أمر الله بالإحسان إليه ، ودعت الشرائع إلى تكريمه والحدب عليه ؛ ثم هو بعد يعرض نفسه لخصومة أخيه ، وما كان أحوج أن يجعلها تعاونا ومودة ونصحا ومحبة .

فيا عم مهلا واتخذنى لنوبة تنوب فإن الدهر جم نوائبه
لقد أساء الظالم إلى الجماعة التي يعيش فيها ؛ لأنه أساء إلى عضو منها ، والجماعة يغار بعضها لحرمة بعض ، وأساء إليها ؛ لأنه قرر جريان الظلم بين ظهرانيها وشجع عليه ، ودعا بفعله إليه ، فهو عامل هدام في المجتمع ، شريك في كل مائمه تجري من هذا النوع ؛ وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : « من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا . » ، والأحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم : « من دعا إلى ضلالة فله زهرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة . » ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ؛ لأنه أول من سنّ القتل . » ، ثم إنه أساء إلى خالق هذا الكون ؛ لأنه عصاه في أهم ما يدعو إلى تركه والإعراض عنه ؛ ولأن الله أراد الوثام ولكنه أثر عليه الخصام ؛ وأن الله دعا إلى المحبة والألفة ، ولكنه أثر في سبيل بغية العداوة والفرقة ، فويل للظالمين .

الظلم شؤم في الدنيا على صاحبه ، وعلى من يحف بصاحبه ، وعلى ما يحل به صاحبه من منزل أو قرية ، أو علة ، قال الله سبحانه : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب . » ، فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . ، وقال كعب الأحبار يوما لأبي هريرة مكتوب في التوراة : « من يظلم يخرّب بيته . » فقال أبو هريرة : ، تلك في كتاب الله تعالى : « فذلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . »

إذا كان للظلم عقاب مؤجل إلى يوم تشخص فيه الابصار ، فإن له عقابا في الدنيا معجلا يراه الظالم في نفسه ، ويراها الناس في عتبه شماته وتشفيا ، وقد قال النبي صلوات الله عليه : « إن الله ليحلي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته . » ، ثم تلى الآية الكريمة : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . » ، وفي الحديث : « لو بنى جبل على جبل لك الباغي منهما . »

أما عقوبة الظالم يوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، فإنك تستطيع أن تتمثلها في قول النبي : « إن الظلم ظلمات يوم القيامة . » ، وماذا عسى أن تكون الظلمات إلا تلك الشدائد والأحوال في يوم الحساب ، يوم يظهر إفلاس الظالم ويلقى به في نار جهنم ، ويحبط عمله مهما قدم من خير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه : « أندرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . » فقال : « إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم قذف في النار . »

وأما الشح : فإنه البخل بالمال والحرص عليه ، وهو يدعو إلى الظلم ويهتف به ، بل هو عند التحقيق باب من أبوابه . فمن حبس المال عن حقه ، وبخل على أخيه عند حاجته فهو من الظالمين في أفش أنواع الظلم وأشدّها فتكا برابطة الجماعة ، وإيقاعا في استباحة الدماء والمحارم ؛ لهذا قرن بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي أخرجه مسلم : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ،

واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، حلهم على أن سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم . . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الضن بالمال يوجب التماذى فى حبه وإيثاره وكثيرا ما يجر ذلك إلى التماذى فى الباطل فيقع الهرج والمرج وتستباح المحارم ويتجر فى الاعراض وإن التاريخ لشاهد صدق على ما فعل المال وإيثاره بالأفراد والجماعات مما جمع شمله بيان النبوة الكريمة (إن الشح أهلك من كان قبلكم حلهم على أن سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم) . ولهذا يقول الله سبحانه : ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، والآية الكريمة تفيد أنهم المختصون بالفلاح وأن أهل الشح من الخاسرين .

وقد صور النبي صلى الله عليه وسلم كلا من السخى الكريم والبخل اللئيم فى صورتين متعاديتين أحدهما محبوبة مطلوبة ينشدها كل من له بصر ليجد منها كل سعادة وظفر والآخرى بغیضة كريهة يفر منها كل من ذاق الإيمان فأمن بالله ورسوله واليوم الآخر عن يقين صادق وذلك فى حديث أخرجه الترمذى عن أبى هريرة والبيهقى عن جابر ، السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ، فقد جمع للسخاء الخير كله ووجه إليه كل ذى طبع سليم .

فمن ذا الذى يرى طريقا إلى قربه من الله فلا يسلكه وهو مالك النواصى . ومالك الخير ومالك يوم الدين وهو على كل شىء قدير .

ومن ذا الذى يجد السبيل إلى حب الناس ورضاهم ثم لا يطرقه وهو الكنز الثمين والربح فى الدارين للراغبين .

من ذا الذى يرغب بشراء جنات تجرى من تحفها الأنهار أعدت للنتقين خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ثم يعرض عنها وينقلب عن سبيلها .

لقد ظفر السخى الكريم بكل تلك المزايا الكريمة . وكان البخل فى نقائصها وأضدادها وإن ما ثبت لأحد الضدين جدير أن يذنى عن الضد الآخر لا محالة فقل لأولئك الجماعين إن كنتم تقدرُونَ عاقبة الجمع والادخار فقد ساء تقديركم ووجب أن تحولوا دفتكم قبل أن تسجلوا الخسران هنا وهناك على أنفسكم وإن كنتم لا تقدرُونَ العاقبة لأنكم لا غرار حتى تعملون فى غير تفكير .

هل قرأتم في الكتاب الكريم ، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردى ، فأنتم أيها البخلاء ميسرون للعسرى وهى أعمال الشر التى تودى لأنكم عناصر خبيثة مالم يرحمكم الله ويهدكم سبيل الرشاد .

، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ، لقد جمع الله البخل مع القسوة العارمة والتكذيب بيوم الدين فى جهنم وبئس المصير ، رأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، . ، إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، فهذه هى صفات أهل جهنم فالمرء وما اختار لنفسه — إن الشح مدعاة إلى الشره مضيعة للشرف دفاع بصاحبه إلى جمع المال من حله أو غير حله لمن يتفقه فى حله أو غير حله من الوارثين فأنتم تجمعون بشهوة الجمع ما لا تأكلون . فإذا كشف الغطاء فإنكم نادمون .

قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله قالوا ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال : فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر : إنكم أيها الأغنياء وكلاء الله فى التوزيع على عياله الفقراء فأحسنوا الوكالة وإلا قصم الله ظهوركم وفككم بكم أو بأعقابكم وما كان ربك نسيه ، آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كريم ، .

لأنه ما أمن بالله من بات شعبان وجاره جائع . ولا شكر نعمة الله من سار مزهوا بثيابه وجاره عريان ، وإن البخل ماهو إلا شك وسوء ظن بالقدر وما هو إلا فتنة من الشيطان ليوقع بين الناس العداوة والبغضاء والبطش والفتك واستباحة الدماء واستحلال المحارم وإلا فإن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا واتقوا الله وآتوا المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين ، من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . اللهم اهد هؤلاء الناس حتى تعمم الأرض ويستقر السلام والوثام ؟

تقدير ورجاء

لفضيلة الأستاذ الشيخ حسن حسن
المدرس بمعهد القاهرة

إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

شامت إرادة الله العلي القدير أن يكون حب المسلمين لك ، وميلهم اليك .
ورضاهم عنك . مؤيدا بأدلة قاطعة وحجج ساطعة ، لا تدع للشك سبيلا ،
ولا للريب مجالا ، فامتحنك فيما أبديت من حب للأزهر وأهله ، وأبرزك
في صورة تجلى فيها أيمانك . وشعت منها أنوار عقيدتك ، فأقصاك عن الأزهر
فترة لتكون قلوب الأزهريين لك . وأقنعتهم معك ، بعد أن قينوا اخلاصك
وتأكدوا من حسن نياتك ، وتكشف لهم ما استتر عنهم ، حتى إذا أقبلوا عليك
كانوا مخلصين ، وإذا وضعت أمورهم بين يديك كانوا مؤمنين بك آمنين .

واليوم وقد حقق الله للأزهر أمله . واستأنف الشيخ الابي عمله ، واستعيدت
للأزهر كرامته ، يفرح الأزهريون خاصة ، والعالم الإسلامي عامة . بتقلدك مشيخة
الأزهر فقد أدرك الكل أسمى غاياته ، وأجل مطالبه ، وأعز أمانيه بعودة إمام
المسلمين إلى رياسة الأزهر ، وقيادة الأزهريين .

ولا عجب فقد ناضلت من أجل الأزهر . وكأخت في سبيله . راجيا أن يحتل
الأزهر مكانته ويتبوأ بين الجامعات منزله ، مستهينا بالصعاب . غير مكترث
بالشدائد والعقبات . ولا مبال بغضب بعض الناس . ما دمت تعتقد أنك ترضى
خالق الأرض والسموات . وكأنى بك تردد .

فياليت ما بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب

ولا غرو خيانتك كلها بطولة . وتاريخك كله جهاد وتضحية . وذكريات
عاطرة . فهذا بيانك الرائع - المعبر عن طيب النفس . وسلامة الضمير . ونقاء
السريرة - لا زال يدوى في أرجاء الدنيا . ويرن في آذان المعمورة . يبين في صراحة
نامة . ووضوح لا يعتوره خفاء . وجلالة لا يشوبه إهمام أنك لا تخشى سوى ربك

ولا تخاف غير خالك، وكيف يخشى الناس من يرى أن المسجد قبلته . والطاعة غايته . فيقول في بيانه (ما دام قول الحق لا يمنعني من التردد بين داري والمسجد فلا خوف) وصدق الله حيث يقول (أنما يخشى الله من عباده العلماء) .

وما لنا نذهب بعيداً والامس القريب يحدتنا يوم أن جاءك الأزهريون . يشكون اليك الكرامة الضائعة . والعزة المفقودة . والحقوق المهضومة . فوفقت إلى جانبهم . وباركت حركتهم . وقلت كلمتك الماثورة (أنا لا أستطيع تكليف المظلوم كما لا أستطيع أن أجلس على هذا الكرسي وفي الأزهرين من لا يأكل أكل ولا يشرب شرب) فلفتيت ما يلقاه المصلحون . وما يتعرض له القادة العاملون ، فأبعدت عن الأزهر ولكنني ما نيك . وتركتني ولكنني ما تركك . ثم جاء بك اليوم اخلاصك وإيمانك لإتمام ما بدأت . وجنى ثمرة ما غرست وقد مكن الله لك (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) .

مولاي صاحب الفضيلة :

إن العالم جرفته المدنية وبهرته النواحي الشكائية . فأنجه إلى المسادية . وانصرف عن الحياة الروحية . وقطع شوطاً بعيداً في البعد عن الحق . والتجافى عن الصدق . وقد أدرك اليوم خطاه . واستيقظ من سباته . وأخذ يتلصص الهدى في الأرض عليه يرى من يأخذ بيده فيقبله من عثرته . وينهضه من كبوته . وليس أمامه إلا الأزهر . وإن يكون الأزهر معقد الأمل وموضع الرجاء . إلا إذا أصلح . وإصلاحه بإصلاح أبنائه وتقويم معوجهم وتهذيب نفوسهم . وتطهير أئمتهم . وتربيتهم تربية دينية سليمة بعيدة عن الدنايا . حينئذ يحقق الأزهر للعالم ما يرجوه وللدنيا ما تؤمله (فائنان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس العلماء والأمرء) كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنا في بيانك الذي أذعته . وفي برنامجك الذي وضعته . ما يزيل ألمنا ويحقق أملنا . بارك الله فيك . وحقق للدنيا الخير على أياديك في ظل حامي الأزهر فاروق الأول ملك مصر والسودان .

تحية

للاستاذ الامام الشيخ عبد المجيد سليم

بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر بعد إعفائه منها في سبتمبر سنة ١٩٥١

لفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف النجار

لمثلك أيها الشهم الأبى يصوغ الدر حر أزهرى
فأنت أبو المكارم والمعالى وأنت العالم الثبت الرضى
سمت بك عزة في النفس تاهت بمثلك أيها الفطن الذكى
أنتك إمامة الإسلام تسعى فواقها الأريب الأملعى

وقد كنا نسائل كل يوم لماذا أعفى الشيخ الوفى ؟
فقبل وشاية حيكى ولكن سينصر ذلك الورع التقى
ونصر الله مكفول لقوم به اعتزوا فعزهم العلى
وجاءتنا البشائر هانقات أناكم للرياسة عبقرى

فيا عبد المجيد - ولا أغالى - إذا ما قلت : إنك نابى
ويا عبد المجيد - عداك ذم - وأنت لدى المحامد أريحى
وأنت « سليم » مأمول الأيادى فأنت بكل مكرمة سعى
فسر بالسادة العلماء قدماً رعاك الله ذو العرش القوى
فهم نجب وأنت لهم إمام إذا ما سرت سار بك الكى

يعيش الناس في دنيا ضلال إذا لم يأتهم هاد تقى
ومن ذا يبتغى يوماً إماماً سواك؟ (وقلبك الورع الرضى)
فبنى منصباً يزهى بشيخ هو الشيخ الإمام « الأشعري »
وما قلت القريض لغير شهم فشعري حين أذكره أنى
فعمش في ظل « فاروق » مرجى فأنت صفيه وهو الولى
حمى الله الملك وشبل مصر « فؤاداً » إنه أمل بهى

نونية ابن زيدون

لفظيد الأستاذ الشيخ حسن جاد حسن

المدرس بكلية الشريعة

— ٢ —

نونية شوقي :

ها هو ذا شوقي يحج إلى الأندلس ، وينزل في ضيافة ابن زيدون ؛ وكلاهما
رييب نعمة ومجد ؛ وكلاهما شاعر نكبته الأيام ، وأضناه النفي والتشريد ؛ وكلاهما
أحب ، ولجعه البين فيمن أحب . أما ابن زيدون فقد أحب ولادة ، فكانت
وحى قصيده ؛ وأما شوقي فقد أحب مصر ، وحن إليها ، وقد أقصى عنها أشد
ما يكون كلفاً بها وصبوة إليها . وقد أثارت نونية ابن زيدون خواطره ، وذكرته
بما أوحى بها من عوادى الزمن ، وفوادح الخطوب ، فأخذ يساجله لوعة بلوعة ،
وشجناً بشجن . وكأنما قصد شوقي بنائخ الطلع المفرع عن وكره ، المشرذ عن ألفه ،
ابن زيدون ، فكلاهما مظلوم يشكو إلى مظلوم ، ومصاب يحن إلى مصاب .
قال شوقي مستهلاً قصيدته بهذا المطلع الرائع :

يا نائخ الطلع أشباه عوادينا	نشجى لواديك أم نأسى لوادينا
ما ذا قصص علينا غير أن يداً	قصت جناحك جالت في حواشينا
رمى بنا البين أيكاً غير سامرنا	أخا الغريب وظلا غير نادينا
كل رمته التوى : ريش الفراق لنا	سهماً وسلّ عليك البين سكينا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصع	من الجناحين عى لا يلينا

ألا تحس أنه يخاطب ابن زيدون ويساجله الأسى واللوعة ؟ إنه ليخيل إلينا
ذلك ، ولولا أنه يقول :

فإن يك الجنس يا ابن الطلع فرقنا إن المصائب يجمعن المصايينا

لكان هذا التخيل حقيقة واقعة ثم يصور حين الطائر ، ويبكى
جراح جسمه وروحه ، فيبكي جراحه هو ، ويصور حينه :

لم تأل مامك تخنائاً ولا ظمأً ولا اذكراً ولا شجواً أفانينا
تجر من فن ساقا إلى فن وتسحب الذيل ترناد المؤاسينا
أساة جسمك شتى حين تطلبهم فن لروحك بالنطس المداوينا

ولكن أليس في هذا الفردوس الأندلسي ما يهدد من أشجانه ، ويطامن من
لواجمه ، ويكفكف من دموعه ؟ أليس لأهله حق عليه ؟ نعم إن سحر هذا الأفق
يستهديه فيسليه ، وإنه ليبال بدمعه ترى أهله الراحلين ، أولئك العرب الذي عمروا
هذا الأفق ، وكان لهم فيه مجد وصولة :

آهأ لنا نازحى أليك بأندلس وإن حللتا رفيقاً من روايتنا
رسم وقفنا على رسم الوفاء له نجيش بالدمع والإجلال يثينا
لفتية لا تال الأرض أدمعهم ولا مفارقهم إلا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة للناس كانت لهم أخلاقهم ديننا
لم نسر من حرم إلا إلى حرم كالخر من بابل سارت لدارينا
لما بنا الخلد نابت عنه نسخته تماثل الورد خيرياً ونسرينا
نسقى ترام ثماء كلما ثرت دموعنا نظمت منها مرائينا

ومهما تبلغ الأندلس من جمال الطبيعة ، وروعة الحضارة ، وجلال الآثار ،
وسحر الأفق ، ومهما طاولت الخلد ، ونابت عن الجنان ، فإن مصر وطنه الحبيب ،
لا يشغله عنها شاغل ، ولا يسليه عنها منظر ، ولا ينسيه جمالها جمال . أليس
هو الذى يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

إنه ليحن إليها ، ويشيد بها ، مهما أغضت عنه ، ونبت به ، فإن أغضاهما
على حب ، وإن نبوها لخوف عليه من أعاديته :

لكن مصر وإن أغضت على مقة عين من الخلد بالكافور تسقينا

على جوانبها رقت تماثنا وحول حافاتها قامت رواقينا
ملاعب مرحت فيها مآرينا وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لسعود من أواخرنا ومغرب لجود من أولينا
بنا فلم نخل من روح يراوحنا من بر مصر وريحان يغادينا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهب في اليم تلقينا

وبعضى على هذا النحو من الحنين إلى مصر كحنين ابن زيدون إلى قرطبة ،
حتى يستنجد بالبرق ، ويحملة هذه الرسالة الوطنية :

بالله إن جبت ظلماء العباب على نجائب النور محدوا بجبرينا
حتى حوتك سماء النيل عالية على الغيوث وإن كانت ميامينا
وأحرزت لك شقوق اللازورد على وشى الزبرجد من أفواف واديننا
فقف إلى النيل واهتف في خمائله وانزل كما نزل الطل الرياحينا
وآس مابات يذوى من منازلنا بالحادثات ويضوى من مغانينا
كما يحمل الريح ما حملها ابن زيدون ، من زفرات البين ، وأنفاس اللوعة ،
ووهج الأشواق :

هل من ذبولك مكى نحملة غرائب الشوق وشيا من أمالينا
ثم يصور حنينه ، وما يقاسيه في ليله النابى الطويل من لوعة ، وما يعانیه
في نهاره الحائل من وجد وتجلد :

ناب الحنين إليكم في خواطرنا عن الدلال عليكم في أمانينا
جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في الثائبات فلم يأخذ بأيدينا
ونابى كأن الحشر آخره تمينا فيه ذكراكم وتمينا
نطوى دجاء بجرح من فراقكمو بكاد في غلس الاسحار يطوينا
يبدو النهار فيخفيه تجلدنا للشامتين وبأسوه تأسينا

ثم يصف زمان الآنس ، وليالى الصفو ، وأيام المسرة ، على نحو ما وصف
ابن زيدون . إلا أنه يستطرد من ذلك إلى الفخر بمصر والمصريين ، بعد أن يشيد
بفيلها وأهرامها ورمالها وكنوزها ومفاخرها :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم ين يد التثتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق إذا تلون كالحرباء شائنا
لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت في ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
ألم قوله على حافاته ورأت عليه أبناءها الغر الميامينا
إن غارت شاطئيه في الضحى لبساً خائل السندس الموشية الغينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصر دناها فراعينا
ولم يضع حجرا بان على حجر في الأرض إلا على آثار بانينا
كان أمهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر لا ببيان فانينا

ثم يغلو به الحنين ، ويستبد به الشوق إلى أميه : مصر ووالدته بحلوان :

لو استطعنا لحضنا الجو صاعقة والبر نار وغى والبحر غسلنا
سعيًا إلى مصر نقضى حق ذا كرنا فيها إذا نسي الوافي وباكينا
كنز بحلوان عند الله نطلبه خير الودائع من خير المؤدينا
لو غاب كل عزيز عنه غيبتنا لم يأت الشوق إلا من نواحينا
إذا حملنا لمصر أوله شجنا لم ندر أى هوى الآمين شاجينا

وهكذا يطول نفس شوقى ، وتتجلى عبقريته ، وتفتح شاعريته ، فينسب
في كل جدول ، ويخوض في كل يم ، ويخلق في كل أفق ، ويسرح في كل فضاء ؛
فهو لا يتناول المعنى كما يتناوله ابن زيدون فيمسه مساً رفيقا ، وإنما يحلله ويتعمقه ،
ويستوفى عناصره ، ويستطرد إلى ما يتصل به ، ويخلع عليه من حلل الألفاظ
ووشى الصنعة ، ما يختال به بهجة وترفا . وتلك ميزات العبقرية الفذة ، والشاعرية
المتفتحة ، والاحساس الواعى ، والعقل المنقف بألوان المعارف . ومن هنا تدفق خياله
وتنوعت معانيه ، وامتد أفقه الرحب ، حتى قاربت قصيدته التسعين بيتاً ، على حين
لم تتجاوز قصيدة ابن زيدون الخمسين .

ومهما يكن من شيء هذا الطول ، وبالرغم من أن مرده من غير شك إلى توالى
الصور ، وتتابع المعانى ، وتحليلها وتفصيلها ؛ فإن الذى يعيننا قبل كل شيء هو الابداع

وصدق الشعور، وبراعة التصوير، وجمال الخيال. فليس طول النفس وحده بالامر الذي يدعو إلى المفاضلة بين الشعارين، ويسرع بنا إلى الوقوف بجانب شوقي، والحناف له، واستحسان قصيدته. وليس كل تفصيل للمعنى بالشئ الذي يسيغه الذوق الأدبي عند النقاد.

والأخسبك أن تقرأ مطلع ابن زيدون :

أضحى التأتى بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
لأنه مطلع ضلل المعنى، يكرر بعضه بعضا، فالشطر الثاني هو نفس الشطر الأول، وليس فيه من جديد على المعنى الأول. بينما تجد المطلع عند شوقي من أروع المطالع، والصفا بخيال الشعراء.

أما ما نقصد إليه فهو الموازنة بين تلك المعاني التي اشترك فيها الشعاران، نعرف أيهما أوسع مدى، وأرحب أفقا، وأتم شاعرية، وأكمل عبقرية. فإلى مقالنا التالي ٥

تفسير جزء تبارك

ألف حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر كتاباً على أحدث الآراء العلمية في تفسير جزء تبارك.

والأستاذ المؤلف غني بمادته، وسعة اطلاعه، وحسن أسلوبه، وبروزه في ميادين العلم في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي، فلا غرو إذا جاء تفسيره آية في علو الفهم، وحسن الأداء.

خلفاء بني أمية

ورعايتهم للأدب

لفضيلة الأستاذ عبد الحميد محمود المسالوت

المدرس في كلية اللغة العربية

الأدب نسب : يؤلف بين المتناقدين ، ويجمع بين المتباعدين ، ويربط شاعر أهله
برباط قوى من العطف والترحام ، حتى ليشعروا أنهم إخوة وإن تباعدت الأنساب
وتأملت الأرحام .

لقد كان في خلفاء بني أمية حرص بالغ على الأدب ورعاية سامية للأدباء ،
ذلك لما فطروا عليه من أذواق مرهفة ونفوس حساسة : وما أوتوا من بصر
نافذ وعقول ناضجة وأفهام متزنة ، وعروبة مطبوعة تميز من غير جهد ولا تكلف .
ومن هنا عرفوا للشعراء أقدارهم وفطنوا لقيمهم وحاولوا الإستئثار بمدائحهم ،
والاستمتاع بما تفيض به قرائحهم من قول بارع وقصيد رائع ، ولقد كان الخلفاء
يحرصون أشد الحرص على أن يتقرب الشعراء إليهم بقصائد التناء ، وأن يخصوهم
بها فلا يتجاوزوهم إلى غيرهم من الولاة والعظماء ، حتى إن عبد الملك كان يحس
في نفسه موجدة على جرير لانتقطاعه لمدح الحجاج ، وكلما حاول جرير أن ينشده
منعه وقال له : إنما أنت شاعر الحجاج .

ولقد أراد الحجاج أن يقدم إلى شاعره يداً ينشده بين يدي أمير المؤمنين
فأوفده مع ابنه محمد إليه . فلما دخل عليه قال له أشدني ما قلت في الحجاج فأنشده :

صبرت النفس يا ابن أبي عقيل	محافظه فكيف ترى الثوابا
ولو لم يرض ربك لم ينزل	مع النصر الملائكة الغضابا
إذا سمر الخليفة نار حرب	رأى الحجاج ألقبها شهابا
قال : صدقت ، هات ، فأنشده :	

طربت لعهده هيجته المنازل وكيف تصابى المرء والشيب شامل

يقول جرير : فما فرغت منها حتى خيلت الغضب في وجه أمير المؤمنين .
ثم قال هات ما قلت في الحجاج ، فأنشدته :

هاج الهوى لفؤادك المهتاج فانظر بتوضيح باكر الاحداج

* * *

من سد مطلع النفاق عليهم أم من يصول كصوله الحجاج
أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثنى بغيره الأزواج
إن ابن يوسف فاعلموا وتيقنوا ماضى البصيرة واضح المنهاج
فلما سمع عبد الملك بن مروان هذا الشعر القوي الرائع أخذه الغضب وملكه
الغيط ، أن يمدح واليه بهذه المدح التي يتوق إليها ويتمناها ، فما زال يقدم الشعراء
ويؤخر جريرا لذلك ، إلى أن توسل إليه محمد بن الحجاج فأذن لجرير في مدحه ،
فأنشده قصيدته :

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صبحك بالرواح
يقول العاذلون علاك شيب أهذا الشيب يمنعي مراحى
ثم قال :

تعزت أم حزرة ثم قالت رأيت الواردين ذوى امتناع^(١)
تعلل وهى ساغبة بذها بأنفاس من الشيم القراح^(٢)
سأمنح البحور فجئني أذاة اللوم وانتظري امتياحي
نقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح
أغثنى يافداك أبى وأمى بسبب منك إنك ذو ارتياح
فإني قد رأيت على حقا زيارتي الخليفة وامتداحي
سأشكر إن رددت الى ريشي وأنبت القوادم في جناحي
أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
فطرب عبد الملك وجعل يقول : نحن كذلك وما زلنا كذلك . ثم قال له :
أترى أم حزرة ترويهامائة ناقة ؟ فقال : إن لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أروها الله .

(١) امتنع : أخذ المطاء . (٢) ساغبة : جائعة أو عطشى ، والأنفاس : الجرعات جمع نفس أى
جرعة الشرم البارد والقراح : الماء الخالص .

ومما يدل على سلامة أذواق الخلفاء ورغبتهم في إثارة السبق والمنافسة بين الشعراء، ما يؤثر من أن الفرزدق وجريرا اجتمعا عند عبد الملك، فقال الفرزدق: التوار طالق ثلاثا إن لم أقل شعرا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه ولا يحد في الزيادة عليه مذهبا فقال عبد الملك ما هو؟ قال:

فإني أنا الموت الذي هو واقع بنفسك فأنظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يا ابن الأتاتن بوائل من الموت إن الموت لا شك نائله
فأطرق جرير ثم قال: أم حزرة طالق ثلاثا إن لم أكن نقضته وزدت عليه،
فقال عبد الملك هات، فقد والله طلق أحديك لا محالة. فأشد:

أنا البدر يغشى نور عيفيك فالتمس بكفيك يا ابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر ينفى الموت والدهر خالد لجيتني بمثل الدهر شيئا يطاوله
فقال عبد الملك للفرزدق: فضلك والله يا أبا فراس، وطلق عليك.

وكانت هبات الخلفاء وعطايا تيجي. أحيانا في صورة جوائز تمنح للسابق وتعطى للبرز، لإثارة عوامل المنافسة وغريزة السبق والغلبة... يروى أن جريرا والفرزدق والأخطل اجتمعوا في مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيسا فيه خمسمائة دينار، وقال: ليقبل كل منكم بيتا في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فقال الفرزدق: أنا القطران والشعراء جري وفي القطران للجري شفاء وقال الأخطل:

فإن تلك زق زاملة فإني أنا الطاعون ليس له شفاء
فقال جرير:

أنا الموت الذي آتى عليكم فليس لهارب مني نجاء
فقال عبد الملك: لعمرى إن الموت يأتي على كل شيء، وحكم بالجائزة لجرير.
فهل بعد هذا إثارة الشياطين الشعر وتهيج لآلوانه وبعث لجيده.
فهذا الإغداق إنما دعا إليه ما طبعوا عليه من دقة الفهم وسمو الذوق وصدق المعرفة لمواطن البلاغة وسحر البيان.

ومن أمثلة ذلك ما يروى من أن عبد الملك وصفت له جارية لرجل من الانصار ذات أدب وجمال، فسأومه فيها فامتع وامتنعت، ثم أضعف لصاحبها الثمن وأخذها على كره منها، فأعجب بها عبد الملك وأمرها بلزوم مجلسه والقيام على رأسه، فبينما

هي عنده ومعه ابنه الوليد وسليمان ، وقد أخلاها للذاكرة إذ أقبل عليهما فقال :
أى بيت قالته العرب أمدح فقال الوليد قول جرير فيك :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
وقال سليمان بل قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستفاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا
فقالته الجارية : بل قول حسان :

يفشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
فأطرق عبد الملك ثم قال وأى بيت قالته العرب أرق ، فقال الوليد قول جرير :
إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يحيين قتلانا
فقال سليمان ، بل قول عمر بن ربيعة :

حبذا رجعها إليها يديها من يدي درعها تحمل الأزارا
فقالته الجارية : بل بيت حسان :

لو يدب الحولى من ولد الذر عليها لأندبتها الكلام
ثم قال عبد الملك : أى بيت قالته العرب أشجع فقال الوليد قول عنترة :

إذ يتقون بي الأسته لم أخم عنها ولكن تضايق مقسمى
فقال سليمان : بل قوله :

وأنا المنية في المواطن كلها والطنن منى سابق الآجال
فقالته الجارية بل بيت كتب بن مالك .

فصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدما فيلحقها إذا لم تلحق
فقال عبد الملك للجارية : أحسنت ، وما نرى شيئا من الإحسان إليك أبلغ من
ردك الى أهلك ، فأجمل كسوتها وأحسن صلتها وردها الى أهلها .

ومن شدة بصرهم بالشعر والمعيتهم في إدراك أسرارهم والوصول الى أغوارهم
وتتبع خوافيه ، أن عبد الملك حين بلغه قول جرير يهجو الأخطل :

هذا ابن عبي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم الى قطينا

قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا له ، أما والله لو قال : لو شاء ساقكم
الى قطينا ، لسقتم إليه كما قال ؟

البساية والبهائية

بمؤسساؤه عمر طلعت زهرانه

أستاذ في الآداب

— ٣ —

بعد أن دب الخلاف في صفوف البايين ، رأى البهاء أن يترك الميدان فترة من الوقت ، فاخفى في ضيعة سركاو بمدينة السلجانية [أو شهرزور] في كردستان ، ولبت معزلا العالم عامين ، رجع بعدهما إلى بغداد .

وللخلاف بين الآخرين قصة ، فكل منهما يدعى أنه ، من يظهره الله ، فيقول أصحاب - صبح الازل - إن البهاء قد خدعه وحجبه عن الناس ، وظهر هو بظهر « من يظهره الله » . أما أصحاب البهاء فيقولون إن البهاء كان صاحب مقام خاص عرفه الجميع ، ولذلك كانت تحيط به أخطار كثيرة ، فكتب بعض البايين يطلبون من الباب تحويل الانظار عن بهاء الله ، فأجابهم إلى ذلك في أواخر أيامه ، فاتخذ « ميرزا يحيى » ستاراً يخفى وراءه البهاء ، ولقبه بألقاب الازل والوحيد والمرأة . ثم أمر بعض الصحاب أن يشهروا اسمه بين عامة الاحباب ، حتى تتحول إليه الانظار .

وقد اتخذ الباب حيطته حتى لا يتمكن ميرزا يحيى من الادعاء لمقام الاصاله ، فلم يعطه ألقاباً صريحة مثل « الشمسية والمظهرية والمختارية » وإنما لقبه ألقاباً ذات معنيين ، فكلمة وحيد تفيد : الوحيد في الإيمان أو الوحيد في الطغيان ، كما أبان في « البيان » وفي كثير من « التوقيعات » عن لقب المرأة ، فقال : « لا يمكن للمرأة التجلي إلا في ظل من يظهره الله » .

تلك هي روايات الفريقين ، وهي وحدها كافية للتدليل على بطلان هذه الدعوة ، الزائفة ، أما قصة « النبيين » فتستمر ، ولنا إليها عود .

رجع البهاء من منفاه الاختياري ، فأخذ الناس يتوافدون إلى بغداد ، سواء

يدفعهم حب الاستطلاع ، أو الرغبة في الاستماع إليه . وعلى شاطئ الدجلة ، كتب بعض السكتب والاشعار والأدعية ، وأشهر ما كتبه إذ ذاك « الكلمات الخفية » ، و « الأودية السبعة » . ولم يلبث البهاء طويلا حتى نقل إلى استامبول ، بعد أن اتفق سلطان تركيا وشاه إيران على ذلك . وقضى البهاء قبل مبارحته بغداد اثني عشر يوما في حديقة ، سماها البهائيون فيها بعد « حديقة الرضوان » ، وفيها أعلن لاختصاصه سنة ١٨٦٣ م أنه هو الذي بشر به الباب . ويحتفل البهائيون بهذه الأيام احتفالا كبيرا . ولم يمكث البهاء في استامبول طويلا ، فقد نفي منها إلى أدونة ، وفيها جهر « برسالته » . ومن ذلك الحين عرف أغلب البايين باسم البهائيين .

وفي أدونة كتب البهاء « خطاباته إلى الملوك » ، يحثهم فيها على اعتناق « الدين الجديد » ، والإيمان به ، وكان يصاحبه في منفاه أخوه صبح الأزل ، الذي جاهر « بنبوته » ، أيضا ، فوجدت الحكومة التركية نفسها أمام جمعين يتطاحنان ، فأرادت حسم النزاع ، بأن تفرق بين « التبيين » ، فنفت أحدهما إلى جزيرة قبرص ، والآخر إلى عكا . وكان اختيار مكان المنفى مصادفة محضة ، ولكن ما ترتب عليها من نتائج كان عظيما ، فإن صبح الأزل كان هو المذهب إلى قبرص ، وكان نصيب البهاء عكا . ومن هذا التاريخ نجد ثلاث فرق بائية : بائية خالصة لم تتبع أي الاتنين ، وبائية بهائية ، وبائية أزلية ، وقد حاب القدر الفرقة البائية ، فبقيت وذاع أمرها بينما فنيت الفرقتان الأخريان .

وفي عكا قاسى البهاء كثيرا ، وتوفي بها في مايو سنة ١٨٩٢ عن خمسة وسبعين عاما ، ودفن في قبر سمى « بيت البهجة » ، على سفح جبل الكرمل ، وترك وصية أعلن فيها تعيين ابنه عباس المعروف بعبد البهاء خليفة له ومفسرا لكلماته .

وأشهر كتب بهاء الله هي « الأقدس » ، وقد نهج فيه منهج القرآن في ترتيب السور والآيات ، دون فيه « شريعته وأحكامه » ، وهو يتحدث فيه على درجتين : كلام على لسانه ، وكلام على لسان الله - جل وعلا - . وسندكر بعض آياته ، فيما بعد - وكتاب « ايقان » ، في تفسير بعض آيات القرآن وبعض الألواح .

خلف عباس عبد البهاء أباه ، وقد ولد في ٢٣ مايو سنة ١٨٤٤ ، أي نفس اليوم الذي أعلن الباب فيه دعوته الكاذبة . وصحب أباه في سجنه ونقل معه بين بغداد واستانبول وأدونة وعكا أخيرا . وظل سجينها مع أبيه حتى سنة ١٩٠٨ ،

حين أعلن الدستور العثماني ، وأطلق سراح السجناء السياسيين والدينيين . وكان عبد البهاء ذكيا ، تلقى معرفة وعلما كثيرا ، كما كان هو الرأس المفكر للبهاية ، فهو الذي جعل من أيه شخصية فذة لها خطرها ، وهو الذي جعل البهاية تنتشر وتذيع في العالم .

ولعلنا لا نغالي إذ نقول إنه لولا عبد البهاء ، لكان مصير البهاية الباية هو نفس مصير البهاية والأزلية ، إلا أنه نفخ فيها من عزيمته قوة ، ومن روحه مضاء ، فأخذ ينظم الاجتماعات بين أيه البهاء وبين الرحالة من الأجانب ، مصطنعا في ذلك أقوى طرق التأثير النفساني . فكان الزائر يعالج أول الأمر بقصص عن البهاء وقداسته تهينة للجو ، ثم يدخل ليقابل البهاء ، فيخلع نعليه ويسير على طنافس في حجرات خافتة الضياء ، وفي نهاية صالة طويلة يجد شخصا وقورا يعامله الجميع باحترام - إن لم نقل بتقديس - وهو البهاء ، لا يتكلم مع الزائر إلا كلمات معدودات ، بينما يأخذ عبد البهاء على كاهله العبء كله ، ويخرج الزائر ، وكله دهشة ، وقد تشبعت نفسه ولا ريب بهذا التأثير البسيكولوجي المنيأ ، فيكتب عن البهاء كتابة تزيد من قدره . كما حدث فعلا في هذه الاوقات .

وسافر عبد البهاء ، بعد أن أطلق سراحه ، إلى مصر وأوروبا وأمريكا يدعو للدين الجديد . ولم يدع النبوة ، ولكنه كان يتصرف ويفسر كلمات الباب والبهاء حسب مقتضيات الأحوال . كما أنه وضع نظاما إداريا للبهاية ، وعين لرئاسة الدين من بعده حفيده (لابنته) شوق أفندي وهو الرئيس الحالي . وبني في أيام عبد البهاء المعبد الثاني للبهاية في مدينة ويلت بجانب شيكاغو بأمريكا ، على طراز المعبد الأول في مدينة عشق آباد بتركستان الروسية .

ومات عبد البهاء في نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وقد قارب الثمانين ، وسار وراء جثته خلق كثير من مختلف الأديان ، خاصة وقد أسبغت عليه الحكومة البريطانية أحد ألقابها ومنحته بعض نياشينها تقديرا لمجهودات بذلها في الحرب العالمية الأولى . ولعل في هذا ما يفسر التسهيلات الكبيرة التي كان يلقاها عبد البهاء منذ سنة ١٩١٧ إلى مماته . وبهذا نكون قد أرخنا لأهم شخصيات الباية والبهاية ، وبقي أن نتناول الدين الباني البهائي ، نفسه في مقالاتنا التالية .

أثر التفرق في الاندلس

لفضيلة الأستاذ الشيخ السيد شريف

المدرس بالأزهر

أتم عبد الرحمن الداخل توحيد بلاد الأندلس . وأمن أطرافها . وأعلى شأنها وأرسى قواعدها ، ودفعها إلى الامام تضرب في ميادين التقدم والنهوض بخطى واسعة وهمة فتية ، وعزم قوى ، ونشاط بالغ ، وتعهد هذه النهضة خلفاؤه من بعده في جدد ومثابرة ، لتبلغ الغاية التي يرقبونها ، والمهدف الذي يقصدون إليه . حتى ازدهرت بقاع بلادهم الخصيبة بمجهود الفاتحين ، وتقدمت بأرجائها العلوم والآداب والفنون . وأينمت بها علوم الرياضة والفلك والنبات والتاريخ والفلسفة والتشريع . وعنوا عناية كبيرة بكل ما يؤدي إلى رقي باهر ، وحضارة سامية . جعلت أسبانيا المسلمة مطمح الأنظار ، ومعقد الرجاء ، ومحط الرحال .

وكانت تمتاز مع هذا بطيب هوائها ، ووفرة خيراتها ، ورقة أهلها ، وما طبعوا عليه من حسن مرهف ، وكرم وأريحية ، وخلق يأبى الضيم ، ويسرع إلى النجدة ، ويرعى الجار ، وينى بالعهد ، ويدين بالوفاء ، ويقدر التسامح ، ويستغذب البذل دفاعا عن الدين ، وزيادا عن الوطن ، حتى قيل إنهم جمعوا بين حكمة اليونان ، وفروسية الرومان ، وهمة العرب وصبرهم . وقد تعلقوا بحب بلادهم ، وكانوا معجبين بها أيما إعجاب ، ولا ييغون عنها بديلا مهما نالهم في غيرها من حفاوة وجده .

وقد روى أن أديبا من أهلها وهو أبو عمران موسى بن سعيد كتب إليه أحد الوزراء يرغبه في النقلة إلى مراکش فأبى وكتب إليه كيف أفارق الأندلس . وقد علم سيدي أنها جنة الدنيا بما حباها الله من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الأفياء ، وأطرب في كتابه يعدد محاسنها . وبقيت قبة أهل المشرق تنفوا إليها العقول المتعطشة إلى الرى بالمصنى من علومها وآدابها . ويتعشق حب

الرحيل إلى حواضرها وقراها ذنوا النفوس التي تبغى الاستماع بجمالها الذي دبحته يد الطبيعة من مروج وبساتين ، ومياه متدفقة ، وأشجار باسقة ، وخمائل جميلة . إلى أن تسلك إليها في نهاية القرن الخامس الهجري .

ذلك الداء الويل الذي تمكن منها بعد فترة وجيزة ، فأنهك قواها وقت في عضدها ، وأقعدها عن السير ، وصرفها عن التفكير في ربط الحاضر بالغابر ، وهو داء التفرق والخلاف ، حينما تقطعت أوصال الدولة إلى ولايات ، كل ولاية عليها أمير . وتأصلت فيهم رغبة ملحة في أن يسط كل منهم رقعة إمارته على أنقاض غيره ، مستهيناً بما يتحمل في سبيل تحقيق رغبته من محن وآلام ، وبما يأتيه من عمل لا يتفق ، وما يوحى به واجب الجوار وبسبب هذا قد تأرثت بينهم العداوة والبغضاء ، وطويت جنوبهم على الغل والحقد . وجرت على ألسنتهم عبارات الخديعة والرياء ، وعاشوا في جو من عدم الثقة والاطمئنان .

وكان المعتمد بن عباد يعمل على إثارة الحروب الأهلية بين الأمراء ، فيحرض بعضهم على بعض ، إضعافاً لهم ، وخضداً لشوكتهم ، ولم تسلم من اضطرام لظاها سائر جنابات الأندلس ، تحمل إلى مروجها الجميلة صتوف التخريب والتدمير ، وكانت قرطبة ، وأشبيلية ، وطليطلة ، أطراف هذه المحنة الخطيرة التي قضت فيما بعد على مستقبل الإسلام ، ولقد بلغ ببعض الولاة في سبيل تنفيذ أمله ، وتحقيق مقصده والبالوغ إلى هدفه أن يستنصر بملك النصارى كما فعل ابن ذى النون ملك طليطلة مع فرديناند الأول ملك قشتالة ، فقد حالفه ليأمن جانبه حين أزمع الهجوم على ابن جهور بقرطبة ، ولكن فرديناند خاس بعده في النهاية واستولى على طليطلة بتحريض من ملك أشبيلية مدبر هذه النكبة الجسيمة التي كان لها وقع هائل في الأندلس ، وفي العالم الإسلامي بأسره ، وكذلك أنهض يوسف بن أحمد بن هود صاحب سرقسطه لندريق الطاغية للاستيلاء على بلنسية ، فحاصرها ولكن الفقيه القاضي بن جحاف عقد معه هدنة خاس فيها أيضاً ، ثم أحرقه بالنار ، وعاث في بلنسية فساداً . وفيها يقول ابن خفاجة :

عاثت بساحتك الظلماً يا دار وحا محاسنك البلى والنار

أرض تقاذفت الخطوب بأهلها وتمخضت بخرابها الأقدار
فإذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار
ويقول أبو عبد الله بن الآبار القضاعي يستنض صاحب إفريقية للدفاع عنها
حينما حاصرها ملك برشلونه النصراني . من سينيته الفريدة :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا إن السيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمت فلم يزل منك عز النصر ملتصبا
ما للجزيرة أضحى أهلها جزرا للحادثات وأضحى جدها تعسا
وفي بلفسية منها وقرطبة ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

وكشف سقوط طليطلة واستدلال بلفسية ثم سقوطها ، وسقوط بعض
الإمارات عن ضعف أمراء الطوائف نتيجة لتفرقهم ، وصور لهم أشباح العبودية
والموت تتعاقب في مستقبل مشوم يتطلب ضم الصفوف ، ونسيان الأحقاد ،
 واجتماع القلوب على التضحية والذل والإيثار ونكران الذات لوقف تيار البغي
والعدوان ، وقد دعا ذلك عقلاءهم إلى أن يفكروا في الأمر مدفوعين بالآثر الأليم
الذي أحدثه سقوط طليطلة أولا إحدى قواعد الأندلس ، والحجر الأول في صرح
الدولة الإسلامية ، وسقوطه إنما هو نذير بانهايار الصرح كله .

ونهض تحقيقاً لتلك السياسة أبو الوليد قاضي باجه وكان شيخاً ذا نفوذ ومكانة .
فطاف بالولايات والمدن ، وتجول في ماردة وغرناطة وإشبيلية صائحاً منذراً .
وحذراً من عواقب التفرق ، مؤكداً أن ملك قشتالة سيهلك ملوك الطوائف كلها .
إذا لم تسارع إلى الاتحاد والتعاون ، ولكن جبهوده وجهود أمثاله من الرسل
العقلاء الذين كانوا يستشفون ببصرهم الثاقب ما يضره المستقبل من ويل وهول
ذهبت جميعها أدراج الرياح ، وعلت الاطماع والاهواء الشخصية على كل مبدأ
حكيم ، واندفعوا في شقاقهم - آفة الأمم منذ بدء الخليقة - وكان له في أمم الإسلام
أسوأ الآثار ، وأقسى التجارب في بلاد المشرق والمغرب ، ذاقوا مرارته ، وتحملوا
ويلاته ، ولم يستينوا النصح إلا بعد أن كشف لهم الفونسو ملك قشتالة عن نياته .
ولم تقف أطماعه عند أمد ، وجاوزت رغبانه كل مدى ، وأخذ يثب على الإمارات
واحدة تلو الأخرى . ثم طلب أخيراً من ابن عباد أقوى أمراء المسلمين أن يسلم

إليه بعض قلاع ، فهاله ذلك وطرد رسله ، وبذ فكرة التغلب التي كان يدين بها ، وكانت سبباً في إشاعة روح الحقد والشحناء بينهم ، ومن أقوى العوامل التي دفعتهم إلى التنافس في سبيل التحالف مع ملوك النصارى مما أدى إلى ذهاب ريجهم ، وتيسير أسباب التسلط عليهم باستجابتهم لكل ما طلبه العدو في إماراتهم من قلاع وحصون ومال وعتاد . نبذ ابن عباد فكرة التسلط ودعا إلى مؤتمر عام حضره الأمراء ، وبحشوا في صراحة لا تعرف المواربة الاسباب التي أدت إلى خذلانهم ، وانتصار عدوهم ، وإلى ضعف قوتهم ، وتماسك خصومهم ، وقد تكشف لهم الداء ووضع لجيعهم أن العواء الذي يشقى علمهم ، ويبرئ سقمهم ، ويرأب صدعهم ، إنما هو اتحاد كلمتهم تنفيذاً للبدأ الإسلامى الذى يجعل من المؤمنين أخوة تجرى المودة والمحبة في عروقهم ، وتؤمن بالوفاء والإيثار قلوبهم ، وتأنى عن الأغراض والمآرب همهم إذ ذاك أجمعوا أمرهم ، ولموا شعهم ، وانفق رأيهم على أن يتجهوا إلى « يوسف بن تاشفين » ملك بلاد الغرب ليعبر إليهم البحر فاستجاب إلى رغبته تدفعه النخوة الإسلامية إلى المساهمة في الدفاع عن الإسلام ، وإنقاذ المسلمين مما جره عليهم تنازعهم ، وتشعب أهوائهم من مهانة واستدلال ، وليحقق أمله المرجى الذى طالما تأقت نفسه لتحقيقه ، وهو أن تمتد فتوجه إلى بلاد الجزيرة التي سمع عن حضارتها وعمرانها الكثير من الأخبار ، ثم جمع جموعه ودخل الأندلس وحالفه النصر على ملوك النصارى في موقعة الزلاقة ، وبعد مدة أمضاها بالأندلس قفل راجعاً إلى بلاده ، وترك الجزيرة تلعب بها الأهواء مرة أخرى ، وتفرخ في أرضها الفتن ، وتثور بها القلاقل من جديد ، وانحدرت نتيجة لذلك في وهاد من الضعف والانحلال ، وأخيراً انحصر هذا الملك المترامى الأطراف وانكشبت رقعة وتمثل تاريخه المجيد وعظمته الخالدة ، وحضارته النالدة في مدينة غرناطة التي مدت في عمر المسلمين بهذه الديار نحو أربعة قرون ، ثم كانت النهاية المحتومة ، وسلم المسلمون آخر معاقلم إلى العدو الغادر بعد أن استفدوا كل وسائل الدفاع وقطع فرديتانده الخامس على نفسه للمسلمين كل العهود التي تضمن لهم الامن والطمأنينة على حياتهم وأموالهم وأعراضهم وشعائرهم في ظل الحكم الجديد . وسنبحث في الكلمة القادمة قيمة هذه العهود ؟

الاستحياء من الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم الحفناوي

وكيل معهد سمود الديني

الحياة شعبة من الإيمان ومن لا حياة فيه لا خير فيه . به كمال الإنسانية وسمو البشرية . لا يصدر إلا عن طبع رقيق . يدفع إلى طاعة الله ويمنع عن عصيانه ، وينظم سلوك الناس بما يسعد المجتمع ويرفع من بليانه فإذا اتخذ المؤمن شعاره ، وجعله في تقربه إلى الله متاراه فقد هدى إلى صراط مستقيم ، وظفر في دينه ودنياه بالخير العميم . . ولهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه . وحث المؤمنين جميعاً عليه ؛ وبين أسبابه ومقوماته وفصل وسائله وأوضح غاياته . حيث قال في جوامع كلمه . استجبوا من الله حق الحياة . قيل وكيف ذلك يا رسول الله . قال : من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والي . وترك زينة الحياة الدنيا . وآثر الآخرة على الأولى فقد استجاب من الله حق الحياة . صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإ الإنسان إلا رأسه وبطنه . يجتمع فيهما حواسه وشهواته ؛ وتتفجر منها ميوله وخطراته . ففي رأسه عقله وسمعه وبصره وفه ولسانه ، وفي بطنه أوعية شرابه وطعامه وأجن غرائزه وأخطر جوارحه . فإذا حفظ هذه الأشياء وصانها عن العبث ووجهها إلى الدين والخير وابتعد بها عن طريق الضلال والشر . فقد أرضى الله ووقف بها عند حكته . وأحسن شكره على نعمته . . وحفظ العقل يكون بإبعاده عن وساوس الشيطان ومنعه عن البحث في ذات الرحمن . . ويكون بالتفكير في جلال الله وعظمته وإدراك أسرارته وحكته وإعطائه ما تستحقه الربوبية من إخلاص العبادة وصدق العبودية . . . وحفظ السمع يكون بإعراضه عن اللغو وعزوفه عن الهجر وبذلك يكون أصم عن الشر . سمعاً للخير .

وحفظ البصر يكون بتوجيهه إلى آيات الله في الكون ليعتبر ، وينفضه عن محارم الله حتى لا تسهوى النفوس .

وحفظ الهم يكون بكفه عما حرم الله ؛ والمقصود فيما أحله .

وحفظ اللسان يكون بالألا ينطق إلا بالحق ولا يتكلم إلا بالصدق .
وحفظ البطن يكون بحمل ما يستفر فيها من الطعام والشراب ؛ بالقدر الذى
يمسك الأود ويقيم الاصلاب وبهذا تحفظ الغريزة البهيمية من حق يدفعها إلى
الفاحشة ويرين لها للواقف الطائشة .

ولقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الشريف ما يعين المؤمن
على حفظ هذه الأشياء ويسهل له السيطرة عليها ليتحلى بالحياء فدعا المؤمن إلى ذكر
الموت وفى ذكره تبصير بالمصير الذى ينتظر كل العالم . وتنبه إلى الغاية التى يسير
الله إليها كل مخلوق .. فتى أيقن الإنسان بمحتوم الأجل زود نفسه بالتقوى وتدرع
بصالح العمل . ومتى جمل الإنسان نصب عيذه أن كل نعيم لا محالة زائل
وأن كل شئ ما خلا الله باطل . فقد سخر من الدنيا وزهرتها وآثر الآخرة
على الأولى وزينتها . وجعل همه من دنياه أن تكون مزرعة لاخره فمن فعل ذلك
فقد استجبا من الله حق الحياء وفاز من رحمة ربه بأحسن الجزاء .. هذا خلق قويم
من أخلاق الإسلام يكبح جماح النفس ويبطل كيد الشيطان .. ويحرس كل الفضائل
ويطهر عبودية الإنسان .

وإذا كان الاستحياء من البشر يمنعا من التبجح فيهم ويدفعنا إلى اتيان ما يرضيهم
ويوقنا منهم موقف الأدب والخشوع ويطبع جوارحنا بطابع من الانكسار
والخضوع . فكيف لا نستحي من الله حين نجعل حياءنا منه أقل من حياتنا
من سواء وكيف نجعل حياءنا من المخلوق أكثر من حياتنا من الخالق وكيف
لا نستحي من المعبود فوق ما نستحي من العابد ومن أحق بالاستحياء منه من الله .
فنه البدء وإليه المرجع وله الخلق والأمر ويده النفع والضرر وإذا كنا نستحي
من المخلوق وهو لا يرى منا إلا ما ظهر فكيف لا نستحي من اللطيف الخبير الذى
يعلم خاتمة الأهين وما تخفى الصدور .

لهذا يقول الله فى الحديث القدسى يا بنى آدم إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم
فالخلل فى إيمانكم وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم .
وقفنا الله إلى الاستحياء منه وزهنا عن الخضوع إلا إليه وهدانا جميعاً
إلى معرفة حقه من الطاعة والامثال .

ومكن للبسلين فى الأرض وحقق لهم الآمال ؟

ورقة بن نوفل

الداعية إلى التوحيد في أرض الوثنية

لفضيلة الأستاذ محمد عبد المنعم غفامى

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٢ —

شاء الله أن ينقذ الإنسانية ، ويهدى البشرية ، إلى النور والخير والتوحيد ؛ فولد رسول الله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه واستبشر بميلاده الكون ، وعم الفرح والبشر كل مكان .. وشب رسول الله ونما ، سيدا شريفا ، ونيلا سريا ، وفقى زكيا ؛ حتى كان في الثالثة عشرة من عمره ، فخرج به عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة ، وفي بصرى قسبة حوران والبلاد العربية الخاضعة لحكم الروم رآه بجيرا الراهب ، فرأى الآية الكبرى ، والمعجزات الناطقات ، فأخذ يحدث محمدا ويسأله ، ثم قال لعمه : اذهب بابن أخيك إلى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فإن له لشأنا ؛ وتحدث من كانوا مع أبي طالب بهذا في مكة ، وسمعه ورقة ، فأمن بقرب ظهور النبي المرتقب ، والرسول الأمي الذي يخرج من بلاد العرب لهداية الدنيا وإنقاذ العالم من الشرك والضلال .

وخرج محمد بن عبد الله ، وقد تخطى العشرين عاما ، إلى الشام في تجارة لخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، ابنة عم ورقة ، أمينا حفيظا عليها . وكانت خديجة سيدة جليظة ذات يسار وتجارة ؛ وكان مع محمد في رحلته غلامها ميسرة ، فذهبا إلى الشام وباعا وابتاعا وربحا ثم عادا إلى مكة ، وأخير ميسرة . سيده بما شاهد من مخايل الاصطفاء المحمدي ، وإظلال الملائكة والغمام له ، وأحاديث الأحبار عنه . فذهبت خديجة إلى ورقة تذكر ذلك له ، فقال : ، لأن كان هذا حقا ياخديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة ينتظر هذا زمانه .

وصار ورقة حكيم العرب وشيخها ، وعالمها وقطبها ، وجبرها الخبير بأحداث الدهر وتجارب الأيام . وازداد مكانة في قومه ، وازداد قومه له إجلالا وتقديرا ؛ فكانوا يصدرون عن رأيه ، ويستهدون بمشورته ، ويتفاملون بنصائحه وفراسته وصدق إلهامه .. وكان في الخامسة والسبعين من عمره ، ومحمد بن عبد الله صلوات الله عليه في الخامسة والعشرين .

وكان ورقة يتفامل بمستقبل حافل عظيم لمحمد ، ويتطلع إلى ما سوف تظهره عناية الله على يديه من هدى ونور ورحمة وخير للإنسانية .

واستشارته خديجة بنت خويلد ، ابنة عمه ، في الزواج بمحمد ؛ فنهاها من أعماق قلبه بهذا الجحد السعيد ، والزوج الكريم ، محمد بن عبد الله ، الأمين المؤمن ، والصادق الصدوق .

وأخذ ورقة يبشر الناس بأن محمدا سيكون نبي العرب ، والرسول المرتقب ، الذي يختاره الله من بين الخلق لإبلاغ رسالته إلى الناس كافة .. وجعل يثقف أن يرى أيام بعثته ، وأن يظهر نور الله ، وينزل ناموسه إلى الأرض ، وهو حي ليؤمن به ويصدق به ويؤازره وينصره ... وأخذ يستبطن الأمر ، ويقول : حتى متى أمر الله !!

وكانت خديجة تقص عليه ما تشاهد من كرامات زوجها محمد بن عبد الله ؛ وورقة يزداد إيمانا بأن محمداً هو النبي المدخر لهداية الناس والدنيا ... ومن قوله في ذلك :

لججتَ وكنتَ في الذكرى لجوْجا	لَمْ طالما بعث النبيجا ^(١)
ووصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظارى يا خديجا
بأن محمداً سيسود يوماً	ويخصم من يكون له حبيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقيم به البرية أن تموجا

وصار ورقة يستزيد ابنة عمه خديجة من أخبار بعثها وفتاها ، ويسأل عن محمد ليل نهار ... ويعلن في الناس أن محمداً مدخر لأمر عظيم . ويقول :

وأخبار صدق نُجُبرَت عن محمد يخبرها عنه إذا غاب ناصح

(١) الحاجة : القادى في الأمر . النسيج : مثل بكاء الصبي يردده في صدره

غزوة الحديبية

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود محمد المرنى

المدرس بالأزهر

— ١ —

جاءت الدعوة المحمدية لحاولت قريش أن تختفها في مهدها بما أقامت في طريقها من عراقيل وأشواك ، وبما أقدموا عليه من حرب طاغية ، تارة بالنيل من نفسه ، وأخرى بإيقاع الأذى بمتبعيه حتى فرضت عليه الحصار في شعاب الجبال ، وقطعت عنه الزاد ، وحرمت المسلمين من إقامة شعائر دينهم ، وهم يتزايدون على مر الأيام ويكثرون ، ولا يزيدهم هذا العنت في الخصومة واللجاجة في العناد إلا إصراراً على التمسك بدينهم ، والفناء فيه ، واستعذاب الموت في سبيله ، والتلاذذ بالآلم ، وتقبله بنفوس مطمئنة إلى نصر الله ، وحادث تعذيب بلال وعمار بن ياسر وأبيه وأمه ، تربنا أكبر صورة عن مدى الثقة في الله ، والاطمئنان إلى دعوة الحق

فتاك الذى وجَّهت يا خيرُ حرَّة
إلى سوقِ بصرى فى الركاب التى غدت
يخبرُنا عن كل حبرٍ بعلبه
بأن (ابن عبد الله أحمد) مرسل
وظنى به أن سوف يبعث صادقاً
كما أرسل العبدان : هود وصالح
وكان ورقة يفشد الشعر يشوق فيه إلى إنجاز وعد الله ، وكريم رحمته ،
وعظيم رعايته للحياة والإنسانية ، بإرسال رسول من العرب إلى الناس ليهديهم
سواء السبيل ... وكان يبنى نفسه بأن يرى بعثته ليؤمن به ويصدقوه وينصره
وهكذا عاش ورقة كريماً مبعجلاً ، سيداً شريفاً سرياً ، حكيماً متديناً ، متطلعاً
إلى التوحيد ، إلى أن بعث محمد بن عبد الله ﷺ

(١) جمع صحصح : ما استوى من الأرض . وأرض صحاصح : ليس بها شئ . ولا يجر ولا فرار للناء

(٢) قصص من قصصه إذا قتله قتلاً سريعاً . دواخ من دواخ البهي إذا مر بحمله مثقلاً

والتقوة ، دعوة الرسول لدين الله ، وما كان يقوله هؤلاء المذبذبون حين يشتد بهم الكرب أحد أحد ، ومرحجاً بالجنة فإننا إليها مشتاقون .

دام ذلك الصراع القوى الجبار بين كفار قريش والمصطفى صلى الله عليه وسلم يسير بدعوته قدماً لا يلويه عنها تهديدهم ، ولا يثنيه جبروتهم ولا لإجرامهم الذي بلغ مداه في العمل على إيقاف الدعوة الدينية .

ولما رأى المصطفى أن قريشاً تمنع في تحديها للمستضعفين من المسلمين أمرهم بالفرار بدينهم إلى أرض يتمكنون فيها من القيام بواجبهم الديني من غير أن يلحقهم عنت أو إرهاب ، ويبقى هو يجالّد قريشاً ويسمعهم زواجر القرآن ورواده ، ويقرع باطلهم بحق الله القوى ، وآياته الباهرة التي قهرهم ، وتدحض حججهم ، ولكن القلوب التي ران عليها الجهل ، وطمس الله عليها ، فلا تحس ما حولها من دلائل قدرته لأنها قد عُميت الدلائل المشرقة التي تسفر عن جلال الله وعظمته سفور الشمس في اليوم الصحو .

ومع ذلك فيمعنون في عدوانهم ، ويصمون آذانهم عن سماع الحقيقة المدوية التي تفرع أدمغتهم فيخنون رؤسهم أمام عظمتها ، ولكنهم لضلالتهم يزيدهم ذلك إسفافاً ليس وراءه حد ، وفي النهاية هم الفاشلون . والدعوة سائرة في طريقها بخطى وثيدة ، وكلما بهرتهم الحجة ورأوا نجمه يظهر كلما أخذتهم لومة الغي ، فازدادوا في أذاهم حتى أذن الله للدعوة أن تتطور فيم المصطفى وجهه إلى يثرب ليجد جواً أوفق يصلح لنشر دعوته ، وتبليغ رسالته بصورة أوسع ، وقدر أن يكون ذلك المكان في طريق قريش حين صعودها بتجارها أو بنزولها بها .

وقد استقر به المقام في يثرب ، عربها كلهم مؤمنون عن يقين ، ويهودها قد أخذ عليهم العهد فأخذ ينظم شؤون أتباعه ومعيشتهم ، والله ساهر عليه يرعاه ، فأرسل له قريشاً في صورة العير ليقول أساطينهم ، ويأسر فحولهم ، وتتناقل الأخبار بذلك الانتصار انتصار العقيدة الثابتة ، يستند بها اليقين القوى بأن الله ينصر من ينصر دينه ويقابل المصطفى شرذمة الكفر مع جبروتها ، وكثرة عددها ، واستكمال عدتها في رجاله الذين باعوا أرواحهم ببيع السماح في سبيل نصرته دينهم اقتداء بقوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . وبذلك يكتب التاريخ أن الباطل في ظاهر

القوى الجبار لا يلبث أمام نور الحق إلا أن تخمد ناره ، ويخبو أواره ، ويغتم المسلمون العز والسؤدد مع الاسلاب والاشياخ من قريش ورقة المصطفى تقضى بقبول الفدية من غنيهم والعفو عن فقيرهم مع شدة العداوة ، ولم لا يكون كذلك ومن يه فوإذا لم يعف هو صلى الله عليه وسلم .

إلا أن عناد قريش لم يقعدا أمام تلك الهزيمة المنكرة ، بل تركب رأسها ، وتنازل المصطفى المرة والثانية ، وفي كل مرة تولى عليه ما حولها من الذين ينزلون على رأيهم حتى كتب عليهم الذل في غزوة الاحزاب بعد أن ظنت أنها بما جمعت في الخارج ، وما دمه عليه مع اليهود من الداخل أنها واصله إليه ، وأنها ستضربه الضربة التي لا قيامه له بعدها ، وأن تخفق الدعوة في مهدها هي ترسم والعناية تحف به وبأبي الله لدينه إلا أن يشع نوره حتى يعم الآفاق ، ففرق جمعهم وأشاع الخلاف في صفوفهم ، وأدخل الرعب والفزع في قلوبهم حتى جعل الواحد منهم يفر لا يلوى على شيء حتى صدق عليهم المثل « انج سعد فقد هلك سعيد » .

هنالك بدأ الإسلام يأخذ طريقه إلى القلوب ، ويتفد إلى الاسماع ، وأخذ نجمه يتألق في أطراف الجزيرة العربية ، بل ويتجاوزها إلى الاقطار الاخرى حتى كانت السنة السادسة من الهجرة إذ رأى المصطفى في منامه أنه دخل الكعبة معتمراً ، فلما أصبح حدث أصحابه برؤيته صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالاستعداد للحج والاعتبار ، وأحضر البدن وقلدها ودعا أصحابه إلى أن يقلدوا بدنه وأعلن للغادين والرائحين أنه خارج للحج والعمرة ، وأمر من معه وهم قرابة الالف والخمسمائة ألا يحملوا غير السيوف في قرابها على عادة العرب في تنقلاتهم السلية ، وسار حتى كان بينه وبين مكة مسيرة يوم ، وإذا بقريش رغم عليهم بأنهم لم ينتصروا عليه في حرب تأخذها العزة بالإثم ، وتأتى إلا أن تمنعه بالقوة ، فعلن التعبئة فيرسل لهم النبي بديل بن ورقاء ومعه رجال من خزاعة ، وكانوا قد جاءوا ليسألوه عن سر مقدمه فيطلعهم على نيته فيرجعون إلى قريش ليلغوها وجهة نظره صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يصد قاصدا للحرم فتأبى أن تصيح لصوت الحق والنصفة ، فضلا عن أنهم سيأمنون على تجارتهم بعد أن فشلوا في حروبهم كلها ، وعجزوا عن الوقوف في سبيل الدعوة .

كل ذلك والنبي يحلم عليهم ويصانعهم فتوفد له قريش وعودة بن مسعود الثقفي، وهو من حكايتها الذين تأنس برأيهم وتعمل بمشورتهم فقال له يا محمد : إن مكة يرضتك وإنك إن تفضضها بأهلك المقيمين بها بمن جمعت من أوشاب الناس ثم انصرف هؤلاء الأوشاب عنك كان العار الخالد ، لا ترضاه يا محمد وإن اتصلت الحرب بينك وبين قريش ما اتصلت ، فصاح أبو بكر في عروة مشكراً أن ينصرف الناس عنه وباتت المفاوضة بالفشل ، وانصرف عروة وهو يعجب من مكانة المصطفى بين صحابته حتى حدث بذلك حيث يقول : لقد رأيت كسرى في ملكه وقبصر في ملكه والنجاشي في ملكه وإنى والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه .

لم يكتف الرسول بذلك بل أوفد لقريش ربه ولا آخر ليدخل الأمن إلى قلوبهم والطمانينة إلى نفوسهم ولكنها أسامت استقباله وعقلت جملة ، وأخرجت سرية لتباغت المسلمين وتأخذهم على غرة ولكن القائد العظيم لا تغفل عنه عن غدر قريش فتقع السرية كلها في الأسر ويعفو عنها المصطفى رغبة في السلم وإفصاحاً عن حسن نيته وأنه إنما جاء معتمراً .

ثم أرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه ليفاوض قريشاً حتى يتمكن من أداء شعائر الله فتعقله قريش ويشيع بين صفوف المسلمين بأنه قد قتل .

عند ذلك ينفذ صبر الحليم ويعلم أن قريشاً لم تعظ بالسوابق وأنها تأتي إلا أن تثيرها حرباً عليه فيعقد مؤتمراً لأصحابه فيبايعونه على الموت في سبيل الله وأنهم سيقنحون على قريش دورها أو لا يبقى منهم رجل على ظهر الأرض وكانت البيعة تحت الشجرة التي سميت بشجرة الرضوان لما قارنها من خير كثير وفضل عظيم كان سببه تلك البيعة المباركة في المكان المبارك عند الحديبية .

ولما أحست قريش بخطورة الموقف وأن محمداً وصحابته رغم أنهم لا يحملون من عدة القتال غير السيوف في قرايبها ولم ترهبها قريش في ديارها وخافوا السوابق التي ذاقوا فيها القتل والأسر على يد هؤلاء الأطهار الأبرار في غير موقعه هلمت قلوبها ثانية وثابت إلى رشدائها وأفرجت عن عثمان وأرسلت سهيل بن عمرو ليفاوض النبي على الصلح .

سماحة الاسلام مع مخالفيه

لفضيلة الأستاذ الشيخ المفتاوى عبود الخولى
المدرس بمعهد القاهرة

إذا نظرت الى القانون الإسلامى نظرة فاحصة ملؤها العظة والاعتبار، وجدت أنه أحكم القوانين وضماً، وأنبها قصداً، وأجلها أثراً، وأجفلها سماحة ويسراً، وفى كل قاعدة من قواعده تجد الحكمة والرفق تسييران فيها جنباً الى جنب . وكلما زدته نظراً زادك إعجاباً بحسنه وإكباراً لشأنه وإيماناً بأنه غذاء للأرواح وطب للقلوب والأجسام فى كل زمان ومكان، ولا غرو فهو تشريع العليم الحكيم الذى أحاط بكل شيء علماً، وما من مخلوق إلا نفذت فيه إرادته، وقبضت عليه قدرته، وأحاط به قهره وسلطانه، وتصرف فيه على مقتضى علمه المحيط وحكمته البالغة فليس بدعاً أن يكون أعلم بما يصلح الأئمة ويهديها ويرزى الأرواح ويطهرها (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) .

ونحن الآن بصدد مادة من مواد هذا القانون تعرض لمعاملتنا مع قوم خالفونا فى الدين ولكنهم رضوا بالإقامة فى ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حرباً، ولا يظاهروا عدواً يقاثلنا وتتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان، وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك عهداً مؤكداً وميثاقاً غليظاً .

وليان حق هؤلاء علينا نلوا المادة المقدسة الواردة فى قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » . فقد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والتزام العدل معهم، وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الإمتثال، توافقة إلى تحقيق تلك الأهداف الرشيدة، حيث جعلت العدل مع هذه الطائفة معراجاً للظفر

بمحبة الله وحمل رعايته ، وليس أروع من هذا في إثارة الشوق إلى القيام بالواجبات والإحسان في أدائها وضمان الحقوق وصيانتها .

والحكمة في أن الواجب علينا نحو تلك الفئة ورد التعبير عنه في الآية بعدم النهي ، هي أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء لنا في الدين تحظر البر بهم ، وتسوغ الاستخفاف بحقوقهم . فجاءت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب للرد على ما عساه يخطر بالبال مبينة حيثية الحكم علينا بوجوب برهم والعدل معهم . وما أوسع ما ندل عليه كلمة البر والعدل من صور شاملة ومظاهر رائعة .

لذلك قرر نبي الإسلام وصحابته لهذه الطائفة حقوقاً تجعلها لبنات قوية في بناء الأمة الإسلامية وترتبط بأفرادها ارتباط ألفة وتواد وتعاون وتآزر . فصاروا بهذا متمتعين بحريتهم الدينية آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم . وإليك نص عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيليا (أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ، وكنائسهم وسائر ملتهم لا تسكن كنائسهم ، ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم .

وقد بلغ من رعاية الإسلام لأمرهم أن اشتهروا بين المسلمين « بأهل الذمة » والذمة المراد بها العهد ليسكون ذلك بمثابة التزكية لكل مسلم أن يصون عهدهم ويرعى حقوقهم . وعلى أساس رعاية هذه الحقوق استنبط الفقهاء أحكاماً كان الذي فيها مساوياً للسلم وإليك الأمثلة .

(١) قوله عليه الصلاة والسلام (لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه) قالوا البيع على بيع غير المسلم الداخل في ذمة الإسلام كاليبيع على بيع المسلم ، والخطبة على خطبته كالخطبة على خطبة المسلم كلاهما حرام .

(٢) قوله صلوات الله وسلامه عليه (جار الدار أحق بشفقة الدار) ومعنى ذلك أن الجار إذا بيعت دار تلاصق داره ، وكان البيع لشخص آخر فللجار حق الشفعة في هذه الدار ، ويطلب تملكها لنفسه ، والحكمة في هذا أنه ربما يلحق الجار ضرر من المالك الجديد فنبت حق الشفعة للجار دفعا لهذا الضرر . قال الفقهاء إن حق الشفعة كما يثبت للجار المسلم يثبت أيضاً للجار الذي لأنها سواء

في سبب الاستحقاق وهو الجوار ، وسواء أيضاً في حاجة كل منهما إلى دفع الضرر عن نفسه .

(٣) قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » ، أخذ بعض الأئمة من عمومها وأن نفس الذمي مساوية لنفس المسلم ، فكما يقتض من المسلم إذا قتل مسلماً ، كذلك يقتل المسلم إذا قتل ذمياً ، واستدلوا على ذلك أيضاً بما روى أنه عليه السلام قتل مسلماً بذمي وقال (أنا أحق من وفي بذيمة) .

إلى غير هذا من الوصايا الحازمة التي تطالب الرفق بهم وعيادة مرضاهم ، واحتمال الأذى في جوارهم وصد الأيدي التي تحاول أن تمتد بالسوء إليهم .

ولقد أخذ أمراء الإسلام العادلون أنفسهم بهذه الآية الكريمة ، فكانوا ينصحون لولايتهم بالعدل بين جميع الخاضعين لسلطانهم ويخصون بالذكر في النصيحة أهل الذمة ، وأجل مثال لهذا ما ورد في كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يومئذ وال على مصر حيث قال له (وإن معك أهل ذمة وعهد وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم) وجاء فيه أيضاً (وقد قال صلى الله عليه وسلم من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة . أحذروا عمرو أن يكون رسول الله لك خصماً فإن من خصمه خصمه) .

لم تقف رعاية الإسلام لأهل الذمة بالعدل معهم بل وصل بهم إلى منزلة رفيعة من العطف السابغ والعناية الفائقة ، رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يهودياً تبدو عليه مراسم الحزن والكآبة ، فسأله عن سبب ذلك فقال الفقير يا أمير المؤمنين فرق له عمر وشعر بعظيم حقه عليه والتفت إلى أصحابه وقال (ما أنصفتهم تأخذون منه الجزية في أيام شبابه وقوته وتضيعونه في أيام عجزه وشيخوخته اجعلوا له نصيباً في بيت مال المسلمين) فجعلوا له نصيباً يقتات منه إلى أن مات .

فهل بعد هذا سمو وجمال وروعة وجلال ؟ وهل خطر على عقول البشرية في أرق عهودها مثل هذه المعاملة الباهرة ؟

وهل ظفر المخالفون من السعادة بمثل ما ظفر به المقيمون في ظلال الإسلام ؟ « إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

هذا هو قيمة العهد في نظر الإسلام فأين منه ما يصدر الآن من الدول الغاشمة التي تعاهد أئمة مقلوباً على أمرها لمآرب آئمة ورغبات فاجرة فإذا قضت وطرها، تنكرت لها وماطلت في حقوقها وعثت بمصالحها وأموالها وأرواحها ونقضت من العهد يدها، فإذا ذكرت به وقفت على رتبة الاستهتار وقالت في لهجة المساجين الفاجر، المعاهدات قصاصات ورق يتمك بها الضعفاء،

ومن عجيب أمر هذه الدول العاتية أنها قد تحرص على بقاء معاهدة جائرة تعلم أنها وقعت من الدولة الضعيفة تحت تأثير الضعف والإرهاب، وتكون هي من جانبها قد أسرفت في القدر بها وأمعنت في انتهاك حرمتها، ولكنها تسعى جاهدة لبقاء شبحها حيث تبغى من ورائها احتلالاً مستورا واستعماراً مقنعاً.

ألا تباً لحولاء وتعباً فإنه مهما اشتد بأسهم . واستحكم سلطانهم ، فلا بد أن يصيرهم بغيرهم وتدور الدائرة عليهم ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون . . لكن المعاملة العادلة الرحيمة الحازمة متى أوضى بها الإسلام مع مخالفه قد أثمرت ثماراً طيبة مباركة فكانت بعض الأفراد من دراسته ، والوقوف على سماحته فبهزم نوره . وراعهم جماله ففتحوا له قلوبهم فصار يغزو النفوس متحكما فيها . والضمائر مهيمنا عليها وأصبحوا له أعوانا مخلصين وجنودا باسلين .

أيها المسلمون : استمسكوا بهدى أسلافكم في رعاية هذه الطائفة التي تقيم في ديارنا وتربطنا بهم أو اصرر التعاون على النهوض بالوطن ودفع الأيدي الأثيمة التي تحاول أن تنقضه من أطرافه فافطنوا لهذا ، واعلموا أن الاعتداء على هذه الطائفة المسالمة يعتبر نقضا لعهد الله ورسوله وغدرا وبغيا يوهى عزمنا ويفل حشدنا ويظهرنا أمام عدونا المشترك متخاذلين متناحرين ، فتذهب من نفسه هيبتنا ويهون عليه أمرنا ويطمعه انقسامنا فيبني حصن الاستعمار بأقناض فرقتنا ، إذ هو وجد حريص على أن يجد ثغرة بين صفوفنا لينفذ منها إلى حيث يريد . فعلينا أن نقف أمامه صفا واحدا كالبقيان المرصوص ، يشد بعضه بعضا ليرهب جانبنا ، ويدعن لحقتنا . وعندئذ نبتهج بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

المتشاعون...!

لمحاضرة الأستاذ عبد الحميد محمد الفضالي

المدرس بالمدرسة السعيدية

الناس في هذه الحياة فريقان : فريق ذو مزاج متقبض ، وآخر ذو مزاج منبسط ، فريق متشائم ، وآخر متفائل ، فريق يرى ورد الحياة شوكا ، وآخر يرى شوكها وردا .

فأما الفريق الأول ، فهو ذلك الذي ينظر إلى الحياة بمنظار أسود يرى من خلاله كل ما في الوجود بشعاً منظره ، سيئاً مخبره ، مخيفة رؤيته ، مفرعة طلعتة .

هو ذلك الذي يرى في البسمة بكاء ، وفي النعيم شقاء ، وفي الراحة عناء ، وفي الرحاب الواسعة ضيقا ، وفي جنات الدنيا جهنم وبئس القرار ، ومن يرد الله أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ، فهو من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، وهو من الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، فهم المتعبون الأشقياء ، وهم الاموات في ثوب الاحياء .

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الاحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجا

وهذا الفريق يبعد عليه تحقيق مآمل ، أو نجاح في مهمة ، أو وصول إلى إدراك غاية : لأن تحقيق الآمال ، والنجاح في المهام العظام ، والوصول إلى إدراك الغايات - يحتاج إلى ثبات وصبر ، ودأب وسعى لا يعرف الضجر والملل ، ولا يلوذ بالخلل والكسل ، ولا يخلد إلى الراحة والدعة والقنوع . والمتشائم قلق لا يثبت على حال ، ولا يصبر على عمل ، ولا يثابر على نشاط ، ولا يستمر في سعى محمود .

كريشة في مهب الريح طائفة لا تستقر على حال من القلق

فهذا الفريق من الناس ليس من شأنه أن يفيد العالم في نواحي الحياة العاملة المنتجة السامية العظيمة القدر الجليلة الأثر ، فليس فيه من ابتكر طائفة أو اخترع

مذابعا ، أو اهتدى إلى دواء ناجع لداء عضال ، أو كشف أرضا مجهولة ، أو أظهر آثارا مطمورة ، وليس منه من كان مصدر علم نافع أو معارف فاضلة أو هداية وإرشاد ، وليس منه من توعم أمة فأعاد إليها حرية سلبت وكرامة انتهت ، وعزة بادت وسيادة ضاعت ؛ فليس منه إلا من يقدم رجلا في عمل ويؤخر أخرى لإحجاما عن ذلك العمل ، وقد يعيش طول حياته كلاً على وطنه وعالة على بلاده ، وخطرا يتهدد أمته بشر المصائب وفادح الخطوب .

أليس المتشائم المتطير يائسا من رحمة الله ؟ ولا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون ؛ فكيف نطلب الحياة من فاقدها وفاقد الشيء لا يعطيه ١٤ أم كيف ننظر المجد من لا يفقه له معنى ولا يقيم له وزنا ؟

إن شر النفوس نفس قنوط تمنى قبل الرحيل الرحلا
وترى الشوك في الورد وتعمى أن ترى فوقها الندى إكلila
هو عبء على الحياة ثقيل من يظن الحياة عبئا ثقila
والذى نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

إن فقد التفاؤل والأمل يقعد المتشائم اليائس عن العمل ، فلا يصيب نجاحا في دنيا العاملين ، ولا ينال انتصارا في دار المجدين ، وتراه إذا فشل في أمر قد لا يتحول إلى غيره ، لأن الأمور قد انسدت مسالكها في وجهه ، وليس لديه صبر يفتح ما غلق من أبوابها ، والدنيا على رحبها أضيق في عبئه من سم الخياط ، ومن أجل ذلك لا يحرك نفسه فيها ، فيخسرهما ، ويقعد بعد ذلك ملوما محسورا ساخطا على الأيام والليالي وليس للأيام والليالي ذنب ولكن الذنب لمن ظلم نفسه فيها فخرمها الخير وكان هو علة الفساد والتقصير والانحطاط والتأخير والإفراط والتفريط ؛ فوث على نفسه الفرصة حتى عادت عليه غصه ، وضع أوائل الأمور فالتوت عليه أعجازها :

إذا ضيعت أول أى أمر أبت أعجازه إلا التواء

وحسب المتطير المتشائم ما يصيبه من عنت ، وما يناله من تعب ، وما يلقاه من آلام ، بتخلفه عن قافلة الحياة التى تجد السير وتسرع الخطا في قطع الطريق ، فيبقى وحده متخلفاً يائساً يائساً يعيش في دنيا الهموم والأحزان ؛ وقد يصير

أضحوكة الضاحكين ، وسخرية الساخرين ، وهزأة الهازئين ، وتلطمه من ليست ذات سوار ، وينفر منه الصحاب والخلان ، وينفض عنه الأصدقاء والأعوان ، حتى لا يهديهم ، وإن من النفوس ما يهدى ؛

عدوى البلد إلى الجليد سريعة كالنار توضع في الرماد فيخمد
إن التشاؤم يجر على المتشائمين آلاما لا تطاق ، ويجلب عليهم متاعب لا تحتمل
ويوقد في نفوسهم نيرانا تأكل القلوب وتشيب النواصي وتخترم الأجسام ، ويحول
الأعواد الناضرة الزاهية ، والزهرات المتفتحة الباسمة ، إلى أخرى ذابلة محطمة
طاسبة تذروها الرياح ؛ ولا ينفع المتشائمين ذكاء متوقد ، ما دامت الإرادة منحلة ،
والنفس مشتتة ، والقلب حزينا ، والصدر منقبضا .

ومن الذين جنى عليهم تشاؤمهم ونقص عليهم حياتهم ، وكدر عليهم صقوهم
وحطم أعصابهم ابن الرومي الشاعر المشهور ، فقد بلغ من تشاؤمه أن كان الصبح عنده
شرأ أو نذيرا بالشر ، فلا يرى إلا حذب أو غيره من الخارجين عن سواء الخلق إلا
اقتبضت نفسه ، وأسرع إليه ما يلزم الانقباض من التوجس والحذر والوجوم :
واسم (جعفر) قد يذكره بالجوع والفرار ، و (الخان) قد يذكره بالخيانة
فتقبض لذلك نفسه ، وينقص عليه عيشه ، وهكذا حتى صارت عيشته ضنكا ،
وحياته جحima .

وقد بلغ من تشاؤمه أن عزف عن الناس جميعا ، وساء ظنه بهم ، وآثر العزلة
عنهم ، والبعد عن أخبارهم وأشرارهم ؛ لأن الأخبار والأشوار أصبحوا سواء
عنده في قلة الإنصاف ، وما كان يدنو منهم إلا مضطرا :

ذقت الطعوم فما التذت براحة من حجة الأخبار والأشوار
أما الصديق فلا أحب لقاءه حذرا لقلبي وكراهة الإعواد
وأرى العدو قننى فأكره قربه فكرهت هذا الخلق عن أعدار
أحب قوما لم يحبوا ربهم إلا لفردوس لديه ونار

وما عسى أن تكون الحياة بعد ذلك عند رجل بعد عن الأصدقاء وبعد عنه
الأصدقاء ، وقعدت به عزله وتشاؤمه وقلة حيلته ، فسبقه من هم دونه ذكاء وعلم
وفهما وأدبا من لا زمهم حسن الطالع وسعد الحظوظ .

وقد تختل أعصاب المرء من هؤلاء المتشائمين ، فإذا هو جسور عنيد معتسف للأخطار ، هجم على المصاعب ، لا يبالي العظائم ولا يحذر العواقب ، وهذا طراز من المتشائمين عجيب ، فيؤدى بهم تشاؤمهم وتطيرهم وانقباضهم وفرط إحساسهم الى الثورة والاندفاع ، وركوب متن الشطط والورود بأنفسهم موارد الهلاك والخسران ، كما يفعل الشباب الطائش في زماننا ، وفي كل زمان ومكان ، فيحاول أن يفرض سلطانه الجائر على الناس فرضا رضى الناس أم كرهوا ويتحكم في مصائر الناس قبل الناس أم سخطوا ؛ وقد تمتد يده الآثمة الى قتل الزعماء وقادة الرأي ، وأبطال السياسة والفكر ؛ لأنهم يخالفونه في الرأي والعقيدة ، أو النزعة والسعى ، أو الفكر والعمل . وهذا اختلال في الأعصاب مريب واستبداد عجيب وحق غريب ؛ فليس لكائن من كان أن يتحكم في آراء الناس وعقائدهم ونفوسهم ومبادئهم وأرواحهم وأفكارهم ، فينفع لغيرها ووأدما ، أو يحوها وإزالتها بدون أن يكون له في ذلك حجة وبرهان :

حرام على الأفكار في عصرنا الحرجر أما كل إنسان بآرائه حر ومن هذا اللون من التشاؤم العنيف ثورات الأمم والجماعات ، فهي حين تنور قد اختلت أعصابها هذا النوع من الاختلال النائر المحتاج ، وقد تكون ثوراتها من أجل مطالب خاصة أو عامة لا يقرها عقل ولا يؤازرها دليل ولا يستند لها منطق صحيح .

وقد حدثنا التاريخ أن الحاكم بأمر الله الفاطمي أصيب به فأرداه . . . كما أصيب به الوليد الأموي من قبل الجني عليه وأهلكه : حدث له مرة أن فتح المصحف الشريف ، فوقعت عينه على قوله تعالى : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد . » فما كاد يقرأها حتى غلا دمه وطفئ عليه تطيره واستبد به فرط إحساسه المتحفز المندفع الذي لا يخشى عاقبة ولا يخاف نهاية - فزق المصحف وأهان كتاب الله ، وقال بينه المشهورين :

تهددني بجبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

رجب سنة ١٣٧١

المجلد الثالث والعشرون

مجلة الأزهر

تصَدْرُ شَهْرِيًّا عَنْ مَشِيخَةِ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النفسي

البقرة

أفضى الأستاذ الكبير الشيخ همام مجيب
عضو جماعة كبار العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى في كتابه الكريم :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ،
في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ،

جاءت الآية هكذا بدون عاطف لأنها جواب سؤال نشأ من الآية السابقة ،
إذ ذكر حال المنافقين وأن يقولوا آمنا وما هم بمؤمنين يثير في نفس السامعين
استغما عما يدعو هؤلاء لمثل تلك الحال المضطربة والحياة القلقة المقامة على الكذب
والمحاولة فكان جواب هذا السؤال أنهم إنما يحاولون بذلك مخادعة الله والمؤمنين
جهلا منهم بشأن ربهم وصفات خالقهم . وجيء بالفعل من باب المفاعلة ، إشارة
إلى أنهم ظنوا بجهالتهم أن الله ليس علما بذات صدورهم ، ولا بما تنطوي عليه
نفوسهم من كفر وسوء نية وانتظار للفرص التي تمسكهم من إساءة رسول الله
ومن معه من المؤمنين ، ولكن الله العليم بالسر وأخفى ، قد علم طوياتهم وخفي
نواياهم ، وإنما أمهلهم ولم يعجل مؤاخذتهم لتتم حكمة الله وما أراد للمؤمنين
من تعرف الاحتياطات وأخذ الحذر من هؤلاء ، إذ في ذلك تمرين على الدوران

مع شئون المجتمع اللازم لإحكام سياسة الناس وتدير شئونهم فهم يخدعون الله جهلا وهو خادعهم علما وحكمة .

هذا سر المجيء بصيغة للمفاعلة في جانب الله ، أما سره في جانب المؤمنين إذ أنهم في الآية معطوفون على لفظ الجلالة ، فذلك لأن المؤمنين كانوا هم الآخرون يعلمون من شأن المنافقين ما عرفوا به أنهم كاذبون فيما يزعمون ، وإنما يقولون بالسفهم الإيمان ويخفون في أنفسهم الكفر تقية من المؤمنين ومحافضة على أنفسهم وتحصيلا لأغراضهم في الحياة .

في هذه القراءة التي جئنا فيها بصيغة المفاعلة تطمين للمؤمنين وتهذبة لخواطرم حين يعلمون أن الله محيط بشأن هؤلاء سرهم وعلايتهم ، وإن كان المؤمنون على يقين من أن الله عليم بما يدون وما يخفون ، إلا أن في التصريح بذلك تطميننا لهم كما جاء في شأن إبراهيم حين طلب من ربه أن يريه كيف يحيى الموتى فقال له : أو لم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي .

وجاءت الآية في قراءة أخرى بصيغة الفعل المجرد فترئت يخدعون لتصوير ما هم عليه من جهالة مع تصوير مبلغ مكر الله بهم ، وألا يكون هناك لفت لهم إلى واقع الأمر بما قد ينههم إلى إبداء كفرهم وإظهاره ، الأمر الذي قد يكثر مظهر الكافرين في أعين المؤمنين ، فقد يكون في تقليل مظهرهم حكمة هي تشجيع المؤمنين على بناء دولة الإسلام في قوة ، حتى يكثر عدد المسلمين وتقوى شوكتهم ، وإذا ذاك يصارحونهم بحقيقة أمرهم ويدفعونهم إلى الشقة الأخرى — شقة الكافرين — .

وقد جاء على كلاً التمرأتين يخادعون ، ويخدعون — وما يخدعون إلا أنفسهم إيذانا بأن هؤلاء قد اشتد ظلام نفوسهم وقوى تغليف قلوبهم ، حتى جهلوا أنهم فيما يحاولون من ضرر إنما يلحقون الضرر بأنفسهم ، يظنون أنهم يخدعون غيرهم ولا يدرون أنهم يخدعون أنفسهم .

وإذا أنت نظرت إلى عطف قوله وما يشعرون على قوله وما يخدعون إلا أنفسهم وضح لك تصوير ما هم فيه من عمى وصمم ، إذ أن نقي الشعور عنهم تصوير لما نزلوا إليه من جهالة ، إذ فقدان الشعور إنما يكون بفقدان الحواس .

وإذا عى الشخص وصمت أذناه وانعقد لسانه — إذا فقد وسائل الإحساس لا محالة يتضاعف جهله وتعمق غفله ويبعد عن الجادة .

ألا ترى أن المرء إذا لم يسمع قولة حق ولم يبصر آية ولم يناقش بلسانه شبهة — ألا ترى أنه يكون حجرا أصم خلا عن مظاهر الإنسانية ولبس أثواب الحيوانية المشقية والذاهبة به إلى أسفل الدركات وأحلك الظلمات فلا حجة تقنعه ولا برهان عن غيه يرجعه بل هو أصم أبكم أعمى لا يعقل .

بقى أنه في الآية لم يحنى بالخادعة إلا في جانب الله والذين آمنوا ولم يحنى في الآية ذكر الرسول كأن يقول يخادعون الله والرسول والذين آمنوا . ولعل الحكمة في ذلك أن مخادعة الله مخادعة لرسول الله لأنه هو الذى بعثه إليهم وهو المبلغ عن الله أحكامه وتشريعه وإرشاده ؛ يؤيد هذا مثل قوله تعالى ، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، وقوله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، .

وقد يكون السر في ذلك أن المنافقين إنما دفعهم إلى كذبهم ومخادعتهم هو انتفاء المؤاخذة ، وهم يعلمون أن الرسول وحده قد لا يلحق بهم أذى فهم إنما يرتقبون الأذى من مجموعة المؤمنين والرسول أول المؤمنين ، فيكون ذلك تصورا لمشار خوفهم وناحية اتقائهم ، وإلى ذلك تصوير وحدة الرسول ومن تبعه ، وأنها وحدة رباطها الإيمان ، ليس فيها حاكم ولا محكوم ، وإنما الجميع يعتصمون بحبل الله ، فهم في نظر غيرهم مستوون ، وفي ذلك إيذان ببطان ما هم عليه من شرعة التفاوت بين الأفراد .

من هذا يفهم من الآية تصوير ما هم عليه من جهل بلغوا به حد أن يخادعوا ربهم وبلغوا به حد أن يخادعوا مخالطيهم ومن هم يسمع منهم ومرأى ، يعلمون من قسما وجوهم حين يلتقونهم ومن لى ألسنتهم حين يخاطبونهم ومن إشاحة وجوهم حين ينطقون بحق أمامهم — يعلمون من ذلك كله بعض ما هم عليه من مزاعم وافترادات ، إن لم يعلموا جميعها — وذلك أحط ما ينزل إليه المرء من دركات الجهالة ، الأمر الذى سيجزون عليه أن يكونوا فى أسفل درك من النار ، ولو كانوا

يشعرون بعض الشعور لأدركوا أنهم يؤذون أنفسهم . ولكن نسج عليهم عى قلوبهم وظلام نفوسهم حوائط سميكة لا ينفذ منها نور الحق إلى قلوبهم ولا نسيم الرشاد إلى نفوسهم فصاروا يؤذون أنفسهم ثم لا يشعرون بأذاها ولا يتألمون لكلمها بأيديهم . وهكذا كل من أعماء هواه وغرق في أمواج الباطل ، وحاطه الغرض من كل نواحيه ، يسير على غير الجادة ، ويتجه إلى باطل الغاية ، يرتطم في وماد الأوحال ، ويصطدم في هضاب المخاوف ، ولكن قسوة قلبه جعلته لا يرده اصطدام ولا يرجعه ارتطام . ولن ترى آفة للجمع أضربه من آفة النفاق ، فالمنافقون حشرات المجتمع ، وهم تحت الأبصار ، وذنبه حين يغيبون عن الأنظار ، ولو أتيح لمجتمع أن يطهر من أقذار المنافقين وأوساخ المخادعين رأيت أفراد هادئين وادعين كأنما هم في جنات النعيم .

ويقول تعالى بعد هذه الآية « في قلوبهم مرض الخ » هكذا بدون عطف لصلتها بالآية قبلها ، فإنك حين تسمع قوله تعالى « وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تثور نفسك نحو السؤال عن حال أناس يلحقون الضرر بأنفسهم غير شاعرين ، وتعجب كيف يلحق لإنسان بنفسه الضرر ثم هو لا يشعر به ، ويكون الجواب المهدى لثورة السامعين والذاهب بعجب السائلين ، أن يقال إن هؤلاء لا يشعرون بأذى أنفسهم بأنفسهم ، قد مرضت قلوبهم ، فقليل : في قلوبهم مرض ، وترى الأسلوب قد صور مرض قلوبهم تصويراً لا يكون معه إلى قلوبهم سبيل لحق ، أو طريق لرشاد ، فقال (في قلوبهم) وجعل القلوب ظرفاً للمرض ، كناية عن تمكن المرض من قلوبهم ، والمرض وإن كان حقيقة فيما يعرض للأجسام مما يعيها أو يعجزها أو يختل معه نظامها ، إلا أنه هنا مستعمل على طريقة المجاز ، مراد به ما اختلت به قلوبهم من فساد العقيدة ، ومتابعة الباطل من التقاليد ، وظالة الفتنة المحيطة بقلوبهم ، مما يعيها أو يتحول بها عن التفسير الصحيح ، والتعقل المنتج ، مما حاد بهم عن الجادة ، لا تفهم أشواك ما في

اعوجاجهم ، ولا أحوال ما في طريقهم ، فكان ما أصاب قلوبهم شيئا بما يعرض للأجسام من أمراض ، وإذا مرضت القلوب فإن مشاعر المرء تصبح عديمة الفائدة فإنه إن سمع حقاً فقلبه المريض لا يفقه ، وإن رأى آية فقلبه المريض لا يفهمها ، وإن سمع حجة فلسانية إلا بكم لا يحاول جدلاً فيها حتى يفهمها . لذا حكم عليهم بأنهم لا يشعرون ، لأن مشاعر المرء هي الوسائل الموصلة إلى القلوب قضايا الحق ، ومقدمات العلم ؛ فإذا تعطلت أداة الاستنتاج وآلة الفهم والتفكير فلا جرم تكون الحواس ، وهي وسائل وصول المقدمات وأسباب العلم إلى القلوب ، معطلة ، وهم غير شاعرين .

وهكذا كل قلب تولاه الهوى ، وحاطه الغرض ، وأظلم أفقه بلبالي الفتنة ، لا يمكن أن تقنعه برهان ، أو ترده عن غيه بحجة ، أو تلويه عن اعوجاجه بدليل ، يسمع وكأنه لا يسمع ، ويبصر وكأنه لم يبصر ، ويتكلم وكأنه لم ينطق . ولن ترى داء للجمع وآفة للبيئات أفتك من هذا الفريق ، فريق المنافقين ، يطفئون نور الحجة من المحتجين ، ويشوهون جمال البرهان من المستدلين . فكم قصر صاحب حق بنفاق هؤلاء عن إقامة حجته ، وتقشيع السحاب عن برهانه وآيته .

ومن ذلك نعلم أن مرض القلوب أضر من مرض الأجسام ، فقد يؤدي مريض الجسم للجمع فوائد ومنافع . أما هؤلاء فإنهم الهدامون لما بنى المصلحون والمطفئون لما أنار المرشدون . فاللهم طهر منهم المجتمع ليعيش الناس هادئين مطمئنين .

ولما كان لله في كونه وخلقه سنن لا تبدل ، وكان من سننه أن المريض إذا لم يعالج مرضه ، أو استمر في أسباب مرضه دون أن يتنحى عنها زاد لا محالة مرضه ، كذلك مرضى القلوب . فإنهم إذا لم يبعدوا بأنفسهم عن الهوى ، ولم يكبحوا جماحها عن الفتنة ، ولم يرفعوا أنفسهم عن مهاوى الغرض ، فإن قلوبهم لا محالة تتضاعف ظلماتها ، وتكثر قسوتها ، وتسمك حوائط منع نفاذ الحق إليها ؛ فلا جرم إذا لم تعالج القلوب زاد مرضها ، وهي بمقتضى ما وضع الله من سنن زيادة من الله لمرضها . لذا قال : : فزادهم الله مرضاً ، بنسبة الزيادة إلى الله .

ولما كان قوله ، فزادهم الله مرضاً ، أسلوباً بذكر الفاء قد يفهم منه أن ذلك هو جزاؤهم ، وفهم ذلك لا يردم عن غي ، ولا يفزع لهم قلوباً ، ولا يقرع لهم نفوساً ، عطف عليه قوله ، ولهم عذاب أليم ، ليبين أن ليس جزاء صنيعهم أن يزداد مرض قلوبهم لحسب ، بل إن لهم بعد ذلك عذاباً أليماً . وإنما وصف العذاب بالآلم ولم يصفه بالعظم كما سبق في شأن الكافرين ، لأن هؤلاء قد حاطوا أنفسهم بظلام حالك ، ونزلوا بها عن مستوى الحياة المعتادة إلى درك فقدوا فيه مشاعرهم ، فلا تردعهم الكميات ، ولكن قد توقفهم الكيفيات ، لذلك وصف العذاب بكونه أليماً دون أن يصفه بكونه عظيماً أو كثيراً .

ثم بين أن سبب ذلك الجزاء إنما هو كونهم كاذبين ، لأن هذا الفريق - فريق المنافقين - أخص صفاته وأكبر جرائمه هو الكذب ، يقولون آمنا وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم ، خيانتهم حياة مضطربة دون حياة الكافرين الذين جهروا بكفرهم ، ولم يخفوا ما انطوت عليه قلوبهم ، فعاشوا في الحياة صفاً بارزاً يقابل صف المؤمنين ، أما هؤلاء المنافقون فما أتعب حياتهم ، وما أشقاهم في معيشتهم ، وما أذلهم إذ يترددون بين الفريقين ، يدون لهؤلاء أنهم معهم ، ولهؤلاء أنهم معهم : عيش مضطرب ، وحياة ذليلة ، ونزول إلى الظلمات وسافل الامكنة ، مما جزاهم الله عليه جزاء عدل ، أن يكونوا في الآخرة كما اختاروا لأنفسهم في الدنيا ، في الدرك الأسفل من النار .

وما أحقهم أن يخلصوا بأعنف جزاء ، وأن يلحق بهم أقطع العذاب ، وأن يكونوا حتى وهم معذبون أسفل من الناس الذين معهم في النار .

فالمنافقون يأبى الناس ؛ أذل الناس في الدنيا ، وأذلهم في الآخرة . ألا فاتكمروا أنفسكم ، ولتلبسوها أثواب العزة ، ومعاطف الكرامة بإبعادها عن تلك الصفة الرذيلة . صفة النفاق .

اللهم وفقنا لطهير أنفسنا ، وإعزازها بالإيمان الصادق ، فأنت ذو الفضل العظيم .

مبادئ القانون الدولي العام

في الاسلام

لحضره صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير

المكشور محمد عبد الله دراز

عضو جماعة كبار العلماء

تمريب البحث الذي وضعه فضيلته باللغة الفرنسية ، تلبية لطلب الجمعية المصرية للقانون الدولي

يكاد يتفق علماء التشريع في الغرب ، ويتابعهم كثير من الشرقيين ، على أن فكرة القانون الدولي العام ، فكرة حديثة العهد ، ابتدعتها أوروبا في العصر الأخير . هذا الحكم صحيح في الجملة ، ويلوح لنا أنه غير قابل للجدل والمناقشة ، ما دنا نبعد بموضوعه عن محيط التاريخ الإسلامي ؛ فالنظام الدولي في الحقيقة لم يكن معروفا خارج هذا المحيط ، لا في العصر القديم اليوناني والروماني ، ولا في العصور الدينية الأولى في اليهودية والمسيحية .

أما العصور الدينية المذكورة فمن الميسور أن نقبين فيها هذا الفراغ ، وأن ندرك أسبابه ؛ ذلك أنه حين تأسيس هاتين الديانتين لم يكن أمامهما علاقات دولية تتطلب هذا التشريع ، فكان كل نشاطهما مركزا في بث الدعوة الدينية في نطاق محلي محدود ، نعم إن نشر الدعوة الموسوية في بني إسرائيل ، لم يلبث أن حمل هذا الشعب على الهجرة ، وجعله يتصل بأمة مجاورة . غير أن هذه الصلة الوقتية لم تسكن إلا صراعا خاطفا ، انتهى إلى استئصال شأفة تلك الأمة وحلوله محلها ، ولم يترك لنا التاريخ بيان القواعد التي بنى عليها هذا الصراع والتحول .

وأما العصور اليونانية والرومانية القديمة فإن خلوها من هذا التشريع مرده إلى أسباب تختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليست المسألة مسألة انقطاع الصلة بين هاتين الدولتين وبين العالم الخارجي ؛ إذ أن تلك العلاقات الخارجية لم تعوز

هاتين الدولتين يوماً ما ، ولكن نظرتهما نفسها إلى الحياة لم تكن لتسمع لها
 بوضع تشريع كهذا ؛ ذلك أن فكرة القانون الدولي تفترض قبل كل شيء
 الاعتراف بضرب من المساواة ، واشتراك المصالح ، وتبادل الحقوق والواجبات
 بين مختلف الأمم ؛ وهذا لم يكن ليتفق والنظريات اليونانية والرومانية . فأما قدماء
 اليونان فإنهم ، وإن كانوا يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة أو يكادون - على
 رغم الصراع الدائم بين مملكتي أسبارطة وأثينا - كانوا ينظرون إلى الشعوب غير
 اليونانية نظرتهم إلى كائنات حقيرة دنيئة ؛ حتى إن أرسطو كان يرى أن البرابرة
 (ويعنى بهم الأجانب) ما خلقوا إلا ليقرعوا بالعصا ويسلبوا ويستعبدوا ،
 وكذلك كان الأمر في التشريع الروماني ، فإنه لم يكتف بأن وضع نوعين متباينين
 من القوانين ، أحدهما : القانون المدني للرومانيين ؛ والآخر قانون الشعوب لسكان
 البلاد المحتلة ، بل إنه لم يكن يعرف في الصلوات الخارجية إلا قانون القوة
 الباطشة ، فلم يجعل للأمم الأخرى حقاً في دفاعها عن نفسها ، ولا في أمنها ودعتها ،
 وإنما كان دستورهما في نظره : « العبودية أو الفناء » ، وإذا كان قد اتفق لروما في
 بعض الأحيان أن وضعت معاهدات سلمية على وجه دون وجه ، فلم يكن ذلك
 راجعاً إلى أن هناك قانوناً يقضى بهذا الشرط المعين أو ذاك ، بل كان مصدره
 محض التفضل ، أو السعي وراء الأغراض والمنافع .

ولو أننا بحثنا فكرة القانون الدولي في أوروبا في العصور الحديثة ما وجدنا
 كبير فرق بينها وبين تلك العصور الأولى ، على رغم التقدم الفعلي في تدوين قواعد
 هذا التشريع العام ؛ ذلك أن فكرة تساوي الناس أمام القانون - تلك الفكرة التي
 طالما طالبت بها الشعوب وتشددت بها الحكومات - لم تتخذ بعد في نظر الغربيين
 صبغة القانون العام الشامل ، ألم يقل : « استورات ميل » ، باستحالة تطبيق القانون
 على الشعوب الممجية ؟ أو لم يحدد « لوريمير » ، على وجه الأرض مناطق ثلاثاً
 تخضع كل منها لقانون مختلف ؟ فالعالم المتمدين يجب أن يتمتع في نظره بحقوق
 سياسية كاملة ، والعالم نصف المتمدين يكفي أن يتمتع بحقوق سياسية جزئية ، بينما
 الشعوب غير المتمصرة ليس لها إلا حقوق عرفية لا تحمل إلزاماً قانونياً ، وجاء ميثاق
 « عصبة الأمم » ، بعد الحرب العالمية الأولى ، فأقر هذا التقسيم الثلاثي وأكسبه
 سلطة القانون ، بل لقد فرق في قلب المدينيات الأوروبية نفسها بين الحقوق

السياسة للدول الكبرى والدول الصغرى . وأيا ما كان فإن منظمة السلام هذه لم تحظر غزو منشوريا ، ولا فتح بلاد الحبشة . وأخيراً شكلت (جمعية الأمم المتحدة) بعد الحرب العالمية الثانية ، فماذا رأينا ؟ أليس روح التفريق وعدم المساواة لا يزال مسيطرأ فيها على عقول السادة الذين يتحكمون في مصير الإنسانية ؟ إنه لا حاجة بنا إلى محاولة إقامة البرهان على ذلك ؛ فهذه الحوادث التي تجري تحت سمعنا وبصرنا وهذه الحلول العوجاء التي تطبق عليها في أحضان هذه الجمعية الحديثة ، تنطق - بأفصح بيان - بأن الضعفاء والمظلومين الذين كانوا يبتون آمالهم على مثل هذه المؤسسات لم ينلهم حتى الآن إلا حشرات تلوها حشرات .

إذا أردنا أن نظفر بتشريع دولى عام يصطبغ بالصبغة العالمية الحقيقية ، فعلينا أن نصعد بذاتنا إلى عصر رسول الإسلام .

كلنا نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام لبث زهاء عشرين سنة في اتصال دائم بأمم وديانات مختلفة ، معادية طورا ، ومسالمة طورا . وطبيعى أن هذه الظروف الخاصة التي جعلت الإسلام سلطانا زنيا وحكما عالميا - إلى جانب كونه عقيدة روحية ، ومبدأ أخلاقيا - كانت تتقاضاه أن يضع تشريعا لقانون السلم والحرب بين الأمم . فماذا فعل ؟ وهل كانت إجابته لهذه الحاجة الملحة شافية لغلة المنشرين ، مرضية للضماير السليمة لدى الحكماء وذوى الخلق الكريم ؟

لا شك أن دراسة مستوعبة لهذه الناحية من التشريع الإسلامى تتطلب بحثا عميقا لا لليهود والأقضية النبوية وحدها ، بل للعاهدات التي وضعها الخلفاء والملوك الإسلاميون أيضا في غضون التاريخ ؛ ولكنه ليس من غرضنا في هذا المقال أن نجعل مجال بحثنا بهذه المثابة من السعة والاستقصاء ؛ وكل ما يعيننا الآن هو أن نستخلص ما في القرآن والسنة النبوية من المبادئ الأساسية ، والخطوط الرئيسية في هذا الشأن .

— ١ —

تصحيح خطأ مشهور

وقبل كل شيء يجب أن نصحح خطأ دائما في الأوساط الأوربية ، وهو زعم أن الشعوب الإسلامية يباح لها - بل يجب عليها امتثالاً لدستورها الدينى -

أن تحمل السلاح لإكراه الناس على الإسلام ، ويحق الشعوب الأخرى التي لا نعتنق هذا الدين .

لئن كان هذا الرأي حقاً ، لقد وجب أن تمنح كلمة القانون الدولي ، من التشريع الإسلامي ؛ إذ لا يبق لها فيه مدلول تشير إليه ، ولا يبق لغير المسلمين أمامه حق يطالبون فيه بحرياتهم ولا بحياتهم . *

ولكن الرجوع إلى نصوص القرآن الكريم ، يكشف لنا عن الحقيقة التي تخلف هذا الزعم على خط مستقيم ، فالقرآن لا يكتب بأن يحظر حظراً أديباً كل محاولة لإكراه الناس على الإيمان : « لا إكراه في الدين ، (سورة ٢ آية ٢٥٦) بل يقرر أنه من المستحيل وقوعاً أن يسيطر على العالم دين واحد : « ولا يزالون مختلفين ، (١١ : ١١٨) » وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ، (١٢ : ١٠٣) ألا تكون محاولة فرض عقيدة واحدة على الناس — والحالة هذه — ضرباً من التناقض والإحالة الظاهرة ؟ إن القرآن لم يفته أن يبرز ما في هذه الغاية الطموحة من غرور خداع ، وذلك حيث يقول : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين ، (١٠ : ٩٩) .

ومن هنا نرى كتاب الإسلام المطهر يحدد رسالة نبويه بأدق ما يكون من عبارات الحصر والتحديد ، مبيناً أن مهمته إنما هي الموعظة والتذكير : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر ، (٨٨ : ٢١ ، ٢٢) ؛ بل إن هذه الدعوة السليمة نفسها لم يتركها القرآن حتى رسم حدودها وطريقها ، وأوجب أن تؤدي بأكرم أسلوب ، ومن ألفت طريق » ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ، (١٦ : ١٢٥) . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، (٦ : ١٠٨) . ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ، إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا : آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون ، (٢٩ : ٤٦) .

سيقول قائل : سلمنا أن كل إكراه ديني يجب أن يستبعد من أهداف الإسلام ، فما الذي يمنع أن يكون من بين هذه الأهداف فكرة الفتح والتوسع ،

ورع المتقين

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد التواب
المفتش العام للوعظ بالأزهر

عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس » رواه الترمذي وقال حديث حسن ...
لرسول هذه الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من جمال التوجيه ، وبالغ الحكمة ، في روعة المعنى ، وجزالة اللفظ ، نواح اختصه الله بها ، فأناؤه من هداية

التي يكون المسلمون قد دفعوا إليها بسبب من الأسباب الأخرى : كداعية الثروة الاقتصادية أو الاستعلاء السياسي ، أو غير ذلك ؟

فلندع القرآن يقدم لنا الجواب عن هذا السؤال ، وما هو ذا يقول : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ، (٢٨ : ٨٢) .
هكذا يقضى القرآن في حزم على تلك الروح الاستعمارية الجبروتية ، وبوجه عام على تلك النزعة المادية المنطرفة ، التي انتشرت انتشاراً وبائياً في عصرنا هذا ، والتي هي المنبع الأول لكل ما نشكو منه الآن .

ولكن هل نأخذ من كل ما تقدم أن الحروب ليس لها وجود قانوني في نظر الإسلام ؟

هيهات ، فما هي ذى نصوص القرآن ، لا تجعل الجهاد عملاً فاضلاً خصب ، بل تعده غالباً من الواجبات الأولية .

فالسؤال الذي يجب وضعه الآن هو هذا : ما الأحوال والشروط التي يبرر بها الإسلام اتخاذ تلك المواقف الحربية ، ويجعلها حقاً مشروعاً ؟

[للبحث بقية]

ورشاده ما يهدى به أمة ، ويعمر به دنيا ، ويسعد به أخرى ، فى أسلوب من روائع الحكم ، وجوا مع الكلم ، « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » .

وصف المتقين فى القرآن الكريم ، وفى السنة المطهرة ، وفيما ينجلي للناس جيلا بعد جيل ، مجموعة من الفضائل والمكرمات ، مظهرها سلامة العقيدة ، وقوة اليقين ، وتقويم العبادة ، وتنظيم المعاملة ، فى سياق من مراقبة الله ومحبة الناس . « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون » ، « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الفیظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، ذلكم هو وصف القرآن الكريم للمتقين .

أما السنة المطهرة ، فإنها تنظم هذا العقد الكريم فى أوامرها الرشيدة ، فيقول الصادق الكريم ، إمام المتقين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

ونبصر الناس ، فى رشد الرأى ، وسلامة الفطرة ، وتحذرم فتنة الدنيا وإغراءها ، فقد روى عن عمرو بن عوف الانصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنه إلى البحرين ، يأتى بحزبتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبى عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف ، فتنصروا له ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ، فقالوا أجل يا رسول الله ، فقال : « أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم) ... متفق عليه .

ولقد يعلم الناس جميعاً أن من وصف المتقين صفاء النفس ، وزكاه الخلق ، وحب الخير ، والاستمسك بكل ما يكسب المرء حداً ورضواناً ، حمد الناس لما يلبسونه من بر وفضل ، ورضوان الله لما يتقرب به المتقون من طاعة وعمل . أما جزاء المتقين في محكم النزيل ، وأما جزاؤهم في صحيح السنة ، وأما جزاؤهم فيما يقع بين أسماع الناس وأبصارهم ، فهذا ما ينطق به القرآن الكريم في قوله تعالى بعد أن ذكر أوصاف المتقين في سورة آل عمران ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

وفي أول سورة البقرة ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، وفي سورة النبأ ، إن للمتقين مفازاً ، حدائق وأعناباً ، وكواعب أتراباً ، وكأساً دهاقاً ، لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ، جزاء من ربك عطاء حساباً .

وهذا ما تعد به السنة الشريفة في جزاء المتقين ، في قول صاحب السنة صلى الله عليه وسلم ، اضمثوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، ثم أدوا الأمانة إذا اتتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم .

وهذا ما يشهده الناس في جماعة المتقين : إجماع على محبتهم ، وإكبار لدعوتهم ، وتكريم شمائلهم بالقدوة والاتباع .

نخلص من ذلك كله إلى أن للمتقين في أعمالهم وأوصافهم ، وفي مجازاتهم شأناً وأى شأن .

وفي الحديث الذى نحن بصدده يبين الرسول صلى الله عليه وسلم أن العبد لا يبلغ هذه المكانة إلا إذا كان له من ورعه حاجز وحجاب ، لا يحول دون المآثم فحسب ، بل ويحجبه عن فعل ما لا بأس في فعله ، أو قول ما لا بأس في قوله ، خشية أن يجره ذلك إلى ما يؤاخذ عليه ، أو يساء به ، أو يشك فيه ، ولا غرو . . فالتق الورع يكف نفسه وجوارحه عن الشبهات ، ويتطلب السمو والكمالات في المأمورات ، قال عز وجل : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى » وقال تعالى : « قد أفلح من زكاهها وقد غاب من دساها » .

التقى الورع يكف نفسه حتى عن النظرة الاولى خشية أن تؤدي إلى رجوع البصر ، أو استدامة النظرة فيقع فيما يحظره الدين .

التقى الورع يمسك لسانه عن فضول القول حتى لا ينزلق لسانه فيرديه .

التقى الورع لا يتسمع إلى اللهو والمجون حتى لا يصل إلى قلبه الطاهر اخلاط غثة معجوجة ، تسكدر نوره ، وتغشى صفاءه ،

التقى الورع يترك المال الذي لا يستوثق من حله خشية أن يكون فيه غش أو دخل .

التقى الورع أمين في دينه كريم في دنياه ، عظيم في نفسه ، بصير في حزمه ، متطلع إلى محبة الله وهداه .

التقى الورع يتخذ القدوة من نبل الفضائل ، وحسن الشرائع متمثلاً قول القائل :

إذا أعجبتك خصال امرئ فكنه يكن منك ما يعجبك
فليس على الفضل والمكرمات إذا رمتها حاجب يحجبك

* * *

وبعد ، فليهنأ المتقون الأبرار بورعهم الأبى ، وحزمهم الرضى .

وليتربعوا في قلوب الناس مكان الحب والولاء .

وليلغوا عند الله وعند رسوله ساحة الرضا و منازل الرضوان .

« إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

وفق الله إلى الخير لسعادة الدنيا والآخرة .

والسلام على من اتبع الهدى

بهاء الدين السبكي

$$\frac{٧٠٧}{٧٧٧} \div \frac{١٣٠٧}{١٣٧٥} = \frac{١٣٠٧}{١٣٧٥}$$

لفقيه الأئمة الشيخ عبد الله المراغي

مدير المساجد بوزارة الأوقاف

نختم بهذا المقال تراجم السبكيين المصريين الذين شغلت بهم مناصب القضاء حفية طويلة من الزمن وطلبهم مناصب الفتيا والقضاء المصرية والشامية فأثبتوا كفاءة ممتازة وكان عندهم معين صاف من العلم يرد الظالمون المتعطشون للإفادة الطالبون لحكم الدين فيما يعرض لهم من حوادث الزمن وما هم في حاجة إليه من حكم الشريعة الفراء .

وهذا بهاء الدين رابع الثلاثة السبكيين واسمه محمد بن عبد البر بن يحيى بن علي ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد السبكي المكنى بأبي البقاء كانت ولادته سنة سبع وسبعائة من الهجرة وتمذهب بمذهب الشافعي كعلماء أسرته .

وأظهر شيخ له نال العلم منه هو ابن عم أبيه تقي الدين السبكي الذي لازمه ملازمة طويلة في أيام صباه حتى تخرج عليه . ومن شيوخه أيضاً الحجار والدبوسي وعبد الله بن علي الصنهاجي والمزي والبرزالي والجزري وعلاء الدين القونوي والقطب السفياطي .

وقد مهر في اللغة العربية والفقه والتفسير وأصول الفقه وعلم الكلام .

ولما ثبت قدمه وتم نضجه العلمي واستولى على زمام العلوم الشرعية وعرف بين أهلها وذويعها بالنبوغ واعترف له أقرانه بالنفوق وكال التحصيل تصدر

- على عادة الشيوخ - للتدريس والافتاء فكان ينبوعاً عذباً فراتاً ينهل منه كل من أراد من طلاب العلم والمعرفة . قال صاحب الدرر الكامنة ، وذكر لى الشيخ شمس الدين بن القطان أنه كان ممن أخذ عنه وأنه كان يضج إذا توجه عليه البحث وغالب من لقيناه كان يباليغ في وصفه بالتحقيق والخذق ، وكانت له رحلات في سبيل العلم وخدمة المصلحة العامة فقد دخل الشام مع الشيخ تقي الدين السبكي سنة تسع وثلاثين وسبعائة وناب عنه في قضاء الشام . ثم تولى قضاء طرابلس ثم عاد إلى القاهرة وتولى فيها مناصب جليلة في القضاء فقد ناب عن القاضي عز الدين بن جماعة في منصبه ثم أضيف إليه قضاء العسكر والنظر في الأوقاف ثم خلف عز الدين في وظيفته سنة ست وستين وسبعائة وظل يباشر شئون منصبه بما عرف عنه من دربة وخذق وكياسة مع إحاطة بشئون الحياة الاجتماعية والدينية ثم فوض إليه بعد ذلك قضاء الشام وظل قاضياً بدمشق إلى حين وفاته .

وقد اعترف له بالفضل العلماء الأفاضل من أهل زمانه فكان الاستوى يقدمه ويفضله على أهل عصره . وكان العماد الحسباني يشهد أنه يحفظ الروضة . وكان هو يقول عن نفسه أعرف عشرين عالماً لم يسألني عنها بالقاهرة أحد .

وقد أتى عليه الذهبي ووصفه بأوصاف المبرزين في العلم الخادقين لدقائق المسائل الغائصين في بحار العلوم والمعارف .

وقال عنه ابن حبيب : شيخ الإسلام وبهاؤه ومصباح أفق الحكم وضيأؤه وشمس الشريعة وبدرها وجبر العلوم وبحرها كان إماماً في المذهب طرازاً لردائه المذهب رأساً لذوى الرياسة والرتب حجة في التفسير واللغة والنحو والأدب ثقة في الأصول والفروع قدوة لأرباب السجود والركوع مشهوراً في البلاد والأمصار سالكا طريق من سلف من سالقة الانصار درس وأفاد وهدى بفناويه إلى سبيل الرشاد .

وهذه شهادة من ثقة تدل دلالة لا ريب فيها على أن مترجنا قد حاز الأوصاف التي تليق بالائمة العلماء العاملين الذين يزكون عن علمهم ويطهرون أنفسهم ويسخون بما وهبهم الله تعالى من تفقه في الدين فهم يجودون بما حوته قلوبهم من معارف وإرشاد لكل من قرع بابهم وطلب منهم التوال من أحكام شرعية وتوجيهات دينية . وأن ثقله بين الشام ومصر وتعدد وظائفه في القضاء لدليل واضح على صلاحيته لأعباء الحياة ومشاركته لمجتمعه مشاركة البصير المستنير وذلك شأن العلماء الذين يشعرون من قرارة نفوسهم بأن واجبهم في الحياة التوجيه والإرشاد والاندماج في المجتمعات وتولى الشئون التي لا تستقيم أمور الأمة إلا بها .

وقد اختلفت كتب التراجم في ذكر مصنفات له فيقول صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب طبعة مكتبة القدس في الجزء السادس صحيفة أربع وخمسين ومائتين ما نصه : ، ومع سعة علمه لم يصنف شيئاً ، .

ويقول صاحب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة مطبعة دائرة المعارف العثمانية ببلدة حيدر آباد بالهند في الجزء الثالث صحيفة تسعين وأربعمائة وما بعدها ما نصه : ، ولم يظهر له من التصانيف شيء مع أنه كتب على الروضة وعلى مختصر ابن الحاجب الاصلى وعلى المطلب لابن الرفعة ، .

توفي رحمه الله بدمشق في جمادى الأولى سنة ٧٧٧ هـ ودفن بسفح قاسيون بقرية السبكين .

لغويات

لفظي الأستاذ الشيخ محمد النجار

الأستاذ بكلية اللغة العربية

استراح من عناء التعب

يشيع هذا التأليف بين الناس . ويشكره بعض السكتاب . ويقول صديق الأستاذ محمد عبد العظيم أفندي المدرس الأول اللغة العربية بالمدرسة السعيدية في مصنفه « سلسلة عثرات الأفلام » - وهو من المعنيين بهذا الشأن والحريصين على تنقية اللغة العربية مما شابها - : « ولا يقال : استرحت من عناء التعب ، وإنما يقال : استرحت من عناء العمل » .

ووجه الإنكار في هذا أن العناء هو التعب ، فلا معنى لإضافته إليه وهما مترادفان . وإنما يضاف العناء إلى مبعثه ومصدره ، وهو العمل . غير أن الأمر في هذا مبني على التشدد والتضييق في اللغة . وقد ورد مثل هذا التأليف في فصيح الكلام وما لا ينكر من القول . وكانت هذه المسألة لهذا مثار جدل بين علماء العربية . وتدخل هذه المسألة تحت عنوان « إضافة اللفظ إلى نفسه ، ومنها إضافة الموصوف إلى صفته ؛ نحو مسجد الجامع ، ودار الآخرة ، وإضافة اللفظ إلى مرادفه كالذي نحن فيه .

وقد جاء من هذه المسألة قوله تعالى في سورة ق : ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، وقوله تعالى في سورة الواقعة : إن هذا هو حق اليقين . فالحب هو الحصيد ، والحق هو اليقين . ويقول الطبري في تفسيره : « وكان بعض أهل العربية يقول في قوله (وحب الحصيد) : الحب هو الحصيد ، وهو مما أضيف إلى نفسه ، مثل قوله : (إن هذا هو حق اليقين) .

ومما جاء من هذا قول الشاعر :

فقلت أنجوا عنها نجا الجلد إنه سيرضيك منه سنام وغاربه

فقد أضاف النجا إلى الجلد ، والنجا هو الجلد :

وقال يزيد بن الحكم التقي :

تفاوض من أطوى طوى الكشح دونه ومن دون من صافيته أنت منظو
 فتراه أضاف الطوى إلى الكشح ، والطوى هو الكشح .
 ونرى فريقا من النحويين يعتمد إلى التأويل فيما أورد من الشواهد وغيرها ،
 ويتكلف المغامرة بين معني اللفظين المتضايقين . فيقول في حب الحصيد :
 حب الزرع الحصيد .
 ويقول في حق اليقين : حق الأمر اليقين ، وهكذا يمضى هذا الفريق في تأوله .
 ولا يرضى فريق منهم هذا التكلف ، ويميز هذا النوع من الإضافة .
 وفي الإنصاف ١٨١ : « ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز إضافة الشيء إلى نفسه
 إذا اختلف اللفظان ، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز » .
 ويقول الرضى في شرح الكافية ٢٨٨ / ١ بعد أن تكلم على إضافة اللفظ إلى
 نفسه ، وعرض للخلاف فيه : « والإنصاف أن مثله كثير لا يمكن دفعه ؛ كما في نهج
 البلاغة : لفسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم ، وقوله : ورخاء الدعة ، وسكائك
 الهواء ... ولو قلنا إن بين الإسمين في كل موضع فرقا لاحتجنا إلى تعسفات كثيرة » .
 وقد ورد الشاهد الأول من نهج البلاغة في خطبة الإمام المعروفة بخطبة
 الأشباح ففيها : « ولم يستعظموا ما مضى من أعمالهم . ولو استعظموا ذلك لفسخ
 الرجاء منهم شفقات وجلهم ، وفي شرح الشيخ محمد عبده : « الشفقات : نارات الخوف
 وأطواره . وهو فاعل نسخ . والرجاء مفعول . والوجل : الخوف أيضا » .
 والشاهد الثالث ورد في أول ما ذكر من خطب الإمام في النهج ، وفيها :
 « سبحانه فتق الأجواء ، وشق الأرجاء ، وسكائك الهواء » ، والسكائك جمع السكاكة
 وفي شرح الشيخ الإمام : « السكاكة - بالضم - الهواء الملاقى عنان السماء » .
 والشاهد الثاني « رخاء الدعة » أقرب الشواهد إلى ما نحن بصدد بحثه . فعناء
 التعب كرخاء الدعة . وهذا خير ما نصح به هذا التأليف .
 ولو سلك الباحث في هذا منهج التأويل لم يفتى به ، ولكان له فيه منهج
 وسبيل . فقد يزعم امرؤ أن العناء غير التعب . فالتعب فتور الجسم من فرط العمل .
 والعناء المشقة والضيق الذى يكون من التعب وغيره . فتصح الإضافة على هذا
 عند البصريين الذين لا يجيزون إضافة اللفظ إلى نفسه بحال .

ويحسن هنا إيراد بعض شعر الحطيفة فيه لفظ العناء ، ويبدو فيه أن العناء غير التعب . قال في الحديث عن ود الإنسان طول الحياة وامتداد العمر :
 يصب إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناء
 فنها أن يقاد له بعير ذلول حين تهترش الضراء
 يقول إذا صار المرء شيخا لا يضبط بعيره الذلول فيحتاج إلى من يقوده وهو
 راكبه ، خوف أن ينفر به عند اهتراش الضراء أى عند تباح الكلاب وتعرضها ،
 فجعل هذا عناء له ؛ إذ تضيق بذلك نفسه . ولا يحسن هنا أن يجعل هذا تعباً له .
 ثم قال :

ومنها أت ينوء على يديه وينهض في تراقبه انحناء
 ويأخذ الهداج إذا هداه وليد الحى في يده الرداء
 الهداج : مشى سريع في تقارب خطو . يقول إنه إذا أسن قارب في خطوه ،
 ويحمل له الغلام الرداء لأنه يتقل عليه .
 ثم قال :

وينظر حوله فيرى بذه حواء من ورائهم حواء
 الحواء : آيات مجتمعة نحو الحسنيين . يريد أن بفيه قد تناسلوا فصارت لهم
 بيوت كثيرة . فجعل هذا من العناء . وظاهر أن هذا لا يقال له تعب .

الوحيد . الوحيدة . الوحيدة

الوحيد وصف في معنى المنفرد . تقول : هذا هو الرجل الوحيد في علمه وفنه .
 واشتهر على ألسنة الناس في مؤنثه الوحيدة . ولكن المعنيين بتنقية اللغة يحرصون
 على إنكار هذه الصيغة (الوحيدة) ، ويوجبون في مكانها (الوحدة) . ولا يطيب
 لهم أن يسمعوا ما كان يتغنى به بمصر في دهر ماضي وانصرم .

مصر الجديدة هي الوحيدة

وفي مصنف سلسلة عشرات الأقلام الذي نوهت به آنفاً : « ولا يقال : هذه المسألة
 الوحيدة التي تشغل أذهانتنا . وإنما يقال : هذه المسألة الوحيدة التي تشغل أذهانتنا ،
 وهؤلاء المنكرون يأوون في إنكارهم إلى ركن شديد ، ويُروّجون^(١) إلى متكأ

(١) أدرى إلى الشيء : استند إليه .

عتيد . فقد ذكرت المعاجم اللغوية في صيغ وصف المذكر صيغتي وحيد ووحيد ، واقتصرت في وصف المؤنث على وحدة . وصرح شارح القاموس بما لا يدع مجالاً للشك في إنكار (الوحيدة) . فقد قال في القاموس : « ورجل وحدو أحد محركتين ووحيد ، ووحيد ، ومتوحد : منفرد . وهي وحدة ، وقال الشارح : « قوله (وحدة) بفتح فمكسر فقط . ولذا عدل عن اصطلاحه وهو قوله : (وهي بهاء) لأنه لو قال ذلك لاحتمل أن يرجع للألفاظ التي تطلق على المذكر مطلقاً . قاله شيخنا . قلت : وهذا حكاه أبو علي في التذكرة ، وأنشد : . . كاليديانة الوحدة قال الأزهري : وكذلك فريد وفرد وفرد ، وفي اللسان نحو ما في القاموس وشرحه . غير أني أرى أن لا وجه لإنكار (الوحيدة) . ذلك أن الوحيد وصف من وحْد ؛ فإنه يقال : وحد ، يوحد ، وحادة ، فهو وحيد . فوحيد من وحد كشریف من شرف ، وكريم من كرم ، فهي أوصاف جاءت على فعل في معنى فاعل . والوصف القياسي للمؤنث من هذه الأوصاف بالناء كما تقول : شريفة وكريمة من غير تكثير . ولم يذكر أصحاب المعاجم صيغة المؤنث من وحيد استغناءً بعلمها عن طريق القياس . وقد عنوا بذكر الوحدة والاستشهاد عليها لما كانت صيغة غريبة كذاكرها (الواحد) .

وبما يشد من هذا أن في البلدان موضعاً يقال له الوحيدة . ويقول فيه ياقوت « الوحيدة مؤنث الذي قبله ، من أعراض المدينة ، بينها وبين مكة ، قال ابن هرمة : أدار سلمي بالوحيدة فالخمر أيبني سقائك القطر من منزل قفر ويريد ياقوت بالذي قبلها الوحيد . وهو مكان ذكره ذو الرمة في قوله : ألا يادار مية بالوحيد كأن رسوما قطع البرود ووجه الاستدلال أن الوحيد علم منقول من وصف المؤنث كما ذكر ياقوت ، وليس علماً مرتجلاً .

وهنا نص من معجم في اللغة للغوي فارسي متأخر اعتمد فيه على أمهات اللغة ، وهو معيار اللغة . يقول فيه في المادة : « ورجل وحد - كسب وكثف - ، ووحيد - كأمير - وهي وحدة ككلمة ، ووحيدة كسفيئة . »

وقد يقنع القارئ عما سفته بصواب (الوحيدة) ، ويكون له سعة في استعمالها .

الشعر والحروب الصليبية

المفسر الأستاذ الشيخ رباح همل

المدرس في كلية اللغة العربية

— ٤ —

ونجد الرشيد النابلسي الشاعر : يلقي بدلوه في الدلاء ويلجج بالحديث عن فتح القدس مصورا كيف أن آمال المسلمين ، قد انتهت إلى تلك الأمنية الكبرى التي ليس للآمال بعدها ما تفتنظره من مسرات ، ونراه يصف حديث الناس عن هذا الفتح الأكبر وإفاضتهم فيه حتى ينفي أن فتحا قبله ظفر بمثل هذا الاحتفال فيقول :

هذا الذي كانت الآمال تفتنظر	فليوف الله أقوام بما بذروا
بمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت	في سالف الدهر أخبار ولا سير
يا بهجة القدس إذ أضحي به علم الإ	سلام من بعد طي وهو منتشر
يا نور مسجده الأقصى وقد رفعت	بعد الصليب به الآيات والصور
الله أكبر صوت تقشعر له	شم الذرا وتكاد الأرض تنفطر

ومنها لما أراد الفرنج أخذه من صلاح الدين - وتراه يسفه حلومهم إذ يحاولون عابثين - ذلك قوله :

ويح الفرنجة بل ويح أهم أو ما	فيهم لبيب على العلات يعتبر
إن يمموك فلا يدع لجهلهم	تسعى إلى الأسد في غاياتها الحمر
كم قد سقيتهمو ذلا فلا عجب	إن عربدوا سفها فالقوم قد مكروا

هذا - ولم يزل بيت المقدس بأيدي المسلمين من عهد صلاح والشعراء يلهمون بفتحه ويفخرون بكسر الفرنجة إلى سنة ٦١٦ هـ فإنه خرب بسبب انتشار الفرنجة ورغبة الناس عن السكنى فيه ، فرتاه شهاب الدين أبو يوسف بقصيدة عارض فيها

فصيدة دعبل الحزاعي في آل البيت ، وزراه فيها يستجدي عيبيه البكاء ويطلب إليهما أن تصلا البكاء ، لعل سيول الدمع أن قطفي توقد الجمر في القلوب على ما صار إليه المسجد الأقصى من دروس وإظلام بعد أن كان موطنًا للإخبات ، والصلوات وموسمًا للبر والإحسان والقربات قال .

أعني لا ترقى من العبرات	صلى في البكا الآصال بالسكرات
لعل سيول الدمع يطفى فيضها	توقد ما في القلب من جمرات
على المسجد الأقصى الذي جل قدره	على موطن الإخبات والصلوات
عما بعد ما قد كان للخير موسما	وللبر والإحسان والقربات

إلى أن قال في آخر قصيده :

فن لي بنواح ينحن على الذي	شجاني بأصوات لمن شجاة
يرددن بيتنا للحزاعي قاله	يؤبن فيه خيرة الخيرات
مدارس آيات خلّت من تلاوة	ومنزّل وحى مقفر العرصات

* * *

وإذا كان الشعراء قد صالوا وجالوا وأداروا القول في فتح بيت المقدس فقد كان ليوم حطين^(١) - وهو يوم من أيام صلاح الدين المشهودة - حظ وافر من رعاية الشعراء ذلك بأنه يوم قد انتقم الله به من دولة الشرك ، وعلت فيه كلمة التوحيد ، وعزت الدولة الناصرية ، وخذلت الدولة الصليبية ، وشاعت في الدنيا البشريات ومحاسن الأحاديث فوجد الشعراء مكان القول ذاسمة فاقنوا ما شاء لهم الاقتتان فالعماد يئنه صلاح الدين ويصور ملحمة حطين فيقول :

سميت على الأردن ودنا ^(٢) من القنا	ردينية ملدا وخطية ملسا
حططت على حطين قدر ملوكهم	ولم تبق من أجناس كفرهم جفسا

(١) بكر الحاء والطاء المشددة قرية بين أرسوف وقيسارية بها قبر شبيب عليه السلام .

(٢) الأردن صوت وقع السلاح بعضه على بعض .

ونعم مجال الخيل حطين لم تكن معاركها للجرد ضرسا ولا دهسا
غداة أسود الحرب معتقلوا القنا أساود تبغى من نحور العدا نهسا^(١)
طردتهم في الملتقى وعكستهم بجيدا بحكم العزم طردك والعكسا
بطون ذئاب الارض صارت قبورهم ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
وعلى ابن الساعاتى الشاعر يقول من قصيدة فى هذا المعنى وهو يصف هذا
فتح بأنه فتح مبين بات منه المسلمون فى فرح قرت به عيونهم حين رد صلاح الدين
خيمة الإسلام من الصليبيين :

جلك عزما تك الفتح للبيننا فقد قرت عيون المسلمينا
رددت أحيدة الإسلام لما غدا صرف القضاء بها ضينا
وهان بك الصليب وكان قدما يعز على العوالى أن يهونا
وما طبرية إلا هدى ترفع عن أكف اللامسينا

وفىها يشير إلى قيام صلاح الدين بفريضة الجهاد فيقول :

قضيت فريضة الإسلام منها وصدقت الأمانى والظنوننا
تهز معاطف القدس ابتهاجا وترضى عنك مكة والحجوننا
فلو أن الجهاد يريد نطقا لنادتك ادخلوها آميننا
وبختمها بقوله :

أدرت على الفرنج - وقد تلاقى جموعهم عليك - رضى طحونا
فى « بيسان » ذاقوا منك بأسا وفى صفد أتوك مصفدنا
وخانهمو الزمان ولا ملام فليست بمقبض زما خنونا

وترى ابن الساعاتى يحاول أن يجف فى قوله بيسان وبأسا وقوله شعراء العهد
لأيوبي ، وهو نوع من أنواع سد الفراغ فى صناعة الشعر فى هذه العهود المتأخرة .
ولا ننسى أن نذكر أن صاحب النجوم الزاهرة هو الذى ذكر هذه القصيدة

(١) تمس اللحم كنغ وسمع أعده بتقديم أسنانه وبنغ .

في فتح « حطين » ، على حين ذكرها صاحب « الروضتين » ، أبو شامة في فتح طبرية ^(١) ويبدو أن الشاعر قالها في فتوح صلاح الدين كما يفهم ذلك من الأسماء التي وردت في القصيدة من بيسان وصفد وطبرية وغيرها ، ومن بينها حطين ويظهر هذا أن أكثر فتوح صلاح الدين كان في سنة كسرة حطين ^(٢) ، ولفتيان الشاغوري من شعراء هذا العهد في يوم حطين من قصيدة يصور فيها تدمير المشركين وتحاضهم على القتال ومداغة صلاح الدين لهم وغشاه في حربهم ، ثم يخلص إلى الدعاء له ألا يعدم المسلمون منه أيادي لم تتحد فقد أمن سربهم وصان حريمهم ودفع عنهم قواصم الظهور وعظائم الأمور :

جاشت جيوش الشرك يوم لقيتهم يتنامرون ^(٣) على متون الضمر
أوردت أطراف الرماح صدورهم فولفن في علق البخيع الآخر
وعجمت عود صليهم فكسرتهم وسواك ألقاه صليب المسكر
لا يعد منك المسلمون فكم يد أوليتهم معروفها لم ينكر
آمنت سربهم وصفت حريمهم ودرأت عنهم قاصمات الأظهر

ولو أننا أردنا أن نلم بكل ما قاله الشعراء في فتوح صلاح الدين وغيره ، من ملوك الأيوبيين لطال بنا الحديث وأعيانا علينا الأمر ، فقد كان الشعراء لهذه الفتوح بالمرصاد يسجلونها - وهم كثرة ساحقة في أشعارهم عظمتم هذه الفتوح أم صغرت ، لأن المعنى الذي يحسه الشاعر من هذا الفتح معنى عاطفي ديني جدير أن يبعث فيه الحماسة والفخر فترى لهؤلاء الشعراء شعرا في موقعه مرج ^(٤) عيون كقول أبي علي حسن الجويني :

(١) بلدة مطلة على البحيرة المعروفة ببغية طبرية وهي في طرف جبل مغل عليها ، وهي من أعمال الأردن بينها وبين دمشق ثلاثة أيام .

(٢) الروضتين ٢ - ٧٥ .

(٣) التدمير التحاض على القتال .

(٤) بك بسواحل الشام .

إن هذا الفتح المبين شفاء لصدور وقرة لعيون
هو يوم أضحى كيوم حنين سهل الله نصره في الحزون
ولا بن التعاويذى الشاعر في هذه الموقعة أيضا قوله :

إن كان دينك في الصيانة ديني فقف المطى يرملى يبرين
كاد الأعداى أن يصيبك كيدها لو لم تكذك برأيها المأفون
كنوا وكم لك من كمين سعادة في الغيب تظهر من وراء كمين
قهرت نجوم سعدوم وقضى لهم بالبحس طائرهم يمرج عيون^(١)

ونرى لهم شعراً في حصن الطور كقول الأمير الحلبي الشاعر يخاطب العادل
الأيوبى وينبهه إلى نزول الفرنج بحصن الطور وأن هذا الحصن في تعلق المسلمين به
وتعلمهم إليه لا يقل عن بغداد :

قل للخليفة لا زالت عساكره لها إلى النصر إصدار وإيراد
إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا تغفلن لخصن الطور بغداد
ويقول ابن سناء الملك الشاعر المصرى في تخلصه بتبتين ، من أيدي الأعداء
مخاطباً صلاح الدين :

قدمت بالسعد وبالقمم كذا قدوم الملك المقدم
أغثت ، بتبتين ، وخلصتها فريسة من ما ضنى ضيغم
قيصك الموروث عن يوسف ما جاء إلا صادقا في الدم
شفشتة تعرف من يوسف في النصر لا تعرف من أخزم

وإن كنا نجد تعبير الشعراء عن هذه الفتوح الصغيرة من اللوحات الحافظة
والتصورات العابرة التي لا تصل إلى حد التجارب الشعرية المستفيضة التي عرفناها
في تلك الفتوح الكبرى وإن كان الشعراء على أى حال قد أدوا واجبهم ولم ينكصوا
عنه ولم تشغلهم شواغل العيش والحياة ولم يلهمهم العكوف على المجاعة والمعاناة
شأنهم في كل العهود .

النقد الادبي عند العرب

لنفسير الأستاذ الشيخ عبد المجيد محمود المسامحة

المدرس بكلية اللغة العربية

تستقر في الفطرة الإنسانية ، وتكن في الطبيعة البشرية غريزة أصيلة ، تؤدي رسالة سامية ، وتقوم بمهمة جليلة دقيقة ، تلك غريزة الرضى أو السخط ، والاستحسان أو الاستهجان لما يتردد أمامنا من مظاهر الكون أو يمر بنا من صور الحياة ، فكل إنسان مهما كان حظه من العلم ، ونصيه من المعرفة خاضع لهذه الغريزة ، مستسلم لتلك الطبيعة ، يحب ويكره ويقبل ويدبر ، ويرضى ويغضب ويتأثر حتما بما يطوف به من أحداث الدنيا ومظاهر الوجود ، إرتياحا أو انقباضا ، ومعرفة أو إنكاراً ، وبهذه الغريزة استطاع الإنسان أن يتدرج في مدارج الكمال ، وأن يصعد في معارج الرقى لأنه حاول دائماً أن يحتفظ بما يحب وأن يثور على ما يكره ويمقت فيغير وضعه ويزيل أثره ، وأصبحت تلازمه فطنته إلى مواطن الكمال وإحساسه بمواضع النقص ، وهذه هي التي تسمى في عرف الناس بالنقد . فهو ليس إلا الإدراك والتمييز وقوة التمييز حتى يتسنى اختيار الأكل وانتقاء الأحسن واجتناب الفساد وتوخي الصلاح .

وعلى هذا قامت الحياة وتقلت في أطوارها المختلفة وتنوعت في أدوارها المتباينة ، تستقيم أو تعوج ، وتسير على الجادة أو تنحرف على مقدار ما تستيقظ هذه الغريزة أو تغفو ، وتنشط في رسالتها أو تفر وتبلى .

ونحن في هذا البحث الموجز العابر لا يعنينا من جوانب النقد إلا ناحية واحدة ، هي التي تتصل بالكلام وتدل على مكان بلاغته وموضع قوته وتعلن عن سموه وإبداعه ، أو تجلى عيوبه وتبرز مناله ، وتوضح مظاهر ضعفه وتهاوته .

فما هو هذا النقد أولاً ؟ ومتى نشأ عند العرب ؟ وعلى أى أصل قامت دعائمه ونهض بناؤه ؟

كان العرب يطلقون النقد والتفقد والانتقاد على تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها .

أنشد سيويه في وصف ناقة .

تفتي يداها الحصى في كل هاجرة تفتي الدراهم تنماد الصياريف ^(١)

ويقال عندهم : نقدت الدراهم وانتقدتها أى أخرجت الزيف منها .

وهذا المعنى هو أنسب المعاني وأوثقها صلة بما نريده من كلمة النقد الأدبي . فهي تميز جيد الكلام من رديئه وساميه من سوقيه وبلغيه من سفسافه . ولا يتأتى للبرء في هذا أن يصل إلى حكم صحيح ، وميزان صائب إلا إذا كان ذا فهم ناضج ودراسة شاملة حتى يستطيع أن يقيس الأشباه بالأشباه ويضع النظير إلى جانب النظير ويوازن بين الأساليب المتحدة في المنزع والفكرة .

وإن الناظر في تاريخ النقد الأدبي عند العرب يرى أن مولد هذا الفن يقترن أشد الاقتران بمولد الشعر ، فهو استحسان لما أبدعوا من هذه الصور الفنية الخلاقة ، أو استهجان لما يبدو فيها أحياناً من عدم استواء الخلق أو يتخللها من القصور في العبارة أو الفساد في المعنى أو الاضطراب في أداء المراد .

ونحن لا نستطيع أن نعرف مولد النقد الأدبي كالم نستطع أن نحدد بالضبط مولد الشعر العربي ولكن الشعر إذ وصل إلينا قبل الإسلام بنحو قرن من الزمان أو أكثر صحبه النقد كذلك في صورة لا تخلو من دقة والمعية ، وإن اعتمدت على الإجمال في الإشارة إلى مواضع الحسن أو القبح ، وكان أكثر النقد يرجع كذلك إلى أحكام عامة مردها لإشراق النفس وشدة إحساسها وسرعة إدراكها للقوة أو الضعف ، والجيد أو الرديء ، ويقينها بأنه لا يخفى منه شيء على ذوى الفطن وأهل البلاغة ومن يحسنون ذوق الكلام ويفرقون بين مختلف الأساليب .

فلم يكن يعنى الناقدون إذ ذاك أن يمعنوا في بيان العلل وذكر الأسباب ، ولا أن يفيضوا ويطنبوا في شرح المآخذ وتحليل العيوب ، إنما هي لمحات يستشعرها

(١) تفتي : تدفع الهاجرة : شدة الحر ، الصياريف : مفردة صيرفي وهو يباع النقود بغيرها من النقود . يشبه ثمرها الحصى يثر الصيرفي الدراهم .

الناقد وينظامن إليها السامع لأول وهلة ، ولعل الذي دفعهم إلى ذلك أولاً ما فطروا عليه - وهم أهل فصاحة وأمرأ بلاغة - من قوة الحس وشدة الإدراك وبقظة الوعي البلاغي وسمو الفطنة لما يمر بهم من رائع القول وجزل الكلام .

ثم أغراهم ثانياً بهذا اللون من تمييز الكلام والدلالة على أقداره ما يكون بين الشعراء عادة من تنافس على سبق وتراحم على أبواب الملوك والأمراء وذوى الجاه واليسار التماساً لمعطائهم ، واستمناحاً لبرهم ، لحاولوا الصقل والتجويد ورغبوا في التنقيح والتهذيب ، حتى نشأ بينهم عيب الشعر ومن عرفوا بأنهم أصحاب الحوليات . وليس ذلك إلا التماساً للكمال وتجنباً للنقص وبعداً عما عساه يتردد في نفوس السامعين من تهم لمعب أو استنكار للبرز .

وكان العرب من أشد الناس احتفالاً بالشعر ورغبة في سماعه ، فكانوا يجتمعون في الأسواق العامة والمحافل الجامعة ، ويتناشدون أشعارهم ويتطارحون قصائدهم ، وقد يدفعهم الإعجاب بالشعر والانتشاء برحيته أن يعلنوا عن مظاهر سموه وبحال إبداعه لما قد يغريهم الحقد والتحاسد إلى استعراض عيوبه واصطياد مساوئه ، وربما جرم التلاحى في ذلك والتأري في الحسن والقبح إلى الاختلاف إلى الأحكام والذهاب إلى خبراء الفن ليحكمهم فيما شجر بينهم من خلاف ، حتى ليروى أن النابغة الذبياني كانت تضرب له في عكاظ قبة من آدم فيجلس فيها ويتحأك إليه الشعراء ، وقد وفد عليه فيمن وفد حسان بن ثابت والحفساء ، فأنشده حسان قصيدته :

لنا حاضر نعم وباد كأنه شماريخ رضوى عزة وتكرما

وأنشدته الحفساء في رثاء أخيها صخر :

قذى بعيفك أم بالعين عوار أم ذرفت إذ دخلت من أهلها الدار

فقال للحفساء : لولا أن أبا بصير - يقصد الأعشى - سبقك لقلت إنك أشعر من بالسوق . وكان الأعشى قد سبق وأنشده قصيدته :

ما بكاء الكبير بالاطلال وموالى وما ترد سوالى ؟

وقال لحسان : إنك لشاعر ، فغضب حسان من ذلك أشد الغضب ، وقال والله
إنى لأشعر منك ومنها فقال له النابغة إنك يا بنى لا تحسن أن تقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع
ويروى أنه نقده فى بيته

لنا الجففات الغر يلعن بالضحى وأسافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا لبنا
فقال له : أضعفت نفرك وأقللت جفانك ونفرت بمن ولدت ولم تفخر
بمن ولدك .

فنحن نرى أن الرغبة فى السبق والطموح إلى علو المكانة وسمو المنزلة قد دفع
إلى اصطياذ المعاييب وتلقف المغامر ، كما أغرى بالدلالة على مكان الحسن وسبب
التفوق فى بيت النابغة .

وهناك عامل آخر مكن للنقد الأدبى ، وأرسى أساسه وأقام دعائمه ، ذلك
هو عصية كل قبيلة لشاعرها ونفراها بما صدر عنه من قول . وما أثر له من شعر
واعترازها بما وفق إليه من بارع المعانى ورائع الآخيلة ودقيق الصور ، والناسها
لمعايب غيره من الشعراء حتى يخلص لهم مجال العظمة ويتوفر لديهم الإقرار
بالسبق والغلبة .

هذه بعض العوامل التى هيات للنقد أن يوجد ويقوم بدوره ويؤدى رسالته
فى الحياة الفكرية للعرب وقد خلعت عليه من أسباب البقاء وعناصر الخلود ما جعلته
يؤتى أكله شهيا طيباً وينهض بمهمته قويا دائما .

وإن من يستعرض أمثلته ويستحضر وقائعه من لدن الجاهلية يدرك أنه
كان يقوم دائما على البصيرة الثيرة والذكاء النافذ والألمعية السريعة الطيعة دون
إجهاد للفكر وكدة للذاكرة واستغراق فى البحث والتنقيب .

سمع طرفه بن العبد وهو صبي منشداً ينشد قول المتأسس .

وقد أتتسى الهم عند احتضاره بناج عليه الصعيرية مكدم^(١)

(١) الصعيرية : سمى تكوّن فى عنق الدابة لا البعير . وناج : جل سريع . وينقلب هذا فى وصف

الدابة فيقال ناجية . ومكدم : صلب .

فقال على الفور : استنوق الجمل ، وذلك لأن الشاعر وصف البعير بالصغيرة وهي من سمات الناقة لا البعير .

ويروى أن امرأ القيس^(١) وعلقمة بن عبدة تحاكما إلى أم جندب الطائية زوج امرئ القيس في أيهما أشعر ، فبعد أن استمعت إلى ما اختاره كل منهما من شعره وأنشده قالت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك لأنك قلت في وصف فرسك :

فلسوط ألحوب والساق درة وللزجر منه وقع أخرج مذهب^(٢)
فقد ضربت فرسك بسوطك وحركته بسافك وزجرته بصوتك ، وقال علقمة في وصف فرسه :

فأدركن ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب^(٣)
فأدرك فرسه الصيد ثانياً من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب . ولم يضربه بسوط ولم يتعبه .

ويروى أن النابغة كان يقوى في شعره^(٤) دون أن يلتفت إلى ما في هذا من تشويه يفض من جمال الشعر ويؤذي من قدره ، فقدم للدينة وأنشد أهلها قصيدته :

أمن آل مية رائح أو مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود
وفيها :

سقط النصف ولم ترد أسقاطه فتاولته واهتتا باليد
بمخضب رخص كأن بسانه غم يكاد من اللطافة يعقد

(١) الموشح ص ٣٠

(٢) الأخرج : ذكر النعام والفرج يباح في سواد . ومذهب أى مصرع في عدوه . ومعنى لسوط ألحوب أى يلهب جريه حين يضرب به . والساق درة : أى إذا غمز در بالجرى ،

(٣) ثن هان فرسه : جذبه نحوه . والرائح : السحاب ، والمتحلب : المتساقط المتتابع .

(٤) ص ٣٩ الموشح .

فعب عليه هذا الإقواء وقيل له : إنك تكفيء الشعر فلم يأبه له فقدموا إليه قينة تغنيه وتبين الياء في (مفتدى ومزود) والضممة في (الأسود ويعقد) ففطن لذلك وأدرك أن في شعره نشاراً وغيره بقوله (وبذاك تتعاب الغراب الأسود) ، (عنم على أغصانه لم يعقد) ولم يعد بعد ذلك يقوى في شعره وقال : دخلت يثرب وفي شعري عهدة وخرجت منها وأنا أشعر الناس .

وأشدد الأعشى قيس بن معد يكرب أحد أشراف اليمن مديحاً له ، فلما وصل إلى قوله :

ونبت قيساً ولم آته وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابه عليه ورده ولم ينفعه لديه لإصلاحه له بقوله :

ونبت قيساً ولم آته على نأيه ساد أهل اليمن

ومن هذا نفهم أن النقد لإبان المصير الجاهلي كان قائماً على الذوق والحس والإدراك العام وانفعال النفس وتأثرها لأول وهلة ، وأنه لم يكن يقوم على طول التفكير وعمق البحث وطول تردد النظر ، فتلك خلال الباحث الدارس الذي يستجمع الشوارد ويستحضر النظائر ويدبم الدرس ويطيل الموازنة بين هذا وذاك ويحتشد للتحليل والاستقصاء .

وليس النقد الأدبي عند الجاهليين في مظهره ومخبره إلا تمشياً مع الفطرة وانقياداً للسليقة التي تعرف وتسكر ، وتستجيد وتستهن ، وفقاً لما تذوقه من أساليب وتألفه من صور .

على أن النقد بعد أن وضعت له القواعد ونصبت له الموازين لم يستطع أن ينقض شيئاً مما ساقته الفطر وبعثه انفعال النفس وتأثرها لانه عمل الطبيعة المشرقة المستنيرة التي لم يفسدها تصنع ولم يداخلها كذب في الحس والشعور .

الوسائل والغايات

نفسية الشيخ جبر المتولى عبد الباسط
المدرس في كلية الشريعة

لكل إنسان في هذه الحياة مقاصد يهدف إليها ، وغايات يسعى إلى تحقيقها .
فن الناس من يهدف الى الخير ، ومنهم من يهدف إلى الشر ، ولكل من هؤلاء
وأولئك وسائل لتحقيق أهدافه وغاياته ، فن الناس من يسلك إلى الخير طريق
الخير ، ومنهم من يسلك إليه طريقا معوجا مليئا بالثبور والآثام ، ومن الناس
من يسلك إلى الشر طريق الشر والإثم ، ومنهم من يسلك إليه طريق الخير والبر ،
وإن - في هذه الكلمة - أحوال أن أبين ما هو المشروع من هذه الغايات وما هو
المشروع من هذه الوسائل ، وهل الغاية تبرر الوسيلة ؟ وهل حسن النية ونبل الغاية
يحسن التبيح من الأعمال ؟

قد يبدو لك - أيها القارئ الكريم - أن الجواب عن هذا السؤال سهل وأنه
يكاد يكون معروفا للجميع ، ولكنك ستعرف عند البسط والبحث أن الموضوع
يحتاج إلى كثير من التفكير .

لا شك أنه إذا كانت الغاية شريفة والوسيلة إليها مشروعة كان العمل صحيحا
مثابا عليه في نظر الشرع ؛ وبالعكس إذا قبحت الغاية والوسيلة كان عملا مردوفا
معاقبا عليه ؛ وأقبح من ذلك إذا ساءت الغاية وحسنت الوسيلة فإن ذلك هو النفاق
والرياء واتخاذ الدين تجارة دنيوية وجعله سلعة في سوق الشهوات ، وصدق من قال :
إذا رام كيداً بالصلاة مقيمها فتاركها عمدا إلى الله أقرب

يقى ما إذا حسنت الغاية وقبحت الوسيلة ، فهل حسن الغاية يبرر الوسيلة ،
وتكون العبرة بالمقاصد والنيات لا بالوسائل والمقدمات ؟ إن إطلاق القول
بالتحسين أو التضييع خطأ فاحش فإننا نعلم أن الشرع أباح الكذب - وهو قبيح -
لإصلاح ذات البين بين متخاصمين أو لإصلاح أمر الزوجة أو خداع الأعداء في حال
الحرب ، ونعلم كذلك أن الشرع اعتبر التقرب والعبادة لغير الله شركا وإن كان
الغرض منها التقرب إلى الله والالتفات إليه سبحانه . . ومن هذا يتبين لنا أن حسن

الغاية قد يبرر الوسيلة أحيانا ، وقد لا يبررها أحيانا ، فوجب أن ننظر في كل حادثة نظرة عميقة ، حتى تكون الفتيا في كل مسألة صوابا أو قريبا من الصواب . ولا يحسن بنا أن نقول كما يقول بعض الناس تبريرا لأخطائهم : إنما الأعمال بالنيات .

هناك جماعات من الناس يهدفون إلى الخير ويسلكون إليه سبلا غير مشروعة بجمع التبرعات بطرق اللهو والفجور ، أو ببيع أوراق الأناصيص ، فهل حسن النية وشرف القصد يبيحان هذه الوسائل المتكررة ؟ كلا ، فقد بين الله سبحانه طرق البر وهي كافية لتحقيق أغراض الخير من المخلصين ؛ وأبطل الله أنواعاً من البر لما يشوبها من شر مستطير وإثم كبير ؛ فقد كان الميسر في الجاهلية طريقاً من طرق البر ، وكان ما يربحه اللاعبون يتفق على الفقير والمسكين ، ولكن لما غلب جانب الشر على جانب الخير حرّمه وأخبر أنه من عمل الشيطان . يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما .

وهذه سنته -- سبحانه -- في تشريعه الحكيم إذا غلب جانب الخير على جانب الشر أباح الفعل وأثاب عليه ، وإذا غلب جانب الشر على جانب الخير حظره وعاقب عليه ؛ فإن الشر المحض والخير المحض لا يوجدان في هذه الحياة ، ومن هنا يتزاق كثير من الناس في الخطأ ، فإن أحبوا أمراً لم يبد لهم إلا محاسنه فذهبوا بطروئه ويدعون إليه ؛ وإن أبغضوا أمراً لم يبد لهم إلا جانب الشر ، فراحوا يعددون مساوئه ومثالبه ويدعون إلى خطره وتحريمه ؛ وقد يكون فيما دعوا إليه شر لا يقادر قدره ، وفيما نهوا عنه خير كثير لا يدرك غوره . وقد يما قالوا :

وعين الرضا عن كل عيب كليله كما أن عين السخط تبدي المساويا

نعم إن الشرع أباح الكذب في أحوال ثلاث تقدم ذكرها ، وليس معنى هذا أن تقيس غير الكذب على الكذب أو أن تنيح الكذب في تحقيق أغراض أخرى مهما كانت شريفة ونبيلة وإلا فتحنا باباً من الشر لا يمكن إغلاقه ، واقتحمنا حصن الدين بالآهواء والغايات الشخصية .

ولنا إذاً أبجنا الكذب لغاية شريفة نبيلة غير الغايات الثلاث المذكورة آنفاً أجزنا الكذب على الله ورسوله إذا خيل إلينا أن في الكذب عليهما مصلحة دينية . ولا يقول بذلك عاقل فضلاً عن مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر .

وهل يحل للمرأة المسلمة أن تعرض محاسنها على رجل أجنبي لتحمله على التبرع لمشروع خيرى ؟ وصدق من قال « ليتها لم تزن ولم تتصدق » !

إن إباحة الكذب فى الأحوال السابقة إنما شرع على غير القياس - كما يقول الفقهاء - أو شرع على طريق الاستثناء كما يقول علماء القانون المحدثون - وما شرع كذلك لا يقاس عليه ، وإلا صار قاعدة وخرج عن كونه استثناء .

بقيت مسألة هامة تتردد فى النفس ، وهى أنه قد أصبحت الجاسوسية أساساً تقوم عليه الحروب وعاملاً هاماً من عوامل النصر والظفر ، وتعتمد الجاسوسية - غالباً - على النساء لمعرفة أسرار الأعداء ، فالرجل غالباً لا يفتح مغاليق قلبه إلا للمرأة فهل يباح للمرأة المسلمة أن تشغل بالجاسوسية لمصلحة بلادها وقومها وأن تجعل من نفسها أداة لكشف أسرار أعدائها ولو أدى الأمر إلى ارتكاب الفاحشة والتسليم فى عرضها ، ولا سيما إن تعينت وسيلة لهذه الغاية التى لا يشك أحد فى خطرها ونبلها ؟

والذى أطمئن إليه وأعتقد أن أحداً لا يخالفنى فيه أن انتهاك العرض محذور فى جميع الأحوال . وأن الله - سبحانه - يغار على الأعراض أكثر من غيرته على الأرواح ؛ فقد أباح لزهاق روح القاتل والزاني المحصن ، ولم يبيح انتهاك العرض فى حالة من الحالات . ولهذا فلن يؤتى النصر قوما جعلوا أعراضهم وسيلة للغلبة على أعدائهم .

وقد أباح الشرع قتل المسلمين إذا قرس بهم المشركون ولم يمكن الوصول الى العدو إلا بقتلهم ، ولكنه لم يبيح انتهاك أعراض الناس وإن كانوا أعداء للدين وحرباً على المسلمين ، فكيف نبيح للمسلمين أن يسمحوا لامرأة مسلمة أن تباع عرضها فى سبيل سر من الأسرار مهما كان خطيراً .

ولهذا فإن تاريخ المسلمين منذ نشأته الى اليوم لا يعرف هذا اللون من الجاسوسية الحقيرة الدنيئة .

وبعد : فإن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وإن للحلال طرقاً بينها الله ورسوله ، وليس لنا أن نستدرك عليهما وأن نأتى بوسائل من عند أنفسنا .

« يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم »

تعبئة الأمة الإسلامية

للمؤستاذ الدكتور محمود فياض

المدرس بكلية أصول الدين

١ - عرف القارىء الكريم مبلغ حرص الإسلام على تحقيق السلام فى المجتمع البشرى ، وأنه لم يدع وسيلة توصل إليه إلا لجأ إليها ، مستهدفا سعادة البشرية وهدايتها إلى ما شرع الله لها ، وأن الإسلام قد أقر الحريات العامة للفرد والجماعة بأوسع ما عرف من معانى الحريات ، ولا شك أن المسلمين كغيرهم من أرباب الملل والنحل والمبادئ ، لهم مطلق الحرية فى الدعوة إلى دينهم وعقائدهم ، فى غير ظلم ولا إكراه ، لأن طبيعة العقيدة تأبى ذلك ، وأن دعاة الإسلام قد قوبلوا بالعنف ، وصدوا عن الدعوة بالأذى والتنكيل والتقتيل ، وأن المسلمين قد وجدوا أنفسهم مكرهين على الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم ، وحرية العقيدة بصفة عامة ، فحملوا السلاح فى وجوه قوم لا يؤمنون بالحق ولا بالحريات ، ولقد فرّضت الحرب على المسلمين تصرفات خصومهم بردودهم على الدعوة . ولقد يعلم القارىء أن الحق ومبادئ الإصلاح والخير ، لا بد لها من قوة تحميها ، وتذب عنها ، لأن الظالمين وأهل الفساد لا يحترمون دائما غير القوة ، وجميع رسائل الإصلاح الربانية ، والإنسانية ، قد عرفت القوة ساجدا للحق ، والسلاح طريقا للتركز ودفع شرور المفسدين ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين . ولم يكن الإسلام بدعا من الأديان وهو نهايته تشريع الرحمن للإنسان ، وما كان المسلمون بدعا من طلاب الإصلاح والإصلاح ، فحملوا السيوف يمحاولون بها قوى الشيطان والطغيان ، لإقرار الحريات والسلام ، ولهداية الناس فى غير ضعف ولا مذلة ، مبتغين العزة والكرامة غير ظالمين ولا متجبرين .

٢ - وأنت إذا تأملت مليا جميع مبادئ الإسلام ، وأوامره ونواهيه ، وشرائعه فى العبادات والمعاملات ، وشتون الاجتماع ، والجهاد وما يتعلق به ،

وجدت الإسلام قد عني أولاً: بتعبئة جميع قوى الخير في الأمة، للقضاء على دوافع الشر فيها، ليجرد منها لهداية الناس، خير أمة أخرجت للناس، داعية إلى الخير، متعلقة بأسباب الحب والسلام، وثانياً: بعد تصفية النفوس في الأمة وتوجيهها للخير العام، يثنى فيعبي جميع القوى المادية والمعنوية في الأمة، للحفاظ على التوجيه الحسنى، ومواجهة تكاليف الدعوة، والسير بها قدماً إلى الهدف المنشود، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى؛ فالمسلمون أمة معبأة للدعوة والجهاد في سبيل الله، وقوة المسلمين شرط لتحقيق عزتهم، وعلو كلمتهم، وسيادة دينهم، وهم «في رباط إلى يوم القيامة، واستعدادهم الحربي الدائم، أمر واجب لمجاهمة أحداث الزمان، وحراسة الدين، ومبادئ العدل والخير، ولقد علم العقلاء أن العزة، وعلو الكلمة، والسيادة، لا يستحوذ على شيء منها ضعيف، ولا يحفظ بها ذليل، فإذا ترك المسلمون الاستعداد الدائم للجهاد أصبح الدين ومبادئه، مجرد معنويات، ومحفوظات، ومرويات، لا تحقق عزة ولا تدفع كيد عدو، ولا تقيم سلطاناً، ولا تحفظ كيانات، وفي ذلك جاءنا: «ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، وضرب بعضهم وجه بعض، وأصبح بأسهم بينهم شديداً، ولقد صدق التاريخ هذا الأثر الشريف. فانظر أين شئت إلى المسلمين، فهل تجد غير شعوب مستعبدة، وأمة شعاعاً فرطت في جنب الله، ونسيت ما شرع الله لها من أسباب القوة، واستكانت إلى الدعة، فضعفت الهمم، وفترت العزائم، وضل سعيهم في الحياة الدنيا؟ وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون».

٣ — ولقد كانت هذه التعبئة ضرورية جداً لتدعيم القومية الجديدة التي صنعها الإسلام^(١)، وهي القومية الإسلامية، فقد جمع الإسلام شتات العرب إلى وحدة عامة، يستوى في ظلها كل أفراد العرب، وأثار بذلك فيهم الشعور بالقومية العربية، والأخوة العربية، ثم تناول الإسلام بالتغيير كثيراً من قواعد العرب الاجتماعية والخلقية، وعدل كثيراً من نظمهم وعاداتهم، وصقلهم صقلاً روحياً خاصاً، ثم ربط بينهم بالأخوة الإسلامية، وتمهد ذلك الرباط بالتنمية والتغذية، حتى صفت نفوس العرب تماماً، وتخلصت من شوائب الجاهلية،

(١) راجع كتابنا عصر الخلفاء الراشدين ص ١١٢ وما بعدها.

وسيطر عليهم وجدان ديني، وهيام روحي، وفداية مثالية في سبيل نصرته الإسلام، ومن هنا تحولت القومية العربية إلى قومية إسلامية، يشرف عليها الدين، ويوجه نشاطها إلى الخير العام للمسلمين في شتى نواحي النشاط الإنساني، ويكلفها حمل الرسالة وتبليغها إلى الناس كافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، فاتجهت إلى هدف واحد، هو نشر الإسلام، وحمايته، وتيسير هداية الناس به إلى أقوم سبل السعادة والقرب من الله سبحانه وتعالى :

ومن هنا تدرك أن المقصد الأول من « الجهاد الإسلامي »، ثم من الفتوح الإسلامية . هو مقصد روحي، ديني، هو هداية الناس إلى الدين الحق، ودعوتهم إلى القرب من الله رب العالمين ؛ ولم يكن هدف الجهاد هدفا ماديا ، كالتوسع السياسي أو الانتعاش الاقتصادي كما يزعم ذلك كثير من المشرقين^(١) ، وإلا فلماذا لم يتحرك العرب قبل إسلامهم ، للخروج من بلادهم إلى مثل هذا الغزو المنظم ، جريا وراء مصلحة اقتصادية أو توسع سياسي ؟ وإذا عرفنا أن العرب قد حبسوا قرونا طويلة في بلادهم قبل الإسلام ، ثم أنهم لم يتحركوا إلى الفتح إلا بعد إسلامهم ، مع حبهم للديار وطول الألفة ، عرفنا أي سيطرة روحية دفعتهم إلى الخروج مجاهدين في سبيل الله ، لا يبتغون إلا وجه الله والدار الآخرة !!

وإذا كانت حركات الجهاد في سبيل نشر الإسلام ، قد جرت إلى المسلمين مقام كثيرة ، وبططت سلطانهم على بلاد كثيرة ، فإن ذلك جاء تبعا ، ولم يكن هدفا ، أو لم تعلم أن الله قد عاقب المسلمين عامة يوم أحد بالهزيمة ، لأن بعضهم جرى وراء الكسب والمنفعة ، ونسى الهدف الأول ، وأهمل تعاليم القيادة ؟؟ ولم ينس المسلمون بعد هذا الدرس التأديبي الخالد ، وكذلك لم يكن التوسع السياسي هدفا مقصودا قصداً أوليا ، فقد ترك المسلمون كل الإدارات المحلية في البلاد المفتوحة في أيدي الوطنيين من أبنائها .

على أن العنصر الاقتصادي والسياسي اللذين صاحبا الجهاد ، لو كانا مقصودين مع الدعوة إلى نشر الإسلام ، الإسلام الذي يمزج بين جميع الأجناس والعناصر ، ويسوى بين المسلمين جميعا من كل لون وجنس ، ويحاول إرجاعهم أسرة واحدة ،

(١) اقرأ أسباب الفتح في كتاب الخلافة السعيدة ولهم ميور الانجليزى .

لما جاز أن يكون ذلك القصد مأخذاً على الإسلام ، أو طعنا يوجه إليه ، فالإسلام لون جديد من ألوان الإصلاح يهدف إلى سعادة الإنسانية كلها في ظلال الحرية ، والحق والعدل ، والبر والإحسان . وقد كان ذلك لازماً للقضاء على الفساد المنتشر في العالم كله ، والذي يعترف بوجوده قبل الإسلام جميع المؤرخين والمستشرقين !!

والمسلمون لا يحاربون غير أهل الكفر ، الذين يرفضون الدعوة إلى الله ، ويعتدون على المسلمين ، ويصدونهم عن سبيل الله ، ويحولون بينهم وبين دعوة الناس إلى دينهم ، ويرفضون السلام بدفع الجزية ، ويصرون على العناد وحرب المسلمين ، ويحاربهم المسلمون لإقرار السلام في المجتمع البشري ، وإقرار حرية الاعتقاد ، وحرية الدين والتدين ، وحماية الدعوة ، والمحافظة على الدعاة ، ورد كل عدوان يقع على وطن المسلمين أو أعراضهم أو أموالهم ، ودفع العدوان حق لكل إنسان بمقتضى قانون العطرة ، ولو استناب المسلمون ، أو المصلحون في أى عصر ، إلى كل اعتداء يقع عليهم ، لما تمت رسالته ، ولما تحقق إصلاح ، ولهذا كانت سنة الله أن يدفع الرسل والمصلحون كل عدوان على أنفسهم أو دعوتهم ، غير بادئين ولا ظالمين ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين .

٤ — لهذا يتجه الإسلام إلى إعداد المسلمين للجهاد إعداداً روحياً ، يملأ قلوبهم بالشجاعة والتضحية ، ويرفع معنوياتهم حتى لا تضيق بالآلام ، ويسمو بنفوسهم حتى تستهين بالشدائد ، وتطيب بالبذل ، فقتال العدو ، جهاد في سبيل الله وليس حرباً من حروب البغى والعدوان ، والعدو هو عدو الله ، والمجاهد باذل نفسه وماله لله ودين الله ، وجزاؤه الجنة والقرب من الله ، و الجنة تحت ظلال السيوف ، والمقتول في سبيل الله ، شهيد يحيا عند الله حياة طيبة أسمى وأرفع من هذه الحياة ، ثم هو في درجة النبيين والصديقين عند الله ، وبهذا يثير عواطف المسلمين فتندفع للسباق إلى الجنة ، في سبيل الله . وقد يحرك العواطف بتحريضهم على إنقاذ الضعفاء من الشيوخ والنساء والصبيان المسلمين الذين يستضعفهم العدو ، ويذيقهم مر العذاب ، اقرأ في ذلك قوله تعالى : « فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ، وما لكم لا تتقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال

والنساء والولدان ، ثم يرتفع بالمجاهد إلى أرفع المنارل ، ويقرر له جزاء غير محدود حين يقول للمسلمين : « أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله . لا يستون عند الله ، والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم ، ثم اقرأ بعد هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة بقيام ليلا وصيام يومها » ، « عيتان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله ، « إن الله ليدخل الجنة بالسهم الواحد عامله المحتسب ^(١) » ، والزامى في سبيل الله ، ثم يذكر الله المسلمين بأنه قد قطع على نفسه عهدا للمجاهدين أن يدخلهم الجنة ، ويبرز هذا العهد في صورة تعاقف ^(٢) بين طرفين يوجب على كل طرف الوفاء بالتزاماته وهو عقد يقوم على البذل من المجاهد ، وضمان النصر والجنة له من الله ، « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » ، ثم يربط الله صدق الإيمان بالله ورسوله وحبهما بصدق الرغبة في الجهاد ، ويطلب من المؤمن الصادق البذل والتضحية ، غير مستجيب للشيطان ، ولا ملق بالآل إلى ما يقعد الجبناء من خوف على النفس أو الأهل أو المال ، فيقول : « قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فربصوا حتى يأق الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ، وبهذا الأسلوب القوى يتزع الله أسباب الضعف والجن وال خوف من نفوس المؤمنين ، ويزرع فيها الشجاعة ، وحب البذل ، والاستهانة بزخارف الدنيا في سبيل الحق ونصرة الله ، ويجعل ذلك التخلص من المثبطات دليل الإيمان الصادق ، والاستجابة لها دليل التردد والتشكك والإيمان المدخول . « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » .

فإذا حجب الأمة في الجهاد رجاء القرب من الله ، وألهب عواطف المسلمين ، فأصبحت رغبة في البذل ، وراضية النفس مطمئنة ، عمد إلى المجاهدين بالفعل فأخذهم بنوع من الإعداد أقوى ، وأغرامهم بعبء الله وعدوهم ، ودفعهم بما ضمنه لهم إلى النصر دفعا ، ، يأبى النبي حرض المؤمنين على القتال ؛ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ، فإذا هون عليهم من شأن العدو وأغرامهم به قص عليهم ما يطمئن نفوسهم إلى نصر الله ، بما يحكيه عن المؤمنين السابقين ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ، لأن السكينة المترامية التي لا يدفعها إلى القتال دافع وروحي ، أو هدف قومن به ، لا بد من هزيمتها أمام القوة التي يلهمها الإيمان ، ويشعل في نفوسها روح القتال ، والرغبة الصادقة في الوصول إلى الهدف المنشود ، وإمداد الله للمؤمنين المجاهدين بجنده ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، ليثبت في قلوبهم الثقة بالفوز ، والإقدام ، ، إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ، .

وهكذا يوجه المجاهدين إلى طلب الفوز ، ثم يعلمهم بأن السكينة والقلة ، ليست إحداهما شرطا للنصر ، فالنصر بيد الله يعطيه لأحيائه ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، ، إن تصبروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، ثم يحرض المجاهدين على الاستمسك بالقوة ، والمثابرة على الجهاد في سبيل الله ، لأنهم دعاة الله ، وألسنة الحق ، وهم الأعلون ، ويرجون من الله النصر والجنة ، وليس للعدو في الله رجاء ، ، ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم ، ، ولا تنهوا في ابتغاء القوم ، إن تكونوا تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون ، وترجون من الله ما لا يرجون . . . ، ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، . والموت في سبيل الله هو أسمى حياة ، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، وهكذا يتم الإعداد الروحي للأمة الإسلامية كلها ، ولرجال الجهاد بصفة خاصة ، ويتقف المؤمنون على أهبة تامة للجهاد والبذل في سبيل الله ، يرجون الله والدار الآخرة ، وما فيها من باقيات خالديات .

البائية والبهائية

« الدين ، البهائي »

لمؤسسه عمر طلعت زهرانه

أستاذ في الآداب

— ٤ —

ظلت فارس ، بلاد زردشت ، الذي نافح الشر في سبيل الخير ، تعتق دين المجوسية حتى غزاها الإسلام ، فأضحى الفرس مسلمين فيما عدا جماعات قليلة ظلت على مجوسيتها . وفي فارس ظهرت حركات أثرت على تاريخ الإسلام ، منها الحركات السياسية كثورة الخراساني التي أثمرت الدولة العباسية ، أو حركات نهضة أدبية قومية أثمرت دحافظ ، والفردوسي ، والحيام ، أو حركات تحريرية أخرجت في دنيا الإسلام نظاما لم تكن معروفة . وفارس - عدا ذلك - هي معقل الشيعة في العالم الإسلامي ، وقد سار الشيعة قدما في التفسير والتأويل ، بل والابتداع ، كما رأينا في مقدمة هذا البحث .

ورأينا في تاريخ الباب والبهاء أنهما أخذنا نفسيهما بالرياضات الروحية ، وأن البهاء ، على وجه الخصوص ، قد درس التصوف وغدا من أئمة عصره فيه . والتصوف - فيما يغلب الرأي - كان خلاصة الفلسفة اليونانية ممزوجة بآراء من الحكمة الشرقية ، فلم يعرف الإسلام الحلول والتناسخ والتشخيص إلا عن هذا الطريق .

فكان حكمة الشرق ، وفلسفة الإغريق ، والأديان السماوية الثلاثة الكبرى ، كانت هي جميعاً المنبع الذي أخذ منه الباب ومن بعده البهاء ، وكانت هي التي أمدت هذه الحركة الجديدة بعناصرها ومبادئها .

أما مصدرها الأول ، فكان ولا ريب ، هو : الإسلام ؛ نحا الباب والبهاء منحاه ، واختطوا خطته ، وسارا في حدوده ونطاقه ، أما إذا تعدت البهائية هذه الحدود أو هذا النطاق ، فإنما نجد أثراً للحكمة الشرقية أو للفلسفة اليونانية ،

كما شرحها فلاسفة العرب ، فإن لم يكن هذا ، ولا ذاك ، فهناك غرض يهدفون إليه ، كما سنتبين فيما بعد .

أعلن الباب في شهر مايو سنة ١٨٤٤ ، أنه نبي جاء بدين جديد ، يفسخ الأديان السالفة ^(١) ، وأن على كل فرد أن يؤمن برسالته ، فالباب إذن - في نظر أتباعه - نبي من أنبياء الله ، والأنبياء هم - كما يقول البهاء - : د أهم الشخصيات في تاريخ الإنسانية ، تبين رسالاتهم الغرض الكامل لإرادة الله ، وتحدد مسارح تقدم الإنسانية ، وكل مؤسسى الديانات عند البهائيين هم د رسل من لدن الله ، لا يعلم أحدهم على الآخرين ، فكلهم تجسد ^(٢) للروح المقدس ، . وفي هذا يقول البهاء : « يعرف كل من أوتي قلباً خالصاً نقياً ، أن الله - الجوهر الذي لا تمكن معرفته - قد تعالى عن أفهام البشر ، لا يستطيع لإنسان أن يفهمه التناء ، ولا قلب أن يفهم جلاله ، فإنه قد تحجب بأزلية جوهره القديمة ، وسبق في حقيقته خافياً عن الأبصار ، ثم يتمثل بهاء الله بالآية الكريمة « لا تدرك الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، [١٥٣ : ٦] .

ورسالات الله ^(٣) ليست ، ولم تكن أبداً ، مختصة ببعض الأنبياء دون بعض ، فكل منهم حبيب الله ، ورسوله المختار ، وكلهم دون استثناء يحملون أسماءه ، وكلهم متجسد لروحه ، وهم إنما يختلفون في كم الوحي وقوة النور الذي يأتون به ، فكما يقول الله في كتابه الكريم : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، [٢٥٣ : ٢] ، ويؤول عبد البهاء هذا ، فيقول : « ليس من الضروري أن نخط من قدر ابراهيم وأن نرفع من قدر المسيح ، وليس ضرورياً أن نخط من قدر المسيح لتنادى بهاء الله ، بل واجبتنا هو أن تقبل الحق من الله حيثما نجده ، . وفي قول عبد البهاء تهرب من تفسير معنى الآية الكريمة ، فالبهائية « تعترف ، بالإسلام ، وبأن القرآن من عند الله ، وهم في محاولتهم التوفيق بين القرآن وبين آرائهم التي تخالفه ، يعمدون

(١) يلاحظ هنا تطور الحركة من المهدوية إلى رسالة جديدة .

(٢) يلاحظ الآن المسيحي في هذا النص

(٣) في المذهب البهائي

إلى المغالطات ، وإلى اصطناع المعاني الضخمة يغطون بها مخالفاتهم ، فكأنهم أقرب إلى التلفيق منهم إلى التوفيق .

يقول عبد البهاء : « إن ما يهدف إليه بوذا وكريشنا ومحمد وموسى وغيرهم من مؤسسى الديانات الكبرى ، هو نفس ما يهدف إليه المسيح وبهاء الله . » ونرى من هذا أن البهائية هى أول من يقول ببقوة بوذا وكريشنا ، بل إن كل دين موجود فى العالم ، هو عندهم من عند الله ، وهم يأخذون به ، ولكنهم يدعون أتباعه إلى اعتناق دينهم ، الجديد ، لأنه آخر دين ، حتى هذا التاريخ . وهم لا يقولون إن البهاء هو آخر الأنبياء ، لا ، بل سيظهر بعد موته بألف عام نبي آخر ، على المؤمنين (البهائيين) أن يتبعوه .

والبهائيون بهذا ، يحذقون فن الدعاية ، فهم يحاولون اكتساب الجميع ، خاصة وهم ينادون بأن الرسول ليس شخصاً منفصلاً ، وإنما هو نقطة فى خط المعلمين ، قد أرسله الله برسالة خاصة ، وهو يظهر تحقيقاً لوعده [إلهى] سابق . فكل نبي قد بشر بمن سيأتى بعده : تنبأ بوذا أنه سيظهر بعده بوذا آخر يدعى ميتيا ، كما أبان أنه هو يكمل عمل نبي آخر سبقه فى إحياء الدين وإعادة خلق نظام قديم ، فثله كمثل رجل يتجول فى غابة ، فيكتشف طريقاً طالما سار فيه غيره ، فيتبعه حتى يصل إلى مدينة قديمة فى موقع جميل ، فيرجع إلى الملك أو الحاكم يخبره إياه بما استكشف ، فيعيد الحاكم بناء المدينة ، وتصبح عامرة مأهولة . وهكذا وجد بوذا هذا الطريق الذى طالما طرقه بوذوات آخرون فى غابر الزمان ، ولما تبعه ، تفهم الحياة ، ففهمها ^(١) . وقال كنفشيوس : « إن على هو أن أوضح لا أن أخلق ،

وتنبأ موسى بمقدمات المسيح فى كلامه إلى الاسرائيليين ، لجاء فى سفر التثنية ١٨ : ١٥ « يرسل اليكم الرب إلهكم ، من وسطكم نبياً مثكم ، تسمعون إليه » ، وقال بطرس ٣ : ٢٤ : Acts « كل الأنبياء ابتداء من صموئيل ، وكل من يأتى بعده قد أنبى بهم من قبل . » وردد يوحنا المعمدان : « ... صوت شخص يصيح فى العراء أعدوا طريق الرب ، واجعلوا طرقه مستقيمة » ، بل إن المسيح نفسه ليقول :

إذا كنتم قد آمنتم بموسى ، فيجب أن تؤمنوا بي أيضاً . . وجاء في سفر التثنية . جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعين ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وسيناء هو الجبل الذى نبي عليه موسى ، وسعين نبي عليه عيسى ، وفاران من جبال مكة . أما ربوات القدس فإن أصحاب البهاء يرون أنها بشارة به ، وإن كان المسلمون يرون أنها محل نزول عيسى فى آخر الزمان .

وثمة آيات أخريات يأخذها البهائيون من التوراة والإنجيل ، يؤولونها ويصطنعون منها أدلة على صدق الباب ثم البهاء . وهم لا يقتصرون على ذلك ، بل يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم قد اعترف بأن كل ما أتى به المسيح إنما هو من عند الله ، وقال بحق ، أنا المسيح ، . وأتى برسائله على أنه آخر الأنبياء العظام الذين يأتون قبل ظهور الله للإنسان ، وقال أنا خاتم النبيين . ولا يعترف البهائيون بالطبع بالمعنى الحرفى لكلمة « خاتم النبيين » ، وإلا لبطلت « رسالة » الباب فالبهاء . وقد فسر الباب معنى « خاتم النبيين » فى « البيان » فقال : قل هو الختم الذى ليس له ختم فى الإبداع ، ولا بدء له فى الاختراع ، إذن ياملاً الأرض فى ظهورات البدء تجليات الختم تشهدون ، بل ويحاول البهائيون الاستدلال - زورا - من القرآن على رسالتهم المزدوجة ، فيؤولون الآية الكريمة « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ، ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ، فالنفخ فى الصور أول مرة هو شروق محمد صلى الله عليه وسلم ، أما النفخ فيه مرة ثانية فهو « ظهور » الباب والبهاء .

ولذلك كان الباب يؤكد أنه خليفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن محمداً عليه السلام قد بشر به ، وأن رسالته إنما تختص بالتبشير بأعظم بعث وأعظم رسالة . وحين قال محمد صلى الله عليه وسلم « أنا خاتم النبيين » ، فإنه لم يكن يعنى بقوله هذا - فيما يزعمون - أن باب التعاقب قد أقفل إلى الأبد ، وأن أبواب الاتصال بين الله والناس لن تفتح بعده أبداً ^(١) ، بل لقد قال مراراً إنه سيرجع مرة أخرى ، وإذا ما قال نبي عظيم « سأعود مرة أخرى » ، فإنه يعنى استمرار الوحي وتعاقبه .

(١) المغالطة المنطقية هنا واضحة . واجع مقالاتنا السابقة فى التصوف لرد على هذا الادعاء .

فإن الأنبياء لا يرجعون - بأنفسهم - مرة أخرى إلى الأرض يحملون رسالاتهم من جديد ، وهم وإن كانت صفاتهم العامة مشتركة إلا أن شخصياتهم تختلف وتباين ، مثلهم مثل النهر ، فإنه واحد ، وإن تغيرت مياهه ، أو كصباح مساء ، فإن ذلك الضوء لا يتغير ما دامت صفاته ثابتة ، ولكنه يختلف من ناحية عناصره التكوينية ، ولا يتغير الوضع إذا أطفئ المصباح ثم أوقد من جديد .

والنبي - مهما كانت لغته - إنما ينبئ عن النظام التقدمي الدائم في سبيل الله ، سواء في المستقبل أو الماضي ، وقد لا يعترف أتباعه ، فيما بعد ، بهذه الحقيقة ، بل يذهبون إلى أنهم إنما احتكروا وحى الله ، وأن كل نبي ، خلا نبيهم ، ما هو إلا أفاق مغامر ، وليس ذلك إلا لأنهم لا يتبعون ، في حقيقة الأمر ، تعاليم دينهم .^(١)

أما الصفات التي يتميز بها النبي فهي البساطة والرفقة والتواضع ، وأن عليه الإنساني قليل ، ولا يتبع في رسالته طرق الملوك أو الغزاة الفاتحين ، ولا يستعين بنفوذ أسرته أو ثروته أو بالقوة والإجبار ، بل هو ضعيف بالنسبة لهؤلاء ، يبدو وكأنه لا حول له أمام القوة ، يتعرض كغيره ، من بني الإنسان ، للمرض والجوع والعطش والتعب وغير ذلك ، وهو عدو سهل لأعدائه ومضطهديه ،^(٢) ولكن الأنبياء ، كما يقول البهاء في « الإيقان » : « جالسون في يدي القوة ، ويشرق عليهم نور خالد من بين ظلمات حياتهم ، ومن بين مظاهر ضعفهم تظهر علامات الملك العريض » .

فقوة الأنبياء قوة روحية وعقلية ، من نوع ليس في الإنسان ، بل وليس في استطاعة الإنسان أن يفهمه ، إذ أنها فوق إدراكه البشري ؛ فهي قوة خالقة تعطى الإنسان قدرة جديدة : هي القدرة على التفكير والشعور . والنبي العظيم يأتي غالباً باسم جديد لله ، ليس عنواناً عليه ، وإنما يكون صلة إلهية ، إذ أنه يقدم للشعور الإنساني برهاناً جديداً ، يتحقق به البشر الله .

ذلك عرض للفكرة البائية البهائية في أمر النبوة ، وإلى المقال التالي نكمل الحديث ، ثم نعرض للفرض من « رسالتهم ١١ » ،

(١) المناظرة المنطقية في هذا الحديث واضحة والفرض منها إجماع القارئ . بأمرين ، أولها أن

الوحى الإلهي لم ينته بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والثاني أن البهاء في ١١

(٢) يلاحظ الأثر البوذي والمسيحي في هذه الصفات .

يَفْلَح - لَا يَفْلَح

لفضيلة الأستاذ السيد محمد القاياني

عضو المجمع اللغوي

استمعت إلى فضيلة صديقنا الأديب العالم الأستاذ إبراهيم أبو الخشب ، حيث كان يحاضر في محطة الإذاعة ، لعمدٍ مقرب ، فجرى في محاضرته ما يأتي ، قال : الحديد بالحديد يَفْلَح ! .

تمثل الأستاذ المحاضر بهذا المثل ، فقال له بفتح الياء واللام ، كأنه يحمله من الأفلاح والنجح ، وليس المثل في شيء من هذا .

إن الصواب يتمثل بهذا المثل فالسائر المتعارف كما أصفُ : الحديد بالحديد يُفْلَح ، بياء مضمومة ، ولام مفتوحة ، ومعنى يُفْلَح ، يشق ، ويُفْلِلُ ، وبه سمي الفلاحُ فلاحاً ، لأنه يشق الأرض بالحراثة ، وبالمسحاة ، والأفلاح ، مشقوق الشفة .

وبعد : فعدرة إلى فضيلة الصديق من هذه العريضة الأدبية ، والشغب اللغوي ، فإن الأدب عزيز علينا مثله ، ولا بد من الصواب ، للشباب .

أنت عيني وليس من حق عيني غض أجنانها على الأقدار

دعبل الخزاعي

حضرة الأستاذ الشيخ محمود النواوي

المفتش بالأزهر

شاعر من شعراء الدولة العباسية المأجدين المتذعين وإن كان من المتظاهرين بالحب للبيت العلوي الكريم فهو من ناحية العصبية للشعبة العلوية أشبه بالسيد الخيري الذي تناولته من قبل على صفحات هذه المجلة . وهو من ناحية المجون والهجاء والافتداع أشبه ببشار بن برد لم يسلم منه ملك ولا وزير ولا سوق في إفتداع وقحه .

وله مشابهة أخرى من ناحية أخرى فهو في تلمذته لمسلم بن الوليد وأخذ عنه مع سلامة مذهبه وعدم تورطه في البديع وقيوده أشبه شيء بالوليد البحرى مع أستاذه حبيب ، فكل من الأستاذين مسلم وأبي تمام كان يقسر طبعه أحيانا كثيرة على شيء مما يسمى الاستحسان ويعرضه شعره على تلك الصناعة تنصرف فيه بما تشاء فتفسد منه الشيء الكثير . وأما التلميذان دعبل والبحرى فقد سلم كل منهما في الأعم الأكثر من الاستكراه وإنما كانا يعرضان تلك الصنعة على شعرهما فيأخذان منها ما يصلحه ويزيده جمالا وقبولا وعندى أن البحرى كان أقوم الجميع وأصفاهم ديباجة وأسلمهم أسلوبا (لقد أجاد في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى) وسأعرض للبحرى إن شاء الله في مقال آخر يتجلى منه للتمارى الكريم فضله على غيره وتقدمه .

نشأة دعبل :

ولد دعبل بن علي الخزاعي بالكوفة سنة ١٤٨ ودرس في مدارسها مبادئ العربية والأدب ولما اكتمل اتصل ببعض الشبان المتشطرين المفسدين فكان يطارد بها حتى خرج منها يضرب في البلاد ويلتمس الشعر والأدب كما يتطلبه استعدادة السليم وسترى طرفا من ذلك لقد أقام ببغداد مدة وهي مزدهرة بالعلم والأدب

والمدينة والحضارة يجي إليها ثمرات كل شيء ويتدفق فيها المال والعلم والأدب والشعر . وكان عصره عصر المهدي والهادي والرشد والمأمون والمعتمد وكانوا من التشجيع للشعر والأدب بحيث يشجعون كل أطراف الأرض للإنتاج والعرض في سوقهم الرابع وتقديرهم البالغ وقد أتيح له أثناء مقامه ببغداد الاتصال بالشاعر العربي الفحل مسلم بن الوليد الأنصاري الذي يعد أستاذ مدرسة الشعر الصناعي البدعي والذي سن سبيله للشعراء فأخذ عنه وتحفظ من الأسراف في البديع الذي تورط فيه أستاذه فكان أشبه بالبحرئى مع أستاذ أبي تمام كما قدمت لك من قبل ولكن أستاذه مسلماً لم يتورط فيما تورط فيه دعبل من حنق على خلق الله وإساءة حتى إلى من يحسن إليه . وقد يرجع حب الهجاء والطعن على خلق الله إلى لزوم في نفس صاحبه لا ينبع فيه تهذيب ولا تخفر عليه صناعة .

فهذا ما وورط أمثال بشار ودعبل في الإساءة حتى إلى من أحسن إليهما . وقد وصفه صاحب الأغاني فقال لم يزل مرهوب اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء فهو دهره كله هارب متوار . ولقد دعاه ذلك إلى أن هجما أهل بيته وإن كفر بأستاذه مسلم في شعره الذي يقول فيه .

غششت الهوى حتى تداعت أصوله	بشا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأزلت من بين الجوايح والحشا	ذخيرة ود طالما قد تمنعا
فلا تعدلنى ليس لى فيك مطمع	تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا
فبك يمينى استأكلت فتقطعتها	وجشمت قلبي صبره فلتشجعا

والواقع أن شعره في الهجاء في الأعم الأكثر منه قوى رصين تتجلى فيه رصانه مسلم بن الوليد صاحب الفضل الأول عليه ، وسرى تفصيلاً لذلك فيما بعد عند الكلام على هجائه وشعره .

تقلبه في البلاد :

قدمت لك أن دعبلأ قضى شطراً من حياته في الكوفة . وقد رأيت ما قاله أبو الفرج الأصبهاني من أنه قضى دهره هارباً متوارياً .

وكان من الحق الواجب أن أعرض لذلك بشيء من التفصيل والتصوير فأقول : قضى دعبل شطراً بالكوفة ينشطر ويصحب الشطار ، حتى خرج هو ورجل

من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة وكان يروح كل ليلة بكسبه إلى منزله ، فلما طلع مقبلا إليهما وثبا فجرحا وأخذ ما في كفه . ثم علم أهل الرجل ذلك ، وأبلغ الحاكم أيضاً ، فخرج أولياء الرجل في طلبهما . ووجدَ السلطان في ذلك أيضاً حتى طال على دعبل الاستئثار ، واضطر إلى الهرب من الكوفة ، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد . وبروى صاحب الأغاني رواية أخرى تقول إن دعبلًا جنى جناية بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العلاء بن منصور الأسدي وهو على شرطة الكوفة يومئذ فحبسه فكلمه فيه عمه سليمان بن رزين فقال أضربه أنا خير من أن يأخذه غريب ، فيقطع يده ثم ضربه ثلاثمائة سوط ، فخرج من الكوفة فلم يعد إليها إلا عزيزاً - والظاهر أن تلك الجناية كانت سرقة ما دام عمه قد خاف قطع يده وسواء أكان الحاكم قد أخذه أم لم يأخذه ، وكان عمه قد ضربه أم لم يضربه ، فقد ثبت أن دعبلًا لم يقم بالكوفة ، ولم يستقر بها أكثر من باكورة صباه ، ثم سار يطوف في بلاد الله إن لم يكن للجناية ، فللهرب من قوارص لسانه ، ومن جناية هجائه الفظيع ، على أن رواية ثالثة تقول إن دعبلًا كان يتشطر وهو شاب ، وكانت له شعرة جمعة ، وكان يدهنها ويرجلها حتى تكاد تقطر دهنا ، وكان يسلط على الناس بالليل ، فقتل صيرفياً وظن أن كيسه معه ، فوجد في كفه رماناً فهرب من الكوفة ، والكل كما ترى متفقون على أنه هرب من الكوفة .

وفي أخباره ما يدل على أنه كان مستقلاً ومقدراً لنفسه مصيراً سيئاً ، قال صاحب الأغاني حدث إبراهيم بن المدبر قال لقيت دعبل بن علي فقلت له أنت أجسر الناس عندي وأقدمهم حيث تقول في المأمون :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله واستنقذك من الخضيض الأوهده

فقال له يا أبا إسحاق أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة فلا أجد من يصلبني عليها ولقد كذب دعبل في هذا الزعم فقد كان جباناً فروقه .

إلا أن يكون قد قصد بالخشبة هذه الأهاجي المقذعة التي تحفز إلى التفتيش عنه ومحاولة الفتك به وإن كان في بروج مشيدة .

في تفسير القرآن الكريم

لفقيه الأستاذ الشيخ عبد الفتى عوض الرامحي

المدرس بالأزهر

في باب التفسير في هذه المجلة الجليلة قرأت في تفسير سورة البقرة مقالات متتابعة دفعني إعجابي بها إلى متابعتها قراءة لها وإمعانا فيها . ثم ازداد إعجابي بها حين رأيت آخر هذه المقالات في تفسير قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، تعرض للفقارة بين العبارات المتشابهة مما يجلي به لإحكام القرآن وإعجازه ، ثم دفعني ذلك كله إلى التعقيب على بعض الآراء التي أعتقد أن فيها مجالا كبيرا للتعقيب ، والتي أحصرها في ثلاث مسائل :

الاولى : لم كان التعبير بالحتم على القلوب والسمع ، وبالفشاة على الأبصار ؟
 الثانية : لم كان القلب مقدما على السمع في هذه الآية مؤخرا عنه في آية الجاثية . أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؟

الثالثة : لم جمع القلوب والأبصار في آية البقرة وأفرد السمع ؟

يقول الكاتب الفاضل في المسألة الاولى : إن آفة البصر معروفة مدركة إذ غشاوة العين معلومة لنا ، وأما القلب والسمع فأنهما لما كانا لا ندرك آفتهما فقد صور لنا حواجزهما عن سماع الحق بصورة الحتم ؛ لذا نراه في جانب القلب والسمع قد عبر بالحتم ، وفي جانب العين بالفشاة .

هذا كلامه . وأحب أن أعقب عليه بأر السمع كالبصر كلاهما حاسة من الحواس الظاهرة لها آفاتها التي تدرك وتعرف وتحول بينها وبين مدركاتها من المسموعات والبصرات أيما كانت هذه الآفات وأيما كانت طرق المعرفة والإدراك لهذه الآفات . ولئن صح القول بعدم إدراك آفة القلب لأنه حاسة باطنة وقوة مدركة عاقلة فلن يصح ذلك بالنسبة لجارحتي السمع والبصر .

وقد رأينا القرآن يستعمل بجوار السمع ما هو من قبيل الآفة فيه وهو الوقر ،
 ففي السور : الأنعام ، والإسراء ، والكهف قوله تعالى : « وجعلنا على قلوبهم أكنة
 أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً . ويستعمل بجوار البصر الختم فيعبر بالطبع وهو كالختم
 في سورة النحل في قوله تعالى : « أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
 وأبصارهم وأولئك هم الغافلون . » ويستعمل بجوار القلب أشياء ليست من قبيل
 الختم كالزمن والمرض في قوله تعالى في سورة المطففين : « كلا بل ران على قلوبهم
 ما كانوا يكسبون » وقوله تعالى في سورة البقرة : « في قلوبهم مرض فزادهم
 الله مرضاً . »

كما أنه يجوز أن يكون الوقف في آية البقرة على قلوبهم ويستأنف وعلى سمعهم
 وعلى أبصارهم غشاوة ، فتكون الغشاوة بالنسبة للسمع مستعملة وهي ما يفشى
 ويغشى ، بل لأنها قد تكون بالنسبة للثلاثة القلب والسمع والبصر على قراءة نصها
 بتضمن ختم معنى جمل .

فإذا كان ذلك كذلك وكان ما ذكر على أنه السر لا يصلح أن يكون السر
 لأنه غير سليم ولا مسلم ولا مطرد ، فإن السر حق السر - فيما أرى - هو أن هذه
 الثلاثة القلب والسمع والبصر جاءت في هذه الآية آية البقرة مع التعبير المجاور لها
 ثلاثتها على ترتيب أهميتها في تحصيل الهدى والإيمان . فالقلب هو العمدة على سائر
 الجوارح وهو حوض الولاية والإيمان وهو بحيث يحصل الهدى والمعرفة مستقلاً
 عن كثير من الجوارح والحواس الظاهرة . وهو إذا صلح صلح الأمر كله ، وإذا
 فسد فسد الأمر كله ...

والسمع يتلوه في الأهمية ، فهو منفذ الهدى والمعرفة إليه ، والدعوة قائمة
 في جوهرها قرآنها تبليغها تبشيرها وإنذارها على السمع ؛ يأخذ القلب لإيمانه ومعرفة
 عن طريقته دون حاجة إلى البصر ودون أن يغيب عن القلب بغياب البصر أمر
 خطير ... ثم يتلوها في هذا الباب البصر^(١) .

وعلى ذلك فكم كان من إصابة المحز بمكان أن يبدأ في مقام إثبات الضلال
 ووصفه بذكر القلب والختم عليه ، ويثنى بالسمع والختم عليه ، ويثالث بالبصر

(١) المقصود بالنظر في أكثر الآيات التي تحجب النظر وترفع درجته هو النظر العقلي

والغشاوة عليه . والحتم أقوى من الغشاوة في منع نفوذ المدركات إلى الحاسة . والحتم على القلب والسمع أشد التصاقاً بما سبقه في الآيات مباشرة من أنهم لا يؤمنون ، وأنهم سواء عليهم أن نذركم النبي أم لم نذركم ، وهو منه بمنزلة البيان من المبين ^(١) . أما أنهم على أبصارهم غشاوة فكالتمه لبيان تمام ضلالهم ، وهو في الأهمية وفي الالتصاق بالآية السابقة ثالث وأخير ، فلم ينتظم مع سابقه في سلك واحد لا في الحتم ولا في إسناده إلى الله تعالى .

هذا هو الأصل في أمثال هذه المقامات ، مقامات الضلال والحديث عن ضلالهم وعنادهم : منزلة القلب التقدم على أخويه ، ومنزلة السمع التقدم على البصر . فهذه هي آية البقرة التي معنا كانت على هذا النمط ، وتلك آية النحل التي سبق ذكرها جاءت على هذا النمط ، وفي سورة البقرة في أكثر من آية قوله تعالى « صم بكم عى » وفي سورة فصلت « وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب » وفي سورة الأنعام « ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا » . وفي كل من الأسراء والكهف « وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا » فإن خولف هذا الترتيب في آية فهي إما في غير هذا المقام من مقامات الكلام الأخرى في القرآن أو في مثل هذا المقام ، ولتغير الترتيب فيها سر زائد يقتضيه . من القبيل الأول قوله تعالى في سورة الأنعام « قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به » وقوله تعالى في سورة الأسراء « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » فإن الآية الأولى في مقام التهديد ، فتقدم ما المهدد له أفهم وأسرع إدراكا وتخوفاً ، والآية الثانية في مقام النهي عن تتبع الإنسان ما ليس له أن يتبعه ، فتقدم ما به التبع أول وأظهر وأكثر ... ومن القبيل الثاني قوله تعالى في سورة الأعراف « ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » وقوله

(١) ولله الحمد في تقوية المعنى بذكر حرف الجر [على] قبل كل واحد من الثلاثة وقد اكتفى بذكره مرة واحدة قبل الثلاثة في آية النحل .

تعالى في سورة الجاثية ، أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فقد تأخر السمع عن البصر في الآية الأولى ليكون أقرب إلى ما ذكر عقبه من تشبيههم بالانعام ، فإن عدم السمع أدخل في باب التشبيه بالانعام من عدم البصر ، ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عى (١) ، وتقدم السمع على القلب في الآية الثانية لأنها في سياق التنديد بمن يسمع ولا يفتفع بما يسمع ، ولسياق السورة التي منها هذه الآية وهي سورة الجاثية مزيد اعتناء بابرار هذا المعنى من أول قوله تعالى في مطلع السورة ، ويل لكل أفك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعا فبشره بعذاب أليم . وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزوا ، فلا عجب والمقام مقام تنديد بسمع لا يجدى واستماع لا يفيد أن يتقدم السمع على القلب ، ألا يرى إلى قوله تعالى في نفس الآية ، وأضله الله على علم ، فانه مشير إلى أنه يسمع ويعلم ثم يصر مستكبرا ويولى كافرا كأن لم يسمع ٩٩ .

إلى هذا الحد من الكلام وبهذا المقدار منه يكون ما أردت التعقيب به على المسألين الأولى والثانية قد فرغ منه وبت فيه ، أما الثالثة فيقول فيها إنه أفرد السمع لأن القلوب تختلف باختلاف ما تفهمه ، وكذلك الأبصار تختلف في عمق تدبرها ، أما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعاً شيئاً واحداً : الحجة . الدليل . القرآن . هذا كلامه ، وأحب أن أعقب عليه بأنه إذا كانت الأبصار تختلف باختلاف مقدار ما تدركه وتفتفع به من المبصرات ، وكذلك الاستماع تختلف باختلاف مقدار ما تدركه وتفتفع به من المسموعات ، وكما أن المسموع في نفسه شيئاً واحداً وكذلك المبصر في نفسه شيئاً واحداً هذا بذاك ما تدعيه في أحدهما ثبت للآخر لا فرق بينهما في هذا المعنى ... وإذا كان ذلك كذلك فإن السر في إفرد السمع مع جمع أخويه القلب والبصر في الآية الكريمة لا يعدو أن يكون كونه جاء بلفظ المصدر (٢) والمصدر بالافراد كلف لا يعدل عنه إلا بتكلف ، وعند ما يفتقل التعبير القرآني من لفظ السمع إلى لفظ الأذن وهما واحد والمسموع واحد نراه يعتمد إلى الجمع بدلا من الأفراد : في آذاننا وقر ، في آذانهم وقرأ ، لهم آذان لا يسمعون بها . انتهى ما أردت التعقيب به . والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه ؟

(١) الآية من سورة البقرة والتقدير - ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي - الخ

(٢) ارتضى القرطبي هذا الوجه قول الألومى فيه إنه ليس بشيء - وليس بشيء .

كتيبة الاهوال^(١)

في يوم الجرائم

لفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم علي شعوط

المدرس بكلية اللغة العربية

في الامر المريع ، والليل البهيم ، وعند التباس الطرق تلتبس المخارج ، ويحتال على تفريج الكرب ، وسلوك الجادة حتى تبدو الغاية واضحة ، والهدف قريباً .

وليس ليل الذي نحن فيه من نهار ، ولا للحصول على الحق من سبيل بعد ما استفدنا جميع وسائلنا ، ونضب معين الحجج في ميدان الجدل العقيم ، وبان لدى عينين أننا أخطأنا الطريق ، وانحرفنا عن الجادة ، وفقدنا قوة الحق التي في أيدينا .

وسيلتنا أن نرجع إلى ماضينا المجيد الذي يشع نوره بين ظلمات التاريخ لنستمد منه قسماً نهتدى به في ظلمات حاضرننا المعتم ، ومستقبلنا الخيف .

وهذه صورة من قوة الإيمان ، وشدة اليقين ، وبذل المهج الفوالى في سبيل الحق وركوب الاخطار ، ومقاساة الاهوال بلجاعة من أسلافنا حطمت كل مقاومة . وأسكتت كل صوت ، وقضت على أكبر دولة في عصرها وهي دولة الفرس وتركت كسرى يهيم على وجهه بعد ما دخلت بلاده في حوزة المسلمين الذين رفعوا راية الحق ، وقالوا في سبيل الحق حتى عرفوا بين الناس بنصرة الحق وتأيده .

حدث ذلك بصنع الكتائب ، وبسالة القواد ، وتغافل الجنود في فتح المدائن عاصمة الدولة الفارسية وكرسى مملكتها ذى التاريخ المجيد .

كانت موقعة القادسية أشد ما لاقاه المسلمون في أرض العراق من قوة الطعان

وقسوة النزال ، وتأهب الخصم واستبساله إلى حد الاستماتة حتى ترددت المعركة بين الفريقين وكانت سجالاً بين الجيشين ؛ فيومها الأول يوم ، أرماث ، كان للفرس على العرب فباتوا على أحر من الجمر ثم تلاه يوم ، أغواث ، فاعتدل ميزان المعركة وأحس العرب بقوة في جانبهم ثم كان يوم ، عماس ، وليلة ، الحرير ، التي تقرر فيها المصير فأصبحت منطقة القادسية كلها في قبضة سعد بن أبي وقاص قائد المعركة . ثم أمر جنده بتتبع الفلول ، وتطهير الأرض من بقايا الفرس المحاربين

صدرت أوامر سعد لجنده بالمسير في ركاب النصر إلى الأمام فطوت خيولهم مسافات ومساحات دخلت كلها في ملك أيديهم فأصبح حوض الفرات جميعه أرضاً مسلبة ، وأصبحت أرض الجزيرة بين دجلة والفرات من فتوحات المسلمين ، وما زالوا في طريقهم نحو الشرق حتى وجدوا أنفسهم على شاطئ دجلة دون أن يفقهى الشوط أو تسقط العاصمة .

ولم يبق للفرس من أمل في رد هذه الموجة الظافرة إلا من وراء دجلة وفي جانبها الشرقى حيث العاصمة وكرس الأكاسرة .

ومع هذا فإن العزيمة المنهارة ، والارتباك الذى حل بالقادة جعلهم يفكرون في نقل عتاد كسرى وكنوزه وأمواله إلى حلوان التي تبعد كثيراً عن العاصمة . وقرروا أن تكون المدائن خط دفاعهم بعد القادسية عن المدن التي تليها من الشرق فحسّنوا أنفسهم هناك وجمعوا السفن الماخرة في دجلة وقطعوا الجسور حتى لا يصل اليهم جيش العرب الذى لم يعرف السباحة ، ولم يجد الملاحاة .

والبحر عند العربى في هذا الوقت شئ رهيب يعتبر خوضه أو ركوبه منتهى الخطر ؛ ولم تكن سفينة العربى سوى ناقته التي يقطع بها الصحراء المرملة ، ويواجه بها أعاصيرها .

لذلك لم يكن عجباً أن يقف العرب في أول أمرهم على شاطئ دجلة مكتوفى الأيدى ، ويعيونهم شاخصة إلى الأمواج المتلاطمة ، ونفوسهم حيرى أمام النهر الذى يتدفق بالزبد ، ويرمى بقطع كالجبال في وجوه المتربصين بالعاصمة .

كان ذلك في شهر صفر من عام ٦١ هـ وكانت العاصمة الفارسية ذات قسمين على ضفتي دجلة . القسم الشرقى منها يسمى المدائن وهو مقر الأكاسرة ومركز

الحكم في الدولة والقسم الغربي يسمى [بهر سير] على الشاطئ الغربي من دجلة وهذا هو الذي نزل به سعد وجنده ومكثوا أياما يفكرون في العبور إلى المدائن الكبرى حيث ابوان كسرى ومحتوياته .

ولكن أنى لهم ذلك والنهر هائج مضطرب يفور ويثور ويقذف بالزبد كهدير الجبال ؟ يطفئه المد فيخشى جانبه ثم يحسره الجزر فيفسكر الجيش في العبور .

وهنا تظهر بطولة الأبطال وتعلو قيم الرجال حين يخطب سعد في رجاله قائلا [إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه معه ويخلصون اليكم إذا شأوا في سفنهم يناوشونكم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه . قد كفاكمهم أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفقوا ذواتهم . وقد رأيت من الرأي أن تجاهدوا العدو قبل أن تحصدكم الدنيا . ألا أنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم] فمالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل .

وهنا ندب سعد جميع الناس إلى العبور ، ولكن كيف يتم ذلك وفي الشاطئ الشرقي فراض ؟ وهي الأماكن التي يستقي منها وليس في إمكان من يعبر النهر أن يخرج إلى الشاطئ إلا من هذه الأماكن فلا بد من حمايتها قبل عبور الجيشين حتى تضمن سلامة الجوع السابحة في الماء . فنادى سعد بن أبي وقاص في جماعة المسلمين قائلا : من يبدأ ويحمي لنا الفراض حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعهم الفرس من العبور ؟ وهنا قام عاصم بن عمرو وقال : أما أيها الأمير أول من يعبر النهر .

ليحمي الفراض حتى ينهى الجيش من عبوره ، واختار معه ستين فارسا ، كون منهم كتيبة ، عرفت فيما بعد [بكتيبة الأهوال] وقام من ورائه القعقاع بن عمرو في كتيبة ، عرفت بالكتيبة الخرساء (١) .

أما طريقة عاصم في هذه المغامرة الخطيرة ، فكانت غاية في العجب من ذكائه وأسلوبه ، ذلك أنه عمد إلى الخيل ففصل بين ذكورها وإناثها ، وأمر راكبي الإناث بالنزول أولا ثم أتبعهم بالخيول الذكور حتى يحدث الطراد بين الذكور والإناث فلا تؤخذ الخيل بشدة الأمواج وقسوة السباحة ، وتزيد سرعتها فتأتي على النهر في وقت قريب .

فتصور كيف تسبح الخيل في طرادها وإن لها لصيلا ، وصفيرا في زفيرها وشهبها تنفخ الماء في الهواء وتنفض أعرافها وهي تسبح في لجة من عرقها وتشق العباب مذعورة من مطاردها . ثم تصور هذه الخيل في نهاية شوطها ، وقد أنهكتها السبح في الماء ، وتصور حال راكبيها وقد سالت أرواحهم على صفحة النهر ، وتلاشت أعمارهم في عبابه وقد لاح لهم البر فتدلفت به آمالهم ، وبسمت لهم الحياة من بعيد . وبينما هم يستنفدون بقايا جهدهم ، ويذلون الرمي ليثبوا الوثبة الأخيرة إلى بر النجاة وساحل الحياة ؛ وإذا بجموع الفرس تخوض البحر بخيلها لترد الكتيبة الباسلة إلى الشاطئ الآخر أو إلى أطباق الأمواج ، ولكن صرخة من عاصم قائد السابحين صدرت من أعماق قلبه ، ومن مصدر إيمانه ، فردد صداها النهر من جنبانه حتى وضحت بين صهيل الخيل وعراكتها مع الأمواج . هذه الصرخة كان عاصم يقول فيها لكتيبته [الرماح الرماح أشرعوها وسددوها إلى عيون الأعداء ووجوهم] ففتحت هذه الجبل باب الأمل وبدأ النضال بالنبال في مكان حساس في القتال فسدد المسلمون سهامهم وشرعوا رماحهم وأرسلوا وابلا من النبال إلى عيون القوم ووجوهم ، فأصاب عيون القوم في عيونهم حتى انقلب الضياء ظلاما من المعى والعمى ، فلم يجدوا سبيلا سوى الفرار من وجه كتيبة الأهوال إلى حيث يظنون النجاة . خرجت خيول عاصم وكتيبته من لجة البحر تنفض أعرافها ، وتمد خصورها واتجه كل فريق إلى فرصة في النهر يحرسها ، وأصبح الشاطئ الشرقي من دجلة في حراسة المسلمين .

أدرك سعد بن أبي وقاص القائد العام أن عاصما قد حى الفراض ، وأن جموع الجيش المرابط على الشاطئ الغربي قد صار في إمكانها أن تعبر النهر إلى إخوانهم في أمان واطمئنان فأذن للناس في الاقتحام .

وبينما سعد يرى اندفاع الفرسان والبحر في هياج واضطراب وقعت في قلبه الرهبة من دجلة الغاضبة ، وأدركه الخوف على الجند الذين ألقوا بأنفسهم إلى الماء تنفيذا لأوامره فقال لهم قولوا جميعا [نستعين بالله ، وتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن دينه ، وليهزم من عدوه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم] .

«زهد الرعاة»

لفضيل الأستاذ السني محمد خليفة
المدرس بالأزهر

اللهم قبسا من نورك الذي وسع السموات والأرض ، يهدي النفوس الحائرة
بين ظلمات المادية . ويربطها بشعاع من روحانية السماء ، وينجب للحياة رجالا
يعيشون للجمع لا لأنفسهم ، ويتفانون في إسعاد أمم لا ذواتهم رجالا تشرق
فيهم روح عمر بن الخطاب في نقشه ، وحفيده عمر بن عبد العزيز في زهده .

إنهما مثلان خالدان للتكشف والزهد تجردا من مادية الدنيا ومتاع الدنيا ،
واستذبا مرارة الحرمان ، واستمرآ خشونة العيش ، وإن روعة الكشف لا تتجلى
في معدم يقضم كسرة جافة أو يزدد لقمة متعفنة ، ولكنها تتجلى فيمن يملك خزان
المسال ، ويحرم نفسه منه ليحيي به غيره ، ويعيش بنفسه في دنيا من الفاقة والبؤس
فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي فتحت جيوشه بلاد فارس ، وأخضعت بلاد
الشام وملكت مصر وعج بيت ماله بما حوى إيران كسرى ، وما يغل دجلة والنيل
والفرات عمر هذا يعيش بكثرة الناس يلبس ما يلبس الناس ، ويركب ما يركب
الناس ، ويفترش الثرى مع الناس ، إنه يؤمن بأن أمير المؤمنين مسئول بين يدي
الله عن المؤمنين مسئول عن أخلاقهم ومعاشهم وأمنهم وراحتهم ، مسئول عن
الدالجن في ظلمات البعد والهاجمين بين أفياء الحضر ، فيعيش بيته على خمسة دراهم
في اليوم تنفق في طعامه وطعام أهله ليوفر لغيره من المسلمين ما يقيم أودهم ، وإنه
يعس لعله يجد بين الأكواخ كهلا حاتمته السنون ، لا يستطيع الكدح في طلب العيش
أوعسائه يلقي أرملة أقعدها الحياء عن السؤال ، إنه يرهب سؤال ربه عن أمثال هذين
وغيرهما ، ويرى أن حساب الخليفة عسير ، ومن ثم فهو ينسكرك على من رشع ابنه
عبد الله للخلافة قوله ويحييه : حسب آل الخطاب أن يسأل واحد منهم عن أمة محمد .

لقد بنى عمر نفوسا صالحة للولاية والعمل ولغير الولاية والعمل .

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى شتان بين قرى وبين رجال

أفقد نشأ الأمة العربية نشأة تجلت فيها سياسته العظيمة الذي يكشف عنها كتابه إلى أبي موسى الأشعري .

« وقد بلغني أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة في لباسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها فإياك يا عبد الله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب ، فلم يكن لها هم إلى السمن ، وإنما احتفها في السمن ، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام . »

وهكذا تشدد عمر على عماله ليعيشوا كما يعيش الناس منهم المثل يقتدى بها ، وكما يكون الراعى تكون الرعية .

دخل عمر منزل أبي عبيدة فلم ير إلا لبدا ، وإناء وقربة بالية وسأله عن طعامه فأخرج له من سلته كسيرات ، فبكى عمر وقال : غيرتنا الدنيا كنا غيرك يا أبا عبيدة أى دنيا تلك التي غيرتك يا عمر ؟ ترى هي دنيا الحرمان التي عشت فيه تحاسب زوجتك على الخمسة دراهم التي أدخرتها من قوتها وصنعت لك بها حلوى فأبيت إلا أن تحرما وتحرم نفسك وتحمل الحلوى إلى بيت المال ؟

ولم يكن عمر ولا أبو عبيدة وحدهما الزاهدين بين المسلمين ، ولكن بين المسلمين الكثير من أمثالها فعاذ بن جبل يرسل إليه عمر بأربعمائة دينار ، وهو وال ليستعين بها على العيش . فينفقها معاذ على الفقراء إلا قليلا طلبته امرأته منه لحاجتها ويعلم عمر بما صنع فيقول : الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا . وكيف لا يصنع هذا وأكثر من هذا في عهد الخليفة الزاهد عمر . إن معاذ بن جبل لا يريد أن تفتش نفسه بأربعمائة دينار ، وإلى جانبه فقراء قد لا يجدون لقيات بل إن معاذ رأى سعادة نفسه في إسعاد غيره .

وسعيد بن عامر عامل حمص يشتكيه أهلها إلى عمر ويطلبون منه عزله لأنه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار ، ولأنه لا يجيب أحدا بليل ، ولأنه يعتزل الناس يوما في الشهر لا يخرج فيه ويسأل عمر عنه فيعلم أن عامله يعجن كل يوم خبزهم ويخبزه بنفسه ثم يخرج وأن ليله يقضيه في العبادة وأنه يغسل ثيابه مرة كل شهر فيبعث إليه عمر بألف دينار ليستعين بها فيفرقها سعيد على جيوش المسلمين فأى نفس كانت نفس سعيد هذا ؟ إنها النفس الملائكية التي ارتفعت عن المادة وسمت

ففي الساعة التي يصل فيها إلى يده ألف دينار يقسمها على جيوشه ويعود إلى بيته كما كان يخدم نفسه ويفعل ثيابه .

وقد جاء سعيد هذا إلى المدينة فلم يجد عمر معه غير عكاز يحمل عليه زاده ، وقدح يأكل فيه فلما رآه عمر أكبر فيه زهده وورعه .

لأنها السياسة الرشيدة من عمر : يحجى الخراج ثم يصلح به أحوال الناس في الصقع الذي جبي منه ، وبقرة الخليفة على هذه السياسة ، ثم هو بعد ذلك ينكر على عمر تجديد العهد له لأنه عرضه إلى إيذاء نصراني ! ألا فليسمع أولئك الذين يتهاكسون على الحكم لا لينبؤوا لأهمهم مجدا ، وإنما هو السلطان أو حجب المظهر أو حجب الانتقام ! إن أولئك وهبوا حياتهم للشيطان فلا يشتهون الحكم إلا ليعذبوا البشرية المسكينة المظلومة .

وكما حاسب عمر نفسه وتشدد في حسابها ، حاسب عماله ، وتشدد في حسابهم ؛ فقد قيل : لأنه مر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال : لمن هذا ؟ فذكروا عاملا له بالبحرين ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها ! وشاطره المال ؛ كما صادر أهوال عمرو بن العاص ، وهو القائد العظيم الذي فتح مصر وحكمها ، وساعده خصها على إنماء ثروته .

وصادر أموال أبي هريرة وهو من السابقين الأولين ، وصادر أموال سعد ابن أبي وقاص خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما حابي ذلك النسب ، ولا تملك ذلك الحسب .

وصادر أموال خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، الذي نصر الله به المسلمين في كثير من معاركهم ، فلم تمنعه مكانة خالد الحربية ، ولا منزله القرشية من مصادرة أمواله لحساب المسلمين لا للهوى والغرض .

وقد تقبل منه هؤلاء المصادرة طيبة نفوسهم ؛ لأن عمر حرم التجارة واستثمار الأموال على ولاية الدولة وعمالها ليجبوا جهودهم وعقولهم لخدمة المسلمين .

وأما أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فكانت خلافته كلها زهداً في الدنيا وإعراضاً عن متاعها . فأول عمل بدأ به خلافته أنه نزل عن أملاكه التي ورثها عن أبيه ، لأن أباه لم يشتريها بماله ، وإنما أقطعها كغير من أمراء بني أمية ، فهي حق للمسلمين ، كما قطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق حراسهم ، ورد ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم ، وبذلك سوى بينهم وبين غيرهم من المسلمين .

ولأنه لعظيم أن يبدأ بنفسه فيرد أمواله إلى بيت المال ، ثم يثنى بأهله فيقطع عنهم ما فرض لهم من جوائز ؛ فليس أبناء أبي سفيان أو مروان أعظم عند الله والناس من أحفاد رسول الله صلوات الله عليه أو غيرهم ، فالتناس سواسية ، لا فضل بالإمارة وإنما الفضل بالتقوى وزينتها الزهد .

ولقد كانت غلة عمر بن عبد العزيز من أرضه حين بويغ بالخلافة خمسين ألف دينار (٢٥ ألف جنيه) وما زال يرد إلى بيت المال أرضه حتى بلغ ما تغله لأرض التي يملكها عند وفاته مائتي دينار (١٠٠ جنيه) في السنة .

وند خصص لبيته درهمين نفقة في اليوم ، فقيل له إن عمر بن الخطاب كان يأخذ من بيت المال خمسة دراهم في اليوم ، فقال : إن ابن الخطاب لم يكن له ما ينفق منه أما أنا فلي من المال ما يعينني .

وما أتقى نفس الخليفة عمر بن عبد العزيز حين رأى زوجته فاطمة بنت الخليفة عبد الملك بن مروان في ثوب كان قد أهدها لها أبوها ، وقد نسج بالذهب ونظم بالدر ، فقال لها : اختاريني أو اختاري الثوب ، فإن اخترت عمر فساجعل الثوب في بيت مال المسلمين ، وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب ! فقالت : أعوذ بالله من فراقك يا أمير المؤمنين ! فضم الثوب إلى بيت المال .

وهكذا رأى عمر في ذلك الثوب ما ينم عن البذخ والإسراف ، وكيف يضمه بيت مع امرأة ليس لها إحساس عمر ! .

حسبك يا عمر شهادة ملك القسطنطينية الذي بكاك حينما نعت إليه وقال : لم أعجب لهذا الراهب الذي ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعته ، ولكنني عجب لهذا الراهب الذي صارت الدنيا تحت قدميه فزهدها حتى صار مثل الراهب ،

أيها المسلمون الذين زخرت خزائهم بكنوز الذهب وملكوا الضياع وشادوا العمار ، ورفلوا في نعم الدنيا ، وعاشوا لشهواتهم وبطونهم : هذه صور من زهد الرعاة وتكشف الحاكمين وسياسة الراشدين ، لعل فيها ما يتخاق في المسلمين جيلا جديدا من الحكام والمحكومين يبني للإسلام مجده ، ويخلد للتاريخ ألسنة شاكرة ، ويعمل للأخرة ، والآخرة خير وأبقى ؟

جامعة اسلامية

جريدة التيمس — الطبعة الأسبوعية
الصادرة في يوم الأربعاء ٥/٨/٥١

مصر هي بلاد الآثار القديمة وجامعة القاهرة العظيمة ، الأزهر ، يرجع تاريخ بنائها إلى نحو ألف عام مضت فقد بناها فيما بين سنة ٩٧٠ ، ٩٧٢ من الميلاد أحد أرقاء الرومان المسيحيين الذي اعتنق الإسلام في عهد الفاطميين إبان حكم الخليفة المعتز ، وكان المفروض في أصل بنائها أن تكون مسجداً ، ولكنها منذ سنة ٩٨٨ ميلادية أصبحت جامعة ، وفي خلال القرن الثاني عشر أسس على أن يكون القوة التي تذود عن حوض الشريعة الحنيفة الإسلامية وحامى حى اللغة العربية : لسان نبى الإسلام .

ولأن أيام الأزهر العظيمة كانت من حساب عصرها الماضى ، ولكن بهاءها أخذ يعم في عهد الاتراك وحكم المماليك في مصر ، عاكسة بذلك صورة تدهور تعاليم الإسلام والاهتمام الزائد بتكرار الدراسة العقيمة للعقائد ، تلك الدراسة التي اتسمت بها القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر .

وفي بداية القرن الحالى قصرت الدراسة في معظمها على دراسة العلوم التقليدية القديمة ، المبنية على الوحي الإلهى ، وبالتالي المجرد عن كل نقد ، وقد كان هناك ميل إلى دراسة العلوم العقلية ، مثل النحو والإعراب والعروض والبلاغة والمنطق . ولكن العلوم التي نبغ فيها الإسلام وتصدر فيها مركز القيادة للعالم في العالم مرة - وهى العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخ والجغرافيا والأدب والفلك - قد أصبحت هزيلة عاجزة عن التقدم وبقى جوها وطريقها من طرق العصور الوسطى .

الاحتكاك بالغرب :

وقد كان الاحتكاك بالمدينة الغربية لا مفر منه في مصر ، كما كان لا بد من أن يكون لهذا الاحتكاك أثر عميق على الأزهر . فأبطلت فيه دراسة المسائل الاعتقادية المعقدة التي كانت تشغل وقت الفراغ عند المسلمين ، وأصبح يشغل الآن بدراسة

العلوم الغربية في السياسة والاقتصاد والأعمال ، وباستيعاب كثير من مباحي الحياة الدنيوية والترفيهات مثل المسارح والسينما والألعاب الرياضية والسباحة .

وبدأ الناس يهتمون الأزهر بأنه لا يتمشى مع الزمن ، وكانت حالة خريجي الأزهر — ككثير غيرها — هي التي لفتت النظر إلى الحاجة للإصلاح ، وقد نال هؤلاء الخريجون الكثير من الفبن كلما بحثوا وظيفية يساوون فيها مع خريجي المدارس ذات النظام الغربي .

وقد حاول محمد علي باشا وإسماعيل باشا إدخال الإصلاح في الأزهر ولكنهما قوبلا بمقاومة شديدة ، وكان لابد من الانتظار حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر لإحداث تغيير حقيقي في الأزهر .

وكان الشيخ محمد عبده - وهو ابن الفلاح المتواضع - يعتقد أن إصلاح الأزهر أمر حيوي يجب أن يسبق كل إصلاح ديني واجتماعي في الإسلام بصفة عامة .

ولا يمكن أن يحدث هذا الإصلاح الآن إذا جاء عن طريق التخلي عن التقاليد العتيقة وتركها تماما ، وتلقيح الجامعة الأزهرية ببساطة وسماحة الإسلام في عهده الأول ، ولما رأى الشيخ محمد عبده ما كان هنالك من عدم الانسجام بين الدين والعلم أخذ يدعو إلى استساعة كل ما هو مفيد في العلوم الغربية وأن البحث في الطبيعة يجب أن يؤدي لا إلى الفائدة المادية فحسب ، بل إلى معرفة الله معرفة أغور عمقا وأقوى إيمانا بها ، وكان تجديد اللغة العربية جزءا من الأسس التي لابد منها لإحياء الإسلام .

وكانت العقبة السكود في سبيل تحقيق برنامج الشيخ محمد عبده هي موقف علماء الأزهر منه . وقد كتب عنهم في سنة ١٨٩٥ ما نصه :

« إن العلماء الذين هم روح هذه الأمة لم يروا حتى الآن فائدة في هذه العلوم الحديثة ، إلا أنهم لا يزالون يشغلون أنفسهم بأمر ربما كانت أكثر تلاؤما مع الزمن الماضي الذي قد طويت سجلاته ، وقفلت أضيائه ، وهم لا يلقون أية نظرة إلى ما هو واقع في العالم الجديد . »

وفيما بين سنة ١٨٩٤ ، ١٩٥٠ وضع مجلس إداري تحت رئاسة الشيخ محمد عبده كثيراً من آرائه موضع التنفيذ . ولكن كان ذلك دائما ضد مقاومة العلماء القوية ،

بل كذلك وضد الحديو عباس حلى الذى طرد ، جماعة المجددين ، فى الأزهر . وقد أصلح الشيخ محمد عبده الإدارة وطرق التدريس ونظم المكتبات وأطال مدة السنة الدراسية ، وحسن حالة الطلبة وأحوالهم المعيشية ، وأنشأ كذلك دوراً لدراسة المنهج ، لكن عرقلة المحافظين العنيدة حملته على الاستقالة ، وعقب ذلك بقليل ، توفى إلى رحمة الله .

وبعد ذلك بثلاث سنوات أسست الجامعة المصرية العلمانية التى تسمى الآن جامعة فؤاد الأول — ولكن الأزهر بقى على ما هو عليه لم يتمدين .

أما المحاولة الجديدة التالية من أجل تحطيم حصون المحافظة على القديم ، فقد قام بها الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف الحالى الذى أدخل التعليم المجانى فى مصر سنة ١٩٥٠ - وقد سجل طه حسين فى تاريخ حياته إبان كان طالباً فى الأزهر ما صادفه فيه من خيبة الأمل المتزايدة ، لما لقي الدراسة فيه شاقة ومضنية إذا ما قيست بسهولة الدراسة مع التعمق عند القدماء ، وعبر عن مبلغ ازدرائه لعقم التعليم ، وقد طالب بشدة سنة ١٩٢٦ بإدخال طرق التعليم الغربية فى الأزهر .

وواجه العلماء بقوله ، إن الحقائق الاعتقادية مختلفة كل الاختلاف عن الحقائق العلمية ، وطالبهم بتطبيق فن النقد الأدبى العربى على القرآن ، وعلى الكتب السابقة للإسلام ، وأن يرفضوا كل شئ إلا ما يثبتنه النقد العلمى الصحيح ، وأن يتحرروا من قيود العهد القديم التى جعلت من الأدب العربى مادة صلبة جامدة . وقد أثار قوله عاصفة من الاحتجاج ، مما حدا بالاستاذ الأكبر إلى شراء هذا الكتاب ومصادرته وبمثرة حروفه المجموعة بينما ظهرت منه طبعات بعد ذلك مشتملة على كثير مما كان يحظره فيه .

الآراء الحديثة:

إن الإصلاحات الأولى التى أدخلت عل منهاج التعليم وكانت ذات مغزى هى التى جاءت بالاهتمام الذى وجهه الملك الراحل فؤاد الأول إلى الأزهر فى سنة ١٩٣٠ حيث أنشئ إلى منهاج القديم دروس موضوعية على أسس الآراء الحديثة فى التربية فقد لوحظ أن أساتذة الأزهر لم يكونوا مفكرين النقطة الكافية لمثل ذلك ، ولأن كثيراً من الموضوعات الدراسية الجديدة وخصوصاً العلوم ، لا بد من أن يقوم بتدريسها أساتذة علمانيون من خريجي المعاهد الحديثة .

وحتى هذا لم يعوق أو يقف الاتجاه نحو الجامعات الحديثة وكان على الأزهر أن يواجه ما لا يستسيغه وهو أنه قد فقد كثيراً من سلطانه وسمعته القديمة ولا يزال الأمر ذا مساس خطير بالتعليم الإسلامى ، وكما هنالك من الشكوى من أنه بينما تغدق الأموال الطائلة فى ميادين التعليم الأخرى نراهم يتجاهلون التعليم الدينى ، وإن الأزهر يئن من قلة المال .

ويرى أنه لا بد من أن توجه الحكومة إلى التعليم الدينى اهتماماً أكبر ، وأن تعمل على مساعدة البعثات الإسلامية فى الخارج ، ويشعرون بأن اللوائح وكادر هيئة التدريس أدنى منها فى الجامعات الحديثة ، وقد نجم هذا الشعور عن الدعوة التى وجهت لإعانة جميع البلاد المسلمة فى العالم .

إن مكانة الأزهر هى من مكانة المصرى ، والعالم الإسلامى فى خضم الحياة ولو أن المصريين يشعرون بالفخر الخاص لهذه المؤسسة القديمة إلا أن تأثيرها عليهم قد تضائل بسبب انصرافهم الظاهر عن ملاحظة الشعائر الدينية ونمو المادية فى حياة المصريين .

ولا يدل هذا حتماً على ضعف جوهرى فى العقيدة الدينية أو على أن المصريين أضعف إسلاماً من ذى قبل وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على الرغبة الشديدة للشبيبة المصرية فى تعلم العلوم الحديثة ، وعلى اعتقادها أن الأزهر لم يعد صالحاً لإعداد الشبان لمواجهة الحياة المادية فى مستقبلهم .

إن اسم الأزهر لا يزال عظيماً فى جميع أنحاء العالم الإسلامى . إن الميول للوحدة الإسلامية — مقصودة كانت أم غير مقصودة — التى تحدد ، الرابطة العربية ، وبزوغ دولة باكستان الإسلامية العظيمة المستقلة وتدخل إسرائيل فى البلاد العربية قد عجلت بإلهاب شعور المسلمين وشعور عشرين ألفاً من طلبة الأزهر الذين يفدون إليه من جميع أنحاء العالم ويزداد عددهم كل عام .

وقد أمكن الأزهر أن يكون مركزاً لتخريج العلماء ، وإن أهم عمل قام به الأزهر فى التجديد كان فى الواقع ما بذله فى ميدان البحوث ، بيد أنه رغم هذا التقدم الذى حدث فى خلال الخمسين عاماً الماضية فإنه ليس من رأى كل علماء المسلمين أن الأزهر هو الذى يقود الفكرة الإسلامية ، أو حتى أنه يعتقد اعتقاداً كافياً فى رسالته .

ضوء على حياة الطالب بالأزهر

لفقيه السج محمد الفزالي

من علماء الوعظ والإرشاد

الطابع الخاص لحياة الطالب الأزهرى

للتطالب الأزهرى حياة متميزة فريدة تستمد خصائصها من طبيعة الرسالة التى يقوم الأزهر بأدائها من قرون ومن ألوان الثقافة التى يقدمها ومناهج التربية المتشابهة التى يأخذ بها طلابه على اختلاف مواطنهم .

ووفود الطلاب المنسبين إلى الأزهر يعتبر صورة دقيقة لما يسود الشرق الإسلامى من أحوال اجتماعية واقتصادية وغيرها . فان كثرتهم السكبرى - ان لم يكونوا جميعاً - من الأرياف البعيدة وبقيتهم من بيئات محافظة تقية .

ولعل الأسر التى تلحق أبناءها بالأزهر ترى فى ذلك ضرباً من ضروب العبادة ، ومظهراً للتعلى بالدين والحرص على بقاء روحه وازدهار معالمة ، وإنك لترى الوالد يترك إبنة فى مقبل العمر فى العاصمة التى يقع فيها معبده ويعود قافلاً إلى بلده تاركاً الطالب الجديد يواجه مصيره بنفسه ويخطط مستقبله بيده ...

مسئولية الطالب الأزهرى

وعلى الطالب - وهو لما يزل بعد شاباً صغيراً - أن يهمل الأعباء الملقاة على كاهله . فالى جانب الدراسة التى كرس حياته لها يجب أن يهتم بشئون الخاصة كلها فعليه أن يعد طعامه وأن يهيئ منامه وأن ينظف ملابسه وأن ينظم مسكنه .

رغبته فى التعاون

ولما كانت هذه الأعمال تتطلب تعاوناً جماعياً لإنجازها وإتقانها فإنه يغلب أن تتكون وحدات متجانسة لتذليل هذه الصعاب وقد تمتد روح التعاون فى الأعمال المعيشية إلى النواحي العلمية إذا كان أولئك الأصدقاء فى صف دراسى واحد ومن ثم تراهم يتعاونون على تحضير الدروس وفهمها كما يتعاونون على إنضاج الأطعمة وطهيها .

العمل اليوى

ويوم الطالب الأزهرى الجاد يزدحم بالواجبات المسادية والأدبية التى ارتبط بها

ولا يمكنه الفكاك منها فهو من مطلع الفجر إلى هزيع الليل يشتغل لمواجهة ضرورات الحاضر وأعمال المستقبل .

فراغ الطالب

وفرة الإجازة بعد انقضاء الدراسة تشبه أن تكون نوعاً جديداً من العمل فالطالب الأزهرى - كما بينا - قادم من الريف الكادح ، والأزهريون كتلة شعبية محضة فما يكاد الطالب التازح يود إلى قريته حتى يتحول إلى فرد عادى فى أسرته فهو مع أخيه الفلاح فلاح مثله ، أو مع أبيه التاجر تاجر مثله .

ومن المناظر المألوفة أن يخلع الطالب الأزهرى ثوبه العلمى ليرى وهو يضرب بالأس فى حقل أو يرمى البذور فى الأرض أو يشمر عن ذراعيه وساقيه ليدير الطنبور فوق مياه النيل كي يسقى زراعته .

وليس فى مزاوله هذا النوع من الأعمال شئ من الفظاظه عليه أو الخدش لكرامته أو المناقاة لمقتضيات دراسته . بل إنه يراه من آيات الرجولة الصحيحة ثم إنه مشاركة واجبة فيما يبذله الأهل والأقربون من جهود متصلة لكسب الرزق . وقد استفاد الأزهريون من هذه الحياة المشتركة خبرة فنية فى شئون عمرانية كثيرة تنضم إلى الرسالة العلمية التى يضطلعون بها كما أفادوا مناعة فى أجسامهم وقوة فى طاقتهم .

طابع التعليم فى الأزهر

والتعليم فى الأزهر متين الصلة بماضى الأمة وحاضرها والروافد التى تنمده بالحياة وتمينه على البقاء نابعة من عقيدة الأمة وتاريخها وتقاليدها . ولذلك فالطالب الأزهرى مثال الحضارة وامتداد التاريخ .

وهذا لا يعنى إنه تجديد لذكريات قديمة انتهت بتطور الزمان كلا ، فإن الأمة تستطيع أن تسير كل تقدم فى آفاق الفكر وميادين الإنتاج وهى فى الوقت نفسه حفيظة على مشخصاتها التى تفرد بها بطابعها الخاص وتعطيها ملامح معينة ثابتة .

والطالب الأزهرى لا يعد ليسكون خزانة لطائفة من المعارف المجردة قديمة كانت أو حديثة بل الملحوظ فى أعدادة أنه صاحب رسالة إسلامية واضحة فهو ينال من علوم الدين واللغة ومن علوم الكون والحياة ما يساعده على أداء هذه الرسالة العتيقة ومن الممكن اعتبار التعليم الأزهرى هو التعليم القومى لا لمصر وحدها بل لبلدان الشرق الإسلامى عامة .

الاستاذ في التعليم الأزهرى

وأثر الاستاذ في إعداد الطالب محدود في نطاق التوجيه والارصاد الذى لا يطمس شخصيته فالمفروض في الدراسة الأزهرية الأصيلة أن الطالب يعد في مساء يومه درس الغد في شتى العلوم التى سيتلقاها ثم يحىء الاستاذ ليشرح الدرس الذى يكون الطالب قد كون فكرة ما عن موضوعه فيكون هذا اللقاء بين الاستاذ والطالب فرصة لاستجلاء الغامض وحل المعقد، وفرصة كذلك لمناقشات حرة طليقة من كل قيد تطرح فيها الآراء وتساق الفروض وتمحص الحقائق دون توجس أو تهبرم.

— ٢ —

وقد شاعت هذه الطريقة في دراسات الأزهر الدينية والقانونية واللغوية والأدبية حتى اعتبر البحث الدقيق من اللوازم في العقلية الأزهرية.

ولا شك أن لهذا الأسلوب أثره في تكوين الشخصية المستقلة وإنماء الموارد الذاتية وإن كان يسبب لهم أحيانا عادة الافتراض وكثرة الجدل.

الطلاب الوافدون

ويكون الطلاب المبعوثون إلى الأزهر من الاقطار الأخرى قسما كبيرا بين المنتسبين اليه، وهم أفواج من أجناس شتى جاءوا من السنغال وتجانيقا وكينا والحبشة والصومال والهند والباكستان والشام والتركستان وتركيا والباينا الخ.

وقد أفرد الأزهر لهم مساكن خاصة وبذل في تكوينهم عناية بالغة. والمتاهج التى رسمها لتخرجهم يقصد بها تزويدهم بما يجعلهم رسلا للثقافة الإسلامية التى تدرسوا بها وأجادوا فنونها. وهى رسالة تعتمد على التربية والتهديب إلى جانب ما تقوم به من دراسات لشتى المعارف الأدبية والكونية.

والناظر إلى هذه البعوث الوافدة من مشارق الأرض ومغاربها يروعه النقاؤها في ساحة العلم الروحية وتحت ظلاله المورقة، ويلاحظ مظاهر الأخوة التى تؤلف بين قلوبهم وتجعل منهم وحدة متماسكة.

وإن فيما ييذه الأزهر من اهتمام بهذه الوفود ثم ما يحوطها من رعاية حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم لدلالة على ما تلقاه الرسالة الجليلة التى يضطلع بها هذا المعهد العتيق.

آداب السلوك

لفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم علي أبو الخشب

المدرس بكلية الشريعة

للسلوك الإنساني آداب أكثر من أن تأتي عليها كلمة عابرة ، أو تحيط بها مقالة قصيرة ، أو تتناولها صفحات محدودة تنشرها مجلة أو جريدة ، وقد تصدت لذلك كتب الأخلاق بعنوانات متنوعة ، وألفاظ مختلفة ، وربما كانت من البداهة بحيث يكون الحديث فيها معاداً مكروراً ينفر منه السمع ، ويميل القارئ ترديده ، لهذا فإنني لا أقصد بتلك الكلمة أن أقلب شيئاً من تلك الصفحات المعهودة للناس . ولكنني أحب أن أنوه إلى أن القائلين « الذوق شيء ليس في الكتب » فإنهم إن يقولوا - كذلك - إن الأخلاق لا تؤخذ من الكتب ، أو على الأصح إن الذي نجده فيها ، ونقرؤه من سطورها غير الذي نحتاجه في آدابنا ، وتمس إليه ضرورة المعاشرة ، وتقضى به معاني السلوك ، لأن ما هنالك ، نظري ، وما نفتقر إليه « عملي » وشتان ما بين اليزيديين ، وإن كان الثاني يتوقف على الأول إلا أنه يغيّره كل المغايرة .

ولو أن الكتب وحدها هي كل ما يسمو بنا إلى الآفاق البعيدة ، ويصل بنا إلى الغاية المرجوة ، لكان أحفظنا لها ، وأكثرنا تحصيلاً لما تضمنته ، أشدنا تمسكنا في الخير ، ورغبة في الفضل ، وزاهداً في السفاسف ، وكراهية للانحدار . . . ولذلك لا يعني علماء التربية حينما يبسطون القول في هذه الناحية بمقدار عنايتهم بالبيئة والقدوة الصالحة ، ويشنع بعض العلاسفة على هؤلاء الذين يعتقدون أن الرذيلة والفضيلة يرجعان إلى المعرفة ، ويمتنان بأسباب وثيقة إلى الشمول والاستقصاء ، لأن الواقع يناقض هذا الرأي ، وينادي بأنه لا يتلاقى مع ما يحدث

في حقائق الامور ، فكم شاهدنا من يعلنون أن الهلاك يتهددهم ، والويل يتوعدهم ثم لم يغن عنهم عليهم شيئاً .

وقد ترى رجلين يتساويان في حفظ المسائل ، ويتفقان في الإدراك ، ولا تكاد تميز بينهما في فقه قضايا السلوك والآداب ، إلا أنك تجد التباين واضحاً ظاهراً ، في تطبيق ذلك كله في الحياة الاجتماعية التي يحرف تيارها البلاد والعباد ، ويكتسح الكبير والصغير . والفؤى والضعيف . وتجد أغرب ما تجده ، وأعجب ما تلحظه ، ذلك الذي يستمد أسلوب معاشرته للناس من الظروف نفسها ، فهو يصدقك الود ، ويخلص لك المحبة ، ويتفانى في الزاني إليك ، والدنو منك ، ومشاركتك البأساء والضراء ، والبلهية والنعماء ، إذا وجد أن في ذلك راحة له ، وسروراً لنفسه ، وغنا يعود عليه . . أوري أنه بهذا يمشى على سنن السواد الأعظم ، أو السلطان القائم ، فإذا ما أحس أن التيار قد تحول إلى غير ناحيتك ، أصبح من الحتم عليه ، أن ينظر إليك بعين أخرى ، ويقابلك بوجه سوى الوجه القديم . .

وكثير من المعارف والأصدقاء يجعلون صلتهم بمعارفهم وأصدقائهم أشبه شيء بسندات البورصة ، يصادفها الارتفاع والانخفاض ، والغلو والرخس ، والزيادة والنقص ، كما تقضى المناسبة ، وتوجب السوق . . . وربما كان الذين لا يشقون في الصداقة ، ولا يؤمنون بدوام المودة ، نظروا إليها من هذه الزاوية ، وحكموا عليها بهذا المعيار ، فأفاضوا في التشاؤم بها ، والنفور منها ، وعدم الركون إليها . . وإذا كان هناك من يقول إن الصداقة ضرورة اجتماعية ، فإنهم لا يدعون بأنها الصداقة التي يشتقها علماء اللغة من الصدق ، ويشترطون فيها الإخلاص ، ويطلبون من أصحابها التعاون على البر والتقوى ، ولكن يقولون إنها صداقة الملق والرياء ، والنفاق والكذب ، والخذاع والمراوغة ، والمكر واللف ، والكذب والادعاء ، والدهاء والاحتيال ، والحديث المعسول ، والوعود الخلابية ، بمقدار ما يتطلى على بلاهة الصديق ، ويجوز على غرارة الصاحب ، وكلما أتقن المرء هذه الأشياء كلما كان جديراً بالتقدير والاحترام . .

وليس يسرنا أن نسترسل في سياق هذا الحديث الذي يدل على ثلاثى الشخصيات وذهاب الكرامة ، وفقد المروءة ، وضعف الأخلاق ، وموت الصائرين . . . إلّا أننا نود أن نهمس في آذان أولئك الذين يتجرون بسلوكهم هذا الاتجار ، ويتخذون منه مطية لمآربهم في المناسبات الخاصة ، والأزمات والامكنة التى تتطلب ألواناً بعينها من الآداب والمعاملات : إن الدين يأبى على صاحبه أن يؤمن وجه النهار ثم يكفر آخره . .

ومصطفى صادق الرافعى الذى عرف قراء العربية أنه كاتبها الفحل ، وباحثها الضليع ، وعالمها العليم ، وحارسها اليقظ ، كان له في بعض الاحايين ، أبيات من الشعر تجرى مجرى الحكمة ، وترد موارد الامثال ، وله بيت في هذا العنوان ، يوزن بألم دينار ، يوصى فيه أن يظل الرجل كالضرس يرسو مكانه لا يثنيه فيما يصادفه حلو ولا مر . . . وكذلك يكون الإنسان الذى يرى أنه فوق الأنواء والعواصف ، والآلام والخطوب ، والصحو والغيم ، والظروف والمناسبات ، لأن الخلق إذا تمكن في نفس صاحبه كان له منه قوة لا تعباً بالتقلبات الجوية ، والموازن المعنوية ، ولا تعول إلا على الحق في ذاته غير منظور فيه الى أى اعتبار . .

وأغلب الظن أن شكايئنا من الآداب والسلوك ، والطباع والفرائز والعادات والأخلاق ، والمعاملات التى نبغضها ، والصفات التى لانحب أن تسود معاشرتنا ، سوف يظل عهدنا بها هكذا مادامنا لا نصلح ما بيننا وما بين الله ، لأن مما لا شك فيه أن ما بين الإنسان وبين ربه مقياس ما بينه وبين الناس ، وقد أدركنا كثيراً من آباءنا وأسلافنا ، ومشايخنا الذين ساروا على النهج القويم ، والصراط السوى ، فوجدنا أنهم حين قويت أصرتهم بالذى فطر السموات والأرض ، تهيأت لهم أسباب الفلاح والنجاح ، وتوفرت لهم دواعى السعادة ، وكفاهم الله شرور العالمين . ثم رأينا مع هذا وهذا قوما أفسدوا دينهم ففسدت دنياهم ، وأضاعوا آخرتهم فلم يغموا من العيش إلا أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، فالهم أهدنا سبيلك ، وجنبنا سخطك ، وقنا عذابك ولا تجعلنا من الذين يعرضون عن نهجك ، ويتسكبون صراطك ، ويشترون طاعة الناس بمعصيتك إنك أنت العزيز الحكيم ؟

المعاهدة الغادرة

لغزير الأستاذ الشيخ السيد شريف

المدرس بالأزهر

تذرت غرناطة آخر مدن المسلمين بالاندلس مدة بالصبر على الأذى ، وقوة الاحتمال ، والرضا بما تلقى من مكاره ، وقاتل حمايتها في سبيل الدفاع عنها قتال المستميت . حتى تخضبت أسوارها بدمائهم ، وامتلات أرباضها بأشلائهم ، وتنافسوا في ميدان التضحية ، راضية نفوسهم ، مطمئنة قلوبهم . علمهم يستطيعون الإبقاء عليها بعد أن سلمت جميع الحصون التي تحيط بها ، ولكنهم بعد فضال مرير دب اليأس إلى نفوس العامة فيها نتيجة لما يعانونه من أهوال الجوع والمرض والحرمان بسبب الحصار الشديد الذي ضربه فرديناند الخامس حولها ، وأزمع جاهداً على ألا يدخر وسعاً في إرهاقها لتدعن لمشيئته وتدين بطاعته ، وقد رابطت سفنه في مضيق جبل طارق لتحول دون وصول أى مدد إليها من مسلمى أفريقيا . وبذلك قطع علاقاتها مع البر والبحر من كل ناحية واقتلع من أذهان رجالها كل مطمع في أمل أو رجاء .

وإذ ذاك دعا أبو عبد الله محمد آخر ملوك الاندلس مجلساً من كبار الجند والفقهاء والاعيان فاجتمعوا في بهو الحمراء الكبير ، وبعد أن شرح لهم أبو القاسم عبد الملك حاكم المدينة ما انتهى إليه الأمر من تفاقم واضطراب ، وما ساد المدينة من خوف وفزع ، ونزل بها من فقر وفاقة قر رأيهم على التسليم إلا القائد العظيم موسى بن أبي الفسان ، فإنه أبى قائلاً : فلنعمل على إثارة الشعب ولنضع في يده السلاح ولنقاتل العدو حتى آخر نسمة وإنه لخير لى أن أحصى بين الذين ماتوا من أن أحصى بين الذين شهدوا تسليمها ولكن كلماته لم تترك أثراً لأنه يخاطب رجالاً نضب الأمل من قلوبهم وملا اليأس جوانبهم وغازت فيهم كل حماسة ووصلوا إلى حالة من الهوان لا تتجع فيها الإثارة ولا ينفع معها التذكير بمواطن الخلود ومواقف البطولة .

ثم أرسلوا أبا القاسم إلى ملك النصارى فرديناند ولبثت غرناطة ترثف من أقصاها إلى أقصاها وتتحرق لهفة إلى معرفة ما تفصح عنه الرسالة حتى عاد يحمل الشروط التي رخصها فرديناند . وحين عرضها على مجلسهم قبلها لأنها أقصى ما تجوده نفس رجل محب للتسلط راغب في العدوان حريص على أن يبيد من الوجود كل أثر لذلك التراث المجيد الذي أشاع في البلاد العدالة والحرية والمساواة ، ولما هموا بتوقيع صك التسليم نهض البطل المؤمن موسى بن أبي الغسان وصاح فيهم : لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سيوفون بكمهم . ولا تركنوا إلى شهامة ملسكم . إن الموت أقل ما نخشى . فأمامنا نهب مدينتنا وتدميرها وتدنيس مساجدنا ، وهتك نساتنا وبناتنا ، وأمامنا الجور الفاحش ، والتعصب الوحشي ، والسياط والأغلال ، وأمامنا السجون والأنطاع والحارق ، وهذا ما سوف تراه على الأقل هذه النفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف . أما أنا فوالله لن أراه . ثم انصرف حيث اختار لنفسه ميته الأحرار المجاهدين .

وشروط التسليم كثيرة أهمها . تأمين الصغير والكبير في النفس والأهل والمال . وإبقاء الناس في أماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم وإقامة شريعتهم على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم إلا بشريعته ، وأن تبقى المساجد كما كانت والأوقاف كذلك وألا يدخل النصارى دار مسلم ولا يولى على المسلمين نصراني أو يهودي وأن يطلق سراح جميع الأسرى وأن يجوز إلى إفريقيا من شاء من المسلمين في سفن يقدمها ملك النصارى في غضون ثلاثة أعوام ، وألا يقهر مسلم على التصير وأن من تنصر يوقف أياما حتى يظهر حاله ويستحضر له حاكم من المسلمين وآخر من النصارى فإن أبي الرجوع إلى الإسلام كان له ما أراد ولا يسترد ما أخذ من النصارى أيام العداوة ، وترفع عن المسلمين جميع المظالم والمغارم المحدثة ولا يحق لنصراني أن يدخل مسجداً ولا يمنع مؤذن ولا مصل ولا صائم ولا غيره من أمور دينه وأن يوافق البابا على تلك الشروط وافقوا أيضاً على أن يغادر أبو عبد الله غرناطة إلى البشرات حيث يقطع ضياعا يعيش فيها ، وأن تقدم غرناطة خمسمائة من أعيانها رهينة للوفاء بالإخلاص والطاعة ، ثم احتل فرديناند المدينة وحرمها وقصورها وحصونها

وخفق علم النصرانية فوق صرح الإسلام المنهار وطويت إلى الأبد تلك الصفحة الخالدة من حكم المسلمين لهذه الديار .

وبعد أعوام قلائل تحققت مخاوف المسلمين وصدقت نبوءة قائدهم موسى ابن أبي الفسان وكشفت الأحداث عن أصالة رأيه وبعد نظره ، حين بدأ العدو يحور المعاهدة ويفسرهما وفق مطامعه وبوحى من مآربه . ثم أخذ ينقضها عروة عروة ويخيس بها نصا نصا ، فأغلق المساجد وانتكح العقائد وحظر إقامة الشعائر وصب على المسلمين صنوفا من العنت والاضطهاد وأفتن في إبدائهم والتسكيل بهم فلم يسلم لهم الشرف ولا العرض ، وكان قبس من الحماسة ما زال يضطرم بين أهل المناطق الجبلية . بلفيق واندرش وغيرهما . فرفعوا أصواتهم بالذمر والشكوى وثارَت الأنفس وهاجت الخواطر وقد وجدها مجلس الدولة الذي أنشئ بغرناطة فرصة مواتية لإلغاء المعاهدة والنتكث بالعهود جملة ، واعتزم تنفيذ فكرة مشؤمة نهض بالدعاية لها رجال الكنيسة وهي تشريد المسلمين وإبائهم إلا أن يفتصروا . وما كاد يذاع قرار المجلس حتى ذكا الهياج في كل ناحية وحاول المسلمون المقاومة سيما في المناطق الجبلية ولكنهم كانوا عزلا ، وكانت جنود النصارى صارمة شديدة الوطأة فزقهم بلا رحمة واستأصلتهم قتلا وسياً .

وقد تنصر إثر هذه القسوة الآلمية من خار في ميدان الجهاد . وآثر السلامة . وخاف الفاقة . وتعلق بالوطن . وهاجر من اختار التمسك بعقيدته . والحفاظ على كرامته . فغادر أسبانيا جموع كثيرة إلى فاس ووهران . وبجاية وتونس وطرابلس وغيرها من ثغور إفريقية بعد أن أغرقوا بدمهم أرضها . وكتبوا بمقاومتهم أنصع الصفحات في تاريخ الجهاد في سبيل الله ، وقد تم جلاء آخر جماعة إسلامية أبت أن تفتدى نفسها وما لها بالنزول عن دينها وإبائها في سنة (١٠١٧ هـ - ١٩٠٩ م)

وبذلك صارت أسبانيا كلها نصرانية كرها وقهراً . لا طوعية واختياراً . وجلجت أصوات التواقيس في صوامعها . وامتلات مساجدها بالصور والصلبان . وأقمرت من ذكر الله وتلاوة القرآن . ورفع الصليب الفضى الكبير فوق أبراج الحمراء . وقد خفق فوقها أحقابا علم أولئك الأجداد الميامين .

نونية ابن زيدون

مؤسّس الشّعر مميّز

المدرس بكلية اللغة العربية

— ٣ —

امتاز شوقي بمطلعه الشعري الرائع الذي فاق مطلع ابن زيدون ، ذلك المطلع الضحل الذي يكرر بعضه بعضا . فالشطر الثاني هو الشطر الأول :

أضحى التثاني بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تحافينا
ويقول ابن زيدون :

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضى علينا الأسى لولا نأسينا
فنجد معنى أوليا : ضمير المحب يناجي المحبوب ، فيكاد الأسى يقضى عليه
لهذه النجوى لولا التجلد والنأسى ، أما شوقي فإنه قد فرغ من هذه المناجاة ،
وارتفع بحبه إلى المنزلة التي يغار فيها من ضميره حين يناجي من يحب :

يا من تغار عليهم من ضمائرنا ومن نصون هوام في تناجينا
ويقول ابن زيدون :

ليسق عهدكو عهد السرور فما كنتم لأرواحنا إلا رياحيننا
إذ جانب العيش طلق من تألفنا ومربيع اللهو صاف من تصافينا
فنجد هذه الصورة عند شوقي على هذا النحو :

سقى لعمد كأكناف الربا رفة أنى ذهبنا وأعطاف الصبا لنا
إذا الزمان بنا غناء زاهية ترف أوقاتنا فيها رياحيننا
الوصل صافية والعيش فاغية والسعد حاشية والدهر ماشينا

فلا يقف بأحبابه عند جعلهم رياحين بل يتعدى ذلك إلى الزمن الذي يرف بهم ريحانا ، ويهفو بلبياهم نسيما عاطرا ، هذا إلى تصويره عهدهم بأكناف الربا وأعطاف الصبا ، وتمثيله الزمان بالغناء الزاهية ؛ ثم إلى التقسيم الموسيقي في البيت الأخير ، وما استوفى فيه من ألوان التصوير ، وأفانين الصفو والدعة .

على أنه لم يكتف بذلك ، بل أخذ يسترسل في وصف مظاهر زمان الأناش وعهد الصفاء ، بما أمد به خياله المخلق من روائع التشبيه ، مما لا نجد مثله عند ابن زيدون . يقول شوقي في استرساله :

والشمس تختال في العتيان تحسبها	بلقيس ترفل في وشى البيانينا
والليل يقبل كالدينا إذا احتفلت	لو كان فيها ولاء للصافينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذمها	ماء لمنا به الأكسير أو طينا

ويقول ابن زيدون :

يا سارى البرق غاد القصر فاسق به	من كان صرف الهوى والوديسقينا
واسأل هنالك هل عني تذكرنا	إلفا تذكره أسمى يعنينا

فيأخذ شوقي هذا المعنى ويقبله على وجوه مختلفة ، وينزع منه صوراً متعددة ، فلا يقنع بمخاطبة البرق حتى يجعله يرمي عن جوانحه ، ويهيم عن مآقيه ، ويصف تفرقه في دمع السماء ، ويشهده على حاله التي أخذ يشرحها له . ثم يشيعه إلى آفاق الليل ، فيصور احتواءها له ، واحتفاء الريف به ، ونحو ذلك مما سبق بعضه ، وكما يقول :

يا سارى البرق يرمي عن جوانحنا	بعد الهدوء ويهيم عن مآقينا
لما تفرق في دمع السماء دما	هاج البكا غضبنا الأرض باكيننا
الليل يشهد لم تهتك دياجيته	على نيام ولم تهف بسالينا
والنجم لم يرنا إلا على قدم	قيام ليل الهوى للعهد راعينا
كزفرة في سماء الليل سائرة	عما تردد فيه حين يضويننا

وعلى هذا النحو يقول ابن زيدون :

وبانسيم الصبا بلغ تحيئنا	من لو على البعد حيا كان يحيينا
--------------------------	--------------------------------

فيأخذ شوقي في وصف الريح ، ويولد ما شاء من المعاني ، ويطلق خياله في أذيالها العاطرة ، ويبالغ في شكرها على تجشمها السرى ، وطيب مسراها ، ثم يوشى ذيولها المسكية بغرائب أشواقه وحنينه ، مما لم نشهده عند صاحبه :

ويا معطرة الوادي سرت سحرا	فطاب كل طروح من مرامينا
ذكية الذيل لو خلنا غلالها	قيصر يوسف لم نحسب مغالينا
جشمت شوك السرى حتى أتيت لنا	بالورد كتبنا وبالربا عناوينا
فلو جزيناك بالآرواح غالية	عن طيب مسراك لم تنهض جوازينا
هل من ذيولك مسكى نحملة	غرائب الشوق وشيا من أمالينا

وقال ابن زيدون :

لاغرو في أن ذكرنا الحزن حين نمت	عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
إنا قرأنا الأسى يوم التوى صورا	مكتوبة وأخذنا الصبر تلقينا

تعامل فلسفي جميل : لا عجب في أن نذكر الحزن ونفسي الصبر ، لأن الحزن قد اشتد علينا ، حتى كأننا قرأناه سوراً مكتوبة لا نفسي ، أما الصبر فقد لقناه تلقينا ، فلم يمس شغاف قلوبنا كما مسها الحزن ؛ أما شوقي فقد اشتد به الحزن والوجد ، ولكنه لم يفس الصبر كما نسيه ابن زيدون ، بل دعاه ، وإن كان لم يأخذ بيده :

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا	في التائبات فلم يأخذ بأيدينا
وما غابنا على دمع ولا جلد	حتى أتتنا نواكم من صياصينا

ولانفهم من هذا أن شوقي قد قصر في تصوير نكبته بهذه الدعوة إلى الصبر ، فإنه يصور فداحة خطبه بطريق آخر غير طريق ابن زيدون ؛ فهو الذي يدعو الصبر في كل نائبة فيستجيب له ، ولا تلين قنانه للحوادث والخطوب . أما في هذه المرة فإنه يغلب على صبره وجلده ودمعه ، ولا شك في أن هذا التصوير أدل على فداحة المصاب من تصوير ابن زيدون ، فإن دمة الشجاع الذي لم يعتد الهزيمة أحر وأبلغ في الدلالة على عظم السكارثة من دموع من اعتاد الهزائم .

ويقوله ابن زيدون :

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نفض فقال الدهر آمينا
----------------------------------	--------------------------

فترى (شوق) عالة عليه في هذا البيت . وإن امتاز بأنه جميل الدعاء من الليالي
لأنه سلبها صفوها فدعت عليه :

ولم ندع للبيالي صافيا فدعت بأن نفض فقال الدهر آمينا

وهكذا نجد أن شوقي هو الشاعر الوحيد الذي فاق ابن زيدون ، واستطاع
أن يغزوه في وطنه ويتصر عليه ، بما جدد من الأفكار ، وولد من المعاني ،
واخترع من الصور ، وزاد من الألوان ، وابتدع من الخيال . وب نفسه الطويل
الذي مد من شأوا القصيدة حتى قاربت أن تكون ضعف قصيدة ابن زيدون .

ومع هذا يجب أن نعتز لابن زيدون بفضل السبق ؛ ويكفي أن معانيه
هي التي أوحى إلى شوقي ، وبحسبه أن وزنها وقافيتها بل إن كثيراً من أوزانه
وقوافيه كانت الفتح الأول لهذا الباب الذي ولجه شوقي . على أنه لا يزال منفرد
بمعنى لم يذكره شوقي ، وهو أثر الراح والغناء في نفسه بعد الفراق كما يقول :

لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيما ارتياح ولا الأوتار تلهينا

ومن يذرى لعلنا نظفر فيما بعد بشاعر يسبق هذين الجوادين ، ويبرزهما
في ميدان السبق ، فما تزال قصيدة ابن زيدون ، وما تزال قصيدة شوقي ، وما يزال
الباب مفتوحا ، وما يزال في الدنيا شعراء .

وما نحن أولاء نرى الجارم يعارضها بعد شوقي ، وهو في طريقه إلى السودان
بقصيدة يقول فيها :

يا نسمة ونحت أعطاف وادينا	ففي نحيبك أو عوجي لحينا
مرت مع الصبح نشوى في تكسرها	كأنما سقيت من كف ساقينا
أرخت عذارها أخلاط نالفة	وأرسلت ذيلها ورداً ونسرينا
كأنها روضة في الأفق ساجدة	تمج أنفاس مسراها الرياحينا
مبت بنا من جنوب النيل ضاحكة	فيها من الشوق والآمال ما فينا
لنا على العهد لا بعد يحولنا	عن الوداد ولا الأيام تفصينا
أثرت يانسة السودان لاجئة	وهجت عش الهوى لو كنت تدرينا

الاسراء والمعراج

رجب سنة ١٣٧١ هـ

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شفيع السبر

المدرس بكلية اللغة العربية

تبسمت الدنيا ففاج القوافيا وعاد صباحا ما بدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين في الكون كله فأضحى به القطر الحجازي زاهيا
قفار ولكن أنبت أطيب الوري وجذب ولكن كان أخصب واديا
وما الجذب إلا في النفوس رخيصة وما الخصب إلا في النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها غرس واحد وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا

هبات أتيحت للآلى ظفروا بها ومجد يلقاه التبيون عاليا
وما كان لإسراء النبي محمد سوى الجدم من رب السموات ساميا
سرى فسراه كان للعين قرة وللقلب من داء الضلالة شافيا
إلى المسجد الأقصى تنقل ركه تنقل نور الشمس في الكون ساريا
عجبت لما يدعى (البراق) كأنه سنا البرق يطوى صفحة الأفق ماضيا
فأني هناك الرسل يرتقبونه كما ارتقب الصادي من الماء صافيا
إمام ولكن الذين خلفه فيأطيها من نعمة هي ما هيا

وفي مثل رجع الطرف كان صعوده وكل سماء في الدجنة راقيا
وحسبكم جبريل للركب قائدا وحسبكم الرحمن للركب راعيا
إلى الحضرة العليا تداني مكانة وزاد علاه واستطال أياديا
أياد من الله الجليل جليلة بها زخر الشعر الثرى معانيا
فيا ليلة ما كان أنه شأنها تبرز بسامى الفضل فيها اللياليا
ويا ليلة ذكراك في القلب عذبة تجب بذكرها القرون الخواليا

جامع الملك الظاهر بيبرس

لمحاضرة الأستاذ محمد صبرى عابدين

أمين سر الهيئة العربية العليا

جامع أثرى عظيم شاهق البنيان واسع الأركان ، ورغم الخراب الذى حل بقبته ومنارته فلا تزال جدرانه وأعمدته متينة قوية . وهو يعد من أكبر الجوامع الأثرية بالقاهرة ، ذكر المقرئ فى خطاطه أن الملك الظاهر بيبرس أنشأ هذا الجامع فى ميدان قراقوش خارج باب الفتوح من القاهرة سنة ٦٦٥ هـ - ١٢٦٦ م ، ويسمى جامع العافية كما يسمى جامع الظاهر وقد أنفق بيبرس فى بنائه ما يزيد على ألف ألف درهم فوق مليون من الدراهم وهى تساوى حوالى مائة ألف دينار من الذهب ، ويقع هذا الجامع فى ميدان الظاهر بين شارعى الظاهر والعباسية بالقاهرة ، يبلغ مسطحة ١١٨٨٠ متراً مربعاً ، وهو ما يقرب من ثلاثة أفدنة ، وقد ذكر الجبرئى فى تاريخه أن هذا الجامع جعل فى العهد العثمانى مخزناً للمهمات الحربية كالخيام والسروج وغيرها ، وفى أيام الفرنسيين بمصر جعلوه قلعة ومنارته برجاً ووضعوا على أسواره المدافع وأسكنوا به جماعة من عسكرهم .

ولم يبعث الرسل نوراً ورحمة	وبرءا لآثار السكوم دواميا
فأحيوا من الأبواب ما كان ميتاً	وأنجوا من الولايات من كان هاويا
ولاقوا من الدنيا العناء فاثبتوا	ولا عرفوا حين الجهاد توانيا
وجاء رسول الله من بعد ناسخاً	كما نسخت شمس النهار الداريا
رسول لو أن الأرض تحمل مجده	لمادت فلم تحمل عليه الرواسيا
تخير ذا مجد أثيل ومحدد	أصيل وعن كل الدنيا نائيا
دموف رحيم لم ير الناس مثله	أبر بميثاق وأعلى معاليا
وأين قريض فى المسامع وقعه	كوقع خيرر الماء أسمع صادبا ؟؟
فلولا جلال الرسول مضاعف	نشرت بمدحى للرسول الغواليا
ولكنه جهد المقل فلن يرى	كفاء لهايك المفاخر كافيا

وفي عهد الاحتلال الإنجليزي جعلوه مذبحة للجيش فكان الإنجليز يذبحون فيه الخنازير وسواها من الحيوانات منتهكين بذلك حرمة الدينية .

وعما يؤسف له أن العامة من أهل القاهرة لا يعرفون هذا الجامع إلا باسم « المذبح أو مذبح الإنجليز » ، وفي سنة ١٩١٥ قد أبطل الذبح فيه

وفي سنة ١٩١٨ غرست مصلحة التنظيم أرض صحن الجامع وجعلته منزها عاما وفي سنة ١٩٢٨ عمرت لجنة حفظ الآثار العربية الجزء الواقع عند المحراب وجعلته مصلى وهو ما زال إلى الآن مصلى تقام فيه صلاة الجمعة والصلوات الخمس ، أما القسم الأكبر منه فلا يزال مستعملا حديقة عامة للزهة .

وأذكر أن الحكومة المصرية كانت قبيل الحرب سنة ١٩٣٩ قد فكرت في عمارة هذا الجامع وإعدادة جميعه لعبادة الله وتطهيره من أرجاس الإنجليز وآثار مذبحهم وإزالة المتزده القاتم فيه ، وقد نشرت بعض صحف مصر في ذلك الحين أن وزارة الأوقاف قدرت مبلغ مائة ألف جنيه لصرفها في إصلاحه وتهيته لإقامة الشعائر الدينية ، ولكن نشوب الحرب عطل المشروع وبقي هذا الجامع الأثرى التاريخي منزها يؤمه سكان حي الظاهر وأكثرهم من غير المسلمين وهو حال لم يحدث مثله في معابد أية ملة من الملل في مصر .

من أجل ذلك أوجه الرجاء إلى المسئولين من رجالات مصر المخلصين أن يعيدوا النظر في شأن عمارة هذا الجامع واتخاذ الأسباب الفعالة لإعدادة كله للشعائر الإسلامية وإزالة ذلك الاسم البغيض « مذبح الإنجليز » ، اللاحق به ظلما وزورا .

وإني لأهيب بحضرة صاحب المعالي الرجل المؤمن النبيل محمد المفتي باشا الجزائرلي وزير الأوقاف المصرية أن يولى هذا الجامع ما يستحق من العناية والاهتمام فيكون له فضل عمارته وتجديده وإنه لعامل إن شاء الله .

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » .

الرسول والقيادة

لفقيه الأستاذ حسن حسن منبل

المدرس بالأزهر

كان سكان الجزيرة العربية إحدى الفرق البشرية التي عمها الظلم وملاها الفساد فالقوم أحوالهم مضطربة ، ووحدتهم معدومة ، وقعوا في جهالات مطبقة ، وشورور موبقة ، وأصنام معبودة ، وأرحام مقطوعة ، وغارات متواصلة لأنفه الأسباب ، فإذا أعوزتهم حرب القبائل المجاورة حارب بعضهم البعض :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

كانت المرأة فيهم إذا أرادت فرقت وإن شامت جمعت ، فإن اتجهت عواطفها إلى السلام سمت إليه ونجحت فيه ، وإن وجهتها لإرادة الانتقام إلى الشر أشعلتها بين الأحياء .

وقصارى القول كانت حالتهم سيئة ، لا تدعو إلى الهدوء ولا تدفع إلى الطمأنينة ، فكان لا بد من مصلح حكيم وزعيم موفق ، وقائد مقدام ، وليس هناك من توفرت فيه الصفات المطلوبة سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اختاره الله لينقذ الجزيرة من هذتها ، وينتشلها من كبوتها ، بل اختاره الله للعالم أجمع ليقوده ويسوسه . والمصلحون والقادة يوجدون عند عموم الضلالة ، ويظهرون عند طموح الجبالاة .

وهنا تظهر حكمة الرسول ولباقته ، وجرأته وشجاعته ، ونظمه الحرية السليمة وكيف سار على مبادئه تعتبر حديثة في نظر الحروب الحاضرة .

تلقى وحى الرسالة فبدأ يصلح قومه بها في غسق الليل وجنح الظلام ، وبين طرفي النهار تحت ستار السر وراية السكتان . ثم جهر بالدعوة حين تلقى أمر ربه . فاصدع بما تقرر . فأخذ يجر بها لا يتخاف ألماً يصيبه ، أو بلاء يلحقه ، وسقه أحلام المشركين وعاب آلهتهم ، فعرضوا على عمه أبي طالب أن يسلمه أو يكف عن دعوته فأبى . هذا عرض موجز وبجالة سريعة أردت عرضها لتظهر في محمد القيادة بأجلى معانيها ، وليبين للنظر أنه كان لا بد من الحرب والصراع بين الفكرتين ، وأن

القيادة الحققة هي التي ترغب هؤلاء على اتباع الجادة ، وسلوك الطريق السوى ، وهي التي تستطيع أن تردهم عن غوايتهم بعد أن استمروا الشر ، وحلا لديهم الفساد . وما كان ذلك بالأمر الهين ، فقد استدعى حرباً شنها على أعدائه وأقامها على معانديه غير بادية بالعدوان : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تفتنوا » .

ورغم أن محمداً لم يتلق مبادئ الحرب ونظمها ، وقواعد العسكرية وفنونها ، في مدارس خاصة ، فإنه كان قائداً ماهراً ، نظم الجيوش وخاض بها المعارك ، وخرج منها ظافراً منتصراً ، بفضل ما سار عليه من مبادئ وما اتبعه من أساليب .

إن الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
وسأذكر بعض وقائعه شارحاً فيها المبادئ العسكرية ، مستنبطاً منها القواعد والفنون الحربية ، أو مطبقاً هذه المبادئ على تلك الوقائع ؛ وما هي ذى وقعة بدر الكبرى تظهر فيها المبادئ ناطقة :

مكث محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة يترقب أخبار عودة العير التي ذهب بها أبو سفيان إلى الشام ، فبعث بكشافين إلى الحوراء الواقعة على شاطئ البحر الأحمر التي لا بد للعير من الوقوف بها ، ولا شك أن في بعث الكشافين استطلاعاً للعدو ومعرفة أخبار عنه ، ولما عزم الرسول على الخروج لهذه العير لم يلبث أن ذاع الخبر بين سكان المدينة فنقله البعض إلى أبي سفيان فجد في السير بحذر ، وأرسل إلى قريش يعلمهم الخبر .

ويقال إن محمداً لم ينتظر عودة رسوله بل قرر الخروج لملاقاة العدو خشية أن تفوته العير كما فاتته في المرة الأولى ، وكأنه بهذا يريد أن يطبق مبدأ من المبادئ الحربية لها خطرهما في النصر وأثرهما في النجاح وهو مبدأ المباغتة والمفاجأة ؛ لذلك ندب المسلمين وقال لهم : هذه عير قريش فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها .

أما أبو سفيان فحين علم بخروج محمد لاعتراض قافلته ، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وبعثه مسرعاً إلى مكة ليستفز قريشاً إلى أموالهم ، ووصل ضمضم من مكة إلى بطن الوادي ، وأشعل النار ، وأهلب النفوس بما صنع .

فخرجت مكة وعلى رأسها أشرافها للدفاع عن تجارتها ، فكانت حملة أبي سفيان كبيرة العدد والعدد ، وخرج النبي كذلك بعد أن رتب أمور المدينة في قلة من العدد والعدد . وهنا وقفة تتجلى فيها حكمة محمد إذ رأى أن يكشف عن روح جنوده المعنوية قبل أن تفشب المعركة ، ويعلم أوار الحرب ، فالقوم كثيرون وهم قلة - استشار الناس وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش . فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد ابن عمرو فقال يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، وقال سعد الأنصاري : فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر غفخته لخضناه معك ... ، فأشرق وجه محمد وقال : سيروا وأبشروا والله لكان أنظر إلى مصارع القوم ، . ترى من هذا أن محمداً رأى أن يختبر جنده قبل أن يلقى عدوه ، فليست العبرة بكثرة العدد ولا بوفرة العدد ، وإنما الإيمان بالفكرة والثقة بالله مما سبب النصر وسبيل النجاح . ارتحل محمد وقومه حتى إذا كانوا على مقربة من بدر انطلق محمد على بعيره حتى وقف على شيخ من العرب وسأله عن محمد وقريش ومنه عرف أن غير قريش منه قريب . أراد الرسول زيادة معلومات عن العدو فبعث على بن أبي طالب مع جماعة إلى ماء بدر يتلمسون له الخبر وعادت هذه الطليعة ومعها غلامان عرف منهما أن قريشاً وراء هذا الكتيب بالعدوة القصوى ، ولما أن أجابا أنهما لا يعرفان عدة القوم سألهما محمد كم ينحرون كل يوم ؟ فأجابا يوماً تسعاً ويوماً عشرة ، فاستنبط النبي من ذلك أن القوم بين التسعمائة والالف وعرف كذلك أن أشراف قريش خرجوا لمنعه فقال لقومه : هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها ، إذن فلا بد له ولهم أمام قوم يزيدون عليهم في العدد ثلاثة أضعاف من أن يشحذوا عزائمهم وأن يوطنوا على الشدة أقدمتهم ونفوسهم ، وأن ينظروا موقعة حامية الوطيس لا يكون النصر فيها إلا لمن ملأ الإيمان قلبه بالنصر .

وكتب الله النصر للمسلمين بعد قتال عنيف وفر المشركون فنتقمهم المسلمون وفي هذا تحقيق لمبدأ آخر وهو استمرار النجاح بمطاردة المنهزمين .

وبعد : فإن المتنبع لأحوال العرب وما كانوا عليه وغزوة بدر وما وقع فيها يرى أن القيادة بأسمى معانيها وأجلى صورها روحية أو عسكرية كانت لمحمد صلى الله عليه وسلم .

الشعر المسخر...!

نفضلة الأستاذ الشيخ كامل عجمون

المدرس بالأزهر

— ١ —

سخرت العvisية الأولى قرائح الشعراء وسأقت الشعر والشعراء إلى ميادين خلقتها طبيعة البداوة .

فلما أشرقت الجزيرة بنور الإسلام تلفت الشعر يريد أن يأخذ مهبه على هدى من الوحي الجديد والحياة المهدبة المجدية على المجتمع الإنساني .

ولكن الحياة السياسية والصراع الذي نشب حول الملك العضود . وانتفاضة الجاهلية وتزاحم القبائل فيما فتح من زهرة البقاع الخصبة ، والتكالب على الغلب والسبق إلى مغامرات كثيرة متناوذة ، كل ذلك وغيره من عوامل ، بلبل على الشعراء قرائحهم وأغرامهم بالتمرد على مسالك الفن الخالص للفن ، والتنازع الصادر عن وحي لم تسخره الرغبة في المال أو الرهبة من سطوة السلطان .

وعاشت حبات الشعراء بعجلة السياسة كما نازعتهم دواليب المجتمعات في الدولة الأموية ، ثم العباسية ، ثم ما بعدها من دويلات أفلتها طبائع تخضع لها الدول من ضعف وقوة ، وتلك سنة الله في خلقه .

وما أكثر الشعراء الذين نعدم في مختلف أعصر الأدب ممن سخرُوا فنهم للفردية المترفة التي اتخذت من الشاعر معبراً للترفيه عن نفسه والتعبير عن أهوائه على حين ضيق من الشاعر أو كره من القريحة .

ولا عذر يلتمس عند المتخلفين وراء تهالك الشعراء على موائد المنادمة العباسية أو المطاردة اللاهية أو العبث القاسي في بغداد ودمشق والقاهرة وعواصم الأندلس وكل مرتع لاه في الحداثق وعلى متون الحرافات وحواف الشيطان .

كما لا أنكر على الشعراء إجادتهم الفنية فيما عالجوا من تعبير عن حياتهم التي شاركوا فيها الخلفاء الأمويين والعباسيين ، ومن جاراتهم من الأندلسيين لأنهم صدقوا ما انطوت عليه حياتهم من مشاركة خالصة دفعتهم إلى تصوير القصور وما فيها وبدائع التحف ، وجمال الصور ، وبدائع الطبيعة ، وريق المتع المبسوطة على كف الخصب المرقش والأمواج الدافقة الخلافة .

كما لا ينكر الأدب فنا كان ملاذا للثناء ومحورا للألحان التي خلدت أثر الشاعر كما طوفت على الاسماع ورددت صداها الأوتار ترديدا أشبع العواطف ورقق الطباع وأخضعها لروح الشعر العذب المصفى من جلالة البداوة .

ولن أتعرض للمباحين النظاميين ممن اصطنعهم الساسة لقرض الثناء المبالغ والمدح الخارج عن حد الاعتدال في صدق التقدير لأنه باب أنخم به الشعر العربي ولا يزال متصفح (الدواوين) يضيق بما تحمل في طياتها من ملق وتذلل وتخاضع وإنما لصناعة خلعت أيامها ، وأعتقد أن حرية الفرد وما تكفله الأيام للإنسانية لن تسمح لهذا النظم بالحياة ، أو على الأقل لن يتقبل على موائد الفن الخالد والزاد الأدبي الشهي .

* * *

والذى أتعرض له في عجائتي ، هو الشعر المسخر ، أو القريحة التي حملت على أن تسمر بما لا تحس به أو تهتف بما لا تجد له أصدا في حناياها ، وإنما أمرت أو قسرت على أن تستدنى نافرأ ، أو تصف جميلا ، أو تعتذر لمتأبٍ ، أو تسرف في جانب تمتع به خليفة وحرّم منه الشاعر .

وإننا لنجد في مروي السمر وما بث في كتب المحاضرات طرائف تضحك وتبكي . عباسي وسع له الحكم ، تدلّت عليه جارية أو تمتعت إحدى النساء ، فراح يستنزل رضاها ، وهو بعزة الحاكم ولكنها تراوغ وتباعد بينها وبين سيدها حتى إذا ضاقت به السبل كلف كبير حجاب (رئيس وزرائه) باقتياد الشاعر وحمله على أن يقول شعراً يسترضى به الجارية ويعيدها إلى مولاه .

وهناك يطبع الشاعر ويحمل قريحته على أن تنظم ويسير الشعر وتتدفق الهبات وينال الشاعر الخطوة ولكن الشعر يظل بارداً خالياً من صدق العاطفة .

ولا أشك في أن بعض الشعراء كان يضيق بهذا التكليف وكانت شاعريته لا تمتد له في حبل القوافي وأذكر من بينهم (عباس بن الاحنف) الذي عاش ومات للغزل في محبوبة لم يكشف عنها ولم تعرف إلا باسم (فوز) المستعار .

وكانى بالتدما الساسة قد أرادوا بشاعريته المتأينة عليهم تسخييراً فوجها الخليفة العباسى إلى أن يكلفه فاستغلوا سلطانهم وراحوا ينزعون ذلك العاكف على غزله فيمن أخلص لها وخلص هواه إلا لها .

واقف ظفروا بما أرادوا وظفرت لبالى القصور بالسمر وبالشاعر ولكن الذى تمخضت عنه قريحة العباس بن الاحنف لم يزد عن نظم بارد لا إحساس فيه وستعرض لتحليله فى مقال نال .

ولأل ما وقع العباس نجد تبليلاً فى نسبة هذه الأبيات وتعدد مصادرها :
 ملك الثلاث الآنسات عنانى وحللن من قلبى بكل مكان
 مالى تطاوعنى البرية كلها وأطيعن وهن من عبدانى
 ما ذاك إلا أن سلطان الهوى وبه قوين أعز من سلطانى
 هذه الأبيات تقال وتنسب إلى بعض الخلفاء وفى المصادر الموثوق بها .

ولكن الذى لا خلاف عليه عندى أن مستوى هذه الأبيات لا تنهض إليه قرأخ من نسبت اليهم من لم يوهبوا عبقرية خلافة ، وإحساساً شاعرياً اللهم إلا متأخرى الفردوس المفقود وإلا من يحرون فى حضرة ابن المعتز والشريف الرضى وغيرهما من نسموا الذروة فى القريض وعلو النسب وكرم الأرومة :

ولا شك فى أن الشعراء غنموا من وراء تسخير قرائهم قربي من السلطان وزلفى ، بل وعطفا من الجوارى الحسان ومالا وضياعاً ومتعاً استقرت بها حياتهم المسادية وربما الأدية .

• • •

وكان السلطان لا يقبل من الشاعر إذا أراد التخلي عن ميدان القصر الشاعرى وكان الشاعر لا يجد حتى من الشيخوخة وتقدم السن ما يلتمس به العذر والتنجي عن إمداد السمر وبجالسه بما يرضى السمار والتدما .

الطاعة والرزق

تفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف النجار

المدرس بالأزهر

فطر الإنسان على حب نفسه وامتداحها والزهو بما يقول أو يفعل وهو إلى جانب ذلك قد يخذعه الغرور بعمله ويسيطر عليه الإعجاب بما يأتي أو يذر والفخر بالوصول إلى غايته فيحمله كل ذلك إما على أن يدعى النبوغ والذكاء وسعة الحيلة وبعد النظر وصواب الفكر ويقول — كما قال قارون من قبل حين كثر ماله وعظم سلطانه وقوى شأنه — إنما أوتيته على علم عندي .

وإما أن يربط نجاحه في هذه الحياة الدنيا وسعة رزقه ورواج تجارته واضطراد كسبه بتكريم الله تعالى له ورضاه عنه ووجه له وإيثاره على غيره . ويربط بوار التجارة وعسر الكسب وضيق الرزق وعدم النجاح بغضب المولى جل شأنه عليه وعدم رضاه عنه وبغضه له وإهائته أمام الناس . فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن وأما إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول ربي أهانن .

تلك طبيعة الإنسان وهذه فطرته . يدعى العلم والذكاء إن كان من الماديين . ويتم التكريم أو الإهانة من الإله إن كان من عامة المتدينين . وكلاهما قد باين الحق وترك الطريق القويم . وإني لأتوجه بهذه الكلمة إلى ذوى الدين .

من المعلوم بداهة أن الله تعالى لم يجعل الدنيا للجزاء ، وإنما هي دار العمل والابتلاء . فليس الغنى فيها لفضل صاحبه عند الله وليس الفقر لأن الفقير من العصاة ، ولقد أيد الكتاب العزيز عدم الارتباط بين الطاعة والرزق في قول الله تعالى من سورة البقرة : « وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير » .

فها هو ذا الكافر الجاحد يخبرنا المولى أنه سيمنعه في هذه الدنيا التي ليست

للجزاء ثم يلجئه إلى عذاب النار . يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيداً ... ،

وهذه آية أخرى تؤيد كذلك ما قدمناه من عدم الصلة بين الطاعة والرزق هي قوله تعالى من سورة آل عمران : لا يفرئك قلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ما واهم جهنم وبئس المهاد . . روى أن طائفة من المؤمنين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع فنزلت تلك الآية وفي الحديث : يقول الله عز وجل كلا إني لا أكرم من أكرمت بكثرة الدنيا ولا أهين من أهنت بقلتها إنما أكرم من أكرمت بطاعتي وأهين من أهنت بمعصيتي ، رواه القرطبي في تفسيره وروى الترمذى : لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء . .

والتأمل في كتاب الله تعالى والباحث في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لا يتردد في الاطمئنان إلى أنه لا علاقة للرزق بالطاعة . فهذا هو القرآن يصور الإنسان حين تقبل عليه الدنيا وحين تدبر عنه الدنيا ويفرق في تصويره بين الإنسان في أدنى درجات الإنسانية وبين الإنسان في أعلى درجات الإنسانية فيقول — من سورة المعارج —

، إن الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ، والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ، والذين يصدقون بيوم الدين ، والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ، إن عذاب ربهم غير مأمون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم بشهاداتهم قائمون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك في جنات مكرمون . .

فليس الجزع عند الشر إلا نتيجة الألم الذى يحسه ضعيف الإيمان وليس المنع عند الخير إلا لأنه يترحم أن الله تعالى خصه بهذا الخير ، ولكن المؤمن الصادق هو ما ذكره الله مبيناً أوصافه مخبرا عن جزائه في الآخرة .

وقصارى القول إن الدنيا دار عمل وابتلاء والآخرة دار حساب وجزاء . فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون . .

فمن الخير إذا مقابلة النعمة بالشكر عليها وما شكر النعمة إلا بتوجيهها الوجهة التي تلائم الشرع ولا تتنافى مع ما أمر الله تعالى به . ومن الخير كذلك أن يصبر الإنسان إذا أصابه شر فتظل بذلك حال المؤمن بين شكر وصبر وإن له في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

ومن الخير أن يتأمل المرء إلى جانب ما تقدم قول الله الكريم « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جزراً » فهذه آية توضح في إيجاز لذات الحياة ومتعتها ، وتوضح نهايتها وأن كل ذلك ليس إلا للابتلاء ، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وإن شئت بعد ذلك أن تقرأ حجة ساطعة في هذا الموضوع وآية دامغة لمن يربط بين الرزق والطاعة وكلمات بينات تصور الحياة تصويراً لا لبس فيه ولا إبهام فاقراً قوله تعالى من سورة الحديد « إعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً . وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

فأنت ترى كيف أجمل الله تعالى شأن الحياة الدنيا في أمور خمسة هي : اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر ، أما الآخرة فهي دار العذاب للأشقياء ، ودار النعيم للسعداء ثم ختم الآية بما يتناسب مع بدتها فقال « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » . فالمصائب في هذه الحياة والشدائد التي تلم بالناس ليست إلا سنة الله في خلقه إذ أنه تعالى يلوهم بالشر والخير فتنة وإليه يرجعون .

والآن وقد تبين لنا أنه لا ارتباط بين الرزق والطاعة وأن زخرف هذه الحياة إلى نهاية لجدير بالعاقل أن يجعل همه مرضاة الله ولا يتخذ إلهه هواه وليتق الله مولاه وليجعل رائده ذلك القول الكريم من كتاب رب العالمين « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .

صلح الحديبية

لفقيهنا الأستاذ الشيخ محمود محمد الحدي

المدرس بالأزهر

[٢]

لما علمت قريش بأن أصحاب محمد بايعوه عند الشجرة على القتال ، وأنهم بلوا حربهم في المرات السابقة رغم قلة عددهم ، وذاقوا الموت على أيديهم وأن ضالة عديدهم لن تفت في عضدهم فأطلقوا سراح عثمان بن عفان ، وأرسلوا للمصطفى سهيل ابن عمرو ليفاوضه في الصلح ، ولما كانت الدعوة التي يشرف على نشرها وتدعيمها إنما تهدف إلى بث الطمأنينة في النفوس ، رضى بالصلح وقال : لما رأى سهيلاً مقبلاً أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل إلى الرسول جثا على ركبتيه بين يديه والمسلمون حوله جلوس ، فتكلم وأطال ، وقد قال له المصطفى : تخلو بيتنا وبين البيت فنطوف به ، فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب بنا أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام القابل ، ثم التأم الأمر بينهما على الصلح ، وانفقا على ترك القتال بينهما لمدة عشر سنين ، وأن يعودا من قابل للحج والاعتبار على ألا يحملوا معهم من السلاح غير السيوف في قرايبها ، وأن من جاء من قريش إليهم من غير إذن وليه أرجعه المسلمون ، وأن من جاء من المسلمين إلى قريش لا تلزم برده ، وأن من دخل في حلف المسلمين له ذلك ، ومن دخل في حلف قريش له ذلك ، ولم يبق إلا الكتاب ، هنالك وثب سيدنا عمر إلى النبي فقال له يا رسول الله : أأست برسول الله وألستنا بالمسلمين ؟ فقال النبي : بلى ، فقال عمر : فعلام نعطي الدنية في ديننا ، فقال النبي : أما عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني ، فقال عمر : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ فقال النبي : بلى فأخبرتكم أنا نأتي هذا العام ، فقال عمر : لا ، فقال النبي : إنك آتية ومطوف به .

ثم نادى علياً ليكتب شروط الصلح ، فلما أخذ في الكتابة أمره صلى الله عليه وسلم أن يكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل لا أعرف الرحمن الرحيم ،

أكتب باسمك اللهم فوافق النبي ثم قال له اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل أمسك لو كنت أعتقد أنك رسول الله ما قاتلتك ، ولكن اكتب اسمك واسم أيك فوافق النبي ، ولما لم يوافق المسلمون محاها بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيلاً لأن المصطفى كان لا يعير هذه التوافه من الأمور اهتماماً ، إذ هو داعية الخير ورسول الرحمة والداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والذي وصفه رب العزة والجلال خير وصف « الرؤوف الرحيم » . وما كاد يحف مداد الكتابة حتى قدم أبو جندل بن سهيل فاراً من قريش ، ومن العذاب الواقع عليه بسبب إسلامه ، والمسلمون يضحون من شروط الصلح التي يرون أنها ليست في صالحهم ، وقد زادهم ألماً وثورة - وإن كانت مكبوتة - رؤية آثار التعذيب على جسم أبي جندل ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً لأنهم يعلمون أنهم قد أعطوا الكلمة فما لم ألا ينقضوا ما أبرموه ، ثم التفت النبي إلى أبي جندل وقال « يا أبا جندل أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين مخرجاً ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله وأنا لا نفدر بهم » .

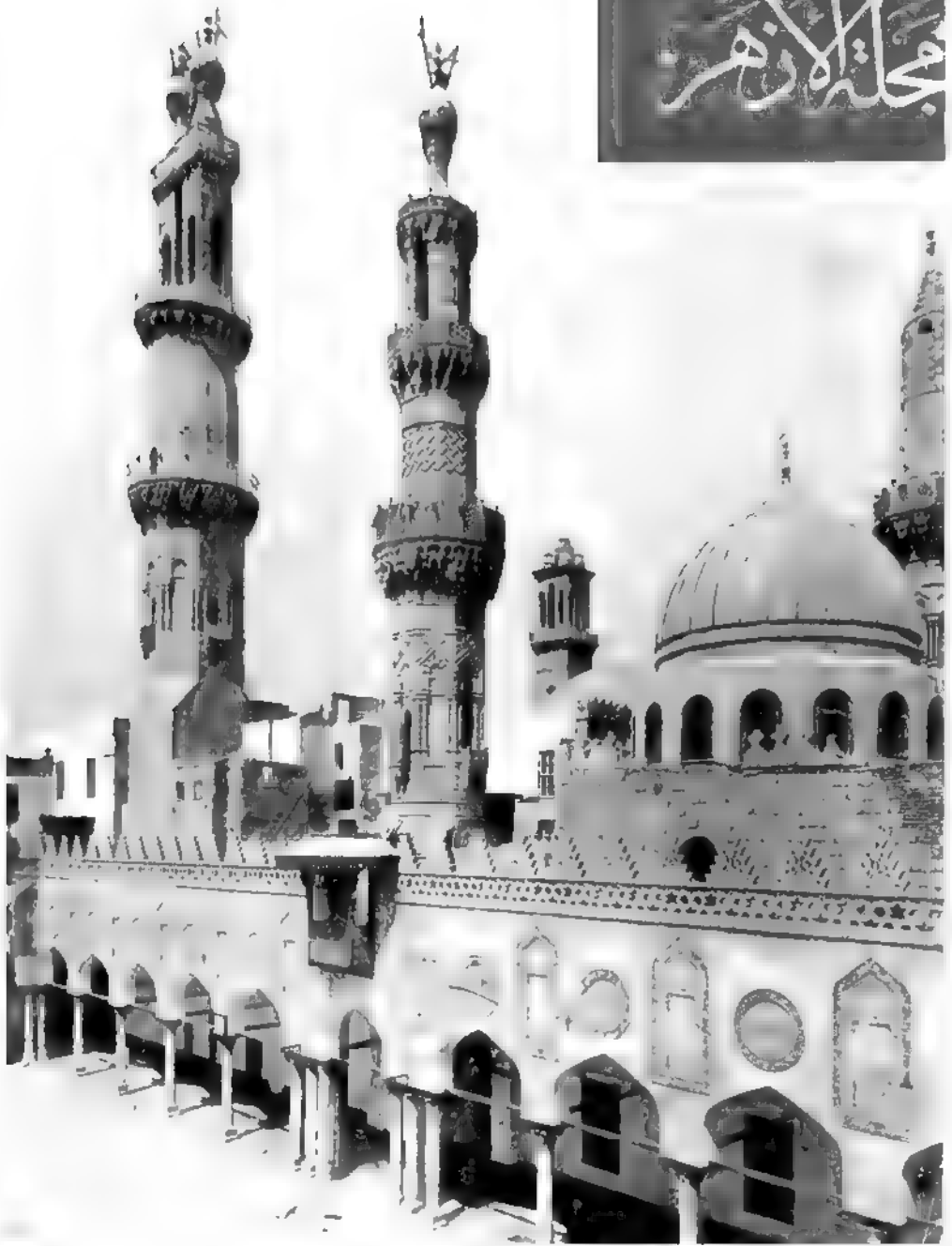
ونادى مناد من قبل الرسول بالتحلل من الإحرام بالذبح والحلق أو التقصير ، ولكن عمر كانت ثورته لم تخمد بعد ، فحدث أبا بكر بما حدث به المصطفى ، وبنفس الحمية التي عهدت عنه ، فأجابه أبو بكر يا عمر « إلزم مكانك فإنني أشهد أنه رسول الله وليس يعصى ربه ، وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت » . قال عمر « وأنا أشهد أنه رسول الله » . فتباطأ بعض الصحابة في تنفيذ أمر التحلل لما كانوا يجدونه في أنفسهم من غضاظة شروط الصلح ، فدخل المصطفى خبائه وهو غاضب ، فسأله أم سلمة رضي الله عنها عن غضبه فقال لها « هلك المسلمون أمرتهم فلم يطيعوا » فقالت له يا رسول الله أنك تعلم نفوس أصحابك ، وتشوفهم إلى إعلاء كلمة الله ولو ضاعت أرواحهم ، وإنهم ليستبنون بالموت في سبيل نصرة دينك ، اخرج إليهم فاذبح واحلق وسيفعل الجميع . عند ذلك خرج المصطفى ومعه حربة فأهوى بها على البدن وهو يقول باسم الله الرحمن الرحيم ثم دخل إلى قبة له من آدم أحمر ، ودعا بجراش لخلق رأسه الشريفة ورمى بشعره فوق شجرة ، فأخذه الناس وتحاصوه وتحملوا من أحرامهم جميعاً ، وبذلك انتهى الأمر ورضى المصطفى .

ثم دعا إلى الرحيل وبيناهم في الطريق بين مكة والمدينة إذا بالوحي ينزل عليه بسورة الفتح .

فكان ما ظنه المسلمون صلحاً مهيئاً نصراً مهيئاً ، ودعا المصطفى عمر ليقرا عليه ما نزل ويقول عمر لقد كنت خائفاً من أن يلومني على موقفي ، فلما قدمت عليه قرأ على السورة ، ففرحت وأيقنت كما أيقن المسلمون جميعاً أن الله ناصر عبده وناشر دينه ، وأن من كان الله وليه فلن يخذله أحد ، وما النصر إلا من عند الله ، يعطيه المخلصين من عباده الصادقين في دعوته ، الباذلين أرواحهم وما يملكون في سبيل إعلاء كلمته ، وتحقيق شرعته ، ومن أحق بهذا النصر من حبيب الرحمن ، وعصبة الذين رضى الله عنهم حين بايعوه تحت الشجرة ، فأرضاهم وردهم إلى المدينة والعناية الربانية تحوطهم ، والرعاية الصمدانية تكوهم ؟

ولقد كان هذا الصلح فاتحة خير للمسلمين ، ونصراً ورعاية من رب العالمين .
لذا ما كاد يشيع أمر وقف القتال بين القبائل العربية حتى كشفت خراعة عن نيتها ودخلت في حلف الرسول وزال الحاجز الذي كان يفصل بين المسلمين وكثير من القبائل فاختلفوا بهم ، ووقفوا على سماحة الإسلام وسمو أخلاق الصحابة ، وناقشوا تعاليم الإسلام في هدوء واطمئنان ، وبهذا الاختلاط زالت غشاوة بغض النبي عن أعينهم ، وأيقنوا أنه ما جاء لقطع صلاتهم أو التفريق بينهم واسوا ما عليه المصطفى من خلق عظيم يرتفع إلى الذروة ، وأنهم كانوا خيعة دعاوى كاذبة مضللة ، وتكشفت تلك العظمة الإلهية التي جمل بها مصطفاه من تواضع جم وحب للخير ، وحذب ونبل وحلم يسمع الجميع ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

هذه صورة صادقة لما في الإسلام من سماحة تنفذ إلى القلوب بالرغم عنها وقد تنبه الناس إن طوعية أو كرهاً إلى أن تعاليم الإسلام هي التي يجب أن تسود العالم كله ، ولن تقف في طريقها تلك العقبات التي يقيمها الغريون ، وخصوصاً المستعمرين لأن هذه الإحzen التي يجتازها العالم الآن من بلبلة الحواطر ، وتقلقل النفوس ، وعدم الاستقرار في جميع مرافق الحياة ، كلها سترغم الكل على النظر في تعاليم الإسلام نظرة تكشف لهم وجه الحقيقة ، وتسفر لهم عن حياة كلها دعة ومساعدة ، وأمن واستقرار في ظل تعاليمه السامية ، وتشريعاته الإلهية ، وذلك اليوم قريب إن شاء الله .





حضرة صاحب الجلالة مولانا ، الفاروق ، ملك مصر والسودان



حضرة صاحب الفضيلة الإمام الشيخ عبد المجيد سليم
شيخ الجامع الأزهر

بيان

تصدر المجلة اثني عشر جزءاً في اثني عشر شهراً ، منها عشرة أجزاء باللغة العربية ، وجزءان باللغة الإنجليزية لا يوزعان إلا في البلاد الأجنبية .

لطلاب العلم في المدارس والمعاهد والجامعات الحق في اشتراك مخفض قدره ثلاثون قرشاً على أن يدفع مرة واحدة .

يطلب الاشتراك من إدارة المجلة رأساً في مصر والسودان . ومن المكتبات الكبيرة في شمال إفريقيا والمملكة السعودية وعدن والبحرين ، ومن وكالة فرج الله وفروعها في بيروت ودمشق وبغداد .

نرجو أن يكون الطبع في الأعداد التالية أجمل وأجود بعد أن تتلافى ما في المطبعة من نقص

الجزء التاسع - القاهرة في غرة شهر رمضان سنة ١٣٧١ هـ ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ م - المجلد الثالث والعشرون

فہرست

صفحة	عهد جديد	صفحة
٦	عهد جديد	٥٩
٩	لصاحب العزة الاستاذ أحمد حسن الزيات بك	٦٤
١٥	التقوى في القرآن	٦٩
١٩	لصاحب الفضيلة الاستاذ محمود شلتوت	٧٢
٢٢	مناهج البحث عند المسلمين	٧٨
٢٧	لصاحب العزة الدكتور أحمد أمين بك	٨٤
٢٣	حديث الاسراء	٨٨
٣٦	لصاحب الفضيلة الاستاذ عبد الرحمن حسن	٩٢
٤٠	موقف الاسلام من أهل الكتاب	٩٦
٤٤	لصاحب الفضيلة الاستاذ محمد محمد المدني	١٠٦
٤٨	الشفعة بين العلقه والقانون المدني	١٠٨
٥٧	لصاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى	١١٠
	من سيرة عمر	١١٣
	لصاحب السعادة الدكتور طه حسين باشا	١١٦
	الفصة العلمية	١١٨
	الاستاذ عباس عمود العقاد	
	منطق أرسطو والنحو العربي	
	للدكتور ابراهيم بيوى مذكور	
	صفحة مناسبة من الادب العربي	
	لصاحب العزة الدكتور أبو الملا عفتي بك	
	الولادة المباركة	
	لصاحب العزة الاستاذ محمد فريد أبو حديد بك	
	تحية الازهر	
	للمفتي له أحمد شوقي بك	
	لصاحب العزة الاستاذ محمد شفيق غزال بك	
	بين خليفة وقاض	
	لصاحب العزة الاستاذ عبد الحميد العبادي بك	
	صفحة مبهوثة من التاريخ الاسلامي	
	لصاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي	
	الفلسفة في خدمة المجتمع	
	لصاحب الفضيلة الدكتور محمد البهي	
	القضاء والفدر بين القدماء والمحدثين	
	للدكتور أحمد فتود الاهواني	
	الازهر جامعة الشرق الكبرى	
	لصاحب العزة الدكتور أحمد زكي بك	
	العيد الالهي لمدينة القاهرة والجامع الازهر	
	لصاحب العزة الاستاذ عزيز خانكي بك	
	العالم الاسلامي في شهر	
	لصاحب العزة الدكتور محمد عوض محمد بك	
	موقف الاسلام من الرق	
	لصاحب العزة الدكتور علي عبدالواحد وافي بك	
	الديمقراطية في الاسلام للاستاذ العقاد (كتاب)	
	كتب أجنبية عن الاسلام والشرق	
	الاداب والعلوم في شهر	
	طرائف علمية وأدبية	
	أبناء العالم الاسلامي	
	النشاط الثقافي للازهر	

عَهْدٌ جَدِيدٌ

النبي الذي آل إليه واستقر فيه وحفظ به واستفاض منه ؛ ذلك التراث القدسي الذي ضمن الله له البقاء ، لأنه ينمو من نفسه كالخى ، ويضيء من ذاته كالشمس ، ويتجدد من طبعه كالربيع ، ويكفل لهذا العالم الذى ضلته الآراء ومزقته الأهواء وفرقته المذاهب ، نظاماً يحمل الكون كله أسرة ، والناس جميعهم إخوة ؛ تجد فيهم الفقير ولا تجد المحروم ، وترى بينهم الضعيف ولا ترى المظلوم ؛ لأن الإسلام جعل بين الغنى والفقير سبباً هو البر ، وأنشأ بين القوى والضعيف نسباً هو الرحمة .

فالآزهر بهذا المعنى هو الإسلام تجمعت منابعه الأثرة ومشارعه الصافية فى هذه البقعة المباركة من هذه الأرض الطيبة التى شرفها الله بالذكر فى كتابه ، وأنذر من أرادها بالسوء شر عذابه . وفى إشار مصر بهذا الفضل من الله دلالة على ما هبها من أسباب القوة لحفظ دينه وبقائه ذكره . ومصدق ذلك أن القاهرة خلقت بغداد بعد أن دمر المغول العراق ، وورثت قرطبة بعد أن مزق الفرنج الأندلس ، فكانت للشريعة موئلاً ، والعريّة معقلاً ، وللعلماء مثابة . وكان الأزهر يومئذ هو المنارة الهادية فى محيط مكفهر الآفاق بالضلالة والجهالة والعجمة ، يرسل النور لأمم

باسم الله جل اسمه ، وعز حكمة ، منزل كتابه هدى ، ومرسل رسوله رحمة ؛

ويهدى صاحب الرسالة محمد صلوات الله عليه ، لسان الوحي ، ومنهجا للشرع ، ومعجزة البلاغة ؛

وبعطف صاحب الجلالة الفاروق ، ناصر الإسلام ، ومؤيد العروبة ، وحامى الأزهر ، أعز الله نصره ، وجهل بالعلوم والآداب عصره ؛ وبنوحيه صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، الإمام عبد المجيد سليم ، شيخ الجامع الأزهر ، بقية المتقين من أهل الدنيا ، وخاتمة المحققين من رجال الدين ؛

تخطو هذه المجلة هذه الخطوة فى سبيل الله ، مؤيدة بالحق ، مسددة بالصواب ، تدعو إلى الله بالدعاء البين ، وتجادل عن دينه بالقول اللين ، وترفع صوت الأزهر ندياً فوق هذه الأصوات المتكررة التى تتخاطب بالحديد ، وتتجاوب بالوعيد ، وتزعم أن الله مكن أصحابها فى الأرض لبيدوا حكمه ، ويعدلوا نظامه ، ويقولوا بسلطان العديد وحجة العدة ؛ هذا حلال وهذا حرام ، وهذا حر وذلك عبد ؛

وما نريد بالأزهر هذه البنايا ومن يعمرها من أساتذة وطلاب ؛ إنما نريد به ذلك التراث

فقد كان من عمل الله لا من عمل مبشر ولا منذر .
 كان يقتل من قاب إلى قلب لأنه دين الفطرة ،
 ويسرب من شعب إلى شعب لأنه دين الحق .
 لم يكن للإسلام ما للتصانية من جماعات تبشر ،
 ومؤتمرات تقرر ، ومؤسسات تطيب وتعلم ،
 وحكومات تؤيد وتنظم . ولم يكن لعلائه
 ما للقساوسة من المهاجرة في سبيل الدعوة ،
 والمغامرة في نشر العقيدة ، والتدسس إلى الضياع
 والقلوب بالكلم الطيب والكرم الصيب والعمل
 للمواصي . وإذا جازت للأزهر هذه العزلة في عصر
 مضى ، فلا تجوز له في هذا العصر الذي أظلم
 بالبدع حتى اشتبه الطريق ، وتورط في الأباطيل
 حتى التاث الأمر ، وانقسم فيه المشرق والمغرب
 إلى عقيدتين اقتصاديتين تزعم كلناهما أنها
 هي وحدها السبيل الواضحة للمأمونة إلى سعادة
 الإنسان وعمارة الأرض . هاتان العقيدتان :
 الرأسمالية والشيوعية ، وضعهما ابن آدم المادى
 الصناعى الناقص ؛ فذكر فيهما الهوى ونسى الله ،
 وأراد بهما الجسد وأغفل الروح . ومن أجل
 ذلك غلا طغيان القوة ، وعلا سلطان المال ،
 وبغى شيطان الفرقة ، وآل الأمر بالناس إلى أن
 يلدوا للجيش ، ويتجوا للسلاح ، فغلب الجوع ،
 وعم الخوف ، وشاع القلق . وكأنما انعكس
 الزمان فارتد إلى أوائل القرن السابع للبلاد ؛
 فالناس يعانون من غنات الروس والأمريكان ،
 ما كانوا يعانون من فساد الفرس والرومان .
 والإسلام الذى أنقذ الخليقة من ضلال
 كسرى وقىصر ، حرى أن ينقذها مرة أخرى
 من غى الرئيس (الايض) وبغى الرفيق (الأحمر) !

في حين ، ومشرقاً في حين ، حتى أراد الله لنوره
 أن يتم ، ولتستوره أن يسود ، فكانت القاهرة
 في العصر العلوى مظهر هذا النور ، وكان الأزهر
 في العهد الحديث مبك هذا الدستور !
 ليس الأزهر إذن جامعاً للصلاة بجامع عمرو ،
 ولا جامعة للعلم بجامعة فؤاد ، وإنما هو فضلاء عن
 التعبد فيه والتعلم به رسالة ودعوة .
 هو رسالة ، لأن علماءه بما استُخفظوا من
 كتاب الله هم وريثة نبيه . ومعنى الوراثة أن تظل
 الرسالة المحمدية باقية على الدهر يتناقلها الخلف
 عن السلف لتكون رحمة للناس من كل جنس
 وفي كل عصر .
 وهو دعوة ، لأن الرسالة تقتضى التنقية
 في الدين والإنذار به . وعلماء الأزهر هم الطوائف
 التى نفرت من كل فرقة لينفقوا في الدين
 ولينذروا قومهم . فإذا تفقهوا ولم يتنذروا أنكروا
 ما خلقوا له ، وعصوا ما أمروا به .
 والاستاذ الأكبر قد فصل هذا الإجمال في بيانه
 الذى نشره على الناس ، وكان أول ما عُنِيَ به
 من وجوه الإصلاح أن وجه همه إلى عمليين
 عاملين : إنشاء مراقبة للبحوث والثقافة ، تفشر
 أضواء الإسلام بين المسلمين ، وتمتد أسباب
 الأزهر بالعالم . وقوية مجلة الأزهر لتكون
 لسان صدق لدعوته ، وبلاغ حق رأيه . وذلك
 عهد جديد لم يكن للأزهر بمثله عهد قديم .
 كان الأزهر في عهده العاربة مصباحاً يحضّر
 الضوء في مشكاة ؛ لا يجرد الضالون في يدهاء الحياة
 هدى على نوره ولا أمناً على شعاعه . أما إشراق
 الهدى المحمدى في البلاد النائية والأمم الغريبة ،

في الشعر؛ ووجدوا في الأدباء الأحياء الذين أنفضوا رموسهم إلى الدين من قبل، من أناب إلى الله كالشاعر (توماس إليوت) والكاظم (جراهام جرين)، فشدوا العزاء في الإيمان، وعقدوا الرجاء في الروح. ولنا لنجد هذا النزوع الروحي على أعمه وأتمه في أدباء الشرق عامة، وفي كتاب مصر خاصة. وحسب المراقب نظرة عجيلى إلى هذه الجماعات التي تحمل اسم محمد، وإلى هذه المجالات التي تدعو دعوة محمد، وإلى هذه المؤلفات التي تشرح رسالة محمد، وإلى هذه الأفلام التي تصور جهاد محمد، ليرى أن الفلك قد استدار، وأن الطريق قد استبصر، وأن العقل قد اهتدى، وأن الفيت الهللى الذى جاد النفوس بعد جفاف، وأخصب القلوب بعد إجمال، إنما هو إيدان من العالم الخبير الذى يعلم من خلق، ويخبر ما أنشأ، بانصال الأرض بالسما، واتحاد المسادة بالروح. وبومئذ يتغير ما بالانفس فيغير الله ما بالقوم؛ ويتطهر ما بالقلوب فيطهر الله ما بالجمع.

وليس على الأزهر في هذه الحال إلا أن يطلق النور من كواه، ويدل العميون على منار الإسلام وصواء. أما الهداية فن الله، وأما النهاية فللحق. ولا بأس على الإسلام أن تعابر النحل الفاسدة على جنباته؛ فإن له من ديمقراطيته الأصلية، واشتراكيته المعتدلة، وأخوته الشاملة، مناعة من كل سوء، وأمنة لكل جلس، ومودة لكل دين. والله سبحانه كفيل أن يظهره على الدين كله؛ فإن انتصاره انتصار العقل، وانتشاره انتشار العدل، وسيادته سيادة السلام

أحمد حسن الزيات

والأزهر بحكم وراثته النبوة وخلافته للرسالة مكتوب عليه أن يحاول هذا الإنقاذ. ولن تنبأ له وسائله إلا إذا وصل علأؤه أسبابهم بأسباب الرسول، ففهموا الكتاب كما أنزل عليه، وفهموا السنة كما صدرت عنه، وتحملوا بما تجمل به من أخلاق العظمة، وتحملوا ما تحمله من مكاره الدعة، واعتقدوا أنهم جنود الله يرمى بهم عدوه في كل وقت، وفي كل أرض، وعلى أى صورة، فيعيشون للبوت كالجنود، ويعملون للحياة كالقادة، ويعزفون عن الدنيا كالرسل.

على أن اختلاف الزمن، واتساع الرقعة، ونضوج العقل، وتقدم العلم، وتطور النظم، وتعقد الاجتماع، وتعدد المذاهب، توجب أن تكون وسائل الدعوة اليوم أقوى وأنفذ منها بالأمس. وخطاب الناس على قدر عقولهم وعلومهم من أدب الرسول. واستماعة الجدلين الأقدمين بفلسفة الإغريق، قدوة لعلمائنا المحدثين في الاستماعة بعلوم الفرنج. وثقافة الأزهر مشتقة من مصدر الوحي وقانون الطبيعة؛ فتنى تتصل بتيار الفكر الحديث تتفاعل هى وهو فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره.

إن العالم بعد أن كابد ما كابد من مادية العلم وآلية المدنية أخذ يرجع ملسرق القوى منقطع الرجاء إلى أحضان الدين. ظهر ذلك ظهور الأمر العجيب في أوروبا وأمريكا، فرأى الناس في الأدب والفن والتعليم نزوعاً إلى الروحية جرى على السنة الأبطال في القصص، وغلب على مصادر الإلهام

فِي الدِّينِ لِفَقِيهِ

الْبَقْوَى فِي الْمِيزَانِ

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد شلنوت

عضو جماعة كبار العلماء

تهدي القرآن :

بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى :
« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً
كبيراً . وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا
لهم عذاباً أليماً ، ١٠ - الإسراء .

يهدي للتي هي أقوم فيرشد في العقيدة إلى
ما يطهر القلب من الشرك والوثنية ، وهو الإيمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ويهدي للتي هي أقوم في الاخلاق ، فيرشد
إلى ما يزيك النفوس ويصلح من شأن الفرد
والجماعة ، ويربط الناس برباط الرحم الإنساني
العام ، وذلك كالعلم ، والرحمة ، والصدق ، والصبر
والوفاء ، والإحسان ، والجود ، وما إلى ذلك
من الاخلاق التي لها الأثر الصالح في تحقق
الغرض السامي من جعل الإنسان خليفة في
الأرض يعمرها وينميها ، ويصل بها إلى الكمال
المقدر لها في نظام خالق الأرض والسموات .

ويهدي للتي هي أقوم في تنظيم الأسرة والجماعة
فيضع الأحكام العملية ، أو يضع أصولها ،
ويكلف الناس اتباعها في تنظيم علاقاتهم به سبحانه
وتنظيم ما بينهم من علاقات وصلات ، ومن ذلك

أن عرض القرآن الكريم لأصول العبادات التي
يفضي العبد بها لإيمانه ، ويكون له منها سبيل
لمراقبة مولاه واستشعار عظيمته . وعرض لأحكام
الزواج ، والطلاق ، وما يتبعهما من مهر ، ونفقة ،
ورضاع ، ونسب ، وعدة ، ووصية ، وإرث ،
وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الأحوال الشخصية
وتنظيم الأسرة الإنسانية الفاضلة . وعرض
لأحكام البيع ، والإجارة ، والرهن ، والمداينة ،
والجارة ، وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة المعاملات
المالية التي هي عصب الحياة الاجتماعية القوية .
وعرض لأحكام الجنايات كالقتل ، والسرقة ،
والإفساد في الأرض ، وهتك العرض ، والقذف
وما إلى ذلك مما يدخل في دائرة الجنايات ، وبقي
المجتمع شروط المآثم ، ومعاول الهدم والقضاء .
وعرض لأحكام الحرب والسلام وما يتبعهما من
غنائم ، وأسرى ، ومعاهدات ، مما يدخل في دائرة
الأحكام الدولية العامة ، وبه تحفظ الأمة عزتها
ومكانتها بين الأمم . وعرض بعد ذلك كله
لأصول الحكم ، ومصادر التشريع مما يدخل
في دائرة تنظيم إدارة الجماعة الإسلامية ،
والتشريع لما تقتضيه أحوالها في دائرة ما رسم الله
من ذلك .

حده على النظر في الكائنات :

ويهدى للتي هي أقوم من وجوده العظة والاعتبار التي يترسبها الإنسان في حياته ويجعلها مناراً يسترشد به كلما نزل به خطب ، أو انحرفت به سبيل ، وذلك بأمرين كثيراً ما عني القرآن بهما ، ولفت الأنظار إليهما .

أولهما : الإرشاد إلى الظن والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، لتعرف أسرار الله في كونه ، ولإبداعه في خلقه ؛ فتمتلئ القلوب إيماناً بوجوده وعظمته ، عن نظر واستدلال ، لا عن تقليد واتباع . وقد نعى القرآن كثيراً على هؤلاء الذين أهملوا عقولهم ، وألفوا في أنفسهم خاصة الإنسان ، خاصة النظر والفكر ، وراحوا يقلدون الآباء والأجداد ، في عقائدهم ، وعبادتهم ، وعاداتهم ، ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون .

وبهذا الإرشاد فتح القرآن للناس باب البحث في الكائنات ، والوصول إلى خواص الأجسام في الأرض والسماء ، والماء والهواء ، لكي ينفعوا بها في حياتهم ، ويستخدموها في التعمير والإنشاء ويكون ما يصلون إليه من ذلك ويتفكرون به في حياتهم الدنيوية مظهراً من مظاهر رحمة الله بالعباد .

القصاص القرآني والغرض منه :

وثانيهما : قصص الأولين ، أفراداً وأممًا ، محسنين ومسيئين . وقد أورد القرآن من ذلك ما يشير العظة والاعتبار ، ويرشد إلى تعترف

سنة الله التي ارتبطت بها معاملته لعباده وما كان لهم من عاقبة .

ونبادر فنقرر هنا أن مقصد القرآن من ذكر قصص الماضين لا يعدو الإرشاد إلى موضع العظة والاعتبار ، وإلى أن سنة الله في معاملته خلقه سنة واحدة ثابتة في جميع الأجيال والعصور وفي جميع الأجناس والأقاليم ، وأنها تسير بالناس على النظام الذي قدر لها من يوم أن خلق الله السموات والأرض ، وهي في ذلك لا تحابي جنساً على جنس ، ولا طائفة على طائفة ، فالسك عباد الله وهي سنة الله لعباد الله فمن شاء اتخذ إلى سنة الخير سبيلاً ، ومن شاء اتخذ إلى سنة الضلال سبيلاً .

ولم يذكر القرآن هذا القصاص على أنه تاريخ يحدد الزمان والمكان ، ويعين الأشخاص ، ويرتب الوقائع ، ويبين الأسباب والنتائج على نحو ما يألّفه الناس من التاريخ وكتب التاريخ ، ولقد تكرر في القرآن ذكر القصة الواحدة نزولاً على ما يقضى به السياق من جانب إحدى العظات التي تضمنتها القصة أو تشير أحداثها إليها ، وتبع ذلك الاختلاف شيء من الاختلاف في التصوير والعبارة . وعلى الرغم من هذا ومن وضوحه في القرآن الكريم قد شغل كثير من المفسرين أنفسهم ، وشغلوا الناس معهم بتحصيل الآيات القصصية ما لم يرده الله منها ، وبذلك صرفوا الناس عن مقاصد العظة والاعتبار وبقيت الآيات تتلى ، لا ينفع بها مؤرخ في تحقيق

كثيراً ، بالإيمان والعمل الصالح ، . ويعبر عن امتثال الأمر فيه ، والاخذ به ، والتمسكه ، بكلمتي : الإحسان والتقوى ، . ويعبر في مقام التنويه بشأن القائمين به ، العاملين عليه ، فيما يخص بمكانتهم من عز الحياة وسعادة الآخرة بكلمات : المؤمنين ، والمحسنين ، والمتقين ، تفرد الواحدة منها مرة ، وتجتمع مع صاحبة لها أخرى ، وذلك إشارة إلى ما بينها من تضامن وتعاون في تقرير مبدأ السعادة التي رسمت سبلها هداية القرآن الكريم .

وإن من يتبع هذه الكلمات ذات الأثر المادي والروحي في العالم ليجد أوسعها شمولاً ، وأبعدها مرمى ، وأعمقها في سر الإصلاح كلمة والتقوى . يقيد بها الإيمان ، ويؤكد بها الإحسان ، وكأنها الأساس الذي يحفظ للإيمان كيانه ، وللإحسان جوهره ؛ فهي بمادتها ، تصور الكمال الإنساني في قوته : العلية والعملية ، الذي ربطت به سعادة الإنسان في دنياه وأخراه ، ولا نجد كلمة تبحث في القلوب معاني الخير ، وتملأ النفوس سكينة وطمأنينة ، وتجعل الإنسان في حصن من عوامل الأذى والسوء ، ومنايع الشرور والمآثم مثل كلمة التقوى .

والتقوى ، في القرآن الكريم :

وقد رأيت أن يكون أول ما أطلع به قراء مجلة الأزهر في عهدهما الجديد ، في جانب الحدث عن موضوعات القرآن ، وما يهدي إليه القرآن ، هو موضوع التقوى في القرآن الكريم ، راجياً من الله أن يجعل تقواه بمثابة عهد بيننا وبينهم

تاريخي ولا ينتفع بها مؤمن في عظة نفسية أو اجتماعية ، شأن المتكلمين ، والفقهاء ، والنحاة ، والبلغاء في تناولهم تفسير القرآن مع إهمالهم جوانب التزكية النفسية والإرشاد إلى ما تطلبه الحياة ويشير إليه القرآن من وسائل السعادة . شغلت كل طائفة من هذه الطوائف نفسها وشغلت الناس معها في صرف القرآن عن هدايته العامة ، النابتة ، المطردة ، إلى وجوه من النظر والجسدل ، لا يبتغون من ورائها سوى أن القرآن يؤيد رأيهم ، أو يشهد لمذهبهم أو أنه ينطبق على ما وضعوا للنحو والبلاغة من قواعد ، وما إلى ذلك مما لا يدخل في دائرة التي هي أقوم ، التي يهدي إليها القرآن .

هذا وقد ضل فريق من الناس غملاً القصص القرآني على التخيل والتبثيل الذي لا واقع له في الحياة ، وزعموا أنه إنما قصد به غرس فكرة وراء ما تدل عليه الألفاظ بمعانيها اللغوية المعروفة ، أو مشايعة الواقع النفسي الذي كان سائداً عند الحاضرين استغلالاً لمعلوماتهم — وإن لم تكن صحيحة — في سبيل تأييد الدعوة التي جاء بها القرآن ، وبذلك عرض هؤلاء القرآن لما تأباه قدسيته وبأباه صريح آياته .

عبارات القرآن عن هدى القرآن :

هذا الذي يهدي إليه القرآن في ظاهر الحياة وباطنها ، في العقائد والعبادات ، في سنن الله الكونية ، في سننه الاجتماعية ، ويطلب من عباده أن يتخذوه سبيلاً لسعادتهم في الدنيا والآخرة ، في أنفسهم ومجتمعهم — هو ما يعبر عنه القرآن

والعلم :

وصارت كلمة « العلم » ، فيما قرر إلى الاشتغال
بمناظرة الخصوم في المسائل الفقهية والكلامية ،
فيقال هو العالم على الحقيقة ، وهو الفحل في العلم
لمن يتقن هذا النوع من المناظرة ، أما الذي
لا يمارسه فإنه لا يعد في زمرة أهل العلم .

صارت كلمة « علم » ، في عهد الغزالي إلى هذا
بعد أن كانت خاصة بإدراك جلال الله وجهاله ،
عن طريق فهم أسرارهِ في الخلق ، واستشعار
عظمته . وقد بعد التحريف لكلمة « العلم » ،
في عرف الذين جاؤا من بعده ، وصارت
الكلمة إلى الاشتغال بتحليل عبارات المؤلفين
المعقدة ، والاستكثار من الأسئلة والأجوبة
حول صحتها وفسادها ، ومنطوقها ومفهومها ،
وصريحها وإشارتها ، وغير ذلك مما لا يمت
بأوهى الأسباب إلى معنى كلمة « العلم » ، الذي
عرفه الأوائل ، ودل عليه القرآن ، وأرشدت
إليه درجات الذين أوتوه عند الله .

والتوحيد :

وصارت كلمة « التوحيد » ، اسماً ، لصناعة
السلام ، ومعرفة طرق المجادلة ، والقدرة على
التشديق بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، وتأليف
الإلزامات ، مع أن جميع ما هو خاصة هذه
الصناعة لم يكن يعرف شيء منه في العصر الأول ؛
بل كان يشتد منهم التكثير على من كان يفتح باباً
من الجدل والمباراة ، وكان التوحيد عندهم عبارة

فيما نكتب وفيما يقرأون ، يتعاون به الفريقان
على ما يحب الله لعباده من خير وسعادة ،
وإخلاص وصفاء ، على أساس من البر والتقوى .
« التقوى » من الكلمات التي ظلمها الناس :

ويجدد بنا أن نشير قبل الكلام على « التقوى » ،
في القرآن ، إلى أن كلمة التقوى مع ما لها من المعنى
المحقق لعوامل الخير . القاضى على عوامل الشر
في جميع نواحي الحياة - من الكلمات التي ظلمها
الناس فسلخواها عن معناها العظيم إلى معنى دونه
يأبى كثير من الناس أن يضاف إليه
أو يوصف به ، وقد قرر الغزالي رحمه الله
أن كلمات : الفقه ، والعلم ، والتوحيد ، والتذكير ،
والحكمة ، قد حرفت عن معانيها الحمودة ونقلت
في عرف الناس إلى أخرى مذمومة ، وصارت
القلوب تغفر من تطلق عليهم هذه الكلمات .
والفقه :

صارت كلمة « الفقه » ، فيما قرره الغزالي
إلى « تفريعات الطلاق ، وصور الإيمان والعق
المفروضة ، ووجوه السلم ، وغير ذلك مما لا يحصل
به إنذار ولا تخويف ؛ بل مما كان التجرد له ،
والاستكثار منه ، وحفظ المقالات المتعلقة به
يقسى القلب ، وينزع الحشية منه ، صارت إلى هذا
بعد أن كانت عنواناً على معرفة دقائق آفات النفس ،
ومفسدات الأعمال ، وقوة الإحاطة بحقارة
الدنيا ، وشدة التطلع إلى نعم الآخرة مع امتلاء
القلب بخوف الله ورجائه .

فإن أرى أن ما أصاب هذه الكلمات في رأى الغزالي وفي زمته من هذا التحريف السقيم والتصوير الفاسد قد أصاب كلمة « التقوى » ؛ بل أقرر أن ما صارت إليه كلمة التقوى أبعد عن الحقيقة وأبعد في النظم ، مما صارت إليه

هذه الكلمات التي لم تقطع صلة معانيها الجديدة بمعانيها الأصلية ، والتي لم ترد في القرآن على هذا النحو الكثير ، البين ، الواضح الذي وردت به كلمة التقوى ، وحدد سمو معناها ، وعظم آثارها ، وكانت به جذيرة أن تظل في حصنها المنيع ووقايتها القوية ، من أن ينالها تحريف أو تبديل ؛ ولكن يبدو أن موجة التحريف

قد اشتدت وطفت حتى استطاعت نقل كلمة « التقوى » من حصنها المنيع ، إلى هذا الذي صارت إليه في تقدير الناس وعرفهم ، صارت إلى مزيج كريبه تألف عناصره من همهمة ، وتسليح ، وانحاء ، وتماوت في المشية والسلام ، نصحه نظرات خاصة ، وصمت خاص ، وكلمات معينة ، ترسل في مناسبات معينة ، مع تسكف التحسّر والتباكى ، على الأخلاق ، وعلى الدين . ومع شدة اللوم والتفريع لكل من تحدّث نفسه بالخروج على هذا المزيج في شيء من مظاهره التي تُحدّثها معنى « التقوى » ، أو جعلت علامة عليها .

ظالموها :

صارت كلمة التقوى إلى هذا المزيج الكريب الذي ألف عناصره صنف من الناس ، يدعون لأنفسهم الاختصاص بالغيرة على دين الله ،

عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به ، وهو أن ترد الأمور كلها لله ، وأن يُرى أنه الصمد المعبود الذي لا يعبد غيره ، ولا يستعان بسواه ؛ فالتوحيد منبعه القلب ، ومترجه اللسان والعمل .

والتذكير :

وصارت كلمة « التذكير » ، إلى « ما اعتاده أكثر الوعاظ في هذا الزمان من الفصص والأشعار والشطح بعد أن كان اسماً للتذكير بعبوب النفس وآفات الأعمال ، ومداخل الغرور والشيطان إلى القلب ، والتذكير بنعم الله وآلائه . والحكمة :

وصارت كلمة « الحكمة » ، إلى « الطب ، والشعر والتنجيم ، والحكمة هي التي أتى الله عز وجل عليها بقوله « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

تحدث الغزالي عن ذلك كله في سياق حديثه عن تلبس علماء السوء ، وجعل من وسائل هذا التلبس نقلهم الألفاظ التي شرف معناها ، ونبئت غايتها ، إلى ما رأوا من المعاني التي تحقق لهم أغراضهم في صرف الناس عن لب المعارف ، وجوهرها الصافي ، حتى لا يرونهم وهم يختلفون خلفها في الوصول إلى ما يبتغون .

التقوى أشدها ظلاماً :

وإذا كان الغزالي قد رأى ذلك في تلك الكلمات ، وأن الناس حرقوها بأغراضهم الفاسدة إلى معان ومدلولات ، هي دون ما عرف لها من معان -

مواطن الحديث عنها في القرآن :

تحدث القرآن عنها هكذا في معرض دعوة الخلق إلى الهداية الإلهية ، وفي معرض الهدى والفلاح ، وفي معرض البر والصدق ، وفي معرض النصر والتأييد ، وفي معرض الولاية بين الله وعباده ، وفي معرض حصانة النفس من نزغات الشيطان والهوى ، وفي معرض النفع والانتفاع ، وفي معرض تفرج الأزمات وحل المشكلات ، وفي معرض الرحمة الإلهية الخاصة ، وفي معرض السلامة من آثار الفتن العامة ، تطهر النفس من آثار السيئات ، وفي معرض التيسير للخير ، وفي معرض التمتع بخيرى الدنيا والآخرة ، وعلى الجملة تحدث عنها في معرض السلامة من كل شر والحصول على كل خير . وموعداً بتفصيل الشواهد القرآنية على كل ذلك العدد المقبل إن شاء الله ؟

محمود سلنوت

* وعظ مالك بن دينار عظة مؤثرة أبكت الحاضرين فلما فرغ افتقد مصحفه فلم يجده فأقبل عليهم يقول : كلّم تبكون فن سرق المصحف !

* المتصل بمال السلطان كالسفينة في البحر ، إذا أخذت منه في جوفها أخذها في جوفه .

* الدنيا كالماء الملح ، كلما ازدادت منه شرباً ازدادت منه عطشاً .

وعلى أحكام الله ، ويلوحون في وجوه الناس بهذه الصورة الجنافة ، الجامدة ، الرهيبة ، التي لا تسمح بتفكير ولا مناقشة ، ولا مخالفة ، في شيء مما رسموا لأنفسهم . وقد أحدثوا بزعتهم تلك ، انقساماً وتفرقاً في صفوف المتدينين ، واحتكروا الحكم على عباد الله في الدين ، وأخرجوا جميع من سواهم من صفوف المتقين ، حتى نفروا الناس من معنى الدين ، ومن معنى التقوى ، وصارت « التقوى » ، ذات الجلال والجمال من الكلمات التي يأنف كثير من الناس أن يوصف بها أو تطلق عليه . ولكن من حسن الحظ أن هذا التحريف الذي أصابها اقترن في نفوس أربابها بما يدل على فساده ، اقترن بكثير من الخلال الفاسدة التي تأبأها الإنسانية الفاضلة ، والصبغة النقية البريئة ، ويمقتها دين الله ؛ وتجعلهم في منأى بعيد عنه فهم لا يعرفون التقوى ولا الحلم ولا الصفا ، ولا اللوذة ولا الرحمة ، ولا البذل ولا العطاء ، ولا التعاون في بناء المجد وتقدم الأمة ، ولا غير ذلك من الأخلاق الفاضلة التي جاء الدين لتقويتها ، وتركيزها ، وإتمامها ، كعمد قوية للإصلاح البشري في فردة وجمتمع .

ما أبعد التقوى ، عن هذه المظاهر التي يحاول أرباب الأغراض الفاسدة أن يضعوها يازاتها ، ويجعلوها عنواناً لها ودالة عليها ! إنها بعيدة عنها في معناها ، في بواعثها ، في مظاهرها ، في أثرها النفسي والقلبي ، في أثرها المادي ، في جزائها الأخرى عند الله .

مَنَاجِحُ الْبَحْثِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ

للدكتور أحمد أمين بك

وعند الصوفية تحصل المعرفة برياضة النفس . وقد كان نشاط الفقهاء كبيراً في الاعتماد على الظواهر ، وقد فصلوا تفصيلاً تاماً في بيان أحكام الشعائر من الوضوء والصلاة والزكاة والصوم ، ومتى يكون كل منها صحيحاً ، ومتى يكون كل منها باطلاً . على أنهم غلوا في بعض الأشياء كدراسة كيفية الحيل للهروب من أذائها . وقد ألفوا الكتب المختلفة في ذلك وسموها كتب الحيل . أما الصوفية فقد غلوا في المسائل النفسية من مقامات وأحوال ومحاسبة النفس على هواجسها والحب لله والفتنة فيه ونحو ذلك . حتى لم يأبه بعضهم بالشعائر الظاهرة .

ومن أجل غلو الطرفين في منهجه كان بينهما العداء الشديد على اختلاف العصور ، وخصوصاً بين الحنابلة والصوفية . وقد ظهر ذلك على أشده في العداء بين الفقهاء وعلّام الخليل . وعُني الصوفية بالزهد ، ولم يكن هناك بأس عند الفقهاء من الاهتمام بالدنيا وجمع المال من طريق القضاء وغيره . وبلغ العداء بين الفقهاء والصوفية منتهاه في محنة الحلاج . والحلاج كان فارسي الأصل من بلدة في فارس تسمى بيضاء ، نسب إليها البيضاوي المشهور صاحب التفسير . وقد ولد سنة ٢٤٤ ، ونشأ بواسط في العراق . ويظهر أنه كان حاد المزاج ، غريب الأطوار . يشبه من أصيب بما نسميه الآن « هستيريا » ، بدأ في التصوف وعمره ستة عشر عاماً ، وتلذذ للتسرى ، ثم وصل إلى بغداد ، وأقام بها

هناك منهجان مختلفان متعاندان : منهج الفقهاء ومنهج الصوفية . وذلك من ناحيتين : الأولى من ناحية العقيدة ، فعقيدة الفقهاء تقول : بانيئية الموجود إن صح هذا التعبير : العالم والله ، أو المحكوم والحاكم ، أو المدبر والمدبر . واجب الوجود وهو الله ، وجازر الوجود وهو العالم . والله في العالم كإرادتنا فينا ، يسيره ويسخره . وأما عقيدة الصوفية غالباً فوحدة الوجود . ومن هنا قال بعض الصوفية : أنا الحق ، وما في الجبة إلا الله . وقال الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا

نحن روحان حللنا بدنا

فإذا أبصرته أبصرتني

وإذا أبصرتني أبصرتنا

والعالم كله هو مظهر الله تعالى يتشكل حسب استعداده من جماد ونبات وحيران وإنسان .

ومن ناحية أخرى منهج البحث مختلف ، فالفقهاء يعتمدون على المنطق من مقدمات ونتيجة وقياس الخ ، فإذا قرأت مثلاً في كتاب الزيلعي أو البحر الرائق لابن نجيم ، رأيتهما يؤيدان مذهب إمامهما إما بالحديث أو بالحجج المنطقية . والعلم عندهم يعتمد على ما يدل عليه المنطق .

أما الصوفية فيعتمدون على الذوق والكشف والإلهام . فهم أرباب مشاعر ، لا أرباب عقل ومنطق .

ويسمى الفقهاء أرباب الشريعة والصوفية أصحاب الحقيقة . وعند الفقهاء يحصل العلم بالجد والبحث ،

ونودي على الشهود فشهدوا عليه ، فحكم
القضاة عليه بحل دمه ، ووقع على هذا الحكم
الخليفة ، وربما كان الشهود كاذبين ، وربما
كان قتله سياسة للعداء الشديد بين الخلفاء
العباسيين والشيعة .

وعلى كل حال فقد كانت مقابلة الحلاج
للعقوبات والالهام مظهرأ رائعاً من مظاهر
الشجاعة ، فقد ضرب مئات من الأسواط
ولم يتأوه ، وظهرت عليه علامات الفرح ،
وأنة سيتجرد من بدنه ، ويلتقي ربه . ولئن
مات فقد بقيت فكرته حية يعتنقها الناس على
توالى العصور . فالفكرة إذا اضطهدت نمت .

وظهر الخلاف على المسرح ثالثة في عهد صلاح
الدين عند ظهور السهروردي فقد شنع الفقهاء
على السهروردي ، واستحوا صلاح الدين على
قتله فقتله . والظاهرة التي نراها تحيز الخلفاء
للفقهاء ضد الصوفية المخلصين . وربما كان سبب
ذلك أمرين : الأول أن الصوفية المخلصين
لا يعرفون ملقا ، ولا يؤمنون بسلطة إلا لله .
والثاني أن الصوفية يزهدون في الدنيا . ولو عم
مذهبهم لوقفت الأعمال ، وكلا السببين لا يحبه
الخلفاء . فقد كان ابن تيمية الفقيه المشهور حرباً
على الصوفية ومذهبهم . تندبهم في كتبه كثيراً .
وكان شديد الهجة .

والذي حاول التوفيق بين الفقهاء والصوفية
هو الغزالي . فقد كان فقيهاً وصوفياً معاً ، وألف
كتابه الإحياء على هذا الأساس ، أى على أساس

ثمانية عشر شهراً . ثم تلبذ على الجنيد ، وأقام
بمكة نحو سنة ، واثم في مكة بأنه يمارض
القرآن ، ففر منها ، ورحل إلى خراسان وماوراء
النهر ، وظل في رحلته هذه نحو خمس سنين .
ثم حج ثانية وعاد إلى بغداد وبني له فيها داراً .
ثم رحل إلى الهند ، وتعلم فيها السحر الهندي ،
ثم حج للمرة الثالثة ، وأقام بمكة سنتين ، ثم عاد
إلى بغداد ، ثم زار فارس ، وزار بها قم ،
مركز الإمامية . وادعى أنه وكيل الإمام .
وفي سنة ٢٩٧ أفتى ابن أبي داود الظاهري بكفره
لكلامه في الحب الإلهي ، ففر إلى الأهواز
واختفى بها ، واثم فيها بدعوى الألوهية . ثم
تنقل بين السجون المختلفة سبع سنوات . ومع ذلك
استمر في الدعوة وآمن به بعض الشخصيات
البارزة في البلاط . وأخيراً استجوب وحكم عليه
بالإعدام والتمثيل به وإحراقه وإلقاء ما بقي
من جسده من رماد في نهر الفرات . فهو حيث
حل كان يتم بالزندقة ، وكان يرحل رحلات
كثيرة لبث دعوته ، وأخيراً قبض عليه وحبس
ولم يكن في حبسه مضيقاً عليه ، فكان يسمح له
أن يزار ، وأن يرسل الخطابات إلى من يشاء .
وكانت محاكمته أمام مجلس من الفقهاء يرأسهم
أبو عمر القاضي . وانعقدت الجلسة ونودي
على المتهم ، وسئل عما اتهم به من أنه إله ، وأنه
يحيي الموتى ، وأن الجن تخدعه ، وأنه يأتي
بالمعجزات ، فأنكر هذه التهم ، وقال : أعوذ
بأنه أن أدعى الربوبية أو النبوة ، وإنما أنا رجل
أعبد الله وأكثر الصلاة والصوم وفعل الخير .

والفلاسفة ، كالذى تراه في هجاء الجاحظ المتكلم
للكندى الفيلسوف .

وكان هناك خلاف ثالث بين الفلاسفة
والصوفية ، فالفلاسفة يعتمدون على العقل والبحث ،
والصوفية يعتمدون على الذوق والبحث . وواسعو
النظر يرون أن الطريقتين يوصلان إلى غاية
واحدة ، وهي معرفة الله . كالذى يحكى أن ابن
سينا الفيلسوف وابن أبي الخير المتصوف اجتماعا
وانتظروا تلاميذهما نحو ثلاثة أيام ، ثم انفصلا ،
فسأل تلاميذ ابن سينا أستاذهم : ما رأيك في ابن
أبي الخير ؟ فقال ما أعرفه يراه . وسأل تلاميذ
ابن أبي الخير أستاذهم : ما رأيك في ابن سينا ،
فقال : ما أراه يعرفه .

والقصة وإن كان يظهر عليها أنها موضوعية .
تمثل الفرق بين المنهجين ، ومن أجل ذلك لم أستطع
أن أفهم أن يحيد الرجل الفلاسفة والتصوف معا ،
فالقوة في أحد المنهجين تضعف الآخر ، فاحكى
عن ابن سينا من أنه كان له باع في التصوف مع
الفلسفة أشك فيه . فهو في نظري فيلسوف كبير ،
ومتصوف فقير . وكالذى يحكى عن ابن خلدون ،
فقد ألف في ماحية الاجتماع ، وكان في ذلك كبيرا ،
ثم قرأت له في التصوف رسالة مخطوطة فرأيتها
لا قيمة لها في التصوف ، وكل ما فيها من جديد
عندى هو البحث في أن التصوف هل لابد له من
شيخ يؤخذ عنه ، أم يمكن للريد أن يستمد
التصوف من الكتب ، وقد بحث هذه المسألة
بمنا عقليا لا صوفيا .

الاحتفاظ بظواهر الشعائر ، كما يقول الفقهاء ،
والعناية بالنفس وصفاتها ومحاسنها ودرجاتها ،
وحب الله كما يقول الصوفية ، وربما كانت هذه
المحاولة من الغزالي سبباً في التقريب بين الطائفتين
إلى اليوم .

وهناك منهجان مختلفان أيضا للمسلمين ،
وهما منهج المتكلمين ومنهج الفلاسفة . فمنهج
المتكلمين ، حين يتحدثون إلى العامة ، تأييد
العقيدة بعد اعتناقها ، فهم يؤمنون بالإسلام أولا
ثم يبحثون عن البراهين التي تؤيده . ولما رأوا
أن المخالفين من يهود ونصارى ووثنيين قد
تسلحوا بأسلحة جديدة من الفلسفة اليونانية
وغيرها ، تسلحوا هم أيضاً بها . وكان أظهر هؤلاء
المتكلمين هم المعتزلة ، وقليل منهم من أهل السنة ،
وهؤلاء المتكلمون كانوا أول أمرهم يمزجون
علم الكلام ببعض المسائل الفقهية ثم تجردوا
من الفقه ، وبحثوا في مسائل دنيوية لا تتصل
بالعقيدة اتصالاً مباشراً ، كبحث النظام في الذرة
والظفرة وشم الروائح والبصريات ونحو ذلك .
أما الفلاسفة ، فقد كانوا يرون الدخول
على الموضوع من غير عقيدة سابقة ، بل يسرون
فيه حسبما يؤيدهم إليه البحث ، فقد يؤدي إلى
أسود أو أبيض حسب البرهان . نعم إن بعضهم
كان يحاول التوفيق بين ما يظهر لهم أنه الحق ،
وبين العقيدة الإسلامية ، ولكن هذا على خلاف
المنهج الذى وصفوه .
ومن أجل هذا كان هناك عداوة بين المتكلمين

في المسلمين ، وأثرت في خلافتهم واختلاف عقلياتهم مما أدى إلى كثرة تنازعهم .

وحتى أصحاب المنهج الواحد كان بينهم خلاف شديد ، كالذى حدث بين الشافعية والحنفية ، وبين الشافعية والحنبلية ، فقد حكى لنا يافوت في معجم البلدان ، أن كثيراً من البلدان خربت ، ومن الأرواح أزهقت ، بسبب المصيبات بين هذه المذاهب ، في الشرق والغرب ، في العراق والأندلس ، في مصر والشام .

وتسألنى بعد ذلك : أى هذه المناهج يناسب العصر الحاضر ، وأيهما يتفق وعقل الجامعات وطريقة بحثهم وتفكيرهم ، فأقول ربما كان أقرب المناهج إليهم هو الذى يأخذ من هذه المناهج كلها أحسن ما فيها ، ويكون أساسه عدم التسليم المطلق للقدماء مهما كانوا ، فقد يخطئون . فهما قال فلان المجتهد فكلامه محتمل للصحة والخطأ ، ومهما قال أرسطو فكلامه محتمل للصدق والكذب ، وكما قال الجاحظ : « قد يخطئ أرسطو ويصدق أعرابي بدوى ، ذو ثياب مهلهلة » . وذلك عكس ما كان يفعله أهل القرون الوسطى من تقديس أرسطو تقديساً لا حد له ، حتى إنه قال : « إنا إذا رمينا شيئين مختلفي الوزن من مكان عال سقطا على الأرض في وقت واحد ، فصدقوه في قوله » ، وإن دلت التجارب على كذب ما يقول . والله يهدينا جميعاً إلى الصواب ؟

أحمد أمين

وهناك خلاف آخر يظهر على أتمه بين المتكلمين من المعتزلة والمحدثين . فالتكلمون المعتزلة يقولون بسلطان العقل لا إلى حد ، بعد اعترافهم بالوهمية أفعه ورسالة رسله ، حتى ما يروى من الأحاديث يحكم فيه العقل ، ولا يؤمنون بشيء إلا عن تجربة ودلالة عقل .

ولذلك يفصرون آية « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، بأن الرسول هو العقل ، وينكرون كثيراً من الحرافات والأوهام . فهم يرون أن الجن لا ترى اعتماداً على قوله تعالى : « إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » ، وينكرون السحر والتشعوذة ونحو ذلك ، ولأى هذيل العلاف والنظام والجاحظ جولان كبير في هذا الميدان .

أما المحدثون فيعتمدون أكثر ما يعتمدون على صحة النقل وعدالة الراوى ، فإن عبرا عن منهجها في كلية ، قلنا إن المعتزلة عقليون ، والمحدثين نقليون .

وقد ساد منهج المحدثين من عهد المتوكل لما نكل بالمعتزلة وأعلى شأن المحدثين ، بحسبارة للرأى العام ، ولذلك نرى أن العلوم الإسلامية على اختلاف أنواعها تعتمد على النقل أكثر مما تعتمد على الابتكار . وترى احترام عبارات المؤلفين وتأويلها مهما ظهر خطأها ، وهذا ضد منهج المعتزلة .

هذه هي المناهج المختلفة للمسلمين : منهج منطق ، ومنهج شعور ، ومنهج متدين ، ومنهج حر ، ومنهج نقل ، ومنهج عقل ، وقد لعبت كلها

والإسراء لا يكون إلا في الليل خاصة . ففني قوله « ليلاً » بعد ذلك ، أن الإسراء كان في قليل من الليل ؛ لأن الليل بصيغة التعريف اسم للجموع ؛ أما ليلاً بصيغة التكثير فيقع على البعض ؛ ولهذا كان الانبان به مفيداً معني زائداً ، وهو قليل مدة الإسراء ، وهو أمعن في الإعجاز .

وفي قوله تعالى « أَسْرَىٰ » بعبدته ، إضافة العبد إلى الله ، الدال على أنه العبد الحقيقي لله ، إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم قد بلغ في عبادة ربه غاية الغايات ، ونهاية النهايات ، وأنه استحق تلك الرتبة الشنيعة التي لم ينلها غيره من المرسلين ، وأن العنابة به في أنهي الدرجات . ولهذا جاء في آخر هذه السورة « إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا » .

والمسجد الحرام هو كما قال ابن جرير الطبري : ما يتعارفه الناس بينهم إذا ذكروه . فلا يعدل عن هذا إلى غيره من الأقاويل . والمسجد الأقصى هو مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويُبتَغى في زيارته الفضلُ بعد المسجد الحرام .

وقد بارك الله المسجد الأقصى ، وبارك ما حوله ، لجعل فيه بركة الدين والدنيا ؛ لأنه موطن الأنبياء ومتعبد لهم ، وحوله الانهار والأشجار وغالب الثمار .

والآية ظاهرة في أن الإسراء كان بقلعة ، وأنه كان بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم . وهو قول جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، والذي تواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة . ولا وجه لما نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعوية

حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ

لِصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَسَنِ

وَكَبِرنَ الْجَمَاعَةِ الْأَوَّلَةِ

« سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرِي بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ النَّجْدِ »

« الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَنْصِيِّ الَّذِي بَارَكْنَا »

« حَوْلَهُ لِرَبِّهِ مِنْ آيَاتِنَا ، إِنَّهُ هُوَ السَّيِّعُ الْبَصِيرُ »

آية قصيرة من كتاب الله تعالى ، تجلت فيها عظمة الله ، ومظاهر إكرامه وتأيدته لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بما أفاض عليه من روحانيته ، وبما حباه بالقرب منه ، وأطلعه عليه من آياته الكبرى ، ودلائل قدرته في هذا العالم ، مما لا يحيط به العقل ، ولا يدرك كنهه الفكر .

وسبحان : مصدر ، معناه التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص . فهو ذكر عظيم لله لا يصلح لغيره . وقد جاء تفسير ذلك فيما رواه طلحة بن عبد الله الفياض ، قال : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما معنى سبحان الله ؟ فقال : تنزيه الله من كل سوء .

والمعنى : أننا نبرئُ الله عز وجل من كل نقص ، وننزهه عن أن تقصر قدرته عن الإسراء بعبدته الذي اصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، في قليل من الليل ، والرجوع به في ليله ، وهي مسافة يقطعها المسافر في شهر ، ويعود منها في شهر آخر .

عليه أحد من أصحاب الفطر السليمة . وروى ابن سعد في الطبقات أن النبي صلى الله عليه وسلم غاب في ليلة الإسراء وبحث عنه بنو عبد المطلب فلم يجدوه ، ففترقوا يلتمسونه في كل مكان ، وأخيراً لقيه العباس بن عبد المطلب عند ذى طوى فأخبره بما كان من أمره في الإسراء ، وأنه آت من بيت المقدس .

وبعد : فإن الله أخبر في كتابه أنه أسرى بعبد ، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده ، والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وليس جازأً لأحد أن يتعدى ما قاله الله إلى غيره . ولهذا نشك في صحة نسبة القول بأن الإسراء كان بالروح لا بالجسد إلى السيدة عائشة وإلى معاوية ، لهذا ولأن عائشة رضى الله عنها كانت وقت الإسراء صغيرة ، ولم تكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعاوية لم يكن قد أسلم بعد .

والخلاصة أن الإسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كان في البقعة ليلاً ، بالروح والجسد ، وقد توفرت الروايات الصحيحة على أنه صلوات الله عليه مُثَّل له الأنبياء ، فقدمهم وصلى بهم إماماً ، إظهاراً لشرفه وفضله عليهم . وفي هذه الليلة أطلعه الله على ما في هذا الكون من العظمة والجلال ، وأراه من آياته بما لا يعرف كنهه إلا هو ، وقصر أفهامنا عنه ، وحجابه بالتكريم والقرب منه ، وفرض عليه الصلوات الخمس ، وعاد من ليلته إلى مكة .

من أن الإسراء كان بروحه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يفارق شخصه مضجعه ، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق . ورؤيا الأنبياء حق ، ذلك لأن الباطن في الصحيح وتضافرت عليه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع إلى مكة من مسراه ، حدث قريشاً بما رأى في ليلته فكذبوه وأمنعوا في الإنكار ، وقالوا : إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أيذهب محمد ذلك في ليلة واحدة ويرجع ؟ هذا والله إنه الأمر البين ، وذهب ناس إلى أبي بكر وقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك ؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، فقال لهم : والله لئن كان قد قال ذلك لقد صدق ! إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه ، وجاء أبو بكر واستمع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصف لقريش بيت المقدس حتى أتم الوصف ، وكان أبو بكر قد رآه من قبل ، فقال له أبو بكر : صدقت ! أشهد أنك رسول الله ! فسمى الصديق .

فهذه الواقعة وما فيها من الإنكار والتكذيب والتشنيع ، آية بينة على أن وضع المسألة كانت في إسراء في البقعة ، بالروح والجسد . ولا يمكن أن تكون الرؤيا المتنامية محل تكذيب أو تشنيع . فقد يرى الرائي أنه سار إلى مسافات شاسعة ، واخترق الحجب ، ورأى الأعاجيب ، فلا ينكر

من الوقت ، وتوصل إلى نقل صور الأشياء المادية من الجهات النائية ، وأعلننا القرآن في قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام أنه بالعلم أمكن نقل عرشها من جنوب جزيرة العرب إلى ملكة سليمان في فلسطين وما جاورها .

وقال يا أيها الملأ أئيم يا بني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال الذي عنده علم من الكتاب أما آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ، إلى آخر الآية .

إذا كان الإنسان قد توصل إلى هذا العلم ، فأى عجب في الإسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد نسب الله هذا الإسراء إلى نفسه وهو القادر الذي خلق هذا الوجود ، ويعلم ما أودع فيه من أسرار ؟

لا عجب ، فالله وحده هو القادر ، علم الإنسان ما لم يعلم ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً .

ونحن إذا قلنا إن العلم يقر الإسراء فإنما نقصد التقريب إلى الأذهان ، من باب قياس الغائب على الحاضر ، وإلا فالمعول عليه إنما هو العقيدة في الله ، وأنه هو القادر المتصرف في هذا الوجود . ولهذا لما أنكرت قريش حديث الإسراء رد عليهم بالآية التي تلونهاها ، والتي تأويلها الإسراء بمحمد صلى الله عليه وسلم من الله ، والله منزّه عن كل نقص ، ومنزه عن أن تقصر قدرته عن الإتيان بهذا الإسراء ، فهو شأن من شئونه ليريه من آياته ومعجائب أمره في هذا الوجود ؟

عبد الرحمن حسن

لم يبق مجال للريب ولا للتشكيك ولا للكأيرة في أمر الإسراء ، اعتماداً على أن الحس يمنع من حصوله ، حيث لا يمكن قطع مسافة عُذُوها شهر ورواحها شهر في قليل من الوقت ؛ لأن العلم أثبت قضايها أصبح مفروغاً منها ، وهي تقاب قضايها الحس رأساً على عقب . فقد توصل العلماء إلى نقل الصوت من أقاصي الأرض بالراديو ، ونقل الصور من الجهات النائية بالتلفزيون ، والعلم جعل الطائرات تطوى المسافات الشاسعة في المحيطات ، ومن قارة إلى أخرى ، ومن قطر إلى آخر ، في قليل من الوقت ، مما لو ذكر في الماضي لعدّ ضرباً من الخيال . والعلم هو الذي سهّل لماركوف أن يضيء مدينة سدني بأستراليا بشرارة كهربائية أطلقها من سفينة التي كانت راسية بالبندقية . والعالم بعد هذا يريد أن يصعد إلى السماء ويتصل بالكواكب ، ليعلم ما أودع فيها من الأسرار ، فالعلم إذاً يقر الإسراء ولا يحافيه .

والحقيقة التي لا مرأى فيها : أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ، مادته وأثيره ، وأودع فيه من النظام والأسرار ما لا يعلمه إلا هو ، وخلق كل شيء بقدرته وتقديره ، وما وصل إليه الإنسان بالعلم والمعرفة من ضروب الاختراعات ، ما هو إلا قياس من ذلك النظام الذي أودعه الله في هذا الكون : وسرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ؛ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد .

وإذا كان الإنسان قد توصل بالعلم إلى قطع المسافات البعيدة المدى بالطائرات في القليل

موقف الإسلام من أهل الكتاب

لصاحب الفضيحة الشيخ محمد محمد المديني

السكرتير العام المساعد للجامع الأزهر

القضية الأولى التي جاءت بها الأديان كلها هي توحيد الله جل وعلا ، والخضوع لحكمه ، وإخلاص العبودية له إخلاصاً لا تشوبه شائبة من شوائب الشرك .

وهذه القضية محكمة غير قابلة للنسخ ، لأنها تحديد لواقع الصلة بين الخالق والمخلوق ، والواقع لا يختلف باختلاف الأزمان أو الأشخاص ، ولهذا نجد القرآن الكريم حينما يتحدث عن الدين بمعنى الخضوع لله والدينونة له ، يقرر أنه الشأن الدائم الذي لا يختلف ولا يأتي فيه رسول بغير ما أتى به رسول ، « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ، ونجده يقص علينا أن جميع الرسل كانوا يدعون أقوامهم أول ما يدعون إلى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به ، بل هناك عبارة واحدة في هذا الشأن حكها القرآن عن كثير من الرسل : « يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » ، قالها نوح لقومه ، وقالها هود لعاد ، وصالح لثمود ، وشعيب لأهل مدين . ولا شك أن كل نبي وجهها إلى قومه بنصها أو معناها .

وقد اعتبر القرآن الكريم قبول هذه الدعوة والنزول على مقتضاها هو « الإسلام ، فالإسلام

هو الانقياد لأمر الله ، وإخلاص العبادة له ، من قولهم سلم الشيء فلان أى خلصه ، وسلم له الشيء أى خلص له ، وقد أئسد ذلك صريحاً في القرآن الكريم إلى السابقين على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من رسل وغيرهم ، فإبراهيم كان « خفيفاً مسلماً » ، وكان من دعائه هو وابنه إسماعيل « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » ، ووصى بها إبراهيم بنبيه ويعقوب يا بني إنا لله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنت مسلمون ، والتوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلبوا للذين هادوا ، والحواريون من قوم عيسى قالوا « نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون » ، وسليمان دعا أهل سبأ « أن لا تعبدوا على وأنوني مسلمين » ، وملكة سبأ قالت حين آمنت « وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » إلى غير ذلك ، وقد جاءت في هذا المعنى عبارات حاسمة صريحة مثل قوله تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » ، « ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، « أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون » .

بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالخليفة البيضاء التي كان عليها جميع الأنبياء كما بينا ، والناس فريقان : أهل شرك ووثنية يدعون مع الله آلهة أخرى ، ويعكفون على أصنام لهم ، وأهل دين يتمثل في اليهودية أو النصرانية قد وقع التحريف والتبديل في دينهم ، وطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم .

هكذا وقف الإسلام من الشرك حتى هدمه وقبّض أركانه ، وطهر الأرض المقدسة منه ، وما زالت لوحة يوم الفتح مرسمة على صفحات القلوب حين جعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعنون الأصنام ويلقون بها من فوق السكبة ، مينة ذليلة ، والمشركون ينظرون إليها باهتين ، يعجبون من دها واستكاثتها ، وكيف لا تدفع عن نفسها ، وإنه ليوم في تاريخ الإنسانية عظيم .

وأما موقفه مع أهل الدين من اليهود والنصارى فكان موقفاً آخر : كان موقف الأخ من أخيه ، فرقت بينهما الأيام ، وداخلتهما من هذه الفرقة وحشة واختلاف في النظر ، مع أنهما يصدران عن منبع واحد ، ويرميان إلى هدف واحد ، فكان الإسلام هو أوفى الآخرين لأخيه ، يقول له : « أنا منك وأنت مني » ، أما هؤلاء المشركون الوثنيون فأعداء لنا جميعاً ، فامدد يدك إلى ، وهلم تتعاون على الحق الذي تعرفه كما أعرفه ، وتؤمن به كما أؤمن به ، ولكن الأخ الآخر يتسكأ في قبول هذه الدعوة ويغلب عليه الاستكبار ، وتجيئ نفسه بالحسد ، ويفسى في سبيل هواه ماضيه ، ودعوته وإيمانه ، فهو يجادله ، ويثير حوله الشبهات ، ويظاهر عليه أعداءه ، ويضع في طريقه كل ما يستطيع من الحواجز ، لا لأنه يعتقد في قرارة نفسه أن أخاه كاذب مبطل ، ولكن لأنه يحسده ويخشى نجاحه ، ولا يطيق أن يراه وقد ظفر بما أراد ، ودان له أعداؤه ، واستقرت أموره ، وإذا أردنا أن نحصى المظاهر العملية التي نشأت عن وفاء الإسلام لأهل الأديان

فإذا كان موقف هذا الدين الجديد من الفريقين ؟ لقد كان موقفاً متطيقاً متفقاً مع الحقيقة التي قررها كتابه الكريم ، ملتزماً لوازمها :

كان له من الشرك والوثنية موقف ، وكان له من اليهودية والنصرانية موقف :

فأما موقفه من الشرك والوثنية فكان موقف النقيض من النقيض : يبطل عقائدهم ، ويسقته أحلامهم ، وينسك آلهتهم ، ويحاربهم بكل ألوان الحرب التي لا غاية لها إلا استصالحهم ، وتطهير الدنيا منهم . كانت العداوة بينه وبينهم عداوة أصلية أساسية ، لأنها في الجوهر ، في القضية الأولى التي جاء بها كل الأنبياء ، قضية التوحيد والإسلام لله ، وقد أياسهم من أن يقبل في هذه القضية أي تهاون ، أو يقرب منهم في شأنها أي نوع من القرب فقال : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، وحرم ذبائحهم ، وصاهرتهم والإصهار إليهم ، ولم يسمح لهم بأن يقيموا شعائرهم في البيت أو حوله ، ولا بأن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، ولم يقبل منهم الجزية ليحميهم في بلاده على عقائدهم ، وأذنهم يوم الحج الأكبر بأن الله يرى منهم ورسوله ، وجعل لهم مدة يقتلون بعدها حيث يوجدون ، ويؤخذون ويحصرون ويُقعد لهم كل مرصد ، وأبان للمسلمين أنهم نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وأنه لا تجوز لهم موالانهم ولو كانوا آباء أو إخواناً ، ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون . .

٢ - كان القرآن يفرق بين صالحى أهل الكتاب وفاسقيهم ويعطى كل فريق حقه ، لمزما جادة العدل والصدق .

نجد ذلك فى مثل قوله تعالى « وذات طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون » ، « ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً » ، « وإن منهم لفرقة يلون أنفسهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب » ، « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل لإلههم خاشعين لله لا يشترون آيات الله ثمناً قليلاً ، أولئك لم أجزهم عند ربهم » ، « ليسوا سواء ، من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات ، وأولئك من الصالحين » . وقد حل هذا الشئ القوي فريقاً من المفسرين على أن يقولوا إن المراد بأهل الكتاب الذين يثنى الله عليهم من آمن منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كعبد الله بن سلام وأضرابه ، نقل هذا عن ابن عباس ، ولكن روى عن قتادة أنه كان يقول فى هذه الآية : « ليس كل القوم هلك ، قد كان لله فيهم بقية » ، بل نقل عن ابن عباس نفسه نحو ذلك فى رواية أخرى .

والذى حل بعض المفسرين على ما ذكرنا هو ظنهم أن هذه الأوصاف لا تكون إلا للسليين ، وكأنهم استصحبوا أن يكون أحد من أهل

الأخرى ، فإن ذلك يستدعى أن تؤلف كتاباً ضخماً ، ولكنا نجتزئ ببعض الأمثلة :

١ - كان من تطفى الإسلام مع اليهود والنصارى أن سمّاهم « أهل الكتاب » وهذه التسمية فيها اعتراف بهم ، وتكريم لهم ، واعتداد بما عندهم من أصول الحق ، وأسس الخير .

والمراد بالكتاب التوراة والإنجيل ، وقد جاء إطلاق هذا الاسم عليهم فى مواطن كثيرة من القرآن الكريم فى سياق المدح حين كان يقرر ما لبعضهم من صفات حميدة ، وفى سياق الذم حين كان يصف ترمد المتمردين منهم ، أو يدحض باطلهم ، وهو فى الحالة الأولى بمثابة من يرجع فضلهم واستقامتهم إلى كونهم أهل كتاب وأصحاب دين سماوى فلا يستبعد ذلك منهم وهم له أهل ومعدن ، وفى الحالة الثانية بمثابة من يعائبهم على ترمدهم ، ويشير إلى تافضهم ، فإن مقتضى كونهم أهل كتاب أن ينزلوا على حكم كتابهم ، وأن ينظروا فى أمر الإسلام ونبيه بروح العارف بهذا الشأن الذى يلاء من قبل وخبره ، لا بروح أهل الجاهلية الذين لا يدركون معنى الرسالة والكتب ، ولا عهد لهم بالهداية الإلهية ، وقد كانوا معهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم على اختلاف وعداوة ، وكانوا يترقبون مبعثه ويمدونهم فتحاً لم قريباً ، ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به . .

إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ؛ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » ، ولقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه ، قل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر من خلق ، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

٤ — اعتبر الإسلام نصر أهل الكتاب على المجوسية نصراً للحق على الباطل ، وفرح به المسلمون ، وذلك أن كسرى حارب الروم ، وكان المسلمون والمشركون من أهل مكة يتبعون أخبار هذه الحرب بتلف ، فلما انهزم الروم - وهم أهل كتاب - شق ذلك على المسلمين ، وفرح به المشركون شماتة بهم ، حتى كان ما كان بين أبي بكر والمشرک من الرهان ، ونزل في النبوة بنصر الروم فيما بعد قوله تعالى « ألم أغلب الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » .

وقد تحققت هذه النبوة فانتصرت المسيحية على المجوسية وظفر هرقل بأعلام فارس وعسكر كسرى ، وكان اغتباط المسلمين يومئذ بهذا النصر عظيماً كأنهم هم الذين انتصروا . وهذا من أكبر

(٤)

الكتاب يؤمن بالله على هذا النحو ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع في الخيرات . ولكن من يتأمل أسرار القرآن وأهدافه السامية ، يدرك أن الله تعالى حكم عدل . وأن دينه واحد على السنة جميع الأنبياء ، فمن آمن به وفعل الخير من أي دين فله أجره ، إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

٣ — وقد رسم القرآن طريقة مجادلة أهل الكتاب من حيث الأسلوب والموضوع ، فأوصى بأن يكون أسلوبنا معهم في الجدال هادئاً حسناً ، ماداموا غير متعتين ، وبأن يكون جدالنا معهم قائماً على أن دعوتنا ودعوتهم واحدة في أساسها وجوهرها ، وأتينا لا نبغى منهم إلا أن يصلحوا ما أفسده التحريف والتبديل فيها ، ولا نخافهم إلا إلى قلوبهم وعقولهم بشرط أن يكونوا منصفين . وفي ذلك يقول الله عز وجل « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » ، « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق » ، « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد

الجزية إلا إذا كانوا بحيث تنالهم أحكامنا ، ولا شك أن ذلك من حق أى دولة تريد أن تحتفظ بكيانها وألا تعرضه للهدم أو الزلزل حيناً بعد حين .

٧ - وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل الذمة ، وخص القبط فقال ، استوصوا بالقبط خيراً ، فإن لهم ذمة ورحماً ، وقال ، من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة .

وأوصى بهم عمر بن الخطاب عند موته فقال ، أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيراً ، وأن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وألا يكلفهم فوق طاقتهم ، ومن أجل ما يؤثر عن عمر رضى الله عنه من الرفق بأهل الذمة أنه رأى شيخاً ذمياً يسأل على أبواب المساجد فقال ، ما أنصفناك . أخذنا منك الجزية فى شيتك ، ثم ضيعناك فى كبرك . ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه .

أما بعد فهذا قل من كثر يقىء عن موقف الإسلام من أهل الكتاب ، واعتباره إياهم أصحاب دعوة سليمة فى أصابها ، موافقة لما جاء به . غير أنهم غيروا وكابروا وتكبروا للحق الذى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فكان على الإسلام أن يردم إلى هذا الحق ، وأن يتقدم من أنفسهم وأهوائهم ، وأن يعاملهم مع ذلك معاملة كريمة رحيمة ؟

محمد محمد المدنى

الأدلة على أن الإسلام غير متعصب على أهل الكتاب ، وأنه يعتبر عدوه الحقيقي إنما هو الشرك . وسيأتى اليوم الذى يصيح فيه أهل الكتاب إلى دعوة الإسلام بعد أن تموت الأحقاد ونوازع الحسد والبغى ، وتخلص العقول إلى الحق فتراه سافراً ليس من دونه حجاب .

٥ - أباح الإسلام طعام أهل الكتاب ، وأحل ذبائحهم ، وأجاز للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . وهو بهذا يثبت للزوجة الكتابية جميع حقوق الزوجية ، ويتركها حرة فى أداء شعائر دينها ، ويوجب القسم بينها وبين الزوجة المسلمة سواء بسواء ، وبهذا وجد مسلمون ذوو أمهات وأحوال من أهل الكتاب ، ووجدت تبعاً لذلك الرحم بين الأسرة المسلمة والأسرة الكتابية .

٦ - قبل الإسلام من أهل الذمة ما لم يقبل من المشركين وهو أن يعيشوا فى ذمة المسلمين بشرط أن يساهموا فى تمكين الدولة من القيام بواجبها بإعطاء الجزية مع الخضوع للدولة ، وهذا شرط طبعى لا شطط فيه ، وقد فهم بعض الناس من قوله تعالى ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، معنى القسوة والإذلال ، مع أن المراد هو أن يكونوا مساهمين فى تحمل الأعباء نظير حمايتهم ، وأن يكونوا خاضعين للدولة غير متمكنين من النزوع إلى الثورة عليها ، وهذا هو ما عبر عنه بعض الفقهاء بقوله ، ولا تقبل منهم

الشَّفَعَةُ بَيْنَ الْفِقْهِ وَالْقَانُونِ الْمَدَنِيِّ

للدكتور محمد يوسف موسى

الاستاذ المساعد للشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة مؤاد الأول

في الشرق والغرب ، من المسلمين وغير المسلمين . وإذا كان لكل قانون سماوى أو وضعى خصائصه وسماته التى تميزه عن غيره من القوانين ، فإن للتشريع الإسلامى من الخصائص والسمات ما يجعله بحق ضرباً فريداً من التشريعات ؛ سواء من ناحية المقاصد التى قام عليها ، أو من ناحية التشريعات التى استحدثها لأنها جد ضرورية لما تدفع من ضرر وتجب من خير .

وليس من همتنا الآن الإشارة ، ولو بإجمال ، إلى ما قام عليه التشريع الإسلامى ، من مقاصد عامة وقواعد كلية ، فلذلك موضعه الخاص به . إلا أننا رأينا من الخير أن نبدأ بجهودنا الضعيف في هذه المجلة في عهدها الجديد المبارك بإذن الله ، بدراسة بعض ما انفرد به الفقه الإسلامى ، دراسة مقارنة ، وفي أوائل ذلك ه الشفعة ، باعتبارها سبباً من أسباب الملكية ، مثل الشراء والهبة والميراث . والله ولى التوفيق والسداد ، ونسأله أن يجعل في هذه الدراسة ما نرجو لها من فائدة كفاء ما نلقى فيها من عناء ^(١) .

...

بحث الشفعة يتطلب الكلام في موضوعات مختلفة تتناول منها اليوم البحث في بيان ماذا تكون فيه الشفعة .

(١) من البديهي ألا نعرض في هذه الدراسة للتفاصيل التى يعرفها طلاب الفقه في معاهده المختلفة ، بل للموضوعات الرئيسية التى هى مجال الاختلاف في الآراء والأحكام .

في الفقه الإسلامى ثروة ضخمة من التشريعات العديدة التى تتناول الفرد والمجتمع والدولة من النواحي المختلفة ، بل تتناول العلاقات الدولية بين الأمم جميعاً أيضاً . ولن يستطيع أن يقف على مبلغ هذه الثروة من قصر نفسه على مذهب واحد لا يمدوه إلى غيره ، بل يجد تجاوزه غير جائز له ما دام قد التزم مذهباً فقهياً بعينه .

وإذا كانت ، الدراسة المقارنة ، هى الضرب الأمثل من الدراسات في الفلسفة والمعلوم الاجتماعية والاقتصادية ونحوها ، فإنها كذلك بلاريب في الفقه والتشريع ، وهى لهذا ، الواجبة الاتباع في هذه الأيام بخاصة . إنها تساعدنا على التحرر من ريبقة التقليد في الأصول والفروع الذى أخذ منا بالحناق ، وتجعلنا نعرف يقيناً أن الله لم يخص بالحق كله فقهاً أو مذهباً واحداً بعينه ، وتقدم مادة خصبة متجددة للذين يقومون هذه الأيام بالقوانين الوضعية الحديثة ؛ وذلك ما يجعلهم يعرفون للشريعة الإسلامية منزلتها الكبرى ، فيفيدون منها أجل فائدة حتى تكون المصدر الرسمى الأول لما يضعون من قوانين .

فضلاً ، عن أن هذا النوع من الدراسة يرسم لنا لوحة أمينة صادقة لجهود العقل الإنسانى في هذه الناحية ، ولتطور الفكر البشرى فيما يتصل بالتشريع والتفتين ليتناسب مع ما يجد للناس من الظروف والأحوال وسواء في ذلك جهود الفقهاء

للقسمة كما يرى الشافعي . وفي رواية عن الإمام ابن حنبل نفسه أن الشفعة تثبت في هذا النوع أيضاً لأنه يتأبد ضرره^(١) ، أما فيما يقسم فيزول الضرر بقسمة الشريك مع المشتري المالك الجديد ، وإن كانت الرواية الأولى التي لا تجعل الشفعة إلا فيما يقسم من العقار ، هي ظاهر المذهب على ما جاء بكتب الحنابلة .

بل ، قد روى عن الإمام أحمد جواز الشفعة في المنقول أيضاً ؛ فقد سئل عن الدابة من الحيوان تكون بين رجلين ، فأراد أحدهما بيع نصيبه منها ، فقال : الشفعة في هذا أوكد . وقد نقل هذا الرأي عنه ، ورضيه واستدل له بالمعقول والمنقول من الأحاديث الصحاح الإمام ابن القسيم المتوفى عام ٧٥١ هـ . وإذا - على هذا الرأي - لا تكون الشفعة في العقار الذي لا يقسم فقط ، بل في كل مبيع ولو كان منقولاً ما دام مشتركاً بين البائع وغيره ، لما جاء عن الرسول فيما رواه جابر : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل شيء^(٢) .

٣ - وهذه النظرة التي ترى أن حق الشفعة ثبت على خلاف الأصل لمعارضته حرية المالك والمشتري ، ولذلك تضيّق منه فلا تجعله إلا في العقار وتوابعه بما يتصل به اتصال قرار ، هي النظرة التي صدر عنها واضع القانون المدني الجديد . جاء في مجموعة الأعمال التحضيرية لهذا القانون : « استقر الرأي على إبقاء حق الشفعة سبيلاً لكسب

١ - يعرف الفقهاء الأحناف ، الشفعة ، بأنها تمليك الشفعيع العقار المبيع جبراً عن البائع والمشتري ، بما قام عليه من ثمن وتكاليف أخرى ، ومعنى هذا أن الشفعة لا تكون إلا في العقار وما يتصل به من منقول كالبناء والشجر . ويقررون بعد ذلك ، بأن هذا الحق يثبت للشريك في العقار المبيع ، وللعجار الملاصق له وإن لم يكن شريكاً فيه . أما ثبوت الشفعة في العقار فقط وفيما يتصل به اتصال قرار كالبناء والشجر ، فقد نظر من ذهب إليه من الأحناف وغيرهم إلى أن الأصل أن يكون المرء حراً يبيع لمن شاء ، إلا أن من أصول الشريعة أنه لا ضرر ولا ضرار ، ومن حق الشريك أو الجار على مثله ألا يؤذيه بحلب آخر دخيل يشركه أو يجاوره فيما يملك . وكان المنطق لذلك أن يجزوا الشفعة في المنقول المبيع استقلالاً ، لكنهم رأوا ألا يتوسعوا في هذا الحق الذي يحد كآثاراً - من حرية البائع ، فأثبتوه فيما جاءت الشريعة به . وفي هذا يروون أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها قوله : لا شفعة إلا في ربيع أو حائط ، أي دار أو بستان ، سواء أكان العقار مما يحتمل القسمة أم لا يحتملها كالدار الصغيرة والحمام والرحا والبئر ، بينما يرى الشافعي أن هذا الحق لا يثبت إلا في عقار يكون قابلاً للقسمة^(٣) . والحنابلة ، كالأحناف والشافعية ، لا يرون الشفعة إلا في العقار أيضاً وبشرط أن يكون قابلاً

(١) انظر لابن قدامة المتوفى عام ٦٣٠ هـ ، ٥٣٧ : ٢٨٧ هـ .

٢٨٩ .

(٢) إعلام الموقدين ، طبعة فرج الله الكردي ، ٢٣٣ : ٢٤٩ وما بعدها .

(٣) البدائع لعلاء الدين السكاكي المتوفى عام ٥٨٧ هـ ، ٥٣ : ١٢ - ١٣ ؛ نهاية المحتاج للشمس الدين الرملي ، ٤٣ : ٤٣ - ٤٤ ؛ الوجيز للزالي المتوفى عام ٥٥٥ هـ ، ١٣ : ٢١٥ .

لشريك أو الجار ، مادام الثمن الذي يدفعه له هذا لا يقل بحال ما عن الثمن الذي يدفعه له ذاك . والمشتري لن يضر بشيء ؛ لأنه هو المتعدي ، وسيسترد ما دفع من ثمن وغيره .

ولأن الحرية يجب أن تكون مقيدة ألا تضر بالغير ، ومن الضرر بالشريك في المبيع أن يجيء له شريك آخر لا يرضاه ، وكذلك من الضرر بالجار أن يجلب له جاره جار سوء . ومن ثم ، يكون من العدل ورعاية مصلحة الجميع أن تثبت الشفعة في العقار والمنقول ، وأن تثبت للشريك أو الجار في العقار ، أما في المنقول فلا يتصور فيه جوار بطبيعة الحال إلا في بعض صور وحالات سنعرض لها قريباً .

ب — ومن ناحية أخرى ، يجب أن ننظر لعلة أو حكمة شرعية الشفعة ، هذه الحكمة ليست إلا دفع أذى الدخيل عن الشريك أو الجار ، أي عن صاحب حق الشفعة على اختلاف المذاهب والآراء . ومن المسلم به فيها ومنطقاً أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ، وقد لا يقل ضرر الدخيل في المنقول عن ضرره إذا كان المبيع عقاراً ، وسيجيء لهذا زيادة إيضاح عند الكلام على مذهب الظاهرية ومن إليهم .

٣ — وإذا كان الاحتاف والشافعية ومن ذهب مذهبهم من الحنابلة ، لم يميزوا الشفعة إلا في العقار وما يتصل به ، وقد استوحام في هذا واضع القانون المدني كما رأينا ، فإن المالكية وسعوا قليلاً من نظرم فأجازوها في بعض المنقول أيضاً وإن بيع مستقلاً عن العقار .

للملكية (لاعتبارات تاريخية ، ولأن هذا النظام قد أصبح جزءاً من التقاليد القانونية للبلاد) ؛ هذا ، إلى ما للشفعة من فائدة في جمع ما تفرق من حق للملكية ، كضم حق الانتفاع إلى الرقبة من طريق الأخذ بالشفعة . على أن المشروع إذا كان قد انتهى إلى استبقاء الشفعة ، فقد عمل من ناحية أخرى على التضييق في الأخذ بها ، إذ هي قيد يرد على حرية التصرف فيحسن عدم التوسع فيه . ضيق المشروع في الشفعة من ناحية الموضوع ومن ناحية الإجراءات ، فأورد في الموضوع ثلاثة أحكام تقيد منها ... وحذف المشروع الجوار كسبب من أسباب الأخذ بالشفعة . وعالج من ناحية الإجراءات مسألة هامة بروح التضييق في الأخذ بالشفعة ، فأوجب على الشفيع أن يودع الخزينة مبلغاً يساوي الثمن الحقيقي الذي حصل به البيع ^(١) .

ومن تلك التضييقات الموضوعية ، أن نصت المادة ٩٣٥ من القانون نفسه على أن الشفعة رخصة تميز في بيع العقار الحلول محل المشتري ، في الأحوال وبالشروط المنصوص عليها في المواد التالية .

هذا ، وروح التضييق التي استوحاها واضع هذا القانون ، لا معنى لها فيما نرى ، وذلك من ناحيتين :

١ — إن الحرية التي يحرص على توفيرها بقدر الإمكان للمالك والمشتري ، لا تضار بشيء مطلقاً إذا توسعنا في ثبوت حق الشفعة حتى يثبت في المنقول كما يثبت في العقار ، لأنه يجب أن يستوى عند المسالك أن يبيع للأجنبي أو

وفي هذا يقول ابن حزم ، في المسألة رقم ١٥٩٤ ، ما نصه : « الشفعة واجبة في كل جزء يبيع مشاعا غير متمسوم بين اثنين فصاعدا من أى شيء كان ، مما ينقسم وما لا ينقسم ، من أرض ، أو شجرة واحدة فأكثر ، أو عبد ، أو ثوب ، أو أمة ؛ أو من سيف ، أو من طعام ، أو من حيوان أو من أى شيء يبيع ، لا يحل لمن له ذلك الجزء أن يبيعه حتى يعرضه على شريكه أو شركائه . فإن أراد من يشركه فيه الأخذ له بما أعطى فيه غيره ، فالشريك أحق به ؛ وإن لم يرد أن يأخذ فقد سقط حقه ولا قيام له بعد ذلك إذا باعه ممن باعه . فإن لم يمرض عليه كما ذكرنا ، حتى باعه من غير من يشركه فيه ؛ فمن يشركه بخير بين أن يعضى ذلك البيع ، وبين أن يطله ويأخذ ذلك الجزء لنفسه بما يبيع به ، » (١) .

هذه الجملة الموجزة تجمع أصول مذهب الظاهرية في هذه المشكلة ، مشكلة الشفعة وفيه تكون . لأنها تكون عندهم في كل شيء يبيع كما رأينا ، بشرط أن يكون المبيع جزءا مشاعا في كل ، فهي إذا تكون للشريك لا لغيره .

ويستدل ابن حزم لما يرى استدلالا قويا من وجوه عدة بأحاديث الرسول أولا ، ثم بالعقل ثانيا ، ناظرا إلى حكمة تشريع الشفعة ووجوب تعميمها في كل مبيع .

فالآثار متواترة متظاهرة لإثبات ما يقول . ومنها ما رواه جابر وابن عباس بأن الشفعة في كل

قالإمام مالك رضى الله عنه يرى وجوب الشفعة في السفن ، لأن السفينة — كما يقول — تتخذ مسكنا مثل الدار ، فتجب فيها الشفعة كما تجب في المسكن الآخر وهو العقار (٢) . ونرى المالكية بصفة عامة يرون الشفعة في بعض ما هو منقول ، وإن لم يكن متصلا بالعقار اتصال دوام وقرار كالبناء والشجر ، مثل الفواكه والخضراوات . ومن هنا ، نجدهم يقولون بأن الشفعة تجب في القشاء والطبخ والخيار ونحوه ، وفي الباذنجان والقرع والبامية ونحوها مما له أصل يبق وقتما ، إذا باع أحد الشريكين شيئا من ذلك ولو مفردا عن أصله (٣) . ولعلمهم رأوا الشفعة في أمثال هذه الأشياء ؛ دون كل منقول لأن الأصل عندهم هو أن الشفعة لا تجب إلا في ثلاثة أنواع : العقار كاللور والحوانيت والبساتين ، وما يتعلق بالعقار بما هو ثابت لا ينقل ولا يحول كالبناء والشجر ، وما يتعلق بهذه كالثمار . وما عدا هذا من العروض والحيوان لا شفعة فيها (٤) .

٤ — أما الذين توسعوا إلى أقصى الحدود في إيجاب حق الشفعة للشفيع ، فهم الظاهرية (أنبا داود شيخ أهل الظاهر المتوفى عام ٢٧٠ هـ) ثم (أبى محمد على بن حزم المتوفى عام ٥٤٦ هـ) الذين ذهبوا إلى وجوب الشفعة لصاحبها في كل مبيع ، عقارا ، أو منقولا ، متصلا أو متعلقا بالعقار ، أو منقولا لاصلة له مطلقا بالعقار .

(١) اليد تع للكاساني ، ١٢ : ٥٠ .

(٢) الشرح الصغير للردبر ، ٢ : ٢٥٢ ؛ شرح أبى عبد الله الحرثى على خليل ، ٦٨ : ٦٠ .

(٣) بداية نهج لابن رشد الحفيد ، ٢ : ٢٤٤ - ٢٥٥ مطبعة مطبعة الاستقامة عام ١٩٢٨

(٤) المحلى ، طبع منير النشقي عام ١٣٥١ هـ ، ٩ : ٨٢ - ٨٣ .

قاسوا على حكم الأرض والحائط والبناء سائر
الأملاك بملة الضرر ودفعه ^(١).

٥ - هذا ، ولنا أن نخرج من ذلك كله بأن
من الواجب أن تثبت الشفعة في كل مبيع ، متقولا
كان أو عقاراً ، ليكون الحكم مطرداً مع علته
وجوداً وعدماً ؛ ولأن المالك لا يضر بشيء إذا
كان البيع لشريكه في العقار أو المنقول أو لاجنبي ،
بينما يضر الشريك في المنقول (لأنه لا يتصور
طبعاً الجوار في المنقول) إذا جاء له شريكه
بشريك آخر رغماً عنه ، كما إن يضر المشتري
المتعدي ، ما دام يسترد ما دفع من ثمن وغيره .
وعلى ذلك ، نرى أن للشريك في سيارة ، أو
دابة كما يحصل في القرى ، أو كشك بيع صحف
مثلاً ، أو أدوات قهوة أو سينما ، ونحو ذلك
كله ، الشفعة في نصيب شريكه إذا باعه دون
رضاه من اجنبي ما دام سيدفع نفس الثمن الذي
يدفعه هذا الاجنبي الآخر . وتعلل المالك الذي
يريد البيع لاجنبي في هذه الحالة بحريته في التصرف
وفي البيع لمن يريد ، يعتبر تعتلاً لا ينبغي أن تعين
الشرعية عليه مطلقاً . وما يجب أن نشير إليه هنا
أن القول بثبوت حق الشفعة في المنقول كما في العقار ،
ليس مذهب أهل الظاهر وحدهم ، بل قول أهل مكة
قبلهم ، كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل
نفسه أيضاً ^(٢) (للبحث بقية)

محمد يوسف موسى

مال ، وفي كل شيء ، وفي كل ما لم يُقسم ؛
وما رواه ابن أبي مليكة من أن الرسول قضى
بالشفعة في كل شيء : الأرض والدار والجارية
والخادم ؛ إلى أحاديث وآثار أخرى تشهد لمذهبه .
ومن باب العقل ونظيره ، نراه يقول : ^(٣)
« لا تخلو الشفعة من أن تكون من طريق النص
كما نقول نحن ، أو من طريق النظر كما يقول
المخالفون . فإن كانت من طريق النص ، فهذه
النصوص التي أوردنا لا يحل الخروج عنها ؛
وإن كانت من طريق النظر ، كما يزعمون أنها
جُعِلت دفعاً للضرر عن الشريك ، فالعلة بذلك
موجودة في غير العقار كما هي موجودة في العقار
بل أكثر ، وفيما لا ينقسم كوجودها فيما ينقسم ،
بل هي فيما لا ينقسم أشد ضرراً » ^(٤).

ثم نراه لا ينفي الرد على ما استدلل به المخالفون
من وجوب أن يكون المشفوع فيه عقاراً . فهو
يرى مثلاً أن ما روى عن الرسول من أن الشفعة
في كل شرك : في أرض ، أو رُبْع ، أو حائط ،
ليس فيه أنه لا شفعة إلا في هذا فقط ، وإنما فيه
إيجاب الشفعة في هذه الأشياء دون التعرض
لكون ما عداها فيه الشفعة أو لا ؟ فيجب إذاً
طلب حكم ما عداها من نصوص أخرى كالتى
ذكرنا بعضها . ومن القياس أيضاً وفي هذا يقول :
كيف ، والخنفون والمالكيون والشافعيون
المخالفون لنا في هذا أصحاب قياس بزعمهم ! فهلا

(١) المحلى ٤ : ٩ - ٨٥ - ٨٦

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم ٤ : ٢٤٩ : ٢٤٨ ؛ المحلى لابن
حزم ١٠ : ٩ - ٨٦ .

(٣) المحلى ٤ : ٩ - ٨٤ - ٨٥

(٤) بهذا يرد على الهامى والحناطية باسقاطهما في المشفوع
فيه أن يكون قابلاً للنسبة ، كما تقدم

فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ

مِنْ سِيرَةِ عُمَرَ

للكُّوْرطَه حَسَنِ بِاشَا

بلغ دار أخته حتى يسمع هينة فتبلغ الحفيظة به أقصاها . وقد دخل الدار وأحس أهلها فاستخفى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يقرئ القرآن أخت عمر وزوجها . فيسأل عمر أخته ما هذه الهينة التي سمعتها ؟ قالت : إنما كنا نتحدث . قال : ما أرى إلا أنكما صبوتما عن دين قومكما . قال خنته : وبجك يا عمرا فان كان الحق غير هذا الدين ؟ هنالك يثور الفتى ويطش بزواج أخته بطشاً شديداً ، وقبل أخته تريد أن تفرق بينه وبين زوجها فيلطمها لطمه تجرى الدم على وجهها . ويرى الفتى ذلك فيلن قلبه الخشن . ثم يطلب اليهما أن يظهرا على الصحيفة التي يقرآن فيها ، وتأتى أخته عليه حتى يتطهر فيجيها إلى ما أرادت . ثم يقرأ في الصحيفة ويسمع الختبيء صوته وهو يقرأ فيحس فيه رقة وليناً فيخرج من مخبئه . وما هي إلا أن يتحدث إلى عمر بعض الحديث حتى يسأله أن يدلّه على مكان محمد ، فيصحبه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم . ويلتفان الدار وقد وقف على بابها رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا رأوه هابوه . وفيهم حمزة بن عبد المطلب رحمه الله . فيقول حمزة : إن يرد الله بعمر خيراً أيده إلى الحق ، وإن يكن غير ذلك يكن قتله علينا هيناً . وقد أقبل عمر وعرف رسول الله مكانه ، فيخرج إليه ويأخذ

كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمة . بذلك تحدث ابن مسعود رحمه الله فيما نقل عنه الثقات من رواية ابن سعد . وكان ابن مسعود يفسر بعض هذا فيقول : لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي . وكان عمر أشد المسلمين قوة في الحق ، وذوداً عنه ، ونضالاً في سبيله ، حتى يفرضه على المعاندين له فرضاً . وكان أبغض الناس للوادة في الدين وأنأم عن إثارة العافية حتى يذلل في سبيل الحق آخر جهده . كان عنيفاً في الدفاع عن المأثور من وثنية قريش ، وخرج ذات يوم وقد تقلد سيفه وليس له إلا هم واحد هو أن يقتل محمداً فيخرج قريشاً منه ومن أصحابه ومن هذا الدين الجديد ، لا يبالى أن يغضب بنوهاشم ، ولا أن يثور بنو زهرة ، ولا أن يثور لأولئك وهؤلاء بنو عبد مناف . قد جعل لنفسه غاية لا بد من أن ينتهي إليها وهي أن يستأصل هذا الدين ويحفظ على قريش ما ورثت من دين آبائهما ، ولا عليه بعد ذلك أن يموت وقد أراح قريشاً ، أو أن يموت في راحة قريش .

ولكنه علم في طريقه إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم أن الدين الجديد قد غزا أسرته واستقر في بيت أخته فيتحول إلى هذا البيت ليطش بمن فيه ثم يمضى بعد ذلك إلى محمد فيطش به . ولا يكاد

العذاب تفتنهم به عن الدين، فلما أراد عمر الهجرة انفق مع صاحبين له على أن يخرجوا معاً فخبست قريش أحد صاحبيه وخرج مع صاحبه الآخر عياش بن أبي ربيعة. ولم يلبغا المدينة حتى لحق بهما رسول قريش فزال الرسول بعياش حتى

خدعه وأعادته إلى مكة فخبس فيها وبقى عمر في المدينة ينتظر مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فكانت هجرته نصرألم تستطع قريش أن تحبسه ولا أن تقتله ولا أن تصده ولا أن تتحدعه. وقد صحب رسول الله في المدينة كما صحبه في مكة، فكان ناصحاً لله ورسوله أميناً في النصيح قوياً في الحق عوناً على الثواب. شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرأ وأحداً والخندق والمشاهد كلها بأذله نفسه في سبيل الله لا يتحفظ ولا يستأني ولا يجد الضعف إليه سبيلاً.

وكان رسول الله ربما احتاج إلى أن يخفف من شدته ويكفكف من غفه ويحمله على إثارة العافية واصطناع الرفق، حين كان صلى الله عليه وسلم يرى أو يُلمهم أن الخيف في إثارة العافية واصطناع الرفق. وقد شهد الحديبية وكان له موقف ما زال المسلمون يذكرونه.

وهذا الموقف بين شخصيته أوضح بيان وأجله؛ فقد رأى ميل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلح فلم يرعه الصلح. أحس فيه ظاهراً من الضعف فراجع رسول الله فيه واجترأ حتى قال له: أأست على الحق؟ قال رسول الله: بلى. قال عمر: فلم نعط الدنيا في ديننا؟ هنالك ظهر الغضب في وجه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: أنا رسول الله - أراد أن يعرض له بأنه أمر لا يشير فيه الرجال - وكان عمر يعنف أحياناً حتى يقين له أنه تجاوز مع رسول الله ما ينبغي

بمجامع ثوبه وحائل سيفه ويقول له في صوت مهيب وحيم: «أما أنت مُتت يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والتكال ما أنزل بالولد ابن المغيرة. اللهم هذا عمر بن الخطاب! اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب».

ويقع هذا الكلام من قلب الفتى موقع الغيث من الأرض المجدبة فيملؤها خصباً ويحلبها روضة فطرة، وإذا عمر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإذا المسلمون يكبرون فرحين منبهجين يرون إسلام هذا الفتى فتحاً مبيناً.

وقد كان كما رأوا، فقد كان الإسلام دعوة يستخفي بها من استجاب لها مخافة بني قريش، فلما أسلم هذا الفتى جاهر قريشاً بإسلامه وصلى في المسجد عنوة وأعان غيره من المسلمين على أن يفعل مثل فعله، فهابت قريش هذا الدين وتركت لاتباعه مكانهم من المسجد يصلون فيه كما يشامون. وكان هذا أول الفتح. وما كاد الناس يرون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يختلفون إلى المسجد ويصلون فيه آمنين حتى فشا فيهم الدين الجديد وكثر الساعون إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأصبح أتباع الدين الجديد حزباً ظاهراً تحسب له قريش حساباً. وكان إسلام عمر متأخراً شيئاً فلم يسلم إلا في السنة السادسة للبعثة، وكان في السادسة والعشرين من عمره فتى جلدأ صلياً ميباً يخافه الناس ولا يخاف من الناس أحداً.

أقام بمكة بعد إسلامه أيأاً للضم ممتعاً على البنى مانعاً غيره من ظلم قريش ما وجد إلى ذلك سبيلاً، حتى أذن الله لرسوله وللمسلمين في الهجرة إلى المدينة. وكانت قريش ترصد الرصد للهاجرين من أصحاب محمد تأخذهم أفراداً أو جماعات فتحبسهم عن الهجرة وتذيقهم ألوان

لا ينبغي أن يتم إلا على ملا وبعد مشورة من المسلمين، فلم يتردد في أن يعلن من فوق منبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بيعة أبي بكر كانت قلته وفي الله المسلمين شرها .

أراد أن أبا بكر كان أحق الناس بها فلم تقع الفتنة موقع الخطأ والضرر، ثم نظم الشورى في أمر الخلافة بعده كما استطاع . وتستطيع أن تتبع برامج الخلفاء والملوك والوزراء والرؤساء في الحكم على اختلاف العصور، فإن تجد أروع ولا أدق من هذا البرنامج الذي أعلنه عمر لسياسته في الحكم حين فرغ من دفن أبي بكر فتفض يده من تراب قبره ثم قام في مكانه فقال للناس : « إن الله ابتلاكم في وابتلاكم بكم وأبقاكم فيكم بعد صاحبي » فوالله لا يحضرني شيء من أمركم فيليه أحد دوني ولا يتغيب عني فألو فيه عن الجزء والأمانة ولئن أحسنوا لأحسن إليهم ولئن أساءوا لأنكن بهم » .

قال راوى هذه الكلمات فوالله ما زاد على هذه الكلمات حتى فارق الدنيا ، وأحسبه أراد أن يقول : فوالله ما حاد عن ذلك حتى فارق الدنيا . فأما الزيادة فقد زاد رحمه الله وأرى على كل ما كان ينظر من خليفة مثله ولى أمور المسلمين وهم في آخر عهدهم بالبداوة وأول عهدهم بالحضارة . لم يكن قد ساح في الأرض ولا عرف حضارة الأمم القديمة معرفة دقيقة مفصلة ، وهو مع ذلك قد أرسى أسس الحضارة الإسلامية كآمن ما تكون ، أخذ من تجارب الأمم القديمة صفوها وترك منها ما كان منافراً لطبيعة الإسلام وأصوله ثم ملا الأرض عدلاً في غير تكلف ولا تعمل ، وإنما هو العدل السمح ، قد اشتقت سماحته من سماحة الإسلام . لم يكن يعرف أصول الديمقراطية اليونانية ولا أصول الأرستقراطية

له من المشورة والرضى فيثوب إلى نفسه ويغيب إلى الله ويأخذه البكاء . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف منه ذلك ويعرفه له ويحمده من أخلاقه لأنه لا يصدر إلا عن الإيمان الخالص بالحق والجهد الصادق في سبيل الحق . وكانت لعمر في قلب رسول الله مكانة تآزاة لا من حيث رجولته وجلده وصلابته في الحق غصب، ولا من حيث صدق رأيه وصحة مشورته وحسن بصره بالأمور وتدبر عواقبها غصب ، ولكن من حيث ارتفاع منزلته من رضى الله عز وجل . حتى روى ابن سعد بإسناده : أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له ، فلما انصرف رده وقال لاتنسنا يا أخى وشبنا بشيء من دعائك .

ومثل موقفه في الحديبية موقفه يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد أنكر أن يكون محمد قد مات وأنذر بأنه سيطش بكل من زعم ذلك ، فلما تلا أبو بكر رحمه الله قول الله عز وجل : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، فلما سمع الآية خر صريعاً إلى الأرض . وقال بعد ذلك : كأنى لم أسمع هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ! كان إذا آمن ووثق اندفع مع إيمانه وبقته إلى غير حد ، فإذا ظهر له أنه كان مخطئاً رجع عن خطئه في مثل الشجاعة التي اندفع بها إليه . ومثل هذين الموقفين موقفه من بيعة أبي بكر .

رأى اختلاف الأنصار في أمر الخلافة فأشفق من الفتنة ، فلما رأى رضى الأنصار بأن الإمامة في قريش أسرع إلى بيعة أبي بكر فبايعه الناس ، ثم استبان له بعد ذلك أن أمر الخلافة

أو ليعذبك عذاباً شديداً .

كان يرحل من مكة إلى المدينة فآراه المسلمون يضرب على نفسه فسطاحاً ليستظل أو ليستريح ، إنما كان يعلق الرداء أو ما يشبه الرداء إلى شجرة ثم يأوى إليه فيأخذ حاجته من الراحة والظل . وآراه المسلمون ذات يوم يرقى إلى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا إليه فقال : أيها الناس لقد رأيتني وما أجد ما آكله ، إلا أن غالات له من مخزوم كنت أستعذب لمن الماء فيعطيني قبضات من زبيب . ثم نزل فقال له أناس : لإلام أردت بهذا ؟ قال : لم أرد إلى أكثر من أني أحسست من نفسي شيئاً فأردت أن أردّها إلى الزواضع . وكان يسوى نفسه أيام الشدة لا بأوساط الناس ولا بذوى المكانة منهم ، بل بأضعفهم وأدنام شأناً فيأكل كما يأكل الفقير المحتاج ، ولا يرفه على نفسه قليلاً حتى يخصب الناس .

وكانت له كلمات بدأ بهن خلافته ثم ودهن كثيراً بعد ذلك . كان يقول : اللهم إني شديد فليسيئ ، وإني ضعيف فقوى ، وإني بخيل فسخني . وأدركه قضاء الله حين حمل أبو أواثة إليه الموت فكان لقاءه للبوت أروع أناء . تلا قول الله عز وجل : وكان أمر الله فدرأ مقدورا . ثم دبر أمر المسلمين فيما أتيج له من الحياة بعد هذه الطعنة فأوصى في أمور الدين والدنيا بما رأى أنه الخير . ثم فارق الدنيا لاجزعا على فراقها ولكن جزعا من خشية الله . وصدق من كان يقول من الخلفاء إذا ذكر بسيرة عمر : ومن لنا بمثل عمر ؟

طه حسين

الرومانية ولا طبيعة الملك الشرق القديم ولم يكن يعرف أصول الديمقراطية الحديثة ، ولكنه مع ذلك حكم الأمة الإسلامية حكماً مثالياً ما أرى أن الإنسانية عرفت مثله ، وما أرى أن الأمم الحديثة تصطرع وتختصم وتشق بألوان الحرب والبأس إلا لتحقيق عدلا في الأرض يقارب ما وصل إليه عقل ذلك الرجل الذي لم يبعد عن البداوة إلا قليلاً . حقق الديمقراطية في الحكم بدون برلمان ودون أن يلجأ إلى نظام من هذه النظم التي ألغها القدماء والمحدثون ؛ وإنما جعل على نفسه وعلى عماله وأعوانه من كل مسلم بل من كل محكوم رقيباً يقول فيسمع ، ويشكو فينصف ، ويدعو فيجاب . وجعل من نفسه على نفسه وعلى عماله وأعوانه رقيباً أي رقيب . لم يرح ولم يسترح وإنما أتعب نفسه وأتعب الناس أيام خلافته كلها ، أضف إلى ذلك أنه قد فتح الأرض على المسلمين دون أن يقود الجيوش الفاتحة بنفسه ، وإنما قادها بتدبيره وهو مقيم في المدينة لا يكاد يفارقها إلا للحج أو عمرة أو رحلة قصيرة إلى الشام . فلو لم يزد على هذه الفتوح لكان عالياً تقاس عظمته إلى عظمة الإسكندر وقيصر ونابليون ، فكيف وقد أقام بناء للعدل لم تر الإنسانية مثله . ولست أدري أترى مثله إلى آخر الدهر ؟

وكان أروع خصال عمر فيما اعتقد أنه لم يؤمن لنفسه بشيء من العظمة قط ، وإنما استكثر الخلافة على نفسه وشك دائماً في سياسته . لم يعرف الاطمئنان قط إلا إلى شيء واحد هو إيمانه الخالص بالله ورسوله والقرآن .

كان يخلو إلى نفسه فيقول : يخ . يخ يا ابن الخطاب ! أصبحت أمير المؤمنين ، والله لتتقين الله

القصة العلمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

بالترخص في تمثيل النظريات والتجارب، والتحليل من قيود المعمل والمدرسة، فليست هي علماً بحثاً ولا قصصاً بحثاً، ومن هنا عيها، ومن هنا أيضاً مزيتها، لأنها تستفيد من أسلوب القصة شيوعاً بين القراء الذين لا يفرغون للدراسة العلمية ويحصلون بهذا الأسلوب على القسط الضروري لهم من المعارف العامة. ثم هي تستفيد من إطلاق الحرية للكاتب في وصف التجارب العلمية أن تسبق المرحلة الحاضرة إلى المرحلة النابعة لها، فترسم للبحث طريقاً ينتهي إلى غاية ولو بعد فترة تطول أو تقصر، وتعتمد على الخيال في تصوير الحقيقة العلمية كما ستكون بعد سنوات، أو كما سوف تكون بعد أجيال. وقد راجت القصة العلمية رواجاً عظيماً بعد الحرب العالمية الأولى، وازدادت رواجاً في هذه الأيام بعد الحرب العالمية الثانية. وتبين من مراجعة موضوعاتها والمقابلة بينها أن قراءها يفضلون منها موضوعين اثنين لا يعدلون بهما موضوعاً آخر، وهما: مستقبل السلاح الذرى، ومستقبل المجتمع الإنساني كما يكون بعد الفصل في النزاع القائم بين الديمقراطية والشيوعية. فهذان الموضوعان هما الشغل الشاغل لقراء القصة العلمية في الوقت الحاضر، وهما في الواقع أهم ما يشتغل به عقل إنسان في هذا الزمان.

القصة العلمية نوع من القصص يختاره العالم أو الفيلسوف ليبسط فيه فكرته على لسان أبطال الرواية أو في خلال سرد الحوادث والتجارب التي توحى بالفكرة إلى القراء، من حيث لا يلتفتون إليها، بل يحسبون أنهم يقتبعون حكاية حرب أو مغامرة أو غرام.

وقد عرفت القصة العلمية في اللغة العربية منذ ألف سنة، وظهرت فيها ثلاث قصص كتبها ثلاثة من الفلاسفة بعنوان واحد، وهو «حى بن يقظان»، لابن سينا وابن الطفيل والسهروردى. ودارت كلها على تخيل نشأة الإنسان ودوافع حياته، كأبدت لأولئك الفلاسفة، ويعزى إلى إحدى هذه القصص - وهي قصة ابن الطفيل - أنها ألهمت رواد القصة الأوروبية كتابة الروايات المطولة قبل ثلاثة قرون.

والقصة العلمية ذات مزية وذات عيب، ومزيتها هي عيها في وقت واحد. فإذا انتقدتها من وجهة الفن القصصى، قيل لك إن المهم فيها هو بسط الفكرة العلمية، فلا بأس فيها بإهمال الأصول الفنية بعض الإهمال، وإذا انتقدتها من وجهة الحقيقة العلمية، قيل لك إن الفارئ يعلم وهو يقتبع حوادثها أنها من قبيل الأحلام العلمية التي لم تتحقق بعد في عالم الواقع، فلا بأس فيها

نظرية الاختراع المطلوب التي يهتدى بها في بحثه فيلخصها في فرضين مقبولين في رأيه (أولهما) أن خلايا الدم الحمراء لها موجة تختلف في الطول بين حيوان وحيوان ، وبين طائفة وطائفة من النوع الواحد (وثانيهما) أن الجنس الأصفر من النوع البشري له موجة تختلف موجة الخلايا في الجنس الأبيض ، وأن الشعاع الذي يتسلط على مدينة واسعة قد يخل بترتيب الموجات في فريق من سكانها وبدع الفريق الآخر سلباً لا يمسه أذى ، على حسب اختلاف الدم في الأقوام والأجناس .

ويقول مؤلف الرواية إن القوى التي يتكلم عنها العلماء كأنها قوى متفرقة هي في الحقيقة قوة واحدة ذات درجات متعددة في الإشعاع وسرعة الأمواج ، فليست هناك قوة كهربية وقوة مغناطيسية وقوة جذب أو جاذبية ، بل هي جميعاً قوة واحدة ذات إشعاع متعدد ، فإذا تحكّم المخترع في الإشعاع المغناطيسي مثلاً أمكنه أن يتخلل الموجات الإشعاعية الأخرى بما يفسد حركتها فتضطرب وتعرض للشلل الدائم أو الموت ، ومتى ثبت أن موجة الخلايا الحية تختلف في الطول بين نوع ونوع من الحيوان ، فليس من الصعب على من يحكم الإشعاع أن يفتي جيشاً كبيراً وهو متغلغل بين السكان الذين يخالفونه في تركيب الدم تبعاً لاختلاف الأجناس والأقوام .

وإذا استطاع المخترع أن يتحكم في الإشعاع ، ففي استطاعته أن يحول العناصر بعضها إلى بعض بغير جهد كبير ، وما عليه إلا أن يفك ذراتها ويعيد تركيبها على حسب الطلب ، فيكون عنده

وعلى سبيل التمثيل للقصة العلمية ولتفكير الدارسين وجمهرة القراء في هذين الموضوعين نلخص في كل منهما قصة نموذجية تدل على نوعها ، ونختار لموضوع السلاح الذري في المستقبل قصة « بعد غد » لمؤلفها « روبرت هينلين » ولموضوع النظام الاجتماعي المقبل قصة (١٩٨٤) لمؤلفها « جورج أرويل » ، ونعتقد أنهما ملان صالحان للحكم على هذا النوع من القصة في الآداب الأوروبية والأمريكية التي يقبل عليها أوساط القراء .

(١) بعد غد

أما قصة بعد غد فلها اسم آخر هو « الطابور السادس » ، قياساً على الطابور الخامس الذي اشتهر في الحرب العالمية الأخيرة ، ومهمته التخذيّل ونزع الثقة ، وهدم القواعد التي تقوم عليها غلبة المتصر أو تقوم عليها دعواه في السيادة .

ويتخيل مؤلف القصة أن أم الجامعة الآسيوية أغارت على أمريكا الشمالية واحتلت عواصمها ، وقهرت جيوشها بسلحين جديدين : أحدهما يستخرج الطاقة الذرية من عنصر رخيص متوفر ، والآخر يتحكم في أشعة الشمس ويسلطها للإحراق والإنلاف ، وأن القادة الغالبين عملوا على محو الثقافة القومية في أمريكا الشمالية ، ولم يتركوا لأبنائها حريتهم في غير ميدان واحد : هو ميدان الدين والعقيدة .

ويصل الخبر إلى لجنة من لجان البحث والاختراع التي ظلت مخفية عن الأعداء وقوامها كلها ستة من العلماء والجنود ، فيخطر لها أن تبتدع سلاحاً يصيب الغالبين في المدن الأمريكية ولا يصيب أبناء البلاد المغلوبين ، ويضع بعضهم

(٢) ١٩٤٨

أما مستقبل « المجتمع الإنساني » فظاهر من الرقم عنوان الرواية (١٩٨٤) أن المؤلف يتوقع التغيير المزعوم في جيل واحد، وبحسب أن المعاصرين الذين سيعيشون إلى سنة ١٩٨٤ م سيشهدون ذلك التغيير .

وليس المستقبل في رأى المؤلف لحكم الدهماء ولا لحكم القادة العسكريين أو الزعماء السياسيين ، ولكن للنظام الصارم الذى يشبه نظام أحزاب الطريق المزمعين المتحرجين الذين يعرفون أسرار عملهم ، ويطلعون عليها أتباعهم شيئاً فشيئاً بالمقدار الذى يرضونه وفى الوقت الذى يرسمونه .

ومن خالفهم من أولئك الأتباع أو انصرف عن طريقهم بمنة أو يسرة ، أزاحوه عن الطريق ولما يعلم به أحد أو يظهر لخالفته أثر بين دهما الرعية .

سيعيش الدهماء يومئذ فى جهل مطبق بأسرار السياسة ومشكلات المجتمع ، وسيأتى إقناعهم دهاة مختصون بغنون الدعوة على أساليب السلم والدراسات النفسية ، وتصدر إليهم الصيحات التى يرددونها ويتداولونها من وزارة تسمى وزارة الحقائق ، تلقى من قبل أن القوة هى أن تعمل وأنت مغمض العينين ، وأن الحرب هى سبيل

السلام ، وأن الحرية باب الفوضى والعبودية ، وأن المجتمع له « أخ أكبر » يرعاه ولا يسأل عما يفعل ، وله عدو أكبر يستحق منه البغضاء

وهو لا يدرك فيما يبعثه وفيما يثور عليه ، فإذا بهذه التلقينات تفسر بين الرعية كأنها العلم الذى يوحى إليه من حيث لا يعلم ، وإذا بقوة الإعجاب والنعمة تستخدم فى ذلك المجتمع ، كما

المقدار الذى يريده من الذهب أو الجواهر الكريمة ، ولا فرق بينها وبين المعادن الطبيعية التى توجد فى مناجها .

كذلك يستطيع هذا المخترع أن يستخدم الإذاعة على الموجة التى يختارها دون أن يقاطعه أحد ، فيرسل الأخبار إلى كل مكان وتلفاتها فى كل مكان ، ويقف وحده بين ألوف الخلق فيسمع ما لا يسمعون ويتحدث بما لا يفقهون ، وهم يحسبون أنه يستمع إلى الوحي أو بأمر اللجنة والعفاريات فتفعل ما يريد ، ويتهاوى التثوم من حوله قتلى وصرعى وهو واقف بينهم لم يمسسه سوء .

وانتهى المؤلف إلى نتيجة هذه النظريات وهى تلخص فيما يلى :

(أولاً) أن اللجنة تمكنت من كشف الطيف المناطيسى والطياف الجذبي ، وعرفت أطوال الموجات التى تتشبع منها فاستخدمتها فى صنع الغذائى التى تحل بتركيب الدم فى الاجناس الأخرى .

(ثانياً) أنها استخدمت هذه القوة فى صنع الذهب بالقناطر المنقطرة واستعانت به على رشوة الرؤساء والقادة من أعدائها .

(ثالثاً) أنها اعتمدت على الهياكل الدينية لنشر الدعوة وتبادل الأخبار والأوامر بأجهزة الإذاعة على الموجات المجهولة .

ثم نهياً لها تركيب الأسلحة وتنظيم المراكز التى تسلطها عليها ، فأطلقت موجاتها المهلكة وأفسدت دم الغالبين بعد أن أفسدت ضمائرهم حينما احتاجت إلى التكتم والإغضاء .

أما أسلوب المجتمع المقبل في معاملة المتمردين فهو برى من حاقة السابقين واللاحقين ؛ لأن المتمرّد لا يعاقب وهو مصر على عنايه ، ولا يعاقب وهو خائف مستغفر بآدى المذلة والاسكسار ، ولسكنه يعالج بأفانين من الإقناع النفساني والمؤثرات الآلية والعقارية حتى يعود وهو كافر بما كان يؤمن به ، ومؤمن بما كان يكفر به عن يقين وروية ، وبوشك أن ينسى أنه خالف المجتمع في عادة أو خرج عليه في وصية ، فيستوى بعد ذلك أن يحل به العقاب أو ينفذ نبد المهانة والاستخفاف .

ومن براعة المؤلف أنه يتدرج بوصف الاطوار الاجتماعية حتى يبدو في النهاية أن نبوءته هي النتيجة المحتومة التي لا محيد عنها ، ولسكنه مع هذه البراعة لا يقيم تلك الاطوار على أساس مكين يحتمل ما عليه من الطباق المتوالية ، إذا روجعت بعد حين مراجعة المنطق والتفكير السليم ، ولعله مستند إلى غرائب الاطوار بين الجماعات وانطلاقها في معظم الأحيان من قيود التقدير والترتيب .

• • •

هذان نموذجان للقصة العالمية التي تنبئ عن مستقبل الاسلحة والحروب أو مستقبل النظم الاجتماعية . إن صحت نبوءاتها فقد صح ما هو أغرب منها ، وإن كذبتها الأيام فما ضاع على العارى وقت ينفق في تقليب وجوه النظر وفتح أبواب الترجيح والاحتمال ؟

عباس محمود العقاد

تستخدم قوة الكهرباء بحساب معلوم وعدد مرقوم ، فإذا لزمت الحاسة سلطت على الجماهير أسبابها فهي شعلة من نار ، وإذا لزمت السكينة شاعت بين الجماهير دواعيها فهي مطمئنة البال سريعة القرار .

وتقوم بمهمة الحكم هيئة من الرجال وهيئة من النساء وهيئة من الشرطة تخضع لأوامر الهيئتين بغير مراجعة . وشرط العضو الذي يختار لهيئة الحكم أن يتجرد من العاطفة ويسيطر على نزوات الطبع الحيواني فلا تفلت من زمام إرادته نزوة جائعة ، ومن أحسن منه الرقباء المهيمنون على الشريعة جنوحا إلى الضعف العاطفي أبعده بغير هوادة ولم يدعوا له فرصة لاتباع هواه وبث عدواه فيمن عداه .

وفي الرواية حوار طريف في مواقف كثيرة ، لعل أظرفه ذلك الحوار بين الرقيب وبين عضو منحرف يحكمهم عليه بالفناء ، وفيه يقول الرقيب ما لحواه : إن الأقدمين كانوا يعاقبون المتمردين فيجعلونهم شهداء ويتركون أفسكارهم تحيا بعدهم فتحدث من الخطر ما لم يحدث أصحابها الأحياء ، وإن أتباع كارل ماركس ففانوا لذلك فاحتالوا على هذا الخطر بتعريض المتمردين للزراية والاحتقار وتقديم المتهمين إلى المحاكمة وهم معترفون على أنفسهم بأشنع الجرائم مستعملون لأفصح ضروب الهوان مجردون من عناء البطولة والإصرار على السجى والإباء ، ولسكنها حيلة قاصرة لأنها تكشف عما وراها من الإكراه والتعذيب ولا تلبث أن تحمل الناس على التساؤل والاستطلاع .

وهو لهذا يحمل التأمل فيه على تقديره ، وبحق للعرب أن يفخروا به .

وإذا قارنا النحو العربي بعلوم النحو القديمة والحديثة وجدنا أن أحدا منها لم يصادف مصادفه من درس وعناية ، فللاغريقية واللاتينية نحوهما ، ولبعض اللغات الشرقية القديمة نحو معروف كالسريانية والعبرية ، غير أنه لم يصل نحو من هذه إلى ما وصل إليه النحو العربي من عمق البحث وسعة الدراسة وتشعب الآراء ، أما اللغات الحديثة فقد اختزلت - في الغالب - نحوها واختصرته في أضيق الحدود الممكنة .

ولم يكن غريباً أن يعنى المسلمون بالنحو هذه العناية ، فهو أداة من أدوات فهم الكتاب والسنة ، ووسيلة ضرورية لمن شاء أن يعالج العلوم الدينية ، وخاصة من الموالى والأعاجم الذين ليست العربية فطرتهم ولا تفصحى سايقتهم . وقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن من أراد الشريعة فلا بد له من معرفة علوم اللسان العربي ، وهي أربعة : لغة ونحو وبيان وأدب ، وأهمها النحو لأنه يبين أصول المقاصد بالدلالات ، ولولاه لجهل أصل الإفادة واختل التفاهم جملة .

بيد أنه لا يزال في النحو العربي جوانب غامضة ، أخصها ما اتصل بنشأته والعوامل التي أثرت في تكوينه . وعندى أن هذه العوامل كثيرة ومتنوعة ، بين داخلية وخارجية ، وعربية وأجنبية ، وسأقصر كلمتي هذه على منطق أرسطو وأثره في النحو العربي .

ولاشك في أن المنطق الأرسطي قد صادف في القرون الوسطى المسيحية والإسلامية نجاحاً لم يصادفه أى جزء آخر من فلسفة المعلم الأول .

منطق أرسطو والنحو العربي

للدكتور إبراهيم بيومي مسكوك
عضو مجمع فؤاد زاروق اللغة العربية

لم يصادف نحو من العناية ما صادفه النحو العربي . نشأ في الثلث الأخير من القرن الأول للهجرة ، وبقي ينمو ويتكون خلال التسعة قرون التالية ، فبحث عن الرواة ورجال البادية لتؤخذ عنهم الأساليب الصحيحة والتغيرات المستقيمة ، ويُسْتَشْهِد بنقلهم وروايتهم ، وتوالت المدارس بعضها على أثر بعض ، بين بصرية وكوفية ، أو بغدادية وأندلسية ، تتلاقى أحياناً وتتعارض أخرى ، أو تتوسط فتسلك مسلك الجمع والتوفيق ، ووضعت الرسائل الصغيرة في بعض الموضوعات الفرعية ، كالمقصود والممدود والمذكر والمؤنث ، أو الكتب الجامعة ، ثراً أو نظماً ، كالكتاب لسيبويه والمفصل للزمخشري والكافية لابن الحاجب والافية لابن مالك والمفنى لابن هشام ، وخلط النحو باللغة والأدب ، ثم فصل عنهما ليصطبغ بصبغة معينة ويعتمد على مصطلحاته الخاصة ، وشرحت النصوص والشواهد ، وجمعت الشواذ والغرائب ، وأحصيت أوجه الخلاف بين نحوى ونحوى ، أو بين مدرسة وأخرى ، وترجم للنحاة ، ورتبوا طبقة بعد طبقة ، وقد تشعبت الدراسات النحوية بحيث استوعبت معظم نشاط المثقفين في القرون الستة الأخيرة ، وفي اختصار يمكننا أن نقول مع دى بوره ، إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي ، لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق ،

يرى لازماً عليه أن يقدم له بمقدمة منطقية خالصة
يعتبرها ضرورية ومتممة لعلم أصول الفقه .

ولم يقف الأمر - فيما نعتقد - عند الفقه
والكلام والفلسفة ، بل امتد إلى دراسات أخرى
من بينها النحو . وقد أثر فيه المنطق الأرسطي
من جانبين : أحدهما موضوعي ، والآخر منهجي .
فتأثر النحو العربي عن قرب أو عن بعد بما ورد
على لسان أرسطو في كتبه المنطقية من قواعد
نحوية ، وأريد بالقياس النحوي أن يحدد ويوضح
على نحو ما حدد القياس المنطقي .

وقد يقال : ما للنحو والمنطق واللغة في أساسها
اصطلاح كثيراً ما يعصى على قوانين العقل
والمنطق ؟ ولكن لا نزاع في أن منطق أرسطو
قد اشتمل على مبادئ نحوية ، ففي المقولات
وهي الجزء الأول من كتبه المنطقية يعرض
للألفاظ ، ثم يتناول في الجزء الثاني - كتاب
العبارة - الجمل ويفصل القول فيها ، وهذه أمور
في ظاهرها نحوية . ولم تخل كتبه المنطقية الأخرى
من قواعد الاجرومية اليونانية .

ونود أن نلقى نظرة عاجلة على بعض هذه
القواعد لتبين ما يمكن أن يلحظ من شبه بينها
وبين أول ما عرف من قواعد النحو العربي ،
ورائداً في هذا ، الأرجانون من جانب وكتاب
سيبويه من جانب آخر . ففي مقدمة كتاب العبارة ،
يقسم أرسطو الكلمة إلى اسم وفعل ، معرّفاً الأول
بأنه ما دل على معنى وليس الزمن جزءاً منه ،
ومعرّفاً الثاني بأنه ما دل على معنى وعلى زمن .

فعرف أرسطو المنطقي قبل أن يعرف أرسطو
الميتافيزيقي ، وترجم الأرجانون قبل أن يترجم
كتاب الطبيعة أو كتاب الحيوان . وللأرجانون
في العالم العربي منزلة خاصة ، فكانت أجزاءه
الأولى أول ما ترجم من الكتب الفلسفية إلى
اللغة العربية ، ثم ألحق بها الأجزاء الأخرى
فترجمت وشرحت واختصرت . وتوالى البحث
في المنطق لدى المدارس الإسلامية المختلفة ، عند
الفلاسفة والمتكلمين ، بل وعند الفقهاء .

والغزالي في حملته على الفلسفة والفلاسفة
يضع المنطق جانباً لأنه إنما ينصب على قوانين
الاستدلال العقلي بصرف النظر عن موضوعه ،
ويذهب إلى أبعد من هذا مقررأ أن المنطق ليس
خاصاً بالفلاسفة وحدهم ، بل هو متصل أيضاً
بالمثلكمين الذين يسمونه علم الجدل ، أو علم النظر .
وقد استخدم الفقهاء كثيراً من المصطلحات
المنطقية في بحوثهم الأصولية ، فتحدثوا عن
الجلس والنوع ، والسلكى والجزئى ، والعام
والخاص ، واعتبروا القياس أصلاً من أصول
التشريع الأربعة ، ورسموا قواعده ونظموا طرقه
محاكين صليح أرسطو في قياسه المنطقي . ونعود
مرة أخرى إلى الغزالي فنجده يقول في مقدمة
كتابه معيار العلم : « إن النظر في الفقييات لا يباين
النظر في العقليات في ترتيبه وشروطه وعيانه » .
ويضيف إلى هذا أنه ما دامت المهم في عصره
متجهة نحو البحث الفقهي فإنه سيقدم في هذا
الكتاب المنطقي أمثلة فقهية كي يعم النفع .
وفي كتاب آخر له أصول - وهو المستصفي -

والمنطق؟ وما أحوجتنا إن شئنا أن نجيب على هذا السؤال إجابة واضحة أن نعرض لشيء من تاريخ الترجمة في الإسلام. والترجمة أثرها في نشأة المصطلحات العلمية والفلسفية، وأعتقد أن نشأة كثير من العلوم الإسلامية تتصل أيضا بالترجمين. ومن الثابت أن كتب أرسطو المنطقية الثلاثة الأولى (المقولات، والعبارة، وأنا لوطيقا الأولى أو التحاليل الأولى) كانت معروفة لدى السريان وقد ترجمت إلى لغتهم الأولى قبل الإسلام، ويقال أيضا إنها نقلت إلى الفارسية. والمهم أنها ترجمت إلى اللغة العربية منذ النصف الأول للقرن الثاني الهجري، ترجمها عبد الله ابن المقفع عن الفارسية أو ابنه محمد عن السريانية على خلاف في ذلك، فهي إذن ثروة جديدة نقلت إلى العالم العربي، ولا بد أنها قوبلت بما تستحق من تقدير، إن من سيبويه أو من سبقه ممن اشتغلوا بالمسائل النحوية، وقد كان النحاة يحاولون - شأن كل باحث - أن يستعينوا على ما هم بصددده بما يعرفون من لغات أو دراسات أخرى.

على أن هناك عملاً مشابهاً تم على مقربة من نخبة العرب الأول، وهو وضع النحو السرياني بـدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي. ولا شك في أن هذا النحو قد تأثر بالنحو اليوناني ومنطق أرسطو، ومن بين واضعيه والمشتغلين به مترجمون اتصلوا بالعرب ونحاتهم وعاشوا معهم. فيعقوب الزهاوي له شأنه في وضع النحو السرياني وهو معروف في الأوساط العربية، وحسين بن إسحق مترجم آخر معاصر للخليل وسيبويه، بل

ثم يشير في كتاب منطقي آخر - هو طويقا أو الجمدل - إلى قسم ثالث من أقسام الكلمة يسميه الأداة. وهنا ننقل إلى كتاب سيبويه فنجدّه يبدأ بتقسيم الكلم إلى اسم وفعل وحرف، ويعرفها الواحد تلو الآخر تعريفاً يحاكي من بعض النواحي التعريف الأرسطي. ومن الغريب أن ما يسميه سيبويه حرفاً يسميه الكوفيون الأداة، وكأنهم شاموا أن يحتفظوا بالمصطلحات المنطقية احتفاظاً تاماً.

ونذع جانباً ما ورد على لسان أرسطو من حديث عن النوع والكلم، أو عبارة أخرى عن التذكير والتأنيك والإفراد والجمع، وما عرض له من توضيح الإثبات والنفي، والطلب والاستفهام بما له بالنحو صلة وثيقة. ونكتفي بأن نشير إلى مثل آخر له شأنه، ألا وهو أساس تكوين الجمل فعلية أو اسمية، ونعني به الإسناد. وذلك أن أرسطو عرض بإسهاب لنظرية الإسناد في كتابي المقولات والعبارة، ففي الأول يحاول أن يمحصر أنواع المحمولات العامة الممكنة، وفي الثاني يوضح الصلة بين المحمول والموضوع ويعرف الجملة التعريفية النحو الصحيح. وهنا نعود إلى سيبويه، فنجدّه يتحدث في «الكتاب» عن المسند والمستند إليه، وفي مكان آخر يعقد الفصل الآتي: «المتبداً والمبنى عليه»، وكأنه يريد أن يقول الموضوع والمحمول عليه. وواضح أن الإسناد دعامة كل نحو، عربياً كان أو غير عربي.

وقد يتساءل ما لسيبويه الفارسي أصلاً العربي تربية ولنطق أرسطو ولم يعرف له ولوع بالفلسفة

الفلك والمنطق جانباً ، وجدنا أنه عرفت مؤلفات في النحو العربي قبل كتاب سيويه ، وإن كانت لم تصلنا . وقد مهدت له دون شك ، وإن كانت أقل منه مستوى ، كما مهدت له البحوث الأدبية واللغوية السابقة والمعاصرة التي اضطلع به أمثال عيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء . ولنا في حاجة أن نلاحظ أنه مزيج من الأدب والنحو واللغة ، هذا إلى أنه أشبه ما يكون بتوجيه لبعض التعبيرات والاستعمالات ، منه بتقنين القوانين ووضع المبادئ ، فهو لم يقعد قطعاً قواعد النحو على الصورة التي قعّدت بها فيما بعد . وقد مهد له تلك البحوث النحوية التي تقلها المترجمون عن نحو السريانية أو عن منطق أرسطو ، ويبدو على سيويه نفسه أنه لم يكن مغمض العينين عن أمثال تلك المؤثرات . ويكفي أن نشير إلى ذلك الفصل الذي عقده في الجزء الثاني من « الكتاب » ، وعنوانه : باب اطراد الأبدال في الفارسية .

ولقد سبق لبعض المستشرقين أن أناروا هذه النقطة ، وإن كانوا لم يقفوا عندها طويلاً ، ونذكر من بينهم « بروكلان » و « دي بور » وال « استاذ ليتان » ولا يضير النحو العربي في شيء أن تتضافر عوامل شتى على تكوينه ، أو أن يساهم منطق أرسطو في التوجيه إليه . وهناك ناحية أخرى من نواحي الصلة بين هذا المنطق والنحو العربي ، ونعني بها تلك الناحية المنهجية التي أشرنا إليها من قبل ، والتي لم توضح بعد التوضيح الكافي ؟

(للبحث بقية) إبراهيم مذكور

وصديق للتحليل ، وقد تعلم العربية في سن متقدمة وعانى منها ما عانى ، ومن اليسير أن تتصور أنه قد تبادل فيما تبادل مع التحليل بعض القواعد النحوية ، خصوصاً ويعزى إليه أنه قد ترجم بعض كتب الأجرومية اليونانية ، وأتم مع ابنه إسحق ترجمة البقية الباقية من كتب أرسطو المنطقية . وفي وسعنا أن نقرر بعد كل هذا أن المترجمين إن في تعلمهم للعربية أو فيما نقلوا من كتب أجنبية ، قد بدأوا في القرن الثاني للهجرة فأناروا جواً حول المشاكل النحوية . ولارسطو في هذا الجور نصيب ملحوظ . ولا يصح أن نفعل ما لهذا الجور من أثر على نخبة العرب الذين عاشوا فيه وتغنوا بفضائله المادى والمعنوى ، وتشبه المنطق بالنحو قديم فصناعة المنطق من العقل والمعقولات كصناعة النحو من اللسان والألفاظ ؟ وهذا ما أشار إليه صاحب السلم بقوله :

فالنحو للسان كالمنطق للجنان

ولامر ما سمي نخبة البصرة « بأهل المنطق » ، ولهذا التسمية ما لها من دلالة .

ولعل في هذا ما يفسر تلك المفاجأة التي أحدثها كتاب سيويه ، بظهوره في تلك الصورة الجامعة دون أن تصل إلينا سوابق عمدة له ، الأمر الذي دفع صاحب طبقات الامم أن يقول إنه لا يعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديماً وحديثاً ، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بدقائقه ، غير كتب ثلاثة : المجسطي في الفلك ، والأرجانون في المنطق ، وكتاب سيويه في النحو . وفي هذه الدعوى تسامح ظاهر وجهل بالتاريخ . وإذا تركنا

صفحة مَنَسِيَّة من الأدب العربي

للدكتور أبو العلا عفيفي بك
أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق

يعرف لي الأدب ويذكر قنونه من شعر ونثر ،
ويحيلني على المراجع اللوئوق بها ، التي لا تذكر
الأدب الصوفي من بين أبوابها . وإذا كان الأدب
الصوفي ليس معدوداً من بين أبواب الأدب
التقليدي ، ولا يخضع لتعريف هؤلاء الثقات ،
أهمه الأسانذة والادباء جميعاً ، وجروا عليه
أذيال النسيان ، وأصبحوا وهم لا يعرفون له
وجوداً ولا يمتدحون له بوجود ، واكتفوا بأن
يسمونه « تصوفاً » وحسب . وطالبوا المشتغلين
بالتصوف بدراسته وتدقيقه ، أما هم فيدرسونه
ويتذوقون الفنون الأدبية الأخرى !

وإذا سمحت لأسانذة الأدب العربي أوقانهم ،
أشاروا من طرف خفي إلى الأدب الصوفي في باب
الحكم والمواعظ ، أو عرجوا على شيء من الشعر
الصوفي في باب الزهد ، واتخذوا من شعر
أبي العتاهية أنموذجاً لهم ، مع أن شعر أبي العتاهية
ليس في الزهد الحق في قليل أو كثير ! أما الأدب
الصوفي الذي يجب أن يعرف ويدرس على أنه
تعبير صادق عن أحوال روحية عميقة ، ووجدانات
دينية خاصة ، وشاعر نفوس صافية ، فشيء
لا يدخل في حسابهم ولا في برامجهم .

٣ — ومن الغريب أن القصيدة إذا كانت

١ — إني لئبمكتني العجب وتستولي على
الدهشة ، كلما سألت أديباً من أديباتنا المعاصرين
عما يعرفه من الأدب في كتابات الصوفية شعراً
كان أو نثراً ، فالفيت لا يجير جواباً ، كأنه لم يسمع
بهذا اللون من الأدب ، أو يقرأ للصوفية ما يستحق
في عرفه الخاص أن يسمى أدباً . بل ربما سألتني
بعض هؤلاء الأدباء بدورهم ، وعلى شفاههم
اقتسامه من السخرية ، وهل للصوفية أدب تستطيع
التحدث عنه ؟ وما هو ذلك الأدب ؟ كأن الصوفية
في زعمهم قوم اعتزلوا العالم وما فيه وغلغلتوا على
أنفسهم الأبواب ، وأمضوا حياتهم في العبادة
والتأمل ، ورياضة النفس ، ولم يكتبوا شيئاً
أو يفكروا في شيء . بل كأنني يبعضهم ولسان
حاله يقول : وما للصوفية وهذا الفن الديني
الذي يصور مشاعر الإنسان وما يحس به من
الأساسيس إزاء هذه الحياة ، وهم طائفة حيوا
في نفوسهم في غير حياتنا ولم يشعروا بمشاعرنا !

٢ — وإني لئبمكتني العجب وتستولي على
الدهشة ، إذا سألت أستاذاً من أسانذة الأدب
في الجامعات المصرية ، عما إذا كان يفسح للأدب
الصوفي مجالاً في مناهج دراسته الجامعية ، فكان
جوابه سلباً ، بل ربما تخدلق وتشدق ، وأخذ

نشغلته عن كل ما سواها ، وجرت من نفسه
مجرى الدم في العروق حيث يقول :

وفرغت قلبي عن وجودي مخلصا

لعلّي في شغلي بها معها أخلو
جري حبا مجرى دمي في مفاصلي

فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
فنافس يذل النفس فيها أعا الهوى

فإن قيلت بها منك : يا حبذا البذل
غير أن محبوبته عزيزة المنال ، صعبة المراس

والوصال ؛ تعد ولا تفي بوعدا ، وتوعد فتجز
وعيدها ، وهو راض بكل ما يصدر عنها مهما

يكن فيه من حرمان :

إذا وعدت لم يلحق الفعل قولها

وإن أوعدت بالقول يسبقه الفعل

عديني بوصل وامطلي بنجازه

فعتدي إذا صح الهوى حسن المطل

إن كثيراً من شعر ابن الفارض يحتفظ بصفات

شعر الغزل العربي في صورته وخصائصه التقليدية

وموضوعاته وأخيلته ، وقلبا تظهر معانيه الباطنة

إلى السطح . ولكن القاري مع ذلك يحس بوجود

تلك المعاني في كل مكان من ديوانه عن طريق

ما تثيره قصائده في النفس من شعور قوى غريب ،

لا سيما إذا كان شعره من النوع الرصين الخالي

من الصناعة البلاغية المتكلفة كما في قوله :

ما بين معترك الأحداق والمهج

أنا القليل بلا إثم ولا تحرج

في الحب الإنساني ، يتغنى فيها صاحبها بجمال

محبوبته ، ويصف فيها شوقه إليها ، وحنينه إلى

مزارها ، عدوها أدباً . لأنها داخلة في باب

« الغزل » . وإذا كانت مدحاً في عظيم تفيض بكل

نوع من أنواع الرثاء والتفاق ، عدوها أدباً ، لأنها

داخلة في باب « المديح » ؛ وإذا كانت تصور الألم

والحسرة لموت عزيز وتعدد مآثره وحسناته ،

عدوها أدباً ، لأنها داخلة في باب « الرثاء » . وهكذا .

أما إذا كانت القصيدة في الحب الإلهي : يصور

فيها الصوفي حنينه إلى ربه ومعراجه الروحي إليه ،

ويصف فيها أحاسيسه في أحوال القرب والبعد ،

والأنس والوحشة ، والبسط والقبض ، وما شا كل

ذلك من الأحوال . لم يعدوها أدباً ، وإنما عدوها

تصوفاً وحسب ، لأنها لا تدخل في باب من

أبواب الأدب التي اصطلاحوا عليها . وإذا كانت

القطعة الثرية توسلاً إلى عظيم ، أو استشفاعاً عند

ذي جاه ، أو تملقاً أو استجداء أو رسالة إخوانية

أو نحوها ، عدوا ذلك أدباً ، أما إذا كانت مناجاة

بين العبد وربّه ، أو استغاثة صوفية أو دعاء ،

أو ورداً أو توسلاً إلى الله ، لم يعتبروها أدباً .

٤ — كم من علماء الأدب وأساتذته في الشرق

العربي يدرسون ديوان ابن الفارض ، وترجمان

الأشواق لابن عربي ، وديوان الشنفرى ، والمدائح

النبية للبوصيري والبرعي ؟

أي محبوبة إنسانية وصفها شاعر بمثل ما وصف

عمر بن الفارض الذات الإلهية التي آقني في حبا

ودعت قبل الهوى روحى لما نظرت

عينى من حسن ذاك المنظر البهج

عذب بما شئت غير البعد عنك تجد

أوفى محباً بما يرضيك مبهج

وخذ بقية ما أبقيت من روى

لا خير فى الحب إن أبقي على المبهج

وإن خمر أبى نواس السادية من خمر ابن الفارض

الإلهية، القديمة، التى وجدت قبل أن توجد

الأشباح ؟ تلك الخمر الطاهرة النقية التى ليس

على شاربها لثم ولا حرج، والتى شربتها الأرواح

قبل أن يخلق الكرم ؟

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

صفاء ولا ماء، ولطف ولا هوى

ونور ولا نار، وروح ولا جسم

تقدم كل الكائنات حديثها

قديماً، ولا شكل هناك ولا رسم

بل أين ذلك المحب الإنسانى الذى انطبعت

صورة محبوبه فى قلبه فأصبح يراها فى كل شيء،

ويعبدها فى كل مجلى ؛ بل اتخذ من حبها ديناً له،

ومن قلبه سحرماً يعبد فيه كل معبود يمثلها

كما يقول ابن عربى :

لقد صار قلبى قابلاً كل صورة

فرسعى لغزلان ودير لربان

وبيت لأونان وكعبة طائف

والواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت

ركائبه فالدين دىنى وإيمانى ؟

• - والنثر الصوفى ! ما أجل ما فيه من

فنون الأدب العالى ! لئن كان فى اللغة العربية نثر

تأثر بالقرآن حقاً واستلهم معانيه وأثرب

روحه، وفاضت فيه أساليبه قوة متدفقة، تحرك

المشاعر كأنها السحر، فذلك هو النثر الصوفى.

لست هنا بصدد ذكر خصائص هذا النثر وشرح

فنونه، ولكنى بصدد التلويح والإشارة إلى نوع

من النثر الفنى أهمله رجال العربية ولم يعيروه

التفاناً، على ما فيه من روعة وجمال وقوة تأثير.

سأكتفى بذكر نموذجين من هذا النثر الصوفى

أحدهما من مناجيات الحسين بن منصور الحلاج،

والآخر من حكم ابن عطاء الله السكندرى.

أما الحلاج، فلوجردنا أنفسنا من كل ما يتصل

بتأريخه ومأساته، ولم نلق بالآل بما حام حوله

من شبهة فى دينه وطعن فى عقيدته، لوجدنا فيما

أثر عنه من المناجيات كثيراً من الجمال والفتنة،

الذين تخفق لها القلوب، فما أثر عنه يوم أحضر

لصلبه ورأى الخشبة والمسامير أنه صلى ركعتين

ثم ناجى ربه بالمناجاة الآتية :

« اللهم إنك المتجلى عن كل جهة، المتخلى من كل

جهة ؛ بحق قيامك بحق، وبحق قيامى بحقك .

وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى ... أن ترزقنى

شكر هذه النعمة التى أنعمت بها علىّ، حيث

غيبت أعيارى عما كشفت لى من مطالع وجهك

على؛ وإن ظهرت المساوية مني فبعد لك، ولك
الحجة على.

إلى كيف يستدل عليك من هو في وجوده
مفتقر إليك؟ أليكون أخيرك من الظهور ما ليس
لك حتى يكون هو المظهر لك؟

انظر إلى هذه المثاني المتقابلة : كيف يأخذ
بعضها بحجز بعض في نسق موسيقى متصل . كيف
يرتبط أول كل جملة بآخرها ارتباط المقدمة
بالنتيجة ، وهو ترابط عليه مسحة من الاستدلال
المنطقي ، ولكن قوته وسيطرته على النفوس
لا يأتيان من هذا الجانب ، بل من الشعور
بالإيمان العميق المتدفق من قلب ابن عطاء الله .
٦ — وبعد فلم أقصد بهذا الحديث إلا أن
ألفت الانظار إلى تلك الصفحات المنسية من
الأدب العربي ، المبعثرة هنا وهناك في بطون
كتب التصوف ، عسى أن يقبض الله لها من أبناء
الشرق العربي من يعنى بدراستها ويحلبها الحبل
اللائق بها في تاريخ أدب اللغة ، وتاريخ حضارتنا
الإسلامية .

أبو العلاء عفيفي

المصلح في الأمة كالمصباح في الصحراء ،
لا ينشر ضوءه إلا إذا تركته الرياح آمناً .

وحرمت على غيري ما أبحث لي من النظر في
مكنونات سرى . وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا
لقتلي تعصباً لدينك ، وتقرباً إليك . فاغفر لهم ،
فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ، لما فعلوا
ما فعلوا ، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما
ابتليت بما ابتليت . فلك الحمد فيما فعلت ولك
الحمد فيما تريد .

فالحلاج في ساعة محنته لم يستدر عطف أولئك
الذين اجتمعوا لقتله ولم يتوسل إليهم ؛ وإنما
أشفق عليهم واتس لهم المعاذير لأنهم فعلوا
ما فعلوا تعصباً لدين الله ؛ وتوجه بكل قلبه إلى
الذي أنعم عليه النعمة الكبرى فكشف له عن
مكنونات أسرارته وأشهره مطالع وجهه الكريم .
فهو سعيد مغتبط مستهين بالأم البدن لاستغراقه
في لذة الاتصال بالله .

وأما ابن عطاء الله السكندري فكتابه المعروف
« بالحكم » كنز من النثر الفني لا ينضب له معين ؛
ولعل أصدق وصف وصف به أسلوبه الصوفي
هو الخلاوة والجلالة وسحر البيان . استمع إليه
وهو يقول في إحدى استغاثاته المشهورة :

إلى أنا الفقير في غنى ، فكيف لا أكون
فقيراً في فقرى ؟

إلى أنا الجاهل في علمي ، فكيف لا أكون
جهولاً في جهلي ؟

إلى إن ظهرت المحاسن مني فبضلك ، ولك المنة

الفتلدة المباركة

للأستاذ محمّد فريد أبو حديد بك

في مكة ولم يمض عليهم في يثرب إلا عام واحد ، فكيف لو امتد بهم الأمر عاماً بعد عام ١٩

ومضى الصيف مرة أخرى منذ خرج محمد وأصحابه وكان الحر متقدماً لا يريد أن يهدأ وكان السماء تعمدت أن تزيد قريشاً من الضيق والحقن ، فكانت تشرق على البطحاء محرقة لا تعترضها غمامة تلطّف من حرها ، وكان الهواء يركد حتى يصير الفضاء كأنه قد فرغ وخوى ، لولا دفعات لائحة كانت تنور بين حين وحين ، فتعقد في الجو سحاب غبراء خانقة ، تلف الصدور منها أنفاسها وتكاد تشرق بها . وكانت العيون تحشع للأشعة المتوهجة وتعشى منها ، والشفاة تجف وتنشق والنفوس تضيق وتفور غيظاً . وكان الناس مع ذلك لا يطيقون أن يحتجوا في يومهم ليحتموا بظلمها إذ كان ظلها أشد وطأة عليهم من وهج الفضاء وركود الهواء وسحب الغبار ، كانوا لا يطيقون الاستقرار وكل يوم يطلع عليهم نبأ جديد تفوص منه القلوب في أجوافها وهي تشتعل بالحقد .

فكانوا يخرجون إلى الرحبة الفسيحة التي حول السكبة ، أو يجتمعون في دار الندوة يقلبون وجوه الرأي ، لعلمهم يتدون إلى حيلة في دفع ذلك الخطر الرهيب ، الذي يحتم لهم عند الأفق ، يهدد حياتهم ويؤذن بمجدهم بالزوال .

ولم يعد إلى نفوسهم شيء من السلام ، بعد أن خفت وقدة الحر في الخريف ، ولا بعد أن أقبل الشتاء وترفقت بهم الشمس ، ولأن لهم جو السماء فتد بقى القلب مرزناً على حياتهم لا يفارقها . وخرجت القافلة الكبرى التي اعتادوا أن يبعثوا

بقيت مكة واجمة حيرى ، منذ خرج منها محمد ابن عبدالله وأعجز مطاردية حتى دخل يثرب وحل فيها عزيزاً بعداً عن سلطان قريش . ومضى عام طويل لم يزد أهل مكة إلا وجوماً وحيرة ، بل لقد زادهم قلقاً وخوفاً . فقد تجرأ عليهم أولئك الضعفاء ، الذين هاجروا من مدينتهم يتسللون ، هرباً من التعذيب والتشكيل ورفعوا رؤوسهم يتحدونهم على ملا من القبائل ، واستجمعوا نفوسهم وصاروا يخرجون بين حين وحين إلى سبل القوافل في شرق يثرب وفي غربها يترصدون لتجارهم في ذهابها إلى الشام أو عودتها منها . بل لقد تجرأ هؤلاء المستضعفون على أن يسيروا إلى قريب من الطائف ويضعوا أيديهم عنوة على غير ضخمة عادوا بها غنيمة إلى مدينتهم ليقسموها بين أنفسهم . وما كان أهل مكة يحسبون أن الأمور تقول بهم يوماً إلى مثل تلك الحيرة ولا ذلك القلق ، بل كانوا يحسبون أن محمداً وأصحابه لن يلبثوا أن يضيقوا بحياتهم الجديدة ويسألونهم العفو ، ويرضون بما يفرض عليهم من الخضوع لئلا السباح لهم بالعودة . ولكنهم رأوا بأعينهم كيف يتحمل هؤلاء كل مشقة في سبيل عقيدتهم الجديدة ، وكيف يقاومون الفتنة مهما أوقع بهم العقاب ، فلا يزدادون مع الشدائد إلا ثباتاً ومقاومة . وهام هؤلاء قد أصبحوا خطراً داهماً يهدد ينبوع الحياة

كيف لم يعث لإلهم أبو سفيان رسولاً يحمل
لإلهم أنباء المعير ليهدي عنهم المخاوف التي لا تدع
لهم قراراً ؟ وكان أشد القوم حقاً أبو جهل
عمرو بن هشام .

فقال في إحدى دفعاته الثائرة : أهكذا يستطيع
رجل واحد أن يقهرنا جميعاً وأن يذلنا جميعاً
وأن يشعرنا هذا المعجز الذي نحسه في قلوبنا ؟
أهكذا يجعلنا محمد نجلس كل يوم تقابل الأحاديث
الحاتقة كما يجلس النساء ، لا نملك إلا أن نتساءل
وتتجادل ؟ أهذا كله ولم يمض على خروجه من
مكة خائفاً يترقب إلا عام ونصف عام ؟

وكان القوم مطرفين في صمت وقلوبهم تتخلج
بما فيها من شيون . وعاد أبو جهل فقال وهو
أشد ثورة :

— مالي أواكم لا تجيبون كأن وجوه الرأي
قد أغلقت دوتنا ؟ مالي أراك يا أبا الوليد
لا تحرك ساكناً ؟

رفع الناس رؤوسهم ينظرون إلى عتبة بن
ربيعة لا يدرون بم يحجب ، وقد عرفوا ما بين
الرجلين من مودة ، ونظر عتبة إلى أبي جهل
في تحد وهو صامت . ومضى أبو جهل قائلاً :

أرضيت يا أبا الوليد أن يضيع هكذا مجدنا
وأن تهون هكذا عزتنا ؟ مالي أراك تسكت
الأرض بهذا القضيبي في يدك ، كأنك لا تبالي

شيئاً من هذه السكوارث التي تهددنا . فإذا كنت
لا تبالي ضياع العز ، ولا تقضب لما يلحقنا من
المهوان ، أفلا تحرص على أموالك التي خاطرت بها
في غير أبي سفيان ؟ وإذا كنت لا تحرص على

بهاكل عام إلى الشام فأودعوها كل ثروتهم . حتى
لم يكذب ببق أحد من قريش بغير أن يضارب فيها
بهم ، كأنهم أرادوا أن يكابروا خوفهم ،
ويجادعوا أنفسهم ، عن الخطر الذي يحسونه
في أعماق صدورهم . وقفوا أسبوعين طويلين
يترقبون عودة الرسل الذين ساروا مع المعير
ليحملوا إليهم بشرى سلامتها إذا مرت يثرب
بغير أن يتعرض لها محمد ولما عاد الرسل لإلهم
لم تزدحم بشرى السلام إلا توجساً من المستقبل ،
إذ عرفوا أن أبا سفيان قائد المعير لم يستطع
النجاة إلا بأن تسلسل مع الجهد والحذر ، وكان
يضرب في أكباد الإبل ليلاً ونهاراً ليسرع بها
قبل أن يدركه محمد . فكانوا إذا جلسوا في دار
الندوة تناجوا فيما بينهم يتساءلون : هل يستطيع
أبو سفيان أن ينجو في عودته من الشام ، وأن
يتسلسل بالمعير مرة أخرى كما تسلسل في ذهابه ؟

وكان الحديث يتبادى بهم حتى يلهي إلى أن
تمتلئ قلوبهم غيظاً ، فإن مكة لن تستطيع أن تقضي
حياتها على مثل ذلك الفرع المتصل . فإذا سأل
أحدهم : كيف السبيل إلى تجنب ذلك الخطر أو إزالته
ذلك الخوف ؟ لم يجدوا جواباً سوى أن يعجبوا
كيف استطاع هؤلاء المستضعفون أن يرفعوا
رؤوسهم هكذا ، وأن يردوا عليهم الكيد بمثل
هذه الجرأة العجيبة !

واجتمع سادة قريش في دار الندوة بعد أربعة
أشهر من خروج المعير إلى الشام ، يتفسمون
الأخبار عن عودة قافلتهن الكبرى ، التي اعتادت
أن ترجع في مثل ذلك الوقت . ويتساءلون في ضجر :

— مهلا يا أبا الوليد فإني أفضى لك الغضب
ومهلا يا أبا الحكم فلا تمض في هذا القول .

فقال أبو جهل متجهاً إلى أمية ثم إلى عتبة :
— لم أقصد كل هذا يا أبا علي ، ولا تؤاخذني
يا أبا الوليد فإني أردت أن أغضبك . ولكني
علمت مالك من سداد في الرأي وشهامة في النفس ،
فأحببت أن أستطلع رأيك فتشير علينا بما يكشف
هذه الغمة .

فقال عتبة وما يزال غاضباً :

— تريد أن تجحد عندي رأياً أشير به ؟ فاسمع
يا أبا الحكم ما أقول إذا شئت أن تعرف رأيي :
دع ذلك الرجل حيث هو ولا تعرضنا إلى عداوة
صريحة . دعه هناك وجتنب قومك عداوة أهل
يثرب . وأما تجارتنا إلى الشام فني يدنا أمرها .
فلتبعث مع كل عير جيشاً منا يحرسها حتى تبلغ
مأمناً ثم لتبعث لها جيشاً منا يستقبلها ولتبعد
في سيرنا إلى الساحل حتى تباعد ما بيننا وبين
الأوس والخزرج . دعه حتى يبادتنا بالعداء
والحرب فلن نعدم عند ذلك أن نجد من العرب
أنصاراً يفضون لنا .

فقال أبو جهل في سخريه :

— أهذا رأيك يا أبا الوليد ؟ أترى أن نتركه
حتى يستفحل أمره وتنتشر رهبته ؟ إذا كان هذا
رأيك فلنقبض في ديارنا حتى يغزونا في عقرب دارنا .
أيها القوم دعوا محمداً يبعث على رأس كل شهر
سرية تنزع منا أموالنا وتقتل رجالنا . دعوه
حتى يجمع الناس عليكم ويقبل على حرمكم هذا
ليحطم أهلكم .

أموالك في المير لوفرة غناك أفلا تهتم لضياح
أموال أهلك من الفقراء ؟

وقال عتبة في صوت خافت يجمع غضبه :
— أراك تفضي بالحديث يا أبا الحكم .

فقال أبو جهل متبادياً :

— أخضك بالحديث لأنني أعرف أنك
لا توافقني . فقد طالما نصحت لقومي بالشدة
فأيت إلا أن تلين ، ونصحت لهم بالحرب فأيت
إلا السلام ونصحت لهم بالحزم فأيت إلا المروءة .
فقال عتبة في دفعة :

— ليس هذا أول عهدي بهذا الحديث يا أبا
الحكم . وحق هذه الكعبة ما أراك تنتهي بنا
إلا إلى الكوارث التي نريد أن نتجنبها . ولقد
صبرت عليك حتى تفد صبري ، وسكت حتى
صرت تعني على صمتي ، ولست أدري ماذا يرضيك
منى حتى أبادر إليه مطيعاً ، أما يرضيك أنني
في كل موقف أنزل عن رأيي وألوذ بالصمت
حتى أرى ما بينك وبين الناس ؟ ألا يرضيك
أنني أجمع بما في نفسي كلما أردت شيئاً حتى
لا أوقع الفرقة في قومي ؟ ألا يرضيك أن أسكت
حتى أرى ما يستقر عليه ملا قريش ثم أمضي
وراءه ؟ قل لي ماذا يرضيك منى بعد هذا حتى
أخضع لك وأطيعك ، وإن كان ذلك على رغي .
أم تريدني أن أقف وراءك كلما قلت رأياً صحت بأعلى
صوتي : هذا هو الرأي أيها الناس فأطيعوه ، لكي
أتحمل وزر خطئك وأعينك على زيادة البلاء والوباء .
فوقف من الجمع رجل ضخم الجثة عظيم الهامة
عميق الصوت وهو أمية بن خلف وقال :

عنا عندما خرجنا وراءه نفتنى أثره على طريق يثرب .

فقال أبو جهل :

لست أنكر ما تقول يا أبا علي وما أردت لوماً ولا تعنيفاً ولا سخرية ، فوحق هذه الكعبة ماقلت حرفاً إلا وأنا مشفق على عزة قومنا .

فقال عتبة متمالكا نفسه :

— إذن فقل يا أبا الحكم ما شئت فيما نحن فيه ، فلعلنا نجد عندك مايزيل عنا الغمة التي ذكرتها .

فقال أبو جهل :

— أنصفت يا أبا الوليد ولن أنعرض لك بما تكره ، ولندع محمداً وأصحابه في يثرب ولننظر إلى أنفسنا ، فلا أقل من أن نجتمع رأينا على أمر واحد فلا نفرق شيعاً ، وليس يجدينا أن كل عشيرة منا تبرز شوكتها كلها حسبت أن شيئاً يمس فرداً منها ، فإلنا ندع البعض منا يوالون محمداً ويتربصون بنا الدوائر هنا ؟

فصاح أمية بن خلف :

— بيئ لنا معنى قولك ، وكن أكثر إفصاحاً . وقال عتبة :

ألسنا نمسك بهؤلاء ونعاقبهم ونحبسهم ونحرمهم من كل خير حتى يعودوا إلى ما نرضى ؟

فقال أبو جهل :

— بل هذا لا يقنى عنا شيئاً . فالذين نحبسهم ونعاقبهم أقل خطراً من نخشاهم ونحاسنهم . فالأولون يعلنون ما عندهم ويكشفون عما في أنفسهم . وأما الآخرون فلا يظهرون إلا ما نرضى وهم في قرارة أنفسهم كارهون لنا . يوالون محمداً

ولم لا تقول يا أبا الوليد أن نرسل إليه وفداً منا يعرض عليه إسلامنا ؟ بل لم لا تقول إتنا ضللتنا سبيل الحكمة إذ لم نخضع له وهو مقيم بين ظهرائنا ؟ أهذا ما تريد أن تقول ؟

وتحرك الجلوس في مواضعهم وعلت منهم همهمة غامضة وجعلوا يقلبون أبصارهم بين الرجلين المتحاورين وانفجر عتبة بن ربيعة قائلاً :

— مالي أراك تجهي بما أكره ، وتقول على ما لم أقل ، وتسلفني بحذ لسانك الساخر ؟ قل ما شئت أبها الرجل فلن تسمع مني بعد هذا لفظاً . هلم فاذهب إذا شئت إلى يثرب وادع من أطاعك من قريش وأشعلها حرباً تنفى الناس ما مضى من أيام القتال . اذهب إليه وأضرهم نيران حرب ضروس تحدث عنها الأجيال من بعدنا كما تحدث نحن اليوم عن تفاني عبس وذبيان وحروب بكر وتغلب وأيام داحس والغبراء .

وهم واثبا ينفض ثوبه يريد أن يعود إلى بيته ووثب الناس يتمسكون به من كل جانب . وبقى أبو جهل ساكناً لا يكاد يتبين شيئاً من الأصوات المختلطة التي تعالت بين جدران المنتدى واستطاع أمية بن خلف أن يعيد عتبة إلى مجلسه واتجه إلى أبي جهل قائلاً :

— ما أراك تتصف صاحبك يا أبا الحكم . فقد علمت أنه كان من أشدنا وفاء لآلهتنا ، وأنه كان لا يألو جهداً في ردع سفهائنا ، وعقاب ضعفائنا ، ولم يخرج على إرادتنا عندما اعتزلنا بني هاشم ثلاث سنين في شعب أبي طالب ، ولا عندما تراضينا على الفتك بمحمد ، ثم لم يتخلف

تفضلنا حسبا ولا نسا . من ذا سلكك علينا
وأباح لك الأمر والنهى فينا والتعرض لحرماننا
وأعراضنا . أكان محمد يقول لصاحب له طلق
زوجتك لو كانت مخزومية أو كانت ابنة أبي جهل؟
فأبالك تتعدى حدك وتستحل ما لا يباح لك
أولغيرك؟ ألا فاعلم أيها الرجل أن زينب لو كانت
زوجة رجل غيبي ثم أراد أن يؤذيها لوقفت له
بسبب دونها لأنها بعض دمي ، ثم هي بعد ذلك
صاحبي وأم ولدي . وقطع لسان من ينطق يوما
بكلمة تخدش سمعها لو بلغها ، ألا فاعلم يا عمرو
ابن هشام أنني قد أعددت لك جوابا شافيا حاسما
إذا حدثتك نفسك يوما أن تعيد على ما قلت
في شأن أهلي .

ثم مد يمينه إلى قائم سيفه واستدار فضى مسرعا
لا يجيب الأصوات التي تعالت من ورائه تناديه
أن يبق .

وما كاد أبو العاص ينصرف حتى شغل
الناس عنه وعما كان بينه وبين أبي جهل ، فبينما هم
في وبرة من أثر ذلك الخصام المحتدم علا صوت
صرخ من جانب الوادي كأنه شيطان يعوى ،
وأسرع أبو جهل قائما يصيح بصيحات جشاه
غير مينة ، وانفض الجمع مضطربا يتبادرون على
غير هدى نحو الصوت الذي ما زال يذمخ من
بطن الوادي . وبدأ من بعيد شخص واقف على
بعيره وقد حول رحله وشق ثيابه من أمام ومن
خلف وكان البعير مقطوع الأذنين يجذوع الأنف
والرجل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر قریش
أدركوا غيركم ! الفوث الفوث ! ،

ويصهرون إليه ويفضون بأسرارنا إلى نساتهم
إذا انصرفوا عنا .

فصاح صوت عميق من أقصى الجمع :
— بين لنا معنى قولك ، كما قال أبو علي ، كن
أكثر إفصاحاً .

وكان المتكلم رجلا عريض الصدر ، كبير الهامة
وقام يعدل رداءه فوق كتفيه فكان رجلا طوالا
كأنه يتحفز للزال .

فقال أبو جهل في صوت ساخر : أنصفت
يا أبا علي إذ تسألني أن أكون أكثر إفصاحاً .
هو ذاك يا أبا علي . هو ذاك يا أبا العاص بن
الربيع . أنت هنا مثلاً تقيم بيتنا وتفشي مجالسنا
وتجهر بما تشاء من الرأي في شئوتنا ثم تذهب
إلى بيتك فتفضي بأسرارنا إلى زينب بنت محمد !
فصاح أمية بن خلف :
— على رسلك يا أبا الحكم .

ولكن أبا العاص بن الربيع اندفع قائلاً بصوته
المليء : ماذا تقول أيها الرجل ؟ لقد عرفت أنك
تقصدني وتشهر بي ، وقد طالما تحدثت إلى
في خلوة بهذا الحديث .

وأعاد أمية بن خلف قوله :

— على رسلك يا أبا علي !

فضى أبو العاص قائلاً بصوته الجهوري :

— ماذا يقول هذا الرجل عني وعن أهلي ؟
أما كفاه أن تجرأ عليّ فسألني أن أطلق امرأتى ؟
أما كفاه أن رددته في رفق قائلاً إنها ابنة خالتي
ومن بنات عمومي ؟

ألا فاعلم يا أبا جهل أنك لا تملك رقابتنا ولا

على إنكار إنسانيتهم ، أولئك الذين أرادوا أن يخذعهم عن عقولهم وقلوبهم وأنزلوا بهم أشد العذاب لينزعوا الإيمان من صدورهم .

ثم جاءتهم الأنباء عندما صاروا قريباً من وادي بدر فعلموا أن أهل مكة قد عرفوا خروجهم وأقبلوا سراعا إلى نجدة صاحبهم ، إذن فهى الحرب التى لم يتوقعوها وهى الصدمة التى لم يقصدوا إليها .

وأشفق رسول الله أن يقتحم بأصحابه حرباً على غير أهبة ، وكان يعلم أنهم قليل فى العدد قليل فى العدد ، يعتقب الثلاثة منهم أو الأربعة بغيراً واحداً ، وليس معهم من السلاح والدروع إلا اليسير الذى لا يغنى فى قتال جيش . وكان لا يريد من خروجه أكثر من إيقاع عقوبة تروع أهل مكة وتجعلهم أكثر خضوعاً للحق ، وأقرب إلى الإدراك والفهم كان لا يريد أكثر من أن يفتح عيونهم لنصر ، وأن يفتح آذانهم لسمعوا ، وأن يظهر لهم أن المسلمين شوكه لعلمهم يمنحون إلى المسألة . ولكنهم خرجوا إليه فصار بين أمرين : إما أن يرجع إلى المدينة ، وإما أن يصادم جيشاً كبيراً .

واستمع إلى أصحابه يجيبونه فى صراحة عند ما سألم أن يسيروا عليه .

فقال بعضهم : هلا ذكرت لنا القتال حتى تنأهب له .

وقال آخرون : امض فى سبيلك فنحن معك . وقال غيرهم : لو خضت بحراً لحضناه معك ، ولو علوت جبلاً لعلواناه وراءك ، ولو ذهب بنا

ولما اقترب الناس منه جعل يعيد عليهم ما بعث إليهم أبو سفيان قبل أن يصل إلى يثرب ؛ فقد عرف أن محمداً وأصحابه قد خرجوا من المدينة ليهبطوا على العير التى أودعها أهل مكة كل ثروتهم وكل أمليهم فى الریح ذلك العام .

ومضت لحظة قصيرة خفت فيها الأنفاس ثم انفجر أبو جهل قائلاً :

ماذا تنتظر هنا أيها القوم ينظر بعضنا إلى بعض كأننا نساء فى مأتم ، ألم أقل لكم ابدعوا به قبل أن يبدأ بكم ؟ لا تضيعوا ساعة ولا يقف أحد منا يقول لصاحبه كلمة . هلموا إلى سيوفكم ورماحكم وخيلكم ورواحلكم واجعلوها موقعة فاصلة ، إنه صوت الآلهة ينادينا إنه قد آن لنا أن نضرب الضربة القاضية .

وزاد اللفظ ، واختلطت الأصوات وصاح أبو جهل مرة أخرى :

هلم يا قوم فاستعدوا للحرب ولا يتخاف منكم إلا من أثر التعود مع النساء .

ومضى مسرعاً إلى بينته بغير أن ينظر إلى الناس وهم يتفرقون سراعا إلى بيوتهم فى لهفة .

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد خرج من المدينة مع من استطاع الخروج معه من أصحابه يترقبون عودة عير قريش مع أبي سفيان ، وكان المسلمون لا يحسبون أنهم يخرجون إلى حرب ، بل أرادوا أن يكيدوا للذين أخرجوهم من وطنهم وأبوا عليهم الحرية التى وهبها الله للأحياء جميعاً ، أولئك الذين شردوهم ، وحرموهم من أموالهم ، وانتكروا حرمة أشخاصهم ، وعقيدتهم ، أرادوهم

إلى برك الغهاد لتابعك عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك .

وعادوا يقولون : سر بنا على بركة الله !

ففضى الجمع الأحسن الصغير نحو وادي بدر ، وهو يعلم أنه مقبل على عدو جاء إليه يسعى مدلا بقوة ، حريصاً على أمواله جاعاً مع كبرياته . ثم توالى الأخبار ، فلم يمد وأصحابه أن أباسقيان استطاع أن يفلت بالعمير مباعداً بينه وبين المسلمين مقرباً من ساحل البحر . فلم يبق أمامهم سوى الجيش وحده - وقد أخرجت فيه مكة أبطالها وسادتها فشدت فيه ألفاً من بواسل فرسانها .

وأقبل الليل فأرخت سدوله على الأرض وكان الوادي صامتاً لا يسمع فيه حس ولا يجلجل فيه صوت جرس في عتق بعير . ثم طلع القمر بعد حين إذ كان شهر رمضان قد مضى أكثر من نصفه . وغمرت الأشعة الفاترة بطن الوادي وخلعت عليه رهبة وغوصاً .

وجلس محمد وأصحابه مرة أخرى يتشاورون ويتراجعون فلم يذوقوا تلك الليلة نوماً حتى قرب مطلع الفجر بعد أن اختاروا مواقفهم ودبروا معا خطة القتال إذا أقبل الصباح .

وخرج أبو العاص بن الربيع وحده من جيش مكة فاعتلى جانب السكيب مشرفاً على الوادي الصامت لا يرى فيه سوى أشباح تهرق ثم تختفي كأنها أرواح شفاقة . وذهب خياله إلى مكة حيث ترك امرأته زينب وحيث خلف ولده عليا وابنته أمانة . وجالت في نفسه خواطر شتى عن قومه ، وعن محمد أبي امرأته : أقد جاء حقاً

يريد أن يحارب سجد بفيه مع أبي جهل وأمية ابن خلف وسائر هؤلاء ؟ أكان ينبغي له أن يخشى أقوالهم عندما اتهموه بخيانتهم والولاء لمحمد خفية عنهم ؟ وهل كان يقوى على مخالفة قومه والتخلف عن الخروج ، فتكون تلك سبة الدهر فتلصق به تهمة الجبن أو الخروج على قومه ؟

ولكنه كان كلما تمثل صورة محمد ، أحس قلبه يخذه ويكاد يثمه . فكيف يخرج إلى حرب رجل عرفه ورأى نبله وصدقه ؟ أليس هو الذي أخرجه قومه طغياناً وظلماً بعد أن أذاقوه مرارة الاضطهاد والأذى ؟ فكيف يخرج مع أبي جهل وأصحابه الذين يشتمخون بأنوفهم كبرياء وغروراً لكي يحارب الرجل الذي يدعو إلى العدالة والكرامة ؟ ولكنه عاد آخر الأمر إلى خيمته يجرر قدميه فوق الرمال ، وفي صدره معركة عنيفة من جدال حاقق . وكان الناس ما يزالون يصخبون في خيامهم يتعللون بما يطلع به التمد عليهم من متع الحياة ومباهجها ، سيجدون الوادي خلاء من المسلمين الذين لن يتدروا على الثبات لهم في القتال وسيجدون الجو صحواً ، فيقيمون ثلاثة أيام في بطن بدر ينحرون الجزائر ويطعمون أهل القرى ويشربون الخمر ويستمعون إلى غناء القيان . وسوف تسمع العرب بموقفهم من محمد فيزدادون هبة لهم ومسارعة إلى محالفتهم على المسلمين .

وطلع النهار واعتلى جيش قريش جانب السكيب لمهبطوا على الوادي . وكان أبو العاص يسير قريباً من عتبة بن ربيعة . وكان محمد وأصحابه هناك ما يزالون ينتظرون في ركن صغير إلى جانب

في يومهم ماء ، فقد طم المسلمون كل الآبار غير ذلك القلب الذي بنوا الحوض إلى جنبه .

وجاء حكيم بن حزام إلى عتبة بن ربيعة فقال له ، هل لك في خير لا يزال نذكر به آخر الدهر يا أبا الوليد ؟

فنظر عتبة إلى أبي العاص نظرة سريعة ثم قال هادئاً : - تجدني مطيعاً لك .

فقال الرجل : اردع الناس عن القتال وعد بهم إلى مكة .

فقال عتبة : وهل يطيعني هذا ؟ .

فقال حكيم : أنت سيد قريش وما عليك أن يقول أبو جهل ما يشاء . ألا ترى هؤلاء المسلمين مع قاتلهم يظنون للقتال . لأنهم ثلثائة رجل ، ولكنهم لن يصابوا حتى يصيبوا منا مثل عددهم . وما خير الحياة إذا أصيب من هؤلاء الأشراف ثلثائة ؟ .

ونفض عتبة إلى بعير فركبه وسار بين الصفوف يدعو الناس إلى الانصراف بغير قتال .

وما كاد أبو جهل يسمع بما قال عتبة حتى انطلق يسير في الجيش يثم عتبة بالجبن وأنه يخشى أن يصاب ابنه أبو حذيفة الذي خرج مع محمد .

وسمع عتبة ما قال أبو جهل فصاح غاضباً : سئرى هذا الاحق أينما أولى بأن يكون الجبان المشوم . هاتوا لي درعا وسأكون أول من يبرز للقتال . سئرى هذا الرجل أينما أحرص على الحياة .

بئر ، ومن ورائهم حوض ممتلئ بالماء أقاموه تحت ستر الليل .

فنظر عتبة إلى أبي العاص قائلاً في همسة : -- إنها الحرب يا أبا علي . إنها الحرب لا ما يزعم هؤلاء ، فإني نزهة ولا أفر ولا قيان .

وقال أبو العاص جيباً :

— فيم الحرب يا أبا الوليد وقد نجت العير التي خرجنا من أجلها ؟ فقال عتبة :

— لقد وددت يا ولدي لو عدت إلى مكة ، ولولا المعرفة وما يقوله هذا الاحق أبو جهل لما نزلت إلى هذا الوادي .

وعاد أبو العاص يحدث نفسه :

— أحقاً أحارب اليوم وأضرب بسيفي من أجل هؤلاء ؟ أنذا رأيت محمداً رفعت يدي هذه وأهويت عليه حتى أشفى غليل أبي جهل وأحرق قلب امرأتى ؟

ولما رآه عتبة صامتا قاله له :

— سوف أبذل الجهد يا ولدي لأخلص قومي من هذا القتال . إن ذلك الرجل يدفع بنا إلى هاوية .

ونزلاً في صمت مع الجيش الصاحب حتى صاروا في فضاء الوادي وتفرق الناس في أطرافه ينظرون إلى الجمع الصغير القابع حول حوض الماء ، وأخذوا يحزرون عددهم ويحياون أبصارهم فيما حولهم ، وما لبثوا أن عرفوا أنهم لن يجدوا

الصديقة الأولى التي كانت تشاركه في البأساء والضراء وتواسيه في أيام الكرب والشدة ، خديجة بنت خويلد .

وقال عمرو بن الربيع : هذا فداء أخى حملته إليك من عند امرأته زينب .

وتتمثل للرسول الكريم صورة امرأته الحبيبة كأنها جاءت إليه تشاركه في عزة الإسلام كما كانت تواسيه في أيام شدته .

أهكذا تسخو زينب بهدية أمها ، لكي تفدى زوجها ؟ كان ذلك العقد هدية الأم إلى ابنتها عند زفافها ، فأى موضع للرجل في قلب امرأته !

ولم يكن أبو العاص ضئيلاً أو خسيساً فقد ذاع بين الناس موقفه من صاحبتة عند ما تحدى أبا جهل علانية ، وأبى أن يتغلى عنها أو يخدش سمعها بكلمة . وقد سمع رسول الله ذلك وشكره له .

وإن كان أبو العاص ما يزال في صفوف أعدائه ، فإنه يحمل بين جنبيه قلباً كريماً .

ونظر رسول الله إلى أصحابه جائش القلب ، وقال لهم وفي صوته فيض من الرقة :

إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها فلادتها فافعلوا .

وأجاب من حوله وفي أصواتهم صدى رفته فقالوا : نعم يا رسول الله نفعل .

ثم هبوا فأطلقوا أبا العاص وردوا الفلادة إلى أخيه عمرو ليحملها معه إلى الزوجة الوفية .

محمد فريز أبو هدير

وتفرقت الجموع تتشاحن وتجادل بعضهم يوافق عتبة ، وبعضهم يتابع أبا جهل ، وتفرقت الآراء واختلفت الأهواء ، واعتزل أبو العاص ركناً من الوادى وقلبه فيفيض حزناً وغماً .

ثم بدأ القتال وغطى الغبار على الوادى بسحابة كثيفة تظلل ميدان المعركة الحاسمة . فلما انجلى الغبار آخر اليوم كان جيش مكة بين قتيل وصرير وأسير ومنهزم ، تلفت خلفه ويلوذاً بالفرار من حذر المطاردة .

وكان أبو العاص بن الربيع واحداً من الأسرى السبعين الذين أخذوا إلى المدينة من بقايا المعركة ، أما بدر فقد طوى رماله على جباه كثيرة كانت لا تعرف الانطواء : أبو جهل وعتبة وأمية بن خلف . وأكثر من كانوا يتجادلون في دار الندوة ويتقسمون الرأي في مكة .

وخرجت بقية السادة من مكة مرة أخرى يسيرون إلى المدينة ليسألوا محمداً أن يمن عليهم بإطلاق من عنده من الأسرى . وكان محمد يقبل منهم الفداء ، كل على قدر ماله ، فمن لم يكن له مال وهو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة غلمان من المدينة يعلمهم الكتابة .

وجاء عمرو بن الربيع يطلب أخاه الأسير أبا العاص بن الربيع وعرض على رسول الله فداءه وكان عقداً ثميناً . فما كاد رسول الله يرى العقد حتى عرفه . وفاض قلبه الكبير رحمة ورقة .

كان عند صاحبتة الأولى وزوجه الوفية النبيلة التي وهبت له قلبها وأخلصت له إيمانها ، كان عقد

مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

تحية الأزهر

• قالوا المغفور له أحمد شوقي بك أمير الشعراء سنة ١٩٢٤ •
• بمناسبة المتأداة بالصلاح الأزهر والبدء فيه في ذلك الحين •

وأنى الحضارة بالصناعة وثمة^(١)
والعلم نورا والبيان مثرى^(٢)
يامهدأ ألقى القرون جداره
وطوى الزمان بهاؤه والاعصرا
ومشى على يسر المشارق نوره
وأضاء أبيض ليلها والاحمر
وأنى الزمان عليه يحمى سنة^(٣)
ويذود عن نكسك ويمنع مشعرا^(٤)
في القاطمين اتقى يبقوعه
عذب الأصول بكدهم متفجرا^(٥)
عين من الفرقان قاض نيرها
وحيا من الفصحى جرى وتحدرا^(٦)
ما ضرني أن ليس أفقك مطلعي
وعلى كواكبك تعلت السرى^(٧)
لا والذى وكل البيان إليك لم
أك' دون غايات البيان مقصرا
لما جرى الإصلاح قت' مهنتا
باسم الخليفة بالمؤيد مبشرا

قم في قم الدنيا وحى الأزهر
واندر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدر إن قصصته
في مدحه خرز السماء النيرا^(١)
واذكره بعد المسجدين معظما
لمساجد الله الثلاثة مكبرا^(٢)
واخشع مليا ، وافض حق أئمة
طلعوا به زهرا وماجوا أنجرا
كانوا أجل من الملوك بجملة
وأعز سلطانا وأغتم مظهرا
ومن الخاف كان فيه جنابهم
حرم الأمان وكان ظلهم الذرا^(٣)
من كل بحر في الشريعة زاخر
ويزركه الخلق العظيم تخضعرا
لا نخذل حذو عصاة مفتونة
يمجدون كل قديم شئ منكر
ولو استطاعوا في الجامع أنكروا
من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض في القديم وهدى
ولذا تقدم للبناء قصرا^(٤)

(١) نورا : قليلا . مثرى : غلظا .

(٢) النكس : العبادة ، والمفسر : موضع مناسك الحج .

(٣) جد القاطمين : على بن أبى طالب .

(٤) الفرقان : القرآن ، والحيا : المطر .

(٥) يريد أنه - وإن لم يكن من خريجي الأزهر - لم يفته
قعه ، إذ قلم على أساتذته وأخذ عن شيوخه .

(١) المراد بخرز السماء الكواكب والنجوم .

(٢) المسجدان : المسجد الحرام والمسجد الأقصى .

(٣) الذرا : الملاح . يريد أن أولئك الأئمة كانت ساحاتهم
وظلالهم ملجأ الناجت وموطن الأمان .

(٤) ماض : نطف .

وبلغت بالمعروف غاية صفوه
أ يكون معروف الملوك مُكَدَّرًا ؟
لم تبغ بالضعفاء مُعدوانا ولم
تقذف على حرم الشريعة عسكرا
نظراً وإحساناً إلى عبيانه
وكن المسح مُداوياً ومجبراً
واقه ما تدرى : لعل كفيهم
يوماً يكون أبا العلاء المبصرا (١)
لو تشتريه بنصف مالك لم تجحد
غناً ، وجل المشتري والمشتري
إن قائمهم من نور وجهك قائم
لم يعدموا لوجه برك ، نظرا
لمسا نذاك كن يشاهد مزمنة
ويُد الضرب وراها عثين ترى (٢)
زد هم أبا الفاروق إنك خير
من خير ولد الكريم الخيرا
يا فتية المعمور سار حديثكم
نذا بأفواه الزكاب وغيرها (٣)
المعد القدسي كان نذية
قطبا لدائرة البلاد ومحورا (٤)
ولدت فضيئتها على محرابه
وحبت به طفلاً وشبت مضمرا (٥)
وتقدمت تزجي الصفوف كأنها
(جائذرك) في يدها اللواء مظفرا

نبأ سري فكسا النارة خيرة
وزها المصلى واستخف المنبرا (١)
وسمما بأروقة الهدى فأحلكها
فرغ الثريا وهي في أصل الثرى
ومشى إلى الحلقات فاتفرجت له
حلقا كهالات السماء منورا
حتى ظلتا الشافعي وما لكأ
وأبا خيفة وابن خبل حُضرا
إن الذي جعل العتيق مشابة
جعل الكنانى المبارك كوثرا (٢)
العلم فيه مناهلا وبجانبها
يأتى له النزاع يفنون القرى (٣)
الله أكبر يا ابن إسماعيل لم
ترك لصناع المآثر مفخرا (٤)
بالأمس مُنهض مصر في دستورها
واليوم مُنهض للسياك الأزهر
مين على الوادى السعيد ، قلبت
أعطافه في وشيون مُستفرا
تحركن فيه النيل قبل وفاته
فوقى وهيجن الربيع فبكرا
الأزهر المعمور فلكد حرة
لك في الهبات حرية أن تفكرا (٥)
أزحمته عين العناية مُصلحا
وأجالت فيه يد البناء مُعمرا
وعذ وعدت ، له بواذر صدقه
كالبرق لم يفتز حتى أمطرا (٦)

(١) المقصود بالمعبر هنا : المدرك بصيرته .

(٢) المزة : السجاية المطرة ، ويد الضرب وراها عين ترى ، مناه أن الضرب يدرك باللس مآراه عين المبصرين .
(٣) المعمور : الأزهر . (٤) نذية : نذية .
(٥) المعصر : الفتاة المدركة ، يقصد أن الأزهر كان مهدا للحركة الوطنية ، ويحير إلى أنه في حياة البلاد قديما وحديثا .

(١) الحرية : الضرر . (٢) العتيق : المسجد الحرام والكنانى : الأزهر مقسوما إلى الكنانة وهي مصر .
(٣) النزاع : القصاد (٤) ابن إسماعيل : المغفور له الملك نواز الأول . (٥) حرية : حرية . (٦) وعدة بالإصلاح وهذا صادق لم يلبث أن تحققت بواذر كالبوق بقبه المطر .

فِي التَّالِيحِ وَالْإِجْتِمَاعِ

صِحْفَةٌ مِنْ تَارِيخِ الْأَزْهَرِ

لِلأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ شَيْفِيٍّ غُرَّالِ بَلَدِكِ وَزَارَةِ الشُّؤْنِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ

بل لا أعرف أحداً ابتدأ بمحصّر تلك الوثائق ،
فنحن إذن في البداية وأماننا بعد كل شيء .
على أن الإنصاف يقتضى أن أشير بصفة
موجزة لدراسات شمرة تكون منها ومن مثيلاتها
صفحات تاريخ الأزهر . فبالنسبة للعصر الأول
« العصر الفاطمي » ، أعتقد أن اتجاه الدكتور
كامل حسين الأستاذ بكلية الآداب نحو بحث
ما يتعلق بالدعوة الفاطمية في مصر وفي غيرها
من الأقطار الإسلامية ونحو نشر النصوص ،
اتجاه شمر يستحق التتويج ويستحق أن نرجو
من وراء مثابرته وجده — علماً حقيقياً بأصول
الأزهر وتاريخه الأول ، أما بالنسبة للعصر
التالي « العصر الأيوبي » ، فأعتقد أن دراسة
الدكتور إبراهيم سلامة الأستاذ بكلية دار العلوم
لنظم الزيرية والتعليم الإسلامية (وهي موضوع
رسالة لدرجة الدكتوراه في الآداب) قد جمعت
مادة قيمة لتاريخ المدارس وتاريخ الأزهر
وكشفت عن أسباب تدهور المدارس في عصور
المماليك والعثمانيين ، ونهوض الأزهر جامعة
إسلامية بالمعنى الدقيق . وأما بالنسبة للأزهر
في العهد العثماني فقد عالجته عن طريق تراجم

لا نستطيع أن نقول إن المؤرخين المصريين
قد قاموا بما ينبغي عليهم نحو تاريخ الأزهر . فتلك
المجالات أو التبدلات التي أعدت ونشرت
للبناسبات المختلفة ، لا يمكن أن تسمى تاريخاً
للأزهر ، وإن حملت ذلك الاسم . وهذا الكتاب
الذي نشره الشيخ راضي الحنفي بعنوان « كنز
الجوهر » ، ما هو إلا تلخيص سقيم للفصول المتعلقة
بالأزهر من الخطط التوفيقية أعلى باشا مبارك .
وهذه الفصول لا تزال إلى وقتنا الحاضر خير
ما يرجع إليه القارئ في موضوع الأزهر .
وتقع هذه الفصول في الجزء الرابع من المجلد
الأول من الخطط (ص ١٠ — ٤١) هذا
إلى إشارات عديدة للأزهر ورجاله وشؤونه
في مواضع عديدة متفرقة من الخطط . ويمكن
القول بصفة عامة إن كلام علي باشا مبارك أتم
وأوفى بالنسبة للعهد العثماني والعهد المحمدي
العلوي ، منه بالنسبة للعصور التي سبقت ذلك .
وقد جمع مبارك باشا مادته من المراجع التاريخية
المتداولة ، اللهم إلا بعض الوثائق الرئيسية كحجج
أوقاف بعض السلاطين والأمراء .
ولا أعرف أحداً رجع إلى الوثائق الأصلية ،

ما موضوعاً تاريخياً متصلاً بجامعته ! ولن يتم - في رأي - فهم صحيح وإدراك حقيقى لأحوال الأمة المصرية إلا بتاريخ الأزهر.

فلنخصص إذن لإيضاح هذه الحقيقة صفحة من تاريخ الأزهر، ولتسكن القرون: الحادى عشر والثانى عشر، والثالث عشر. وهى الفترة التى ترجم الشيخ زكى غيث لشيوخ الأزهر فى جزء منها. ولندرج كلامنا عنها فى الأنواع الأربعة التى رسمناها للباحث الأزهرية.

فن حيث العماره كانت الإضافات والتجديدات العظيمة المقترنة باسم الأمير عبد الرحمن كتحدا، ويبلغ من عظمتها وجلالة قدرها أننا يمكننا بحق أن نعتبر هذا الأمير من بناء الأزهر المنشئين. ولتحدث بإيجاز عن مشآته: ذكر الجبرق فى ترجمته سنة وفاته (أى سنة تسعين ومائة وألف) أن الأمير المشار إليه أنشأ فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولاً وعرضاً. ويشتمل على خمسين عموداً من الرخام، تحمل مثلها من البوائك المقصورة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت. وسقف أعلاها بالخشب النقى، وبنى به محراباً جديداً ومنبراً وأنشأ له باباً عظيماً حارة كتامة. وبنى بأعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام القرآن. وجعل بداخله رحبة مقسقة وصريحاً عظيماً وسقاية لشرب العطاش المارين. وعمل لنفسه مدفاً بلك الرحبة وجعل عليه قبة معقودة وتركيبه من رخام يدعى الصنعة. وجعل بها أيضاً رواقاً مخصوصاً بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم، يسلك

الرجال مؤرخ أزهرى هو الشيخ زكى غيث فى مجموعة تراجم شيوخ الأزهر فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر التى نشرها فى العدد الأول من المجلد الثانى من المجلة التاريخية المصرية (مايو سنة ١٩٤٩) وسرى بعد قليل من أيا طريقة الشيخ زكى غيث لدرس تاريخ الأزهر. وأخيراً يجب على أن أشير إلى دراسة الأستاذ كبرىويل، للأزهر من ناحية العمارة والآثار فيما نشر من تاريخ العمارة الإسلامية. وهو مؤلف ضخم نشرته فى الشهر الحالى الجزء الثالث، ويتعلق بعهد الفاطميين والأخشيديين، ولعل من تلاميذ الأستاذ كبرىويل، الأثرين المماريين المصريين من يتبع أستاذه فى درس الأزهر من الناحية المعمارية الأثرية، ثم يخرج لنا باللغة العربية ثمرات ذلك الدرس.

وتدلنا الدراسات التى خصصتها بالذكر على أربعة أنواع من المباحث، اعتبرها أساسية: فالنوع الأول أثرى معمارى. والنوع الثانى دينى صرف، والنوع الثالث نظام تعليمى، والنوع الرابع تراجم الرجال. وتقوم الأنواع الأربعة على الوثائق الأصلية.

ويمح أن أقول إن الأزهر من جهته، وأخواته الصغرى الجديدة من جهتها، قد كومت نخبه من الشبان المؤرخين يصلحون كل الصلاحية لأن يضطلعوا بالمهمة الكبرى: مهة تاريخ الأزهر على النحو الذى أشرت إليه، بشرط أن ينظم العمل والتوجيه. وقد تشرفت بالعمل معتمداً لرسائل العالمية من درجة أستاذ، ولم يختار طالب

عبد الرحمن ككتخدا إنشاء الأمير محمد أبو الذهب لجامعة التعليق المشهور المقابل للأزهر ، تأكدت من صحة ما ذهبنا إليه من وجوب تأخير نسبة التأخر لذلك العصر إلى عهد مراد بك وإبراهيم بك أى إلى قبيل الحملة الفرنسية ولا نحتاج إلى دليل ، فهارته بسيطة بين عمارات عبد الرحمن في الأزهر وغيره . وعمارة مراد بك بجامع عمرو تدلك على أن التدهور كان حقاً سريعاً جداً .

وعلى ذلك ، فبعد الرحمن ككتخدا يستحق ترجمة جيدة ، وعمارته التي أكسبت الأزهر شكله الحالي بصفة شبه تامة تستحق رسالة مفصلة من جانب أحد تلاميذ « كريزويل » المصريين . ومن حيث التاريخ الدينى الصرف ، فأهم ما يلاحظ على الفترة التي حددناها ، الاتجاه التصوفى الغالب عليها . وقد أرخه الدكتور توفيق الطويل تاريخاً جيداً ، ولا محل للمقارنة بين النزعة الصوفية في ذلك العصر ، وبين ما سماه إليه الفكر الصوفى الإسلامى في العصور السابقة . إنما الذى يلفت النظر هو اختفاء ما كان بين الفقهاء ورجال التصوف في بعض الأزمنة السابقة ، وانتظام العلماء جميعاً تقريباً في أهل الطريق . نخص بالذكر من هؤلاء : الشيخ الحنفى المتولى لمشيخة الأزهر بين سنة ١١٧١ و ١١٨١ والشيخ عبد الله الشرفاوى المتولى للمشيخة بين سنة ١٢٠٨ و ١٢٢٧

والذى يحتاج إلى بحث من هذا الموضوع أمران : الأول دراسة الطرق من حيث التاريخ الاجتماعى ، والثانى دراسة الطرق من حيث نظام الدولة .

والمسألة الثانية : من مسائل التاريخ الدينى

إليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق . وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبني بجانب ذلك الباب منارة وأنشأ باباً آخر جهة مطبخ الجامع وجعل عليه منارة أيضاً . وبني المدرسة الطيرسية وأنشأها لإنشاء جديداً وجعلها مع مدرسة الآفغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذى أنشأه خارجهما جهة القبو الموصل للشهد الحسينى . وهذا الباب الكبير عبارة عن باين عظيمين كل باب بمصراعين وجعل على يمينهما منارة وجعل فوقه مكتباً أيضاً وبداخله مع بين السالك بظاهر الطيرسية ميضأة وأنشأ لها ساقية لإجراء المياه إليها . وبداخل باب الميضأة درجا يصعد منه للبنارة ولرواق البغداديين والمهندود ، فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيرسية والآفغاوية والأروقة من أحسن المباني في العظم والوجاهة والفتخامة ، والباب هو باب المزنيين . والآفغاوية هى مكتبة الأزهر حالاً .

وبعد فما وجه اتصال هذا بإيضاح تاريخ مصر ؟ نقول إن من أمراء مصر قرب نهاية العصر العثمانى من استطاع أن يجارى أعظم سلاطينها وملوكها وخلفائها في العصور السابقة في العمارات العظيمة والمآثر الهندسية والخيرية الكبرى . وإن العصر الذى عاش فيه أمير كعبد الرحمن ووجد فيه من رجال الهندسة والفنون والصناعات الذين تولوا تنفيذ مشروعاته وتوافرت فيه الموارد للإيفاق عليها ، لا يمكن عده بحال عصر تدهور أو انحطاط . وإن علينا جميعاً أن نراجع وأن نتفح أقوالنا فيه . وإذا أضفت إلى عمارات

الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك، وهذه كانت طريقة السلف كما روى الجبرتي في الكتب القديمة . الخ ومن حيث النظام التعليمي فهناك عدة مسائل منها تحقيق الزمن الذي أنشئت فيه مشيخة الأزهر ؛ فالمعروف أن الشيخ الحرثي أو الحرثي من علماء القرن الحادي عشر هو أول من تلقب بلقب شيخ عموم ، وأن ذلك كان سنة ١٠٩٠ . ويقول الشيخ زكي غيث في بحثه : إن الأزهر قديماً كان يتولاه الولاية العامة سلاطين مصر وأمراؤها ويباشر شؤنه الداخلية مشايخ المذاهب الأربعة ومشايخ الأروقة يعاونهم خطيب المسجد ، والمشرف ومعاونوه من العمال والخدم . وفي عهد سلطنة برقوق (القرن الثامن) عين للأزهر ناظر ، والناظر من الأمراء يتوب عن السلطان في الإشراف على شؤون الأزهر والسير على رعاية مصالح أهله . ثم اقتضى نمو الأزهر واتساع أرزاقه وإدارته ومصالح أهله وجود شخص يتفرغ للإشراف على شؤون هذا المعهد الدينية والإدارية معاً ، ويكون رئيساً لشيوخ المذاهب والأروقة وسائر علماء الأزهر وطلابه ، ومستولاً مباشرة أمام الولاية والسلطين . ويصح جداً أن يكون الأمر كذلك ؛ ولكن ليس لدينا نص أو نصوص بهذا الأمر الخطير . والغريب أن ينشأ منصب ذو خطر كالمشيخة بلا مقدمات وبلا تظلمات وبلا تحديد . ويقتضى كل ذلك التحقيق العلي . واستمر عدم التحديد وعدم التنظيم يصاحبان تاريخ المنصب زمناً طويلاً .

هي الكيفية التي استقرت بها مناهج الدراسة الدينية . وأثر الأزهر في ذلك الاستقرار . وهذه لا تزال في حاجة إلى البحث الوافي . من ذلك ما نلاحظه من اختفاء الدرس الحر أي المستقل عن الجامعة الأزهرية ، بحيث إذا حدث شيء من ذلك نه إليه المؤرخ المعاصر وتحدث عنه . وإليك ما ذكره الجبرتي في ترجمته الرائعة لاساتذه الكبير السيد مرتضى الزبيدي صاحب ناج العروس وشرح الإحياء المتوفى ، ستة خمس ومائتين وألف وهو صاحب الفضل الأول في توجيه الجبرتي نحو التاريخ . وربما كان آخر العلماء أصحاب الدروس الحرة (بالاصطلاح لكلمة حرة) . وقد مكن للسيد مرتضى من إقامة الدرس المستقل أمور : أولها بطبيعة الحال فضله ومواهبه ، ثانيها تشجيع بعض الكبراء له ، ثالثها طريقته . فمن هذه حرصه على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الانساب والاسانيد وتنجيخ الأحاديث واتصال طرائق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين ، ومنها كونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم . ويعرف اللغة التركية والفارسية ، بل وبعض لسان الكرج الخ . وكان درسه بجامع شيخون بالصليبية يوم الاثنين والخميس ، وكانت له دروس أيضاً في بيوت الأعيان فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقرىء والمستمل وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئاً بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأجابه وأولاده وبناته ونسائه من خلف الستائر وبين أيديهم بجامر البخور بالعبير والعود مدة القرامه ، ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على النسق المعتاد ؛ ويكتب

بلغ من نفوذه وعلو كلمته وجاؤه أنه هو السبب في إنشاء الأمير عبد الرحمن كتنخدا لرواق الصعادية والتخير العظيم الذي أجراه الأمير على أبناء الصعيد وقبل إنه لحبه للصاعدة من أجل الشيخ جعل مدفنه بجوار هذا الرواق. وقد دفن فيه فعلا. وقد اتخذ أكابر الأزهر هذا المدفن قديما مجلسا يجتمعون فيه عند المشورة في المهمات ولنفوذ الشيخ على أيضا، استقرت مشيخة الرواق من عدة أجيال في المشايخ العدوية لكثرة العلماء به من بني عدى. وإليك مثلا آخر: الشيخ أحمد العدوى الشهير بالدردير المتوفى سنة لإحدى ومائتين وألف شيخ المالكية فعند ما ثار جماعة من أهل الحسينية بسبب ما حصل من هجوم الأمير حسين بك على منازلهم ونهبها حضروا إلى الأزهر وذهبوا إلى الشيخ الدردير فساعدهم بالكلام وقال لهم أنا معكم. وفي غد نجح أهالي الأطراف والحارات وبولاق ومصر القديمة وأركب معهم ونهب بيوتهم كما ينهبون بيوتنا ونموت شهداء أو ينصرونا الله عليهم.. الخ. أو الشيخ محمد عlish في الأزمنة القريبة وهكذا.

ولم يواجه أهل الأزهر مسائلهم الخاصة بحسب بل واجهوا المسائل العامة مواجهة مستمرة.

ولعل فيما أثبت ما يكفي لإظهار ما ذهبت إليه من أن تاريخ مصر لا يفهم إلا بفهم تاريخ الأزهر ولعل فيه أيضا ما يشوق أبناء الأفاضل للقيام بما عليهم نحو تحقيق تاريخه وإخراج ذلك التحقيق لكافة الناس.

محمد شفيق غرمال

والظاهر أن القاعدة جرت بأن يعتمد على الأمر من يجمع عليه العلماء، ولكن هذا الاجتماع أو شبهه كان لا يتم إلا بعد أزمة يشتد فيها الخلاف اشتداداً كبيراً أو صغيراً، ويرجع الخلاف أحيانا إلى تعصب لشخص بناء على مذهبه أو على موطنه. وأشد الأزمات تلك التي حدثت بعد موت الشيخ الدمنهورى (١١٩٢) بين أنصار الشيخ عبد الرحمن العريشى الحنفى وأنصار الشيخ أحمد العروسى الشافعى، وانتصر الشوام والترك وبعض الأمراء للعريشى، وقاوم الشافعية ما عدوه اغتصابا لحق الشافعية في المشيخة، وبلغ الخلاف حد الاصطدام واستخدام القوة. وفي وقت ما حلت الأزمة بإقرار العريشى شيخاً للحنفية، والعروسى شيخاً للشافعية، والدردير للمالكية، وخلص الأمر بتقليد العروسى المشيخة. وكانت القاعدة على العموم أن من يتقلدها من الشافعية يكون في نفس الوقت شيخاً للذهب. والمسألة البانية الخاصة بشيوخ المذاهب وهي مناصب أقدم من منصب شيخ العموم وكيف تطورت. والمسألة الثالثة حقوق الأروقة وشيوخها وهكذا. كل هذه مسائل نملك بشأنها معلومات عديدة ولكن لا بد من تحقيق الكثير منها بالرجوع إلى الوثائق.

ومن حيث تراجم الرجال أعتقد أن ما نشره الشيخ زكى غيث عن الشيوخ يكفي ليدل القارىء على ما احتواه تاريخ الرجال من مادة قل أن تجاريها مادة في الشخصيات والمواهب والأطوار. وخذ على سبيل المثال الشيخ على الصعيدى العدوى المالكى المتوفى سنة ١١٨٩ قال صاحب الخطوط:

بَيْنَ خَلِيفَةٍ وَقَاضٍ

للأستاذ عبد الحميد الغباري بك

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة فاروق

ابن يحيى بن يحيى الليثي وأمثاله ، ثم رحل إلى المشرق حاجاً وطالبا للرواية ، على عادة كثير من علماء الأندلس في ذلك الزمان ، واجتمع في رحلته بمجموعة من علماء المشرق ، وظهر فضله هناك . ومن سمع عنهم بمكة : محمد بن المنذر التيسابوري ، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء . المسمى « بالاشراف » ، كما روى بمصر كتاب « العين » للخليل عن أبي العباس بن ولاد ، والشعر القديم عن أبي جعفر بن النحاس . ثم عاد إلى وطنه ، وقد استحسنت سنة وكملت تجاربه وتمت ثقافته ، وأصبح معدوداً في كبار فقهاء الأندلس وثقاتها في العلم ، وقد صنف كتباً في علوم الفقه والكلام والتفسير ، وكان يغلب عليه التفقه بمذهب داود الظاهري . ويأخذ به نفسه وذويه ، فلما تولى القضاء كما سيأتي ، كان لا يقضى إلا بمذهب مالك ، لأنه المذهب الذي كان عليه العمل بالأندلس ، على أنه كان مع ذلك واسع الأفق في مسائل الفقه ، ميالاً إلى الاجتهاد ، غير ملتزم للتقليد ، يشير إلى ذلك قوله :

عذيري من قوم إذا ما سألتهم

دليلاً أجابوا : هكذا قال مالك

فإن زدت قالوا : قال يخنون مثله

وقد كان لا تخفى عليه المسالك

فإن قلت : قال الله ، ضجوا وأعولوا

على وقالوا : أنت خصم ممسك

وكما كان مندر فقيهاً متبحراً في الفقه ، كان خطيباً

أما الخليفة فهو أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي استوى على عرش الأندلس خمسين سنة (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) تعد بحق أزهى عصور الأندلس ، ومن أجمد العصور الإسلامية على الإطلاق . تولى والأندلس على أسوأ حال : شمل بمزق وفتن ضاربة أطرافها وعدو يتحفز لينقض عليها من فوقها ومن أسفل منها . فازال بالفتن حتى قطع دابرهما ، وبالأعداء يجاهدن تارة بنفسه ، وأخرى بأبرع قواده ، حتى خضد شوكتهم ، وكسر شرهم ، وأزلهن على حكمه .

ولما رأى فساد أمر الخلافة العباسية بالمشرق ، واستفحال أمر العبيديين بالمغرب ، استقر في نفسه أنه أحق بقلب الخلافة من العباسيين والعبيديين جميعاً ، لأنه أجمع منهم لشروطها فأعلن خلافته في سنة ٣١٦ هـ وبأيامه الشعب بالخلافة طائعاً راضياً . ثم إنه رفع للعلم والحضارة بالأندلس مناراً عالياً . وعنى بالبنان والعمارة فشيده مدينة الزهراء التي كانت تضرب بروعتها الأمثال . وطار صيته في الخافقين وازدلفت إليه ملوك أوروبا ، وقدمت عليه وفودهم طالبة موادعته وموادته ، فكان بحق أواحد ملوك العالم في عصره .

وأما القاضي ، فهو أبو الحكم مندر بن سعيد البسكوطي ، أصله من فخذ البلوط بتاجية قرطبة ، ولد في العمد الثامن من القرن الثالث الهجري ، ونشأ وتفقّه بالأندلس على عبيد الله

ويقدمه أمام إنشاد الشعراء ، فتقدم الحكم إلى أبي علي القالى البغدادي ، ضيف الخليفة وأمير الكلام ، وبحر اللغة ، أن يقوم ، فقام وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم انقطع وبهت ، فواصل لا قطع ، ووقف ساكناً مفكراً ، فلما رأى ذلك منذر ابن سعيد ، وكان من حضر في زمرة الفقهاء ، قام بدرجة من مرقاة أبي علي ، ووصل افتتاحه بكلام عجيب ، بهر العقول جزالة ، وملاً الاستماع جلالة . وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وكان الناصر أشدهم تعجباً منه . وأقبل على ابنه الحكم فسأله عنه ، ولم يكن يثبت معرفته ، فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال واقه لقد أحسن ما شاء . وأراد الخليفة مكافأته والانتفاع بمواهبه فولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بمدينة الزهراء . ثم حدث بعد قليل من الزمن أن توفي قاضي الجماعة بقرطبة ، فولى الخليفة منذراً قضاء الجماعة بقرطبة ، وأقره على الصلاة بالزهراء .

وهكذا نشأت الصلة بين الخليفة الناصر لدين الله وبين القاضي منذر بن سعيد . نشأت من مناسبة عارضة أعجب منها الخليفة بالقاضي والقاضي بالخليفة . غير أنه سرعان ما وقعت الوحشة بين الخليفة وقاضيه ، وذلك لاختلاف وجهة نظر كلٍّ إلى الأمور .

أما الخليفة فكان ينظر إليها نظرة ملك عظيم ربما جانيه الصواب في بعض تصرفاته على غير قصد منه ، ولكنه يحب مع ذلك أن يعرف له

مفوهاً وواعظاً جهير الصوت بليغ العبارة ، قريب الدمعة ، حسن الترتيل ، قوى التأثير في سامعيه ، وكان فوق ذلك شاعراً ، وشعره من قبيل شعر العلماء ، وقد أورد المقرئ في كتابه نفع الطيب ، مساجلات شعرية جرت بينه وبين أبي علي القالى وغيره من الأدباء . وكانت فيه مع جده وورعه ، دعابة ربما اتخدع بها من لا يعرف باطنه ، فإذا أراد النيل من دينه يتكشف له عن أشد ورد لا يرام حماء .

والظاهر أن منذر بن سعيد كان يحيا في قرطبة حتى سنة ٣٣٩ حياة فقيه يدرس العلم ويصنف الكتب ويساجل العلماء والأدباء ، دون أن يلى السلطان عملاً ، مع فضله وتقدم سنه . لذلك لم يكن الناصر يعرفه شخصياً على نحو ما يعرف السلطان كبار رجال دولته . اللهم إلا أن يدعى في زمرة الفقهاء إلى الحفلات الرسمية ، التي كثيراً ما كانت تعقد في البلاط على عهد الناصر . ثم عرضت ظروف نهت الخليفة إلى مكانة منذر وفضله وخطره ، ورفعت في طرفه عين منذراً إلى مكان الصدارة من رجال الدولة . في عام ٣٣٩ قدم من قرطبة وفد عاهل القسطنطينية ، يحمل إلى الناصر تحفاً وهدايا ، ويرغب في توثيق أواصر الود والصداقة بين الناصر والعاهل البيزنطي . وقد أراد الخليفة أن يستقبل هذا الوفد في بعض مجالس الزهراء أغرم استقبال وأعظمه . وقد أتى المقرئ في كتاب « نفع الطيب » ، على وصف ذلك الحفل بالنفصيل . قال : « وتقدم الناصر إلى الأمير الحكم ابنه وولى عهده بإعداد من يقوم من الخطباء

ونظر الله للإيتام ، فلم يسع الخليفة إلا أن يقر
القاضي على ما عمله وقال : « نحن أولى من انتقاد
إلى الحق ، لجزائك الله عنا وعن أمانتك خيراً ،

وأذن الخليفة للحادث أن يمر بسلام ، وإن كان
أبقى في نفسه شيئاً من الموجدة على القاضي الذي
تحدها على هذا النحو الذي لم يعهده . ثم سرعان
ما وقع حادث آخر كان أشد من الحادث الأول
وأدهى . لقد كان الناصر بطبعه ميالاً إلى العهارة ،
مشغولاً بتشديد البنيان ، يرى أن ذلك من أهبة
المملك والدليل الباقي على ضخامة الدولة . وينسبون
إليه أنه القاتل :

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها

من بعدهم فبالسن البنيان
أو ما ترى الحرمين قد بقيا وكم
ملك تحته حوادث الأزمان

إن البناء إذا تعظم شأنه

أضحى يدل على عظيم الشأن
ولقد أقبل على عمارة الزهراء أيما إقبال وأنفق
من أموال الدولة في تشييدها وزخرفتها ما أنفق ،
وهي لا تعدو في حقيقة أمرها أن تكون مجموعة
من القصور الفاخرة مخصصة لنزله وسكنى خدمه
وحشمه وحرسه ، وكان ربما أشرف بنفسه على
شئون البناء والزخرفة حتى شغله ذلك ذات مرة
عن شهود صلاة الجمعة ثلاث جمع متواليات .
فاشتد ذلك على خطيب المسجد الجامع
بالزهراء وإمام الصلاة فيه ، ورأى خروجاً
من تبة التقصير فيما أوجب الله على العلماء
من تلبية الغافل وتذكير الناس ، أن يلتقي على

حقه من التبجيل والتكريم ، أما القاضي فكان
يرى أن واجبه يحتم عليه أن يجرى في تصرفاته
على أساس العدالة المطلقة ، مهما علم مكان المتقاضى
إليه ولو كان الخليفة نفسه . قالوا إن الناصر
احتاج إلى شراء دار في قرطبة لإحدى نساته ،
فوقع استحسانه على دار واسعة ذات مستغلات
وافرة ، وكانت لإيتام في حجر القاضي . فأرسل
الخليفة من قومه بقدر ما طابت نفسه ، وأرسل
ناساً أمرهم بمداخلة وصى الإيتام في بيعها عليهم ،
فذكر أنه لا يجوز البيع إلا بأمر القاضي منذر ،
فأرسل الخليفة إلى القاضي في بيع هذه الدار .
فقال لرسوله : البيع على الإيتام لا يصح إلا لوجوه :
منها الحاجة ، ومنها الوهي الشديد ، ومنها الغبطة .
فأما الحاجة فلا حاجة بهذه الإيتام إلى البيع ،
وأما الوهي فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها .
فإن أعطاهم أمير المؤمنين ما تستبين به الغبطة
أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا . فنقل جوابه إلى
الخليفة ، فأظهر الزهد في شراء الدار طمعاً في أن
يغير القاضي رأيه . ولكن القاضي لم يغير رأيه ،
ثم إنه خاف أن تلبث من الخليفة عزيمة تلحق
بالإيتام ضرراً ، فأمر وصى الإيتام بنقض الدار
وبيع أنقاضها ففعل ذلك ، فكانت قيمة الأنقاض
أكثر مما قومت به السلطان . عند ذلك أرسل
الخليفة إلى القاضي منذر يسأله عما دعاه إلى نقض
الدار ؟ قال أخذت فيها بقوله تعالى « أما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر ، فأردت أن
أعيها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا
مقوموها لم يقوموها إلا بكذا ، وقد قبض في
أنقاضها أكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام ،

غير أن الخليفة وجد على منذر لغلظ ما قرعه به فشكا ذلك لولده الحكم بعد انتهاء الصلاة وانصراف الخطيب ، وقال : والله لقد تعمدي منذر بخطبته ، وما عني بها غيري فأسرف على ، وأفرط في تقيمي وتأنيبي ولم يحسن السياسة في وعظي ، فزعزع قلبي ، وكاد بمصاه يقرعني ، ثم استشاط غيظاً عليه ، فأقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة خاصة ، فجعل يلزم صلاتها خلف صاحب الصلاة بقرطبة ويحجاب الصلاة بالزهرام . هذه كل العقوبة التي نال بها الخليفة الخطيب الذي تجاوز الحد في وعظه وإرشاده . ولقد قال له الحكم : فما الذي يتمتع من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال به غيره ؟ ولكن الخليفة زجره وقال له : أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه ، يعزل لأرضاء نفس ناكبة عن الرشد ، سالكة غير القصد ؟ هذا ما لا يكون . . . بل يصلي بالناس حياته وحياتها إن شاء الله ، فما أظننا نعتاض منه أبداً .

يبد أن الجفوة نأكدت واشتدت بين الخليفة والقاضي ، وأحب ، ولي العهد ، الحكم لو أزالها أو خفف من حدتها ، فقبل إنه اعتذر إلى الخليفة عما قال منذر وقال يا أمير المؤمنين : إنه رجل صالح وما أراد إلا خيراً ، ولو رأى ما أنفقت وحسن تلك البنية ، لعذرك ، ويريد بالبنية هنا القبة التي بناها الناصر بالزهرام واتخذ قراميدها من فضة ، وبعضها مغطى بالذهب ، وجعل سقفها نواعين : صفراء فاقعة إلى بيضاء ناصعة ، يستلب الأبصار شعاعها . فلما قال له الحكم ذلك ، أمر ففرشت

الخليفة درساً قد يكون ثقيلاً على نفسه ، ولكن فيه شفاء له من علة الإسراف ، ورد إلى طريق الصواب . ورأى أن يكون ذلك على ملا من الناس وفي المسجد الجامع بالزهرام نفسها . وعلم أن الخليفة سيشهد صلاة الجمعة بعد طول انقطاعه عن شهودها ، فأعد خطبة قوية ضمنها كل ما كانت تجيش به نفسه من المعاني . فلما كان يوم الجمعة وحضر وقت الصلاة اعلى المنبر ، والخليفة حاضر والمسجد غاص بالمصلين ، فابتدأ في أول خطبته بقوله تعالى : أتبتون بكل ربيع آية تعبون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، إلى قوله : قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ، ثم مضى في ذم تشييد البنيان ، والاستغراق في زخرفته ، والإسراف في الإنفاق عليه ، بكل كلام جزل ، وقول فصل ، تلا قوله تعالى : أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ، وراح يخوف من الموت ويحذر من فجائه ويدعو إلى الزهد في هذه الدار الفانية ويحض على الإعراض عنها ، ونهى النفس عن اتباع الهوى ، فأسهب في ذلك كله وأضاف إليه من آي القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والآثر ما يشا كله ، حتى اذكر من حضر من الناس وخشعوا ورقوا وبكرو وضجوا ودعوا . . . وأخذ الخليفة من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود به ، فبكى وندم على تفريطه .

في مصلى الروض، وصعد الخليفة في أعلى مصانعه المرتفعة ليشارك الناس في الخروج إلى الله . وأبطأ القاضي حتى اجتمع الناس ، ثم خرج نحوهم ماشيا متضرعا مخبئا ، وقام ليخطب . فلما رأى خشوع الجمع وإخباتهم رقت نفسه وغلبته عيناه ، فسكى حيناً ، ثم افتتح خطبته فقال : « يا أيها الناس : سلام عليكم ! » ثم سكت ووقف شبه الحصر ، ولم يكن من عادته ، ونظر الناس بعضهم إلى بعض ، لا يدرون ما عراه ، ثم اندفع في خطبته ، فبز القلوب وأبكى العيون ، وكان الخليفة أشد الحضور وجلا وخشوعا ، وأغزهم بكاء وأحرم دعاء ، فلما رأى القاضي منه ذلك تهلل وجهه وقال : « قد أذن الله بالسقيا ، إذا خضع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء ، قالوا وكان كما قال ، فلم ينصرف إلى إلا عن السقيا .

وتوفي الخليفة الناصر في سنة ٣٥٠ هـ أما القاضي منذر فكانت وفاته في سنة ٣٥٥ هـ في خلافة الحكم المستنصر . وقد ظل حتى وفاته على قضاء الجماعة بقرطبة والخطابة والصلاة بجامع الزهراء .

وإن الإنسان لا يدري بأي هاتين الشخصيتين هو أشد إعجابا ؛ أبالخليفة في نبه . وسعة احتماله ، وإذعانه للحق عند وضوحه ، أم بالقاضي في عدالته ، وصراحته ، وشجاعته وشدة إخلاصه لدينه وواجبه . ألا حيا الله تلك النفوس الكبار فعلى مثلها تصلح الدول وتستقيم أمور الناس ؟

عبد الحميد العبادي

بفرش الديباج ، وجلس فيها لاهل ملكته . ثم قال لقرابته ووزرائه : « رأيتم أم سمعتم ملكا كان قبلي صنع مثل ما صنعت ؟ فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين ! » ، وإنك لأوحد في شأنك ! فبينما هم على ذلك ، إذ دخل منذر بن سعيد واجما ناكسا رأسه ، فلما أخذ مجلسه قال له ما قال لقرابته ، فأقبلت دموع القاضي تتحدر على لحيته وقال : والله ! يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ ، ولا أن تمسكته من قيادتك هذا التمكن ، مع ما آتاك الله تعالى وفضلك به على المسلمين ، حتى ينزلك منازل الكافرين ! فاقشعر الخليفة من قوله ، وقال له انظر ما تقول ! كيف أنزلني منازلهم ؟ قال : نعم ! أليس الله تعالى يقول « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارض عليها يظهرهم » : الآيات . فوجم الخليفة ، ونكس رأسه مليا وجعلت دموعه تتحدر على لحيته ، ثم أقبل على منذر وقال له : « جزاك الله عنا وعن الدين خيرا ، فالذي قلت هو الحق » ثم قام من مجلسه وأمر بتمض سقف القبة وأعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها .

وهكذا أقر الخليفة للقاضي بأنه على الحق فيما قال . وزال ما كان في نفسه من الموجدة عليه . ولكن بقي أن يرضى القاضي عن الخليفة . ولم يكن ذلك بعيدا . فقد قحطت الأندلس في آخر مدة الناصر (سنة ٣٥٠ هـ) فأمر منذرا بالخروج للاستسقاء ، فخرج ، واجتمع له الناس

صفحة مجهولة من التاريخ الإسلامي

للدكتور محمد عبد الله ماضي

الكرامات العام الجامع الأزهر

الخليفة الراضي ، ثم يعدد أصحاب الأطراف الذين استقلوا بما تحت أيديهم والدويلات التي انفصلت عن الدولة العباسية والأسر التي ظهرت لغاية سنة ٣٢٤ هـ وبمدها جميعها تقريباً ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن الأئمة الزيديين في اليمن ، مع أن دولتهم في ذلك الوقت كانت قد قامت في اليمن منذ أربعين سنة تقريباً ، أما ابن خلدون في كتابه « العبر » فقد عرف الهادي إلى الحق بالاسم وتحدث عنه في نحو عشرة أسطر ، ولكنه مع الأسف حتى في هذه الأسطر القليلة لم يورد إلا بعض المعلومات غير الصحيحة ، إذ يذكر عن الهادي أنه ولد في بلاد السند ، وأنه قدم إلى اليمن من هناك ، مع أنه ولد في المدينة وقدم إلى اليمن من جبل الرس بالقرب من المدينة ، كما تذكر كل المخطوطات اليمنية . كذلك أبو الحسن الأشعري الذي ينسب إليه مذهب الأشاعرة المعروف في العقائد ، نجده في كتابه « مقالات الإسلاميين » لا يذكر شيئاً عن زيدية اليمن .

أما قدماء الجغرافيين الإسلاميين ، أمثال شمس الدين المقدسي (محمد أبو عبد الله) في كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » وأبو القاسم بن حوقل في كتاب « المسالك والممالك » وابن رسته (أحمد بن علي) في كتاب العلاقات

إن تاريخ اليمن الزيدية يكاد يعتبر من النواحي المجهولة في التاريخ الإسلامي ، فإن الباحث في تاريخ اليمن الإسلامي إذا استقصى المراجع المعروفة عربية وأوربية ، فسوف لا يجد في هذه المراجع ما يقنى عن اليمن الزيدية . فإما نجد مثلاً الطبري ، في تاريخه المشهور ، لا يذكر الهادي إلى الحق مؤسس اليمن الزيدية إلا في إشارة عابرة تبلغ نحو خمسة أسطر من كتابه « أخبار الرسل والملوك » ، الذي يبلغ ١٥ جزءاً في طبعة ليدن .

وحق في هذه الإشارة العابرة لم يذكره الطبري بالاسم ، وإنما تحدث حديثاً عاماً عن رجال من العلويين ، كذلك أبو الفرج الأصبهاني صاحب « موسوعة الأغاني » ، ذلك الرجل الذي كان واسع الاطلاع والمعرفة نجده في كتابه « مقاتل الطالبين » لا يعرف شيئاً عن الطالبين باليمن ، فهو يصرح ويقول : « على أنه يوجد في اليمن في هذا الوقت وبنواحي طبرستان ، جماعة من آل أبي طالب قد ملكوها وتغلبوا عليها ، إلا أن أخبارهم منقطعة عنا لقلة من ينقلها إلينا ، بل لعدمهم وفقدانهم » . وابن الأثير في كتابه « الكامل » نجده يصف لنا ضعف الخلفاء العباسيين وتدهور الأحوال في الدولة العباسية في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجري ، خصوصاً في عهد

الزيدية باليمن واعتمد فيه على كتاب سيرة الهادي المخطوط لعلي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي وعلى بعض المخطوطات الأخرى؛ وهو كتاب يعتبر من الكتب القيمة في الموضوع. ولكن هذه الكتب لا تغني الباحث في تاريخ اليمن الزيدية عن الاطلاع على المخطوطات الكثيرة التي تعتبر المراجع الاصلية لتاريخ اليمن الزيدية والتي كتبها أصحابها اليمنيون الزيديون في تاريخ زيدية اليمن، مثل كتاب «الإفادة في تاريخ الأئمة السادة» للإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى ابن الحسين الهاروني الحسني المتوفى سنة ٥٤٢هـ، وكتاب «تتمة الإفادة...» لعبد الدين يحيى ابن علي القاسمي المتوفى بعد سنة ١٠٨٨هـ، وكتاب «أنباء الزمن في تاريخ اليمن» ليحيى بن الحسين بن المؤيد بالله اليمني المتوفى سنة ١١١٠هـ. وهذا الكتاب الأخير له ميزة الإفاضة في ذكر تاريخ الأئمة الزيدية والتعرض لعلاقات الدولة الزيدية بدولة الخلافة أو بغيرها من دويلات اليمن المختلفة التي عاصرت الزيديين وجاورتهم، والمؤلف فوق هذا ثقة يعتمد عليه.

وهذه المخطوطات الزيدية يوجد بعضها بمكتبات أوروبا، مثل مكتبة ليدن بهولندا، ومكتبة برلين بألمانيا، والمتحف البريطاني بعاصمة «انكلترا» ولكن أكثرها لا يزال للأسف مطموراً مجهولاً بمكتبة الإمام بصنعاء، أو بالمكتبات الشخصية عند بعض الأفراد اليمنيين، وحذا لو ساعدت الظروف على البحث عن جميع هذه المخطوطات الهامة في اليمن والعمل على إخراج بعضها، فإن

التفيسة، وأبو إسحاق الكرخي (إبراهيم بن محمد الفارسي)، في كتاب «المسالك والممالك» كل هؤلاء الأعلام لم يذكروا لنا في كتبهم عن اليمن الزيدية شيئاً يعتمد به، بل لم يذكروها إلا بإشارات عابرة. هذا هو شأن المراجع العربية أما المراجع الاوربية الحديثة التي كتبت عن اليمن مثل «أئمة صنعاء» 'a the Imams of Sana' لتريتون (Tritton) واليمن في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) لميشين فيلد (Westenfeld) فهذه وأمثالها لم تعالج الدولة الزيدية باليمن، وإنما أرخت للحكم التركي هناك، وأما ما كتبه الدكتور «انصالحى» الطبيب الإيطالي الذي عاش باليمن وكتب عنه في عهد موسوليني في كتابه اليمن (Il Yemen von Ansaldi). فإنه لم يخرج عن ملاحظات عامة عن الشعب اليمنى وجغرافية اليمن في العصر الحاضر.

ونحب أن نشير هنا إلى بعض الكتب العربية التي ظهرت حديثاً عن اليمن ولخصت لنا بعض المعلومات المختصرة عن اليمن الزيدية من المخطوطات اليمنية الزيدية مثل كتاب «تاريخ اليمن» للشيخ عبد الواسع الواسعي اليمني وكتاب «المقتطف من تاريخ اليمن» للقاضي عبد الله الجرافى، وهى كتب ولا شك مفيدة قيمة شأنها شأن كتاب «ظهور الإمامة الزيدية باليمن» (Die Entstehung des zeidietischen. Imamats in Yemen)

الذى ألفه VanA rendonk بالهولندية في سنة ١٩١٩ عن الهادى إلى الحق مؤسس الدولة

وخصوصاً اليمن الزيدية بمجولة إلى هذا
الحمد ؟ ١

أظن أن الجواب على هذا سوف لا يكون
عسيراً إذا علمنا أنه بعد أن أهملت الشؤون الإصلاحية
العامة في أخريات أيام اليمن المستقلة صاحبة الحضارة
المزدهرة ، أيام حكم الملوك الحميريين ، وبعد تصدع
سدود المياه مثل سد مأرب الذى تسبب عن تصدعه
ضياع المياه المخزونة اللازمة للرى والزراعة ، رأت
القبائل اليمنية السكيرية نفسها بعد ذلك مضطرة إلى
الهجرة والفرق فغادرت اليمن البحث عن الرزق
لأنفسها وعن المرعى لدوابها ، وهاجرت إلى عمان
وجبال السراة في عسير وإلى الحجاز والعراق
والشام ، فأنحطت بعد ذلك الحضارة والتجارة في
البلاد اليمنية ، خصوصاً بعد أن فقدت اليمن استقلالها
على يد الأحباش أولاً ، ثم على يد الفرس أخيراً ،
وأصبحت اليمن غير ذات أهمية خاصة ، وانقطعت
أخبارها إلا النزر اليسير منها ، وعاش اليمنيون
الذين لم يغادروا البلاد بعد ذلك في شبه قطعة
وعزلة ، وساعد على ذلك وعورة المسالك في الجبال
اليمنية ، وعدم وجود الطرق المعبدة بهذه البلاد .

فلما ظهر الإسلام كانت قد تكونت للعرب في شمال
الجزيرة فكرة واضحة عن بعد بلاد اليمن وانقطاعها ،
حتى أنهم أصبحوا يضربون المثل في بعد المنازل بصنعاء
عاصمة اليمن فقالوا : لا بد من صنعاء وإن طال السفر .
وأصبح ذلك مثلاً يضرب عند ما يريد
الإنسان أن يقول سوف لا تحول العقبات بيني
وبين ما أبتغيه ، وسوف لا يمنعني بعد الشقة من
الوصول إلى الهدف وإن بعد ما بيني وبينه بعد صنعاء

المؤرخ الإسلامى في حاجة شديدة لمثل هذا العمل
النافع ، وإن استبشر خيراً بما قامت به وزارة المعارف
أخيراً ، فقد أرسلت بعثة إلى اليمن استحضرت
بعض المخطوطات ووضعها تحت بحث المختصين .

وإنه لجدير بنا بعد ذلك أن نتساءل ، ما هي
الأسباب التى جعلت أحوال اليمن ، وخاصة
اليمن الزيدية ، مجولة لدى المؤرخين إلى هذا الحد
الذى يبينها ؟ خصوصاً وقد كانت اليمن في العصور
الأولى موطن الحضارة العربية القديمة ، ومقر
الملوك الملوك الدول الحميرية ، فقد كان اليمنيون القدامى
أصحاب حضارة وفن ، كما تدل على ذلك الآثار
القديمة والحفائر في بعض البلاد اليمنية مثل :
غيان ، وصُرواح ، ومأرب ، ومعين ، وظفار
وغيرها من بلاد اليمن ، هذه الآثار التى تشهد بما
وصل إليه اليمنيون القدامى من فن المعمار وإقامة
التمائيل وبناء السدود وهندسة الرى والزراعة .
وكذلك كان اليمنيون مهرة في صناعات كثيرة
مثل صناعة النسيج والدباغة وصنع السلاح
وغير ذلك ، كما كانت اليمن في تلك العصور
هى الواسطة في التجارة بين الشرق والغرب تنقل
التجارة من طريق البر على ظهور الإبل قبل نقلها
على السفن الشراعية عن طريق البحر ، وفوق هذه
الصلات التجارية كانت اليمن القديمة صلات سياسية
وتقافية مع الدول الأخرى في ذلك الوقت ، خصوصاً
مع الحبشة والفرس والروم ، كل هذا وغيره معروف
عن أحوال اليمن في العصور القديمة ، فما هو
السبب إذاً في أن أصبحت اليمن الإسلامية

فِي الْفَلَسَفَةِ وَالْعِلْمِ

الفلسفة في خدمة المجتمع

للدكتور محمد البهي
مؤلف كتاب "بعض أسئلة الفلسفة في الإسلام"

على المنهج المثالي لحياة إنسانية معتدلة لا إفراط ولا تفريط فيها ، يضع - إذا ما طبق - حداً بين مآسى الإنسان في ماضيه قبل أن تنشأ الفلسفة وبين آمال طيبة مرتقبة له في مستقبله بعد قيامها ونشأتها .

تصور الفلاسفة عند ما بدأوا عملهم الفلسفي

الفلاسفة رمزٌ لثورة الإنسان على الإنسان ، والفلاسفة حملة لواء هذه الثورة ضد المحتكرين - في نظرهم - توجيه الإنسان لا باسم الإنسانية ، والذين يرسمون بكلاتهم سلوكه في سعيه ويحددون هدفه من هذه الحياة .

وهي في الوقت نفسه عنوان في نظر الفلاسفة

المنفي إلا بعد خلع ابن الفرات في السنة التالية سنة ٣١٢ هـ حيث أذن له أن يغادر المنفي إلى مكة . ويمكننا أن نضيف إلى ما تقدم من أسباب جهل الأحوال باليمن وعدم ذكر مشاهير المؤرخين والجغرافيين الإسلاميين إلا النزر اليسير الذي لا يغني عن اليمن وخصوصاً عن اليمن الزيدية ، ويمكننا أن نضيف شيئاً آخر ، ذلك أن هؤلاء المؤرخين الذين عاش أغلبهم في عصور الدولة العباسية ومن أتى بعدهم كانوا يعتبرون أصحاب الدولة الزيدية باليمن من الذين خرجوا على دولة الخلافة ، فهم حتى وإن علموا شيئاً عن أحوال الدولة الزيدية - وهو أمر غير واضح - لا يعطونها الأهمية التي تستحقها ولا يعنون بالتأريخ لها لهذا السبب ؟

محمد عبد الله ماضي

عاصمة اليمن ، وبقي هذا المعنى في العصر الأول للإسلام ، فإننا نجد مثلاً سعد بن معاذ الصحابي الأنصاري المشهور يظهر للرسول عليه السلام خضوعه له واتباعه لأوامره مهما كلفه ذلك من مشقة فيقول له : سوف لا نقول لك كما قال قوم موسى له : فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، وإنما نقول لك سوف نقبعك ولو سرت بنا إلى بركة الغماد . وبرك الغماد هذا موضع ببلاد اليمن ، كذلك في أيام الدولة العباسية نجد هذا المعنى باقياً أيضاً ، ففي أيام الخليفة المقتدر نجد أن الوزير أبا الحسن علي بن الفرات حينما يبحث عن المنفي البعيد ليرسل إليه سلفه الذي أصبح مفضوياً عليه ، وعلى بن عيسى ، لا يجد أبعد من صنعاء عاصمة اليمن ليرسل به إليها ، فنفاها إليها في سنة ٣١٩ هـ ولم يرجع علي بن عيسى من

تصور الإنسان، إن لم يكن في واقع الامر - في العصور اللاحقة بين الفلسفة والدين، على نحو قريب مما كان بين الفلسفة عندما نشأت والقصص الديني القديم الذي عاصر نشأتها .

الفلسفة كانت إذن طرفا في الخصومة حول التوجيه، وكان عملها يتمثل في الهدم والبناء :

كانت تتجه في هدمها طبعاً إلى الميثولوجي، وتحطيم ما انطوت عليه من معتقدات ترسم حياة الإنسان القريية والبعيدة، وتوضح الوسائل التي يتجنب بها الإنسان المعتقد غضب الآلهة، ويستدر رضاه، وما كانت ترسمه قصص الميثولوجي في عباراتها الشعرية الخيالية لحياة الإنسان. كان لا يتجاوز صورة بدائية مادية، قلنا ترى فيها تمثُّل عليا، يجب على الإنسان بحكم العقيدة أن يحاكيها، فيقترب منها .

وفي بنائها كانت ترمي إلى تحديد الوجود وشرح عوالمه وأنواعه، ووضع الاسس التي يصل بها الإنسان إلى غاية الوجود كله، وهي غاية تسمح على التصورات المادية القريية المبتذلة. وعند ما ضعفت العقائد الشعبية الأولى التي كانت تصورها الميثولوجي، وسيطرت محلها الأديان السماوية، حاول نفر من الفلاسفة أن تظل الفلسفة في مهنتها الأولى، وتقف من هذه الأديان موقف الهدم والبناء، كما كان أمرها مع العقائد الشعبية وقصصها الديني: تهدم هنا وإن لم يكن ما يستحق أن يهدم، وتبنى كذلك وإن لم يكن جديد فيما تبنيه .

وباستمرار الفلسفة عن طريق هذا نفر من

أن الإنسان والجماعة الإنسانية في ذلك العهد طفت على توجيهها نزعة الاستغلال والاحتكار من أولئك الموجهين الذين احتفظوا لأنفسهم بحق المعرفة، والحديث عنها وباسمها، تلك المعرفة التي لها إذ ذاك طابع القداسة والعصمة لأنها تتصل بآلهة الكون. تصور الفلاسفة أن هؤلاء أصحاب المعرفة، في الجماعة عندئذ قد توسعوا في تحريفها أو تفسيرها تفسير المغرضين لتحقيق غايات خاصة ورغبات فردية عن طريق غير مباشر .

الفلسفة بعد نشأتها و«الميثولوجي» طرفان في الخصومة حول السيطرة على توجيه الإنسان. كلتاها تكافح الأخرى وتعمل على تقويضها في هذا المجال: تلك تشيد بعقل الإنسان وتعتمد عليه، وهذه تستوحي القول من لم في نظر المعتقد إذ ذاك عصمة وقداسة. كان على الفلسفة أن تهدم وتبنى مستقلة عما فوق الإنسان، وكان على الميثولوجي أن تقص وتروى عن لم استطاعة غير مقدرة في اعتقاد المؤمن المتدين. وعُرفت الفلسفة لذلك بالمنطق، كما عرفت الميثولوجي بالنقل، وأصبح المنطق والنقل متقابلين يدلان على اتجاهين متغايرين - على الأقل في المصدر - في توجيه الإنسان وتحديد غايته في حياته الخاصة والعامة، أو في حياته الفردية والجماعية .

وبقي المنطق. عنوان العمل الفلسفي في العهود الزمنية التالية للعهد الأول، واستمر النقل، مصطلحا على الاتجاه المتقابل، وهو الدين، بعد الميثولوجي. واستمرت الفجوة - على الأقل في

في توجيه الإنسان والجماعة الإنسانية . دعا إلى تفضيل « العقل » على « النقل » ، وشرح أن في الاعتقاد على العقل في التوجيه توفيراً لكرامة الإنسان ، وأمناً من الزلل في السلوك في الحياة : (١) ارتضى فيما بعد الطبيعة أن تكون الموجودات هناك « مُنْثَلًا » ، ونماذج لموجودات الطبيعة ، وبحكم أنها « مُثُلٌ » ونماذج ، تكون في وضع الغايات والمقاصد تتجه موجودات الطبيعة نحوها وتحاكيها في سعيها وحركاتها . والوجود الطبيعي لذلك ليس غاية في نفسه ، وما فيه لا يصح أن تقف حركات الإنسان عنده .

وبتحديد أفلاطون للوجود كله على هذا النحو ، غاير بين الفلسفة والعقيدة الشعبية ، إذ هذه تجعل من الوجود الطبيعي غاية ، وتتخذ من بعض موجوداته آلهة يقصدها الإنسان في سعيه وحركته . والآلهة في أية عبادة نهاية الوجود في نظر المعتقد . وحياة أصحاب هذه العقيدة حياة مادية ، تسيطر عليها الرغبة في المنفعة المادية ، أو دفع الضرر المادي ، ونظرتهم في أفق مادي لا تتجاوزه ، وسعادتهم وشقاوتهم مادية . ولذا توصف حياة الوثني بالبداية وعدم التهذيب أو السمو . وبهذه المغايرة التي أتى بها أفلاطون يستطيع الإنسان غير الوثني وغير المتفلسف أن يقر العقل فيما ذهب إليه هنا في وصف الوجود وتحديدته ، ولا يتابع النقل أو العقيدة الشعبية فيما تصوره بأسلوبها القصصي من حياة الإنسان وما يجب أن يتجه إليه في الوجود .

(ب) ورأى في دائرة السلوك الأخلاق أن

الفلاسفة في أن تهدم الديانات السماوية وتبنى على أنقاض ما تهدم ، أصبح الصراع الأول الذي كان في القديم بين الفلسفة والميثولوجي أشد عنفاً وأكثرتعقيداً ، بعد ما أضحى بين الفلسفة والدين . والنصر الذي أحرزته الفلسفة على الميثولوجي قديماً ، حيناً من الدهر ، لم تستطع الآن أن تقال مثله أو ما يقرب منه ، سواء في مدته وزمنه أو في كثرة المتحمسين له والمشيدين بذكره . ذلك لأن قضايا الدين السماوي لم تقف في تصوير الحياة الإنسانية عند الجانب المادي ، كما كان الأمر في الميثولوجي ، ولأنه من ناحية أخرى لم تستمر الفلسفة في تمجيد « المثالية » ، على نحو ما كانت تمجدها على عهد خصوصيتها ونزاعها مع القصص الديني والعقائد الشعبية .

وبرغم ذلك بقيت « المثالية » بين المنطق أو العقل من جانب ، والنقل أو السنة من جانب آخر ، وبين الفلسفة والدين ، ومع ذلك أيضاً بقيت محاولة الفلسفة ، كما كانت ، في أن تقنع الإنسان بأنها فيما تهدمه أو تبيته في خدمة المجتمع الإنساني : فالفلسفة المادية ، في أوضح صور الدعوة إلى الأخذ بالوجود المادي ، لا تقي في خطوة من خطواتها عن أن تقود الإنسان إلى الاقتناع بأنها لسعادته ، دون الدعوة المثالية التي تمجدها الأديان السماوية .

دعا أفلاطون إلى إنسان أفضل ، ومجتمع بشري أفضل ، أو رسم بفلسفته في جوانب الوجود هذه الصورة أمام الإنسان ، بعد ما أبان عن الخطأ أو التحريف الذي صاحب « معرفة » الكهان

فالمجتمع الفاضل هو الذى لا ترتبط سياسته بالماديات وحدها ، ولا يقاس تديره بمقياس مادي ؛ بل تسوده الحكمة والعقل ، وتغلب عليه المثالية والخير المطلق .

وأفلاطون بهذا أيضاً ، أوضح الفرق بين فلسفة تعتمد على العقل ، وبين عقيدة شعبية يصدر فيها أصحاب القول عن نقل ورواية في جانب ثالث من جوانب حياة الإنسان ، وهو جانب سيره وارتباطه بالمجتمع البشرى . وهو فرق ترجح به الفلسفة على العقيدة .

وهكذا لو نظرنا في إجمال إلى أرسطو في فلسفته لوجدناها تقوم على المثالية ، وتقتصد إلى غايات غير مادية في النهاية ، وإن بدا عليها طابع الطبيعة أو قوّم أرسطو في جعلها من وجهة نظر كثير من المؤرخين بأنه فيلسوف طبيعي ؛ إذ ما دامت له فلسفة فيما بعد الطبيعة ، وما دام له رأى في هذا الجانب من الوجود أكثر كمالاً مما في الوجود الطبيعي وقيمة علياً تزيد عما في الحياة المادية ، فهو غائى لا مادي ؛ غاية الوجود عنده في الكمال المطلق والقيمة العليا ، أى فيما بعد الطبيعة لا في الطبيعة .

عنده في فلسفته واجب الوجود ، غاية الوجود . وواجب الوجود مجرد عن المادة ومطلق عن تحديداتها . وإليه يسعى الوجود كله في حركته ، وبه ينشئ في تغيراته وتطوراته . وهدف كل موجود في تجرده عن المادة حتى يصبح شيئاً بواجب الوجود أو يصير إليه .

والإنسان - ككل موجود آخر - يجب أن

أن الفضيلة العليا في العدل ، أى في التوازن بين قوى النفس . ومظهر هذا العدل أن تسود الحكمة ، أو يسيطر العقل الإنسانى على قوى الغضب والشهوة . وجعل من الوسائل العملية لذلك أمران : الزهد والتذكر . والزهد معناه ترفع عن هذا الوجود المادى ، وتقليل في النظرة إليه ، وقلة في الأخذ منه . والتذكر موضوعه الاسمى ما بعد الطبيعة ، أو المثل والنماذج على العموم ، والخير المطلق من بينها على وجه أخص ، فإذا زهد الإنسان في الوجود المادى وصعد بفكره وتأمله إلى المثل وحاكى منها أعلاها وهو الخير المحض ، كان عادلاً أو ذا خلق فاضل .

وهو هنا أيضاً يبتعد عن تقويم الحياة المادية والوجود المادى كله على النحو الذى قومه به الميثولوجى والعقيدة الشعبية . والعقل هنا فيما رآه يفضل النقل أيضاً لدى الإنسان غير المتحيز . (ج) وفى المجتمع الإنسانى ساوقت نظرة أفلاطون إليه نظره إلى سلوك الفرد . والفضيلة التى تمثلت هناك في العدل بين قوى النفس تتمثل هنا في العدل ، بين طبقات المجتمع : فغضب النفس الفردية تساويه الطبقة المدافعة في الجماعة . وشهوتها تساويها الطبقة العاملة ، والتوازن بين الطبقتين ، وهو العدل يمثل به رجال الحكمة أو الفلسفة . والسياسة المثلى في الجماعة البشرية عند ما توضع مقاليد الأمور بيد الحكماء . والحكماء من الناس هم الفضلاء في السلوك الفردى وهؤلاء هم الذين اتجهوا بتفسيرهم إلى المثل والخير الأعلى وزهدوا في الوجود المادى .

صاحبها هو الإمام والقائد في الجماعة ، لأنه الكامل عندئذ . وتدير الكامل مؤد حتماً إلى العدالة ، وحفظ التوازن بين طبقات المجتمع . وتلك هي السعادة . ومجتمع بشري نغمه السعادة مجتمع فاضل .

وهو أيضاً هنامع أفلاطون يفايران في آرائهما ما تنقله الأساطير الدينية في توجيه الإنسان في حياة المجتمع وصلته بغيره من الناس .

نعم هنا فجوة بين الفلسفة في القديم وبين الميثولوجي أو العقائد الشعبية على عهدنا . وهنا مغايرة بين النوعين من المعرفة في تصوير الوجود ، وتحديد غاياته ، ورسم سلوك الإنسان في حياته . وهنا اختلاف في القيمة ويتبعه ترجيح أحد المصدرين في التوجيه ، سواء للإنسان الفرد أو للجماعة الإنسانية .

أما الفجوة أو المغايرة فلما ذكرنا من أن أحد الطرفين ينشد المثالية أو اللامادية ، والآخر يدور في الوجود المادي وحده . وأما ترجيح مصدر العتل هنا في التوجيه وهو صاحب الاتجاه المثالي على مصدر العقيدة الشعبية وهي صاحبة الاتجاه المادي ، فلأن المثالية صورة الحياة الراقية الملهمة ، بينما المادية رمز البدائية والطفولة الإنسانية .

لكن بعد أن سيطرت الآديان السماوية ، لم تبق هذه الفجوة ؟ أو بالتالي لم يرجح مصدر العتل مصدر النقل وهو الوحي ؟ ولم تكون الفلسفة وحدها في خدمة المجتمع ؟ . ولم لا تكون المثالية ، مقومة وراجعة أنى كانت ، في الفلسفة أم في الدين ؟ .

يتجه في حياته ، أو يجب أن تكون حركات وجوده تتجه إلى أن يصير عقلاً صرفاً أو حكمة خالصة حتى يكون مجرداً ، وبذا يشبه واجب الوجود ، أو بذلك يقترب من غاية الوجود كله وهو المجرد أو الواجب . والسبيل إلى ذلك أن يعرف ويعلم ، وتنتقل معرفته من الجزئي إلى الكلي أو من المخصص إلى العام . فإذا وصل في معرفته إلى علم المبادئ العامة ، ثم إلى علم المبدأ العام للوجود كله ، اقترب من غاية الوجود الأخيرة . والإنسان المميز هو العالم بالمبادئ العامة ، وهو الإنسان الفاضل .

ولا شك أن من يضع غاية الوجود في ما بعد الطبيعة ، ويطالب الإنسان بأن يسعى إلى هذه الغاية عن طريق العلم والمعرفة ، لا يجعل الوجود المادي غاية في نفسه ، كما لا يقوم به بأكثر من وسيلة أو من رحلة يبدأ منها إلى غيرها .

وأرسطو بذلك لا يفترق عن أفلاطون في غاية الوجود ، وكلاهما يفترق عن العقيدة الشعبية أو عن الميثولوجي في تحديد الوجود وتقويمه .

وكذا لو عرضنا لأرسطو رأيه في المجتمع الفاضل أو في السياسة الفاضلة ، لآزاه يفترق في الجوهر عن أفلاطون . إذ كلاهما يفشد وضع القيادة والزعامة السياسية وتدير شؤون المجتمع في يد الفلاسفة . فالفلاسوف بين أفراد المجتمع غاية أو صورة نهائية لتطور الإنسان ومن عداه يجب أن يتجه في سعيه وحركته ليكون شبيهه وصنوه . وإذا كان الفيلسوف غاية الأفراد ، والحكمة غاية سعي الإنسان ، فيجب أن يكون

الأسطورة والخرافة على آراء ما بعد الطبيعة ،
ويؤمن الإيمان كله بالمادة والوجود المادى فحسب ،
لأنه الاتجاه الذى يكفر بالعقل وبالدين معا
ويطمئن فقط إلى الأحاسيس المادية وما يسميه
بالتجارب الواقعية .

من حق هذا الاتجاه أن يتمرد عليه بما يشاء ،
ولكن ليس من حقه أن ينكر على الغير أن
يقومه نفسه كذلك بما يراه .

وأجدر بالزراع أن لا يكون بين الفلسفة
والدين ؛ بل بين المادية والمثالية ، أما خدمة المجتمع
فأحق بادعائها ما يوجه الإنسان إلى الاطمئنان
النفسى ، والجماعة الإنسانية إلى السلام والتكاتف .

محمد الهري

دخل رجل على الخليفة المعتمد بالله وهو جالس
بين الأمراء والوزراء وفى يده نعل فى متدليل
وقدما إلى الخليفة قائلاً : هذه نعل رسول الله !
فأخذها الخليفة ووضعها على عذبه وقبلها
من باطنها وظاهرها وأعطاها عشرة آلاف درهم ..
فلما انصرف الرجل تعجب من كان يجلس
مع الخليفة فابتسم وقال لهم :

- إنى أعلم أنها ليست نعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضلا عن أنه صلوات الله عليه لم يلبسها ولم يرها .
ولكنى خشيت إن رددته أن يخرج بين الناس ويقول :
« أتيت بنعل رسول الله خليفة رسول الله
فنهزنى ! » . فيكون الناس أميل إلى تصديقه منهم إلى
تكذيبه ! لأن من شأن العامة نصره الضعيف
وإن كان ظالماً ! فأردت أن أشتري لسانه وأصون
عرضي ! وأن هذا الذى فعلناه لأصوب وأحمد !

الدين - والإسلام بصفة واضحة - جعل غاية
الوجود فى الله . والله فى رأيه فوق الوجود المادى ،
ومنه ابتدأ الوجود كله وإليه يرد الوجود جميعه .
وسعى الإنسان فى نظر الدين يجب أن يتجه
إلى الله وحده ، وفى سبيل الله لا فى سبيل غيره .
وسلوك الإنسان الفاضل ما نشأ عن حب فى الله
وقصد به وجه الله .

والجماعة الصالحة الفاضلة هى التى تصدر فى
تصرفاتها وتديريها عما يصدر عنه الإنسان الفرد
فى سلوكه ، وتقصد فيها إلى ما يقصده الفاضل من
الانس فى عمله : حب فى الله واتجاه إلى ذات الله .
وإذا كان الدين يرى فى الله كمال الوجود كله
وخيره الصرف ، فربطه الإنسان به فى عبادته ،
وسلوكه الشخص فى حياته وتديريه وسياسته لجماعته ،
هو تحويل له عن الوجود المادى وانتقال به من
سيطرة المادية العنيفة إلى أفق المثالية الصافية .

وشتان إذن بين دين يسمو بالإنسان فى تصوير
الوجود له هذا السمو ، وبين عقيدة شعبية على عهد
الفلسفة أول نشأتها ، حرصت على أن تجعل حياة
الإنسان وسعيه فيما يحيط به من بيئة مادية فحسب
تقدم له معبودا ماديا ، وتحدد له فى السلوك
الأخلاقي غاية مادية ، يتحكم فيها الحصول على نفع
مادى أو دفع ضرر مادى .

إذا حاولت الفلسفة أن تتال الآن من الدين
تكون حقا اعتمدت على العقل والمنطق ؟ وتكون
قد هدفت إلى خدمة المجتمع ؟

إن الاتجاه الفلسفى الذى يحاول أن يهدم الدين
ليس هو الاتجاه المثالى من بين اتجاهاتها ؛ بل هو
ذلك الاتجاه الذى يحارب المثالية فى أية صورة
لها : فلسفية أو دينية . إنه الاتجاه الذى يسحب

القضاء والقدر بين القدماء والمحدثين

للككتور أحمد فؤاد الإيماني الأستاذ بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول

عن القدر ، فقال : سرّ خفي الله لا تفشه ، فقال :
يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال رضي الله
عنه : يا سائل ، إن الله تعالى خلقك كما شاء أو كما
شئت ؟ فقال : كما شاء . قال : إن الله تعالى يبعثك
يوم القيامة كما شئت أو كما شاء ؟ فقال : كما شاء .
فقال : يا سائل ، لك مشيئة مع الله أو فوق مشيئته
أو دون مشيئته ؟ فإن قلت مع مشيئته ادعيت
الشركة معه ، وإن قلت دون مشيئته استغيت
عن مشيئته ، وإن قلت فوق مشيئته كانت مشيئتك
غالبة على مشيئته .

وعلى الرغم من التهي عن الخوض في القدر ،
ظهر جماعة يقولون بهذه المقالة ، ومنهم عيلان
الدمشقي ، ومعبد الجنى ، وعنهما أخذ واصل بن
عطاء رأس المعتزلة ، بدعة القدر . فلما انفصل عن
حلقة الحسن البصرى ، وقال بالمنزلة بين المنزلتين
قيل عنه : إنه مع كفره « قدرى » فذهب ذلك
مثلا لمن يجمع بين خصلتين فاسدتين .

واهتم المعتزلة أعظم الاهتمام بمسألة حرية
الإنسان في اختيار أعماله ، حتى يصح التكليف ،
والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والثواب
والعقاب ، وحتى ينفوا عن الله الظلم ، ولذلك
عرفت هذه المشكلة عندهم بالعدل ، وسموا
لكثرة مباحثهم فيها والنظر في نواحيها ، أهل العدل

حاضر الأستاذ ، ولهم جيمس ، عالم النفس
المعروف في جامعة ، هارفارد ، عن مشكلة الجبر
والاختيار ، فقال للسامعين : إنه على الرغم من
أن هذه المسألة قد قتلت بحثا ، فلا يزال فيها جديد
يمكن أن يقال . وقد فعل مثل ذلك الدكتور
أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » ، عند ما
عرض لرأى المعتزلة في القدر ، وتأثروا بالمناقشات
الحادة التي كانت دائرة بين المذاهب المسيحية ،
أم استقلوا بالرأى ؟ فذهب إلى أن التفكير
في أعمال الإنسان سواء أكان حراً في أداها أم
مجبوراً عليها ، مما يستولى على الأذهان في كل زمان
وينتشر عند سائر الأمم ويشيع في كل دين .

واتخذت مشكلة القضاء والقدر في تاريخ
المسلمين مع اختلاف العصور صوراً مختلفة ،
ففي الصدر الأول من الإسلام كان الناس يؤمنون
بقضاء الله وقدره ويقبلون في الوقت نفسه على
اتباع ما جاء في الشرع من أوامر ونواه دون
أن يخوضوا في أسرار القدر ، ومعرفة الصلة بين
إرادة الله وقدرته وعلمه ، وبين إرادة الإنسان
وحرية . قيل إن علي بن أبي طالب سأله سائل
عن القدر ، فقال : طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال :
يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال : بحر
عميق لا تخض فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني

أو من عمل الإنسان، ثم أثبتوا القدرة المؤثرة في الأفعال للإنسان، أما الأشاعرة فقد هدموا ذلك المبدأ المنطقي، نفى عدم التناقض، وقالوا بإمكان الجمع بين قدرتين تؤثران في مقدور واحد، وبذلك يتعلق الزرع من جهة بقدرة الله وخلقه، ومن جهة أخرى بقدرة الإنسان وكسبه.

استمر معظم المسلمين على مذهب الأشاعرة زمناً طويلاً، حتى جاء الشيخ محمد عبده فقال في رسالة «التوحيد»: أما البحث فيما وراء ذلك من التوفيق بين ما قام عليه الدليل من إحاطة علم الله وإرادته، وبين ما تشهد به البهامة من عمل المختار فيما وقع عليه الاختيار، فهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه، واشتغال بما لا تكاد العقول تصل إليه، ومعنى ذلك أن الشيخ محمد عبده عاد إلى مذهب الصحابة الأولين، وإلى مذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي نهى عن الخوض في طلب سر القدر. ويريد الشيخ من المسلم أن يعتقد أمرين: أن الإنسان كاسب لأعماله حرق أفعاله، وأن «قدرة الله فوق قدرته، ولها وحدها السلطان الأعلى في إتمام مراد العبد بإزالة الموانع...»

وفي موقف الشيخ محمد عبده شيء جديد يضاف إلى رأى القدماء. حقاً نهى القدماء عن التماس الأسرار الخفية وأمور الغيب والتسليم بها اعتقاداً، ولكن الشيخ، وقد قرأ فلسفة القرنين الثاني عشر والتاسع عشر، وأطلع على مذهب «سبنسر»، بوجه خاص، فقد تأثر به وذهب مذهبه. ذلك

والعدلية. وجملة مذهبهم الذي أجمع عليه سائر المعتزلة، أن «الإنسان خالق لأفعال نفسه، ثم تعمقوا في بحث الصلة بين الإرادة الإلهية وإرادة الإنسان، وفصلوا هذا الكلام في ثلاثة أبواب هي: التوليد، والصلاح والأصلح، والتحسين والتقيح.

ولم تعجب هذه المقالة الأشاعرة، ولم يرضوا عن مذهب المعتزلة في إيجاب العدل على الله، وقالوا: الملك لله تعالى يفعل فيه ما يشاء. وهذه قصة قصيرة نذكرها لبيان الفرق الأساسي بين المذهبين. قيل: اجتمع القاضي عبد الجبار وأبو إسحق الإسفراييني عند صاحب بن عباد، فقال عبد الجبار: «سبحان من تزه عن الفحشاء»، فأجاب الإسفراييني على الفور: «سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء».

ويعرف مذهب الأشاعرة في الجبر والاختيار بالكسب. وهي نظرية دقيقة، بلغ من دقتها أن أصبح يضرب بها المثل في الخفاء، فيقال «أخفى من كسب الأشعري»، وترجع صعوبة هذا إلى مبدأ منطقي لا يسهل قبوله. فالمعروف أن منطق أرسطو يعتمد على مبدأ «عدم التناقض»، وعلى هذا الأساس أقام المعتزلة مذهبهم في حرية الإنسان بإزاء الإرادة الإلهية، وقالوا: باستحالة وجود مقدور واحد بين قادرين، فلو فرضنا أن فلاحاً زرع فداناً من الأرض، كان الزرع مقدوراً، والله والفلاح قادرين، وطبقاً لمبدأ عدم التناقض المنطقي، أو استحالة وجود مقدورين قادرين، إما أن يكون الزرع من خلق الله

« شأن من شئون الحق الأول ، ولمعة من لمعات وجهه . . إلا أن مذاهب الصوفية - كما نعرف - لا تعتمد على العقل ، بل على الذوق والبصيرة ، وهم يعتقدون في حقائقها بالكشف لا بالبرهان ، وليس لنا مع هؤلاء إقامة حجة أو مناقشة دليل . ولترجع إلى مذاهب المحدثين في نهاية القرن الماضي ومستهل القرن العشرين ، حتى الوقت الحاضر ، فإنها تحتاج إلى بسط في القول ، لأنها تضيف إلى مشكلة الجبر والاختيار أموراً جديدة لم يتناولها القدماء بالبحث . وترجع هذه الأمور الجديدة إلى ظهور علم النفس في صورة جديدة ، وإلى تقدم العلوم الطبيعية وبخاصة في مباحث السكرية والذرة ، وإلى النظرية الجديدة في المنطق ، وإلى ظهور فلسفات جديدة أخصها الوجودية .

نقل المحدثون مبحث الجبرية Fatalism إلى الحتمية Determinism ، وساد القول في القرن التاسع عشر بالحتمية العلمية ، وارتباط الأسباب بالمسببات ارتباطاً ضرورياً لا انفكاك له . وترتب على هذا الاعتقاد العلمي صراع شديد بين الدين والعلم ، حتى شاعت مذاهب الإلحاد ، غير أن الاكتشافات الأخيرة في علم الطبيعة ، أفضت إلى الشك في مبدأ الحتمية ، وإلى إفساح مجال الاحتمال Probabilité ، لا الجزم بالضرورة المطلقة القائمة على العلاقة الواجبة بين الأسباب والمسببات . وأبرز مثال لذلك ، انفلاق الذرة وتبددها ثلاثة أشعة ، يسير أحدها في مسار نحو اليمين أو نحو الشمال في الفضاء . وقد لاحظ العلماء أن اتجاه

أن « سبنسر ، يقول بوجود أمور يمكن للعقل البشري أن يعرفها ، وأخرى لا يمكنه ذلك ، ويسميا في اصطلاحه « ما لا يمكن معرفته ، Unknowable ومنها هذه الأمور الدينية التي يقول عنها الشيخ إنها من باب « الغيبيات ، وعندنا أن هذا الموقف ، ولو أنه فلسفي من جهة النظر إلى قيمة العقل ومدى معرفته ، إلا أنه يسد باب المعرفة ، ويعد في الواقع هرباً من المشكلة لا حلاً لها . وبخاصة إذا رأينا أن هناك عقولاً كثيرة لا تقنع بهذا التسليم ، وتحاول اقتحام المشكلة والهجوم عليها والنظر فيها . وقبل أن نقتفل إلى عرض مذاهب المحدثين في هذه المشكلة التي حارت فيها العقول من قديم الزمان ، نود أن نشير إلى مذهب صدر الدين الشيرازي ، الذي أخذ فيه بمذهب وحدة الوجود الصوفية . يقول في رسالة « القدر ، بعد عرض مذاهب الجبرية والمعتزلة والأشاعرة والاعتراض عليها ما نصه : « إن الموجودات على تفاوتها وترتيبها في الشرف الوجودي ، وتخالفها في الذوات والأفعال وتباينها في الصفات والآثار ، تجمعها حقيقة واحدة إلهية جامعة لجميع حقائقها ودرجاتها وطبقاتها ، إلى قوله : « لا ذرة من ذرات الأكوان الوجودية إلا ونور الأنوار يحيط بها وقادر عليها . وهو قائم على كل نفس بما كسبت ، وهذا الذي ذهبوا إليه مما أقيم عليه البرهان طبق ما شاهدوه بالبصيرة والعيان . وجملة هذا المذهب أن الله والعالم شيء واحد ، وأن الموجودات والأفعال المنسجمة في الواقع

يعلم الحركات الممكنة وكيف يرد عليها . فآله تعالى هو القوى القادر الذى خلق العالم ورسم غايته بحكمته ، ولكنه ترك الوسائل التى يسلكها الناس لبلوغ هذه الغاية لحريةهم وإمكانهم ، وسواء أسلك الناس هذه السبيل أم تلك ، فالنتيجة واحدة ، وهى محتمومة منذ الأزل .

يعتمد أنصار حرية الإرادة الإنسانية ، على فكرة الزمان المستقبل ، وكذلك يعتمد أصحاب الحتمية على فكرة الزمان ، غير أنهم يعتقدون أن المستقبل ثمرة الماضى ، وأن مستقبل المراه خاضع لتاريخه . لهذا السبب نظر الفلاسفة المحدثون ، وعلى رأسهم « برجسون » ، فى الزمان ، باعتباره حجر الزاوية فى هذه المشكلة ، فالإنسان عند « برجسون » يمتاز « بالشعور » . ويمتاز الشعور عن المادة . بخضوعه للزمان ، أى باتصال الأحداث متتابعة من الماضى إلى المستقبل .

ولما كان المستقبل مجهولاً ، لأنه يقوم على عنصر الاحتمال ، فلا يمكن معرفة الطريق الذى يسلكه الكائن الحى إلا بعد وقوعه بالفعل . ومن الغريب أن مذهب « برجسون » يتفق إلى حد ما ، بل إلى حد كبير ، مع مذهب الأشاعرة ، فهو يرى أن الذات الإنسانية الشاعرة بحريتها والى تحس . بالمدة ، أى بالجزء من الزمان ، تلتقى مع الزمان المطلق . وهذا هو الذى نقول عنه إنه شبيه بنظرية الأشاعرة فى الكسب . والتقاء الإرادة الإنسانية الجزئية بالقدرة الإلهية العامة . لقد خرج أنصار حرية الإرادة من مأزق فأدخلوا أنفسهم فى مأزق آخر أكثر إشكالاً ،

الشعاع انجماها معيناً لا يخضع لسبب ولا تحكمه ضرورة ، فقد يذهب يميناً كما يذهب شمالاً ، فهو « حر » . وما دام الأمر كذلك فالأمر يرجع إلى « الاحتمال » ، ومن هنا ظهر منطق جديد يسمى منطق الاحتمالات ، ظهرت بذوره عند الفيلسوف « لينتز » ، وتقررت أصوله فى العصر الحاضر .

وعلى هذا الأساس ناقش الأستاذ « وليم جيمس » مشكلة الجبر والاختيار ، وسعى الحرية « مصادفة » أو اتفاقاً ، وأثبت للإنسان حرية لأنه يحس بها ويعتقد فيها ، ونظر إليها من نافذة التشاؤم والتفاؤل ، وطلب من الإنسان ما دام على قيد الحياة أن « يعيش » هذه الحياة ، ويربط هذه الأصول بعضها إلى بعضها الآخر . وقد أحس « وليم جيمس » بخطورة النقد الذى يمكن أن يوجه إليه حين يحزم بحرية الإرادة ، وهو نقد أثاره القدماء ورموا به المعتزلة ، نعنى به إبعاد قدرة الله وإرادته من دائرة الأعمال الإنسانية . وقد يترتب على ذلك إنكار وجود الله ، أو الوقوع فى الشرك . ورد « جيمس » على هذا النقد بقوله ما خفاه : إذا أجزنا منطق الاحتمالات فى العالم الإنسانى ، فلماذا لا نجيز مثل هذا المنطق فى العلم الإلهى . ثم ضرب مثلاً برجلين يلعبان الشطرنج أحدهما ماهر والثانى ضعيف عاجز ، فلا ريب فى أن الماهر هو الذى سوف تتغلب قدرته فى آخر الأمر على قدرة الضعيف ، ولكنه فى أثناء اللعب لا يعلم الحركات الفعلية التى يحرك بها اللاعب الضعيف حجارة الشطرنج ، ولو أنه

هو أن عالم الإنسان عالم إمكان ، وأن طبيعة الإنسان كما يرى « هيدجار » هي اتصاله بفكرة المستقبل ، تلك الفكرة التي يفتح فيها الباب أمام الاحتمالات ، فيحس المرء معها بحريته .

ومع ذلك فهناك فلاسفة آخرون لم يأخذوا بمبدأ الحرية ، أو كما يقولون . اللابجرية ، ويرون في العالم حتمية تخضع لارتباط الأسباب بمسبباتها بالضرورة . وهؤلاء الفلاسفة من علماء الطبيعة والرياضة بوجه خاص ، ويحاولون أن يربطوا نتائج العلم الذي يشاهدونه في عالم المادة على أحوال الإنسان الذي يتميز بالحرية كما يتميز بالدين .

وقبل أن نذكر رأى المعاصرين ، نود أن نشير إلى مذهب « اسينوزا » صاحب فلسفة وحدة الوجود ، إذ له تشبيه طريف يحاول أن يقرب به إلى الأذهان ما يشيع في النفوس من إيمان بالحرية ، أو قل إنه يحاول أن يعزى الإنسان عن حريته . فهو يذهب إلى أن أعمالنا خاضعة خضوعاً ضرورياً لحتمية أشبه شيء بالضرورة الرياضية ، أو بالمعجلة التي تدور في الآلة ، فإذا أحس أحدنا بالحرية ، فإنما يشعر بذلك حين « يستمتع » بالعمل المفروض عليه . ثم قال : « لو ألقينا حجراً في الهواء ، ثم استطاع الحجر أن يفكر ، لظن نفسه حراً إذا نسي تلك اليد التي قذفت به » . يريد أن يقول إتنا كهذا الحجر ، نطن في أنفسنا الحرية ، ونفسى يد الله تعالى التي خلقتنا وأبدعت وجود سائر الكائنات .

ولنذكر الآن رأى الأستاذ « الكسندر » الذي يشبه من بعض الوجوه رأى « اسينوزا » ، لأنه

وأشد صعوبة ، وهو معنى الزمان . ولا يعتينا في الوقت الحاضر مناقشة فكرة الزمان بوجه عام إلا بمقدار اتصالها بالأعمال الإنسانية وتعلقها بالقصدرة الإلهية الأزلية . ويمكن أن نقول « الأزلية » لفهم من ذلك أن الله يتعالى عن الزمان ، وأن الماضي والحاضر والمستقبل أمور نسبية ، بالإضافة إلى هذا الإنسان المحدود الذي لم يكن ثم كان ، ويكون ثم يفسد ، ولا تستطيع نظرت أنه تحيط إلا بالماضي لأنه وقع بالفعل ، أما المستقبل فهو محتمل أو غيب ، لا يعلمه ، كما لا يدري أى سبيل سوف يسلكه .

وطلعت الفلسفة الوجودية برأى جديد ، تربط فيه بين وجود الله وبين حرية الإنسان ، وبين فكرة الزمان . وهؤلاء هم المؤلفة من أصحاب المذهب الوجودى ، لأن منهم من ألد وخرج عن أمر به . فالحرية الإنسانية عند « كركجار » Kierkegaard ضرورية لاستقامة الأخلاق والدين ، لأن وقوع المرء في الذنب وارتكابه المعصية ، يتطلب أن يكون حراً في اختيار أحد طريقين ، إما طريق الخير ، وإما طريق الشر ، والتردد في الاختيار بين الطريقين هو الذى يحدث عند المرء تلك الحالة التي يسميها الوجوديون « القلق » . وهو يرى ، كما ذهب إلى ذلك الأشاعرة من قبل ، أن أعمال الإنسان تقع بصفة عامة تحت تأثير القدرة الإلهية ، وأنها تتواء الإرادة الإنسانية المحدودة بإرادة الله المطلقة ، غير أن حجر الزاوية في فلسفة « كركجار » ، وفي فلسفة الوجوديين من بعده مثل « هيدجار » Heidegger ،

أن يتخلص أحد مما كتب عليه أو ما رسمته يد الوراثة والبيئة ، أما الذين اصطفوا المذهب المادى ، فقد أنكروا وجود الله ، ولذلك شاع فى أوربا موجة شديدة من الإلحاد ، ووقف العلم موقف عداء صريح من الدين .

حتى إذا كنا فى أواخر القرن التاسع عشر واستهلال العشرين حتى الوقت الحاضر ، أعاد العلماء النظر فى مذهب الحتمية ، وأفصحوا المجال للحرية والاحتمالات التى تقع فى المستقبل ، ولم يستقر مبدأ السبية على أساس وطيد سوى مجرد الاعتقاد به أو التسليم بصحته ، حتى لا تقف عجلة العلم ، ولكن ليس لهم من براهين كافية تقنع المتأمل بارتباط الأسباب بالمسيبات ارتباطاً ضرورياً . ونظروا فى باطن الإنسان وأقروا بحريته لأعلى أساس حجة عقلية أو برهان منطقي ، بل على أساس الشعور المباشر ، الذى يحدثننا بأننا أحرار فى سلوكنا ، وأقبلوا على الحياة يرغبون فى تحقيقها ، كما يجب أن يحققها كل رجل يحس أنه مسئول .

فهذه ظلال جديدة أضيفت إلى مشكلة قديمة ، ولكنها لم تحل فى الواقع المشكلة ، بل نحن ما نزال كما قال « نيوتن » ، كالأطفال الذين يلعبون بالحصى على شاطئ البحر . ويجهلون سر أمواجه المتلاطمة وأغواره العميقة ، ولم تتكشف لهم إلا ذرة يسيرة من حقائقه ؟

أحمد فؤاد الأهوازى

أيضاً من أصحاب المذهب الحتمى ، ولكنه يقسم الكون خمسة عوالم ، أدناها عالم الزمان والمكان ، ثم عالم المادة ، ثم عالم الحياة ، ثم عالم العقل ، ثم الله . ويخضع كل عالم من هذه العوالم للضرورة الحتمية ، ولكنه يلاحظ أن أهل كل عالم يعتقدون فى أنفسهم بالحرية حين ينظرون إلى العالم الأدنى . مثال ذلك أن الذرات فى عالم المادة إذا نظرت إلى عالم الزمان والمكان وجدته خالياً من الحرية ، وأحست الذرات فى أنفسها بهذه الحرية . والإنسان حر بإزاء عالم النبات . والله حر ، وهو المتعالى عن سائر العوالم التى تخلو من الحرية .

جملة القول أن المعاصرين لم يهدأ لهم بال حتى نظروا فى أمر القضاء والقدر فى أضواء جديدة ألقتها مصابيح العلم الحديث . وما كاد القرن التاسع يقصف حتى اشتد ساعد مذهب الحتمية ، واعتقد العلماء أن الظواهر الطبيعية خاضعة لضرورة محتومة يسرت لهم سن « القوانين العامة » ، وكذلك اعتقدوا أن أعمال الإنسان تخضع لحتمية مستمدة من ماضى كل شخص ، بحيث يمكن معرفة المستقبل فى ضوء هذا الماضى ، وطبقوا هذا المذهب ، لأعلى علم النفس فقط ، بل على المجتمع والاقتصاد والأدب ، كما فعل « تين » و « كارل ماركس » ، وقرع عن هذا التصور أمران فيما يتعلق بالصلة بين الله والإنسان ، فالذين آمنوا بوجود الله مع وجود هذه الحتمية فى ظواهر الطبيعة وأعمال الإنسان ، ارتحوا فى أحضان التناقض ، إذ لا يمكن

آراء وأحاديث

الآزهر جامعة الشرق الكبرى

للدكتور أحمد زكي بركات
رئيس مجلس قضاة أولي المغرب

فأصبح غير ذي موضوع ، إذا طوينا موضوعه ، وطوينا به بانطواء موضوعه ، ودفناه كما يدفن الرجال العظام . ولكن الأزهر فكرة ، والفكرة لا تشيخ ، ولا ينزل بها الموت كما ينزل بالرجال . إن الفكرة كالروح خالدة ، يختلف عليها الناس ، وتحل سائر الرؤوس ، وتفتي الرؤوس ، والفكرة تأتي الفناء . بل هي تتجدد كلما حلت برأس مؤات جديد . إني لا أقول بتناسخ الأرواح ، ولكنني أقول بتناسخ الفكر ، ومن الانكار ما يزداد شباباً كلما زاد بالتناسخ قدماً ، وهكذا الأزهر ، أو هذا ما أرجو أن يكون له .

الآزهر يتحول

وبدا هذا القرن الميلادي الحاضر ، القرن العشرين ، والأزهر فكرة في الرؤوس عتيقة . عاش في هذا القرن وهو ليس منه ، واتسب بالتاريخ اليه وهو أقرب انقساباً إلى سواء من القرون الماضية . وزاره الناس إجلالا ، وزاره الأقرباء والغرباء ، كما يزورون المناحف ،

الآزهر جامعة الشرق الكبرى ، وإن شئت قلت : إنه أقدم جامعات العالم التي امتدت حياتها إلى يومنا هذا ، وهكذا نود أن نحسبه لما انتهت حياة الجامعات الأخرى ، تاريخ ولادة ومجى طفولة ، فأكثر جامعات أوروبا العتيقة وجدت حقا ، وعلى ثبوت ، في القرن الثاني عشر الميلادي ، ولكن كان لها وجسود قبل ذلك ، ذهب في القدم مسافات لا يعرف على التحقيق مداها . ومهما يكن من قدم الأزهر ، طال هذا القدم أو قصر ، فهو بهذا القدم ، وعلى الاتصال المتواصل الذي كان ، صنع للإسلام ولغة الإسلام ما لا أحسب أن جامعة مثله صنعت لدين أو لغة من أديان الكون ولغاته ، فهو قدم مخوف بالإجلال والاحترام بالذي أدى وما صنع .

الآزهر فكرة خالدة

وليست صلة الأزهر بماضيه أقل من صلته بماضيه ، أو أقل من صلة سوف تكون له المستقبل . إذ لو كان الأزهر استفرغ أغراضه

على رؤوس من اختار أو يختار من عباده، وأنه كالإسلام، طريقته النظر والبصر والتعقل. وما اقتنعوا فاطمأنوا حتى لحقوا بالركب، فانتظمهم، وساروا مع السائرين.

واند وددت أنت أعرف كم أخذ الأزهر في عهده الجديد من العلم الحديث وكم ترك، وإلى أى حد صار العلم الحديث بعض فكره، وإلى أى درجة صار منطق هذا العلم، منطق سائر ضروب العرفان التي يتعاطاها الطلاب. ولكن أغثنى أن أسعى إلى عرفان هذا، أن الدرر الذي توقعت أن يقع، في صفحون الأزهر، لم يقع، والشموس التي زعمت أنها وشيكة البزوغ في آفاقه لم تبرز، أو هي لم تبرز بالكثرة التي زعمتها، وأركان الأرض التي رجوت أن تصلها أصدااء هذه النهضة المباركة مستجيبة الدعاء، ملبية النداء، ظلت لا تصلها إلا الأصدااء الضعيفة القديمة البالية.

وأسيئت للأزهر، وأسيئت لنفسى، أن أملى القديم في الأزهر لم يتحقق كما رجوته. قد يقال لى، إنه سائر في الطريق، ومن سار على الدرب وصل. فأقول لعل وعسى.

عامل الزمن

ولكن الأمر في الأشياء ليس وحده في بلوغ الغاية، ولكن في كم من الزمان تبلغ الغاية. وقد زاد الأمر خطورة في هذه العصور الحديثة، أن القرون الماضية كانت تمشي الهويثا، أما هذا

وشاقتهم تلك الخلقات التي كان يتحلقها طلابه والسامعون حول أسانذتهم بحسبانها بقايا من بعض تلك العصور البائدة. ولقد حضرت الأزهر في العقد الثاني من هذا القرن أستاذًا، ودرست فيه علوم الأحياء، وتحلق الطلاب حولي أربعائة عددًا أو يزيدون، فما وجدت الخلقات بمثابة من علم، ولا التحلق بمثابة من نظام، وكان الطلاب في ذلك الزمان أكثر إقبالا وأكثر استماعا وأجدر، إنهم صادفوا علما، أن يعوه ويستوعبوه. وكان الأزهر في تلك السنين قد بدأ يتحول. وما عثيت قط بتحوله شكلا، ولا اهتممت له. ولكن عثيت واهتممت بتحوله موضوعا. بتحول دراساته واتساعها، في الناحية التي ظلت زمانًا تناديه وتقره بأن يتبع فلا يسمع، وإن سمع فلا يلي، تلك ناحية العلم الحديث.

الأزهر والعلم الحديث

واند كان عارض هذا الاتجاه بعض شيوخ لأنهم حسبوا أن فيه الضلال. وأوهه يهب مع ريح الدبور من الغرب فأخذتهم منه رية. وأنا أحب الحذر الذي يأمن الإنسان معه الضرر، ولا أضيق بالحفاظ إلا أن يستمر على الرغم من الحجة فيكون حفاظ الماء الآسن الراكد، أو عناد الكاره في كل تحول. ولكن ما لبث أن اطمأن هؤلاء الأشياخ إلى أن الأمر ليس فيه ما يريب، وأن العلم الحديث بعض ضروب العرفان، وإنه علم من بعض علم الله، أنزله وينزله

من بقعة في الأرض لبقعة ، ومن قرن الزمان لقرن ، تبعاً للجهل الذي ساد ، وتبعاً للعلم إذا نفشى .

فتح من الله جليل

ولقد فتح الله على ابن آدم في القرنين الأخيرين فتحاً عظيماً ، فوهبه أداة للفهم حديثة خالفت كل ما كان قد سبق للفهم من أداة ، وفتحت أبواباً للمعرفة كانت مغلقة في سابق القرون . ورأينا ما وراء هذه الأبواب ساحات هائلة ، تجول فيها البصائر الإنسانية قراها واضحة بينة جلية فكاً تـمـا تراها الأبصار . إذن فتح اليوم أقدر ، بأداة الفهم هذه الحديثة ، بالعلم الحديث ، على فهم كتاب الله ، والقليل الذي صح من سنة رسول الله . ونحن أقدر من الأسلاف ، وأقدر كثيراً . وإن يكن دين ربو على العلم الحديث ، والنظر الصادق ، فالإسلام ، دون إبعاد لغيره ، هو هذا الدين . لأنه الدين الذي جادل الناس ليؤمنوا ، وجادلهم بالمنطق ، فن لم يقتنع منهم ، غلصاً ، فأمره إلى الله . ولأنه الدين الذي أغرى الناس بالنظر إلى الأرض ، وأمرهم بالنظر والتبصر في السماء ، وعرض عليهم ما عرض من شئون الخلق ، من حولهم ، ومن تحت أرجلهم ومن فوق رؤوسهم ، ليتفهموا قوانين الله ، وليتخذوا منها دعامة يدعمون بها عقيدتهم في العلم . وما العلم الحديث إلا هذا الكون مدروساً ، وإلا تلك القوانين ميوّنة مصفوفة . والعلم الحديث لا يصف

القرن والذي قبله ، والذي سوف يليه ، فامشت أو تمشى ، ولكنها جرت أو تجري ، فلا تلتفت وراءها لترى من تخلف أبدأ . والسبق هنا قوة ، والتخلف ضعف ، والضعيف مأكول ، وليس يغنى الحق أنه الحق ليعيش ، وليعز على العيش ، وليس يغنى الفكرة الصالحة صلاحها وحده لتبقى ، ولتحمّد البقاء . والأزهر فكرة لا يغنى عنها صلاحها إلا إذا هي جاهدت ونامضت ، وسارت الزمان ، وأسرعت في الخطو ، فإن لم تسبقه فلا أقل من أن تلتحقه ، وإنها للاحقة على المهمة العالية ، والإيمان الصادق وأن بعدت الآن الشقة واستطال المدى .

التجديد ريبة

ومن الناس من يكره معنى التجدد والتجديد ، ويأخذ من يقول به بالريبة ، ولا سيما في لغة ودين . لهذا أبادر فأقول : ما كل جديد صالح ، وما يطلب التجديد للتجديد وحده عاقل ، إلا أن يتروح فينتقل من روض إلى روض ، أو يتقلب من جنب إلى جنب . ولنتك كأفك لا تغير منها أو تتروح في أمر من أمورها إلا بالجراحات الكبيرة الخطيرة . والإسلام مبادئ أرساها مرسبها على صخرتين ، فهي باقية بقاء الصخر ، دائمة دوامه . ولكن الإنسان هو المتغير ، وفهمه هو المتطور ، وأداة هذا الفهم هي التي يعتريها الزيادة والتقصان . لهذا اختلفت الأمم الإسلامية في فهم الإسلام ، وفي أسلوب العبادة ، عبادة الله على الإسلام ،

من أسباب الخلاص : في باكستان ، في الهند ، في أندونيسيا ، في الصين ، في التركستان ، وفي مشارق الأرض ومغاربها . يلقبها بالأزهر ذلك الاسم الضخم الذي كان . فهل يجيب الأزهر هذا الدعاء ؟ وهل يفي باستجابة كل هذه الصرخات المتعاليات في أركان كثيرة من أركان هذه المعمورة . وهل هو بحاله الحاضرة قمين بها ؟ وهل هو من العدة بحيث يستطيع أن يجيبها وبقيها ؟ وما الذي يفتق الأزهر ليكون كل ذلك ؟ أهو العلم الحديث وحده أم هي أشياء كثيرة غير هذا ، من ظاهرة وخافية ؟

هالة للأزهر تهول

إن يد الإصلاح امتدت إلى الأزهر بالكثير ولكن هناك الكثير الآخر الذي يجب أن تمتد إليه الأيدي بالصالح .

دعوة

إن أدعو كل مفكر أن يفكر في الأزهر ، وكل كاتب أن يكتب في الأزهر ، مدرسة الإسلام الكبرى ، ليتحقق للأزهر ما يبتغيه ، وما يبتغيه له على ضوء الفكر هادٍ إن شاء الله ؟

أحمد زكي

لا يكمل عقل المرء إلا إذا استوى مدح الناس وذمهم إياه .

إذا كانت السعادة وردة فإن الأمل كامها .

من دين . ولقد مارسته فعلت أنه ، لو لم توجد الأديان التي تهدي إلى الله ، لهدى العلم إلى الله ، وحده ، وبدون كتاب . وإذن لقامت كتب العلم التي لا عد لها تهدي إلى الله .

والأزهر لا مفر له من أن يأخذ نصيبه الأوفر من هذه الاداة الحديثة للفهم ، ولاستقصاء معنى الدين ، ومعنى الكون ، ومعنى الله . والقرآن ، ومعانيه قائمة دائمة لا تبديل لها ، لا بد أن يفهم ، لا في ظل أساطير القدماء وأباطيلهم ، ولكن في نور تلك الشمس التي أرادت مشيئة الله آخر الدهر أن تطلعها مشرقة في كل جنب من جنبات هذا الوجود ، ليكون الإنسان أعون على فهم هذا الوجود وأجدى ، ولتكون إلى الله أهدى .

للأزهر واجبات

إن للأزهر حقوقاً وعليه واجبات . وواجبات الأزهر عديدة ثقيلة . وهو لا بد أن ينهض لها ، وهو لا بد أن يتخذ العتدة الحديثة لها ، القمينة بها . إن صراع الرجال في الميدان اليوم لا يكون تحاطباً ، ولا ينفع فيه السيف ولو كان مهنداً . وصراع الرجال اليوم في ميدان الفكر لا يكون كذلك تحاطباً فكرياً لأنه لا بد له من أداة العصر الحديث ، ذلك فهم الكون ، وفهم ما في الكون ، ومن بالكون ، بالعلم الحديث والمنطق الحديث .

وواجبات الأزهر لا تنحصر في مصر . إن وراء مصر أما تنظر إلى الأزهر سبياً كبيراً

العيد الألفى لمدينة القاهرة والجامع الأزهر

للأستاذ عزيز خاتكي بك

واحتفلت مدينة ليزبون عاصمة البرتغال
بذكرى مرور ثمانية قرون على تحريرها من
احتلال المغاربة .

واحتفل آباء كنيسة سانت تريز بذكرى مرور
٧٠٠ سنة على تجلى السيدة العذراء فى جبل
الكارمل الرئيس الدينى سيمون ستوك .

واحتفلت إيطاليا بذكرى مرور ٥٠٠ سنة
على مولد دكريستوف كولمبس ، الذى ولد فى سنة

١٤٥١ وقد هام من صغره بركوب البحار
نفاض المحيط الاطلنطى أربع مرات إلى أن انتهى
بكشف أمريكا فى سنة ١٥٠٤ وأمريكا الآن
أغنى وأقوى بلاد العالم .

واحتفلت إيطاليا ويشاركها فى هذا إنجلترا
وفرنسا والولايات المتحدة وبلاد أمريكا الجنوبية
بذكرى مرور ٥٠٠ سنة على مولد ليوناردو
دى فنش Leonardo De vinci الذى ولد
فى خلال سنة ١٤٥٢ وهو من أعظم الرجال
الذين أخرجتهم إيطاليا إذ اشتهر فى القرن
الخامس عشر بالهندسة والرسم والنحت والمعمار
وله فى أغلب متاحف أوروبا وأمريكا لوحات

من أروع ما أخرجته قرائح الفنانين .

واحتفلت ألمانيا فى سنة ١٩٤٩ بذكرى مرور
٢٠٠ سنة على ميلاد جوته شاعر ألمانيا الأكبر
الذى ولد فى سنة ١٧٤٩ وتوفى فى سنة ١٨٣٢

فى أبريل سنة ١٩٥١ احتفلت فرنسا بمرور
ألفى سنة على تأسيس مدينة باريس وهذه المناسبة
اعتزمت باريس لإنشاء متحف يجمع أشتات
الآثار التاريخية والصناعية والأدبية والفنية
الخاصة بباريس وهذا علاوة على ال ٨٩ متحفا
الموجودة فى باريس .

ومن بضعة سنوات احتفلت سوريا بالعيد
الألفى لأبى العلاء المعرى .

وقد احتفلت العراق فى شهر مارس سنة ١٩٥٢
بذكرى مرور ألف سنة على ميلاد الفيلسوف
الحكيم ، ابن سينا ، الذى ولد فى خلال سنة ٣٧٠
فى إحدى قرى بخارى وتوفى فى سنة ٤٢٨ بهمدان
لإحدى مدن بلاد فارس عن ٥٧ سنة - وألف
أكثر من ١٠٠ كتاب فى الفلسفة والمنطق والطب
واللغة والموسيقى والرياضات والطبيعيات
والإلهيات والأراجيز . ومع أنه عاصر تأسيس
مدينة القاهرة والجامع الأزهر فإن مصر لم تحتفل
بعيدهما إلا فى على الرغم من أن القاهرة أصبحت
عاصمة الشرق وأصبح الأزهر أكبر معهد إسلامى
فى العالم كله .

وفى هذه السنة تحتفل طائفة الاروام
الارثوذكس بالإسكندرية بذكرى مرور ألف
سنة على تأسيس مكتبتها العظيمة الضخمة
بيطريكية الاروام الارثوذكس بالإسكندرية .

واحتفلت جامعة «مكسيكو» بذكرى مرور
مائة سنة على تأسيسها، وقد اشتركت مصر
في المهرجان .

واحتفل البنك اليوناني الأهلي، بذكرى مرور
مائة سنة على تأسيسه .

واحتفلت جريدة «نيويورك تايمس» بذكرى
مائة سنة على تأسيسها .

واحتفلت فرنسا، بذكرى مرور مائة عام
على تأسيس الفرقة الأجنبية بالجيش الفرنسي
وقد أست في مارس سنة ١٨٥١

واحتفلت أمريكا بذكرى مرور مائة سنة
على تأسيس مدينة شيكاغو .

واحتفلت فرنسا في ٢٠/١٠/١٩٥١ بمرور
مائة عام على ميلاد المارشال «فوش» الذي قاد
جيوش فرنسا وجيوش حلفائها إلى النصر
في الحرب العالمية الأولى .

واحتفلت مصر بالعبد المئوي للسكة
الحديدية المصرية .

واحتفلت شركة روتر التي أسسها البارون
«بوليوس روتر» بعيدها المئوي واشتركت خمسون
دولة في المهرجان الذي دام أسبوعا كاملا وانتهى
بمأدبة جمعت ألف مدعو . وفي المأدبة تلا رئيس
الشركة رسالة وردت له من ملك إنجلترا قال فيها :
إني سعيد إذ علمت بأنكم تحتفلون احتفالا
باهرا بذكرى مرور مائة عام على تأسيس هذه
المؤسسة العظيمة . وفي صبيحة يوم المهرجان
أطلقوا مائة حمامة من الحمام الزاجل ، وكان الوسيلة

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ستحتفل إنجلترا
بذكرى مرور ٢٠٠ سنة على ميلاد الأميرال
«نلسون» أكبر أمراء البحر الانجليز .

وفي سنة ١٩٤٧ احتفلت مدرسة التورمال
العليا بباريس ، بذكرى مرور ١٥٠ سنة على
تأسيسها ، وقد احتفلت من قبل في سنة ١٨٩٧
بعيدها المئوي .

وستقيم الجمعية الزراعية الملكية في شهر مارس
سنة ١٩٥٥ معرضاً دولياً بمناسبة مرور ١٥٠
سنة على تولية محمد علي الكبير عرش مصر ،
وستدعو الحكومة المصرية جميع الدول للاشتراك
فيه ليكون أول معرض دولي يقام في مصر .

وفي سنة ١٩٥٢ ستحتفل فرنسا بذكرى
مرور ١٥٠ سنة على ميلاد شاعرها الأشهر
«فيكتور هوجو» .

وفي ٢٥ مارس سنة ١٨٢١ احتفلت اليونان
بالعبد المئوي لاستقلالها (وقد كانت تابعة
لسلاطين آل عثمان) .

واحتفلت كلية الطب في جامعة فؤاد الأول
بذكرى مرور مائة عام على اكتشاف ديدان
مرض البلهارسيا في مصر ، تمجيذا لذكرى
الدكتور «بلهارز» الألماني الذي قدم إلى مصر
في سنة ١٨٥٠ ووفّق لكشف ديدان المرض
الذي سمي باسمه . ويقال إن ١٤ مليون مصري
مصابون بهذا المرض . وقد اتخذ هذا العالم مصر
وطنا ثانيا له . وتوفي في سنة ١٨٦٢ ودفن في مقبرة
اللاتين الكاثوليك بمصر القديمة .

- التي استخدمها روتر لنقل الأخبار من بروكسيل ،
عاصمة بلجيكا إلى آخن ، من بلاد
ألمانيا .
- واحتفلت كندا بذكرى مرور ٨٤ سنة
على تأسيس نظامها الفيدرالى .
- وفى سنة ١٩٥١ احتفلت ألمانيا بذكرى مرور
٧٥ سنة على تأسيس مسرح « باريوت » الذى شيده
« فاجنر » أشهر موسيقار فى العالم .
- وقد احتفلت كلية اللاهوت بجامعة سيدنا
يوسف بيوبيلها المباسى .
- وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ تحتفل فرنسا
بذكرى مرور ٥٠ سنة على وفاة « إميل زولا »
من أكبر كتاب فرنسا .
- وفى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ احتفلت فرنسا
بذكرى مرور خمسين عاما على وفاة عالمها الأشهر
« باستور » وقد توفى فى سنة ١٨٩٥
- واحتفل فى أمريكا بذكر مرور ٥٠ عاما
على اختراع « جيليت » وهى الموسيات
الأمريكية المعروفة .
- وفى خلال سنة ١٩٢٥ احتفلت المحاكم المختلطة
بعيدها الحسينى .
- وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٣ احتفلت مصر
بالعيد الحسينى للمحاكم الاهلية .
- واحتفل كبار العلماء والادباء فى يوم
٢٠/١٠/١٩٥١ ببيروت باليوبيل الذهبى لمجلة
« العرفان » تكريماً للعلامة المجاهد الشيخ أحمد
- العارف الزين ، لمرور خمسين عاما على ظهور
مجلة العرفان .
- وفى ١٧ مايو سنة ١٩١٤ احتفلت بلاد الروم
بعيد دستورها الذى نشر فى ١٧ مايو سنة ١٨١٤
وفى خلال سنة ١٩٥١ احتفلت شركة
المترو « جولدين ماير » السينائية بعيدها
الفضى .
- واحتفل « لوريل وهاردى » الممثلان الهزليان
الامريكيان ، بذكرى مرور ٢٥ سنة على بدء
تمثيلهما فى السينما .
- واحتفلت إيطاليا بالعيد الفضى لماركونى
(١٩٢١ - ١٩٥١) .
- واحتفلت طائفة الأقباط الكاثوليك باليوبيل
الفضى الاسقى لصاحب القبطه الانبا مرقس
الثانى بطريرك الإسكندرية .
- وفى سنة ١٩٥٠ احتفلت الجامعة المصرية
بذكرى مرور ٢٥ سنة على تأسيسها .
- واحتفل فى الإسكندرية بالعيد الفضى للبطران
الرسولى « كايرو » .
- وفى النية الاحتفال باليوبيل الفضى للسينما
فى مصر .
- هذا ما جرى وما يجرى هنا وهناك .
وقد طوى الزمان - ولا أريد أن أقول
الإهمال - ذكرى مرور أكثر من ألف سنة على
تأسيس مدينة القاهرة المعزية والجامع الأزهر
الشريف ، فعسى مصر أن تحتفل فى عهد فاروقها

بالاحتفال بأول «يوبيل» على أن يتجدد هذا العيد كل مائة سنة. إلا أن البابا «كليمان» السادس عدل الأمر، وجعل الاحتفال باليوبيل كل خمسين سنة. ورأى البابا «بولس» الثانى، خفض المدة إلى ٢٥ سنة. وكان الأزواج يحتفلون بذكرى مرور خمسين سنة على زواجهم. والملوك يحتفلون بذكرى مرور خمسين سنة على استوائهم على العرش. وأصحاب المن كانوا يقتدون بهم فيحتفلون بعيدهم الخمسينى، ثم عمت العادة وتطورت، فأصبحوا يحتفلون بذكرى مرور ألف سنة ويسمونه العيد الآلى، أو مائة سنة ويسمونه العيد المئوى، أو ٧٥ سنة ويسمونه العيد المائى، أو خمسين سنة ويسمونه العيد الذهبى، أو ٢٥ سنة ويسمونه العيد الفضى. وقد احتفلت مصر فى سنة ١٩٠٥ بالعيد المئوى لمبايعة محمد على الكبير والياً على مصر. كما احتفلت إنجلترا من قبل بالعيد الخمسينى على استواء الملك إدوارد الثالث على عرش إنجلترا. (ومن المصادفات الغريبة أن هذا الملك توفى فى أثناء يوبيله)، كما احتفلت إنجلترا أيضاً فى سنة ١٨٨٧ بالعيد الذهبى لجلوس الملكة فيكتوريا على العرش خمسين سنة.

عزيز خانكى



العظيم بالعيد الآلى لتأسيس مدينة القاهرة. وعسى أن يوفق حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ عبد المجيد سليم فيحتفل الأزهر فى عهده بعيدة الآلى.

ومن أراد المزيد من البيان التاريخى لوجوب الاحتفال بالعيد الآلى لمدينة القاهرة وللجامع الأزهر، فليراجع ما كتبناه فى جريدة الأهرام فى عدد ٢٢ يونيه سنة ١٩٢٣ وتعليق المرحوم داوود بك بركات رئيس تحريرها. ثم تعقيب حضرة صاحب الفضيلة الشيخ أحمد أبو رحاب من علماء الأزهر فى عدد ٢٥ يونيه سنة ١٩٢٣ فى الأهرام نفسها. والتعليق والتعقيب أيدوا وحذا اقتراحنا. وقد كتبناه ونشرناه من قبل تمام الألف سنة بست سنوات (راجع كتابنا نفحات تاريخية، صفحة ٨ وما بعدها). وهامى ذى قد مضت ١٩ سنة على ندائنا، ومرت ١٢ سنة على الألف، ومع ذلك لم يحرك أحد ساكناً. حنانك يارب!

اليوبيل :

كلمة عبرية معناها (البوق). كان اليهود فى العصور الغابرة يحتفلون فى كل خمسين سنة بعيد الغفران. وفيه كان يغفر للذين ذنوبهم وفى من المجرمين من الجزاءات والعقوبات التى حبسوا من أجلها، وتبرأ ذم جميع المدينين من ديونهم وترد إليهم أظنانهم وأملاكهم التى تكون قد نزع منهم، وقد قلدهم التصارى فى هذا، فى سنة ١٣٠٠ أصدر «يونيغاس» بابا روما، أمراً

العِلْمُ الإسلامي في شَهْرِهِ

للدكتور محمد عوض محمد بك

التي مرت بمختلف الأفطار الإسلامية بل سنكتفي
بإسرد موجز لبعض الشئون الهامة ، التي ظهرت
في الأسابيع الأخيرة .

قضية تونس :

ليس القطر التونسي جزءاً من ممتلكات فرنسا ،
لا في عرف القانون الدولي ، ولا القانون
الفرنسي ، وإنما هو قطر منفصل عن الدولة
الفرنسية ، له ملكة جلالة الباي ، وشعبه العربي
المسلم . وكل ما يربطه بفرنسا معاهدة ترجع إلى
القرن الماضي ، اتخذت منها فرنسا ذريعة للهيمنة

على جميع شئون البلاد ومرافقها . وفي الحرب
العالمية الأخيرة فقدت فرنسا تونس وسائر بلاد
المغرب فقداً تاماً ، كما فقدت هي حريتها
واستقلالها ، واحتل العدو أرضها وديارها .
ولو تركت فرنسا لنفسها لظلت إلى اليوم خاضعة
للنير الأجنبي مسلوقة الإرادة والحرية . ولكن
تطورات الحرب ، دعت أمريكا إلى التدخل
ولإلى إرسال الجيوش الجرارة إلى بلاد المغرب ،
فلم تزل تحارب وتناضل حتى أجلت العدو
الغاصب عن بلاد مراكش والجزائر وتونس ،
ودامت الحرب في تونس نفسها شهوراً طوالاً .
أريق فيها دم الأمريكيين والهنود وجنود

تواجه كل دولة من دول العالم الإسلامي
مشكلة ليس حلها دائماً بالأمر اليسير ، وليس من
شك في أن قضية كل بلد إسلامي قضية عادلة
واضحة المعالم . ولو أن أمور العالم تجري على سنن
العدل والإنصاف لما تعدو الحل لمعظم تلك
المشاكل ، غير أن العالم لا يزال - مع الأسف -
تتنازعه الشهوات الاستعمارية ، وتُسبِّد به الآراء
الرجعية . ولذلك ظل كثير من الدول الشقيقة
تكافح وتناضل لنيل حقها المنتصب ، وتحقيق
مطالبها العادلة .

ولئن كان تضامن الأفطار الإسلامية من أهم
الوسائل لتحقيق العدل والإنصاف ، فليس معنى
هذا أن ذلك التضامن صادر عن تعصب ديني
أهوج . والبارخ خير شاهد بأن الشعوب
الإسلامية لم تكن تصدر في أعمالها في أي عصر
من العصور ، عن تعصب واستبداد . وقد شهدنا
في المؤتمرات الدولية التي أصبحت من مميزات
هذا العصر ، وقفات كريمة للدول الإسلامية ،
كانت تتوخى فيها دائماً نصرة الضعيف ، وإقامة
العدل ، حتى في المسائل التي لا تمس الإسلام
والمسلمين .

ولن يتسع المقام هنا للتعرض لجميع الأطوار

أعضاء مجلس الأمن ، على معارضة إدراج القضية أو إلى الامتناع عن التصويت . وقد كان عرض الموضوع فى يوم الثلاثاء ٢٠ من رجب (الموافق ١٥ أبريل) فوافق خمسة أعضاء على إدراج الموضوع فى جدول الأعمال . وهم : الباكستان ، وروسيا ، والصين ، والبرازيل ، وشيلي ، وعارضته بريطانيا ، وفرنسا . وامتنع عن التصويت كل من : الولايات المتحدة ، وتركيا ، وهولندا واليونان . فلم يظفر الأمر بالأصوات السبعة التى لا بد من توافقها لكى يدرج فى جدول الأعمال . وكانت هذه هى المرة الأولى التى يرفض فيها المجلس مجرد النظر فى موضوع . ولذلك أثار القرار قدراً مريباً فى مختلف دوائر الأمم المتحدة وفى الصحافة الأمريكية . وغضب له كثير من الناس فى مختلف الأقطار .

وقد زعمت فرنسا أن شئون تونس يجب أن يترك أمرها إليها وإلى حكومة الباي . وأنه ليس لأى طرف ثالث حق التدخل بينهما . وأنها على كل حال ستقوم بمفاوضات لحل المشكلة . وطلّعت الأمور لا تدل مع الأسف على أن فرنسا قد خلصت نيتها لمنح الشعب التونسى ولو حظاً مقبولاً من حقوقه للشروعة . فقد مهدت للمفاوضات بالحجر على حرية الزعماء ، أمثال السيد بورقيبه — وبغزل وزارة السيد محمد شنيق — وإحلال حكومة جديدة برئاسة السيد صلاح الدين باكوش — وكان وزير الخارجية فى هذه الوزارة فرنسياً — وتدل الشواهد على أن الدستور الجديد الذى تحبزه فرنسا قوامه مجلس نيابى يضم

المستعمرات ، ولم يبدل الفرنسيون فى ذلك سوى تفصيات تافهة . ومع ذلك لم تكف تستقر الأمور ، حتى أخذت فرنسا تحشد رجالها ، لا ضد أعدائها من الألمان وقد أجلوا عن البلاد ، بل ضد شعب تونس وأبنائها الذين لا ذنب لهم سوى أنهم يريدون أن يتألوا بحكم المعتصب وأن يوفروا لبلادهم وسائل التقدم والرفق .

ولم يكن بد من أن يثور الأحرار وأن تنهض الأمة التونسية غاضبة ، لتطالب بحقها ، على الرغم من العدو المدجج بالسلاح ، الذى لا يتردد فى الالتجاء إلى مختلف وسائل القمع والإرهاب . ولعل أصدق دليل على عدل القضية التونسية أنها نالت عطف كثير من الشعوب غير الإسلامية ، ولذلك رأينا اثنتى عشرة دولة — منها أربع دول غير إسلامية — وهى : الهند ، وبرما ، وليبيريا والفلبين ، وثمانية إسلامية ، وهى : باكستان ، وأفغانستان ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وإيران ، واليمن ، وأندونيسيا ، ومصر ، تتقدم كلها متضامنة إلى منظمة الأمم المتحدة ، مطالبة بعرض قضية تونس فوراً على مجلس الأمن .

حدث هذا فى منتصف شهر رجب . وكان السيد أحمد بخارى مندوب الباكستان هو رئيس مجلس الأمن فى تلك الدورة ، فبدل جهداً كبيراً لكى تدرج المسألة التونسية فى جدول أعمال المجلس ، وجردت دول الاستعمار أسلحتها لكى تحول دون عرض الموضوع على المجلس ، زاعمة أنها فى سبيل مفاوضة التونسيين للوصول إلى حل مرضونه ، وبذلك أمكنها أن تقنع الكثرة من

، وقد كان دائماً من المبادئ المقررة لدى الولايات المتحدة ، أنه لا ينبغي عرض مسألة على الأمم المتحدة إلا إذا عجز الطرفان المتخاصمان عن الوصول إلى اتفاق مباشر فيما بينهما ، لذلك رأت الحكومة الأمريكية أن عرض الموضوع على مجلس الأمن قد يعوق إجراء تلك المفاوضات ، ولذلك امتنع مندوبها عن التصويت .

ويحتمل الوزير خطابه بالعبارة الآتية :

« وبديهي أنه إذا غابت آمالنا في قيام تلك المفاوضات (بين فرنسا وتونس) فإن أى عضو من الأمم المتحدة حر في أن يعرض الموضوع من جديد ، وفي هذه الحال ستعيد الولايات المتحدة النظر في موقفها على ضوء الحالة القائمة حينئذ . . لا شك أن هذه العبارة الأخيرة تحمل في طياتها معنى الانذار لفرنسا ، وليس من الممكن لرجال السياسة أن يتكلموا في مثل هذا الموقف بمباراة أكثر وضوحاً وصراحة . . . ولذلك لم ترض الدوائر الفرنسية عن عبارة الوزير الأمريكي . ولكنها لن تستطيع أن تتجاهلها . أما أن يكون إحساسها باهتمام أمريكا بمسألة تونس - حافزاً للحكومة الفرنسية على أن تفتح سياسة أرقى إلى العدل والإنصاف - وأقرب إلى روح هذا العصر - فذلك ما ستكشف عنه الأيام .

مؤتمر كراتشي :

عقد في كراتشي عاصمة باكستان - مؤتمر إسلامي افتتح يوم السبت ١٦ من شعبان واستمر

تونسين وفرنسيين . وأعلن رئيس وزراء فرنسا أن ليس في هذا أى ضرر بمصالح تونس . فالمشروع الجديد لا يكاد يمدد لعهد جديد - بل هو الشراب القديم يصب في زجاجة جديدة - وطعمه الخنثى لم يتبدل أو يتغير .

ولم يكن بمستغرب والحال هذه أن يحس بعض الأمريكيين بشيء من وخز الضمير - فإن أمريكا هي التي ضحت برجالها وأموالها لتحرير فرنسا وطرد الألمان من تونس . فهل عملت هذا كله لكي تتمكن للفرنسيين من القضاء على حرية الشعوب وتسخيرها لشهوات الاستعمار ؟ رأى كثير من الأمريكيين غير ذلك . فكاتب نائب من نوابهم خطاباً إلى وزير الخارجية مستر دين اتشيسون يلوته على موقف الحكومة الأمريكية في مجلس الأمن - وهو يعد ذلك الموقف وصمة في جبين أمريكا . فرد عليه السفير الأمريكي بخطاب - أذيع نصه في أوائل شعبان - قال فيه : « أن أمريكا لم تتخذ قرارها الصعب بالامتناع عن التصويت لإدراج مسألة تونس في جدول أعمال مجلس الأمن ، إلا بعد فحص دقيق لجميع نواحي الموضوع وملابساته . فقد بدا لنا أن الفرنسيين لا يعترضون على برنامج الإصلاح في تونس يصل بالبلاد إلى الاستقلال ، وهو ما يريده التونسيون ، وإنهم على وشك الدخول في مفاوضات مع حكومة تونس لتحقيق هذا الهدف ، فرأت وزارة الخارجية أن موقف فرنسا هذا يتطوى على العطف على مطالب التونسيين . »

إلى أسبانيا .

ولا شك أن هذه الزيارة الرسمية كانت تهدف إلى تقوية روح المودة والصداقة والتعاون الثقافى والاقتصادى بقدر الإمكان بين دولتى أسبانيا وبين الأفطار العربية .

والزيارة معنى آخر ، وهو أنها بمثابة تقدير من الحكومة الأسبانية للوقف الكريم الذى وقفته الدول العربية من أسبانيا فى ميدان العلاقات الدولية . وفى الوقت الذى سلكته فيه دول أوروبا ، وبعض دول أمريكا مسلك الجفاء نحو أسبانيا ، وصحبت سفراءها ووزراءها من العاصمة الأسبانية ، ظلت البلاد العربية على صلاتها الطيبة ، مبقية على بعثاتها السياسية كاملة ، بل إن مصر رفعت مفوضيتها فى مدريد إلى سفارة . وأنشأت مصر فوق ذلك معهداً للدراسات الإسلامية فى العاصمة الأسبانية .

لجأت زيارة الوفد الأسباني بمثابة تقدير للرياسة التى سلكتها الدول العربية . ومن النعسف أن نذهب إلى أبعد من هذا ، وأن نغلو فتوهم أن هنالك أغراضاً سياسية أو ، تسكتلية ، وراء تلك الزيارة . ولا شك أن أسبانيا تدرك أن البلاد العربية لا يرضيها من أسبانيا شيء أقل من أن تعمل حكومتها على تحرير شعب مراکش الحليفية . ولا نظن أن الساسة العرب قد فاتهم أن يشيروا إلى ذلك فى أحاديثهم مع الوفد الأسباني فإن هذا وحده هو العمل الذى يؤدى إلى زيادة الصداقة والمودة بين الشعوب العربية ودولة أسبانيا .

إلى نهاية الأسبوع . وهو ليس مؤتمراً دولياً ، إذ لم تشارك فيه الدول الإسلامية بصفة رسمية ، وقد دعيت إليه الهيئات الإسلامية الحرة . وعقد المؤتمر تحت إشراف منظمة شعوب المسلمين وزعيمها السيد جودرى خلىق الزمان ، الذى دعا إلى عقد المؤتمر . وغرضه زيادة توثيق الروابط بين الأفطار الإسلامية . وقد أرسلت بعض الهيئات المصرية مندوبين عنها إلى ذلك المؤتمر ، فأناحت هذه الاجتماعات فرصة لهم لىكى يتعرفوا على بلد إسلامى ناهض يقوم بدور إيجابى حازم فى الشؤون العالمية والميادين الدولية .

وفى أواخر رجب الماضى ، حضر وفد من علماء باكستان ومن بينه الأمين العام لمنظمة شعوب المسلمين ، إلى القطر المصرى ، وتشرفوا بمقابلة فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر . ملتسعين أن يمثل الأزهر مندوب فى المؤتمر المذكور . وقد أكد لهم فضيلة الأستاذ الأكبر أنه شديد الحرص على توثيق الروابط بين الشعوب الإسلامية . وأنه لاحظ تعدد المؤتمرات الإسلامية ويأجها لوان هذه الهيئات وحدت كلمتها ونظمت صفوفها ، فتكون بذلك أقدر على تحقيق أهدافها . أسبانيا والعالم العربى :

فى الأسابيع القليلة الماضية طاف وفد من إسبانيا بالبلاد العربية ، مبتدئاً بلبنان وسوريا ثم العراق والمملكة الأردنية ، ثم المملكة العربية السعودية . وكان آخر الزيارة لأرض السكناة ، حيث أقام الوفد بضعة أيام ، ثم غادرها فى الرابع والعشرين من رجب عائداً

مَا يَقُولُ الْإِسْلَامُ

موقف الإسلام من الرق

للكنوز على عبد الواحد وإفي بك
وكيل كلية، وآداب جامعة فزاوادل

مرة واحدة : لأن محاولة كهذه كان من شأنها أن تعرض أوامر للشرع للتحالفة والامتهان . وإذا أتيج لهذا المشرع من وسائل القوة والقهر ما يكفل به إرغام العالم على تنفيذ ما أمر به ، فإنه بذلك يعرض الحياة الاجتماعية والاقتصادية لهزة عنيفة ، ويؤدي تشريعه إلى أضرار بالغة لا تقل في سوء مغبتها عما تعرض له حياتنا في العصر الحاضر ، إذا ألغى بشكل فجائي نظام البنوك أو الشركات المساهمة ، أو حرم استخدام العمال ، وقضى على كل مالك أن يعمل بيده ، أو بطل استخدام السكك الحديدية ، أو استخدام البخار ، فالريق كان بخار الآلة الاقتصادية في تلك العصور .

لذلك أقر الإسلام الرق ، ولكنه أقره في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج ، بدون أن يحدث ذلك أي أثر سيء في نظام المجتمع الإنساني ، بل بدون أن يشعر أحد بتغيير في مجرى الحياة والوسيلة التي ارتضاها للوصول إلى هذه الغاية من أحكم الوسائل وأبلغها أثراً وأصدقها نتيجة . وهي تمثل من جهة ، في العمل على قضيق الروافد التي كانت تمد الرق وتنفيذه

أخذ كثير من باحثي الفريجة على الإسلام أنه أباح الرق ، وأن في هذا هدماً لأعظم ركن من أركان الحرية الإنسانية : لأن حالة الرق تجعل الشخص قاصراً من الناحية المدنية ، وتحول بينه وبين مباشرة أي عقد أو القيام بأى التزام ، وتنزع عنه أهلية التملك ، بل تجعله هو نفسه عموماً لغيره ، وتنزله من بعض النواحي منزلة السلعة يتصرف فيها السيد كما يشاء .

وردنا على هؤلاء يتلخص في نقطتين : إحداهما أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تكتنف العالم في العصر الذي ظهر فيه الإسلام ، كانت تحتم على كل شارع حكيم أن يقر الرق في صورة ما ، وتجعل كل محاولة لإلغائه إلغاءً سريعاً مقضياً عليها بالإخفاق . وثانيتهما أن الإسلام لم يقر الرق إلا في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج .

ظهر الإسلام في عصر كان نظام الرق فيه دعامة ترتكز عليها جميع نواحي الحياة الاقتصادية ، وتعتمد عليها جميع فروع الإنتاج في كثير من أمم العالم . فلم يكن من الإصلاح الاجتماعي في شيء أن يحاول مشرع تحريره تحريماً تاماً

وكانت هذه الروافد تضاف في تيار الرق كل يوم بآلاف مؤلفة من الأنفس، حتى إن عدد الأرقاء كان يزيد في كثير من الأمم على عدد الأحرار زيادة كبيرة.

جاء الإسلام وروافد الرق على هذه الكثرة والنزارة والقوة فخرمها جميعاً، ما عدا رافدين اثنين، وهما رق الوراثة وهو الذي يفرض على من تله الرقيقة، ورق الحرب وهو الذي يفرض على الأسرى. وعهد إلى هذين الرافدين نفسيهما بقيودهما بقيود تكفل نضوب معيّنهما بعد أمد غير طويل.

فن أم القيود التي قيد بها رق الوراثة أنه استثنى منه أولاد الرقيقات من أسيادهم، فقرر أن ما تأتي به الجارية من سيدها يولد حراً إذا اعترف به السيد^(١). وإذا لاحظنا أن الغالب في أولاد الرقيقات أن يكونوا من أسيادهم أنفسهم، لأن الأغنياء ما كانوا يقتنون الجوارى إلا لامتعتهم الخاصة، تبين لنا أن هذا القيد الذي قيد به الإسلام رق الوراثة كفيل بالعمل على اقراض هذا المورد نفسه ونضوب معيّن بعد أمد غير طويل.

ومن أم القيود التي قيد بها للمورد الثاني وهو رق الحرب أنه استثنى منه الذين يؤسرون

وتكفل بقائه، ومن جهة أخرى في توسيع المنافذ التي تؤدي إلى العتق والتحرير. وبذلك أصبح الرق أشبه شيء بمجدول كثرت مصباته، وانقطعت عنه موارده التي يستمد منها الماء، وخلق بمجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف. وبذلك كفّل الإسلام القضاء على الرق في صورة سلبية مادية. وأتاح للعالم فترة للانتقال يتخلص فيها شيئاً فثباتاً من هذا النظام.

كانت روافد الرق في العصر الذي ظهر فيه الإسلام كثيرة متنوعة أهمها سبعة روافد: (أحدها) الحرب بجميع أنواعها، فكان الأسير في حرب أهلية أو خارجية لا يخرج مصيره عن القتل أو الاسترقاق. و (ثانيها) القرصنة والخطف، فكان ضحايا هذه الاعتداءات يعاملون معاملة الأسرى، فيفرض عليهم الرق. و (ثالثها) ارتكاب بعض الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا، فكان يحكم على مرتكب واحدة منها بالرق لمصلحة الدولة أو لمصلحة المجنى عليه أو أسرته. و (رابعها) عجز المدين عن دفع دينه، فكان يحكم عليه بالرق لمصلحة دائته. و (خامسها) سلطة الوالد على أولاده، فكان يباح له أن يبيعهم يبيع الأرقاء. و (سادسها) سلطة الشخص على نفسه فكان يباح للعموز أن يتنازل عن حريته ويبيع نفسه لقاء ثمن معين. و (سابعها) تناسل الأرقاء، فكان ولد الرقيقة يولد رقيقاً ولو كان والده حراً.^(٢)

(١) انظر تفاصيل هذه الموارد والأمم التي كانت تستعملها، في كتابين لي بالغة الفرنسية طبعاً في باريس سنة ١٩٣١: «الحالات المولدة لرق»، صفحات ٩٩ - ١٣٩ و «الفرق بين رق الرجل ورق المرأة»، صفحات ٢٥٤ - ٢٨٩.

(٢) انظر ذائع الصانع للكاظم، الجزء الرابع صفحتي ١٢٤، ١٢٥ (طبعة الغمامي ١٩١٠)، و المبدئي على القديري صفحة ٢٦٦ (الطبعة الأدمرية ١٩٢٧). - وقد استثنى الإسلام كذلك من هذا المورد من تأتي به المدبرة والمكاتب وأم الولد بعد التدبير والمكاتب والاستيلاء، على ما سيأتي بيانه.

فيها^(١) . — وحتى مع توفر هذه الشروط فإن الإسلام لا يجعل الرق نتيجة لازمة للأسر بل يتيح للإمام أن يمن على الأسرى بدون مقابل ، أو يطلق سراحهم في نظير فدية أو عمل يؤدونه ، أو في نظير أسرى من المسلمين عند العدو ، أو في نظير جزية تفرض على رءوسهم^(٢) بل إن القرآن قد تحاشى أن يذكر الرق من بين الأمور التي يباح للإمام أن يعامل بها الأسرى ، واقتصر على ذكر المن أو الفداء ، قال تعالى : (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثمتهم ففدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها)

(١) انظر تفاصيل هذه الأحكام في الجزء السابع من البدائع صفحات ٩٧ - ١٤٢ ، والميداني على القندوري صفحات ٢٦٧ - ٢٨٤ ، وحاشية الشرقاوى على شرح التحرير لوكريا الأنصاري (مذهب القاضى) جزء ثان ٢٧٤ - ٤٠٣ (طبعة دار المكنب ١٢٩٢ هـ) ، وحاشية السوق على الشرح الكبير للدوير على متن خليل (مذهب مالك) جزء ثلث ١٧٢ - ٣٠٨ (المطبعة الأزهرية ١٩٢٧) ، ومحمد الخطرى بك ، تاريخ التشريع الإسلامى ١٧٠ - ٦٧ ، ومؤلفى بالفرنسية عن الحالات المولدة للرق صفحتى ١٣٨ ١٣٩ .

(٢) انظر الميداني على القندورى ٣٧٠ ، ٣٧٩ ، والبدائع جزء سابع ١٠١ ١٠٢ ١١٠ ١١٩ ١٢٠ ٢١٩ ، والشرقاوى على التحرير ، جزء ثان ٣٧٦ ٣٧٧ ، والسوق على الشرح الكبير جزء ثان ٣٨٤ ، والشيباني على شرح [مذهب ابن حنبل] جزء أول ص ٢٦ [المطبعة الخيرية ١٣٢٤ هـ ، والآلوسى على القرآن جزء ٤٦ صفحتى ٤٤ ٤٧ ، والطبرى على القرآن جزء ٢٦ ص ٢٧ ، والطبرى على القرآن جزء ٢٦ ص ٢٧ والخطرى ، تاريخ التشريع ٥٩ ٦٠ ٦١ والنزواتى سيرة ابن هشام ، والشرقاوى على الزيدى على البخارى جزء ثان ٣٥ ٣٦٦ وثالث ١٢٠ ١٢١ ١٤٩ ١٤٨ . — وانظر مؤلفنا بالفرنسية ١٢٩ — ١٣٥ والمراجع المنورة عنها في هذه الصفحات وملحقاتها .

في حرب بين طائفتين من المسلمين ، فهؤلاء لا يضرب عليهم الرق ، سواء أكانوا من الطائفة الباغية أم من الطائفة الأخرى^(٣) ، أما الحروب الأخرى وهى التى تكون بين المسلمين وغيرهم فلا تؤدى إلى رق من يؤسرون فيها إلا بشروط كثيرة ، من أهمها أن تكون الحرب شرعية أى يجيزها الإسلام وتنفذ وفق قوانينه ويملكها خليفة المسلمين . ولا يكاد الإسلام يبيح الحرب إلا في ثلاث حالات : حالة الدفاع . قال تعالى : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » ؛ وحالة نكث العهد والسكيد للدين الإسلامى ، قال تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » ؛ أو حيث تقتضى ذلك اعتبارات تتعلق بسلامة الدولة والقضاء على الفتنة ، قال تعالى « وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » . ولم تتجاوز حروب الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الحالات ، سواء في ذلك حروبه مع العرب وحروبه مع اليهود وحروبه مع الروم . — فإذا لم تكن الحرب مشروعة بأن أعلنت في غير الحالات السابقة ، أو لم تنفذ وفق المناهج التى وضعها الإسلام ، أو لم تكن معلنة من قبل الخليفة ، فإنها لا تؤدى إلى رق من يؤسرون

(٣) انظر الميداني على القندورى صفحتى ٣٨٤ ٣٨٣ ، وبدائع الصنائع للكاساني ، الجزء السابع صفحة ١٤١ ومؤلفى بالفرنسية عن الحالات المولدة للرق صفحتى ٢٨ ١٢٩٦١ .

وديفة معقدة كل التعقيد ، وبعضها كان يفرض على السيد ، فضلا عن هذا كله ، غرامة مالية كبيرة يدفعها للدولة ؛ لأن العتق كان يعد تضييعاً لحق من حقوقها ^(١) .

جاء الإسلام وهذه حال العتق في ضيق منافذه وقسوة شروطه ، فخطم كل هذه القيود ، وفتح للأرقاء أبواب الحرية على مصراعها ، وأباح لتحريرهم آلافاً من الفرص ، وتلّس للعتق من الأسباب ما يكفي بعضه للقضاء على نظام الرق نفسه بعد أمد غير طويل .

فجعل الإسلام من أسباب العتق أن يجرى على لسان السيد في أية صورة ، لفظ يدل صراحة على عتق عبده ، سواء أكان قاصداً معنى هذا اللفظ أم لم يكن قاصداً له ، بأن جرى خطأ على لسانه ، وسواء أكان جادا في إصداره أم كان هازلا ، وسواء أكان مختارا أم مكرها عليه ، وسواء أكان في حالة عادية أم فاقداً لرشده بفعل الخمر وما إليها من المخمرات ^(٢) . ومن هذا يظهر أن الإسلام بتلّس أو هي الأسباب لتحرير الأرقاء . ومن أسباب العتق كذلك ان يجرى على لسان

ومن هذا يظهر أن الإسلام قد سلك حيال الرق عن طريق الأسر المسلك نفسه الذي سلكه حيال الرق الوراثي . فقد قيده بقيود تكفل القضاء عليه . فهو لم يجعله نتيجة لازمة للأسر ، بل جعله مسلکا من المسالك التي يصح أن يتخذها الإمام ، ولم يرغب فيه ، بل رغب في غيره وفضله عليه . على أنه لم يجرى الالتجاء إليه إلا بشروط لا تكاد تتوفر إلا في الحروب التي اضطر إليها الإسلام في مبدأ ظهوره . أما بعد استقراره وتنظيم العلاقات بين أممه والأمم الأخرى ، فيندر أن تتوفر هذه الشروط . ومعنى هذا : أن الإسلام لم يبيح هذا النوع من الرق إلا لأجل معلوم .

هذا ما فعله الإسلام حيال روافد الرق ، قضى عليها جميعاً ما عدا رافدين اثنين ، وقيد هذين الرافدين بقيود تكفل لفضوب معينهما بعد أمد غير طويل .

وأبلغ من هذا كله في الدلالة على حرص الإسلام على مبادئ الحرية هو ما سلكه حيال العتق وتحرير الأرقاء .

كانت منافذ العتق قبل الإسلام ضيقة كل الضيق فلم تكن له إلا سبيل واحدة ، وهي رغبة المولى في تحرير عبده ، فبدون هذه الرغبة كان مقضياً على الرقيق أن يظل هو وذريته راسفين في أغلال العبودية أبد الآبدين . هذا إلى أن معظم الشرائع كانت تحظر على السيد أن يعتق عبده إلا في حالات خاصة وبشروط قاسية ، وبعد إجراءات قضائية

(١) أنظر في تفصيل ذلك

Wallan : L'Histoire de L'Esclavage dans L'Antiquité, T. I, 334-357 ; T. II. 385-439.

(٢) هذا فيما يتعلق بالألعاظ الصريحة في العتق ، أما الألعاظ التي تستخدم كناية فتشترط بها النية ، وما ذكرناه هو مذهب أبي حنيفة النعمان ، أنظر اليدائع ، الجزء الرابع ص ٤٦ وتوابها ، والمبدئي على القندوري ٢٦٣ وتوابها ،

بعد ذلك بولد من غير سيدها يسرى حكمها عليه، فيعتق معها بعد وفاة السيد^(١).

ومن أسباب العتق في الإسلام كذلك أن يكتب السيد عبده، أى يتفق معه على أن يعتقه إذا دفع له مبلغاً من المال. وقد ذلّل الإسلام لهذا النوع من العبيد جميع وسائل الحصول على المال في صورة تدلّ أوضح دلالة على شدة حرمة على الحرية، فأباح لهم أن يتصرفوا تصرف الأحرار، فيبيعوا ويشترى ويتاجروا ويعقدوا العقود، حتى يستطيعوا أن يجمعوا المبالغ التي كوتبوا عليها فتنحرر رقابهم. وحث جميع المسلمين على مساعدتهم والتصدق عليهم، فقال تعالى: «والذين يبتغون الكتاب عما ملكت أيمانكم فكاوتهم إن علمتم فيهم خيراً، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم». ولم يكتف الإسلام بذلك بل خصص جزءاً من مزاينة الدولة لمساعدتهم وتخليصهم من الرق كما سيأتى بيان ذلك. ويدلّ ظاهر القرآن في الآية التي ذكرناها على أنه لا يصح للسيد أن يمتنع عن قبول المكاتبه، متى أبدى العبد رغبته في تحرير نفسه لقاء مبلغ يدفعه. وقد سأل ابن جريج عطاء بن أبي رباح،

السيد في أى صورة لفظ يفيد «التدبير» أى يدل على الوصية بتحرير العبد بعد موت سيده. فبمجرد أن تصدر من السيد عبارة تفيد هذا المعنى تصبح الحرية مكفولة للعبد بعد وفاة سيده. وقد اتخذ الإسلام جميع وسائل الحيلة لضمان الحرية لهذا النوع من العبيد. فحظر على السيد في أثناء حياته أن يبيع عبده المدبر أو يرهنه أو يهبه، أو يتصرف فيه تصرفاً ينقل ملكيته إلى شخص آخر. وإذا كان المدبر جارية يسرى حكمها على من تلده بعد تدبيرها؛ فيعتق معها بعد وفاة سيدها، أقر ذلك ورثته أم لم يقره^(٢).

ومن أسباب العتق في الإسلام كذلك أن يأتى السيد من جاريته بولد يعترف ببنوته، ففي هذه الحالة يعتبر الولد حراً من يوم ولادته، كما ذكرنا ذلك فيما سبق، وتصبح الأم نفسها حرة بعد وفاة سيدها. وقد اتخذ الإسلام لضمان الحرية لهذا النوع من الرقيقات، الاحتياطات نفسها التي اتخذها حيال النوع السابق. وإذا جاءت «أم الولد» (وهذا هو الاسم الشرعى الذى يطلقه الفقهاء على كل رقيقة من هذا النوع)

(١) انظر تفصيل هذه الأحكام في المبدائى على القدورى ٢٦٦ وتوابها ٤، والبدائع ٤، الجزء الرابع ١١٢، وتوابها ٤، والدسوقي على الدرر على خليل ٤، جزء رابع ٢٨، وتوابها ٤، والشرقاوى على التحرير، جزء ثان ٤٩٢، وتوابها ٤، والهيدينى على مرعى ٤، جزء ثان ١٥٤، وتوابها ٤. وانظر كذلك مؤلفنا بالفرنسية صفحة ٣٣، ٣٣٠، ٣٣٢.

(٢) انظر تفصيل هذه الأحكام في المبدائى على القدورى ٢٦٧ وتوابها ٤، والبدائع ٤، جزء رابع ١٢٣، وتوابها ٤، والشرقاوى على التحرير، جزء ثان ١٩٤، وتوابها ٤، والهيدينى على مرعى، جزء ثان ١١٧، وتوابها ٤، والدسوقي على الدرر على خليل جزء رابع ٤٠٧، وتوابها ٤. وانظر كذلك مؤلفنا بالفرنسية صفحة ٣٣.

وجبت عليه كفارة من هذه الكفارات ولم يكن يملك عبداً ، وجب عليه أن يشتري عبداً ويعتقه متى كان قادراً على ذلك .

وبجانب هذا كله جيب الإسلام إلى الناس تحرير الأرقاء ، وجعله أكبر قرينة يقرب بها المؤمن إلى الله تعالى ، حتى إن النبي عليه السلام ليضرب به المثل في جلال العمل وعظم الأجر ، فيقول : « من فعل كذا فكأنما أعتق رقبة » أو « يكون ثوابه عند الله ثواب من أعتق رقبة » . ولم يكف الإسلام بهذا كله ، بل خصص كذلك سهماً من مال الزكاة ، أى جزءاً من ميزانية الدولة ، في الإنفاق على تحرير الأرقاء . أى شرائهم وعتقهم ، ومساعدة من يحتاج منهم إلى مساعدة في سبيل تحريره ، كالمكاتبين ومن إلهيم ، فقال تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب ، أى في فك قيود الرق عن رقاب الأرقاء . والمقصود بالصدقات في الآية ، الزكاة التي كان يتألف منها أم جزء من موارد الدولة .

ومن هذا يظهر صدق ما قلناه من أن الإسلام يُقر الرق إلا في صورة تؤدي هي نفسها إلى القضاء عليه بالتدريج ؛ وذلك بأن ضيق روافده ، بل لم يسمح ببقائها إلا لأجل معلوم ، ووسع منافذ العتق إلى أبعد الحدود . وبذلك أصبح الرق كما قلنا أشبه شيء بجدول كثرت مصبانه وانقطعت عنه منابعه التي يستمد منها الماء ؛ وخلق بجدول هذا شأنه أن يكون مصيره إلى الجفاف ؟

على عبد الوارث

فقال : « وأوجب على إذا طلب مني مملوك الكتابة أن أكتبه » ، فأجابه بقوله : « ما أراه إلا واجباً » ، واستدل بالآية الكريمة السابقة . وإذا كان المكاتب جارية سرى حكمها على من تلده بعد مكاتبها ؛ فيعتق معها بدون عوض بمجرد أدائها المبلغ الذي تعافتت مع سيدها عليه ، سواء أرضى السيد بذلك أم لم يرض به ^(١)

وفضلاً عن هذا كله ، فقد عمد الإسلام إلى طائفة كبيرة من الجرائم والاختلاء التي يكثر حدوثها ، وجعل كفارتها تحرير الأرقاء : لجملة تكفيراً للقتل الناشئ عن خطأ وما في حكمه ، قال تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » ، ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة . . . ؛ وللحنت في البين ، قال تعالى : « لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة » ؛ وللإفطار في رمضان ؛ وجعله وسيلة لمراجعة الزوجة إذا أوقع عليها زوجها ظهاراً ، أى قال لها : أنت على كظهر أمي ، قال تعالى : « والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتأسا » . وتقرر الشريعة القراء أن من

(١) انظر تفصيل أحكام المكاتب في المبدئي على القنوي ص ٢٧ وتوابها ؛ والبدائع جزء رابع ص ١٢٣ وتوابها ؛ والشرقي على التحرير ، جزء ثالث ص ٥٠٨ وتوابها ؛ والشيباني على مرقى جزء ثان ص ١٠٧ وتوابها ، واللسوق على القنوي على خليل جزء رابع ص ٢٨٨ وتوابها . ومؤلفي بالفرنسية ص ٣٣ وتوابها .

مَائِقَاتُ الْعَنْتَرَةِ

تمهيد :

تتغير نزعتهم في الكتابة ، وإن لم تفتر رغبتهم في السكيد ، فاستبدلوا خطه بخطه ، وصارت كتاباتهم في الأكثر تدور حول حركات النهوض في العالم الإسلامي . وتبين أغراضها ومدى ما يرجي لها من نجاح ، وهم يهتمون بهذا الأمر اهتماماً شديداً يزداد يوماً بعد يوم ؛ وهم يتناولون النظم الإسلامية ، وحياة المجتمع الإسلامي ، ويعنون بمسائل يظنونها من مواطن العيب في الحياة الإسلامية ، ويبالغون في تصوير ما يزعمون فيها من عيب ، كالرق مثلاً ، وكركر المرأة في الأسرة والمجتمع ، وكتعدد الزوجات ، والطلاق ، وما إلى ذلك مما يزعمون عن قصد أو عن جهالة ، وترام إذا ألفوا كتباً عن الإسلام يوهمون القارئ بما يشبه أن يكون له سمة التحقيق العلمي ، وما هو في الواقع إلا ما يمتعنونه من المزاعم أن يكون ، ولو بعد كل البعد عن الحقيقة ، إلا فئة قليلة منهم يكتبون عن بيئة ، وقد فهموا حقيقة الإسلام وقدره حق قدره .

وسنعرض في هذه الصفحات ما تقع عليه مما يقول هؤلاء وهؤلاء في كتبهم ومجلاتهم ، لنُدفع الشبه ونصوب الأخطاء وتداع المحامد .

المسعودي ونزهة المسعودي ونجاة المسعودي : لا تكاد تخلو مجلة تعنى بالشرق أو كتاب حديث عن الإسلام ، من إشارة طويلة أو قصيرة

كان أكثر ما يكتب عن الإسلام من عهد ليس ببعيد ، مبعثه الرغبة في محاربته ليس غير ، فكان المستشرقون من المبشرين وغير المبشرين يفترون على الإسلام ما ليس منه ، مثل : هانوتو ومرجليوث والقس زوي و أمثالهم ، فإذا أشرق عليهم بنوره وتحدثهم بآياته جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ، وراحوا يلقون بحاسنه مساوئ ويتخذون من حججه عليهم ، ما يزعمونه حججاً لهم ، وكانوا يتناولون في أكثر ما يكتبون حياة الرسول صلوات الله عليه ودعوته وجهاده ، ويتناولون العقيدة الإسلامية في كثير من السفه والحقد ، وينعون على الإسلام ما يزعمونه من تعصب وجمود أهله ، إلا نفراً قليلاً منهم كتبوا يريدون الحق ، وإن لم تخل كتاباتهم أحياناً من الخطأ ، ومن أبرز هؤلاء في القرن الماضي المؤرخ الإنجليزي الشهير دجيبون . في كتابه العظيم (ضعف الدولة الرومانية وسقوطها) والعيلسوف الكبير «توماس كارليل» في كتابه (الابطال وعبادة البطولة) وفي القرن الحالي د . ه . ح . ولز . في كتابه (معالم تاريخ العالم) .

ثم أيقن المبطلون أنهم بهذا لن ينالوا من الإسلام شيئاً . وأكبر الظن أنهم اليوم يحجلون مما سلف لهم من لاجاجة ، لذلك بدأت منذ سنوات

أما عن المسألة الأولى ، فإننا وإن لم يك المجال هنا مجال الرد المفصل ، نميل إلى الاعتقاد بأن المسلمين المناهوتين في دينهم خليقون بأن يفهمهم أساليب الحياة الأوروبية ، ولن يمكسهم في مزلق القتة إلا استمساكهم بدينهم ؛ ولقد ردت مجلة « العالم الاسلامي » ، على هذه المسألة بقولها : إن المسلمين جديرون بأن يأخذوا بهذه الأشياء في حياتهم ويقيمون مع ذلك على ولائهم لدينهم ، وأن المسلمين أشد استمساكا بدينهم اليوم عما كانوا قبل أعوام ، وإن الإسلام وهو الدين الذي يؤمن أهله برسل الله ، لا يمنع أن تأخذ شعوبه من الثقافات المختلفة في حدود تعاليمه .

وأما رد المجلة عن المسألة الثانية ، فيتلخص في أن الأخوة بين المسلم والمسلم ، هي من صميم روح الإسلام ، فالمسلم في وطن ما ، مهما اشتد حبه لوطنه يشعر بروح الأخوة نحو المسلمين أينما كانوا ، وهذا ما عجزت عن صنعه أوروبا ، لأن الإسلام يؤاخي بين قلوب المسلمين قبل أن يؤاخي بين دولهم .

الروح والنظم الاسلاميه

تحت يدنا كتاب حديث هو كتاب « النظم الاسلاميه » للؤلف الفرنسي « موريس جودفري دى موبين » ، درس فيه الإسلام : أمته وفكرته وعتيدته وقاومته وعبادته ، ثم سرد كثيراً من نظمهم . كالأسرة ، والمالك ، والنضاء ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية وغيرها . وبما هو جدير بالنظر في هذا الكتاب ، وهو كثير ، كلام مؤلفه عن الرق حين يتكلم عن الأسرة ، وبما قاله : « إن الأسرة عند العرب

عما يتطلع إليه الإسلام من نهوض ، ففي مقال عنوانه « الأزهر البالغ من العمر ألف سنة » ، نشرته مجلة (كرسنيان سيفس مونيتور) - مرشد العلوم المسيحية ، أشار الكاتب في صدد ذكره بعض الحركات الحديثة للأزهر ، إلى أن هناك روحاً جديدة للمقاومة ، فقد نشأت في الإسلام ، روح جهاد وعراك في سبيل الحياة ، وإلى أن الدين الإسلامي هو الآن في حالة مقاومة وجهاد ، إما بسبب رد الفعل الناشئ عن الإلحاد السائد في هذا الزمن ، وإما بسبب ما رسخ في أذهان بعض الناس من أنه لا بد أن تسنح الفرصة قريباً ، ليسير الإسلام إلى الأمام مرة ثانية ، كما حدث في القرن الأول بعد الرسول ، حيث وصل غرباً إلى أسبانيا وشرقاً إلى الهند . وبما يدل على ذلك تجدد النشاط الذي يبدو في التأخي بين المسلمين ، ذلك التأخي الذي كان قد ضعف منذ سنوات مضت ، والذي يعود الآن . وذكرت مجلة « العالم الإسلامي » ، التي تصدرها بالإنجليزية « البعثة الإسلامية » ، في ووكنج بإنجلترا ، بعض ما يقوله غير المسلمين عن نهضة الإسلام ، ومنه ، أن العالم الإسلامي بما يحاول من الملازمة بينه وبين مقتضيات العصر ، وبما يأخذ وما يدخل في حياته الخاصة من فن الغرب وفكره ومنهجه وأسلوبه في الحياة ، إنما يعد عن الإسلام ، وأن هذا البعد سوف يضطر حتى ينقطع نهائياً ما بين العالم الإسلامي والإسلام ؛ ومن أقوالهم كذلك أن النزعة الوطنية قد اشتدت في الأمم الإسلامية ، وأن هذه النزعة وافدة من أوروبا وأنها غريبة عن نظرة الإسلام إلى الحياة .

التبشير عقيدة ؟ إذ أنه لو ثبت أن لاختلاف بين الدينين فقيم التبشير إذا ؟ .

بهذا استهلكت مجلة « عالم المسلمين » المسيحية التبشيرية التي أسسها القس « زويمر » في أمريكا إحدى افتتاحياتها ، ثم عادت نقساء قائلة : « إذا حاولنا أن نفهم الإسلام قدر جهدنا فهم أمانة وتبل ، فهل يبقى بعد ذلك مجال لأعمالنا التبشيرية ، أم هل سنضطر في النهاية إلى التسليم بأن الإسلام كالمسيحية واليهودية مصدره إله الجميع ، وأن له فضلاً عن ذلك رسالة جديدة مستمدة من الإله ذاته ؟ »

وردت المجلة على ذلك بأن الجواب يتوقف على ما يفهم من معنى المسيحية ، فإذا كانت مجرد قواعد خلقية ، فإن الإسلام كفيل في هذا الميدان بأن يقدم قواعد خلفية للحياة ذات خطر ، وعلى ذلك فالفرق بين الدينين هو في وسيلة كل منهما إلى الله .

ثم نمت المجلة بعد ذلك عما يوجه من مطاعن إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالت : إن ذلك عمل تعس يأتي بالضرر ، والواجب أن تقوم الحاجة على أسس عالية لا على ما يفسر بأنه من الأمور الشخصية .

لونه من الكتابة عن الإسلام :

« كتاب الرسول ، أو حياة محمد » مؤلف كتبه بالإنجليزية الكولونيل « بودلي » وقد كتبت المراقبة العامة للبحوث والثقافة الإسلامية بالأزهر تقريراً عنه جاء فيه أن المؤلف « حاول أن يلتزم فيه منهج التحقيق العلمي الأمين متجنباً

- في أوسع معنى للكلمة - تكل بضم الرقيق إليها ، الأبيض منه والأسود سواء ؛ وقد أقر القرآن الرق ، وأوصى بأن يحسن معاملة الرقيق وأن يعتقوا . وليس للعبد شخصية كاملة ، فهو متاع لسيده ، يمكن أن يفتنى كما يفتنى جميع ما يمتلكه بالشراء ، أو عن طريق الهبة والميراث ، ويقتل حق امتلاكه بنفس هذه الوسائل ؛ وكل ما يمتلكه العبد فهو ملك لسيده . ويمكن أن يعتق العبد سيده ، كما أن للسيد أن يجعل هذا العتق لعبده بعد وفاته ، وله أن يلغى ذلك قبل أن يموت .

ولم يتعرض الكاتب لطرق الاسترقاق ، ولكنه قارن بين رقيق الأسرة وبين الرقيق الذي يباع جماعات في الأسواق ، وقال عن النوع الأول : إن المسلمين يعمدون فيه ما كان عليه الحال أيام الرومان ، ثم عاب على المسلمين النوع الثاني^(١) وقال : إنه ينبغي أن ننظر إلى الرق في غير رحمة على أنه نظام بال ، وأنه امتهان لكرامة الإنسان . ولم يسه المؤلف عن أن يقول : « إن تاريخ تجارة الرقيق في المستعمرات الأمريكية وصمة في سمعة المسيحية » .

التبشير والمقارنة بين الإسلام والمسيحية :

« هل لعلم الدين المقارن من أهمية للمسيحيين الذين يعتقدون أن لهم رسالة إلى المسلمين يحاولون أن يذيعوها ؟ هل من جدوى في المقارنة ؟ أم أن الأمر على عكس ذلك ؟ هل تضع المقارنة الإسلام والمسيحية في مستوى واحد ، وبذلك تجعل جمعيات

(١) انظر الرد على مسألة الرق في باب « ما يقوله الإسلام » .

ولم يغادرها طول حياته . ويقول بودلى : إنه على الرغم من تظاهر هذا المؤلف بمعرفة اللغة العربية وبالسكتب المقدسة ، فقد كشف في كتابه هذا عن جهل فظيع بسيرة محمد وبمنزله الحقيقية ، وأنحى بودلى باللائمة على المتعصبين من الكتاب . وما ظلوا يروجونه من أباطيل وخرافات عن الإسلام منذ الحروب الصليبية .

نائب في البرلمان الإنجليزي يسبى بالاسلام :
نشرت « مجلة العالم » الإسلامى السالفة الذكر أن جمعية المسلمين في مدينة بردفورد بإنجلترا ، قد أقامت منذ قريب حفلا ، فكان من خطبائه مستر « جورج برذك » عضو البرلمان الإنجليزي ، وقد نوه في خطابه بما يشه الإسلام من شعور الإخاء بين أبنائه ، وقال إنه يستطيع أن يرد الاهتمام العظيم بالدين الإسلامى إلى أنه دين عالمى بطبيعته . ثم قال : « إن الإسلام دين السلام والمحبة بين البشر وإنه يلعب دورا خطيرا الآن في شؤون العالم ، وإنى أعتقد أن خطره وتأثيره في مستقبل العالم سيزداد جيلا بعد جيل » .

العالم الإسلامى بين شقى الرسمى :
كتبت مجلة « الأدب الإسلامى » ، التى يصدرها في لاهور باللغة الإنجليزية الشيخ محمد أشرف افتتاحية تحت عنوان « الرأسمالية أم الشيوعية ؟ » تناولت فيها بالنقد اللاذع ما أخذت تردده الأوساط الأجنبية من القول بأن بعض المحافل الإسلامية مرغعة على الاتجاه نحو الشيوعية السوفيتية ، برغم القوى الروحية النيرة التى تستند إليها الحياة الإسلامية ، وبرغم الروابط الروحية القوية التى تربط العالم الإسلامى بالديمقراطية الغربية ...

مبالغت بعض المسلمين من جهة ، وأباطيل الكثرين من المسيحيين من جهة أخرى ؛ وهو يرى أن الراغب في اتباع المنهج العلمى يجد ضالته عند البحث في سيرة النبي وتاريخ حياته ، وذلك لوفرة ما حفظه المسلمون بأمانة ودقة من أخبار النبي وآثاره ، مما لم يتيسر مثله أو شيء منه لآى نبي آخر ، أو أى عظيم عن يعنى بهم رجال التاريخ والأخبار ... والكولونيل « بودلى » معجب بما وجده في الإسلام من فضائل ويشيد بمناقب الرسول على حسب ما أداه إليه عليه واجتهاده ؛ ويلخص عقيدة الإسلام بأنها دعوة إلى السلام وإلى التسليم بإرادة الله والإيمان بوحدانيته ، ويقول إن من أعظم الكبائر في نظر الإسلام الشرك بالله ؛ ويتكلم المؤلف عن القرآن في الفصل السادس عشر ويقر بإعجازه ؛ ويقول عن النبي أنه لم يدع لنفسه صفة إلهية وأنه كثيراً ما صرح بأنه ليس إلا بشرا يوحى إليه ؛ وأن السبب في سرعة انتشار الإسلام عن غيره من الأديان ، هو عدم ادعاء النبي صفة إلهية ، وعدم دعوته إلى عبادة شخصه ، وكذلك تسليم القرآن بصحة الديانات المنزلة من قبل .

ومن أحسن ما كتبه هذا المؤلف المنصف ما أخذه على طريقة الكثرين من الكتاب الأوروبيين الذين أعصام التعصب عن رؤية الحقيقة الظاهرة ، ثم تصديهم للكتابة في هذا الموضوع الخطير ، دون أن يستمدوا لما يحتاج إليه من معارف وعلوم . وقد ذكر على سبيل المثال كتابا عن حياة محمد صلى الله عليه وسلم ألفه قسيس أمريكي كان يعيش في نيو إنجلند

الكتب

الديمقراطية في الاسلام

لأستاذ عباس محمود العقاد

القاهرة - دار المعارف - ١٧٨ صفحة

من القطع الأوسط

ما يهتدى به الشباب المثقف في الوقوف على حقائق الدين ، لأنها تدرس مسائله وقضاياها على أدق المناهج العلمية في البحث ، وتجري على ضوء من التحليل الفلسفي ، والموازنة التاريخية ، وتمحيص ما تمنح من الفكر الجديد من نظريات وآراء .

وقد اختار لكتابته هذا موضوع الديمقراطية في الإسلام . . وكلية ، الديمقراطية ، أسير كلمة في مجتمعنا العصري ، وهي مدار الكثير من المعضلات في حياتنا الحاضرة ، سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية ، فما كان أحوجا إلى هذه الدراسة العلمية التي تجلو حقيقة

هذا كتاب جديد لصاحب « المعبريات » ، و « الفلسفة القرآنية » ، وغيرها من الكتب والفصول في دراسة الإسلام ، واستجلاء وجهة نظره في المشكلات الحيوية ، والمذاهب الفكرية في مجتمعنا الحديث .

وكتب « العقاد » ، في دراسة الإسلام من خير

و تعرضت للشوعية فقالت : إن دعوتها إلى التفرقة بين الشؤون المادية والشؤون الروحية في الحياة اليومية ، أمر يعارض تعاليم الإسلام ، فالإسلام ينظر إلى الحياة كوحدة لا تتجزأ ، وبعد الشؤون المادية متفرعة عن الحياة الروحية .

ثم ذكرت أن الدين في المجتمع الإسلامي الأول كان يسيطر الحياة السياسية ، ويحفظ بكرامته وأهميته في دنيا الناس .

وأكدت أن الخطر الشيوعي على المجتمعات الإسلامية سيظل على حد ذاته ما دامت تصر بعض هذه المجتمعات على الأخذ في مقاييسها الأخلاقية ونظمها الدينية ، من حضارة الديمقراطيات الغربية دون تمحيص ؟

وتسائلت الافتتاحية ، ما هي الروابط الروحية القوية التي تربطنا نحن المسلمين بالديمقراطيات الغربية الرأسمالية ؟ فإنه إن صدق هذا القول كان معناه أن الإسلام أصبح صورة جديدة للإلحاد الذي تعيش عليه الديمقراطية الرأسمالية ! وقالت : إن هؤلاء السادة الذين يروجون هذه الفكرة ، قد نسوا أو تناسوا أن أسس الحياة الإسلامية الحق قبل ميلاد الارستقراطية الأموية ، كانت تستند إلى العدالة والمساواة الاقتصادية والاجتماعية ، وهل تمشي هذه الأسس الإسلامية مع الثمرات القومية العنيفة التي يتصف بها الغرب ، ومع التحيز العنصري وعبادة المال ؟

« الديمقراطية في الإسلام » .

ولذا ذكر أنصار « الديمقراطية » - بوصفها منهجاً اجتماعياً - كان الأستاذ « العقاد » في طليعة أولئك الأنصار ، ولطالما عززها بقله في شتى المواقف ، وإيمانه بها ولبد الدراسة والبحث ، وهو لذلك يؤيدها تأييد منقطع وإقتناع .

استهل المؤلف كتابه بأن الأمم الإسلامية أحوج ما تكون في مرحلتها الحاضرة - مرحلة النهوض والتقدم - إلى الحرية والإيمان معاً متفقين ، وأشار إلى أن موضوعات كتابه صالحة للعرض على مقاييس العلم وموازنته ، وأن أسلوب الوجدان في تحصيل الحقائق يثبتها ولا يزيلها ، ثم علل الدليل الوجداني تعليلاً يدخله في منطقة العلم ، وبهذا يتلاقى رجل العلم ورجل الدين ، ويقوم حساب الضمير إلى جانب حساب العقل .

وتناول بعد ذلك تاريخ « الديمقراطية » فأثبت أنها لم تقم في العصور القديمة على أساس أنها حق للإنسان ، وإنما كانت إلى الضرورة العملية أقرب منها إلى المبادئ الفكرية ، وفسر ذلك بأنها لم تكن إيجابية تعني حكم الشعب نفسه بنفسه ، ولكنها سلبية لا تقتصر الحكم على أن يكون في يد فرد ولا في يد طبقة .

وبعد أن وصف « الديمقراطية » في الأديان الكتابية بأنها كانت خليطاً ومزاجاً ولم تكن خالصة ، تحدث عن « الديمقراطية » العربية قبل الإسلام ، فأثبت أنها ديمقراطية واقع لا ديمقراطية فكرة ، فهي كحرية الأوابد في الخلاء ، والطير

في الهواء . ثم عرض نظم الحكم في الدول المختلفة على عهد الدعوة المحمدية ، وأوضح أن تلك النظم خلت من الديمقراطية بالمعنى المقصود .

وخلص من هذه المقدمات التاريخية إلى تقويم الديمقراطية الإسلامية على أسس أربعة : المسؤولية الفردية ، وعموم الحقوق ، ووجوب الشورى ، والتضامن بين الناس . وأتبع ذلك فصولاً في إيمان المسلم بأن للكون حاكماً أكبر ، وفي معاني كلمات الحكم والسيادة والإمام . واستطرد من هذا إلى تفصيل ديمقراطية الإسلام في السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، والأخلاق والتشريع ، والقضاء ، ومعاملة الأجانب ، والعلاقات الخارجية .

وكأنما خشي الأستاذ « العقاد » أن يُلقَى في روع القاري هذه الدراسة أن منهج الديمقراطية الإسلامية مثالي محض ، ففقد لذلك فصلاً بأبأن فيه أن هذه الديمقراطية لم تستعص على التجربة والتطبيق ، واستشهد لذلك بما وسعه القدر المقسوم .

وقبل أن يختم دراسته بسط القول في مناقشة أقوال المفكرين الإسلاميين ، الغزالي ، وابن سينا وابن خلدون ، في موضوع الإمامة ، وحقوق الراعي والرعية ، وما حفلت به كتب التاريخ والأدب والأخلاق من وصايا ونصائح تقوم على قاعدة واحدة ، هي الحكم لمصلحة المحكومين .

وكانت الخاتمة إجمالاً لصورة الديمقراطية في الإسلام ، فهي ديمقراطية خاصة ، تتسع بأصول الحكم حتى تخرج بها من الصبغة المحلية إلى الصبغة الإنسانية ، بل الكونية .

التي تولى صاحبنا المؤلف الدعوة إليها في أوساط المسلمين .

ويقول بأن الخلاف الجوهرى بين الإسلام والمسيحية يعود إلى أن الإسلام لا يرضى بأن يشرك مع ربه أحدا ، فنظرية الثالوث المقدس التي يستند إليها دعاة المسيحية بين الإسلام لا تجد أى صدى بين الجماعات الإسلامية مهما كانت عليه هذه الجماعات من جهل أو معرفة . وفى رأى المؤلف أن عدم اعتقاد المسلمين بالخطيئة الدنيوية كما يشرحها المبشرون ويحاولون إقناع الناس بأنهم قادرون على إزالتها باتباع تعاليم الكنيسة ، هذا الاعتقاد بين المسلمين من أهم الأمور التي سببت فشل الدعوة المسيحية في العالم الإسلامى .

وفى الكتاب استعراض موجز للعقيدة الإسلامية راعى فيها المؤلف الدراسة المقارنة مع التعاليم المسيحية . ولا يخل المؤلف فى ثنايا الكتاب بكلمات رقيقة عن الإسلام وأهله .

بريطانيا والشرق الأوسط

Britain and The Middle East

تأليف ريدر بولارد

من منشورات دار هنتسفون . بلندن

١٩٥٥ صفحة واثنى ٩ شللات ونصف

كانت المطابع البريطانية قبل الحرب العالمية

ولعل القارىء لهذا الكتاب لا يكاد ينتهى من قراءته حتى يشعر بأن بعض فصوله ، كفصل التشريع ، وفصل القضاء ، يرسم الخطه ، ويفتح الباب ، ولكنه - على عذوبته - يثير الظلم ، ويدفع إلى طلب المزيد ، ويدع النفس على شوق . أما أسلوب الكتاب فإنه فى إحسانه لا يعد إحساناً ... لأنه فرق الاحسان ؟

عباس خضر

كتب أجنبية جديدة

تعالج موضوعات إسلامية

الوصول إلى الإسلام

تأليف : أريك بتمان

من منشورات : Southern Publishing

Hosé Nashies Ile-Teumessee.

BRIDGE TO ISLAM

٢٨٤ صفحة وثمنه ٢١ دولار .

مؤلف هذا الكتاب مبشر مسيحى أنفق فترة طويلة فى أعمال التبشير فى الشرق الأوسط . وقد حاول أن يسرد - بطريقة غير مباشرة - المضاعف التى تواجهها بعثات التبشير فى عالم الإسلام ، وهى مضاعف تستند إلى تأصل العقيدة الإسلامية فى نفوس أتباعها أكثر مما تستند إلى أى شئ آخر .

ويحاول المؤلف أن يشرح لقراءته كيف أن الإسلام وتعاليم الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام قد تأصلت فى نفوس المسلمين ، وخلقتم فيهم مناعة ضد قبول المذاهب الدينية المسيحية

العنف التي تحتاج المنطقة عوضاً عن مقاومتها .
وفي رأى المؤلف أن تعطى الأمم المتحدة
السيطرة والإشراف على مراكز القوة في الشرق
الأوسط من بتول إيران والجزيرة العربية إلى
قناة السويس . ولا ينحل صاحبنا بالكلمات
المعسولة في مدح إسرائيل .

المركسية أو الإسلام

MARXISM OR ISLAM

تأليف مظهر الدين صديق

من منشورات : دار النشأة السنية

في حيدر آباد الدكن (بالهند)

٣٠٢ صفحة وثمنه ٥ روپيات

هذا الكتاب محاولة جديدة للتدقيق في تعاليم
مركس من نافذة الإسلام . وقد حاول المؤلف
موفقاً في تحليل المركسية وتفنيد ما تروج له
من مبادئ ، والمقارنة بين هذه المبادئ وما نصت
عليه تعاليم الإسلام ، من دعوات إلى الإصلاح
السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

ويبسط الكتاب في قوة وعمق كيف تختلف
الدعوة للمركسية عن تعاليم الإسلام ، وكيف
تلتقي في بعض الأسس الجوهرية للإصلاح
الديني بعد أن تفقد هذه الأسس المثل الأخلاقية
والحلي الروحية التي تجردت منها تعاليم مركس .

الآخيرة تكاد تحتكر المنشورات عن أحوال
الشرق الأوسط في إنتاج الغرب . وقد قضت
أزمات بريطانيا الاقتصادية المتتالية بأن يزول
هذا الاحتكار ، وأن تدخل أمريكا في ميدان
الإنتاج الفكري كمنافسة قوية لبريطانيا .

على أن الأفلام البريطانية لا تزال أفضل
من يعالج مسائل الشرق الأوسط من وجهة نظر
الديمقراطيات الغربية ، ولعل سر ذلك طيلة عهد
بريطانيا في معالجة شؤون هذا الشرق ومشاكلها
معها .

والكتاب الذين نحن بصدد محاولة لاستعراض
تاريخ العلاقات البريطانية مع منطقة الشرق
الأوسط (وهي تشمل الهند والدول الإسلامية
كلها في المنطقة) من أول الأزمنة إلى عام ١٩٥٠م
ويسجل الكاتب التسرب البريطاني إلى الشرق
الأوسط عن طريق التجارة والجناسوسية
وما يلحق بهما من نشاط تبشيري وثقافي ؛ ويستعرض
كذلك علاقات بريطانيا بخليج العرب ، واحتلال
مصر ، والعلاقات البريطانية الإيرانية ، والتركز
البريطاني في شرق الجزيرة العربية والشرق
الأدنى .

ولعل أزمة الورق في بريطانيا قد حالت بين
المؤلف وبين أن يتوسع في دراسته وهي دراسة
دقيقة شيقة .

ويدعو المؤلف بريطانيا إلى ملاقاة
رغبات شعوب الشرق الأوسط في الحرية السياسية
والاقتصادية والسعي لاحتضان الحركات القومية

الأدب العلمي في شهر

العرب ومطبعة الفيضان :

نشر الدكتور و. ف. أبرايت رئيس دائرة الدراسات الشرقية في جامعة جون هوبكنز بأمريكا بحثاً قال فيه : إن قدماء العرب في شبه الجزيرة العربية كانوا أول من اكتشف المبدأ الفنى لمكافئة الفيضانات ونفذوه في بلادهم منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة .

وجاء بحث الدكتور البرايت نتيجة لدراسة شخصية قام بها في جنوبي شبه جزيرة العرب في المدة الأخيرة كرئيس لبعثة الحفريات الأمريكية التي عسكرت في تلك المنطقة فترة طويلة من الزمن. ووصف الدكتور البرايت هندسة الري عند قدماء العرب فقال : بأنهم كانوا يخزنون مياه الأمطار الآتية مع رياح السموم في أحواض واسعة ينبعث منها بخار هندسية دقيقة وسدود متقنة الصنع وقد تقدمت صناعة الري وصيانة التربة في جنوبي شبه الجزيرة في تلك المدة تقدماً حسناً مما دعا الرومان أن يطلقوا عليها اسم « جزيرة العرب السعيدة » .

تقدم فلكى جبر في صناعة المراصد :

كانت مؤسسة نيوفيلد البريطانية قد تبرعت منذ ثلاثة سنوات لجامعة مانشستر البريطانية بمبلغ مليون دولار لبناء مرصد فلكى جديد سيكون قطر أكبر عدساته حوالى ٢٦٥ قدماً . وقد تم تجهيز المراصد بأنواع جديدة من آلات الالتقاط اللاسلكية بحيث يطمع صانعوها

والمشرفون عليه بأن يسجلوا اتصالات فيزيولوجية مع الكواكب والسيارات السابحة في فضاء الكون . والظاهرة الجديدة في هذا المرصد أنه لا يعتمد على العدسات فقط لرؤية الكواكب وتسجيل حركاتها . فكثيراً ما تكون التقلبات الجوية والضباب الكثيف سبباً في ضعف الرؤية .

ويقول الفلكيون المشرفون على هذا المرصد إنهم قد استطاعوا بالآلاتهم الحديثة رؤية عدد جديد من الكواكب التي لم تكن معروفة معرفة علمية .

وقد ساعد على رؤية هذه الكواكب الجديدة وتسجيلها بالمرصد الجديد الإشعاعات الراديوية التي تنبعث عن هذه الكواكب وتدفع بسرعة في الفضاء الكونى . وقد استطاعت الأجهزة والمعدات في مرصد جامعة مانشستر الجديد أن تلتقط هذه الإشعاعات وأن تصل منها إلى معرفة حركات الكواكب المصورة لهذه الاشعاعات .

مراعاة المصالح في إنتاج مصر الفنى :

توصل المسؤولون في إدارة المطبوعات المصرية إلى الاتفاق مع ممثلى السينما والمسرح والمؤلفين والمنتجين في مصر على رعاية المبادئ الأخلاقية في إنتاج مصر الفنى .

وقد ارتضى ممثلو الحركة الفنية في مصر أن يجعلوا من أنفسهم رقباء على إنتاجهم الفنى مراعين المبادئ التالية .

١- أن تكون فنونهم حريصة على توقيف المسكينة إذا تعرضت للتاريخ ومعالجتها في مسرحية أو أغنية أو فلم .

وسيلتين لتقدير الإعجاز الفني فيه ، فكما يجب على الشاعر أن ينظم ما يشعر عقودا وآلئاً فإن على القارئ أن يقوم من تلقاء نفسه بجهد فني لكي يستطيع استيفاء هذا الشعور وهذه العقود والآلئ المنظومة . فليست تبعه الإبداع الشعري حتماً على الشاعر وحده فإن على القارئ أن يقبل على الشعر وفي نفسه محاولة فنية صادقة للتعرف على الجمال الفني في القصيدة والبيت ، ولا ينظر أن يطرح عليه الشاعر الآلئ كما يطرح الجوهرى عقود اللؤلؤ على الزبائن .

وفي رأى المستر « إيزاك » ، أن الاتصال الفني بين الشاعر وقرائه لا بد أن يتم ، إلا إذا كان القصيد إبداعاً فنياً صادقاً ، فإنك لا بد أن تجد بين القراء جماعة يدركون هذا الإبداع من أول وهلة . ولكنك لا تنتظر أن تنفع جميع القراء بهذا الإبداع دفعة واحدة وكلما كان الشعر أكثر اتصالاً بالانجماهاث الشعرية الراحنة ، كان فهم القراء له أسرع وأصدق . ويقول المستر « إيزاك » ، إن هذا الأمر يلقي على الشاعر مسؤولية كبرى ، فإن عليه أن ينقل في شعره إلى المجتمع ما يقع في المجتمع ، ولا يكتفى بأن يلقي أبيات الرثاء على الأطلال ، فصلة الشاعر بالحياة اليومية يجب أن تكون مستمرة إذا كان للشعر الحديث أن يلقي آذاناً صاغية .

مؤتمر عام للصحافة العربية :

تجرى الآن اتصالات بين نقابات الصحافة في البلدان العربية للاتفاق على عقد مؤتمر عام للصحافة العربية تتبادل فيه وجهات النظر حول تسليق الجهود في خدمة القضايا العربية والشرقية ، والاتفاق على التواحي التي ترفع مستوى الصحافة العربية وتنميتها . والمرجح أن يعقد هذا المؤتمر في لبنان خلال الصيف المقبل .

٢ - أن يحرصوا في مؤلفاتهم وإنتاجهم وأغانهم على استقرار الأمن فلا يتعرضوا للبداءى المتطرفة أياً كانت .

٣ - أن يكون لسمعة مصر المحل الأول في موضوعاتهم ، بحيث تعطى عنها صورة طبيعية في الخارج ، على أنه لا يجوز أن تصور الحياة الاجتماعية على غير حقيقتها بشرط ألا يتعارض ذلك مع كرامة البلد .

٤ - أن يراعى في معالجة الموضوعات ملاحظة المسائل الدينية بحيث لا يتعرض أهل الفن لمنازعتها ولو كانت في التاريخ ، ولا يدخل في هذا المعنى تصوير حياة الجماعات الدينية أو طبقتها بشرط ألا يقلل من اعتبارها أو توفيرها .

٥ - أن تكون رعاية الآداب العامة قاعدة لكل موضوع ، وبما أن الحكم لها أو عليها خاضع للذوق الخاص ، فإن المؤلف أو المنتج مطالبان بالبعد عن الألفاظ النابية والأغاني المساجة والمشاهد الفضاحة .

٦ - ألا يتعرض الموضوع لشخصية عامة لا تعدد نظراتها في الدولة أو الحياة العامة إلا إذا كان التعرض لها مصحوباً بالتقدير والاحترام .

الشاعر والمجتمع :

المستر « ج . إيزاك » ، من نقاد الشعر المعروفين في بريطانيا وأمريكا . وقد أصدر مؤخراً كتاباً استعرض فيه أسس الشعر الحديث والعوامل التي أثرت فيه خلقت هذه المدارس الفنية الجديدة التي نشأت في الأوساط الشعرية في أوروبا وأمريكا . ويقول المستر « إيزاك » : إن الشعر يجب أن يتصل اتصالاً فنياً دقيقاً بالقارئ قبل أن يستطيع القارئ فهم القصائد والآيات ، ويعنى المستر « إيزاك » ، بذلك أن العمل الفني يتطلب

هبة الصوافه ومسوية: رجال القلم:

ختمت لجنة حرية الصحافة والأبناء التابعة
لهيئة الأمم المتحدة دورتها الخامسة (والأخيرة)
لوضع ميثاق عالمي لحماية الأبناء وحرية الصحافة .
وكان يتولى رئاسة اللجنة في دورتها الأخيرة ،
الدكتور محمود عزمى الصحفي المصري المعروف .
وقد انتهت اللجنة من وضع مشروع لآداب الصحافة
يكون بمثابة عهد شرف دولي يتعهد به رجال القلم في كل
مكان لمعالجة أبناء الناس والمجتمعات والبول .
ويتألف هذا المشروع من خمس مواد وتتلخص
أسسه في ثلاثة أمور :

١ - التعهد باحترام الحقيقة في نشر الأنباء والتعليق عليها.

٢ - عدم المساس بالمسائل الشخصية .

٣ - عدم الخضوع للمؤثرات المفرضة .

وقد اتفقت لجنة حرية الصحافة والانباء هذه ، مع الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة على أن تعمل على عقد مؤتمر دولي من الصحفيين والمساهمين في وسائل الاتصال الفكري؛ وسيكلف هذا المؤتمر ببحث « عهد الشرف » الذي وضعت اللجنة ، وتقرر العمل بمقتضاه .

ورأت اللجنة ألا تكون لهذا المؤتمر أية علاقة بالحكومات ولا بهيئة الأمم المتحدة التي يقتصر عملها فيه على الدعوة إليه ونهية اجتماعه ودفع تكاليفه ، وذلك رغبة في إبقاء الصحافة بعيدة عن كل المؤثرات أيا كان مصدرها .

جهاز النقاط الاشعاع الذري يملئ الحرب خطاً:

دقت أجراس التلغونات في مراكز الجيش والطيران والاسطول في مدينة نيويورك وفي مركز

القيادة العسكرية في العاصمة الأمريكية صباح يوم
من أيام شهر إبريل المنصرم ، تحمل أنباء هجوم
ذري يتجه نحو أوروبا من وراء البحار .

فدفع القادة وأوعزوا إلى مراكز الدفاع العسكرية في الساحل الشرقي من القارة الأمريكية بالاستعداد للطوارئ.

واهتزت أسلاك الانهر تطلب محطات النقاط الإشعاع الذرى من مختلف التحصينات التى أقامها الأمريكان تستفسر عن أنباء هذا الهجوم غير المترقب وجاءت الأنباء بأن كل شيء على مايرام ؛ محطات الإنذار هادئة لا تسجل أية حركة من حركات النقل الجوي الذرى يحمل فى طياته القنابل الذرية . وانقضت ساعات قاسية قبل أن يكشف أولو الأمر سر هذا البناء .

وتفصيل ما حدث أن جهازاً ضخماً من أجهزة النقاط الإشعاع الذرى من أحد مختبرات جامعة كولومبيا الشهيرة فى نيويورك أخذ يسجل فى سرعة جنونية تقلبات متوالية من موجات الإشعاع الذرى متجهة نحو ساحل أمريكا الشرقى عبر البحار من القارة الأوروبية - فى روسيا !

وهذا الجهاز دقيق الصنعة تحيط به السرية ويخضع للإشراف القيادة العسكرية الأمريكية برغم أنه مركب في مخبر على الجامعة أهلية .

وثبت بعد فحص دقيق أن الإبرة الحساسة الرئيسية لهذا الجهاز قد شتمت قلة الحركة فرائت أن تداعب الأرقام التي تحببها وأخذت تصول وتجول في سرعة جنونية أفلقت مضامع رجال الجيش والأسطول والطيران .

وأصلح الخلل في الجهاز وأعيدت الإبرة إلى قاعدتها
مثبتة بمسام جديد.

طَائِفٌ عَلَيْهِ رَأْسُ بَيْتٍ

الانقلاب الجوى

ليست هناك بقعة في العالم لم يشعر أهلها بتغير محسوس في حالاتها الجوية حتى في البلدان التي عرفت باعتدال مناخها وازان فصولها وقد نشرت مجلة «أوجي» الإيطالية فصلا عن هذا الانقلاب قالت: «في السنة الماضية شاهد هنود «بنوبسكوت» الذين يعيشون في جزيرة صغيرة من شواطئ «فان» حادثاً غريباً. ففي فصل الشتاء من كل سنة تجمد مياه البرزخ الذي يفصل جزيرتهم عن اليابسة فيتصلون بهذه مرأ على الجليد.

أما في السنة العاتية فلم تجمد المياه كعادتها. وليس هذا الحادث الوحيد من نوعه. فقد تعددت في كل أنحاء العالم أمثال هذه الظواهر الطبيعية التي تعزى إلى انقلاب في مناخ أرضنا، ففي «اسكوسيا» كانت الثلوج لا تبرح قممها. أما اليوم فأكثرها عار، وفي سويسرا يتوالى انهيار اللوج من قمم الجبال، وفي شمال «فنلندا» و«الاسكا» أخذت تنمو غابات من الأشجار في السنوات الأخيرة، ولم يكن يرى قبل ذلك في تلك المناطق أثر للنبات. ومنذ خمسين سنة لم يكن يجرى مركب في مياه «سيستربغ» مدة سبعة أشهر من كل سنة إلا بواسطة محطمة الجليد، أما اليوم فالمياه لا تجمد إلا ثلاثة أشهر.

ويقابل ذلك الجفاف المثلث الذي يحدث في أمكنة كثيرة ولا سيما في إفريقيا الاستوائية حيث جفت البحيرات.

وقد أثبت التحقيق العلمي أن عشرة في المائة من جليد القطب الشمالى يذوب في المحيطات حتى يرفع مستواها، وأن مياه المحيط الاطلسى الشمالى قد ازدادت ملوحتها اليوم عن ذى قبل. وكان المطر يتساقط أكثر غزارة منه في المناطق المعتدلة، وأن الصحراء الكبرى الافريقية تمتد ببطئ نحو الجنوب. وكان من نتيجة هذا الانقلاب أن السمك والطيور والحشرات قد غيرت مجرى حياتها ومواعيد رحلاتها.

ففي ذلك أن ١٦ حوتا قذفها البحر إلى شواطئ «اسكوسيا» في شهر إبريل من السنة الماضية، و٩٦ حوتا غيرها ماتت في الشهر التالى بمضيق هولند. ويعزى هذا الانتحار غير المقصود إلى تغير في المجارى البحرية.

ولما اجتمع في لندن مئات من علماء الطبيعة لحضور العيد الثوى للجمعية الملكية الطبيعية تناولوا هذا الموضوع بكثير من الاهتمام. وقد أبدى الأستاذ هنزاهلن العالم الجغرافى الاسوجى رأيه في تلك الاعراض ففسنها إلى ازدياد برودة الأرض في المناطق الاستوائية وإلى ازدياد حرارتها في المناطق القطبية، وعزاها غيره إلى اضطراب في الأشعة الشمسية، ونسبها بعضهم إلى تسرب مقدار كبير من الأشعة فوق البنفسجية، وذهب آخرون إلى أن الاختلال الحالى هو عارض لا يلبث أن يزول ويعود كل شيء إلى مجراه الطبيعى السابق.

يقول : إن الانقلاب الحالى ليس حدثاً جديداً وقد وقع مثله بين ١٧٦٠ و ١٧٨٠ .

ويؤخذ مما تقدم أن علماء اليوم ، على رغم تعمقهم فى الأسرار الطبيعية ، لا يستطيعون أن يبنوا حكماً ثابتاً فى هذا الموضوع . وعلى أية حال فهم لا يكونون عن البحث والتقصى ، فبعثاتهم العلمية إلى المناطق القطبية متتابعة ، وآلاتهم التى يعرفون بها انتقال المجارى البحرية فى تحسن مطرد .

ولابد من يوم يتمكن فيه الإنسان أن يفسر لماذا أثلجت السماء بالقاهرة فى شهر سبتمبر ، بينما الناس بلندن فى الشهر نفسه يستروحون فى هايد بارك ؟

زعامة الأدب الفرنسى :

من القضايا التى يهتم بها اليوم رجال الأدب فى فرنسا ، اختيار من يستطيع أن يخلف « أندريه جيد » ، فى زعامة الأدب الفرنسى .

إن حل هذه القضية ليس سهلاً كما يتبادر إلى الأذهان ، لأن خليفة « جيد » ، فى زعامة الأدب الفرنسى يجب أن يكون أديباً كبيراً حاصلاً على رضا كل طبقات الأمة ، وذات شهرة عالمية واسعة .

إن الأجنى الذى يزور باريس ، ويطلع على ما فيها من آثار ومتاحف وأندية وملاهي ، يود طبعاً أن يعلم أيضاً من هو كبير أدبائها . كانت فرنسا فى القرن الماضى تفاخر بوجود عدد غير قليل من أعظم الكتاب والشعراء ، أمثال هوجو وبلازك ، وفلوبير ، وموباسان ، وزولا ، وموسيه ولامرتين ، وبودلير وغيرهم فكانت تستطيع أن تقول عن أى واحد منهم إنه كبير كتابها أو شعرائها . وهكذا انتقلت زعامة الأدب الفرنسى بعد وفاة شاتوبريان إلى هوجو ، ومن هوجو إلى أناطول

على أن رجل الشارع يقول :

إن القنبلة الذرية هى أول شيء يخطر بالبال فى هذه الأيام ، فكل نكبة طبيعية أو كل جفاف أو إعصار ينسب عفواً إلى هذه القنبلة ، فلا عجب إذن أن رماها بكل فرية وألقى عليها تبعة كل النكبات والمصائب .

ومن الناس من يهتمون التلفزيون لا اعتقادهم أنه يزيد حرارة الجو ، وكثيرون من أعداء الشيوعية يلصقون الذنب بروسيا التى لا تسكت على قولهم بالثورات السياسية والاجتماعية التى تثيرها فى العالم بل تريد أن تقلب نظام الفلك ، ثم يقولون : إن العلماء الروس يستخدمون الأشعة الكونية والأسطوانات الطائرة وغيرها من الأسلحة السرية ليحولوا المجارى الجوية والبحرية . وللعامه آراء ومذاهب أخرى لا تقل غرابة عن تلك ولا يأخذ بها رجال العلم ، ماعدا القنبلة الذرية ، ومن عادة هؤلاء أن يزعموا كلامهم قبل أن يلقوه ، فالعالم الطبيعى « هروولد أورى » الحاصل على جائزة نوبل يقول : إن تلك الأعراض قد يكون سببها ازدياد حرارة الأرض لشدة النشاط الراديو فى جوها . ويرى غيره من العلماء أن تجارب القنبلة الذرية التى تجرى فى كل أنحاء العالم تقريباً قد تكون مدعاة لهذه الثورات الجوية التى نشاهدها ويقول بعضهم : إن الكميات الهائلة من الجليد التى تتراكم فى القطب الجنوبي قد زحزحت محور الدورة الأرضية ، فأدى ذلك إلى هذا التغير الذى نلاحظه .

على أن العالم البريطانى « برانت » الذى درس الانقلاب الجوى فى إنكلترا فى خلال قرنين

مسالك جوية ترشد الطيور المهاجرة في رحلاتها الجوية الطويلة .

وكان العالم الطبيعي، نيكولسن، الأستاذ في متحف التاريخ الطبيعي بنيويورك، قد علل استرشاد الطيور عند طيرانها بجهاز خفي فيها يقوم مقام البوصلة التي تهدي السفن البحرية . وهذا الرأي يفسر تحويم الحمام الزاجل عدة مرات عند إزماعه قطع مرحلة طويلة، كأنه يتحسس خطوط المغنطيس الأرض فيتهدى بها في طريقه .

وبين الوسائل العديدة التي فسر بها العلماء اهتمام الطيور المهاجرة إلى المسالك القوية، الخطوط الخاصة بالقوة المغنطيسية الثابتة الممتدة شمالاً وجنوباً بين القطبين المغنطيسيين الدائمين للأرض . وقد تأيدت هذه النظرية بالتجارب التي أجريت في أنحاء مختلفة من العالم، فقد أطلقوا حمام الزاجل على مقربة من عמוד من الأعمدة العالية الحاملة موصلات جوية لاسلكية في محطة قوية من محطات الراديو، لحدث عند حبس أمواج الراديو في تلك المحطة، أن حمام الحمام باحثاً عن السبل القوية يضع ثوانٍ ثم اهتدى إليها فطار متبعاً إياها إلى موطنه؛ ولما استوف

العمل في محطة الراديو وأطلقت موجاتها في الجو ارتبك الحمام وأخذ يصفق بأجنحته ويحوم حول ذلك المكان زهاء نصف ساعة ثم تفرق باحثاً عن الطريق للمستقيم فأخفق، وقد فسروا ذلك بأن إطلاق الأمواج اللاسلكية في الجو ولد شحنات كهربائية فضت على الطاقة الكهربائية الطفيفة التي في عضوا الحس الذي تتألف منه بوصلة ذلك الطائر . ويقول الدكتور ميلز أن الميون هي دليل ذلك السر .

فرانس، ومن هذا إلى جيد . أما اليوم فن الصعب أن تتفق كلية الأدباء على من يخلف، جيد .

وقد تناولت مجلة « الأخبار الأدبية » هذا الموضوع، فعرضت عدداً كبيراً من الأدباء دون أن تصل إلى نتيجة حاسمة .

إن الذين يعدون اليوم في طليعة أدباء فرنسا هم : موريك، وموروا، وموترلان، وملرو . ولكن لا يستحق واحد منهم في نظر المجلة المذكورة، أن يكون خليفة جيد الذي كان يمثل كل ما في الأدب الفرنسي من نزاهة وصراحة، ونزعات أدبية صرفة . ولا تزال أندية الأدب تذكر إشرافه منذ سنوات قليلة على تمثيل روايته « أقيية الفانيكان » على مسرح الأبرار، والتأثير البالغ الذي أحدثته في عالم السياسة والأدب والاجتماع . وبين الأسماء التي ذكرتها المجلة في معرض كلامها عن خليفة « جيد »، اسم موريك، وموترلان، وملرو . فوريك ينعم بشهرة واسعة كأديب كاثوليكي ذى مركز مرموق في المجتمع الباريسي . ولكنه ينتسب إلى مجلة مؤسسات صحفية مما يجعله عرضة لمقاومة الكثيرين . ويحول دون اختياره .

هجرة الطيور :

ما برحت هجرة الطيور لغزاً من الألغاز التي لم يهتد العلماء إلى حلها حتى اليوم على كثرة آرائهم وتعليلاتهم وتفاسيرهم المتباينة . فمنهم من علل اهتمام الطيور إلى مسالكها عند هجرتها بحاسة سادسة خفية في أبدانها لا يمكن إدراكها، ومنهم من زعم أن الطيور تسترشد بأبصارها دون غيرها عندما تطير من جهة إلى أخرى، ومنهم من ظن أن الرياح الموجهة في الجو تؤلف

إنشاء العجلة الإسلامية

إن هذه الزيارة كانت رمزاً للجمالة الواجبة نحو أكبر المعاهد الثقافية الإسلامية ، أما البحث الذي جرى يتنا فقد كان بطبيعة الحال خاصاً بالثقافة الأسبانية العربية ، ولكتنا لم نبحت مشروعات معينة .

* أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر قراراً يقضى بتأليف لجنة من بعض كبار العلماء الأزهريين الذين نهلوا من الثقافة الأوربية وبعض أساتذة جامعة فؤاد الأول وبعض كبار المشتغلين بالشئون الإسلامية ، لتنظيم العلاقات بين الشعوب الإسلامية من حيث الثقافة والمناهج التعليمية والعمل المشترك للقضية الإسلامية ، ونظراً لأهمية ما ستقوم به اللجنة من بحوث فقد جعلها فضيلته تحت رئاسته الخاصة .

* يجرى البحث الآن بجامعة الدول العربية في تنظيم الحلقة الثالثة للدراسات الاجتماعية العربية ، وينتظر أن تعقد بغداد في شهر نوفمبر القادم ، وقد تقرر أن يشترك فيها ممثلون لتونس والجزائر ومراكش إظهاراً للعلاقة بين هذه البلاد الإسلامية وسائر الدول العربية .

ومن الموضوعات التي ستبحث في هذه الحلقة : الزكاة والوقف ومسئولية الأقارب ، وذلك لبيان وجهة النظر الإسلامية فيما يتصل بهذه المسائل من أحوال المجتمع الإسلامي ، وقد ألفت لجنة لهذا الغرض برئاسة فضيلة الأستاذ

* يعتبر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد المعطي الشرشيمي ، أحد كبار علماء الأزهر ، أكبر العلماء المعاصرين سناً ، فقد دخل المائة الثانية من عمره المبارك المديد ، وقد اقترح بعض العلماء أن يقام لفضيلته - بهذه المناسبة - حفل تكريم لما بذل من الجهود العلمية في هذه الحقبة الطويلة . ودعا فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر إلى حفل في داره تكريماً للعالم الكبير ، فلبى الدعوة كثير من العلماء وبعض الشخصيات الكبيرة ، وعمن حضروا الحفل الدكتور طه حسين باشا الذي حرص على إظهار وفاته لأستاذه إذ كان من الطلاب الذين تلقوا عليه العلم في الأزهر .

* عقدت معاهدة ثقافية بين مصر وأسبانيا تهدف إلى توطيد التعاون العلمي بين البلدين بمختلف الوسائل كتبادل الأساتذة والطلاب والبحوث العلمية . وكان قد لوحظ أن بعض الكتب المدرسية الأجنبية تحوى معلومات عن العالم الإسلامى وعن مصر الحديثة لا تتطابق الواقع والحقائق الجغرافية والتاريخية ، فاتفق الجانبان المصرى والأسبانى على وجوب تصحيح هذه المسائل حتى لا تتطبع في أذهان النشء صورة غير دقيقة عن مصر والعالم الإسلامى .

* تحدث سفير أسبانيا إلى بعض الصحفيين عن زيارته لفضيلة شيخ الجامع الأزهر ، فقال :

بأن يؤدى المؤذن الأذان من داخل المسجد بدلا من المنذنة على حين تتولى مكبرات الصوت المنذنة في المنذنة تكبير الأذان ونقله إلى الأسماع بوضوح . استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم الأستاذ مصطفى كامل رئيس الديوان الملكي في ليبيا ، والأستاذ عبد العزيز حمزاوى وكيل الديوان ، ودار الحديث في هذه المقابلة حول تطبيق الشريعة الإسلامية في ليبيا ، فقال فضيلته : « لا شك أنها خير تجربة ، وأتمنى أن تكون تجربة ناجحة تشجع الدول الإسلامية على تطبيق الشريعة التي يرجع عدم الأخذ بها إلى جهل ما فيها من جمال وضمآن لصالح الناس جميعاً » .

• أعلنت مؤسسة «روكفلر» الأمريكية الخاصة أنها قد منحت جامعة «ما كفل» بكندا مبلغاً قدره ٢١٤٨٠٠ دولار كى تستعين به على نفقات معهد الدراسات الإسلامية الذى افتتح فيها حديثاً وقالت المؤسسة إن تفهم الدين الإسلامى مشروع تعاونى هام يصبروا إليه المسلمون والغربون معاً .

• أذاعت وكالة الأنباء العربية من مكة أن أسئلة الامتحانات العامة هناك ستكون مطابقة للأسئلة في مصر ، تمشياً مع نصوص الاتفاق الثقافي بين المملكة السعودية وجامعة الدول العربية الذى يرى إلى توحيد التعليم في العالم العربى .

الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل الجامع الأزهر . جاء من « واشنطن ، بأمريكا أن الدكتور محمود هبة الله مدير المعهد الإسلامى هناك يعمل على أن يبدأ المعهد عمله قبل نهاية هذا العام ، وقد صرح بأن جميع الدول الإسلامية تتعاون معه فيما يحتاج إليه للمعهد ، وأن وزارة المعارف والجامعات في مصر وعدت بأن تزود المعهد بالكتب المتعلقة بالثقافة الإسلامية ، وأنه ينتظر هبات عاتلة من الدول الإسلامية الأخرى .

• وقال الدكتور هبة الله أن من أغراض المعهد التيسير لرجال العلم الأمريكيين القيام بأبحاثهم عن العالم الإسلامى ، وإتاحة الفرص للأمريكيين العاديين ليجدوا فيه كتباً تعطيهم فكرة صحيحة عن مبادئ الدين الإسلامى . ثم ذكر أنه يفكر في إصدار مجلة توزع في أنحاء البلاد وتحقق غرضين أحدهما زيادة المعرفة بالشئون الإسلامية والآخر تزويد المعهد بإيراد يساعده على نفقات إدارته .

• سيصدق صوت المؤذن في أحد أحياء واشنطن - حيث أوشك العمل في إنشاء جامع واشنطن على التمام - بالدعوة إلى الصلوات الخمس في القريب . وقد ذكرت جريدة واشنطن ستار في مجلة التعليقات التي عقبها مختلف الصحف على إنشاء المسجد أن طريقة الأذان في المسجد الجديد ستكون على غرار الطريقة التي أخذت تتبعها بعض المساجد في القاهرة في المدة الأخيرة

النشاط الثقافي في الأزهر

نمهم :

في الأزهر أكبر جامعات الشرق وأقدمها نهضة ثقافية ، إلى جانب رسالته ، أو هي على الأصح جانب من هذه الرسالة ؛ وترجع أرومة هذه النهضة الثقافية في الواقع إلى عهد محمد علي الكبير منفي* النهضة المصرية الحديثة ؛ فقد كان من نوابغ بعثاته إلى أوروبا في مختلف العلوم والفنون ، عدد من أبناء الأزهر ، وكان هؤلاء بعد عودتهم عظيم الفضل فيما أخرجت مطبعة بولاق من مؤلفات ومن كتب عربية ، كما كان لهم عظيم الأثر في نهضة التعليم بالبلاد .

وظل أثر الأزهر في الحياة المصرية يتجلى حيناً بعد حين ، في أشخاص من نهلاء من مثله من رجال الأدب والقانون والسياسة والإصلاح الاجتماعي ، ولقد كان لكثير من هؤلاء الأزهريين المدنيين مكان القيادة في نهضتنا الثقافية منذ مستهل هذا القرن ، كل في محيطه .

ولما نهض العاهل العظيم الملك العالم فؤاد الأول بمصر نهضته ، كان للأزهر نصيب عظيم من همته ، فأصدر - نضر الله وجهه - سنة ١٩٣٠ القانون الذي قامت عليه الجامعة الأزهرية الحديثة ، ثم أتبعه بالقانون الذي صدر في سنة ١٩٣٦ والذي تم به تنظيم الأزهر الحديث والمعاهد العليا الإسلامية ، وما زالت تنمو هذه الجامعة وتمتد فروعها في أنحاء مصر ، وتفتح أبوابها لفاصديها من أقطار الشرق حتى أصبحت

جامعة الشرق الكبرى ، وصارت تضارع في مبانيها ومعداتها وأجهزتها كبريات الجامعات في العالم . وهي ومعاهدها تضم اليوم أكثر من عشرين ألفاً من الطلاب منهم قرابة أربعة آلاف من البلاد الإسلامية وتنبأ اليوم هذه الجامعة الكبرى لنهضة ثقافية عظيمة يتولى قيادتها شيخها الأكبر بتوجيه من حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول أعزه الله وأعزبه الإسلام والمسلمين ولقد أشار إلى ذلك فضيلة الأستاذ الأكبر بقوله في بيانه الذي ألقاه على رجال الصحافة بتاريخ أول نوفمبر سنة ١٩٥٠ : « لقد تشرفت في العاشر من المحرم سنة ١٣٧٠ هـ الموافق (٢٢ من أكتوبر سنة ١٩٥٠) بمقابلة حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم ... وأصارحكم بأتمى كنت قبل أن أتشرف بهذه المقابلة محسباً بثقل التبعة ، مشفقاً على نفسي من تحمل هذه الأمانة الكبرى ، فلما تشرفت بمقابلة جلالته ، ولقيت من عطفه السامى ما لقيت ، وشعرت وأنا في حضرة بشدة رغبته في الإصلاح ، شرح الله صدرى وأفر عيني وأحسست أن روحاً من القوة والعزيمة يسرى في نفسي . لقد وجدت جلالته حفظه الله محيطاً بشؤون هذا المعهد دقيقها وجليلها ، وكان من ذلك أن جلالته أدام الله توفيقه ، يادرك بتوجيهات وإرشادات سامية ، أضامت لي السبيل إلى تحقيق ما أبتغيه من ضروب الإصلاح . وإنني إذ ألخص لحضراتكم خطتي ومنهاجى ، إنما أصدر عن هذه التوجيهات الكريمة والإرشادات السامية ،

جوائز فؤاد الأول للتحريجين :

وفي الثامن والعشرين من شهر أبريل الماضي احتفل الأزهر بتوزيع جوائز المغفور له الملك فؤاد الأول على المتفوقين من خريجي الكليات الثلاث ، وذلك في يوم ذكرى العاهل الراحل الذي تبرع من ماله الخاص بهذه الجائزة وقدرها مائة جنيه لتوزيع سنويا على الناهين . وقد شرف الحفل مندوب من قبل جلالة الملك ، وألقى أوائل الخريجين الفائزين بالجوائز كلمات أشادوا فيها بفضل الملك الراحل على الأزهر واقتداء بهذه السنة الملكية الكريمة ، أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم أمره برصد ألف جنيه لإنشاء جوائز للتفوقين من الخريجين كل عام ، ولمن يحسنون من الطلبة دراسة كتب معينة في الإجازات الصيفية كل سنة . وعلى قدر فهمهم وإفادتهم منها تكون مكافأتهم . وستكون هذه الجوائز بعون الله قوة الأثر في النهضة الثقافية للأزهر .

الأزهر في مؤتمر كراتشي :

أوفد الأزهر مندوبا إلى المؤتمر الذي انعقد بمدينة كراتشي في الشهر الحالي ليشترك مع الوفود الإسلامية فيما ترجوه من توثيق الصلات والتعاون بين أمم الإسلام . ولقد كان لبعض الشخصيات الأزهرية - فضلا عن مندوب الأزهر الرسمي - نشاط واضح في هذا المؤتمر الإسلامي .

ازداعات أثرية في أمريكا :

قد أجاب الأزهر السفارة الأمريكية إلى ما طلبته عن طريق المراقبة العامة للبحوث والثقافة

ومن التواحي الإصلاحية والثقافية في هذه النهضة المباركة العمل على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية ، وتوجيه العلماء إلى وضع أبحاث في الفقه والتشريع تسير الروح العلى الحاضر ، وإلى إصدار نشرات ووضع مؤلفات باللغات الأجنبية لبيان حقيقة الإسلام والتعريف بمزاياه ، والعمل على النهوض بالبعوث الإسلامية وتنظيم الاتصال بالبلاد المحتاجة إلى معونة الأزهر ، والعناية بمجلة الأزهر حتى تكون في طليعة المجلات الكبرى ، وتتمكن من أداء مهمتها على الوجه الأكمل ، والعمل على إنشاء مطبعة خاصة تعين على إخراج ما يرى الأزهر لإخراجه من الكتب وعلى طبع مؤلفات علمائه ، إلى غير ذلك من الشؤون العلمية والثقافية .

ولقد أخذت تدب في الأزهر روح جديدة ترصد بعض مظاهرها على قدر ما يتسع له هذا المجال .

الأزهر ومهرجانه ابن سينا :

اشترك الأزهر في الاحتفال الالني بابن سينا الذي انعقد في بغداد من ٢٠-٢٨ من شهر مارس الماضي ، وقد كان لمندوب الأزهر نشاطه الملحوظ في هذا الاحتفال ؛ ولقد أذاع من محطة الإذاعة العراقية كلمة موضوعها : الأزهر واحتفال ابن سينا ، بين فيها عناية الأزهر طوال عمره المبارك بالمحافظة على التراث الإسلامي العلى وأشاد بنهضته الحديثة ؛ واتصل بكثير من الشخصيات المهمة بنشر الثقافة الإسلامية ، وبين لهم خطة الأزهر لتحقيق هذه الغاية .

الثقافة الإسلامية في البلاد الأوروبية ؛ وتأليف لجنة أو لجان لاختيار أصلح الترجمات باللغات الأوروبية المتداولة الآن للقرآن تلبية للطلبات الخاصة بذلك ، حتى تتم ترجمته من قبل الأزهر ؛ وإرسال بعض علماء الأزهر إلى باريس وهامبورج وكارديف وجوز ترنداد ، حسب الطلبات الواردة منها .

مجلة الأزهر

ونستأذن القارىء في أن نشير إلى مجلة الأزهر في عهدها الجديد ، وتقدم بها إليه متواضعين دليلاً على ما يذب في الأزهر اليوم من روح النهوض .

في السكليات والمعاهد

بقي أن نشير إلى ما في بعض السكليات والمعاهد الأزهرية من نشاط ثقافي اجتماعي تجلي على خير ما يرجي في مسرحيات إسلامية مثلها طلاب الأزهر كسرحيات « صلاح الدين الأيوبي » ، و « المعز لدين الله الفاطمي » ، و « عبد الرحمن الناصر » . وقد ظفرت كلها بإعجاب من شهداها من علية المتقنين وثنائهم . ويشرف على هذا الجانب من النشاط الأستاذ محمد كمال أنور محمد مفتش العلوم بمعهد القاهرة . وكذلك نشير إلى ما يبذله الأستاذ محمد مصطفى شوقي مفتش العلوم ومراقب النشاط الاجتماعي والرياضي في الأزهر من عظيم الهمة في ميدان الرياضة على اختلاف أنواعها حتى لقد أدهش الأزهر كل من شهد فرقه في التدريب العسكري وألعاب القوى والسباحة والمصارعة وكرة القدم وكرة السلة وغيرها من وسائل النهوض بالأبدان والأذهان .

الإسلامية من تنظيم سلسلة من المحاضرات الدينية يلقيها على طلاب الثقافة الإسلامية الأمريكية في شهر رمضان المبارك ، خمسة من العلماء المعروفين بسعة الاطلاع وعمق البحث ، في واجب الفرد نحو الله ونحو الإنسانية ، والتعاون بين المسيحية والإسلام ، وفي سماحة الإسلام ، وحاجة العالم إلى الورع والتقوى ، واختيار الأصدقاء في نظر الإسلام . وقد سجلت هذه المحاضرات فعلاً لتنداع في أمريكا .

مجمع فاروق الاول للشريعة الإسلامية

ومن المشروعات الجليلة التي يعمل الأزهر لتحقيقها إنشاء مجمع على غرار مجمع فؤاد الاول للغة العربية ، يسمى بمجمع فاروق الاول للشريعة الإسلامية ، وبما جاء في مذكرة اللجنة التي ألفت لبحث هذا المقترح قولها مخاطبة الأستاذ الأكبر : « يا صاحب الفضيلة ، إذا كان مجمع فؤاد للغة العربية قد قضت به الضرورة ، ودعا إليه داعي الإصلاح ، واستلزمته مقتضيات العصر وما جد فيه ، فإن ذلك كله يوجب أيضاً أن يكون في مصر ، وتحت ظلال الأزهر ، مجمع ديني على ينسب إلى الفاروق العظيم ، ويكون له غرضاً على الاولين ولسان صدق في الآخرين » .

مشروعات المراقبة العامة للبحوث

وفي المراقبة العامة للبحوث والثقافة الإسلامية نهضة جديدة بالتنويه العظيم . وحسبك أن تقرأ في جدول أعمال لجنتها الاستشارية بتاريخ ١٩ من هذا الشهر : النظر في الأسس التي يقوم عليها نظام بعوث الأزهر إلى البلاد العربية ، وإنشاء معهد للدعوة الإسلامية ؛ والنظر في أمر بعثة الأزهر بلندن ، ودراسة إرسال بعثات علمية أخرى للجامعات الأوروبية ؛ ووسائل نشر

بدل لا شير اك
٥٠ في صرو السودان
٦٠ في الاقطار الاسلامي
٥ ثمن البحرة

مجلة الانوار

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات بك
العنوان : إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
تليفون : ٨٤٥٩٥

الجزء العاشر - القاهرة في غرة شوال سنة ١٣٧١ - ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ - المجلد الثالث والعشرون



فهرس

صفحة	مادة
٢	أين للسودان اليوم من الاسلام ؟ لصاحب المزة الأستاذ أحمد حسن الزيات بك
٥	مثل الحق والباطل في كتاب الله للمفكرة صاحب الفضيلة الأستاذ حسين محمد مخلوف
١١	الوعظ الديني وكيف يكون لصاحب المزة الدكتور أحمد أبهني بك
١٢	لا ولاية بين الحق والباطل لصاحب الفضيلة الشيخ محمد محمد المدني
١٦	الاملية في الفريضة الاسلامية والقانون المدني لصاحب الفضيلة الأستاذ عبد الوهاب خلاف بك
٢١	الشفعة بين الفقه والقانون المدني لصاحب الفضيلة الدكتور محمد يوسف موسى
٢٧	التقوى في القرآن لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود شلتوت
٣٣	دين العقل لصاحب المزة الأستاذ محمد أحمد الفراروي بك
٣٧	لغة منطقية للاستاذ عباس محمود العقاد
٤١	منطق أرسطو والتحول العربي للككتور ابراهيم بيومي مذكور
٤٦	خصائص العقافة الاسلامية لصاحب المزة الأستاذ محمد خلف الله بك
٤٩	حياة اللغة العربية في الجزيرة قبل الاسلام للككتور عبد الحليم النجار
٥٤	علم الملوك لصاحب الفضيلة الشيخ عبد القادر المغربي
٦١	القمة الموحدة لصاحب المزة الأستاذ محمد فريد أبو حديد بك
٦٨	المساواة في الاسلام لصاحب المزة الدكتور علي عبد الواحد والى بك
٧٣	الشيخ عبد الله الشرفاوي للاستاذ محمود الخفيف
٨٠	أزمة الضمير الديني لصاحب الفضيلة الدكتور محمد الهسي
٨٤	الدمع للسادى في النصر الحاضر للككتور أحمد فؤاد الأهواني
٩٠	موازاة والتسلم بين رأيه وبعض فلاسفة الاسلام لصاحب الفضيلة الأستاذ محمود الخفيف
٩٤	الهندوكية دين في الناس حقين لصاحب المزة الدكتور أحمد ذكي بك
٩٩	اشماش الاسلام في الجمهورية التركية لصاحب المزة الدكتور محمد عوض محمد بك
١٠٣	نحية ووصية لصاحب الفضيلة الشيخ علي الطنطاوي
١٠٣	العالم الاسلامي في شهر
١٠٧	ما يقال من الاسلام
١١٤	كعب : آية البر من آيات القرآن ، النهضة الحديثة في جزيرة العرب ، الشفاء لابن سينا ، ايساغوجي ، الاتجاهات الحديثة في الاسلام ، موجز لطبيعة الفكر ، إيران وأفغانستان .
١١٨	أبناء العالم الاسلامي
١٢١	الادب والعلوم في شهر
١٢٤	طرائف طيبة وأدبية
١٢٧	النشاط الثقافي للازهر

أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ مِنَ الْإِسْلَامِ ؟

لشفائه ونهاية لآله ، فكان يتشوف إليها من وراء الغيوب ، ومن خلال القرون ، فلا يراها ، لا في الحروب التي شن ، ولا في النظم التي سن ، ولا في الشرائع التي اعتقد ، حتى أراد الله للأعجب الفضال أن يهتدى ويسترفه ، فكان محمد هو المنار ، وكان الإسلام هو المرفأ !

إن من المبادئ التي ميزت الإسلام التوحيد وهو سبيل القوة ، والإخاء وهو سبيل التعاون ، والمساواة وهي سبيل العدل ، والحرية وهي سبيل الكرامة ، والبر وهو سبيل المحبة ، والسلام وهو سبيل الرخاء . وكل هذه المبادئ معلومة من القرآن بالنصوص الصريحة ، فلا موضع فيها لتأويل أو تحميل أو تصسف . وهي كما ترى تضمن أفضل ما في الديمقراطية ، وأعدل ما في الاشتراكية ، وأجمل ما في المدنية ؛ فهي حرية أن تصلح ما فسد من أمور الناس ، وأن تقيم ما اعوج من نظام الدنيا . وقد كانت كذلك يوم كان لحاتها دولة ، ولدعائها صوت ، ولعقديها يقين ، فلما دالت الدولة ، وخشع الصوت ، وأرأب اليقين ، تمزق المسلمون قطعانا في فدادن الأرض ، لا مرعى يحميهم ، ولا راع يذود ، ولا حظيرة تروى . ثم كانوا يتخلفهم عن ركب الحياة حجة على الإسلام في رأى السفهاء من مرضى الهوى أو الجبل ، فصموا عن دعائه ، وعصوا عن ضيائه .

أصبح من المعلوم في بدايته العقل الحر أن الدين الإسلامي هو الصورة الكاملة لشرائع الله ، والقوة المهيمنة لقوانين الطبيعة . وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض ، ورواهب الحياة ، ومزل الوحي ، أسس القواعد التي تكفل للعالم نظامه وسلامه ، وللبجتمع وحدته وقوته ، ولل فرد سعادته وكرامته ، مهما يتناول الأمد وتتغير الحال . ومن غير الله جلت قدرته يفجر نور الهدى للأرض من غار مظلم موحش ، ويبجس نبع الحياة للناس من جبل مجذب وعمر ؟ وهل كان لولا وحي الله في غار حراء من جبل النور ، في مقدور أمي نشأ ربيب اليتم والمُدم في قرية جاهلة من قرى الحجاز المقفر ، أن يعلن في أوائل القرن السابع حقوق الإنسان وحرياته ، وهي الحقوق التي أعلنت بعضها فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة ، وأعلنت بعضها أمريكا في أواسط هذا القرن بعد الحرب ؟

وما كان لبشر سليم الفطرة أن يستريب في أن الدين الذي أكله الله ثيبه ، ورضيه لخلق ، ونسبه إلى نفسه ، هو وحده مصدر الخير المحض ، ومظهر الكمال المطلق ، وسبيل الغاية التي يجد عندها ابن آدم المكسود المجهود نقسا من كربه ، وراحة من تعب ، وسكينة من اضطرابه ؛ تلك الغاية التي كان يراها ، منذ هبط العاصي من الجنة ، حداً

الأرض ، خسارة على المغلوب وريح للغالب .
لقد تغيرت عقائد الإسلام الحرة النقية في
نفوس الكثرة من المسلمين كما يتغير الشراب
الخالص في الإناء القنبر ! انحلت الأخلاق
فلا تماسك في قول ولا فعل ، وتقاطعت القلوب
فلا تواصل في دين ولا وطن ، واستأثرت
النفوس فلا تتعفف في صداقة ولا نسب ،
واستبهمت المذاهب فلا تستبين بنجم ولا شمس ؛
وأصبحت غاية الدين في رأيهم مظاهر من العبادة
لا تتخذ ، وظواهر من البدع لا تنفع ، وأقويل
من الوعظ لا تدل .

من يصدق أن المسلمين اليوم يفقهون القرآن
حق الفقه ، وهو الكتاب المبين الذي يهدي به
الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويهدهم إلى
صراط مستقيم ، وكل انتفاعهم منه أن يحملوه
للحفظ كما تحمل التائم ، وأن يقرءوه للبركة كما تقرأ
الأوراد ، وأن يشدوه للطرب كما تشد الأغاني ؟
من يصدق أن المسلمين اليوم يقدرون الرسول
حق التقدير ، وهو الذي قال فيه أصدق الغائلين :
« وإنك لعلی خلق عظیم ، « وعليك مالم تكن
تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما ، وكل
ما يمدحونه به أن يرفع المؤذن عقيرته في الأذان
بالصلاة على « مليح الوجه ، وأن يتغنى منشد
سيرته المطهرة بحمرة خديه وسواد عينيه ، كأن
الصباحة والوسامة والرواء هي كل ما يمتاز به محمد
نبي التوحيد والوحدة ، ورسول السلام والمحبة ،
وداعى الحرية والكرامة ! لقد أنف عبد الملك
ابن مروان أن يمدحه ابن قيس الرقيات بقوله :
يأتلق التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

أين المسلمون اليوم من إسلام عمر وغالد ،
والرشيد والمأمون ، والناصر والحكم ، والمعز
والحاكم ؟ ألم يبلغ هؤلاء بفتوح الجيش وفتوح
الدين وفتوح العلم وفتوح الخلق من السلطان
والعمران ما لم تبلغه أمة من قبل ، فنزل على حكمهم
الدهر ، ودخل في ملكهم العالم ؟

إن الدين الذي رفع هؤلاء السادة والقادة إلى
الذروة ، وضمن للخلافة في عهودهم العزة والمنمة
والقوة ، لا يزال هو الدين ، لا يغيره الزمن ،
ولا تجافيه الطبيعة ، ولا يعاديه العلم ، ولا تنسخه
المذاهب ؛ وإنما الأمر فيه كما قال الرسول
صلوات الله عليه : « مثل ما بعثني به الله من الهدى
والعلم كمثل غيث أصاب أرضا ، كان منها طائفة
طيبة قبلت الماء وأنبت الكلا والعشب الكثير .
وكان منها أجادب أمسكت الماء ففزع الله به الناس ،
فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة منها
أخرى ؛ إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً » .
والمسلمون اليوم هم هذه القيعان ، تحدت إلى
ما ركذ فيها من سلسل الوحي عكارات المذاهب
الطارئة ، ورواسب العقائد الخاطئة ، فكان منها
ذلك الخلط العجيب الذي يعوق عن السعي
ويمنع من النظر ويصد عن الفكر ؛ ثم كان من أثره
أن ترى اليوم مواطن العرب والإسلام : مراکش
والجزائر وتونس وليبيا ومصر وفلسطين وسورية
والعراق وإيران وباكستان والصين وأندونيسيا
وسائر جزر الهند الشرقية ، قد أصبحت نهبا مقسما
بين دول الاستعمار يتنازعون فيه ، ويتقاتلون عليه ،
وليس من أهلها من يقول فيسمع قوله ، أو من
يفعل فيخشى فعله ، وإنما هم أشياء كثرة

الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكرامة الموت،

والم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله
وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست
قلوبهم وكثير منهم فاسقون؟

بلى، والحمد لله قدامي للؤمنين أن يكشفوا
عن الميؤن غشاوة الباطل، ويجلوا عن القلوب
صدأ الغفلة، فيصروا الطريق ويستبينوا الغاية.
وإن في يقظة الوعي الإسلامي التي بدت في تماطف
المسلمين على البعد، وتباحثهم في القرب، وتحالفهم
على الأحداث، لاشعة من تباشير الصباح، قبلها
الليل المظلم، وبعدها النهار المشرق. ولعل الأزهر
وحده هو الذي يملك أن يقوى هذا الوعي
ويوجه هذا الشعور. إذا عمر الصدور بالإيمان
الخالص عن طريق التعليم في المدارس، والوعظ
في المساجد، والنشر في الصحف، والحديث
في الإذاعة، والنظر قبل ذلك كله فيما يقرأ
المسلمون من كتب، وفيما يدرس المتعلمون من
مناهج، وفيما يمشي الموهوبون من بدع؛ فإن
تقية الدين بما علق به ودرس فيه تكشف للناس
عن جوهره وتصلهم بروحه. والفتام يحجب
الشمس، والقننى يفسد الشراب. وإن الماء إذا
راق ساغ، وإذا ساغ روى. وعما قريب ينشر
المسلمين والأزهريين بما رأى الشيخ الأكبر من
إصلاح، وبما عزم من عمل. جدد الله بسميه
حب الإسلام، وحقق في عبده صلاح الأزهر؟
أحمد حسن الزيات

فقال له: وماذا من الفضل في تألق التاج
ونصاعة الجبين؟ هلا مدحتني بمثل ما مدحت به
مصعب بن الزبير إذ تقول فيه:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلام
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء
ثم حرمة عطائه الممركه. والفرق بين فضل
الرسول وفضل الخليفة كالفرق بين الجبل والذرة،
أو بين الشمس والشرارة!

من يصدق أن المسلمين اليوم يؤمنون بالإسلام
وفهم من يؤمن بالشوعية وأهلها يزعمون أنهم أعلم
من الله بأحوال خلقه، وأعدل منه في قسم وزقه.
ثم يقولون بكل وسيلة من وسائل القول: كل
شيء مشاع، وكل أمر مباح، وكل إرادة طليقة!
والمسلمون يسمعون هذه الأضاليل تبث في الإذاعة،
وتنشر في الكتب، وتردد في المجالس، فيعرفون
لها سمع النبي، وتدفعهم شهوة الإباحية إلى أن
يشترخوا الضلال بالهسدى، ويستبدلوا الحقيث
بالطيب، ويؤثروا أن يكونوا كالذين كفروا
يتمتعون ويأكلون كأنهم الأنعام والناثمون لهم.
والعلة في كل أولئك هي الجهل التام والعلم
الناقص، فلو أن المسلمين اعتقدوا بهم اعتقاد
المؤمن، وفهموا دينهم فقه المقتنع، واتبعوا
رسولهم اتباع المصدق، لما أصبحوا في الحال التي
تنبأ بها الرسول صلوات الله عليه إذ قال: «يوشك
أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها،
وليبرز عن الله من قلوب أعدائكم المهاباة منكم،
وليقتذفن في قلوبكم الوهن». فقال قائل: أو من قلة
نحن يا رسول الله يومئذ؟ قال: لا. إنكم حينئذ
لكثير؛ ولكنكم غناء كغناء السيل! فقال قائل: وما

فِي الدِّينِ وَالْفَقِيهِ

مَثَلُ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كِتَابِ اللَّهِ

لصَّالِحِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ حَسَنِ مُحَمَّدٍ مَخْلُوفٍ

مفتي الديار المصرية

بعد أن بين الله هذا ضرب في هذه الآية مثلين للحق في استقراره وثباته ، وللباطل في زهوقه واضمحلاله . ليبين أن الباطل وإن استعمل أمة من الدهر لابد أن يقهر ويذول ، وأن الحق وإن اختبأ ضوؤه حيناً لابد أن يبدو .

وقد جرت عادة القرآن أن يضرب الأمثال للناس عظة واعتباراً ، وهداية واستبصاراً ، وتذكيراً للعقول ، وتقريباً للعقول ، حتى أصبحت أمثال القرآن فنّاً رائعاً من فنون البلاغة ، وعلماً مدوناً من علوم القرآن .

قال تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون » ،

وقال (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) . ومنها هذه الآية السكينة فقد نظمت في سلك واحد مثلين لكل من الحق والباطل . أولها

مثل مائي ، والثاني مثل ناري ، نظماً فاتحاً بديعاً ، وتأليفاً رائعاً بليغاً ، وتصويراً للحق والباطل بصورة محسوسة لتتمكن منها العقول فضل تمكن .

فشبه الله الحق بالماء الذي يستقر في بطون الأودية بعد السيل في صفاء ونقاء بعد أن يخلص من الزبد والغناء فينتفع به الناس في كل شيء .

وشبهه بالمعادن التي يفتن بها الناس حلية أو متاعاً بعد أن تخلص من الخبث بالصهر بالنار . أما الباطل فشبهه بالزبد الزابي الذي يحمله

قال الله تعالى : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ، وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل ؛ فأما الزبد فذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . كذلك يضرب الله الأمثال » .

بين الله تعالى في الآيات السابقة ما كان من المشركين من التشبث بالباطل واتخاذهم أولياء من دون الله ، وما كان من المؤمنين من الإذعان للحق ، والإقرار بالوحدانية لله تعالى .

ومثل للفریقین بالاعمى والبصير ، ومثل للشرك والتوحيد بالظلمات والنور في قوله « قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور » . ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار .

قامت دعوة الإسلام على هذا التوحيد الخالص ، وأن كل ما سوى الله تحت سلطانه وقهره لا مثيل له من خلقه ولا شريك له في ملكه وجاء القرآن يضرب أروع الأمثال ، ويقم أقوى البراهين للهداية إليه ، والدلالة عليه ، فاستجاب له القطر السليمة ، وأذعن له العقول المستقيمة ، فعرفت أنه الحق ، وجحدته خلائق عنادا واستكبارا أو جحلا وضلالا . فعسى عليهم السيل ، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً .

الجزاء بقوله (ل الذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافسدوا به أولئك لهم سوء الحساب وماؤام جهنم وبئس المهاد). فأما الذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى الحق واعتصموا به فلم المثوبة الحسنى والجزاء الأوفى (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وأما الذين لم يستجيبوا له وتشبهوا بالباطل والاهواء وتقليد الآباء فلو أنهم يملكون ما فى الأرض جميعا ومثله معه لافسدوا به أنفسهم من عذاب الله . أولئك لهم سوء الحساب . وهو الحساب الذى لا يغفر لهم فيه ذنب . وهماؤام جهنم وبئس المهاد .

بالدعوة إلى الحق نطق آيات القرآن فاستجاب لها ، وآمن بها من شرح الله صدره للإسلام وأودع فى قلبه النور والهدى ، فأبصر واهتدى ، وكذب بالآيات من ختم الله على قلبه وعلى سمعه ، وجعل على بصره غشاوة فضل السيل وغوى . وذلك قوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) .

وقد بين الله تعالى إثر ذلك أن الامثال التى يضر بها للناس للاعتبار ، والأعلام التى ينصبها للهداية ، إنما يفتفع بها أولو الألباب الذين يطلبون من كل صورة معناها ، ويفهمون فى كل قصة مغزاها ، ويأخذون من كل قشرة لبابها ، ويتفنون من ظواهر الأشياء إلى أسرارها وحكمها . فقال سبحانه : (إنما يتذكر أولو الألباب الذين يرفون بعبد الله ولا يتقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم

السيل فى قوة اندفاعه ثم لا يلبث أن تدفعه الرياح ، وتقذفه الأمواج إلى جنبات الأودية فيضمحل ويذهب ، وبالخبث الذى يخالط المعادن فى الأرض ويعلوها إذا صهرت كزبد السيل ثم يقذف به ويرمى لتصفو من كدره فإذا هو لقي مطرح ، وإذا المعدن خالص نقي .

وذلك قوله تعالى : (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) بمقدارها الذى اقتضته الحكمة الإلهية فى نفع الناس بالماء (فاحتمل السيل زبداً رابياً) عالياً فوق وجه الماء ، والزبد هو الرغوة والغناء الذى يحمله السيل إذا جاشت مياهه واضطربت أمواجه وهذا مثل للحق والباطل ، ثم ضرب المثل الآخر بقوله تعالى (وما يوقدون عليه فى النار) من المعادن النفيسة وغير النفيسة (ابتغاء حلية أو متاع) أى ابتغاء اتخاذها حلية للزينة والتجمل أو متاعاً ينتفع به . (زبد مثله) مثل زبد السيل فى كونه رابياً فوقه (كذلك يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب مثل كل منهما هداية وبصرة للناس . (فأما الزبد فيذهب جفاء) مرئياً به مقدوفاً . يقال جفا الماء بالزبد إذا قذفه ورماه . (وأما ما ينفع الناس) من الماء الصافى النقي من الغناء ، ومن الجوهر الخالص النقي من الخبث (فيمكث فى الأرض) .

فمقيدة التوحيد هى الثابتة المستقرة التى ينتفع بها فى الدار الآخرة ، وعقيدة الشرك والضلال هى المضطربة الزائلة التى لا نفع لها فى العقبى (كذلك يضرب الله الامثال) فى كل شأن جليل لسكال اللطف والعناية فى الإرشاد والهداية .

وبعد أن بين سبحانه مثل الحق والباطل فى الحال والمآل ، بين مآل المحققين والمبطلين يوم

المعقود والمعاملات على اختلافها واحترام المواثيق مثل الوفاء بالعهود لا يصدر إلا عن النفوس الآتية .
والحث عليه في القرآن والسنة من صميم الإصلاح الاجتماعي الذي حرصت عليه الشريعة .
وليس من ذلك بالضرورة تلك المواثيق والعهود الباطلة أو الضارة التي تقع بين الناس ، أو بين الدول فإنها واجبة النقض والرفض ، ولا يجوز الوفاء بها بأي حال ، بل هي من المنكر الذي يجب أن يزال .

٣ - ثم وصفهم بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل في كتابه وعلى لسان رسوله فيصلون بينهم وبين ربهم بالإيمان به والإذعان لأحكامه والاحتكام إليها في كل دقيق وجليل (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ، يصلون بينهم وبين الناس بالحسنى واحترام الحقوق والمواساة والبر والإحسان . يصلون ذوى الأرحام توثيقاً للروابط بين الأسر ، وتأكيذاً للتعاون على البر .

وفي الحديث ثلاث يأتين يوم القيامة لها ذلق (أى حدة لسان) الرحم ، تقول أى ربى قطعت ، والامانة تقول أى ربى تركت ، والنعمة تقول أى ربى كفرت .

بل يصلون الحيوان الأنجم برعاية حقه والرفق به والإحسان إليه حتى في ذبحه والقيام بما يطلب في شأنه وجوباً أو ندباً ، فهو بما أمر الدين أن يوصل . وعن الفضيل بن عياض الخراساني أن جماعة وفدوا عليه بمكة فقال من أين أنتم قالوا من أهل خراسان ، يذكرونه بما بينهم وبينه من صلة المنشأ - فقال : اتقوا الله تعالى وكونوا من حيث

وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) هؤلاء هم أولو العقول السليمة وهم الذين يعقلون ما ضرب الله من الأمثال ويعبرون منها إلى ما وراءها من الأحكام والحكم والأسرار وقد وصفهم الله تعالى بتسع صفات .

١ - وصفهم بأنهم يوفون بعهد الله . وعهد الله هو كل ما عهد الله عليه وأمر بحفظه ومراعاته ، فيشمل الميثاق الذي أخذه على عباده بمقتضى الفطرة أن يقرأوا بربوبيته ويشهدوا بوحديته ، والأحكام التي أزم بها عباده في كتابه وسنة رسوله ، وما أزم به العباد أنفسهم من القرب ونوافل الطاعات ، والوفاء بالعهد في العبادات ورأسها الإيمان ، وفي المعاملات والأمانات وغيرها من أخص صفات المتقين ، والإخلاص به من أمارات النفاق والحث عليه عملاً بمحصى كثرة لعظم شأنه وجليل أثره في صلاح المجتمع .

قال تعالى : وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً ، وقال : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ، ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وفي الأحاديث : (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) (ومن عاهد الله ففقد) كانت فيه خصلة من نفاق) (ثلاثة أنا خصمهم يوم

القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل أعطى عهداً ثم غدر ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى عمله وظلله أجره ، ورجل باع حراً فاسترق وأكل ثمنه .

٢ - ثم وصفهم بأنهم لا يتقصنون الميثاق الذي وقوه على أنفسهم والتزموه فيما بينهم وبين الله تعالى من الإيمان به والتزام أحكامه والوفاء بما شاء من طاعاته . وفيما بينهم وبين العباد من

وعلى قمع الشهوات طمعا في رضا الله ، ورضاء
بما قدره وقضاء ، وثقة بأن الخير فيما كان
لا فيما يؤمل أن يكون ، والصبر عدة الجهاد ،
وعنوان اليقين وهو لأجل الله أعظم وأكل .

٧ - ثم وصفهم الله بأنهم يقيمون الصلاة فيأتون
بها قيمة كاملة الهيئة والأركان ، وهي سنائم
الإسلام وعمودُهُ ، وهي التي تنهى عن الفحشاء
والمنكر ، وهي الفارق بين المؤمن وغير المؤمن .

٨ - ثم وصفهم بأنهم ينفقون بما رزقهم الله
سراً وعلانية على الفقراء والمساكين لا يقتصرون
في ذلك على الفدر المفروض من الزكاة بل يؤدون
لإخوانهم المؤمنين ما يعلنون أنهم في مسيس الحاجة
إليه مهما كان قدره ، وفي هذا إصلاح للجتمع ،
وبعث روح التعاون والتعاطف بين الناس .
وهو باب إذا ولجه المسلمون بصدق وإيمان
قوى ، انجابت عنهم شروور وعجن .

٩ - ثم وصفهم أخيراً بأنهم يدرءون بالحسنة السيئة
فيدفعون الذنوب بالزوبة والاستغفار ويدفعون
الشر بالخير ، والجهل بالحلم ، والإساءة بالإحسان
وفي هذا التسامح ، الأمن والسلام والمحبة والوئام .
وكم كان لمقابلة الشر بالشر والسيئة بالسيئة
أثر سيء وأخطار فادحة !

ومن أدب القرآن في ذلك قوله تعالى (وإذا
مروا باللغو مروا كراماً) وقوله تعالى (وأعرض
عن الجاهلين) .

أولئك المتصفون بهذه الصفات المتخلقون بهذه
الأخلاق (لم يعقبى الدارجات عدن يدخلونها ومن
صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
فنعيم عقبى الدار)
مصنوع محمد مخاوف

شتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله
وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن محسناً .

هذا موقف دين الإسلام من الرفق بالإنسان
بل والحيوان عامة ، فإين منه أولئك القساة الذين
يفنون الأمم بالتقابل الذرية وغير الذرية ،
ويسترقون الأحرار بكل ما أوتوا من قوة ،
ويسومون الإنسان الخسف والخوان ، إن
الإسلام قد أعلى مبادئ الحرية منذ ألف وثمانئة
ونيف وسبعين عاماً ، وأقام الصلة بين الإنسان
وأخيه الإنسان على أساس الإخاء والتراحم
وقرر مبدأ الرفق بالحيوان والإحسان إليه ،
فأية مدنية تدانيه ! وأية حضارة تفاخره .

٤ - ثم وصفهم الله بأنهم يخشون ربهم فإذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وهاجروه مهابة الجلالة
مهما جهدوا في طاعته ودنوا من مرضاته فإن
أقرب العباد إلى الله أشدهم له خشية .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد
الناس خشية من الله وهو الذي غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر

إن الخشية من الله تعالى ثمرة العلم بعظمته
وجلاله ، وقديسته وكأله قال تعالى : (إنما يخشى الله
من عباده العلماء) ومن لم يعرف الله ولم يشهد
جلاله لا قطرق قلبه خشية الله ، ولذلك كان أجراً
الناس على الله أجهاهم به وأبعدهم عنه .

٥ - ثم وصفهم الله بأنهم يخافون سوء
الحساب فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا
ويرجعون من الله العفو عن السيئات ومن نوقش
الحساب عذب ، ومن لم يظفر بالعفو هلك .

٦ - ثم وصفهم الله بأنهم يصبرون ابتغاء
وجه ربهم على أداء الأوامر واجتتاب المنهيات ،

الوعظ الديني وكيف يكون

للكوراحمد امين بك

الأغراض الشيعية . لجعل فيه أول ما جعل مجلس لداعي الدعاة ، لا يزال مضمون أحاديته بين أيدينا ، وأنيب عنه الدعاة في جميع البلدان . والآن وقد زالت عنه الصبغة الشيعية لا يزال يعظ ويدعو ، ولكن : هل يحقق الغرض من الوعظ ؟ إن النجاح في الوعظ يحتاج إلى شيئين (١) إجادة لأساليب الوعظ من الواعظ ، (٢) استجابة من الموعوظ . فإذا لم تكن هذه الاستجابة ، فهما بلغ الواعظ في وعظه ، لا يؤثر في السامع . أما الموعوظون فهم في الغالب يحسنون الاستجابة إذا وفق الواعظ ، لأن الإيمان لم يمت في قلوب أكثر الناس ، وإنما هو نائم في أعماق نفوسهم ، يحتاج إلى إيقاظ ، وهذا الموقف هو الواعظ . وإجاده تحتاج إلى أمرين أيضاً : (١) علم بنفسية الموعوظين ، فيعرف ما يناسبهم وما لا يناسبهم ، وما يحركهم وما لا يحركهم . (٢) وعلم بأساليب الكلام الذي يتفق معهم . وقد قال علماء البلاغة في كتبهم : إن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . فحق جعل الواعظ بنفسية الذين يعظهم ، أو جعل أساليب الكلام التي تتفق معهم ، انقلب الوعظ سخرية . وقد حدث أني رأيت من أمثال هذا الفشل في الوعظ مثلين ، حزنتم لهما حزناً شديداً :

(٢)

من أهم أركان الإسلام الوعظ الديني . ولهذا هد من أهم تعاليمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس هذا إلا الوعظ . وأساس الفكرة أن الإنسان ليس مسئولاً عن نفسه فقط ، بل هو مسئول أيضاً عن مجتمعه الذي يعيش فيه ؛ لأن أي شر يصيب المجتمع يصيب الفرد ، وأي خير يصيب المجتمع يصيب الفرد . يقول الله تعالى : « واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ، وفي الحديث ما معناه : أن جماعة ركبو سفينة فافتسموا فصار لكل منهم موضع ، فأخذ أحدهم نصيبه يكسره فيه ، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أفعل به ما أشاء . قال : فإن أخذوا على يديه نجوا ونجوا ، وإلا هلكوا وهلكوا . وهي نظرة تؤيدها النظريات الحديثة في علم الاجتماع ، فكل فرد في مجتمع مسئول عن كل ما يجري فيه من خير أو شر ، ومكلف أن يطالب بالخير ، ويتجنب الشر وليست البرلمانات الحديثة إلا أسلوباً راقياً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهذا العمل من أهم الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها الأزهر على خير وجه . وهو شاعر بهذه التبعة ، فهو يقوم بالوعظ ، ويؤسس له قسماً يسمى قسم الوعظ والإرشاد ، ويبحث البحوث في البلاد الإسلامية لتحقيق هذا الغرض . بل إن الأزهر أيضاً أأسس للوعظ والإرشاد ، لتحقيق

الأول : أنى رأيت واعظاً يعظ النساء في مسجد الحسين رضى الله عنه ، فيروى لمن حديثاً ، ثم يريد أن يشرحه ، فيدخل في تفاصيل لا معنى لها : من ذلك أنه يسألن ، لم حذف المسند إليه ، وهن لم يسمعن قط بمسند ولا مسند إليه والثاني شهدته وأنا قاض في الواحات الخارجة ، فرأيت خطيب المسجد يحذر الناس من قضاء الصيف في باريس ، مع أن السامعين في غاية التأخر والانهطاط ، لم يسمعوا بباريس ولا بأوروبا . وكل أملمهم إذا رحلوا أن يرحلوا إلى الصعيد أو إلى القاهرة . وإنما دعاه إلى هذا الغلط أنه كان يقرأ من ديوان مطبوع ألف في وعظ أهل القاهرة . كل هذا يدل على أن الواعظ ينبغي أن يكون عالماً بأسرار النفوس ومقتضيات الأحوال . وقد أنصف العلماء الأولون إذ سموا تقويم الأخلاق ، الطب الروحاني ، مقابلة بالطب الجسماني . فكما أن الطبيب الجسماني يجب أن يتخصص المرض ليتعرفه ، ثم يضع له ما يناسبه من العلاج ، فكذلك الطبيب الروحاني يجب أن يتعرف أمراض النفوس وطرق علاجها . وهذا علم خاص قد يوفق فيه من لا يحسن النحو والصرف والتفسير والفقه ، ولا يوفق فيه من يحسنها . بل نرى الرجل قد يكون جاهلاً من الجبال ، أو صانعاً من الصناع ، فيقف بين أمثاله من الهال فيأتى لم بكلام دقيق مفيد قد لا يحسنه العالم المظم . ثم إن من عيوب الوعاظ عندنا أنهم كثيراً لا يدرون من شؤون الدنيا شيئاً ، والدنيا قد

أصبحت غير الدنيا ، وكل عملهم أنهم ينقلون من كتاب قديم ، أو نظرة قديمة . خذ لذلك مثلاً كلامهم في أكثر وعظهم في المساجد ، وفي خطب الجمعة على المنابر فإنه يدور حول طلب التزهد والرضا بما كان . ولكن هل الزمان صالح لهذا ؟ إن الزمان قد تغير ، وأصبحت النصيحة الصحيحة ، الحث على الكفاح في سبيل كسب المعيش ، والعمل الدائب على رفع مستوى المعيشة ، ومطالبة الحكومة بأن تعمل لصالح الشعب ، وأن تعمل للفقير أكثر مما تعمل للثني ، وتفهم الفلاح أن له حقاً على الحكومة أن يسكن بيتاً نظيفاً ، ويشرب ماء نظيفاً إلى آخر ذلك . أما المطالبة بالتزهد فأصبحت نمطاً قديماً وأسلوباً بالياً ، لعلها اخترعت لتخدير أعصاب الناس ، وعدم مطالبتهم بحقوقهم ، وصبرهم على فقرهم ليمتنع الاغنياء كل التمتع بغناهم ، ورنى الحل على القدر الذي جعل هذا غنياً ، وهذا فقيراً ، كأن الجهد والعمل والنشاط والتكد لا أثر لها في الموضوع . وكل عصر يتطلب نوعاً من الكلام يناسبه . قد كان الكلام مثلاً في العصر الماضي حول النساء جميلاً ومفيداً في احتجابهن وعدم تعليمهن القراءة والكتابة ومثل ذلك . ولكن هذا الكلام إذا أتى اليوم كان مثاراً للضحك ، لأن الزمان قد تغير ، والعقليات قد تغيرت .

وكما اختلفت الموضوعات من عصر إلى عصر اختلفت أساليب الكلام . فالكلام الذي في

لا يدرون من شؤون الدنيا شيئاً ، والدنيا قد

لقد شاهدت في حياتي واعظين مجيدين ، أحدهما الشيخ زكي الدين سند في المسجد الحنفي ، فقد كان من أحاديثه وأساليبه ونبرات صوته ما يسيل الدموع ، ويحرك القلوب ، ويحمل على التوبة من المعاصي والإقبال على الطاعات ، فكان بذلك مثلاً رائعاً ، لولا أنني لاحظت فيه عيباً وهو : اشتغال خطبته على موضوعات كثيرة ، أو دعوة إلى تقوى الله بشكل عام . وأعتقد دائماً أن النجاح في هذه المواعظ ، إنما يكون بالكلام في جزئية وتوسيعها وتعميقها ، واستخراج العظة البالغة منها . والثاني كان الشيخ علي الجبري رحمه الله . فقد كان من أكبر مزايه أنه كان يفقه نفسية السامعين ، وينزل إليهم ليأخذ بيدهم ويصعد بهم . وكان من أهم مزايه أيضاً أنه يشرك السامعين معه في الأقوال فيكون كما يفعل الفرنج الآن ، يطلبون من الحاضرين أن يغنوا معهم ، فيطلب من الحاضرين بعد موعظة من المواعظ أن يقولوا تبنا إلى الله ورجعنا إليه ، وعزمنا على أن لا نعود . ويكرروها فتمتلئ نفوسهم بالهبة والجلال ، والعزم على مواجهة الله بالأعمال الصالحة . وحبذا لو كثر عندنا أمثال هؤلاء يلهون العواطف ، ويثيرون المشاعر ، ويكون على الشر ، ويعنون على الخير . قد انضاف إلى مواهبهم معرفة بالدنيا الحاضرة وشؤونها . وما يحسن أن يقال فيها ، وكيف يقال فيها . إذن لانتقلنا نقلة واسعة ، وخطونا خطوات جريئة . والله الموفق .

أحمد أمين

الكتب الدينية القديمة ، وكتب الفقه لا يصاح أن يكون لغة العصر الحاضر بل لا بد أن يترجم إلى لغتنا لفهمه . ولكل عصر أسلوبه .

وقد شاهدت وعظاً أوريين يخطبون في كنائسهم ، فلأني العجب والإعجاب من بعضهم . يختارون موضع الحديث مما حدث في الأسبوع ، ثم يتحدثون عنه حديثاً علمياً وديناً رائعاً . يدل على معرفة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية للجموع ، وعلى علم تام بالأساليب .

وقرأت مجلة تنشر للأطفال وفي كل عدد منها فصل ديني يتناول مشكلة دينية فيحللها تحليل العصر الحاضر ، ويعبر عنها تعبیر العصر الحاضر ، مما ليس له عندنا مع الأسف مثيل .

إن الواعظ أول كل شيء ، يجب أن يلاءم السامع ؛ لأن هبة السامع من الواعظ وتوقيره يتوقف عليهما نصف العمل بالمعظات .

إن مهمة الوعظ في زمنا متشعبة متنوعة ، فوعظ العلماء في المعاهد ، وخطبة الخطباء على المنابر أيام الجمع ، والدروس الدينية في المدارس . والإذاعات الدينية في المذيع وغير ذلك ، كلها قادرة إذا صلحت أن تغير من نفسية الشعوب ، وتدفعهم دفعا قويا إلى الامام ، لأن أعمال الإنسان وليدة عقيدته ، فإذا أصلحت العقيدة وامتلا القلب إيمانا ، صالح العمل ، وقلت الجرائم ، فاتجهوا اتجاها نافعا في الحياة العامة من اقتصادية واجتماعية وأخلاقية بل وسياسية . فإني أعتقد أن الخطأ حتى في التصور السياسي نتيجة لضعف الإرشاد .

لَا وِلَايَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ

لِصَاحِبِ الْفَضِيلَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْمَدَنِيِّ

تحفة لوفد السودان في مصر

وقبل هاتين الآيتين يقول جل شأنه : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ، وفي هذا إيحاء بأن العداوات ليست دائمة ، وأن القلوب تتغير وتتحول ، وأن الرفق والإحسان قد يكونان سبيلا إلى إصلاح النفوس ، وتقريب القلوب ، وفي الحديث الشريف : « أحب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما ، وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشئتين بعد ما

يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

إذا توافق جماعة على أمر ، فكان نظرهم إليه واحداً ، وحظهم منه واحداً ، فالفطرة تقضى بأن يكونوا فيه نصراء ، بعضهم أولياء بعض ، لا فرق في ذلك بين المحقين والمبطلين ، ولذلك أثبت الله الولاية للؤمنين والكافرين . فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، ولم يثبتها للنافقين . ولكن قال : « النفاقون والمنافقات بعضهم من بعض ، والتعبير بلفظ (من) يدل على معنى التشابه ، ولا يفيد معنى التناصر والولاية إذ لا رابطة بين منافق ومنافق ، فكل منهما يريد أن يصل من طريق النفاق إلى ما يبتغيه دون

هناك فرق بين « الولاية » التي هي النصرة والمعاونة على تحقيق غرض مشترك ، بحيث يشعر كل من الوليين أن لصاحبه عليه حقاً هو مطالب بأدائه عن باعث قلبي ، وبين البر والقسط ، اللذين يجب أن يسودا المجتمع ، وتقوم عليهما العلاقة بين المواطنين ، وإن لم تجمعهما فكرة ، أو تواخ بينهما عقيدة . ولذلك يبيح الإسلام للسلم أن يعامل مخالفه في الدين معاملة أساسها البر والرحمة والقسط ، ما دام لم يصدر منه إيذاء له أو تحريض عليه ، أو محاولة لفتنته من دينه ولا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوك من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، بل لعله يذهب إلى أبعد من هذا فيبيح للسلم أن يتخذ البر والقسط أساساً للتعامل بينه وبين مخالفه الذي آذاه ، وظاهر عليه بشرط ألا يصل هذا البر به إلى حد أن يكون له ولياً وناصراً ، فإنه لا ولاء بين مؤمن وكافر ، وقد يستفاد هذا من قوله تعالى بعد الآية المتقدمة : « إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في الدين وأخرجوك من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » . فلم يقل كما قال في الآية الأولى « أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم » ولكن قال « أن تولوهم » ، فدل ذلك على أن المنهى عنه هو اتخاذهم أولياء ، لا مجرد البر بهم والقسط إليهم .

دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه قد شهد بدرأ وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » .

وقد جاء التعبير في هذه الآية وغيرها بقوله : « لا تتخذوا ، إشعاراً بأن العلاقة بين المسلمين والكفار لا يمكن أن ترقى إلى درجة الولاية الحقيقية الطبيعية ، وإنما هي من باب « الاتخاذ » والاصطناع ، وذلك أن هناك فرقاً بين أن تقول : فلان صديق فلان ، وأن تقول : اتخذته صديقاً ، فالأول مفيد أن الصداقة بينهما حقيقة طبيعية ، والثاني دال على أنها تعتمد التكلف والتصنع ، وقد جاء لفظ « الاتخاذ » في القرآن الكريم غالباً فيما ليس الشأن فيه أن يكون ، مثل « ما اتخذ الله من ولد » ، « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب ، « إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ، « اتخذوا أيمانهم جنة » ، « اتخذوا دينهم هواً ، « اتخذوا الشياطين أولياء » ، ولا يخرج عن ذلك ما جاء في قوله تعالى : « واتخذ الله إبراهيم خليلاً ، فإن شأن الألوهية عدم الخلقة على الحقيقة وإنما هو اتخاذ أى اصطفاً واختصاص بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله .

فالقرآن ينهى المؤمنين عن إيجاد هذه العلاقة بينهم وبين الكافرين ، بأن يتخذوهم أولياء يلقون إليهم بالموودة ، أما الولاية الحقيقية فنفسية بالطبع ليست بما ينهى عنه ، لأن المؤمن الذى استقر الإيمان في قلبه حقاً وصدقاً لا يمكن أن يجتمع في قلبه مع الإيمان ولا لكافر عدو لدينه .

أن تساوره فكرة الانتصار لشيء ، لأنه غير مؤمن بشيء ١

وقد نهى الله المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء في غير موضع من كتابه الكريم نهياً شديداً ، فمن ذلك ما جاء في أول سورة « الممتحنة » ، وهي سورة مدنية من أواخر ما نزل من القرآن : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ،

وقد نزلت هذه الآيات في شأن حاطب بن أبى بلتعة وهو رجل من المهاجرين شهد بدرأ ، وكان له بمكة أولاد ومال ، فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة أراد حاطب أن يتخذ في قريش يداً يحمون بها قرابته وماله ، فكتب إليهم كتاباً يخبرهم فيه بما اعتزمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسله مع طلعة كانت بالمدينة وقصدت إلى مكة ، فأطلع الله رسوله على ذلك فأرسل علياً والزبير والمقداد فأدركوها في الطريق وأخذوا منها الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا حاطب ما هذا ؟ » قال « لا تعجل على . إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسهم - يعنى أنه لا نسب له فهم لأنه إنما كان حليفاً لعثمان - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي . وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه صدقكم » ، فقال عمر :

من الذين لا يؤمنون بدعواتهم ، ولهم تاريخ في
إذياتهم والتحريض عليهم وودادة قتلهم واغلاّبهم ،
إنهم يطلبون محالا إذا ظنوا أن ملابسة هؤلاء على
باطلهم يجتلب ولاءهم ، أو تكفكف من غلوّاتهم ،
فقد فسدت منهم القلوب ، والتوت العقول .

وبين لنا القرآن الكريم البواعث التي تبعث
على اتخاذ الكافرين أولياء ، وأنها ترجع إلى ضعف
في النفوس ونقص في الإيمان :

١ - فمن ذلك أن يلاحظ المرء مصلحة لأهله
ورحمه ، فيجامل مخالفه في العتيدة إلى حد أن
يكون لهم ولها ونصيرا على إخوانه وموافقيه ،
حفظا لمصالح أهله ورحمه ، وهذا هو ما أرادته
حاطب بن أبي بلتعة حين كاتب قريشاً يلبثها بخبر
الرسول ، وهذا ضعف فيه كاد يؤدي به ، وقد
سماء عمر رضى الله عنه نفاقا ، ولولا سابقة الرجل
وأنة كان من أصحاب بدر وما قر في نفس
الرسول صلوات الله وسلامه عليه من صدقه
لكان من المالكين .

فعلى المؤمن أن يكون وانقأ بالله ، متوكلا عليه ،
وأن يؤدي ما فرضه عليه ، وينتهى عما نهاه
عنه ، غير ناظر إلى عواقب ما يفعل أو يترك ،
فإنه إذا كان مبتغياً بفعله وتركه وجه الله كان الله
حسبه ، وإذا دار فيما يفعل أو يترك حول أوهامه
في نفسه أو ولده أو رحمه اضطرب وأغضب
ربه ولم ينفعه ما قدر . لن تنفعكم أرحامكم
ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما
تعملون بصير . .

بين لنا القرآن الكريم الأسباب التي من أجلها
نهينا عن اتخاذ أعداء الله أولياء فكان منها :

(١) أن العداوة بيتنا وبينهم أساسية جوهرية ،
فنحن قد آمنّا بما جاءنا من الحق ، وهم قد
كفروا به ، ولا يمكن لآتين مختلفين في أمر
أساسي أن يتعاونوا تعاونا صادقا . نعم قد تتلاقى
مصالحهما في شيء فيتفان عليه ، ويتحالفان
في سبيله ، لكن هذه العلاقة بينهما ليست بسبيل
من الولاية بمعنى نصرة أحدهما للآخر ؛ لأنه في
الحقيقة إنما ينصر نفسه ويتخذ ذلك سبيلا
لتحقيق مصالحته . وشتان بين هذا وبين من
ينصرك ناظرا إلى أنك مستحق لنصرته وإن
لم يند منها لنفسه خيرا ، أو يدفع بها عن نفسه
ضيرا ، وقد استفيد هذا التعليل من قوله تعالى :
« وقد كفروا بما جاءكم من الحق » .

(٢) أن هؤلاء الأعداء لا يزالون يعملون
على فتنة عن الحق الذي آمنّا به ، فهم أخرجوا
الرسول وأخرجونا من ديارنا لأشياء إلا لأننا
آمنّا بالله ربنا ، وهم لا يدعون فرصة يتمكنون
فيها من إزائنا إلا انتهزوها ، وهم يمتنون من
صميم قلوبهم أن نخرج من ديننا فنعود إليهم
كافرين ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا
بالله ربكم ، إن يتفوقكم يكونوا لكم أعداء
ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا
لو تكفروا ،

وإذا كان الاختلاف في العقيدة مانعا من أن
تقوم بين المختلفين ولاية أو شبه ولاية ، فما أجدد
أصحاب الدعوات الإسلامية بأن يكونوا على حذر

أنه عدو الله، ولعله لا يذل مثل هذه المجاملة والموالة لبعض أصحابه، ويعمل هذا وذاك بأنه كياسة ولباقة ومداراة واثقاء لقالة السوء وابتعاد عن مظنة التحيز، وما هو في الحقيقة إلا ضعف وكلال، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعاً .

٤ - ومن ذلك أن يتق المرء بموالة عدوه شيئاً من ضرره وأذاه، وهذا في الحقيقة ليس موالة وإنما هو نزول موقت على مقتضى القوة، يجب أن يقدر بقدره . وقد جاء ذلك في قوله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم فقاء » يحذركم الله نفسه وإلى الله المصير .

قال المفسرون : الاستثناء في هذه الآية معناه أن ترك موالة الكافرين على المؤمنين حتم في كل حال إلا في حال الخوف من شيء يتقونه فلهم حينئذ أن يوالوهم بقدر ما يتق به ذلك الشيء لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وهذه الموالة تكون صورية لأنها للمؤمنين لا عليهم . والظاهر أن الاستثناء منقطع أي ليس لكم أن توالوهم على المؤمنين، ولكن لكم أن تتقوا ضررهم بإجابتهم إلى ما يطلبون مما يشبه الولاية والنصرة مع أخذ الحذر من الله، واثقاء أن يعلم فيكم سوءاً أو نية باطلة، والله عليم بذات الصدور ؟

محمد محمد المدني

وفي هذا إحصاء بخطأ الذين يخرجون عن حدودهم وما أمرهم الله به خوفاً على أهلهم وأولادهم، فتراهم يرتكبون الأوزار، ويفضون عن حركاتهم، مصانعة لعيشهم، واحتفاظاً بوظائفهم أو مراكمهم في المجتمع، وضناً بأولادهم أو أقربائهم أن يصيروا إلى فقر بعد الغنى، أو ذل بعد العز، أو تقشف بعد النعم، وهؤلاء في الحقيقة يوازنون بين رضا الله ورضاً أنفسهم وأهلهم، وشهواتهم على الله وبئس ما يصنعون .

٢ - ومن ذلك أن ينظر المرء إلى عدوه نظرة الخوف من تغلبه عليه « فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة » .

وهذا شأن كثير من الذين يتبلى بهم دعوات الإصلاح والخير، في قلوبهم دائماً فزع، ينظرون إلى غدهم متوجسين منه شراً، ولا يستطيعون أن يواجهوا أهل الباطل أقوياء ثابتين، وإنما يقفون أمامهم منزولين خائفين، وإن ضرر هؤلاء على أصحاب الإصلاح لشديد، بل هم أشد من الأعداء السافرين . وقد دلت التجربة الصادقة على أنه لا صلاح لأمر إلا إذا كان الدعاة إليه والقائمون عليه مؤمنين به، حاسمين في موالة أوليائه، وبجافاة أعدائه، أما التوسط في هذا فلا خير فيه، بل هو الشر كل الشر .

٣ - ومن ذلك أن يبتغي المرء بموالة عدوه شيئاً من العزة والسلطان والجاه، فتراه يتشبث بأهدايه، ويترخص في مجاملته وموالاته، وهو يعلم

الأهلية في الشريعة الإسلامية والقانون المدني

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الوهاب بن عقيل

أساتذة الشريعة الإسلامية بحكمة الحق وتوفيقه

العربية الصلاحية يقال: هو رجل أهل لأن يكرم أي صالح للتكريم. واستأهل للخير أي صار أهلاً له. والمؤهلات: المميزات التي تجعله أهلاً. فأهلية الإنسان للشيء معناها في اللغة العربية صلاحية له. وأما الأهلية في اصطلاح الشرعيين فالمراد منها صلاحية الإنسان لأن تجب له حقوق على غيره ولأن تجب لغيره حقوق عليه. وصلاحية لأن تعتبر شرعاً أقواله وأفعاله، فتترتب الآثار والأحكام على ما يصدر منه من قول أو فعل. ومن هذا يتبين أن الأهلية في اصطلاح الشرعيين نوعان أحدهما أهلية لتبادل الإلزام والالتزام بالحقوق والواجبات أي أهلية الإنسان لأن تفرض له حقوق وتفرض عليه واجبات. وهذه تسمى أهلية الوجوب أو أهلية التمتع. وثانيهما أهلية لمباشرة العقود والتصرفات والقيام بالتكليفات وأداء الواجبات بحيث يكون ما يشره الإنسان معتبراً شرعاً وترتب عليه آثاره فإن كان عقداً أو تصرفاً ألزم بما يقتضيه. وإن كان واجباً أسقط عنه. وإن كان جناية أوخذ بها. وهذه تسمى أهلية الأداء أو أهلية المباشرة. ووجه التسمية ظاهر لأن النوع الأول هو مجرد صلاحية الإنسان لأن يجب له ولأن يجب عليه من غير نظر إلى أداء الواجبات أو اقتضاها. وأما النوع الثاني فهو صلاحية للتنفيذ ومباشرة الأعمال بأداء

البحث في أهلية الإنسان لإلزامه والتزامه بالحقوق والواجبات، ولا اعتبار ما يصدر عنه من العقود والتصرفات، ومطالبته بامثال للمأمورات واجتتاب المنهيات، من أول البحوث التشريعية الأساسية في الشريعة الإسلامية، والشرائع الوضعية؛ لأن مدار التكليف بالأحكام شرعية كانت أو وضعية أهلية الإنسان لما يكلف به ولا اعتبار ما يصدر عنه، ولهذا أفاض علماء أصول الفقه الإسلامي في بحوث هذه الأهلية وبيان المراد منها، وأساس ثبوتها للإنسان، وأنواعها، ومتى تثبت للإنسان، ومتى تنتهي، وتأثير العوارض التي تعرض للإنسان في أهليته وغير هذا من البحوث التي أوفوها حقها أتم إيفاء وثمارهم في كل بحوثهم أن الإنسان مدني بفطرته لا بد له من تبادل الحقوق والواجبات مع بني نوعه. وأن مناط اعتبار أقوال الإنسان وأفعاله تميزه بعقله. وأنه لا تكلف نفس إلا وسعها. وقبل أن نبدأ فيما قصدنا إليه وهو الموازنة بين الشريعة الإسلامية والقانون المدني المصري في بعض بحوث الأهلية نهدد ببيان معنى الأهلية في اللغة العربية وفي اصطلاح الشرعيين.

الأهلية: لفظ من المصادر الصناعية

كالإنسانية والجفسية والوطنية، ومعناه في اللغة

نوعه . وهذا التعاون الضروري لنظام المجتمع الإنساني يستلزم أن يكون كل فرد من أفراد أهلاً لأن يلتزم بحقوق لغيره ، ولأن يلتزم غيره بحقوق له حتى يتوافر تبادل المصالح والحاجات ، فكل إنسان حي ، سواء أكان طفلاً أم ميّزاً أم بالغاً ؛ وسواء أكان عاقلاً أم مجنوناً أم معتوهاً ؛ وسواء أكان رشيداً أم سقيماً له أهلية للوجوب له وعليه .

وقد قرر علماء الشريعة الإسلامية أن أساس ثبوت هذه الأهلية للإنسان ذمته . وعرفوا الذمة بأنها وصف شرعى اعتبارى مفروض وجوده في الإنسان ، وبه يصير الإنسان أهلاً للوجوب له وعليه . ومشأ اعتبار هذا الوصف الشرعى في الإنسان هو الفطرة التى فطره الله عليها ، إذ كونه من مجموعة من حواس ظاهره ، وقوى عاقلة ، ونفس باطنة ، أى أن المجموعة الإنسانية المكونة من قوى ظاهرة وباطنة جعلت للإنسان استعداداً خاصاً به ليس لغيره من الحيوانات . وبهذا الاستعداد استأهل للوجوب له وعليه . فالذمة هى الاستعداد الفطرى للإنسان ، أو هى الخاصة التى ميز الله بها الإنسان عن سائر الحيوان ، أو هى إنسانية الإنسان . فليست الذمة الإنسانية وصفاً حسياً يدرك بإحدى الحواس . وليست الذمة الإنسانية هى العقل ، لأن المجنون الفاقد للعقل له ذمة ، وإنما هى خاصة الإنسان التى ثبتت له من تكوينه الخلقى ، وامتناز بها عن غيره من المخلوقات وبها استأهل للوجوب له وعليه . فذمة الإنسان ، والاستعداد الفطرى

ماعليه ، واقتضاء ماله ، وعقد العقود ، والتصرف بالتصرفات واعتبار كل هذا منه . ونحن نوازن بين الشريعة والقانون المدنى فى كل من النوعين :

١ - أهلية الوجوب

أهم البحوث فى أهلية الوجوب هى ما المراد منها ، وما أساسها فى الإنسان ، ومتى يبتدىئ ثبوتها للإنسان وبم تفتى ؟ وما أطوار الإنسان بالنسبة إليها ؟

١ - ما المراد منها - تبين من التمهيد الذى قدمناه أن المراد بأهلية الوجوب صلاحية الإنسان لأن تجب له حقوق على غيره ولأن تجب لغيره حقوق عليه . أو صلاحيته لتبادل الالتزام والإلزام مع بنى نوعه .

وهذا المعنى لم يختلف فيه الشرعيون والقانونيون ؛ ولكن القانون المدنى استعمل كلمة شخصية الإنسان بدلاً من كلمة « أهليته للوجوب » فقد جاء فى المادة ٢٩ ما نصه « تبدأ شخصية الإنسان بتمام ولادته حياً وتنتهى بموته » ، وليس بين الكلمتين تباين فى الجوهر لأن أهلية الوجوب للإنسان تترتب على شخصيته فبمجرد ما يصير الإنسان فى الوجود شخصاً له استقلاله بشخصيته صار محتاجاً إلى تبادل الحقوق والواجبات فثبتت له أهلية الوجوب . ورأى أن التمييز الشرعى أنسب بالتقنين ولو قيل تبدأ أهلية الوجوب للإنسان بتمام ولادته لكان أولى .

٢ - ما أساسها فى الإنسان ؟ الإنسان مدنى بفطرته ولا بد له فى حياته من التعاون مع بنى

وفي قولهم : الكفالة ضم ذمة إلى ذمة في المطالبة . فلا بد أن يكون لهذا اللفظ معنى مراد منه وهو ما يبنائه وهو معنى مقدر في الإنسان أو معتبر وجوده فيه .

٣ - متى يبتدىء ثبوتها للإنسان وبم تفتي ؟
ثبتت أهلية الوجوب للإنسان من حين أن يكون حملاً مستكناً في بطن أمه . وتستمر له من حين ولادته إلى أن يموت ويوفى ما عليه ويستوفى ما له وتنفذ وصاياه وتورث تركته .

فالحمل المستكن ثبت له أهلية وجوب عند فقهاء الشريعة الإسلامية . وذلك لأنهم نظروا في الحمل المستكن فوجدوا أن الشارع أثبت له أحكاماً تدل على أنه اعتبر له شخصية واعتبره أهلاً للوجوب . وأثبت له أحكاماً تدل على أنه لم يعتبر له شخصية واعتبره جزءاً من أمه .

فالشارع حكم بأن الحمل يرث مورثه ولهذا يحفظ له نصيبه حتى يولد حياً فيستحقه . وحكم بأن الحمل يستحق ما أوصى له به . وحكم بأن الحمل يستحق في ريع الوقف . وبأن الحمل يقام عليه وصى .

فهذه الأحكام تدل على أن الشارع اعتبر للحمل شخصية وأثبت له أهلية للوجوب له .

ومن وجهة ثانية الشارع حكم بأنه إذا بيعت الجارية الحامل دخل حملها في البيع تبعاً لها . وإذا اعتقت الجارية الحامل عتق حملها تبعاً لها . فهذه الأحكام تدل على أن الشارع لم يعتبر للحمل شخصية واعتبره جزءاً من أمه فتوفيقاً بين هذه الأحكام قرر فقهاء الشريعة الإسلامية أن للحمل

للإنسان ، والخاصة الإنسانية في الإنسان ألقاظ مترادفة . وفي تفسير قوله تعالى : « إما عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » ذهب بعض المفسرين إلى أن الأمانة هي الذمة أو الفطرة التي استأهل بها الإنسان للوجوب له وعليه .

فإنه سبحانه صور لعباده الفرق بين الفطرة التي فطر عليها الإنسان والفطرة التي فطرت عليها السموات والأرض والجبال . فالفطرة التي فطر عليها الإنسان أعدته للالتزامات وتبادل الواجبات فحمل الواجبات والتكليفات . والفطرة التي فطرت عليها السموات والأرض والجبال لم تعدها هذا الاستعداد فلم تحمل الواجبات ولا التكليفات . وبعض علماء القانون ذهبوا إلى أن أساس أهلية الوجوب في الإنسان هو القانون وذلك لأن القانون أثبت لكل إنسان حق الحق في أن يطالب هو أو من يلى أمره بحقوق له وفي أن يطالب هو أو من يلى أمره بحقوق عليه ؛ فتمليك الشرع أو القانون للإنسان أن يطالب أو يطالب هو أساس أهليته للوجوب ، لأنه لا يطالب إلا بما وجب له ولا يطالب إلا بما وجب عليه فالقانون الذي أثبت للإنسان أن يطالب ويطلب هو الذي أثبت له أهليته للوجوب له وعليه . وهذا خلاف غير جوهري . ولفظ الذمة شائع استعماله في الشرع وفي القانون كما في قولهم : الأصل برادة الذمة - وفي قولهم برادة ذمة الواقف ليست شرطاً لصحة وقفه .

لم يثبت الحمل المستكن شخصية فإنه راعى أن لا يهدر الحقوق التي أثبتها الشارع له ولهذا قال في الفقرة الثانية من المادة: ومع ذلك لحقوق الحمل المستكن يعينها القانون. أى ومع أنه قبل ولادة الإنسان حيا لا تثبت له شخصية فإن هذا لا يستلزم تضييع حقوق الحمل المستكن بل يعين القانون هذه الحقوق. وإذا فالشريعة والقانون متفقان في أن الحمل المستكن له حقوق وإنما الاختلاف في أساس ثبوت هذه الحقوق له. فأساسها في الشريعة أن له ذمة وأهلية وجوب نافعة أو شخصية غير مستقلة. وأساسها في القانون هو تعيين القانون هذه الحقوق له.

ويؤخذ من هذه المادة أيضاً أن شخصية الإنسان تنتهى بموته أى أنه بعد موته ليس أهلاً لأن يجب له حقوق ولا لأن يجب عليه حقوق؛ لأن ذمته بطلت وانتهت بموته. وهذا رأى الخاتبة وبعض فقهاء المسلمين. وأما فقهاء الحنفية فقد ذهبوا إلى أن ذمة الإنسان لا تبطل بموته إلا بعد أن تسوى أموره ونصفي تركته فيسدد ما عليه ويستوفى ما له وتخلص تركته لورثته.

وأما ما دامت له بعد موته حقوق على غيره ولغيره حقوق عليه ووصايا ولم تنفذ فتعتبر ذمته باقية ويعتبر أهلاً للوجوب له وعليه، وهذا مجرد اعتبار وفرض دعا الحنفية إليه أن الإنسان بعد موته قد يطالب بما لم يكن مطالباً به حال حياته، وبعد موته قد يدخل في ملكه ما لم يكن في ملكه حال حياته، ومثلوا للأولى بما إذا

أهلية وجوب. ولكنها أهلية وجوب نافعة أى أنه أهل لأن يجب له حقوق وليس أهلاً لأن يجب عليه حقوق لأن الأحكام التي أثبتها الشارع له تدل على أهليته لأن يجب له ولم يثبت له الشارع حكماً يدل على أهليته للوجوب عليه. ولهذا قالوا إن الحمل المستكن في بطن أمه له أهلية وجوب نافعة أى أهلية لأن يجب له لا لأن يجب عليه. فإذا ولد الحمل حياً تثبت له من حين ولادته أهلية وجوب كاملة، أى أهلية لأن يجب له وعليه وأى حال كان في صغره وكبره وجنونه وعقله وسفهه ورشده لأنه في كل حال إنسان. وإنسانية الإنسان هي أساس أهليته للوجوب. فإذا مات وله تركه وعليه حقوق لغيره وله حقوق على غيره تعتبر أهليته للوجوب ثابتة حتى تسوى أموره ونصفي تركته. فإذا تم هذا انتهت ذمته وانتهت أهليته للوجوب.

أما القانون المدني فقد خالف في مبدأ ثبوت أهلية الوجوب للإنسان، وفيما تنتهى به. فقد جاء في المادة ٢٩ ما نصه:

١ - تبدأ شخصية الإنسان بتمام ولادته حياً، وتنتهى بموته.

٢ - ومع ذلك لحقوق الحمل المستكن يعينها القانون. ويؤخذ من هذه المادة أن مبدأ ثبوت شخصية الإنسان بتمام ولادته حياً. وأما وهو حمل مستكن فليست له شخصية الإنسان والمراد أنه ليست له شخصية الإنسان المستقلة من كل وجوها؛ فشخصية الإنسان المستقلة من كل وجوها هي أهليته الكاملة للوجوب له وعليه. ومع أن القانون

وجوب كاملة فيكون في هذا الطور أهلاً لأن
تجب له حقوق وتجب عليه حقوق . وما دام حياً
فله هذه الأهلية الكاملة لا فرق بين طفل وحمل
ولابن بالغ ومجنون ومعتوه وعاقل ولا بين ذكر
وانثى ولا بين سفيه ورشيد ؛ لأن مناط هذه
الأهلية وأساسها إنسانية الإنسان وهي لا تفارقه
إلا بالموت فلا يعرض لأهليته للوجوب عارض
يزيلها أو ينقصها أو يؤثر فيها .
أما في القانون المدنى فالإنسان له بالنسبة
إلى أهلية الوجوب طور واحد ، وهو ثبوتها له
كاملة من حين ولادته حياً إلى أن يموت .

عبد الوهاب محمد

بين متصرف وسائل

مر أديب كبير بشيخ يتكفف الناس على
قارعة الطريق . فوقف يعطيه شيئاً . ثم أخذ
يبحث في جيوبه عن حافظة نقوده فلم يجدها ،
لقد نسيها في البدة التي غيرها ! وكان السائل
المسكين لا يزال باسطاً يده إليه ليلتقي ما يجوده .
فما كان من الأديب إلا أن وضع يده في يد السائل
وصاحه بشدة .

فتهلل وجه السائل وقال له :

أشكرك ! هذه أيضاً صدقة .

حفر الإنسان في حياته حفرة في الطريق العام
وبعد وفاته تردى فيها حيوان فأت فإن الضيان
يلزم المتوفى ويؤخذ من تركته . ومثلوا للثانية
بما إذا نشر الإنسان في حياته شبكة للصيد ،
فاضطادت بعد وفاته فإن الصيد يملكه المتوفى
ويكون من تركته .

والظاهر ما ذهب إليه الخبابة وبعض الفقهاء
وسار عليه القانون من أن شخصية الإنسان تنتهى
بموته وأنه بعد موته ليست له أهلية وجوب
لا كاملة ولا ناقصة ولا هو أهل لأن يجب عليه
ضمان أو أى حق ولا هو أهل لأن يملك .
وما له من الحقوق فهي من تركته ويستحقها
ورثته وهم يطالبون بها لأنها آلت إليهم ، وما
عليه من الحقوق فقد تعلق بتركته بعد أن
كانت متعلقة بذمته . والورثة يطالبون بها لأنها
حقوق على ما في أيديهم من تركته . وفي مسألة
الحفرة التي حفرها ضمانه مستندا إلى السبب وهو
مباشرته الحفر في حياته . وفي مسألة الشبكة الصيد
للورثة لأن الشبكة صارت ملكاً لهم ونماء
الملك للمالك .

٤ - ما أطوار الإنسان بالنسبة إليها ؟ في رأى
علماء الشريعة للإنسان بالنسبة إلى أهلية الوجوب
طوران اثنان :

الأول وهو حمل مستكن ، وفي هذا الطور
ثبت له أهلية وجوب ناقصة أى أهلية لأن يجب
له حقوق لا لأن تجب عليه حقوق .

الثانى من حين ولادته حياً إلى أن يموت
وفي هذا الطور ثبت له شخصية تامة أو أهلية

في الفقه المقارن الشُّفْعَةُ بَيْنَ الْفَقْهِ وَالْقَانُونِ الْمَدَنِيِّ للدكتور محمد يوسف موسى

استاذ الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

الشافعية والمالكية والحنابلة ، فلا يرون الشفعة إلا للشريك في نفس العقار المبيع ، فلا شفعة عند الجار أو للشريك في حق من حقوق الارتفاق الخاصة بالمبيع لا في المبيع نفسه . ذلك بأن الشفعة ثبتت على خلاف الأصل كما يقولون ، فلا يصح التوسع فيها بل يجب الوقوف على ما ورد به النص ، وفي هذا يروون أحاديث كثيرة منها : قضى رسول الله بالشفعة فيما لم يقسم . فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ، ونذكر لإثبات هذا الرأي من علماء الشافعية الغزالي إذ يقول في كتابه الوجيز (ج ١ : ٢١٥) : « فلا شفعة للجار عندنا » . والرمل يصرح بذلك في كتابه نهاية المحتاج (ج ٤ : ١٤٥) ، ويوجب تأويل الأحاديث التي جاءت في إثباتها للجار بحملها على الشريك لأن ملك كل شريك مجاور لملك صاحبه ^(١) .

(ج) وبعد أن ذكر الإمام ابن القيم رأى الذين أثبتوا الشفعة للشريك وحده ، ثم رأى الذين أثبتوها للجار أيضاً ، انتهى إلى رأى وسط وهو إثباتها للجار إن كان مع جواره شريكاً أيضاً

عرفنا من القسم الأول من هذا البحث ماذا يكون المشفوع فيه ، واتبيننا منه إلى أن الشفعة تكون في كل مبيع وإن كان منفولاً بين شريكين ، وهذا هو رأى فقهاء أهل مكة والظاهرية جميعاً ، خلافاً لجمهور الفقهاء ورجال القانون الذين لا يرون الشفعة إلا في العقار . واليوم نكمل البحث في هذا الموضوع :

٦ - والآن ، من هو الشفع ؟ أهو الشريك في المبيع وحده ، أم الجار أيضاً ؟ هذه المسألة أثار خلاف كبيراً بين الفقهاء من ناحية ، وبينهم وبين واضع القانون المدني من ناحية أخرى : (١) فعند الاحتاف يثبت هذا الحق للشريك ثم الجار إن لم يكن للبائع شريك في المبيع ، وفي هذا يقول الطحاوي : « وأولى الشفعة بالمبيع الشريك الذي لم يقاسم ، ثم يتلوه الشريك الذي قاسم وبقيت له شركة في الطريق ، ثم يتلوه الجار الملاصق ^(٢) . وهذا المذهب نجده في كل مؤلفات الاحتاف للتقدمين والمتأخرين ، لأن علة إثبات حق الشفعة للشريك توجب ثبوته للجار أيضاً ^(٣) . (ب) أما الجمهور الأعظم من الفقهاء ، أي

(١) وراجع عند المالكية الشرح الصغير للدردير - ص ٧ : ٢٤٩ - ٢٥٠ : الخرش على خليل ، ص ٦٣ : ١٦١ - ١٦٢ . وانظر عند الحنابلة ، المفتي لابن قدامة ، ص ٥ : ٢٨٥ : إعلام الموقعين لابن القيم ، ص ٢ : ٢٥٢ وما بعدها .

(١) مختصر الطحاوي ، الطبعة السابقة ، ص ١٢٠
(٢) انظر مثلاً بدائع الصنائع - ص ٥ : ٤ - ٥ : الهداية للرفيع ، ص ٤ : ١٨ - ١٩

واضح مشروع هذا القانون واللجان الأخرى بمجلس النواب والشيخ ، ومحاضر جلسات هذين المجلسين ^(١) .

ونعتقد أن الحيد في اتفاق القانون وبعض مذاهب الفقه الإسلامى فى منح الجار هذا الحق ، إذا لم يوجد شريك فى نفس المبيع يطلب الشفعة . أن ذلك يمنع كثيراً من الشر فى القرى ، حيث يحرص كل جار من المزارعين على توسيع رقعة ما يملك ، ويرى فى شراء أجنبي عنه ما كان يستطيع شراءه عدواناً عليه يقابله بعدوان آخر !

٨ - ولا خلاف بين القانون وبين مذهب الأحناف الذى أباح الشفعة للجار ، فى أنه إذا تعدد الشفعاء ولم يكونوا من مرتبة واحدة ، يقدم أولاً الشريك فى نفس المبيع ، ثم يحىء بعده الشريك فى حق من حقوق الارتفاق الخاصة ، وأخيراً - إن لم يوجد أحد من الضرب الأول أو الثانى - يكون حق الشفعة للجار ^(٢) .

أما إذا تراحم الشفعاء من مرتبة واحدة ، كأن كانوا جميعاً شركاء أو جيراناً ، فإن العقار المطلوب أخذه بالشفعة يقسم - متى حكم بها - على الطالبين لها بنسبة ما يملكه كل منهم عند الشافعية والمالكية ، وبالنسوى على عدد الروس عند الأحناف لاستوائهم جميعاً فى سبب استحقاقها وهو الزكوة أو الجوار ، على أن فى مذهب

فى حق من حقوق الارتفاق الخاصة بالطريق أو الشرب ، وإلا فلا شفعة للجار إن لم يكن بين مملكته وبين العقار المبيع حق مشترك البتة وهذا الرأى هو كما يذكر ابن القيم ، رأى البصريين وغيرهم من فقهاء الحديث ، وقول عمر بن عبد العزيز والقاضيين : سوار بن عبيد الله وعبيد الله بن الحسن العنبري ، وهو أعدل الأقوال ومختار ابن تيمية ^(٣) .

٧ - هذا من ناحية الفقه الإسلامى ، أما التشريع المدنى الجديد ، فإن المادة ٩٣٦ منه جعلت للجار أن يأخذ بالشفعة فى حالات خاصة . ومن هذه الحالات أن تكون أرضه ملاصقة للأرض المبيعة من جهتين ، وتساوى من القيمة نصف الأرض المبيعة على الأقل . ومنها أن يكون هناك حق ارتفاق مشترك بين الأرض المبيعة وبين أرض الجار .

ومن هذا يتبين أن واضع القانون لم يذهب مع الفقهاء الذين أباحوا للجار مطلقاً الأخذ بالشفعة بعد الشريك ، ولا مع الآخرين الذين منعوه مطلقاً من أن يكون شفعياً ، بل جاء بحكم وسط يشبه ما اختاره ابن تيمية وابن القيم ، وذلك على الرغم من رغبة المشرع المدنى فى التضييق من حق الشفعة باعتبارها سبباً من أسباب كسب الملكية . وهذه الرغبة واضحة مما سبق نقله من مجموعة الأعمال التحضيرية للقانون بخصوص المادة ٩٣٥ ومن مناقشات لجنة

(١) مجموعة الأعمال التحضيرية ١٠٦ : ٣٥٨ وما بعدها .

(٢) راجع المادة ٩٣٦ من القانون الجديد ، وبدائع

الصنائع ٥ : ٨

(٣) إعلام الموقعين ٤ : ٢٠ - ٢٦٠ - ٢٦١

ولو زال ملك المالك عن العقار المشفوع فيه ، لا في نظير عرض مالى ، لا تثبت الشفعة فيه للشريك أو الجار ؛ فإن الشفعة هي تملك الشفيع العقار جبراً عن المشتري بما قام عليه ، وهنا قد تملكه الطرف الآخر بجاراً . فلا شفعة إذا في عقار خرج عن ملك صاحبه بهبة أو وصية أو ميراث ، أى بعقد غير معاوضة وهو البيع وما في معناه ؛ ولهذا تثبت الشفعة في العقار الموهوب بشرط العوض إذا حصل التقابض من الطرفين ، لوجود معنى المعاوضة ، ولأن الهبة بشرط العوض تعتبر تبرعاً ابتداءً ومعاوضةً انتهاءً^(١) . وإذا خرجت العين عن ملك صاحبها بعوض ولكنه غير مال ، لا تثبت الشفعة عند الأخفاف ، ولكن تثبت عند الشافعية . ومن مُثُل هذه الحالة أن يتزوج رجل امرأة على دار له يجعلها مهرأ لها ، أو يستأجر مزرعة ويجعل الاجرة داراً أو أرضاً أخرى له . ففي هذه الحالات وأمثالها تثبت الشفعة عند الشافعية ، وعلى الشفيع حينئذ أن يدفع للزوجة مهر مثلها ولصاحب المزرعة أجرة مثلها أيضاً^(٢) . وهنائرى ابن حزم يروى مذهب الأخفاف ومذهب الشافعية ، ثم يميل مع الأخفاف فيقول : ، ولا شفعة إلا في البيع وحده ، ولا شفعة في صداق ولا في إجارة ولا في هبة ولا غير ذلك ، وهو قول جماعة من السلف^(٣) .

- (١) مختصر الطحاوى ٢٢٢ : نهاية المحتاج ٤ : ٢٥ : ٢٥٢ : الوجيز ٢ : ٢٢٢ - ٢٢٢
(٢) نفسه ٤ : ١٠ : ١٢
(٣) المحلى ٩ : ٨٨

الشافعية قولاً بالتقسيم بالتساوى على عدد الروس كما هو الأمر عند الأخفاف^(١) .

٩ - ومن شروط الشفعة التي يجب التمرض لها هنا ، مهما كنا مضطرين للإيجاز ، أن يخرج المبيع المشفوع فيه عن ملك البائع خروجاً باتاً نظير عوض مالى ؛ وأن يكون الشفيع مالكا لما يشفع به وقت العقد ، ثم يستمر هذا الملك حتى يحكم له بالشفعة . وهذا إجمال يحتاج إلى تفصيل ؛ كما أن في بعضه خلافاً بين رجال الفقه الإسلامى من ناحية ، وبينهم وبين القانون المدنى من ناحية أخرى :

(١) يجب لثبوت الشفعة أن يخرج المشفوع فيه عن ملك صاحبه على وجه بات وفى مقابل عوض مالى . ومن ثم ، لا تثبت الشفعة في المبيع بشرط خيار البائع لأنه يمنع زوال ملكه للمبيع ، وتثبت إذا كان الخيار للمشتري لأن خيار المشتري لا يمنع من خروج المبيع عن ملك البائع ، وكذلك لا شفعة في المبيع يباع فاسداً حتى ولو قبض المشتري المبيع ، لأن البائع نقض البيع - بل ذلك واجب متى كان ممكناً - رفعاً للفساد ، وفي ثبوت الشفعة للشريك أو الجار حينئذ تقرير للفساد الواجب رفعه^(٢) .

- (١) نهاية المحتاج ٤ : ١٥٥ : الوجيز للنزاع ٤ : ٢٢٩ : الشرح الصغير للدردير ، ٢ : ٢٠٦ : بذائع الصنائع ، ٥ : ٥٠ : ٥٠٠ . ويتفق التشريع المدنى (الفقرة ٢ من المادة ٩٢٧) مع مذهب الشافعية والمالكية في أن قسمة المشفوع فيه تكون بنسبة ملك كل من الطالبين . وانظر في هذا أيضاً ، شرح القانون المدنى فى الأموال ، للدكتور شفيق شحاته ، القسم الأول ٢٦٦ .
(٢) بذائع الصنائع ٤ : ٥٠ : ١٣

١٠ - ونحن نذكر المادة ٩٣٥ من القانون المدق الجديد أن: «الشفعة رخصة تميز في بيع العقار الحلول محل المشتري، الخ يتضح لنا أن واضع هذا القانون يشترط في المشفوع منه أن يكون قد تملك العين محل الشفعة بمقتضى عقد بيع. وإذا، فلا شفعة إذا كان قد تملكها بالهبة أو الوصية أو نحو هذا وذلك من الطرق الأخرى التي ليست في معنى المعاوضة.

على أن من تولوا شرح هذا القانون يرون بحق أن الهبة بشرط العوض ليست في الحقيقة إلا معاوضة، وعلى هذا تكون فيها الشفعة، كما يرى فقهاء الإسلام. وحيث أن يكون على الشفيع متى حكم له بالشفعة أن يدفع للموهوب له القيمة الحقيقية للشيء الموهوب، لا قيمة العوض الذي دفعه للمواهب، ليكون قد تملك المشفوع فيه بقيمته الصحيحة^(١). وهنا، يجب علينا أن نلاحظ بحق أن هذه النظرة أدق من نظرة الشافعي حين رأى أن يدفع الشفيع، في حالة جمل الدار مراً في الزواج، مهر المثل لا قيمة الدار نفسها.

(ب) ومن الطبيعي أن يشترط ثبوت الشفعة الشرط الثاني الذي أشرنا إليه فيما سبق، أي أن يستمر ملك الشفيع مما يشفع به إلى أن يحكم له بالشفعة. وعلى هذا، لو بيع عقار فطلبه جاره أو الشريك فيه بالشفعة، ثم قبل الحكم بها للشفيع باع العقار الذي يشفع به، فلا شفعة له حيث؛ لأنها شرعت لدفع ضرر الشريك أو الجار الجديد، وبعد بيع الشفيع ما يشفع به لم يبق

(١) الدكتور شفيق هحاته، المؤلف السابق ذكره،

شريكا ولا جاراً، فلم يخشى أو يخاف من المشتري! وقد فرغ الفقهاء على هذا الشرط أيضاً أن ذلك الذي اشترى من الشفيع ما كان يشفع به، وكان هذا الشراء بعد بيع البائع للعقار محل الشفعة، ليس له حق الشفعة لأنه لم يكن مالكا لما يشفع به وقت العقد الأول الذي خرج به المشفوع فيه عن ملك صاحبه. وفي هذا يقول علاء الدين الكاساني المتوفى عام ٥٨٧ هـ: «ومنها [أي شروط وجوب الشفعة]، ملك الشفيع وقت الشراء في الدار التي يأخذها بالشفعة؛ لأن سبب الاستحقاق جوار الملك، والسبب إنما يتعد سبباً عند وجود الشرط، والانقضاء أمر زائد على الوجود، فإذا لم يوجد عند البيع كيف يتعد سبباً! فلا شفعة له بدار يسكنها بالإجارة أو الإعارة، ولا بدار باعها قبل الشراء^(٢)، ولا بدار جعلها مسجداً... الخ^(٣)».

١١ - وهذا الشرط، أي استمرار ملك الشفيع لما يشفع به من وقت العقد إلى حين الحكم له بالشفعة، ليس بشيء عند الظاهرية. هذا ابن حزم يقول^(٤): «ولو أن الشريك، بعد بيع شريكه قبل أن يؤذنه، باع أيضاً حصته من ذلك الشريك البائع أو من المشتري منه أو من أجنبي، علم بأن له الشفعة أو لم يعلم، علم بالبائع أو لم يعلم، فالشفعة له كما كانت، لأنه حق قد أوجه الله تعالى له فلا يسقطه عنه بيع ما له ولا غير ذلك أصلاً». ونحن لا نرى معنى لبقاء حق الشفعة لمن باع

(١) ويقول: أو بدار اشتراها بعد شراء المشتري للعقار

على الشفعة (٢) بدائع الصنائع، ٥: ١٤

(٣) المحل لابن حزم، ٩: ٩٥

الصفقة من المشتري للشفيع ، بل نقض البيع الذي كان بين المالك والمشتري ثم انعقاد بيع آخر للشفيع. (١) وعلى هذا يكون للشفيع أحد أمرين : إما أن يأخذ المبيع المشفوع فيه ويدفع الثمن حالا . وإما أن ينتظر حتى يحل الأجل فيدفع الثمن ويأخذ المبيع حينئذ ، أي ليس له الانتفاع بالأجل الذي كان قد منحه البائع للمشتري . وإن اختار الانتظار في دفع الثمن وتسلم المبيع حتى يحل الأجل ، لم يكن ذلك ليعفيه من طلب الشفعة ، طلب الموائبة وطلب التقرير المعروفين وإلا سقط حقه فيها إن أخر ذلك وهو متمكن منه ؛ لأن شرط ثبوت حق الشفعة هو وجود العقد الذي به خرج المشفوع فيه عن ملك صاحبه البائع ، وقد وجد فعلا . وفي هذا يقول علاء الدين الكاساني : « ولو اشترى داراً بئمن مؤجل ، فالشفيع بالخيار : إن شاء أخذها بئمن حال ، وإن شاء انتظر مُضى الأجل فأخذ عند ذلك . وليس له أن يأخذها للحال بئمن مؤجل ؛ لأن الشفيع إنما يأخذ بما وجب بالبيع ، والأجل لم يجب بالبيع ، وإنما وجب بالشرط ؛ والشرط لم يوجد في حق الشفيع . ولهذا لم يثبت خيار المشتري للشفيع بأن اشترى على أنه بالخيار لأن ثبوته بالشرط ولم يوجد من الشفيع . وكذا البراءة من العيب لا تثبت في حق الشفيع ، لأن ثبوتها بالشرط ولم يوجد من الشفيع » (٢)

(١) ذلك هو المشهور من قولهم ، وقد رأى البعض أن انقضاءها يحول الصفقة من المشتري للشفيع .

(٢) البدائع ، ٢٥ : ٢٧ . وإذا نص الشفيع بتعجيل الثمن ، كان للمشتري أخذه وعدم دفعه للبائع إلا في أجله . راجع البدائع ، ٢٥ : ٢٧ ، المبسوط ، ٢٤٥ : ٢٢٠ .

ما يشفع به كما يقول ابن حزم ، لأنه لن يتأتى أن يضار بالمشتري بعد أن باع نصيبه في الشيء المشفوع فيه . ولكن ، قد يكون من الحق أن تثبت الشفعة لمن اشترى عقاراً مجاوراً لعقار آخر يبيع ، وكان شراؤه من الشريك أو الجار الذي كان له حق الشفعة ولكنه لم يطلبها ، ثم لم تكن قد مضت فترة تسقط حق طلب الشفعة لصاحبها . إن في القول بهذا فائدة لهذا المشتري الثاني للعقار المشفوع به ، وهي دفع ما قد يصيبه من أذى من ناحية مشتري العقار المشفوع فيه ، على أن الفقهاء الإسلاميين لم يذهبوا إلى هذا القول ، لأن الشفعة ثبتت على خلاف الأصل في رأى الأكثرين منهم ، ولهذا لا يصح التوسع فيها . ولكل رأى حظه من النظر ، ولكل وجهة هو موليها ، والله أعلم بالصواب » (٣) .

١٢ — وبعد الحكم بالشفعة للشفيع الذي طالب بها ، عليه أن يدفع للمشتري ما دفعه من ثمن وما أنفق من مصروفات أخرى ، كأجر الوسيط في الشراء ورسوم التسجيل .

وهنا قد تنشأ مشكلة يجب حلها وبيان حكم الله فيها كما نعرفه عن الفقهاء المسلمين . ذلك ، بأن البيع قد يكون تم على تأجيل الثمن إلى أجل معين يدفعه فيه المشتري للبائع ؛ فهل ينفع الشفيع إذا حكم له بالشفعة بهذا الأجل ، أو يجب عليه دفعه فوراً للمشتري ؟

يرى الاختلاف أن القضاء بالشفعة ليس تحويلاً

(١) نذكر هنا أن القانون المدني مع الفقهاء المسلمين ، ماعدا الظاهرية ، في اشتراط استمراء ملك الشفيع لما يشفع به حتى يصح له بالشفعة ، واجع الدكتور شفيق شحاته ، المؤلف السابق ذكره ، ٢٦٨ .

الآراء، ففيه تيسير على الشفيع بالانتفاع بتأجيل الثمن إذا كان موسراً أو كفله مليء، وبذلك لا يضيع حق البائع أو المشتري، وإلا كان عليه تعجيل الثمن واستلام المشفوع فيه.

١٤ - وأخيراً، نختم هذا البحث ببيان أن حق الشفعة يسقط بأسباب كثيرة، ومنها أن يرضى الشفيع بالبيع الذي صدر من المالك للمشتري، بشرط ألا يكون في الأمر تدليس. فلورضى بهذا البيع على أن الثمن هو ألف جنيه مثلاً، أو على أن المشتري هو فلان الرجل الفاضل، ثم ظهر أن الثمن أقل من ذلك أو أن المشتري فلان السيء الجيرة، كان له حق الشفعة أيضاً؛ لأن ما رضى به ليس هو الذي كان فعلاً، وما رضى إلا لما زعموه من الثمن أو المشتري. ونحن جميعاً نعلم أنه قد يزهّد في الشراء إذا وجد الثمن مرتفعاً عما يجب، أو رأى أن المشتري هو رجل لا يتضرر بجوارحه متى صار جاراً. كما نذكر أن حق الشفعة لا يورث عند الأحناف^(١)، ويورث عند الآخرين إذا كان المورث قد طالب بها قبل موته لأن الوارث يخلفه في كل ما كان له من حقوق. والقضاء وشرائح قانون الشفعة يأخذ بعضهم برأى الأحناف، لأن الشفعة حق شخصي فلا يورث، وبعضهم يأخذ بالرأى الآخر لما قلناه من أن الوارث خليفة المورث فيقوم مقامه فيما له وما عليه^(٢).

محمد يوسف موسى

وعدم انتفاع الشفيع بالأجل الممنوح للمشتري على ما رأينا عند الأحناف، هو كذلك عند الشافعية. ولكن عند المالكية، للشفيع الانتفاع بالأجل الممنوح للمشتري، فله أن يأخذ المبيع المشفوع فيه ثم يدفع الثمن عند حلول أجله. وهذا إذا كان موسراً لا يخشى ضياع الثمن عنده، أو كان معسراً ولكن ضمنه مليء، أي موسراً؛ فإن لم يكن هذا ولا ذاك، كان عليه أن يدفع الثمن فوراً، وإلا فلا شفعة له، إلا إن كان المشتري مثله في الفقر والحاجة فله أخذ المشفوع فيه بأجله دون تقديم ضامن له بالثمن^(٣).

١٣ - ونعتقد أن رأى المالكية هذا فيه خير للشفيع والمشتري معاً، وهو رأى ابن حنبل أيضاً. وهو أحوط للمشتري من رأى الإمام زفر المتوفى عام ١٥٨ الذي يقول بأن الشفيع يأخذ المشفوع فيه بما تم العقد عليه بين البائع والمشتري، حتى إذا كان الثمن مؤجلاً لم يلزمه إلا ذلك مع استيلائه على المبيع طبعاً. وهنا، نشير إلى أن الفقرة الأولى من المادة ٩٤٥ مدني جديد تقول بأن الشفيع يحل محل المشتري في جميع حقوقه والتزاماته قبل البائع. إلا أن الفقرة الثانية منها، قد عذبت بالنص على أنه لا يحق للشفيع الانتفاع بالأجل الممنوح للمشتري في دفع الثمن إلا برضاء البائع. ومعنى هذا أن للشفيع إذا رضى البائع قسماً للمبيع فوراً مع دفع الثمن متى حان أجل دفعه.

وتؤكد مرة أخرى بعد مقارنة هذه الآراء كلها بعضها ببعض، أن رأى المالكية هنا هو خير

(١) انظر الطحاوي حيث يقول في مختصره: «والشفعة لا يورث» ٤٠ - ٢٢٣

(٢) انظر مجموعة الأعمال التحضيرية للقانون المدني الجديد، ٦: ٣٥٦ الدكتور شفيق شحاته، المواقف السابق ٤ - ٨٨٠

(٣) نهاية المحتاج، ٤ - ١٥٠، الشرح الصغير للدردير،

التقوى في الميزان

لصاحب الفضيلة الشيخ محمد شلتوت

تذكروا فإذا هم مبصرون . وفي معرض تفريج
الآزمات وحل المشكلات ، ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ،
ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .
وفي معرض الرحمة الخاصة ، واكتب لثاني هذه
الدنيا حنتوق في الآخرة إنا هدنا إليك ، قال عذابي
أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء .
فسأكتبها للذين يتقون ويأتون الزكاة والذين
هم بآياتنا يؤمنون . ويذكرها في معرض السلامة
من الفتن التي يعم الأمة ضررها ، ويؤخذ فيها
المجرم وغير المجرم ، يؤخذ فيها المجرم بإجرامه
وغير المجرم بسكوته ، وهي فتن التفرق في الحكم
والسلطان ، والتفرق بالمذاهب والآراء ، والتفرق
بإهمال واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
ورد الأمة إلى وحدتها ، والاعتصام بما يجمعها
من رباط مقدس ، واتقوا فتنه لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة . ويذكرها في معرض التيسير
للخير ، إن سعيكم لشتى ، فأما من أعطى واتق
وصدق بالحسن ، فسيسره اليسرى ، وفي معرض
التمتع ببركات السماء والأرض عن طريق الإلهام
بوسائل استخراج الكنوز والإحاطة بالأسرار
والانتفاع بها في الحياة ، ولو أن أهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء

ذكر القرآن التقوى في معرض اتباع الهداية
الإلهية ، وأنها تجعل الإنسان في أمن من الخوف
والحزن ، وبذلك يطمئن إلى الحياة ، ويسكن
قلبه ، فيفكر ويعمل ويؤمل ، يا بني آدم إياي أتيتكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وفي معرض
الانتفاع بالقرآن الكريم ، والحصول به على الهدى
والفلاح ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك
هم المفلحون . وفي معرض البر العام ، والصدق
في الإيمان ، أولئك الذين صدقوا وأولئك
هم المتقون . وفي معرض النصر والتأييد ، بلى
أن تصبروا وتمتوا ويأتوك من فورهم هذا يمددكم
ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ،
وأن تصبروا وتمتوا لا يضركم كيدهم شيئا ،
وفي معرض ولاية الله وأنها للبتين من عباده
خاصة ، وليس شيء منها لمن فسدت فطرهم
وانحرفوا عن طريق الحق والصواب ، فأشركوا
بالله ، وتجبروا على عباد الله ، وأسرفوا بنعم الله
، وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ،
، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ،
الذين آمنوا وكانوا يتقون . ويذكرها في معرض
تحصين النفس من نزغات الشيطان والهوى
، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان

والأرض ، وفي معرض الثواب العظيم ، والتعظيم المقيم ، مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها ، تلك عقبي الذين اتقوا ، وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ؛ ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جنيها ، تلك الجنة التي نورت من عبادنا من كان تقيا .
ويذكرها بعد ذلك كله في معرض المعية الإلهية بالنصر والتأييد ، والعطف والرحمة ، واعلموا أن الله مع المتقين ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وهكذا ذكر القرآن التقوى في معرض الطهر من كل نقص ، والصلاح من كل خلل ، والسلامة من كل شر . ذكرها في معرض الأمن والسكينة ، والاطمئنان والاستقرار ، في معرض الحصول على خيرى الدنيا والآخرة .

ومن هنا اشتدت عناية القرآن بالتقوى وأكثر من الأمر بها ، وتوجيه النفوس إليها ، وكانت له في ذلك أساليب مختلفة ، ووجوه متعددة :
أمر بتقوى الله هكذا بصفة الألوهية التي تقتضى بالنوجه إليه وحده في العبادة والتقديس ، وبصفة الربوبية التي توحى بنعمة الخلق والإيجاد ، والهيمنة والتنمية ، ونعمة التزوية المادية والروحية ، وبصفة أنه مصدر الإمداد بما يتمتعون به من مال وبني وخيل وحرث . وأمر بتقوى عذابه ، وتقوى يوم الحساب والجزاء ، واتقوا الله ، اتقوا ربكم ، واتقوا الله الذى أمدكم بما تعملون ، وإياى فاتقون ، لا إله إلا أنا فاتقون ،

واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ، وتقوى الله تنظّم تقوى ما يباه جلاله وجماله من الشرك والبنوة ، والاعتداد والحلول ، وتقوى ما تأباه حكمته من مجاوزة حدوده ، والخروج عن شرائعه وأحكامه . وتقوى لإهمال سننه الكونية التي أحكم بها نظام العالم ، وربط المسببات فيه بالأسباب . وفي تقوى ذلك كله ، تقوى عذاب الله وعقابه ، والعقاب ، منه أخروى ، ينزل بالافراد نتيجة قصيرهم وعدم تقواهم في التكاليف الإلهية الخاصة ، ومنه دنيوى ، ينزل بالأمم كما ينزل بالافراد نتيجة الإعراض عن الأخذ بالأسباب الكونية ، والإعراض عما توجه روابطه الرحم الإنسانى ، والإيمان بمبدع الكون ومنظمه .

وقد كان للسلف في التعبير عن التقوى عبارات ؛ فمن قائل : التقوى ترك الإصرار على المعصية ، وترك الاعتزاز بالطاعة . ومن قائل : التقوى ألا تختار على الله سوى الله ، وأن تعلم أن الأمور كلها بيد الله . ومن قائل : ألا يجد الخلق في لسانك عيباً ، ولا الملائكة في أفعالك عيباً ، ولا ملك العرش في شرك عيباً . ومن قائل : التقوى أن تزين شرك للحق كما تزين ظاهرك للخلق . ومن قائل : التقوى ألا يراك مولاك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك . ومن قائل : المتق من سلك سبيل المصطفى ، ونبتذ الدنيا وراه القفا ، وكلف نفسه الإخلاص والوفا ، واجتنب الحرام والجفا .

كالشكر ، والصبر . وكانت دائرة بين الإعراب عن أحوالهم القلبية واتجاهاتهم الخاصة ، والإعراب عما يرون الناس في غفلة عنه وفي حاجة إليه ، غير أنه مهما اختلفت أجوبتهم وتعددت مشاربهم ، وتراعى للناظر بين العبارات والمعاني نوع من الاختلاف ، دعا إليه أحد الموقفين المذكورين ، فإنه لو عرضت في الوقت نفسه جميع العبارات الماثورة عنهم ، عليهم جميعا ، لسكانت محل اتفاق بينهم ، ولما أنكر أحدكم ما نزع إليه صاحبه ، من بيان وتصور ، أو توجيه وإرشاد ، ولتلاقت جميع العبارات ، وجميع الجزئيات عند حدها المشترك وهو حصانة النفس عما يضر ويؤذي ، وعما يحول بينها وبين الكمال . ولعل الذي حل القوم على سلوك هذا السبيل في التعبير عن التقوى أنهم كانوا عمليين قبل كل شيء ، يذهبون على المعلوم ليوحد ، وعلى الضعيف ليقوى ، وعلى المنحرف ليستقيم . وإن من يقتنع بصف الإرشاد النبوي ليجد كثيرا من هذا المنهج ؛ فرة كان يوصي عليه السلام بالحلم وترك الغضب ، وأخرى بالحياء ، وثالثة ببر الوالدين ، وبجمل ما يوصى به كل الإيمان أو كل الخير والبر .

وقد رأينا من المفسرين من يبين معنى التقوى الواردة في القرآن الكريم بحسب المقام الذي سبقت فيه ، فيفسرها في قوله تعالى مثلا : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . الواردة في أول سورة النساء . وقوله : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ،

كان لهم في التعبير عن التقوى هذه العبارات وأمثالها ، وللتقوى منازل ، وللقلوب أحوال ، ولخلق الله نزعات ، وقد كان من سنة القوم في الإرشاد إلى معاني الخير وأسس الفضيلة والتفنية إلى الجوانب التي يتسرب منها النقص الخلق أو الروحي إلى الإنسان ، كان من سنتهم في ذلك أن يقصدوا إلى إبراز الجزئيات ، والنواحي التي تأثرت بها ، وغلبت على أحوالهم ، وشعروا منها بالكمال الذي تطمئن إليه نفوسهم ، والروح الذي تسكن به قلوبهم ، أو الجزئيات التي يرونها توظف وعيا في سائل ، أو تحي عاطفة في مرید ؛ فيقدمون له العلاج الخاص بذلك الوعي فيبتليقظ ، أو بتلك الماطفة فتحي . ويرون أن التخصيص هكذا في مقام العلاج أنجع فائدة ، وأعظم أثرا ، وأقرب في الحصول على الهدف المقصود ، وسد ناحية التقصير أو القصور ، مما إذا قدم العلاج بالعنوان العام ، وللمعنى الشامل ، الذي لا تظهر فيه العناية بجانب دون جانب ، وبذلك يقف المرید أو السائل حائرا أمام الجوانب المتعددة التي يملها عليه العموم ، ولا يجد فيه ما يدفعه على وجه خاص إلى أن ينشط في أخذ أهبة التكامل النفسي أو العمل في الناحية التي هو في حاجة إلى تكميلها والارتقاء في سبيلها . وهذا شأن لا بد من مراعاته في أساليب التربية والتقويم حتى يكون للتربية أثرها وللتقويم فائدته .

إلى هذا المبدأ تعددت عبارات القوم واختلفت إجاباتهم عن التقوى وما إليها من المنتجات

عن المعاصي من لوازم الخشية وتوابعها ، والمعصية يأبأها الإيمان . وهذا هو سبيل تلاقى الجزئيات التي فسرتها التقوى في عبارات القوم وعبارات المفسرين ، ذلك أن التقوى في أصل معناها جعل النفس في وقاية ، ولا تجعل النفس في وقاية إلا بالنسبة لما يخاف ، فالحوف أصلها ، وهي ثمرة ، والحوف يستدعي العلم بالخوف ، والخوف إما العذاب ، وإما المذهب ، ومن هنا كان الذي يعلم الله ، هو الذي يخشاه ، وكان الذي يخشاه هو الذي يتقيه ، فلا تقوى حيث لا خشية ، ولا خشية حيث لا علم ، ومن عرف الله وآمن بقدرته القاهرة وعلمه المحيط ، وسلطانه النافذ ، وشرعه الحكيم ، تمثل عظمته في كل شيء وخاف سطوته في كل شيء ، واتقاه في كل شيء ، ولإذن فالتقوى هي صيانة النفس عن كل ما يضر ويؤذي سواء أكان متصلاً بالنفس أم بالنوع ، أو بالخلق كله ، وعن كل ما يحول بين الإنسان والغايات النبيلة التي بها كماله في جسمه وروحه ، وفرده وجماعته ، وفي دنياه وأخراه ، وبعبارة أخرى هي تحصين النفس من كل ما يعرضها للنقص الإنساني ، أو الديني ، أو الاجتماعي .

ولعل أول مظهر من مظاهر التقوى ، أرشد الله إليه فيما افتتح به سورة البقرة ، وهو أن التقوى كانت سبباً لاختصاص المتقين بهداية القرآن والانتفاع به ، ذلك أنهم حصنوا أنفسهم من الأسباب التي تقصد على الإنسان فطرته ، وتجعله لا يؤمن إلا بالحقى المشاهد ، وتجعله

بخشية الله والخوف منه . وفي قوله تعالى « وألهمهم كلمة التقوى » وقوله « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » يفسرها بالتوحيد . وفي قوله « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا » يفسرها بالتوبة عن المعاصي . وفي قوله « أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » يفسرها بالطاعة وفي قوله « وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله » يفسرها بترك المعصية . وهكذا حتى يُظن أن التقوى معاني متعددة يختلف بعضها عن بعض ، وأنها من قبيل المشترك اللفظي الذي يتحد لفظه ويتعدد وضعه ومعناه . والواقع أن ممالك السلف في الإرشاد ، وممالك المفسرين في التفسير ، لا يعمدون أن يكون أساسه ؛ إما مجازاة الأحوال ، أو مجازاة السياق ، وليس من مقصودهم جميعاً أن يحددوا بهذه العبارات الخاصة المعنى السكلي بكلمة « تقوى » الذي تدل عليه بوضعها وأصل اشتقاقها لأنهم إنما يرمون عن قوس الإرشاد إلى التحلية العملية ، والتناسب في السياق ، وليس من هدفهم التعليم العلى بعرض الجزئيات في ثوبها السكلي العام ، ومع ذلك فإننا لو وضعنا هذه المعاني الجزئية التي تمثلها الأحوال ، إلى رجال التصفية والتهذيب ، أو يميلها السياق إلى رجال التفسير ، لو وضعناها في صعيد واحد ونسبنا بعضها إلى بعض ، لوجدناها متعاققة متلازمة . لا يستقل واحد منها عن صاحبه ، ولا يفتنى أحدها عن الآخر ؛ فالتوحيد أصل وخشية الله أثره ، وآية الصدق فيه . والتوبة

للأذقان يكون ويريدهم خشوعاً ، « قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء ، « ولأنه لتذكرة للمتقين ، .
 وبينما نراه يخلع ذلك على المتقين الذين لم يبدنسوا فطرهم بذلك العلل التي تبعد الناس عن الخير وإدراك الحق ، نراه يخلع غير ذلك على آخرين ، فسدت فطرهم بيئات الشر وموروثات الفساد وأوهام الضلال ، وعصبيات الجمل ، فلم يعرفوا الحق ولم يؤمنوا به ؛ بل عاندوا ولجوا في العناد وأخذوا يحاربون الله في السر والعلن ، نراه يخلع عليهم أن القرآن عليهم هي وأنه لا يزيدهم إلا تباراً ، وأنهم « سواء عليهم أن نذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » . ويضع في مستوى هؤلاء طائفة أخرى فسدت باطنها كما فسدت باطنهم ، ولبسوا في ظاهرهم للزومين ثوب الخداع والزور ، فقالوا كلمة التوحيد كما يقولون ، وصلوا كما يصلون ، واهتم القرآن بالحديث عنهم فعرّف عن خلالم ، وصور كثيراً من نياتهم ، وضرب الأمثال في شرح حالهم وعاقبة أمرهم .
 هؤلاء هم الكافرون وهؤلاء هم المنافقون ، قد اشترى الفريقان الضلالة بالهدى ، وذنسوا نفوسهم فعمى الحق عليهم ولم يهتدوا بما أنزل الله لهم وبعبث به الرسل إليهم وصاروا إلى مآل سيئ .
 أما المتقون الذين حافظوا على ما منحوا من فطر سليمة ، ونعم ظاهرة وباطنة حتى انتفعوا بهداية الله ووضعوا كل نعمة في موضعها ، وسلكوا بأنفسهم وبني جنسهم سبيل الله الذي رسمه بسنته السكونية وأحكامه الشرعية ؛ أما هؤلاء

مقطوع الصلة عن مصدر الخير الدائم الباقي ، كما تجعله فظاً غليظ القلب ، متحجر الوجدان ، لا تهزه رحمة ، ولا تدفعه إلى المعونة عاطفة ، وتجعله ذا عصبية تحول بينه وبين الاعتراف بالحق والتمتع بالخير إذا لم يجر على لسانه وجرى على لسان غيره ، أو لم ينزل من سمائه ونزل من سمائه غيره ، واقرأ في ذلك متدبراً قوله تعالى :
 « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، .
 اقرأ هذا لتعلم أن من عصم فطرته من تسلط المادة المظلمة عليها ، ومن قسوة القلب على أخيه المحتاج ، ومن العصبية الفاسدة لما ورث ، هو المتقي عند الله ، وأن تقواه هذه هي التي ترفعه إلى مكانة الاتعاف بالكتاب ، والتغذية من أحكامه وإيمانه حتى يصل به إلى أقصى درجات الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة » أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ، وكما خلع الله على هؤلاء الذين حصنوا أنفسهم من تلك العلل ، عنوان المتقين ، نراه في آيات أخرى قد خلع عليهم عنوان العلم المطلق ، والإيمان الكامل وجعل القرآن لهم تذكرة كما جعله لهم هدى وشفاء « ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق » « إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تبلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخرون

وإذا حصلت على هذه الدراسات ، وشعرت من نفسك بهذا الفرقان ، فاعلم أنك قد منحت درجة المتقين : الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون .

هذه هي التقوى في القرآن الكريم ، وهذه ثمرتها في الأفراد والجماعات ، ولو أن الناس عرفوها حق المعرفة ، وقاموا بواجبها وحققوا لسكت الغضب عن العالم ، وانطلقت ثورة الشر التي ألهمت جوانحه وأفضت مضاجعه ، وكادت تقضي على حكمة الله في خلق الإنسان ، وربنا لا نزع قلبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لذلك رحمة إنك أنت الوهاب .

محمد سلطون

قبره كل امرئ فيما به يلقى

بينما كان فولته يسير على شاطئ نهر التيمز فشاهد غيباً يوشك أن يفرق ، ولكن أحد الفقراء عاثر بحياته فألقاه ففتح الغنى قرشاً .

وكان جمع من الناس قد احتشدوا ورأوا ما حدث فهموا بالغنى يريدون أن يفتكوا به ، ولكن فولته هدا روعهم بقولهم : إن هذا الغنى يعرف أكثر من غيره ماذا تساوى حياته .

ولقد صدق « إيتان راي » إذ يقول : إن المال لا يظهر حماقة الناس وإنما يظهر حقيقتهم .

فقد ظفروا بمكانة السمو الإنساني ، ودرجة الفلاح عند الله ، وأناروا بما يسر لهم من وسائل الخير العام سبيل الحق والهدى لخلق الله فعمصوا الناس كما عمصوا أنفسهم من علل العقيدة ، ومن علل الأخلاق ، ومن علل الأعمال ووجهوم في كل ذلك إلى لب الحياة وسر الوجود وكانت التقوى لهم نورا به يهتدون وبه يهدون ، وقوة بها ينصرون ، ومعارج عليها يصعدون ، وذلك هو ما وعد الله به في قوله : يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ، فنور التقوى هو ذلكم الفرقان الذي جعله الله ثمرتها ، وجعل فيه جزاء المتقين ، والفرقان ما يفرق به بين الشيعين أو الأشياء وفسره بعض السلف بنور البصيرة الذي يفرق بين الحق والباطل ، والحجة والشبهة . وفسره آخرون بالنجاة من الشدائد ، أو النصر الذي يفرق بين ما يعز وما يذل ، وكلا التفسيرين قصد إلى البيان بالجزئيات ، كما هي سنتهم في البيان والإرشاد ، والواقع أن الفرقان ، منه على ، وهو نور ، أو ملكة ، يفرق بها بين الحق والباطل ، والنور والظلمة ، والحجة والشبهة . ومنه عمل ، وهو ثمرة العلى وهو يرجع إلى الفصل بين ما ينبغي فعله وما يجب تركه في سبيل العزة والنجاة من الشدائد ، والحصول على الرغائب . وانظر كم يتطلب الفرقان بتوحيه من دراسات وتفقه ، وتدريب على الفضائل ، وبحث عن السنن والأسرار .

دين العقل

للاستاذ محمد أحمد الغمراوي بك

خلق السموات والأرض من أسرار على وجه يطوِّع للإنسان الوصول إليها والتصرف فيها بعقله . وإلى الأساسين جميعاً أشارت خاتمة الآيتين . إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، وفي هذه الخاتمة الكريمة ما فيها من حض على تطلب تلك الأسرار للانتفاع ثم للاعتبار .

فالقرآن الكريم إذ جاء لهداية البشر من عند فاطر الفطرة سبحانه ، إنما يخاطب العقل أول ما يخاطب . ولقد تنوعت أساليب الخطاب حتى ليظن الناظر أن ليس هناك في الفطرة أسلوب في خطاب العقل والقلب لم يأت به القرآن .

فالدعوة إلى الله وتوحيده قائمة فيه على العقل قبل كل شيء ، والذي يتبع مواقف تلك الدعوة يأخذ العجب من وضوح حججها حتى في مواطن الإيجاز في إيرادها ، فالناظر في مثل قوله تعالى من سورة الطور : « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ أم خلقوا السموات والأرض ؟ ، لا يجد بدا من الإقرار بالخالق سبحانه و « من غير شيء » هنا معناها من غير خالق كانه إليه الإمام الغزالي في باب التفسير من الإحياء . فإذا نظر في قوله تعالى من سورة فصلت : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي

الإسلام دين العقل ليس في ذلك شك ، جهله من جهله ، وعلمه على وجه من علمه . والناظر في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهما ما هما ، لا يكاد ينقضي عجه بما لقي العقل فيهما من عناية وإكبار وهداية . أما الحديث الشريف فيكفي منه ما ذكر الإمام الغزالي في الإحياء في باب شرف العقل وما بعده ، ويكفي مما ذكر قوله صلى الله عليه وسلم (ما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقل) . وهذا يفسر وجه التكريم والتفضيل الذي من الله سبحانه به على الإنسان في قوله تعالى من سورة الإسراء : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » . إذ بالعقل وحده تصرف الإنسان في البر والبحر ، وتسلط في الأرض على غيره من الكائنات . ولقد فسرت آية الإسراء من هذه الناحية آيتا سورة الجاثية : « والله الذي يسخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون . ويسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ؛ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » . فالعقل أساس لهذا التسخير من غير شك ، إذ بدونه لم يكن التسخير ليم . وأساس آخر هو ما أودع الله

خلقهن ، أو قوله من سورة الحج : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، أو قوله سبحانه من سورة الرعد : أم جعلوا لله شركاء خلقوا تخلفه فقتلوا الخلق عليهم ؟ قل الله عالى كل شيء وهو الواحد القهار ، يجب كيف يمكن أن يتعطل العقل في الإنسان فيتخذ مع الله آلهة لا تملك لغيرها ولا لنفسها من شيء ؛ ثم لا يكون ذلك إلا في أمم كالعرب والروم والفرس أو كالفند والصين ، لكل منها في قديم التاريخ مكان .

فإذا تركنا خطاب القرآن أهل الشرك ونظرنا فيما خاطب به أهل الكتاب وجدنا مثلاً أخرى من إقامة الحجة في إيجاز وإلزام نجزىء منها بمنزل واحد ، هو قوله تعالى من سورة المائدة : وما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدقة كانا يأكلان الطعام ، . في الكلمات الثلاث الأخيرة وما اندرج فيها برهان أي برهان على بطلان ما يدعيه عبساده عيسى ومريم عليهما السلام . ولا يبق بعد هذا في أمر التوحيد إلا نقي السند مطلقاً عن الله سبحانه ، وهنا تلقى العجب العجيب من الحجاج المعجز يانا ومنطقاً ، من نحو قوله تعالى في سورة الأنبياء : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، ، أو قوله تعالى من سورة الإسراء : قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لا يبتغوا إلى ذى العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون الاعتراض .

علوا كبيراً ، ، أو قوله تعالى من سورة المؤمنون : ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذن لاذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . . وهي حجج قاطعة تسد على فروض الفلاسفة الأبواب . وكما حاكم القرآن الناس إلى العقل في أمر الإله الحق حاكمهم إليه في أمر الرسول الحق محمد بن عبد الله ومن قبله من الرسل ، على نفس النسق من الروعة وإحكام الحجة ووضوح البرهان . وهنا أيضاً لا يتسع المقام إلا لبعض أمثلة جمعت بين الوضوح والإيجاز .

والاعتراضات التي كانوا يعترضونها على رسالة الرسول فيها صحف كثير ، كاعتراضهم على بشريته ، فحكي الله اعتراضهم في شيء من التعجب من صحفه ، وذلك في قوله تعالى من سورة الإسراء : وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً ، ، ثم كرّ عليه بقوله : قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً . . فأول الجواب تأكيد لرسالته صلى الله عليه وسلم بكلمة : قل ، وآخره تقرير لسنة من سنن الله في الاجتماع ، وهي أن الرسول - أو المصلح - لا يكون إلا من بين المرسل إليهم ، فالبشر لا يكون رسولهم إلا من البشر ولو كان هناك ملك رسول ، فلن يرسل إلا إلى أمة من الملائكة . وفي الجواب ما فيه من التهكم الخفي بقول يحول بينها وبين قبول الحق مثل ذلك الاعتراض .

خلقهن ، أو قوله من سورة الحج : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب ، أو قوله سبحانه من سورة الرعد : أم جعلوا لله شركاء خلقوا تخلفه فقتلوا الخلق عليهم ؟ قل الله عالى كل شيء وهو الواحد القهار ، يجب كيف يمكن أن يتعطل العقل في الإنسان فيتخذ مع الله آلهة لا تملك لغيرها ولا لنفسها من شيء ؛ ثم لا يكون ذلك إلا في أمم كالعرب والروم والفرس أو كالفند والصين ، لكل منها في قديم التاريخ مكان . فإذا تركنا خطاب القرآن أهل الشرك ونظرنا فيما خاطب به أهل الكتاب وجدنا مثلاً أخرى من إقامة الحجة في إيجاز وإلزام نجزىء منها بمنزل واحد ، هو قوله تعالى من سورة المائدة : وما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدقة كانا يأكلان الطعام ، . في الكلمات الثلاث الأخيرة وما اندرج فيها برهان أي برهان على بطلان ما يدعيه عبساده عيسى ومريم عليهما السلام .

ولا يبق بعد هذا في أمر التوحيد إلا نقي السند مطلقاً عن الله سبحانه ، وهنا تلقى العجب العجيب من الحجاج المعجز يانا ومنطقاً ، من نحو قوله تعالى في سورة الأنبياء : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ، ، أو قوله تعالى من سورة الإسراء : قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لا يبتغوا إلى ذى العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون

سنة الله في كل جسد حتى أن يطعم وأن يموت .
وعادوا يعترضون بأنه صلى الله عليه وسلم
له أزواج مثلهم وذرية ، فجاءهم الجواب من سورة
الرعد : « ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم
أزواجاً وذرية ، وهو من ناحية يقرر رسالة
الرسول صلوات الله عليه ويؤكد لها ؛ فضمير المتكلم
هنا هو ضمير الجلالة ، وضمير الخطاب هو ضمير
الرسالة ، ومن ناحية أخرى يشعرهم حين أغفل
ذكرهم أنهم لن يكونوا أهلاً للخطاب حتى ينزلوا
على حكم العقل ويقنعوا عن تخفيف الاعتراض .
ومن جليل مظاهر اعتماد الإسلام على العقل
التحدى بالقرآن . وما التحدى إلا تحاكم إلى العقل
وتحكيم له فيما زعم الزاعمون من أن القرآن من
عند محمد لا من عند الله . ولم يكن التحدى أول
ما أجيبوا به على هذا الزعم كما يبدو من قوله
تعالى من سورة يونس : « وإذا تلى عليهم آياتنا
بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن
غير هذا أو بدله اقل ما يكون لى أن أبدله من
تلقاء نفسى ، إن أتبع إلا ما يوحى لى ، لى
أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . قل
لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراك به فقد لبثت
فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » . فلما لم يعقلوا
ما انطوت عليه هاتان الآيتان الكرّيمتان من
حجج والجهشوا في زعمهم ، تحداهم أن يأتوا بمثل
القرآن وهم مثل محمد في النشأة العربية . وتساهل
معهم « إرخاء للزمام وتمكيناً للحجة عليهم » فأباح
لهم الاستعانة بمن شادوا من العرب أو من غير
العرب من أهل الكتاب أو غير أهل الكتاب

واللجاج من عادة المعاندين الذين أضلهم
الهمى عن سبيل الحق والعقل فعدلوا اعتراضهم
من طلب الرسول الملك إلى طلب ملك يكون
مع الرسول البشر ، فانظر كيف حكى القرآن
الكرّيم اعتراضهم الجديد وكيف رد عليه من
سورة الانعام : « وقالوا لولا أنزل عليه ملك
ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون .
ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم
ما يلبسون » .

لأنهم إذ ذن يكونون بين أمرين : إما أن يروا
الملك على هيئته الملائكية فيهلكوا رعباً ، إذ
لا طاقة للبشر برؤية الملائكة على صورتهم التي
فطرهم الله عليها ، حتى أن الرسول صلى الله عليه
وسلم وهو الرسول أصابته غشية حين أجابه
جبريل عليه السلام فتبدى له على صورته . وإما
أن يأتهم الملك في صورة بشر حتى لا يهلكوا
من الخوف وإذن لا يدرون أملك هو أم رجل
ويظنون في نفس الإشكال الذى أوقعهم فيه العناد
وأخرستم الحجة فحملهم العناد على اعتراضات
أستخف ، قالوا كيف يتبعون رسولاً يأكل كما
يأكلون وسيموت كما يموتون ، فجاءهم الجواب
من سورة الانبياء : « وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً
نوحى إليهم فأسألو أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون
وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا
خالدين . فانظر إلى استخف الاعتراض وجلال
الجواب ! فالرسل بشر ، والبشر ذور أجساد ،
والجسد لا يد له من طعام يقيم ، والمغتذى بالطعام
لا يد له في هذه الدنيا من أن يقع به الانحلال فيموت

بما نفيضون فيه ، كفى به شهيداً بيني وبينكم . .
وفي القرآن آيات أخرى كثيرة ودلائل لا تحصى
يكفي بعضها للدلالة اليقينية أن القرآن حقاً كلام
الله لا كلام أحد من خلقه ، أنزله على رسوله
الأمين هدى ونورا للناس ، وكذلك أوحينا
إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً
نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدي إلى
صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض ، ألا إلى الله تصير
الأمور . . آخر سورة الشورى .

وبعد فينبغي أن يوفق المسلم عن دليل لاعت
تقليد أن محمد رسول الله ، وأن القرآن كلام الله ،
وهما قضيتان ليس أهم منهما للمسلم من قضية
بل للبشرية . وهما ثابتتان بالعقل كما رأيت ثبوتاً
لا يحتمل شكاً قط ، فمن كان من المسلمين في نفسه
منهما أو من إحداهما شيء فعليه ألا يبدأ حتى
يزيل ذلك الشيء من نفسه . فهما بعد ثبوتهما
عقلاً حق اليقين . وكفى في يقين الناس من باطل ،
ثم إليهما بعد ذلك ترد قضايا كثيرة تثبت بهما
وعن طريقهما ، فيكون ثبوتها عن ذلك الطريق
ثبوتاً عقلياً علياً كما ثبت ثبوتاً رياضياً نتيجة
النظرية الهندسية ، فيتوحد للمسلم بذلك ويتحد ؛
طريقاً العقل والنقل .

ولا يزال في الموضوع بقية تزيد المسلم بصراً
بأن الإسلام دين العقل حقاً ، نرجو أن تناوله
ببيان في العدد الآتي إن شاء الله .

محمد أحمد النعمراوى

وآيات التحدى مشهورة معروفة لمن قرأ القرآن .
فإنك آية الطور : « أم يقولون تقوله بل
لا يؤمنون . فلنبأتوا بحديث مثله إن كانوا
صادقين ، ثم آيتا هود :

« أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله
مفريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن
كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما
أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم
مسلمون ؟ » . ثم آيتا يونس أيضاً : « أم يقولون
افتراء قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم
من دون الله إن كنتم صادقين ، بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب
الذين من قبلهم فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين ،
وهذه كلها آيات مكية . ثم أعيد التحدى في المدينة
بعد الهجرة بآيتي سورة البقرة : « وإن كنتم في ريب
بما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم
تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة أعدت للكافرين ا . . و ترى أن عاتمة
آيات التحدى هذه فيها ما ليس في أخواتها من
ثبوت بأنهم لن يفعلوا وهي نبوءة لا تزال قائمة إلى اليوم .
وهناك آيات أخرى غير آيات التحدى حكمت
كيف رمى المشركون فيها النبي صلوات الله عليه
بافتراء القرآن ، وأجابت على إفكهم هذا بما
يرى النبي وإن بغير التحدى ، مثل آية سورة
هود أيضاً : « أم يقولون افتراء قل إن افتريته
فعلى لإجرامى وأنا برى مما تجرمون ، . وآية
سورة الأحقاف : « أم يقولون افتراء قل إن
افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً ، هو أعلم

فِي اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ

لِغَةِ مُنْطَقِيَّةٍ لِلْأَسَازِ عِبَّاسٍ مَحْمُودٍ الْعَفَّازِ

اليئات ما يلائمها في بيئة واحدة، وليس بالمعقول أن تجري صيغ اللغة العربية وأوزانها على قياس واحد إلا إذا كانت كلماتها جميعاً قد نشأت دفعة واحدة في موضع واحد، على نحو واحد، فإذا كانت الكلمات تنشأ في أوقات مختلفة، على السنة مختلفة، لأغراض مختلفة، فالذي يناقض المنطق هنا أنها تجري مع الاختلاف كما تجري مع الاتفاق، على ستة الآلات الصماء بغير فارق بين دواعي الحياة. وأفضل من مناقشة النظريات أن نضرب المثل ببعض الملاحظات التي تثبت المنطقية لأحكام اللغة العربية، وهي في وضوحها وثبوتها على درجات.

من أوجهها أن اللغة العربية - مع أنها من اللغات التي تفرق بين صيغة التذكير وصيغة التأنيث - تسقط علامة التأنيث حيث تبطل الحاجة إليها ولا يقتضي العقل وجودها، بل يقتضي حذفها والاستغناء عنها، فيقال حامل ومرضع في أخص صفات المؤنث، لأن هذا الخصوص هو الذي يبطل الحاجة إلى التفرقة بالعلامات.

وأدق من هذه الملاحظة في باب المنطق، استخدام الأداة التي تنفي وقوع الحدث في الماضي دون غيره، فلا حاجة مع هذه الأداة إلى العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي، لأن

من رأينا أن اللغة العربية لغة منطقية، وأنها تمتاز بذلك مزية قليلة الظهور بين اللغات الحية. ولست أعني بهذه المزية أن مصطلحات قواعد ما مستمدة من مصطلحات المنطق كما وضعه اليونان، ولست أعني كذلك أنها تتسع لتعابير المنطق ومفهوماته، فهذا وذاك صحيح على الجملة، ولكن المنطقية التي أعنيها غير هذا وذاك، وغواها أن أحكام اللغة قابلة للتعليل المنطقي لا يمنعها أن تعلل على هذا الوجه غير جمل الأسباب، وجمل الأسباب في كل شيء - لا في اللغة العربية وحدها - يحول دون التعليل الصحيح.

أسمع من بعيد من يقول هنا ما يقال عادة في سياق الاعتراض على هذا الرأي: وهل معنى ذلك مثلاً أن الصيغ والأوزان في اللغة العربية تجري على حكم القياس في جميع الأحوال؟

وأجيب كما أجيب عادة من قريب: كلا. ليس معنى «المنطقية» في اللغة العربية أن صيغها وأوزانها تجري دائماً على قياس واحد. إذ لو كانت كذلك لكانت لغة آلية ولم تكن لغة منطقية، فليس من المنطق أن تجري أحكام البنية الحية على قياس واحد في جميع الأحوال، وما من بنية حية تسبق في الثناء ما تسيغه في الصيغ أو تطبق في الكبر ما تطيقه في الصبا، أو يلائمها في جميع

التقدير فيه هو المقصود .

إذا قلتُ « ما كتب فلان ، فإنما أريد أن تقديري يخالف حصول الكتابة ، ولكنني إذا قلت إنه « لم يكتب » ، فليس لهذا القول غير معنى واحد : وهو أنني علمت أن الكتابة لم تحدث . وليس الأمر هنا مجرد الكلام على ما أقدره أو ما ينبغي لفلان في نظري ، سواء صح ما قدرت أو أخطأت فيه حسن التقدير .

وجملة القول أن « لم يكتب » غير « ما كتب » وأن الاختلاف هنا دقيق جداً يرجع إلى التصور والحكم العقلي ، ولا يرجع إلى لفظ اللسان وحده ، ومتى بلغت أدوات اللغة هذا المبلغ من الدقة في التفرقة بين التصورات فهي من المنطق على أساس متين .

ومن الذي يفهم مثلاً أن فلاناً لم يكتب عليك تساوى ، أن فلاناً ما كتب عليك ؟ ومن الذي يفهم الفرق ، ويرى أدوات اللغة كفيّة التعبير عنه ، ثم يرى أن المنطق متعزل عن التعبير العربي على ألسنة المتكلمين به في لغة العلم أو لغة الطريق والسوق ؟

ولست أشك في أن الأوزان اختلفت لحكمة تحقّق علينا في الوقت الحاضر ، ولكنها خليفة أن تعرف متى عرفت جميع الظروف التي أحاطت بها عند وضعها ، ويحضرني في هذا الباب أن السليقة توحى إلينا أن نعود إلى الأوزان كما نشأت على غير علم بالقواعد والتخريجات . ومن أمثلة ذلك أنني سمعت بعض الباحثين ينكر العلل التي ينتحلها النحاة لغير الأوزان ، ويرجح أنها محض تعسف ومصادقة ، وكان الكلام يدور على الفعل الذي يدل على وصف ثابت من قبيل كرم وعظم

الكلام عن الماضي هنا مفهوم بالبداهة بغير علامة من أوزان الأفعال .

يقولون : لم يكتب . ولا يقولون لم يكتب ، لأنهم حين يفنون حدوث شيء يفهمون أنهم يقصدون الماضي ولا يقصدون وقتاً لم يأت ولم يقع فيه حدوث أو يمتنع فيه حدوث .

وهنا موضع التفرقة المنطقية الدقيقة ، فقد يقال : ما كتب وما يكتب ، وما ضل صاحبكم وما غوى ، وما كذب فلان وما يكذب . ولكن لا يقال : لم يكتب ولم ضل ولم غوى ، والفرق بين الحكمين هو في الواقع فرق بين حكيمين عقليين على غاية من الدقة ، وليس قصاره أنه فارق بين لفظين أو عبارتين .

ماذا نفهم حين يقال لنا مثلاً : « لا يكذب فلان أو فلان لا يكذب » ؟ إننا لا تسكلم هنا عن الحدث وإنما تسكلم عن الصفة التي يفشأ منها الحدث في جميع الأزمنة ، غير مقيد بالماضي أو بالحاضر أو بالمستقبل ، فإذا عهد في إنسان أنه لا يكذب فالنفي هنا يمتد إلى جميع الأزمنة خلافاً للنفي الذي يتعلق بشيء متظر الحدوث قبل نفيه . وقد اخترنا هذا المثل الواضح لأننا أردنا مثلاً بعيداً من اللبس والاشتباه ، لجعلناه من خصائص الأخلاق الثابتة لأنها أدخلت في هذا الباب من الحوادث التي لا تتعلق بالأخلاق .

ولسكتنا مع هذا نستطيع أن نلاحظ الفارق بين قولنا ما كتب فلان وقولنا لم يكتب فلان ، فليس القول الأول مطابقاً للقول الثاني في جميع مدلوله ، وإنما قولنا « ما كتب فلان » مسألة يغلب عليها أنها مسألة تقدير ، أما قولنا « لم يكتب فلان » فهي مسألة إخبار بحدوث معين ، وليس

تركيب واحد كأنه هو التركيب الوحيد الذي يسمح به عقل المتكلم والسامع .

وهذه أمثلة لما يفهم من اختلاف موقع الفعل من الجملة ، ويكاد يفهم العامة كما يفهم الخاصة ، ويتيسر لهم أن يفهموه بالفهم في غير عناء .

فمحمد كتب الصحيفة ، وكتب محمد الصحيفة ، وكتب الصحيفة محمد ، وهي عبارات تختلف دلالتها مع اتفاق كتابتها ، وإنما يأتي الاختلاف من التقديم والتأخير ، وما نسميه بالجملة الاسمية والجملة الفعلية ، وكلاهما ميسور لمن يتكلم العربية ولكنها غير ميسورين كذلك لمن يتكلمون غيرها من أكبر اللغات .

عند ما تقول : محمد كتب الصحيفة ، فالفاعل هو الذي يعنينا وقصد الكلام عنه ، وعند ما تقول : كتب محمد الصحيفة ، فهناك خبر نذكره سواء عتبنا بالكاتب أو لم نعن به على الإطلاق ، وعند ما تقول : كتب الصحيفة محمد ، فالصحيفة هي التي تشغلنا ونخصها بالإخبار .

تلك جملة ميسورة في اللغة العربية بمنزلة واحدة من السهولة ، ولكنها لا تيسر على هذا النحو في اللغات الأوروبية التي تقصر التعبير على الجملة الاسمية ، ويرجع تعذرها إلى أصل التركيب ولا يرجع إلى مجرد الاستعمال ، ونريد بالتعذر من أصل التركيب أن التقديم والتأخير لا يتيسران في جميع الأحوال كما يتيسر للعربي العاقل أن يقول : كتب محمد الصحيفة ، ومحمد كتب الصحيفة ، ... وحسبنا من هذا المارق شامدا على امتياز التفكير المنطقي ورجحان اللغة التي تسمح بتركيب الجمل المتعددة على اللغة التي تردّها إلى تركيب واحد ، فإن شيوع الجملة الاسمية

حسن ويخفف بضم العين في جميع هذه الأفعال ، فحضرني في هذا الباب أن العامة التي تجهل القواعد والتخريجات ، تقول طال الليل ولكنها تقول : طول الصبي أو طول بكسر الطاء والواو أو بضمهما ، كأنهم يجعلون للطول العرضي صيغة غير صيغة الطول الذي يدوم ، ويقاس على ذلك ما كان من حكم السليقة قبل ألوف السنين . واعتقد كذلك أن أحكام الإعراب لها علل قديمة وليست محض تعسف ومصادفة ، وشاهدني - بل شواهدني - أن عمل الحركات في اختلاف الدلالة متمكن من بنية اللغة العربية أسمائها وأفعالها وأواتلها وأواخرها على السواء ، فالفرق بين الفعل المبني للعلوم والفعل المبني للجهول إنما هو فرق بين حركات بعض الحروف ، وكذلك الفرق بين صيغة الفاعل وصيغة المفعول ، وبين بنية المضارع وبنية الماضي ماعدا حروف المضارعة ، وليس من الأشياء العرضية أو من فعل التعسف والمصادفة أن يكون هذا شأن الحركة في دلالات اللغة كلها ، وبخاصة حين نعلم أن اللغات يمكن أن تنقسم في هذا المعنى إلى قسمين : قسم تنغير مدلولاته بالحركة وقسم تنغير مدلولاته بإضافة المقاطع إلى أوائل الكلمات أو أواخرها ، وأن أصول هذه المقاطع معروفة كلها أو أكثرها ، فلا يعقل أن تأتي الحركات التي تقوم بهذه الدلالات عندنا من غير أصول وأن تأتي جزافا وهي تطرّد على جملتها ذلك الاطراد .

والآية الكبرى على « المنطقية » في اللغة العربية أنها تتسع للجملة الاسمية والجملة الفعلية على جميع أوضاعها ، لأن المعاني العقلية تنغير حين تنغير الأوضاع ، فليس من المنطق أن تدور اللغة على

من الأربعة إلى العشرة بحرى الثلاثة ، فيقال أربعة رجال وعشرة رجال .

وإذا تكلموا عن النساء احتاجوا إلى التمييز بالمفارقة فقالوا ثلاث نساء وعشر نساء .

ثم يكون المعداد تمييزا حتى نصل إلى العشرين ، فإذا جعلناه مضافا إليه قلنا عشرو رجل وثلاثو رجل وأربعو رجل على حكم جمع المذكر السالم ، فإذا جعلناه تمييزا فذاك أخف على اللسان ولا إخلال فيه بقاعدة من قواعد اللغة ، وإذا اتفقنا من تسعة وتسعين إلى مائة فلا ثقلة في الإضافة ولا خطأ في التمييز ، حكم العقل هنا لاحكم النحو وحده ، ومتى تساوى الحكمان عقلا فلا ضير من التساوى باللهظ على اللسان . ومسألة العدد خليقة أن تهدينا إلى طريقة

تطبيق المنطق على اللغات ، فنحن نبدأ بالتطبيق منذ استخدام العدد تبعاً لأطواره المتعاقبة ، ولا ننظر بأحكام العدد حتى نكمل ثم نطبق عليها المنطق ومقتضياته في الزمن الأخير ، وكما قرنا مضت على المتكلمين وهم لا ينطقون بالعقود وما فوقها ؟ وكما قاعدة تقررت خلال ذلك مع الترقى بالأعداد والمعدودات ؟

ومؤدى ما تقدم أن اللغة العربية تقبل التعليل بالمنطق كلما عرفت المقدمات والأسباب ، وأن الكشف المقبلة كفيلاً فيما نرجو أن تهدينا إلى كثير من المقدمات والأسباب المجهولة ، ويومئذ ندرك العلل المنطقية التي تخفى علينا اليوم ، وندرك معها عرافة هذه اللغة التي لا يكفي لتفسير أطوارها أن نرجع بها إلى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف ستة ، فإنها لا قدم من ذلك بغير خلاف ؟

عباس محمود العقاد

على السنة العامة لم يكن رجحانا أو ارتقاء في استخدام الكلام وتحري الدقة المنطقية ، بل هو قناعة بالقليل من الكثير ، على القدر اللازم من التعبير والتفكير .

ولقد يبدو للتعجل أن دعوى المنطقية تصطدم بأفوى الموانع في مسألة العدد وأحكامه الغريبة عند من ينظر إليها لأول وهلة .

والذى يبدو لنا أن مسألة العدد أقوى الشواهد على المنطقية وليست أقوى الشواهد على غيابها وامتناعها فاللغة العربية «أولاً» لم تنس التفرقة بين الفرد والزوج ولم تسكتف بالتفرقة بين المفرد والجمع ، كما اكتفت لغات كثيرة ، ولا ريب أن قسمة العدد إلى فرد وزوج أصيلة في العقلية الرياضية المنطقية .

واللغة العربية ، بعد ، قد تمشت مع العدد من نشأة البدائية على السنة المعقولة ، إذا لاحظنا أن أطوار العدد قد تدرجت منذ كانت الخمسة هى غايته القصوى ، إلى أن أصبحت «العشرون» وحدة له ملحوظة في اللغات الرفيعة ، ومنها اللغة الفرنسية التى تعد المائتين أربع عشرات وليس فيها اسم خاص للمائتين .

فالعدد ، غير معلق على المعدود ، بعد الواحد والاثنتين هو «ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة» .

ومن المحقق أن تغليب المذكر في الكلام كان حكماً عاماً في جميع اللغات ، حتى أن اللغة الإنجليزية مثلاً تسمى الرجل إنساناً وتسمى المرأة إنساناً ذا رحم (Wo-man) .

فإذا تكلم الناس عن الرجال قالوا : رجل ورجلان وثلاثة رجال ، ثم يجرى العدد من

مَنْطِقُ أَرْشَطُو وَالنَّحْوُ الْعَرَبِيُّ

للذكي تورا براميم سيويي مسدود
من جميع فؤاد أول اللغة العربية

الأولى ، فعالجه عبد الله الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ ، وأخذ يقيس ويعمل لأقيسته . ونماه الخليل بن أحمد وأدعه ، وتوسع فيه سيويي أيما توسع . وفي الكتاب ، أقيسة عدة واعتداد بالقياس في مناسبات مختلفة لترجيح رأى على آخر . وقد لا يقف عند استقرار الأمر الواقع ، بل يفترض فروضاً نظرية ويعطيها أحكاماً خاصة . وإذا كان نحو البصرة قد سبق نحو الكوفة بطبقتين كاملتين أو بما يقرب من مائة سنة ، فإن البصريين يعتبرون بحق واضعاً دعائم القياس في النحو العربي . على أن الكوفيين أيضاً لم يترددوا في استخدام القياس والتعويل عليه ، وربما اكتفوا بالشاهد الواحد فاستنبطوا منه قاعدة عامة ، وبالغوا في الأقيسة النظرية والعمل العقلية . وما نحن أولاء نقيس حتى اليوم ، ولجميع فؤاد الأول قرارات سابقة تتصل ببعض الأقيسة النحوية ، كالنسبة إلى جمع التكسير ، واستعمال وزن مقلة للكان .

ومهما يكن من أمر الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة ، فإن ما بلغت النظر أن القياس النحوي ثبت ونما في العراق حيث ثبت ونما القياس الفقهي . ولم يحج ذلك هبنا ، وإنما كان

كلنا يعلم ما للقياس من أهمية في نشأة النحو العربي ، وغزارة مادته ، واستخلاص قواعده ، وضبط أحكامه . ذهب إليه النحاة الأول بحكم فطرتهم وبجيتهم ، مقارنين بين الأشباه والنظائر ومستنبطين منها الأوصاف المشتركة التي تلتقي فيها . وتوسع فيه من جاءوا بعدهم ، فجعلوه منها ذا قواعد ثابتة ومعالم محدودة ، واعتبروه متبعا رئيسياً تستمد منه القواعد النحوية . وربما حكموه في لغات العرب وروايتهم ، فيقولون إن لغة أقيس من أخرى ، وأن تعبيراً ما ، يجيزه القياس وإن لم يرد به السماع ، وكأنما يشرعون في النحو كما شرع الفقهاء في المعاملات . وما هو ذا ابن جني يقول : « إذا بطل أن يكون النحو رواية ونقل ، وجب أن يكون قياساً وعقلاً » . ويقرر من بعده ابن الأنباري : « إن إنكار القياس في النحو لا يتحقق ، لأن النحو قياس كله ، فن أنكره فقد أنكر النحو ، ولا يعلم أحد من العلماء يشكره » ، ويعزى إلى الكسائي لك البيت المشهور :

إنما النحو قياس يتبع

وبه في كل أمر ينتفع

وقد استخدم القياس في النحو منذ المراحل

درجة كبيرة .

فيبحثوا عن أركانه ، وقالوا كما قال الفقهاء إنها أربعة : أصل وهو المقيس عليه ، وفرع وهو المقيس ، وحكم قد يتنوع كما تنوع الأحكام الفقهية فيكون واجباً أو ممنوعاً أو حسناً أو قبيحاً ، وأخيراً علة وهي دعامة القياس . ثم حاولوا بعد هذا أن يحددوا شرائط القياس النحوى الصحيح كما حدد أرسطو شرائط إنتاج قياسه المنطقي . وإذا كانت هذه الشرائط لم تصلنا على شكل كامل وفي صورة مهذبة فلما نجد منها شذرات هنا وهناك في الخصائص ، لابن جني ، وفي أصول النحو ، و الإيناف ، لابن الأنباري ، وفي الافتراح في أصول النحو ، للسيوطي

ودون أن نتبع مبادئ القياس النحوى ، نكتفى بأن نشير إلى أمثلة منها ، فيقال يحمل الأقل الأندر على الأعم الأكثر لا العكس ، والحمل على ماله نظير أولى من الحمل على ما لا نظير له ، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته ، والقياس على الفاسد فاسد ، ولأن أجازوا القياس على ما ورد في ضرورة الشعر بشرط أن يستعمل في هذه الضرورة أيضاً . وفي هذه المبادئ وأمثالها ما يدل على أن نحاة العرب أرادوا أن يضعوا لقياسهم أصولاً تحاكي تلك الأصول التي وضعها الفقهاء . وأصول القياس النحوى كأصول القياس الفقهى تلتقي في أنها ترسم خطى القياس المنطقي .

ومثل واحد بين هذه الأصول كاف في توضيح

وليد الاعتداد بالرأى والتأثر بالتفاوتات الأجنبية ، ومن بينها منطق أرسطو . وهنا نقطة ينبغي توضيحها . نتحدث عن قياس فقهى وآخر نحوى ومن الخطأ أن يظن أن الأمر فيهما كما هو في القياس الأرسطي ، ذلك لأن هذا الأخير يقوم في أساسه على سير من الكل إلى الجزئ ، أما قياسنا النحوى وزميله الفقهى فعلى عكس ذلك يسيران من الجزئ إلى الكل . ولكن ينبغي أن نلاحظ فوراً أن أرسطو لم يهمل هذا النوع من الاستدلال ، فقد عرض في لوائح قياسه لضررين من الاستدلال هما الاستقراء والتثليل . وإذا كان لم يعتد بهما كل الاعتداد ، فقد قدر لها أن يستخدما في البحوث والدراسات العلمية التي جاءت بعد ، وعلى الاستقراء بوجه خاص يعتمد البحث العلمى الحديث .

فالقياس النحوى تمثيل إن استنبطت القاعدة من شاهد واحد - الأمر الذي كان يفضله نحاة البصرة - أو استقراء ناقص إن استخلصت القاعدة من عدة حالات فردية . وهو على كل حال فطرى في صورته الأولى التي تتلخص في تتبع الأشياء المتشابهة والبحث عن أسبابها وعلمها . وليس لأحد أن يدعى أن هذا القدر الفطرى من صنع أرسطو أو فيلسوف آخر . ولكن يوم أن تتحول الفطرة إلى فن وصناعة ينبغي البحث عن عوامل هذا التحول . ولم يقف القياس النحوى عند تلك الصورة الفطرية التي أشرنا إليها ، بل فلسفه النحاة وافتنوا فيه إلى

يحدرون عوامل النحو كالمؤثرات الحقيقية . .
ويذهب فريق آخر إلى أنهم تأثروا بالبحوث
الفقهية ، ذلك لأن القياس النحوي شبيه كل الشبه
بالقياس الفقهي . يقول ابن جني في «خصائصه» :
« اعلم أن أصحابنا انتزعوا العلل من كتب محمد
ابن الحسن ، جمعوها منها بالملاطفة والرفق ، ،
ويشير الزمخشري إلى شيء شبيه بهذا في «قدمة
» مقصده ، ويضع السيوطي كتابه « الافتراح
في أصول النحو » ، على ترتيب يحاكي - فيما يرى -
أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم .
ولكن ابن جني يسود فيقرر أن علل حذافي النحاة
أقرب إلى علل المتكلمين منها إلى علل الفقهاء ،
لأنها أكثر مجازاة للطابع .

وسواء أكانت العلل النحوية أشبه بالعلل
الكلامية أم بالعلل الفقهية ، فإن كلا العرضين
لا يحل الموقف تمام الحل ذلك لأن علل الإعراب
عرفت في أوائل القرن الثاني للهجرة قبل أن تذاع
وتعرف علل المتكلمين والفقهاء . وإذا صدق
كلام ابن جني والزمخشري على القرن الرابع
والخامس ، فإنه ليس من السهل أن توضح به
أحداث القرن الثاني - على أن فكرة العلية
عند المتكلمين والفقهاء أنفسهم قد تأثرت
بأصل أرسطو .

وذلك أن الفيلسوف اليوناني عرض لمبدأ
العلية في كتبه الطبيعية والميتافيزيقية والمنطقية ،
ويعتينا الآن الجانب المنطقي لهذا المبدأ ، ففي
«التحليل الثانية» يشرح أرسطو العلل الأربع :

ذلك ، ألا وهو مبدأ العلية ، وقد كان لهذا المبدأ
شأن في النحو العربي لا يقل عن شأنه في المنطق
الأرسطي ، ذلك لأن العلة هي الدعامة التي يقام
عليها القياس النحوي والمنطقي . وما نظرية العامل
النحوية إلا وليدة مبدأ العلية الفلسفي ، وإذا فطنا
نظرية العامل فإنما نلخص النحو في جملة ،
وقديماً قالوا : « النحو أثر يجلبه العامل » . وقد
وضع أبو علي الفارسي كتاباً سماه « العوامل » ،
استوهم فيه النحو جميعه ، كما وضع عبد القاهر
الجرجاني كتاباً آخر اسمه « العوامل المائة » ،
فيه خلاصة نحوية مستوفاة .

والعوامل ظاهرة ومضمرة ، وقوية وضعيفة ،
ومجموعة العوامل المتشابهة تكون أسرة واحدة .
وهناك كلمات تعمل بنفسها ، وأخرى لمشابهتها
لغيرها ، فالأصل في العمل للأفعال ، وتلحق بها
الاسماء إذا شابهتها . وتكون الكلمة عاملاً حيناً
ومعمولاً حيناً آخر ، ولا يمكن أن تكونهما
في آن واحد . والبحث عن العوامل بيان وتوضيح
لعلل الإعراب ، وقد عرفت علل الإعراب
أو علل النحو قبل أن تعرف نظرية العامل
في ثوبها الكامل ، ويعتبر « كتاب » سيبويه أول
بحث جامع للعلل النحوية .

فن إن استمد النحاة فكرة العلل أو نظرية
العامل هذه ؟

يذهب فريق إلى أنهم تأثروا فيها بالفلسفة
الكلامية ، وإذا كان لكل حادث محدث فلعل
معمول عامل . ويقول الإمام الرضائي إن : « النحاة

من ناحية أخرى أصابه - فيما يظهر - بشئ من العقم والصورية التي بلى بها المنطق الأرسطي نفسه ، فعنى بالصور والأشكال أكثر مما عنى بالمسؤوليات والمعاني ؛ وأكثر من القوانين والضوابط فأثقل على العلماء والمتعلمين ، وغلا في القواعد بحيث أصبحت جوفاء لا تصدق إلا على حال أو أحوال محدودة ، ومع ذلك لم تغل من شذوذ واستثناء . وأسرف في التعاريف غير العملية التي جاءت وليد تشبيه وفروض وهمية لا أساس لها . ومن بقرأ شرح السيرافي على كتاب ، سيدييه أو فسر أبي حيان على التسهيل يلبس أن النحاة كثيرا ما أفسدوا النحو بما وضعوا من فروع وعلل وأصول وأقيسة ومسائل غير عملية .

وفوق هذا فتح مبدأ العملية على النحاة باب فلسفة مفرطة وثقيلة أحيانا ، فهناك هلل أول وثوان وثوالث ، وقد يكون للعلول الواحد أكثر من علة يتأولها كل نحوي كما يترامى له . وفي باب الممنوع من الصرف أمثلة من تلك العلل المتهافنة ، وفي باب الاشتغال ولا الافية أمثلة أخرى من تلك الاعتبارات الفلسفية غير المقبولة . وكثيراً ما ورد في المسألة قولان أو أقوال ، واستخدمت العلة الواحدة في إثبات الشئ وحده .

وكان من نتائج هذا أن اختلف النحاة فيما بينهم اختلافاً ينفياً ، اختلفوا مدارس كما اختلفوا أفراداً . وجد كل فريق في الدفاع عن رأيه والتدليل

الماديه ، والصورية ، والفاعلية ، والغائية ، ويبين مدى استخدامها في التعريف والبرهان ، فالتعريف الصحيح هو الذي يوضح مادة الشئ وصورته ، أو يكشف عن باهته وغايته ، والقياس العلمي الدقيق هو الذي يستخلص النتيجة من هائلها الحقيقية ، وكلما كان الحد الأوسط أحد العلل الأربع كان الاستنتاج سهلاً يسيراً ، والاستدلال واضحاً فيها .

ولم يعمل النحاة شيئاً أكثر من أنهم حاولوا أن يدعموا قياسهم بمبدأ العلية ، كما فعل أرسطو من قبل ، فتلسوا عللاً لما قرؤوا وما سمعوا ، وقاسوا عليه كل ما يشترك معه في علته . وتنهت العلل عندهم كما تنهت عند الفيلسوف اليوناني ، فلدبهم علة تشبيه كبناء الاسم لمشايبته الحرف ، وإعراب المضارع لمشايبته للاسم ، وعلة استقبال كحذف واو يعد استثناء لوقوعها بين ياء وكسرة ، أو علة تغليب مثل : وكانت من القاتنين . وقد غلوا في هذه العلل إلى حد أفقدها كثيراً من قيمتها . ومن أمثلة المتعلمين : العلة النحوية كالوردة تظم ولا يضمنط عليها . وإذا كان ابن جني والسيوطي قد تصديا للدفاع عن العلل النحوية ، فما ذاك إلا لما أخذ عليها من ضعف ووجه إليها من نقد .

هذه هي آثار منطق أرسطو في النحو العربي ، وجه إلى بعض قواعده ، وساهم في تكوين بنيانه وأعان على رسم منهجه ، وكان عاملاً قوياً من عوامل غزارة مادته واتساع أبوابه - ولكنه

والخلافات غير المجدية ، ولكن لا تزال دعوة تيسير النحو قائمة . وما أوجبنا أن نصنفه تصنيفاً جديداً ، فنحذف منه ما لا لزوم له وما أكثر ذلك ، ونستغنى عن التأويل والتقدير في الصيغ والعبارات ونقرب نحونا من روح العصر ومقتضيات الحياة الحاضرة ، وترعى فيه تطور النحو في اللغات الأخرى .

وإذا كانت لجنة الأحوال الشخصية ، بل والبرلمان قد يسرا للناس كثيراً من أمر حقوق الأسر ، فلن يمز علينا أن نيسر لهم قواعد لغتهم التي يتخاطبون بها ويكتبون قبل أن يتقاضوا ويختصموا .

ابراهيم مدكور

أسد وقلب

جاء هوميروس الشاعر اليوناني رجل وقال له : أجنني لا فتخر بهجائك إذا لم أكن أهلاً لمديحك : فقال له : لا . فقال الرجل : إذن سأمضي إلى زعماء اليونان أخبرهم بشكوكك . فقال هوميروس : بلغنا أن كلباً حاول مرة قتال أسد بجذيرة قبرص ، فامتنع عليه الأسد أففة منه . فقال الكلب : سأمضي فأخبر السباع بضعفك . فقال الأسد : لأن تعبرني السباع بالنكول عن مبارزتك ، أحب إلى من أن ألوث شاربي بدمك .

على وجهة نظره . واعتبرت التوجيهات النحوية ضرباً من النشاط الذهني الذي أفتن فيه أيما افتنان فكانت مثار جدل طويل لم يعدم أرسطو الحيلة في أن يغذيه بوسائله الجدلية الكثيرة ومن الغريب أن الخلاف فيما يصح أن نسميه فلسفة النحو أشد من الخلاف في النحو نفسه ، ونظرة إلى « كتاب الإنصاف » لابن الأنباري تكفي لتوضيح ذلك ، فالبصريون والكوفيون يعمون على رفع المبتدأ ، والخلاف بينهم في علة الرفع : هل هي الابتداء أو الخبر ؟ والنحاة متفقون على نصب المفعول معه ، وإنما يختلفون في هلة هذا النصب ؛ فالجوهري رآها ما تقدمه من فعل ، والجرجاني الواو المقارنة لهذا المفعول ، والزجاج يضمم لذلك فعلاً خاصاً ، والكوفيون يقولون بمعامل معنوى هو الخلاف . ولا أظنني أبيح لنفسى أن أثقل عليكم بسر أدلة كل رأى من هذه الآراء . ولو وقف الأمر في هذا كله عند الخاصة والمتفوقين ، لقانا لهم شأنهم وإسلكوا من سبل البحث ما يشاءون . أما أن يفرض على شباب المتعلمين جميعاً ، فهذا تكليف بما لا طاقة به ، وإجهاد في غير طائل . ولعل هذا هو الذي دفع ابن مضاء الأدلعي إلى القول بإلغاء نظرية العامل ورفض القياس والملل النحوية ، فوق ما كان لديه من اعتبارات أخرى نظرية . ولا شك في أن نظمنا التعليمية خطت خطوات فسيحة في إعفاء شباب المتعلمين من هذه الفلسفات العقيمة

خصائص الثقافة الإسلامية

للاستاذ محمد خلف الله بك

عيد كلية الآداب بجامعة قاروق

هو اللغة العربية : فقد اقتضت حكمة الله أن يختار رسول الإسلام من العرب ، وأن يجعل معجزة دينه كتاباً عربياً ، هو عند المسلمين نهاية الإعجاز في البيان ، وهو النموذج الخالد الذي يتطلع إليه كل مشيئ وأديب في أمة الضاد . وقد أطلعت الثقافة الإسلامية - تحت راية هذا الكتاب - أعلاماً من المفكرين والمؤلفين بتلك اللغة ، من مختلف الأجناس . وكان القرآن هو الينبوع الذي تفجرت - واستمدت - منه الدراسات الإسلامية الأصيلة ، من تفسير وتشرية ، وفقه وتوحيد ، وأصول وبيان ، وأخلاق وتصوف ، بل كانت دراساته وتوجيهاته وسيرة رسوله هي الباعث الأول على نهضة التأليف في الأدب واللغة والتاريخ في اليناث الإسلامية .

ولم تلبث تلك العقول التي أنشطها الإسلام من عقلمها أن قفبت إلى ما حوالها من مختلف الثقافات القديمة والمعاصرة ، فأقبلت عليها ، ورحبت بمثلها ، وأفسحت لمم المجال في قصور خلفائها ، ورحاب معاهدها ، وشجعتهم على النقل والترجمة ، فتلاقت بذلك جداول التراث القديم والفيض الدافق الذي تجرته يد الإسلام ، فكان من كل أولئك تلك الثروة الفكرية التي لعبت دورها في نهضة العالم الحديث .

هذه الثقافة الإسلامية من أغنى الثقافات

الثقافة - في اصطلاح الباحثين - هي مجموعة المعارف والجوانب الروحية الأصيلة من حياة الأمة ، ممثلة في تعاليمها الدينية وتعاليمها ، وأدبها وفنها وفلسفتها ، وأنظمة تفكيرها في الحياة والسلوك .

وما ينفع المسلمين في المرحلة الحاضرة من تاريخهم أن يعرفوا خصائص ثقافتهم ، ويعملوا على إحيائها ونشرها في مجتمعاتهم الحديث ، حتى يصبح مجتمعا موحد النزعات والأهداف ، له طابعه وكيانه المستقل ، وله دوره الإيجابي في تطور الحضارة الإنسانية المعاصرة . والطريق الصحيح إلى تعرف هذه الخصائص هو العودة إلى تاريخ الإسلام ودراسة مقومات الحياة الإسلامية في عصورها الذهبية .

لقد نشأ الإسلام في جزيرة العرب ، ولم تلبث أضواؤه أن انتشرت شرقاً وغرباً ، فنفضت في الإنسانية روحاً جديداً ، وأخرجت لها ثقافةً واحة السبات ، أول خاصة تميزها أنها تستمد مثلها وأهدافها ونظم حياتها من وحى السماء : فهي تقوم على عقيدة التوحيد ، والإيمان برسل الله ، لا تفرق بين أحد منهم ، وهي تنظم الصلوات والمعاملات بين الناس ، وتبني قواعد السلوك في الفرد والمجتمع ، على أسس التشريع الساري . والحاجة الثانية لهذه الثقافة أن لسانها المين

وقد تميزت هذه الثقافة في ناحيتها الاجتماعية بنظام لا تفكك الأيام فكشف كل حين جديداً من فضائله ومزاياه . هذا النظام في ناحيته المدنية يوفق توفيقاً حكيماً بين سلطان الحاكم وحرية المحكوم من جهة ، وبين مصالح الجماعة وحقوق الأفراد من جهة أخرى ؛ وهو في ناحيته الاقتصادية على مثالي معا ، يحترم الملكية الفردية ، ويقدم إلى جانبها نظاماً من البر والتعاون بين الغنى والفقير .

وهو في ناحيته الإنسانية لا يفرق بين لون ولون ولا بين عنصر وعنصر ، إلا على أساس التقوى والعمل الصالح . وهو في ناحية الآداب العامة يحض على التزام الطهر والاحتشام في موقف كل من الجنسين نحو الآخر ، وعلى أن يكون طابع الحياة طابع جد ووقار واعتدال وإخلاص ، فلا إسراف في متعة ، ولا إغراق في لهو ، ولا إضاعة للعمر في عبث أو فضول ، ولا انتهاك للحقوق والحرمان بين الناس .

هذه في إجمال ، مقومات الثقافة الإسلامية في ناحيتي المعرفة والسلوك . ومن واجبنا أن ننظر في ضوئها إلى مجتمعتنا الإسلامية الحاضر ، لرى موقفنا ، ولنتبين طريقنا إلى الإصلاح .

إن الأمم الإسلامية اليوم وصلت إلى درجة من الوعي أدركت معها ضرورة الجد في توجيه ثقافتها وجهة إسلامية قومية . ولا شك أن الركن الأول في خلق مجتمع موحد مستقل ، هو قدر عام مشترك من الثقافة القومية يزود به كل مواطن قبل أن يتجه إلى التخصص في فرع من فروع المعرفة . ومعنى ذلك أنه يجب أن يبنى

العالمية وأعرقها ، في آدابها ومعارفها الواسعة . فهي تمتاز بكثرة ما أخرجت من الموسوعات الأدبية والعلمية والتاريخية ؛ ولها اتجاه فلسفي ذو طابع خاص حاولت فيه أن توفق بين روح الدين ، وبين التفكير البشري الفلسفي . ولهذا الثقافة فيها الذي استمد روحه واتجاهاته من بيناتها ودينها ونظم حياتها ، فكانت له قوשה وخطوطه ورسومه ، وكان له طابعه الشرقي في البناء والمهارة .

امتازت هذه الثقافة - إذن - في معارفها بالشمول وسعة الآفاق وحرية التبادل الفكري ، وكثرة من أطلعت سمائها من نجوم الفكر وشمس المعرفة .

ولكن لهذه الثقافة جانباً آخر لا يقل شأناً عن سابقه ، ذلك هو الجانب السلوكي والاجتماعي منها ، فقد وضعت أمام الفرد مثالا من الحياة الصالحة يستطيع أن يسمو إليه ، إذا أحسن استعمال ما وهب الله من عناصر الخير في طبيعته . وقد تعهدت هذه الحياة بحملة من الشعائر والعبادات ، وبضروب من التوجيه الروحي والمعاشي ، في آيات القرآن وسنة الرسول والسلف الصالحين .

وأخص ما تتميز به هذه الحياة التي دعا إليها الإسلام أنها وسط معتدل ، لا هو بالروحي الفاني في روحيته ، ولا هو بالمادى الطاغى في ماديته ، يستطيع فيه الفرد أن يعيش لذاته ولغيره ، وأن يعمل لدينه ولآخرته ، وأن يحاول توفير السعادة لنفسه ، ولا يكبر عدد ممكن من بني الإنسان .

الحلية . ولا شك أن الحكمة العملية تقضى بأن تحافظ الأمم الإسلامية على هذه الرابطة الكبرى، وأن تعاون على تجديدها ونشرها .

أما المجتمع العربي الإسلامي فعليه في هذا واجب خاص يحتمه مركزه من ثقافة الإسلام : ذلك أن الفصحى هي اللغة القومية لهذا المجتمع ، ومن تمام هذه القومية أن تكون تلك اللغة لغة العلم والحياة معاً ، ولن يستقيم أمر الثقافة العربية الإسلامية حتى تتوحد فيها طرائق التعبير في البيت والسوق والمدرسة ، وحتى يتفاهم الجميع ويقرءوا ويكتبوا بلغة واحدة .

أما في الناحية السلوكية فلا مفر للمجتمع الإسلامي - إذا أراد أن يكون له كيانه المستقل - من أن يقيم أركان دينه ، وأن يصنع حياته الفردية والجماعية بالصيغة الإسلامية ، وأن يعنى في مجتمعاته العامة بالمحافظة على آداب الإسلام ، وأن يصدر عن روح الإسلام وتعاليمه فيما يعالج من شئون الحياة ومذاهب التفكير .

إن أمام المجتمع الإسلامي اليوم أهدافاً ثلاثة رئيسية ، ينبغي ألا يقصر عن تحقيقها :
الأول - التحرر من رق التبعية لأي سلطان أجنبي ، وهذا شرط لا بد منه لوجود ثقافة إسلامية سليمة .

والثاني - التحرر من رق الجهل بمحو الأمية ونشر التعليم ، والعناية بالطابع القومى في التربية .
والثالث - التحرر من رق التقليد الاجتماعى بالرجوع إلى مناهج الحياة الإسلامية الصحيحة في السلوك والأخلاق وآداب الاجتماع .

محمد خلف الله

التعليم العام في الأمة الإسلامية على أساس موحد ، يتغذى فيه الناشئ المسلم بالروح الإسلامية ، ويفقه تراث آبائه وأجداده ، ويتعرف إلى معالم تاريخه ، والخالدين من مفكره وأبطاله .

هذه نقطة مهمة في جهادنا الثماني في الوقت الحاضر ، وقد تميزت لها مصر ، وقطعت في العمل بها شوطاً كبيراً : فقربت بين مناهج تعليمها ، وعنتت بتعميم نواحي الثقافة القومية في تلك المناهج ، وأخذت هي وشقيقتها من البلاد العربية تسعى في الاتفاق على قدر من الثقافة ، لا بد لكل مواطن عربي أن يحصله ، وإذا أطرده السير في هذا المضمار ، كان لنا أن نتطلع منذ اليوم إلى عهد في الثقافة العربية الإسلامية ، تتوحد فيه المشاعر ، وتتقارب طرائق التفكير ، ويتصل حاضر هذه الأمة بماضيا ، ويصبح كل مثقف فيها - أيا كانت مهنته أو ناحية تخصصه - مغوراً بتراثه ، ملماً بحيوات رجاله ، تهتز نفسه اهتزاز العزة كلما ذكر علياً وعمر والشافعي والطبري وابن سينا والغزالي والرازي وابن خلدون والجساحظ والمتنبي وعبد عبده وشوقي ، وغيرهم من رجالات الفكر الإسلامي .

ومن الطبيعي أن تأخذ اللغة العربية في هذا الجهاد حيزاً كبيراً من التفكير والعناية ، فهي الترجمان الناطق عن هذه الثقافة الإسلامية ، وقد كان هذا شأنها في مختلف أقطار الإسلام من عربية وغير عربية ، إذ كان المثقف المسلم يهتم بإتقان هذه اللغة قبل أن يهتم بإتقان لغته

حياة اللغة العربية في الجزيرة قبل الإسلام

للدكتور عبد الحليم النجار

مدرس بكلية «تدريس» بدار الجاهلية بدمشق

والعلماء هم الذين صقلوه ، ووسموه بمسمى العربية الذي ابتدعوه ^(١) .

ولقد دمج الراشون من المستشرقين أنفسهم هذا الرأي بأنه هراء ، وقرروا أنه لا يستحق ذكرا بين الآراء ^(٢) .

ويقرر جمهور المستشرقين ^(٣) أن العرب ازدهرت لهم في الجاهلية أفنان من الشعر القوي زكت ثمارها ، وأبشعت قطوفها ، وإن لم يشارك في هذا الازدهار جميع العرب ، بل سكان أواسط الحجاز ، وأهل نجد جميعا ، وما جاور

(١) أنظر :

K. Vollers, Volkssprache U. Schriftsprache im Alten Arabien, 1906.

و :

P. Kahle, The Cairo Genia, London, d. 78-84.

و :

P. Kahle, The arabic Readers of the Koran (Jour. of New Eastern Studies 8, 1947, p. 65-71) etc.

(٢) أنظر :

Th. Noldeke, Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, 1910, 1-5.

و :

Encyclopédie de l'Islam (sous le titre: Quran).

(٣) أنظر :

C. Brockelmann, Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, I, p. 23.

(٧)

هناك ظاهرة غالبة ، يشبه أن تكون حقيقة ثابتة ، في حياة العرب اللغوية قبل الإسلام . تلك هي اختصاص الأدب الرفيع ، والتعبير الفني ، بلغة يغلب عليها طابع موحد ، ونظام مقس ، يخالف ما عرف عن العرب ، وما هو كامن في طبيعة كل لغة حية ، من تباين في اللهجات ، واختلاف في الألسنة .

ويذهب الجمهور من علماء اللغات المحدثين - وعلى الأخص للمستشرقون - تجاه هذه الظاهرة ، إلى التفرقة بين لغة الأدب ولغة الشعب ، بين لسان الشعر وفن القول من جانب ، ولسان الحياة في مياذها ومدارجها الرتيبة المعتادة من جانب آخر .

دعنا من بعض مستشرقين آخرين زعموا أن الأمة العربية الأمية في عهد الجاهلية كانت بمزمل عن صيغة الترتيب العقلي ، والتهذيب الفكري ، الذي يزعمون أن سبيله الوحيدة هو الثقافة المكتسبة ، فاستكثروا أن تكون للعرب ثروة أدبية بالكلية ، وادعوا أن ما روى لهم من أشعار وآثار هو من صنيع الرواة والعلماء ، بعد أن عرفوا العلوم واصطنعوها ، وبوساطة احتكاكهم بالأمم ذات الحضارات القديمة ، والعلوم المتوارثة ؛ بل من هؤلاء المستشرقين من يذهب شططا فيزعم أن القرآن نزل أول ما نزل بلغة عرب الجاهلية المبتذلة ، كما يتصورونها ، وأن القراء والرواة

العربية ، ولا يجارى ما تناقلته الروايات التي تفيض بها كتب اللغة والادب . وقبل أن نأخذ في بيان ذلك يحسن أن نتعرض لفحص الأسس التي بنى عليها هذا الشرح والتفسير .

يقر المستشرقون ومن جوارهم - كما سبق - بأن افتراضهم غير طبيعي ، إذ لم يكن للعرب عهد في الجاهلية بذيوع الكتابة وانتشارها على صورة ترسم للتعبير أساليب ثابتة ، ومعايير لها صبغة العموم . وأقصى ما يعتمدون عليه في تسويغ إمكان وقوع ذلك الافتراض هو القياس على بعض الأمم الطبيعية التي لا تزال موجودة عندها أسلوب خاص للتعبير الغنائي مخالف لاسلوب كلامها العادي .

ونحن نرى أن هذا القياس بعيد المنزع ، غير واضح المبيع ؛ فشتان بين الأمم الطبيعية المعاصرة في مجاهل أفريقية ، أو بين شعوب الأمريكين الحمر ، وبين عرب الجاهلية الذين كان أدبهم ديوان حكمة ، وقانون أمة ، ومشروع حضارة ، ومعين ثقافة ، وبلغ من النضج الفكري ، والسمو الوجداني ، والمستوى الخلقى ، مبلغا قل أن نرى مثله عند شعوب أخرى في القديم والحديث .

كيف وقد رأينا أن هؤلاء العلماء يرون امتياز لغة الأدب العربي بثروة في الصيغ ، والأساليب ، ترفعها إلى المדרجة بين جميع اللغات السامية التي شهدت حضارات ومدنيات متنوعة الألوان ، متفرعة الأغصان . فهل يجوز عقلا أن نسمو لغة أمة بدائية في تكوينها وطبيعة حياتها - مهما كانت هذه اللغة لغة الأدب لحسب - على لغات

نجدأ من المساكن والديار ، ويدخل في ذلك سهل الفرات . على حين أن العرب الذين كانوا تابعين للإمبراطورية الرومانية في سورية لم يظهروا في هذه الثروة إلا آخذين متأثرين ، لا صانعين مبدعين . وكل شعراء تلك المناطق والديار ، على الرغم من اختلاف قبائلهم وعشائرهم ، اصطنعوا لسانا مشتركا عاما ، لم تكن له - فضلا عن ذلك - حياة فيما عدا هذه اللغة الغنائية الفنية ، لغة الشعر والأدب الرفيع .

وبحسب هؤلاء المستشرقون تقريبا ذلك الافتراض - مع اعترافهم بأن تحققه غير طبيعي لعدم ألفسة العرب في الجاهلية للكتابة التي من شأنها تحديد مستوى من التعبير يرفع عن لغة العامة - بأنه توجد فعلا أحوال مشابهة عند بعض الأمم الطبيعية البدائية التي يسود عندها أسلوب خاص في التعبير الغنائي ، مختلف عن أسلوب الخطاب اليومي الريب دون أن تعرف الكتابة ، أو توجد لديها وسيلة إلى اكتساب الثقافة المنظمة .

وهم يرون أن لغة الأدب العربي هذه تمتاز بثروة كبيرة من الصيغ والقوالب ، وتبلغ بدقة وسائل التعبير فيها أعلى قمة النمو بين اللغات السامية كافة ؛ كما أن كنز مفرداتها غني غنى خارجا عن المألوف ، لأنه يستمد مددا لا ينقطع تياره من جميع اللهجات الشعبية المنفردة .

بهذا الشرح والتفسير يحاول علماء اللغة المحدثون فهم ظاهرة انحسار لغة الأدب ، إزاء اختلاف لهجات العرب ، وهو فهم يخالف رأي علماء

دون تمييز في ذلك بين الشاعر المغلق ، والخطيب المفهم ، والشيخ الفاني ، والشاب الجذع ، والمجوز الحيزون ، والفتاة الرود^(١) .

وإذا فلا بد هناك من حلقة ساقطة تشرح كيف يتحد لسان الأدب والفن عند جميع القبائل في الصيغ والأساليب ومناهج التعبير ، مع أن هناك أدلة قوية على حصول اختلاف بين تلك القبائل في اللهجات وفيما اختصت به كل قبيلة من لحن القول .

هناك حقيقتان ينبغي ملاحظتهما جيداً إذا أردنا أن نفهم حياة العربية في الجزيرة على حقيقتها قبل الإسلام . ومرد هاتين الحقيقتين إلى تحقيق مدى كل من الاتحاد والاختلاف اللغويين اللذين كانا موجودين في الجزيرة زمن الجاهلية .

وجميع الشواهد والدلائل تتجه إلى إفادة أن الإسلام لم يشرق نوره ، ولم ينزل فرقانه ، إلا بعد أن كانت قد انتهت في الجزيرة منذ عهد بعيد سابق على ذلك معارك صراع عنيف بين لهجة قريش وبقية اللهجات الأخرى ، وإلا بعد أن تم للبهجة قريش - بما تهيأ لها من أسباب الغلب والظفر - الانتصار الساحق على غيرها . فلا غرو إذاً أن نرى الشعراء ورجال البيان واللسن في قبائل العرب جميعاً يضعون نصب أعينهم مثالا يحتذونه لا يتجاوزونه إلا قليلاً ، وأسلوباً موحداً لا يشذ إلا في جزئيات نافهة يسيرة لا تنقض وحدته ، ولا تعكر صفاء ينبوعه .

سارت في ركب الحضارة بخطى سراع ، وزاحت في ميدان العلوم والمعارف بمنكب وباع ؟ ثم ما هذا التضارب والتناقض ! وكيف تسمو لغة الفن والأدب الرفيع على لغة الشعب والحياة المبثثة ، مع تقرير أن الأولى تستمد عدداً لا انقطاع له من الثانية ، أي من اللهجات الشعبية الدارجة ، الجارية في تلك الحياة الريفية المبثثة ؟ لا جرم أن الحكم على هذه الصورة لا يستقيم ، ولا يجد مساعداً في العقل السليم ؛ كما أن التسليم بذلك قد يتناقض مع كثير من الأدلة المعقولة والمنقولة ، وينقض كثيراً من الأصول المسئلة المتلقاة بالقبول :

(١) فكثير من الآيات القرآنية ، بله الروايات المتضاربة ، يصرح بأن القرآن - ولغته لغة الأدب الرفيع ، بل أسمى نماذجه باتفاق القدماء والمحدثين - نزل على نبي من العرب ، بلسان العرب ، متحدية العرب جميعاً أن يأتوا بمثله أو بعضه ، ومعجزاً لإبائهم جميعاً . مع أنه من نوع كلامهم ، وعلى سنن بيانهم ، وبأسلوب تعبيرهم ؛ وإلا لما جاز أن يتحدثوا ، ولا تم له أن يعجزهم^(٢) .

(٢) كما أنه لو كان للعرب كلام يختلف في أساليبه ومناهج تعبيره عن لغة الأدب والفن لوجدنا دليلاً على وجود ذلك الكلام غير سبيل الافراض والتخمين ، ولما فقدنا من يشير إلى ذلك أدنى إشارة بين العلماء والرواة ونقله اللغة الذين كانوا أحرص الناس على مخالطة البدو واتجاج ديارهم ، وتدوين كلامهم ، وجمع المسادة اللغوية من أفواههم ،

(١) أخذ بهذه الحققة لذلك Th. Noldeke في الكتاب الذي ذكرناه آنفاً .

(٢) انظر مبحث إيجاز القرآن في كتب الكلام والبلاغة وكتاب إيجاز القرآن للباقلاني بوجه خاص .

التي ساقها أبرهة الحبشي إلى مكة مدفوعاً بياعة
الحقد على البيت وعلى توحيدة العرب ، والرغبة
في صرف العرب عنه إلى بيت يؤسسه هو ويكون
شعاره سيادة الحبشة .

(٣) والعامل الاقتصادي : فقد كانت معظم
تجارة العرب في أيدي قريش يجوبون بها طرف
الجزيرة شمالاً وجنوباً في مختلف الفصول . ومن
ذلك رحلتا الشتاء والصيف الوارد ذكرهما
في القرآن الكريم .

فكان من أثر ذلك احتكاك قريش بشقى
القبائل ، وفسح مجال الصراع بين لهجاتها
ولهجاتهم ؛ ولا سيما إذا كانت تلك الرحلات طويلة
بسبب طبيعة التنقل في ذلك العهد ، وكان
الاختلاط لهذا أعم وأكثر تغلغلاً وتأثيراً في
النفوس والألسنة ؛ فضلاً عما تجلبه التجارة معها
من أرباح مادية وثقافة واجتماعية وغيرها ،
إلى جانب البضائع المختلفة الأسماء والوظائف
والفوائد ، وكل ذلك هياً لقريش سمواً وتفوقاً
على غيرها في اتساع المدارك وتذوق ألوان
الحضارات .

كما كانت أعظم مجامع العرب وأسواقها في
الجاهلية بعد الحجيج تعقد على مقربة من مكة ،
وهي عكاظ ، وحنين ، وذو المجاز . وفيها كان
تبادل المنافع ، ومفاداة الأسرى ، والمفاخرة ،
والمناقرة ، والتغنى بالحلب والجمال ، والتهذيب
بالحكم والأمثال ؛ وكان لهذا كله أثره في صقل
اللغة وتوحيدها

وقد حفلت كتب العربية ^(١) بالروايات
والآثار التي تؤكد هذه الحقيقة ، والتي تشير إلى
عوامل عدة ساعدت لهجة قريش على ما تم لها
من ظفر وانتصار . وقد يمكن تلخيص هذه
العوامل في :

(١) العامل الجغرافي : فقد كانت قريش تسكن
منطقة مستقلة سميت حجازاً لها يقبها من التأثير
البعيد المدى بالمؤثرات الخارجية . ومن هنا
احتفظت بخصائص لغتها فلم تندمج في غيرها ،
ولم تأخذ من قبائل العرب إلا بالقدر الذي
يروقها ، ويفسج في دائرة طبيعة لسانها ،
أما غيرها من أطراف الجزيرة فكان مفتوح
الابواب للتأثر من داخل الجزيرة وخارجها ، بل
من داخلها على وجه أوسع لما كان العرب عليه
في مجموعهم من شبه عزلة عن العالم الخارجي
من ناحية ، ولما كانت عليه قريش من مكانة
مرفوعة تجعلها قدوة في نظر العرب جميعاً
من ناحية أخرى .

(٢) والعامل الديني : فقد كانت قريش سدنة
البيت وجيرته الأذنين ؛ والبيت حجة العرب
في الجاهلية ، وحرماً المقدس الذي كانت تقصد
إليه معظم القبائل للعبادة وتبادل المنافع .
وكانت مكانة البيت هذه سبباً في غزوة القيل

(١) انظر : المذهب لسبوتل (الفصل الثاني في معرفة
الفصح من العرب) ، وانظر كتاب : فقه اللغة تأليف
الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي ، في تنقيب لهجة
قريش الخ .

الاتجاه عمل كبير، استطعنا أن نزيل ذلك التعارض في ظاهر الأمر بأيسر الخطب . فإن العربية كانت قد قطعت فعلا أشواطاً بعيدة في سبيل التوحيد جعلتها وحدة عامة في الصيغ والأساليب، وصور التركيب ما عدا هئات هينات من اختلاف يسير تفرد به كل قبيلة عن غيرها . فكانت هناك قبائل موسومة بالفصاحة لقلة ما في لغتها من مظاهر ذلك الاختلاف ، وكانت كل قبيلة من هذه تباهى بخلوص لهجتها وفصاحة لغتها ، وتقربها على غيرها في الاقتراب من المثل الأعلى للفصاحة ، ومن ثم ادعت كل قبيلة من تلك القبائل أو ادعى لها أنها أفصح العرب .

أما أنه كان لا يزال هناك اختلاف بين لهجات القبائل عند ظهور الإسلام فهذا أمر لا يستطيع أحد إنكاره لثبوته بكثير من الأدلة . ولو كانت العربية لغة واحدة لما جاز أن يكون هناك فصيح وأفصح بين اللهجات ، ولما وضحت دلالة الحديث المستفيض الذي ينص على أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، إلى غير ذلك من الأدلة على أن الجزيرة كانت تشتمل على كثير من اللهجات بمقدار كثرة قبائلها وعشائرها ، وهذا ما تقضى به أيضاً طبيعة اللغة في حياتها ونموها وتأثيرها بالمؤثرات المختلفة من جغرافية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وغيرها .

ولكن هذا الاختلاف لم يصل إلى المستوى المنحط الذي يصوره المستشرقون ، بل هو اختلاف لا يتجاوز ما يمكن أن يكون بين اللهجات من اختلاف .

(٤) والعامل السياسي المترتب على كل ما تقدم، فقد يسر ذلك كله لقريش أسباب النفوذ في أنحاء الجزيرة وظهر أثر ذلك في الاحتكام إليها عند اللجاج والخصام ؛ وقد بقي هذا النفوذ السياسي لقريش ظاهراً بارزاً بعد انتشار الإسلام ، فرى أبا بكر يحج الأنصار حين طمعوا في الخلافة قائلاً : لا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش . إلى غير ذلك مما يقرب فهم غلبة لهجة القريشية على غيرها ، ويفسر ما تفيض به كتب العربية من أن لهجة قريش أعظم لهجات العرب ثروة وأغزرها مادة وألسها وأرقها وأقربها إلى ذروة البيان ، وأحفها بالتحدى والإعجاز ، وأن قريشا أفصح العرب لساناً ، وأبينهم بياناً الخ (١) .

يبد أن هناك روايات كثيرة أخرى تتعارض كلها في ظاهرها ، إذ تنسب كل منها أعلى درجات الفصاحة إلى قبيلة معينة غير قريش . فقد ذكر أن أفصح العرب قبيلة سعد بن بكر ، وجشم ابن بكر ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهذيل ، وهوازن ، وسفلى تميم الخ (٢) .

ولسكننا إذا أنعمنا النظر فيما تقدم من أن اتجاه العرب إلى توحيد لغتهم بتأثير ما لهجة القريشية من قوة وفتوة كان أمراً سابقاً على الإسلام بكثير ، فلم يحجى الإسلام إلا وقد عمل في ذلك

(١) انظر ما نقله السيوطي في المزمع (الفصل الثاني في معرفة الفصح من العرب) عن ابن فارس والقاربان في أن قريشا أفصح العرب .

(٢) المزمع في الموضع السابق .

علم الملوك

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد القادر المغربي

رئيس المجمع العلمي العربي - وعضو مجمع فؤاد الأول

علم الملوك هو العلم المعروف بعلم الخبر أو علم الأخبار ، والصليح في هذا العلم كانوا يسمونه أخباريا ، والأخباريون هم أولئك الذين اشتهروا بفزارة المادة وسعة الرواية في أخبار الناس . وواقعات حياتهم على اختلاف أزمانهم . وتباين طبقاتهم . وخاصة طبقة العظام من ملوك وأمرأ

ووزراء وعلماء وأدباء وشعراء . وليس كل خبر يصح أن يدخل في موضوع هذا العلم . وإنما موضوعه الخبر الذي فيه طرافة وله روعة . وفي سياقه مفاجأة تثير العجب . وتبعث على الطرب . وقد يمزج صاحب هذا العلم أخباره بشيء من

بصورة قوية قبل ما ذكرناه من سيادة اللهجة القرشية وطغيانها على بقية اللهجات العربية ولا سيما في قلب الجزيرة . وربما أعان على توضيح مدى ذلك الاختلاف وبيان قوته ما أسفر عنه التنقيب من نقوش ثمودية وصفوية ولحيانبة ، ثم ما كشف من نقوش النارة وزبد وحران وأم الجبال (١) . أما بعد سيادة لهجة قریش فقد تكون بقيت بقايا من ذلك الاختلاف هنا أو هناك ، وعند هذه القبيلة أو تلك ، ولكنها لم تزد على أنها كانت بقايا ينظر إليها كأنها هنات من بقع سوداء تشوه وجه التعبير السليم .

ومن هنا نرى علماء العربية يحصون تلك البقايا والخصائص القبلية ، ويعدون عيوباً في السنة قبائل معينة يلغى أن ينزه عنها الكلام الفصيح ؟

عبد المحليم النجار

ذلك أن هناك مقداراً من الاتفاق والاختلاف ينبغي ألا تتجاوزه اللهجات ما دامت لهجات تابعة للغة واحدة ، ولم تتحول إلى لغات تختلف في طبيعتها بعضها عن بعض .

فاللهجات لكي تبقى لهجات لا بد أن تتفق في طابعها اللغوي العام ، أي أن تكون مطابقة للغتها الأصلية في طبيعة تكوينها التركيبي ، وفي المجموع الغالب من مفرداتها ، وكذلك في الصبغة العامة من أساليب استعمالها ومناهج تعبيرها .

وقد تختلف اللهجات بعد ذلك في أمور عرضية أخرى ، كاختلاف الأصوات بين الفتح والإمالة أو التحقيق والتخفيف ، أو الحذف والإبدال ، أو التصحيح والإعلال ، أو الفك والإدغام ، أو ما شاكل ذلك ؛ كما قد تختلف في بعض المفردات ، وبعض أساليب التعبير ، بحيث لا يغير ذلك من طابعها اللغوي العام .

ومثل ما ذكر من الاختلاف ربما كان سائداً

(١) انظر :

وقد سئل عن سبب زوال ملكهم فقال (وكان أول زوال ملكنا استتار الأخبار عنا فزال ملكنا عنا بنا) .

فصاحب الأخبار إذن مأمور سياسي أو إداري . ويسمى في لغة هذه الأيام (مأمور تحري) أو (مأمور استخبارات) والأتراك كانوا يسمونه (خفية) وإذا أريد تحفيره سمي (جاسوساً) . وقد فصلت هذه الوظيفة اليوم عن وظيفة أعمال البريد وأصبحتا مستقلتين بعد أن كانتا قديماً توكلان إلى عامل واحد .

هذا هو الأخباري في الاصطلاح السياسي أو الإداري . أما أخبارنا العالم يعلم الملوك فهو عالم متفنن مؤرخ أديب محاضر نقاد .

قال السمعاني في كتابه (الانساب) : الأخباري نسبة إلى الأخبار ويقال لمن يروي الحكايات والقصص وال نوادر الأخباري . (١٠١ هـ) .

وعبارة السمعاني هذه تشعر بلز هذا العلم وغز موضوعه ، والغرض من مكانة علمائه ، حتى إن قوله هذا حل بمضهم على الزعم بأن هؤلاء الأخباريين قد يتعمدون الكذب والوضع ، لإرضاء لشهوة الملوك ، واستثارة لهشمتهم .

وناهيكم سوء ظن العلماء المتزمين بأ كبير أخباري عربي أعني (الجاحظ) فهم يعدون عليه قشورا ، وثقافته بورا .

وكان المؤرخ الكبير ، والأخباري العظيم ، (المسعودي) توقع أن يوصم هذا العلم ورجاله بما وصمهم به هؤلاء فقال في تاريخه (مروج الذهب) ١٠ أجزاء ١٩٠ صفحة .

مسائل العلوم والفنون الأخرى في أثناء سرد أخبار المتفقه والمحدثين والصوفية والنحاة واللغويين وغيرهم .

هذا هو معنى الأخبار والأخباريين في تفسير موضوع (علم الملوك) وقد ذكرنا لهذا العلم آداباً منها لا يظال الحديث فيمل ، وأن لا يوجز فيجمل . ومنها حسن إلقاءه وحسن البيان فيه . ومنها أن يتجنب فيه التكرار وإعادة القول . وقد نظم هذا بعض الشعراء فقال :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم
بما تحدث من ماض ومن آت
فلا تعد لحديث ، إن طبعهمو
موكل بمعادة المعادات

وهناك أخبار أخرى عن أخبار الماضين من رجال التاريخ وأخباريون آخرون وهم الذين يقال لهم في الأعم الأغلب « أصحاب الأخبار » . كما يقال للواحد منهم « صاحب الخبر » . ويراد بالأخبار إذ ذاك أخبار الناس الحاضرين باعتبار تسميتهم رعية وما يقع لهم في أسواقهم ومجتمعاتهم وأماكن طومهم وسمرهم وسائر أعمال حياتهم حتى أسرار بيوتهم ، يوصلها صاحب الخبر إلى الحكام وذوى السلطان فتساعد هؤلاء معرفتهم بها على سياسة المملكة ، وضبط الرعية ، وتصريف الأمور طبق لإرادتهم ، ووفقاً لقوانين دولتهم . وقد يتولى صاحب الخبر مع عمله هذا ، أعمال البريد ، ونقل أخبار البلاد إلى عاصمة الملك . وهو ما نسميه اليوم مدير البرق والبريد .

هذه الأخبار هي التي عفاها أحد ملوك أمية

وفيما قاله السعودي دليل واضح على نزاهة هذا العلم ، وكرم موضوعه ، وأمانة علمائه ، وإن كان فيهم من يجرؤ على الوضع أحياناً فسيثبت نعرفها من إخوانهم الوضاعين في علم الحديث والتاريخ والأنساب : ففي كل علم من هذه العلوم الثقة المحقق ، والوضاع الممخرق ، وعلم الأخبار والسيرة والحديث والتاريخ والأنساب ويضاف إليها علم القصص والمقامات والمحاضرات ، متقاربة في موضوعاتها ، متفاوته في شرفها وقيل غاياتها ، وليس المقام متسعاً للمقارنة بينها . وشرح (المبادئ العشرة) لكل منها ، وإنما تقتصر على (علم الأخبار) أو (علم الملوك) الذي هو موضوع كتبنا هذه .

ورجال هذا العلم طبقات . فالطبقة الأولى عاشت في صدر الإسلام أي في زمن الدولة الأموية ، وأول من اشتهر من رجال هذه الطبقة عبيد بن شربة الجرهمي . الذي كان يسمّر مع معاوية (رضى الله عنه) ويحدثه بأخبار الأمم الماضية ، ولا سيما ملوك اليمن . وكان معاوية يرناح إلى أخباره ويستزيده منها . ثم أمر كتابه أن يدونوا ما يقوله ابن شربة . فجمعوا روايات في كتاب سمى باسم (أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها) وهو في نحو مئة وثمانين صفحة طبعت أخيراً في الهند وهذا الكتاب يجعله بعضهم أول كتاب دون في الإسلام .

ثم يأتي من بعد ابن شربة (وهب بن منبه)

وكل علم من (الأخبار) يستخرج ، وكل حكمة منها تستنبط ، والفقه منها يستتار ، والفصاحة منها تستفاد ، وأصحاب القياس عليها ينون ، وأهل المقالات بها يحتجون ، ومعرفة الناس منها تؤخذ ، وأمثال الحكماء فيها توجد ، ومكارم الأخلاق ومعالها منها تقتبس ، وآداب سياسة الملوك والحزم منها تلتبس ، وكل غريبة منها تعرف ، وكل عجيب منها تستطرف ، وهو علم يستمتع بسماحه العالم والجاهل ، ويستعذب موقعه الأحق والعاقل ، ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاص والعامى ، ويميل إلى روايته العرب والعجمي ، وبعد فإنه يوصل به كل كلام ، ويتزين به في كل مقام ، ويتجمل به في كل مجلس . .

وذكرنى حلو الزمان وطيبه

بجالس قوم يملؤون المجالسا
حديثاً وأخباراً وشعراً وحكمة

وبرأ ومعرفاً وإلماً مؤانسا^(١)

« ففضيلة علم الأخبار بيئة على كل علم - وشرف منزلته صحيح في كل فهم ، فلا يصبر على فهمه ، ويتقن ما فيه إلا إنسان قد تجرد له ، وفهم معناه وذائق ثمرته ، واستفسر^(٢) من غرره ، وقال من سرره^(٣) . »

(١) وفيه هذا ما قاله بعض الفضلاء في هذا العلم وهو : أن علم الأخبار سلوة النفوس وأدبا نائمة للرئيس والمرؤوس لأن القلوب ترتاح إلى الأخبار من شجونها ، والآذان تصنى إلى سماع طريفها وفنونها ، والوجد يأنس بمطالعها . والجلس يسط إلى مطالعتها . والملوك يتحفون بها . ويذال الجاه عندهم بسببها : ١٥

(٢) استعطف المرأة طلب منها أن تسفر .

(٣) سرقة الخوص مستقر المطر في أفضاه . فيكون معنى بال من مروءه استخرج فرائده من أعماق إجماعه .

أحمد بن طولون) .

ومن أراد استيفاء طبقات هذا العلم ومعرفة رجاله وما تركوا من الآثار فليرجع إلى فهرست ابن التديم فإنه في الفن الأول من المقالة الثالثة سرد أسماءهم واحداً واحداً . وأتى على شيء من تراجمهم وغريب ما يروى عنهم .

وهناك واحد من رجال هذه الطبقة (الثانية) بذل الأوائل والآخرة في استحكام ملكه هذا العلم في نفسه . أعني به أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ صاحب التصانيف الممتعة في كل ضرب من ضروب الأخبار ، وهو بحق سيد الأخباريين الإسلاميين وإمامهم . لإمامة الجاحظ في علم الخبر جعلته ترتقى بفنه إلى الأوج ، ويضع فيه المصنفات ويبايع به أرباب العلوم والصناعات ، حتى سماه (علم الملوك) إكباراً له عن أن يسمى (علم الخبر) : فقد ذكر الإمام السيوطي في كتابه للزهر (جزء ٢٠ صفحة ٢٥٧) أن الجاحظ كان يقول : إن علم الخبر والنسب وهو علم الملوك ، ويريد بالنسب أنساب العرب ، ولا جرم أن معرفتها جزء من معرفة أخبار البشر .

وقام بعد هذه الطبقة الثانية العباسية طبقة ثالثة شغلت بأخبارها ومصنفاتها التاريخية عقول أهل القرون الوسطى :

منهم ابن الجوزي وابن منقذ وابن خلدون والصفدي والذهبي وابن السبكي وفي طليعتهم ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فإن مجيئه

المتوفى سنة ١١٠ هـ فقد كان أخبارياً واسع الرواية جداً ، وقد جمعت رواياته في كتاب على حدة سمي بكتاب (التيجان في ملوك حمير) وقد طبع هذا الكتاب في الهند أيضاً .

ويأتى من بعد هذين محمد بن اسحاق (المتوفى سنة ١٥٢) والواقدي (المتوفى ٢٠٧) والمهيتم ابن عدي (المتوفى سنة ٢٠٦) ومحمد بن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠) وهشام الكلبي وغيرهم . ومضافات هؤلاء في الأخبار والسير والمغازي مشهورة . وقد أدرکوا أوائل عهد بني العباس .

أما الطبقة الثانية من الأخباريين فهي التي كانت في عهد ازدهار خلافة العباسيين . وأشهر رجال هذه الطبقة حماد الراوية والأصمعي وأبو عبيدة وابن قتيبة الدينوري صاحب عيون الأخبار المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ثم المسعودي صاحب مروج الذهب المتوفى ٣٤٦ هـ والأصبهاني صاحب كتاب الأغاني المتوفى سنة ٣٥٦ هـ وأبو حيان التوحيد المتوفى سنة ٣٨٠ هـ وصاعد اللغوي المتوفى سنة ٤١٠ هـ ولا يمكن حصر رجال هذا العلم لكثرتهم ولقد كتبهم وآثارهم ، فأبو الفضل أحمد طيفور (المتوفى سنة ٢٨٠ هـ لم نعرف

أنه من كبار الأخباريين إلا بعد أن نشر أحد المستشرقين (هنس كلر) الجزء السادس من تاريخ بغداد الذي ضمنه طيفور سيرة الخليفة للمأمون . وكذلك أبو محمد البلوي الذي عاش بين القرنين الثالث والرابع لم نعرف أنه من كبار الأخباريين إلا بعد أن نشر كتابه (سيرة

وحوادث البشر الفارين .

فالأخبار التي دونها كل من المسعودي والجاحظ ثم من جاء بعدهم كالمحسن التوحي في كتبه (نشوار المحاضرة^(١)) و (الفرج بعد الشدة) وأبي الفرج الأصبهاني في كتابه (الأغاني) - لم تكن أخباراً ساذجة ، ولا أحاديث لمو لاغية ، بل إن لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية فكل طالب نصيب من هذه المعارف البشرية يجد في (علم الملوك) ما يشبع ذهنه ، ويتقف عقله ، ويقوى ملكته . ويعد له لأن يخوض غمار الحياة العملية ، بعد أن يكون واقفاً وقفة العواجز على عتبة علومه النظرية .

والملوك ورجال السياسة والإدارة في طليعة من يستفيد من هذا العلم الذي سميناه (علم الملوك) .

وروى عن أبي العتاهية أن المأمون استدعاه يوماً فدخل عليه فإذا هو مطرق مفكر . قال أبو العتاهية . فأحجمت عن الدنومة وهو على تلك الحال ، فرفع رأسه وأشار بيده : أدن . فدنوت ، ثم أطرق ملياً ورفع رأسه فقال : يا أبا إسحاق شأن النفس الملل وحب الاستطراف ، تأنس بالوحدة كما تأنس بالآلفة . (ويريد المأمون بالاستطراف طلب معرفة الغريب التأد من الأخبار ، قلت أجل يا أمير المؤمنين ولي في هذا المعنى بيت من الشعر ، قال هاته ، فقلت :

(١) هو في عدة أجزاء ظفر منها بثلاثة طبع - - -
المستشرق مرطيوث وطبع الاثنين الأخرى بمجمعنا العلمي القمي

(معجم الأدباء ومعجم البلدان) من أمتع كتب الأخبار وأجمعها للقوائد والطرائف ، وما يجب ذكره : أن (ياقوتاً) سمي علم الأخبار (علم الملوك) كما سماه الجاحظ ، ولا نعلم إن كان هذا منه اتفاق مصادقة ، أو اتباع موافقة . وذلك أن (ياقوتاً) رد على من حط من قدر كتابه (معجم البلدان) وتقص الأخبار التي فيه . فقال ياقوت : (إن هذه الأخبار أخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث ، وبصناعتهم كمال الإمارة ، ويستقيم أمر السلطان والوزارة ، ويعلمهم يتم الإسلام ، وباستبائهم يُعلم الحلال والحرام ، وإن كتابي هذا هو علم الملوك والوزراء والكبراء ، يجعلونه ربيعاً لقلوبهم ، ونزهة لنفوسهم) .

وإذا صح ما نقل عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه قال : (عليكم بطرائف الأخبار فإنها من علم الملوك والسادة . وبها تال المنزلة والحظوة لديهم) - إذا صح هذا - كان سيدنا عمر هو صاحب التسمية ويزداد هذا العلم بذلك شرفاً على شرف . ومهما يكن من أمر واضع هذا الاسم - أكان عمر أو ياقوتاً أو الجاحظ - فإن الملاحظ أنه إنما سمي بعلم الملوك ، لما أن الملوك لهم من مشاغل الملك ومهام السياسة ما يصرفهم عن النظر في العلوم ، وكذا ذهن في فهم حدودها وتعريفاتها ، وحفظ مسائلها وتقسيماتها ، فلم يبق إلا أن تقدم إليهم هذه العلوم بشكل خلاصات أو (مستحضرات) يتناولونها في مجالس أنفسهم ، وبين أهل سمرهم ، وقد تضمنت المستملع من أخبار الناس الحاضرين ،

والتجارات والتديرات . ولولا حلاوة الإخبار
والاستخبار عند الناس لما انتقلت الأخبار ،
وحلت محلها بينهم ، ولكن الله خالقهم حبها
إليهم لهذا السبب .

ولعلم الملوك مسائله . وهاتين أولاه نذكر
منها على سبيل المثال النموذجين الآتين :

احتاج الناصر إلى قطعة أرض من أراضي
الاحباس العامة وهي ما نعب عنه اليوم بقوانا
(الأوقاف العمومية) وتقع تلك الأرض قبالة
قصره في قرطبة . وكانت ترمى فيها القاذورات ،
وتسرح فيها دواجن البيوت . فأراد الناصر
استبدالها بأرض من أملاكه ، وتحويلها إلى متنزه
يضمه إلى متنزهات قصره . فمكث إلى فقهاء
قرطبة في طلب الأرض ، وذكر في طلبه أنه
يعرض الوقف أرضاً أرفع ثمناً ، وأوفر غلة .

فلم ير الفقهاء في مذهبه المألوك ما يبيح هذا
الاستبدال ، فاستدعاه الملك إلى قصره لخصروا ،
وكان فيهم قاضيه (ابن بتي) فأخرج إليهم أحد
وزرائه يكلمهم في الأمر فقال :

يقول لكم أمير المؤمنين : يا مشايخ السوء ،
يا مستحلي أموال الناس ، وذكرُ مجللاً أخرى
من هذا الطراز إلى أن قال : إن الخليفة واقفٌ
على أعمالكم ، وهو مغض عنكم حتى احتاج
في المسدة الأخيرة إلى دقة نظركم في حاجة مرة
واحدة في درهم فلم تلبوا طلبه ، ما كان هذا ظنه
فيكم ، ليفعل بكم ليفعلن .

فأسرع منهم شيخٌ ضعيف النفس فاعترف
بذنبه ، وطلب من الملك العفو والصفح وأعلن

لا يصلح النفس ما دامت مقسمة
إلا التنقل من حال إلى حال
والنفس المقسمة هي الملهومة . ١٥ .

وقد وسمت طبقة الإخباريين الراسخين في
(علم الملوك) من بين سائر طبقات العلماء بميسم
السياسة والحذق والظرف : فقد روى أن إمام
النحلة أبا عثمان المازني رتب طبقات علماء كل
علم وماز بعضهم عن بعض بأوصاف خاصة فقال :

أصحاب القرآن فيهم كذا وكذا^(١) .

وأصحاب الحديث فيهم كذا وكذا^(٢) .

وأصحاب الشعر فيهم هوج .

وأصحاب النحو فيهم ثقالة .

وأصحاب الأخبار فيهم الظرف كله .

وقد عرف الخلفاء والملوك والأمراء لرجال
هذا العلم فضلهم ومزيتهم فقرروهم وأدنوا بحالهم
وتنافسوا في اجتذابهم إليهم ، وإغداق الأموال
والجوائز عليهم .

بل إن الجاحظ نبه إلى فضيلة هذا العلم وجلالة
قدره وفضله على الإنسانية بما لم يسبقه إليه سابق ،
فقد ذكر في رسالته (كتمان السروحفظ اللسان)
« من طبع الإنسان محبة الإخبار والاستخبار ،
وبهذه الجبلة نقلت الأخبار عن الماضين إلى الباقين
وعن الغائبين إلى الشاهدين ، وأحب الناس أن
ينقل عنهم ، ونقشوا خواطرهم في الصخور ،
واحتالوا لنشر كلامهم بصنوف الحيل . فقام
بجى الأخبار عن غير تشاعر ولا تواطى . مقام
العيان ، وعُرفت البلدان والأقطار والأمم
(١) قال المازني فيهم قولاً نزهق ونزه مقالاً عن ذكره

دعته الحاجة أمير المؤمنين إلى استبدال أرضه
فأنا أفنيه بذلك مقلداً العراقيين .

فعارض الفقهاء عليه آسفين من تركه مذهب
مالك . وهو مذهب البسلام وأبائنا ، والخليفة
وآبائه فاحتج عليهم (ابن لبابة) قائلاً :

- أسألكم فاصدقوني : ألم تنزل بأحدكم نازلة
اضطرته إلى تقليد إمام غير إمامه مالك ؟

فقالوا : بلى . فقال لهم فامير المؤمنين أولى أن
تفتوه بتقليد غير مذهبكم كما فعلتم . فسكتوا .

عندها عمل الخليفة بفتوى (ابن لبابة) وعوض
الوقف أملاكاً تزيد قيمتها ضعافاً .

أما الخديو (عباس) فهل وفق إلى ما وفق
إليه (الناصر) فيقوم من فقهاء زمانه فقيه يسارع
في هواه . ويفتبه بما يرضيه ؟ كلا .

أحب سمو الخديو عباس أن يستبدل أرضاً
في الجزيرة . معدة للبناء . تابعة للأوقاف العمومية

بزرعة من مزارعه الخاصة معروفة باسم (مشتهر) ،
وأن تعطيه الأوقاف زيادة على أرضها ثلاثين
ألف جنيه . وأن ذلك كله يكون في مصلحة الوقف .

وقد عرض طلبه هذا على مجلس الأوقاف
الأعلى . وكان في هذا المجلس مفتي الديار المصرية
أستاذنا الشيخ محمد عبده كما كان للخديو في المجلس

نائب عنه هو المرحوم (حسن باشا عاصم) .

فعارض المفتي في هذا الاستبدال ما لم تعين
لجنة من أهل الخبرة يقدرون ثمن أرض
الوقف ، وثمن المزرعة الخديوية ، ليعرف ما إذا
كان هذا الاستبدال في مصلحة الوقف أم لا ؟
وبعد أيام قدمت اللجنة إلى المجلس تقريراً

توبته . فالتفت إلى ذلك الشيخ (محمد بن حسونة)
وقال له : يمّ تتوب يا شيخ السوء ؟ نحن براء منك .
ثم خاطب الوزير قائلاً :

بئس المبتلغ أنت . وكلّ ما ذكرته على لسان
أمير المؤمنين هو صفتكم أنتم معاشرّ نخدّته .
أنتم تفعلون كذا وكذا . أما نحن فأعلام الهدى .
ومصاييح الظلام . بنا مقام الفرائض ، ويُفرّق
بين الحلال والحرام . ثم قال :

هلا بلغتنا رسالة أمير المؤمنين التي قالها على
غيظ بالين أسلوب . وأخفّ كلام . فنحن نعلم
أن أمير المؤمنين لا يتأذى على هذا الرأي فينا
بل سيرجع بالعذر علينا ، على أنه لو صحّ ما قلته
على لسانه ليطل جميع ما نتم على يدنا من العقود
والاحكام في مدة خلافته ، فلا عقد حرب
ولا سلم ولا وقف ولا عتق ولا بيع ولا شراء
بما جرى بشهادتنا وحكمنا .

ثم نهض وتبعه رفاقه . فوجه الخليفة
من ردهم إليه ، فأكرمهم واعتذر لهم ، وخلع عليهم .
وكان في قرطبة لذلك العهد فقيه داهية اسمه
(ابن لبابة) كان في مجلس الشورى فعزل منه .
فأرسل إلى الخليفة يقول : لو لم أكن معزولاً
لأفتيت سيدنا الخليفة بجواز الاستبدال .

فردّه الخليفة إلى الشورى ثم عاد فاستأنف
طلب استبدال أرض الوقف من الفقهاء .
فردوا طلبه كالأول . فاستفتى (ابن لبابة)
فأجابه : إن قول مالك في المسألة هو ما قاله
الفقهاء من أهل المغرب ، أما العراقيون من فقهاء
المشرق فهم لا يجوزون الوقف أصلاً . وإذا قد

القصة الموحشة

للاستاذ محمد فريد أبو حديد بك

المدير العام لمعاهد المعلمين والمعلمات

هكذا كان عبد الملك بن حميد يتحدث إلى سليمان ابن مخلد أبو أيوب المورياني عندما أراد أن يقدمه لآني جعفر المنصور أمير المؤمنين العباسي . وكان أبو أيوب شابا حسن الهيئة تلوح عليه الوداعة وبلغ الذكاء في شعاع نظراته إذا رفع عيفيه من إغصانتهما . وأجلب الفتى قائلا :

- سأكون يا سيدي عندما تحب ، وسترضى عن اختيارك إياي ، وسأحفظ لك هذا الصنيع ما دمت حيا .

فقال الشيخ وكان في صوته ما ينم عن الحزن : - لست أدري يا ولدي إن كنت تعرف هذا الرجل وما تكلفك مصاحبته من المشقة . وقد كنت أحاول جهدي أن أستميل قلبه وأبلغ عنده ما أحب ولكنها الشيوخوخة يا ولدي . الشيوخوخة والمرضى وضيق الصدر تجمع على فلا أملك نفسي ولا يطيعني لفظي حتى عرفت أنني ثقلت عليه وتبينت أنه يريد أن يستبدل بي غيره .

وما أنذا أسبقه فأختار لك تكون عنده بدلا مني حتى لا يختار له كاتباً آخر يهدم علينا كل ما بئناه ويفسد كل ما ترققنا في إصلاحه . ولست أحب أن أخيفك أو أن أخلع قلبك قبل أن تبدأ عمالك ، ولكني لا أجد بدا من أن أفتح عييفك وأجلو بصيرتك لعل الله يكتب لك التوفيق معه .

« سذهب إلى هذا الرجل يا سليمان بن مخلد ، وستجلس إليه خالياً أو مع غيرك من أهل هذه الدولة ، وستسمع منه وتقتضى إليه بما تراه من وأيك ، فاعلم يا سليمان أنك لن تستطيع أن تدرك غوره وإن خيل إليك أنك تفعل ، .

كانت خلاصته : إن أرض الوقف تفضل مزرعة سمو الحديو بعشرين ألف جنيه .

وبهذا التقرير خسر الحديو خمسين ألف جنيه : الثلاثين ألفاً التي كان يتوقع الحصول عليها من الزيادة ، والعشرين ألفاً التي أوجب عليه الخبراء تأديتها لجبهة الوقف .

فأحفظ هذا الصنيع قلب سموه على المفتي لجعل من يومئذ يترى به الدوائر .

وكان لهذه الحادثة أثرها الجليل في نفوس المصريين . وقد هناؤا المفتي والباشا على هذا الموقف الذي دل على تجردهما وكبر نفوسهما . ومبلغ ثباتهما في خدمة الحق ، وصيانة العدل .

هذان نموذجان من العلم الذي سميناه (علم الملوك) فيها تسلية وفكاهة ، وفيها علم وفقه ، وفيها تاريخ وخبر ، وفيها عظات وعبر لمن انعط واعتبر . [دمشق] المغربي

فقال الشاب هادئاً :

- بارك الله عليك يا سيدى فقد عرفت مقدار برك بى وحدبك على ، وليست هذه أول مرة تغمرنى بفضلك وبرك . ولكنى أحسب أنى أعرف الرجل ولا أجد فى نفسى قلماً من التقرب إليه .

فقال الشيخ فى فتور :

- تحسب أنك تعرفه ؟

فقال أبو أيوب : بل أعرفه حقاً يا سيدى . أعرف أنه لا يشبه إذا خلق فى الفضاء وانقض على فريسته وأعرفه كالأذن بنام ياحدى مقلتيه ويسهر بالآخرى . وأعرفه كستان الرخ لا يلين فى طمته . عرفت فيه هذا وغير هذا ولكنى لا أجد فى نفسى قلماً من التقرب إليه .

فقال الشيخ باسماً :

- أمروض سباع يا أبا أيوب ؟

فقال الشاب باسماً كذلك :

- ولم لا أكون يا سيدى ؟ أنت تعلم أنى من أول من دخلوا فى دعوة هذه الدولة وأنى بايعت آل محمد وكنت من المقربين إلى أبى سلة الخلال . ولست بعيداً عن قلب الرجل فقد كانت لى عليه يد لا يفساها . فصاح الشيخ عبد الملك .

- لك عليه يد ؟

فقال سليمان بن مخلد : إذا شئت أن تسميها يداً . كنت كما تعلم كاتباً لسليمان بن حبيب وهو عامل لمروان بن محمد على الأهواز فأقى حراسه برجل : قالوا عنه إنه أبو جعفر عبد الله بن محمد العباسى . فما وقعت عينى عليه حتى عرفت أنه

سيكون صاحب هذه الدولة الجديدة إذا لم يحل الموت دونه . وجعل سليمان يعنفه ويطلبه بما معه من الأموال ويتهمة بأنه اختان الدولة وسلب رعيتهما ودعا بالسياط فضربه أربعين سوطاً . ولكن الرجل كان كما قلت فى وصفه أصلب من سنان الرخ فلم يستطع سليمان ابن حبيب أن ينال منه شيئاً . فالتفت بنفسى عليه وحيته بظهرى واخذت أجادل بن حبيب وأخوفه من دولة بنى العباس المقبلة وأشعره باليأس من دولة بنى أمية حتى رضى أن يضعه فى السجن ويعدل عن آمانيه .

فلما سكن الليل حركت الجنود المضربة فاقتحموا عليه سجنه وأطلقوه فأصبح يسير آمناً على طريق البصرة . ألم تكن هذه يدلى عنده ؟

فقال عبد الملك فى اهتمام :

- إذن فالرجل يعرفك يا ولدى . لقد نهيتى إلى شئ لم أفطن إليه قبل هذا . اذكر الآن أنه كان يتجه بى إلى جنتك فى حديثه حتى إذا ما نطقت باسمك وثب إليه وثوباً . ألا ترى أنه رجل لا يسبر غوره ؟ حتى أنا لم استطع أن أسبر غوره .

ثم قام وأمسك بيد الفتى وتلفت حوله كأنه يخشى أن يكون أحد فى ركن من أركان الحجرة فيسمع من قوله حرفاً . ثم قال هامساً .

- تذكر يا سليمان بن مخلد أننا نخطر بحياة أمة بأسرها ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها . تذكر ما ذاقه قومنا الفرس منذ مائة عام حتى لاحت لنا هذه البارقة من آل محمد . فهؤلاء هم يذلون لنا الوعود ويظهرون لنا المودة ويعتمدون

يحمل رسائلنا ، ولم يبق لنا إلى القصر لتدرك وقت الصلاة فنصلي العشاء وراه جماعة .

وخرج الشيخ مع صاحبه فركبا إلى قصر أمير المؤمنين أبي جعفر في مدينة الكوفة . وهكذا اتصل أبو أيوب أول مرة بالخليفة العباسي الصارم في أول حكمه عند ما كان لا يزال بيني قواعد ملكه .

وكان أبو أيوب ظريفاً لبقاً حلوا الحديث كأنه خلق ليكون صاحباً لملك . كان خبيراً بالكيمياء والطب ، حاذقاً في الجساب ، أدبياً بارعاً في اللغة ، وكان فوق هذا عالماً بالنجوم يتحدث إليها ويستطلع أخبارها ، قديراً في السحر حتى قالت العامة إنه اتخذ لنفسه دهنًا يمسح به وجهه كلما دخل على الخليفة فإذا هو أسلس الناس له قياداً .

وما أسرع ما صار سليمان بن خالد سيد رجال الدولة وأقرب أولياء الخليفة حتى كان أبو جعفر يقول لامراته إذا أعدت له مجلساً أيقاً ، إنه لا يجهد في ذلك المجلس متعة إلا إذا شاركه فيه كاتبه أبو أيوب المورياتي .

وهل يستطيع الإنسان أن يكون سوى إنسان ؟ كان قلب أبي أيوب عند ما دخل على الخليفة أول مرة يحس أنه يحمل معه أمل أمه . كان كما قال له عبد الملك يعرف أن ذلك الأمل معلق على شعرة ، وأن عليه أن يقوياً ويحميها ويعززها ، ولكنه بلغ من المجد ما لم يبلغه أحد من رجال الدولة ، ونال من بر الخليفة وثقته ما لم ينله كاتب ولا وزير في دولته . ووجد نفسه آخر الأمر يعتلى ذروة شامخة لم يستطع أحد أن

علينا ويجعلون قوتهم في ولائنا ، وإذا لم يفسد علينا هذا الأمر كان من اليسير علينا أن نستعيد في دولتهم مجد أمتنا . ولكن آمالنا كلها معلقة على شعرة . أفنهم قول ؟

وكان الفتى يستمع إليه في لفظة وقلبه يخفق سعيداً بأن عبد الملك بن حميد يتحدث إليه ويثق فيه ويفضي إليه بمكنون أسرارهم ، وقال في صوت منهج :

أظنني أفهم طرفاً مما تقول ياسيدي ، ولكنني لا أفهم كيف تتعلق الآمال بشعرة .

فقال الشيخ مرثاساً :

أحسنيت في سؤالك وهذه بشرى تفنيء بألك جاد في نيتك . أقول إن آمالنا معلقة على شعرة لأن أبا جعفر مثل أخيه الذي سبقه - أبي العباس عبد الله بن محمد ومثل سائر بني هاشم ليسوا سوى عرب خطص . وإذا كان غيظهم من بني أمية يجعلهم يلجأون إلينا ويستندون على نصرتنا ، فإنهم لن يلبثوا أن يتغضوا عهدنا إذا أحسوا منا خوفاً .

ورفع الفتى رأسه في شيء يشبه المذعر فتلاقت عيناهما في صمت ، ومضى الشيخ قائلاً :

فليكن كل همك ألا تقطع هذه الشعرة يا ولدي ، بل اجعل همك أن تقوياً وتمززها حتى تصير سبباً متيناً يصل بين هذه الدولة وبين أمتنا . لم نذهب إلى أمير المؤمنين يا ولدي فإياه ينتظرنا ولا ينبغي أن يرانا أحد نطيل حديثنا ، سوف ألقاك في مجلس الخليفة بين حين وآخر ؛ ولكنني سأعرض عنك ولا أظهر لك ارتياحاً ، ولنسكن مراسلتنا سرا ورمزاً . وسأختار لك الأمين الذي

منزلة لا يستطيع أحد من دخولها أول مرة يتصور أنها ستبلغ من السعة والمظلة ما بلغت من بعد . كانت عند ذلك لا تزيد على حصن يشبه الدائرة يحيط به نطاقان من الأسوار وفي قلبه قصر أمير المؤمنين مثل النواة في التمرة .

وأما أمير المؤمنين المنصور فقامه في حجرة تكاد تكون عارية ، ليس فيها شيء ما يدل على أبهة الملك أو براعة الفن . وكان يحلو هناك إلى نفسه وإلى هموم دولته الفسيحة كأنما هو أحد السباع الحائرة يتربص في مكنته ويحيل بصره فيما حوله ولا يشم إلا رائحة الدماء . لم يجلس هناك يوم في لهو أو طرب ولم يعبأ فيه بسر أو نجوى صديق . كان ينتظر هناك صاحب البريد الذي يحمل أنباء الثورات أو صاحب الشرطة يحمل إليه رقايع الجواسيس الذين يبلغونه الهمسات الخافتة .

وهناك أتى إليه يوما فتى يريد أن يفضي إليه بنصيحة وأبى الأدلاء بها إلى أحد غير الخليفة . بل إنه أبى أن يقضى بها إليه إلا إذا خلا المجلس من كل من كان هناك من خاصة رجال الدولة فلما صار وحده مع أبي جعفر رفع إليه عينيه فوجده ينظر إليه كما ينظر السبع الحائف إلى فريسته . وثارت في قلب الفتى دعوة كما ثارت في قلب الخليفة شكوك كثيرة . فإذا يريد ذلك الفتى الذي لم تقع عينه عليه من قبل ؟ أهو أحد البائسين جاء إليه يتحلل بتلك النصيحة ليحاول أن يفتك به ؟ ولكن وجهه كان لا ينم على شيء من الشر أو الغدر ، فهو وسيم ودع في شبه عجيب بصورة

يطمح إليها ، ولم يجرؤ وزير قبله أن يرقى إليها . أصبح هو العين التي يرى الخليفة بها ، والأذن التي يسمع بها واليد التي يحركها إذا أراد بطشاً . ومنذ بلغ تلك القمة نسي كل شيء إلا أن يحتفظ بمكاته السامية فوقها .

صار كل همه أن يحمي نفسه من المنافسين الذين يخشاهم على نفسه ، وأن يحتفظ بثقة سيده الذي أعطاه ما لم يعطه ملك لأحد من رعيته . وبدأ يشعر بالقلق والخوف ويمتلئ بالهم والرغبة . كان يحس في أعماق حبه المهف أنه لن يتحرك من ذروته الشاهقة إلا لكي يهوى إلى هوة عميقة . كان ينظر حوله من فوق تلك الذروة التي يتسنىها ، فلا يرى إلا خلاء موحشاً ليس فيه أنيس ولا صديق ، ثم يلقي بنظرة إلى أسفله فلا يرى سوى غور مظلم بعيد . كان لا يحس في قلبه سلاماً ، ولا يعرف اطمئناناً ، بل كان في مجده شقياً وفي سلطانه العظيم مضطرباً عاتقاً . كان مثل الرى الذي تحوى خزائنه الكنوز العظيمة ، ويقضى أيامه ولياليه في حراستها دائم القلق والنصب .

ومع ذلك فإنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه إرادة القضاء ففقدت إليه المقادير من حيث كان يريد أن يزداد أمناً على مكاته ، وهكذا نحن معاشر الأحياء نتجه إلى مصائرنا كأن عيوتنا مظلمة ، وإن خيل إلينا أننا نبصر ، وننقاد إلى أقدارنا وإن حسبنا أننا نملك بأعتنا .

كان أبو جعفر قد نقل عاصمته إلى بغداد الجديدة - بغداد الصغيرة التي بدأت مثل عدد

تلك الزوجة المسكينة التي سكن إليها أشهراً قليلة ثم أزعج عنها فغادرها وذهب في الأرض ليستأنف اضطرابه ، ويمهد لدولة بنى العباس بالعرق والدماء والأشلاء . ونذكر يوم ودعها وهي تمسك به باكية وتذكره بالجنين الذي يجاور كبدها . مسكينة تلك الزوجة البعيدة ، فإذا كان اسمها ؟ لقد نسي اسمها كما نسي الجنين الذي خلفه عندها ، وما هو ذا يرى ابنها أمامه شاباً فيه ذلك الشبه العجيب من الصورة الغامضة التي لاحت له كأنها شبح في حلم بعيد العهد . وقام فاعتق الفتى وأسأل من دمه على كتفيه واختفى المنصور العارم الخفيف ولم يبق منه إلا الوالد الذي يهزه الحنين .

وكان بينهما حديث طويل أحس فيه الرجل الذي قضى حياته في الصراع والجلاد بأنه عاد شاباً طريداً يتوجس خيفة من أنظار الأعداء . ألا ما أعجب هذه المقادير في تصاريقها ، وما أضعف القلب البشري في نسيانه أكان عند ذلك لا يملك شيئاً من دنياه ولا يأمن شيئاً على نفسه ؛ وما هو ذا قد أصبح سيد الدنيا ويملاً الآفاق بمهجة سلطانه ؛ ومع ذلك فهو ما يزال مضطرباً لا يأمن على نفسه شيئاً . أهى سحرية القضاء أن يهب له كل ما كان يطمح إليه ثم يدعه آخر الأمر دائم الطموح والقلق كأنه لم يقبض إلا على خيال .

ودعا صاحبه أبا أيوب المورياني بعد أن قضى حيناً في حديث مع ولده وكان قلبه ما زال يشتعل حنيناً وقلقاً . فإذا يقول لوزيريه وماذا يقول للناس ؟ يأمن أن يجبر قاتلاًها هو ذاك ابني ؟

مألوفة . فمن يكون ؟ وما تكون تلك الصورة المألوفة التي تشبه الطيف في الحلم البعيد ؟ وجعل أبو جعفر يتأمل نظرة الفتى وجبينه وأنفه ولونه الأسمر وقامته الفارعة المثينة .

كانت نظراته إلى الخليفة تشبه نظرة كلب أليف فيها جرأة وفيها مودة وفيها انكسار وخشوع . فاطمأن أبو جعفر وأطال النظر إلى مودة الفتى مرتاحاً كأنه يسبح في حلم غامض بعيد العهد وقال في نفسه : « لا ليس مثل هذا من يضرم الغدر بي » .

وقال للفتى :

« هات ما عندك يا فتى . من أنت أولاً ؟ »

فقال الشاب في صوت خافت به هزة مكبوتة :

« أبا ابنك يا أمير المؤمنين . »

فقال المنصور في صرخة : « ابني ! »

فأجاباه الشاب : نعم أنا ابنك وهذه علامتي .

وأخرج من جيبه قبصاً وخاتماً وقال :

« هذه علامتي . »

فاستلقى المنصور على ظهر وسادته كأنه كان مشدوداً إلى وثاق ثم انفك منه فجأة . وغاب لحظة طويلة في ذكريات قديمة هجمت عليه كأنهم هجم الأمواج على الشاطئ الصخري في ساعة المد . إنه يعرف هذا القمص حقاً وهذا هو الخاتم الذي أعطاه لزوجته الأهوازية عندما كان يضطرب في الأرض وحيداً طريداً حانقاً يتخفى في بيوت أصحابه ويخشى أن تمتد إليه أيدي أعدائه . حقاً هذا هو الخاتم الذي خلفه عند امرأته الحسنة ابنة دهقان الأهواز . لقد أنسته الحوادث الجلييلة

وعلى كل هذه التوصية ؟ ثم من هو حتى يذهب إلى القصر متى شاء فلا يجيب عنه ولا يؤذن لاحد أن يراه أو يقترب منه غيره ؟

ومنذ حل الفتى في بيت أبي أيوب لم يهدأ له بال في ليل ولا في نهار ، فكان في كل يوم يصاحبه ويماسيه لنزاً غامضاً مستعصياً .

كان الفتى لا يئس بكلمة كأنما هو باب مغلق يتطوى على سر عقيق ، باب نهام أمير المؤمنين أن يعرف ما وراءه . إنها القصة القديمة — لا تدخل من هذا الباب فيتحرق القلب شوقاً إلى الدخول ، ولا تأكل يا آدم من هذه الشجرة فيخاطر آدم بالخروج من الجنة ويأكل من الشجرة . وهكذا أحس أبو أيوب . أحس كأنه وهو

واقف على قته العالية ومن حوله الفضاء الموحش ومن تحته الهوة العميقة ، يرى شبحاً غامضاً يقبل عليه فيزاحمه ولا يدرى من أين أتى . فإذا

يبنى المنصور من وراء إقامة ذلك الفتى عنده ؟ أيعصر له كيداً كما أضمر من قبل لأبي مسلم وغير أبي مسلم من أوليائه الذين أقاموا له دولته ؟ أم هو يطعم في أمواله كما كان يطعم في أموال غيره من العمال الذين يرفع إليه جواسيسه أنهم يخفون كنوزهم العظيمة حيث لا يطلع أحد عليها ؟

إن أعداءه كثيرين يتربصون به الدوائر ويحاولون في كل يوم أن يدفعوه عن القمة التي يمثلها ، ولكنه يدفعهم عنها ويلقي بهم إلى الهاوية العميقة التي تحف بها . فهل ذلك الفتى أحد هؤلاء ؟ وحاول مرة بعد مرة أن يعرف من الفتى أو يكشف عما يكون بينه وبين أمير المؤمنين

وماذا يقول ابنه محمد المهدي الغيور الذي كان أشد حرصاً على ولاية عهده من أبيه على ملكه ؟ إنه لو جهر بهذه الحقيقة لأدخل على الدولة سبياً جديداً للفتنة وفتح للناس باباً جديداً من الأحاديث ، ومن يدرى ؟ من يدرى ماذا يكون وراء هذه الأحاديث وتلك الفتنة ؟

وأوصى الفتى قائلاً :

— لا يسمع أحد منك لفظاً بما قلت لي يا ولدي . ولا يجتمع بك أحد من الناس إلا أن يكون في حضرتي . وأما هذا الذي بعثت إليه ، هذا الوزير أبو أيوب المورياتي ، فإنه رجل أهوازي مثلك ، وسقيم عنده في بيته حتى أدبر لك من بعد هذا أمراً . ولكن السر الذي بيننا لا ينبغي له ولا لغيره أن يعرف منه حرفاً . أتعدني ؟

فقال الفتى : اسمع وأطع يا أبي .

ووقعت نعمة صوته في أذن أبي جعفر كأنما هو يسمع نفسه .

وقال المنصور لوزيريه عندما أقبل عليه :

اجعل هذا الفتى في بيتك واصنع له ما كنت تصنع لولدي لو بعثت به إليك ، وله أن يزورني متى شاء فلا حجاب لاحد عليه ؛ ولكن لا يقترب منه أحد غيري .

وخرج أبو أيوب مع الفتى من القصر خفية حتى بلغ داره . وكان في طريقه صامتاً دهشاً لا يدرى أى سر جديد ذلك الذي طرأ على الخليفة بشفة . من هذا الفتى ؟ ولم يبعثه المنصور إلى بيته ليقيم معه ؟ وما الذي يحمله على كل ذلك التستر ،

وما هي إلا ساعة قصيرة حتى ضجعت الدار
بالفرح والحزن وانطلقت أصوات الفجعة من
النساء والجوارى يتدنن الفتي الثيل الذي وافاه
الأجل كما يرافى الناس لجأه .

وذهب أبو أيوب مسرعاً إلى الخليفة ليحمل
إليه النبا الفطيع وكانت عيناه تدمعان وصوته
يضطرب وهو يروى قصة المفاجأة القاسية .

بات الفتي أتم ما يكون شاباً وصحة ثم طلع
عليه الأجل في الصباح كما يقتل الصقيع الزهرة
واطرق حزينا ويدها على صدره خشوعاً ، وكانت
تلوح له من وراء غشاء الدمع صورة الفتي وهو
يزاحه على القمة العالية يريد أن يدفعه إلى
الهوة التي تحنها . وكاد يصرخ عندما خيل إليه
أن شبح الفتي يريد أن يتمسك به لكي يتربصا
في الهاوية معا :

وسمع المنصور وهو يقول له في صوت أجش
كأنه حشرة قاتل : « أمات حقاً لجأه ؟ »

ونظر إليه أبو أيوب فلم يقل على أن يلتقي
نظرة عينيه الصارمتين التي تشبه نظرة الفهد
الغاضب ، فأغضى مرغماً وخرج مولياً غير متمالك
من الخوف ، كأن الفهد يشب من ورائه يريد أن
ينشب فيه أنيابه .

وقضى أبو أيوب الليلة في سجن القصر مسهداً
كما قضى الليلة الساجدة في داره مسهداً . ثم دخل
عليه الموكلون بالعتاب ليستقصوا منه أمواله قبل
أن يقدفوا به إلى الهاوية المظلمة التي تحف بالقمة
التي كان واقفاً عليها - القمة الموحشة ؟

محمد فريد أبو هدير

إذ خلا إليه ، ولكن الفتي كان لا يبيح له أن
يتدسس إلى شيء من أسراوه .

وهكذا نسي أبو أيوب كل شيء إلا الخطر
الذي يلوح له من جانب الفتي الصامت الذي
لا يريد أن يتعلق له بكلمة . نسي كل شيء إلا نفسه
والقمة العالية التي يقف عليها وحده والهوة
العميقة التي تحت قدميه .

وقضى ليلة مسهدة طويلة يفكر في أمر المنصور
وذلك الشاب الغريب الذي كان يذهب إليه كل
ليلة فيخلو معه ساعة طويلة ثم يعود إليه متسراً
بالظلام ولا يقول له فيم كانا يتناجيان . فإذا
عليه لو دفع ذلك الشاب المجهول عن قته التي جاء
يزاحه فيها ، ثم يتتدع عنراً يحنل فيه بحكته كما
ابتدع من قبل أعذاراً كثيرة فيمن تخلص منهم
من المنافسين .

وكان أبو أيوب بارعاً في الطب والكيمياء كما
كان بارعاً في حساب النجوم . وما هي ذى النجوم
تبسم له قائلة « أقدم ولا تردد » .

وأعد في أكوابه وبواتفه جرعة لا يفوق من
يتجرعها ، ثم أعد معها طعاماً من طرف مختارة ،
وفواكه ممتازة ، وحلوى شهية ، في ليلة من ليالي
الحريف الساجية . فلما عاد الشاب من مجلسه
في القصر وقف له بخدمة بنفسه وفاء بوصية
أمير المؤمنين ، ثم تركه وذهب إلى مخدعه ينتظر
الصباح في لهفة . فلما طلع الصباح ذهب إلى الفتي
على عادته ليقوم على خدمته فوجده على الأرض
مينا ووجهه المقلص يدل على ما قاساه من الآلام
المبرحة .

فِي التَّائِيحِ وَالْإِجْتِمَاعِ

المساواة في الإسلام للمذكور على عبد الواحد وأبي بك

رضى الله عنه في وصيته لسعد بن أبي وقاص :
« إن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته ؛
فالناس شريفةم ووضيعهم في ذات الله سواء ،
ويقول في وصيته للخليفة من بعده : « اجعل
الناس عندك سواء ، لا تبال على من وجب الحق
ثم لا تأخذك في الله لومة لائم ، وإياك والآخرة
والحياة فيما ولاك الله ،

ولم يكن الأمر مقصوراً على وضع قواعد
وتقرير مبادئ ؛ بل إن التاريخ ليثبت أن هذه
المبادئ كانت منفذة بحذافيرها أدق تنفيذ في عهد
الرسول عليه السلام وفي عهد الخلفاء الراشدين
من بعده ، أي في أثناء هذه المرحلة الذهبية التي
تمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل . فقد جاء
مرة أسامة بن زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم
يشفع في امرأة وجب عليها حد السرقة ، فأنهه
عليه السلام وقال مفضباً : « أتشفع في حد من
حدود الله ؟ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرفت
لقطعت يدها ، وتقول مرة أبو ذر الغفاري
وعبد زنجي في حضرة النبي عليه السلام ، فاحد
أبو ذر على العبد وقال له : « يا ابن السوداء ،

لم يصل أي تشريع سماوى أو وضعى في مبلغ
الحرص على مبدأ المساواة إلى ما وصل إليه
الإسلام ، فقد قرر الإسلام مساواة الناس أمام
القانون ومساواتهم في الحقوق العامة السياسية
وغيرها ، وقرر ألا تفاضل بينهم إلا على أساس
أعمالهم وكفائاتهم وما يقدمه كل منهم لربه ونفسه
وطنه والمجتمع الإنساني . ففضى بذلك على نظام
الطوائف وأساليب التفرقة بين الطبقات في
الحقوق والواجبات . وفي ذلك يقول الله تعالى :
« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله
أتقاكم ، ويقول عليه السلام في خطبة الوداع
التي جعلها دستوراً للمسلمين من بعده وجمع فيها
أسس الدين الإسلامى : « أيها الناس : إن ربكم
واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم
من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس
لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا
لأحر على أبيض ، ولا لأبيض على أحر ؛ فضل
إلا بالقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد !
ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ويقول عمر

وحدث مرة أن عمر بن الخطاب في أيام خلافته رأى رجلاً وامرأة على فاحشة، لجمع الناس وقام فيهم خطيباً، وقال: « ما قولكم أيها الناس لو رأى أمير المؤمنين رجلاً وامرأة على فاحشة، فقام على وأجابه بقوله: « يأتى أمير المؤمنين بأربعة شهداء أو يجلد حد القذف، شأنه في ذلك شأن سائر المسلمين ». فسكت عمر ولم يعين شخصي المجرمين.

ولم يكتف الإسلام بتقرير المساواة بين الناس أمام القانون وفي الحقوق العامة السياسية وغيرها، بل عمل كذلك على تقرير أكبر قدر ممكن منها في الناحية الاقتصادية، وعلى تقليل الفروق بين طبقات الناس وتقرئها بعضها من بعض، وتحقيق الاشتراكية المعتدلة في أحسن صورها، واتخذ لذلك وسيلتين: إحداهما الميراث؛ والأخرى فرض ضرائب على الأغنياء. والإنفاق منها على الفقراء وعلى مرافق الدولة.

أما نظام الميراث في الإسلام فهو من أمثل النظم لتوزيع الثروات بين الناس. وذلك أنه يقسم التركة على عدد كبير من أقارب المتوفى، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ويحول من جهة أخرى دون تكسـد ثروات كبيرة في يد فئة محدودة من الناس، فيفضل هذا النظام الحكيم لا تلبث الثروات الكبيرة التي يتفق تجمعها في يد بعض الأفراد. أن تتوزع ملكيتها بعد بضعة أجيال على عدد كبير من الأنفس وتستحيل إلى ملكيات صغيرة.

وهذه هي أمثل طريقة لتقليل الفروق بين

ففضب النبي عليه السلام وقال: « طاف الصاع، طاف الصاع! ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح، فوضع أبو ذر خذه على الأرض، وقال للأسود: « قم فطأ على خدى،

وشكا يهودى على بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب في خلافته، فلما مثلاً بين يدي عمر، نظر عمر إلى على وقال له: « اجلس يا أبا الحسن، فظهرت آثار الغضب على وجهه على. فقال له عمر ما معناه: « أكرهت أن يكون خصمك يهودياً وأن تمثل وإياه أمام القضاء ». فقال على: « لا! ولكننى غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه إذ خاطبتني بكنتي، فقلت يا أبا الحسن، (والخطاب بالسكنية كان عندهم أسلوباً من أساليب التعظيم) وحدث مرة أن ولداً لعمر بن العاص ضرب رجلاً من دهماء القوم من المصريين ظالماً في همد ولاية أبيه على مصر، فأقسم المجنى عليه ليثكونه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. فقال له ما معناه: اذهب فلن يتألى ضرر من شكواك فأنا ابن الأكرمين، فبينما كان الخليفة مع خاصته وعمر بن العاص وابنه معهم في موسم الحج قدم هذا الرجل عليهم وقال مخاطباً عمر: « يا أمير المؤمنين إن هذا - وأشار إلى ابن عمرو - ضربني ظالماً، وقال اذهب فأنا ابن الأكرمين ». فنظر عمر إلى عمرو وقال له: « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً، ثم توجه إلى الشاكي وناولوه درته، وقال له: اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك،

وفرضها على الذهب والفضة وما في حكمها ،
وعلى الأنعام ومتيجاتها .

وبجانب هذه الضرائب المقررة أوجب الإسلام
النصدق على الفقراء في مناسبات كثيرة كعيد
الطر والحج ؛ وجعل التصدق على المساكين
أو لإطعامهم أو كسوتهم كفارة لعدد كبير من
الجرائم والخطايا التي يكثر حدوثها .

وفضلاً عن الضرائب المقررة والصدقات التي
تقدم للفقراء في المناسبات السابق ذكرها ، فقد
حبب الإسلام إلى الأغنياء التصدق بفضل
أموالهم على الفقراء ، وجعل هذا من أكبر
القرىات وأعظمها أجراً . فقال تعالى يمدح
المؤمنين : « وفي أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم » ، وقال : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا
من طيات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من
الأرض ولا تيمموا الخيـث منه تنفقون » ؛
« إن تبدا الصدقات فنعسها هي ، وإن تخفوها

وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من
سيئاتكم والله بما تعملون خبير » ؛ « الذين
يتفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية
فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يـحزنون » ؛ « لن تـألوا البر حتى تنفقوا بما تحبون
وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم » ؛ « والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فيشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار
جـهـنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
هـذا ما كنـزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم
تكـنـزون » . « مثل الذين ينفقون أموالهم في

طبقات الناس وتـهـريبها بعضها من بعض وتحقيق
الاشترآكية المعتدلة في أحسن صورها . ولحرص
الإسلام على الوصول إلى هذه الأغراض حظر
على الشخص أن يوصى بشيء من ماله لأحد
ورثته ، فقال عليه السلام : « لا وصية لوارث » ؛
وحظر عليه كذلك أن يوصى لغير ورثته بأكثر
من ثلث ماله . فإين من هذا النظام الحكيم نظم
أوروبا الحديثة التي ينقل بعضها جميع ثروة المتوفى
أو معظمها إلى البكر من أولاده ، ويدع بعضها
المالك حراً في أن يوصى بها لمن يشاء ! فتجمعت
من جراء ذلك ثروات ضخمة في يد أفراد
محدودين من الناس ، وأثار هذا حفظة الفقراء ،
وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت
المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة
الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا إلى معظم
الانقلابات والثورات العنيفة التي تعرضت لها
أوروبا في العصور الحديثة .

أما الوسيلة الثانية التي اتخذها الإسلام لتحقيق
أكبر قدر ممكن من المساواة في الحياة الاقتصادية ،
وهي فرض الضرائب على الأغنياء وصرف
ما يجبي منها لسد حاجات الفقراء وللإنفاق
على المرافق العامة ، فقد طبقها الإسلام في أوسع
نطاق ، فلم يفادر أية ناحية من نواحي الثروة
إلا فرض عليها نوعاً من الضريبة الثابتة أو
التصاعدية . ففرض الحـراج على العقار ، وفرض
العشر أو نصف العشر على ما تنتجه الأرض ،
وفرض الزكاة على جميع مظاهر الثروة الأخرى ؛
فرضها على عروض التجارة وما في حكمها ؛

وقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية والمالية، فجعل للمرأة الحق في أن تملك وتبيع وتشتري وتهب وتقبل الهبة وترهن وتوصى وتعتد باسمها العقود وتتصرف في مالها بسائر وجوه الأنصاف، بدون حاجة إلى إذن زوجها أو رضاه. وهذه المنزلة من المساواة لم يصل إلى مثلها بعد أحدث القوانين في أرق الأمم الديمقراطية الحديثة. لحالة المرأة في فرنسا مثلا كانت لا تزال إلى عهد قريب أشبه شيء بحالة الرق المدني.

فقد نزع منها القانون صفة الأهلية في كثير من الشؤون المدنية، كما تنص على ذلك المادة ٢١٧ من القانون المدني الفرنسي إذ تقرر أن « المرأة المتزوجة - حتى ولو كان زواجها قائما على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعموض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته

عليه موافقة كتابية » (١). ومع ما أدخل على هذه المادة بعد من قيود وتعديلات، فإن كثيراً من آثارها لا يزال ملازماً لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر. وتؤكد لهذا الرق المدني المفروض على المرأة المتزوجة

سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم. الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منها ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. »

وأوجب الإسلام على أهل كل حي أن يعيش بعضهم مع بعض في حالة تسكاف وتعاقد، يرق غنيهم لفقيرهم، ويسد شبعانهم حاجة جائعهم. فأكثر عليه الصلاة والسلام من الإيضاء بالجوار، حتى قال: « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع ». ويروي أن رجلاً كان عند عبد الله بن عباس و غلام له يذبح شاة، فقال ابن عباس: « يا غلام لا تنس جارنا اليهودي »، ثم عاد ففكرها ثانية وثالثة. فقال له الرجل: « كم تقول ذلك يا ابن عباس »؟ فقال: « والله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يوصينا بالجوار حتى ظننت أنه سيورثه، أي سيجعل له نصيباً مما نترك. »

وقد قضى الإسلام على مبدأ التفرقة بين الرجل والمرأة أمام القانون وفي الحقوق العامة، فجعل المرأة مساوية للرجل في هذه الشؤون، فأباح لها التعلم بمختلف أنواعه ومراحله، بل جعله فريضة عليها في الحدود الضرورية لها في شؤون دينها ودنياها، فقال عليه السلام: « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ». وأباح لها كذلك أن تطلع بمختلف الوظائف التي يمكنها الاضطلاع بها ولا تعارض مع واجباتها الأخرى ولا مع أوضاعها في الأسرة والمجتمع.

(1) Art. 517. La femme, même non commune ou séparée de biens, ne peut donner, aliéner, hypothéquer, acquérir à titre gratuit ou anéreau, sans le concours du mari dans l'acte, au son consentement par écrit.

أوسع كثيراً في الأوضاع الإسلامية من مسئولية المرأة ، فالرجل هو رب الأسرة وهو المكلف بالإتفاق على جميع أفرادها . على حين أن المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الإتفاق على نفسها . فنفقها واجبة على أيها أو ولي أمرها أو أقاربها ما دامت لم تزوج أو في غير عصمة زوج . ونفقها واجبة على زوجها ما دامت في عصمتها لا فرق في ذلك بين أن تكون فقيرة لا تستطيع الإتفاق أو غنية تستطيعه . ونفقها واجبة على بيت المال إن لم يكن لها زوج ولا عائل ، لا فرق في ذلك بين أن تكون قادرة على العمل والكسب أو غير قادرة عليه ، فكان من العدالة إذن أن يكون حظ الرجل من الميراث أكبر من حظ المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه التكاليف الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله وأعني منها المرأة ضمناً لسعادة الأسرة .

وإذا كان الإسلام لم يسو بينهما في الشهادة فجعل شهادة المرأتين معادلة لشهادة رجل واحد ، فما ذاك إلا لأن ناحية العاطفة في المرأة تظني أحياناً على ناحية إدراكها وتمتزج بعناصره ، فتغير كثيراً من صور ما أدركته من حيث لا تشعر هي بذلك ، فافتضت العدالة أن يتخذ شيء من الاحتياط حيال شهادتها . وإلى هذا يشير القرآن الكريم إذ يقول : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » . ٢

على عبد الواحد وافي

تقرر معظم قوانين الأمم الأوروبية ، أو يقضى عرفاً ، أن المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها ، فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان ، بل تحمل اسم زوجها وأسرته فتدعى : مدام فلان Madame un tel . أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرته . وفقدان الاسم رمز إلى فقدان الشخصية المدنية للمرأة واندماجها في شخصية الزوج ، ومن الغريب أن كثيراً من المتفرجات من سيداتنا يحاولن أن يتشبهن بالفرييات حتى في هذا النظام الجائر ، ويرفضن لأنفسهن هذه المنزلة الوضيعة فتسمى الواحدة منهن نفسها : مدام فلان ، أو تتبع اسمها باسم زوجها وأسرته ، بدلاً من أن تتبعه باسم أبيها وأسرته كما هو النظام الإسلامي . وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه المحاكاة العمياء . وأغرب من هذا كله أن اللاتي يحاكين هذه المحاكاة من المطالبات بحقوق النساء ومساواتهن بالرجال .

وإذا كان الإسلام لم يسو بين الرجل والمرأة في شئون الإشراف على البيت ومرافق الأسرة والوظائف العائلية والاجتماعية ، فخص كلا منهما بأمور حرم منها الآخر ، فقد كان ذلك لحكمة بالغة ، وهي مراعاة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له والعمل على صون المرأة من الابتذال . وفي هذا ضمان لصلاح المنزل والمجتمع وتحقيق لمبدأ توزيع العمل .

وإذا كان الإسلام لم يسو بينهما في الميراث ، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، فما ذاك إلا لأن مسئولية الرجل في الحياة من الناحية المادية وغيرها

الشيخ عبد الله الشرقاوى

الأستاذ محمد محمود الخفيف
سكرتير تحرير مجلة الأزهر

واضع ملياً وافض حق آفة طلبوا به زهراً وما جوا أبحراً
من كل بحر في الشريعة راعى ويريدك الخلق العظيم فغنموا
شوق

بالجاء ونعيم الحياة ، وتوهج مصابيحها في الليل
ولسكنها لا تكاد تضيء ما حولها . والناس
بين هذين المواطنين تجار وأصحاب حرف ، ليس
لهم جلال العلماء ، ولا أبهة الممالك . فأكثرهم
جهلاء مستضعفون .

وأقام المجاور الشرقاوى حيث يذكر اسم الله ،
تقع عيانه كل يوم على العلماء يتحلق الطلاب حولهم .
وأكبر الظن أن قصارى ما كان يمتد إليه أمله
هو أن يقدو شيخاً كهؤلاء الشيوخ . ولو قد
تكشفت حجب الغيب يومذاك لهذا الفتى الشرقاوى
عبد الله بن حجازى بن إبراهيم الذى ولد في بلدة
الطويلة في حدود ستة خمسين ومائة وألف
كما يقول الشيخ الجبرقى ، والذى حفظ القرآن
في قرية القرين ، لرأى أنه سوف يقدو في قومه
أول مصرى يجتمع في شخصه طرفا المدينة ؛ فهو
في غده شيخ الأزهر وهو في نفس الوقت رئيس
الديوان الوطنى الذى سوف يعينه بونا بارت ليعاون
الحاكم الفرنسى في حكم القاهرة !

• • •

بدت على الفتى الشرقاوى أمارات الذكاء

ترى ماذا كانت تحدته به نفسه حين قدم
إلى الأزهر مجاوراً قبيل الثلث الأخير من القرن
الثانى عشر للهجرة ؟ أكان يحس في نفسه
من الطموح ما يرجو معه أن يكون في غده شيخ
الشيوخ ؟

انتهت به رحلته الشاقة من بلدته الطويلة ،
إلى الجامع العتيق ، وحل الفتى القادم من الشرقية
بحى الأزهر ، كما يحمل الآلاف غيره من المجاورين
لا يكادون يعرفون من القاهرة إلا هذا الحى .
ولقد كانت القاهرة يومذاك موطنين ، يذكر
الناس في أحدهما اسم الله بكرة وعشياً وحين
يغدون وحين يروحون ؛ ولا يكاد يذكر اسم الله
في الآخر ذا كره... أما الأول فحيث يقوم الأزهر
في مدينة المعز ، وأما الثانى فحيث تقع بركة الأربكية
في حى الممالك . وكانت تتحلق حول الأزهر
مساكن المجاورين والعلماء ، عليها في النهار سيما
التنخشع والاستحياء ، وتضيئها في الليل كما تضيئ
المسجد مصابيح كاية ، ولكن من نورها نوراً
يفقد إلى أقطار الشرق . وكانت تدور بالبركة قصور
البكوات والأمراء تتألق في الضحى ، وتزخر

العلم ، كما ظل حريصاً على إفادة من يتحلقون حوله من المجاورين . وما تزال حلقاته تنسج سنة بعد سنة . وكان إذا فرغ من دروسه ومن العمل في مؤلفاته انقلب إلى الشيخ محمود الكردى ، إذ كان شديد الحرص على المشاركة في أذكاره فقد تلقن منه وواظب على مجالسته .

• وكان على حال من خشونة العيش وضيق ذات اليد فلا يطبخ في داره إلا نادراً ، وبعض معارفه يواسونه ويرسلون إليه الصفحة من الطعام .

ولكن خشونة العيش لا توهن عزيمته ولا تصرفه عن الدرس والتأليف في الفقه والتصوف ، وكذلك لا تصرفه مشاغل العلم عن شيخه الكردى ، حتى اشتهر في الناس صلاحه كما ارتفع بينهم ذكره . وأخذ يقدم إليه بعض محبيه من المصريين والشاميين الصلوات تخفت عليه خشونة العيش . ولما مات الشيخ الكردى كان الشرفاوى من جملة خلفائه وصار كثيرون من المجاورين الذين يتحلقون حوله في النهار يطلبون العلم ، يدورون به في الليل يذكرون الله .

هكذا عاش الشرفاوى حتى أواخر العقد السادس من عمره لا يكاد يخرج من مدينة المعز ، ولا شيء من صلة بينه وبين مدينة الماليك ، أو بينه وبين مصر كلها التي آل أمرها منذ سنة ١١٨٣ إلى على بك الكبير ثم إلى محاليكة من بعده : محمد أبى الذهب وإبراهيم ومراد . وماذا عسى أن يكون من صلة بين مواطن الحكم والسلطان ، وبين شيخ من شبوخ الأزهر ، يعكف

والجد ، وأقبل على أشياخه وكتبه ، لا يليه عن العلم عيب ، ولا يفته عن الجد ما عسى أن يفتن الشباب من زينة الدنيا ! وأنى له اللهو والزينة وهو حتى لو لم يكن له من دينه وخلقه وازع ، لا يكاد يجد قوته إلا في كثير من العصر ؟ وهل كان للأزهرى المجد إلا أن يُقبل على شيخه إذا انعدت حلقاته وأن يعكف على كتبه إذا انقضت الحلقة ؟

• سمع الكثير على الشهابين : الملوى والجوهري والحنفى وأخيه يوسف والدمهورى ، والبلبلى ، وعطية الأجهورى ومحمد الفاسى وعلى المنسفيسى الشهير بالصعيدى وعمر الطحلاوى . وسمع الموطأ فقط على على بن العربى الشهير بالسقاط ، هذا ما يذكره الشيخ الجبرقى عن بعض ما حصل معاصره وزميله الشرفاوى من العلم .

وأراد الشرفاوى السلوك في طريق من الطرق الصوفية على عادة أكثر الشيوخ في ذلك العهد ، يقول الجبرقى : « ولما أراد السلوك في طريق الخلوتية ولقنه الشيخ الحنفى الاسم الأول حصل له ولته واختلال في عقله ، ومكث بالماريستان أياماً ثم شفى ولازم الإقراء والإفادة . »

ولكن ذلك لم يحمل بينه وبين العلم ، وما لبث المجاور عبد الله بن حجازى أن أصبح عالماً بين العلماء . ونُسب اسم الشرفاوى وذهب له صيت • ودرس الدروس بالجامع الأزهر وبمدرسة السنانية بالصناديقية وبرواق الجبرت والعليرسية وأقى في مذهبه وتميز في الإلقاء والتحرير .

وظل الشيخ الشرفاوى مجدداً يطلب المزيد من

على الدرس طيلة نهاره ، ويقوم ليله إلا قليلا
يعبد الله ؟

في سنة ١٢٠٨ مات الشيخ أحمد العروسى
شيخ الأزهر ، وأشيع في أهل الأزهر تارة أن
المشيخة بعده للشيخ مصطفى الصاوى ، وأشيع
تارة أخرى أنها للشيخ عبد الله الشرقاوى ،
وما زالت الشائعات تختلف قوة وضعفا حتى
جاء اليقين ، فإذا بالشرقاوى يغدو شيخاً للأزهر
فزاد في تكبير عمامته وقد ظمها حتى كان
يضرِبُ بعظمها المثل .

ولكن ما لبث أن اشتد الخلاف بين الصاوى
والشرقاوى على أمر غير المشيخة وشايع كلا منهما
فريق من الشيوخ . ولقد كانت للصاوى منزلة
عظيمة عند العروسى وظلت له عند خلصائه .
وكان ما تنازع عليه الشيخان دوساً يؤدي بعد
صلاة العصر بالمدرسة الصلاحية المجاورة لضريح
الإمام الشافعى . وكان العرف أن يلقى هذا
الدرس شيخ الأزهر . وكان لهذه الوظيفة معلوم ؛
وحدث أن تركها العروسى لشيخ ضرر نازعه
عليها ، وكان يرى أنه أحق بالمشيخة منه ، هو
الشيخ محمد المصلى . ولما مات المصلى جلس
فيها الصاوى ، وظل الصاوى يلقى الدرس بعد
أن آلت المشيخة إلى الشرقاوى ؛ ولكن بعض
أصحاب الشرقاوى ما زالوا يوسوسون له أن
مشيخته لا تتم إلا بها حتى ركن إليهم . ثم إنه
ذهب في جمع منهم وألقى الدرس بدلا من الصاوى

واستعان الصاوى بكتخدا إبراهيم بك الكبير ،
وجمع له جمعا من العلماء وذهبوا إلى الشرقاوى
في بيته فنزل عنها للصاوى بعد أن أشهد الجميع
على أنها استحقاقه . ولم يرض الصاوى هذا
الكلام فأغاظ له وعاب عليه انقياده لمن حوله .
ولقد توحى هذه الرواية بأن في الشرقاوى
ضعفا . وبخاصة إذا زدنا عليها أنه حين آلت إليه
بعد موت الصاوى عمل بعض ذوى الكيد على
إخراجه منها فشكوا من شدته في طلب المعلوم
إلى الباشا ، وهو والى العثماني ، ووشوا عنده
بوشايات أخرى ، حتى حمله الباشا على أن ينيب
فيها بعض الفقهاء .

ولكن للشرقاوى من مواقف القوة فيما نقصه
من سيرته ، ما ترجح معه أنه إنما خشي الحرج
من اتهامه بالحرص على معلوم الوظيفة فلان
للصاوى ولأن الباشا .

وما عهدنا الشرقاوى بعد ذلك يلين في موقف
من مواقف الحق ، بل لقد عهدناه يزداد قوة
كلما تجبر أولو القوة .

حدث في السنة الثانية من مشيخته ، أن أهل
قرية من الشرقية كان للشيخ بها حصّة شكوا من
تقصير مالك الألفى واستعانوا بالشيخ ؛ فأنصل
الشرقاوى بإبراهيم بك ومراد بك فلم يفعلوا
شيئاً ، فما كان من الشيخ إلا أن أغلق الجامع
الأزهر ، وأمر الناس فأغلقوا الأسواق
والخوانيت ، وركب في طائفة من المشايخ نحو
مقر المالك وتبعهم خلق كثير من أهل القاهرة

الشرقاوى إلى كتبه وحلقات دروسه وحلقات
ذكره ...

في اليوم العاشر من المحرم سنة ثلاث عشرة
ومائتين وألف، ورد إلى القاهرة من الإسكندرية
أن سفنا فرنسية رست بالشاطئ، لا أول لها
يعرف ولا آخر يوصف.

ماذا يصنع إبراهيم ومراد؟ وماذا يصنع الباشا
العثماني؟ وماذا يقول أهل القاهرة؟ هل شعروا
أن صفحة تفتح في تاريخهم القومي؟ إنهم يتطلعون
إلى العلماء منذ أن جاءهم تلك الأنباء، وهل كانوا
ليتطلعون إلى مراد وإبراهيم؟

وزحف نابليون إلى القاهرة زحفه، وقد أخذ
الماليك بمداغته ومربعاته، وأعد لأهل مصر
ادعائه ومنشوراته، وفر مراد إلى الصعيد،
وهرب إبراهيم إلى الشام، وكان مع إبراهيم
الباشا العثماني والسيد عمر مكرم نقيب الأشراف
وكثير من العلماء منهم السادات والشرقاوى.

ولبت بونايرت في مقر قيادته بالجيزة، واهتدى
الناس إلى مقر قيادتهم في الأزهر... وتشاور
العلماء فسلموا المدينة المزلاء للفاتح الغالب،
وحل نابليون بالأزبكية، ولئن خلت المدينة
حين دخلها من مظاهر الغضب، فإن في كل قلب
من قلوب أهلها غصبة.

فهل اطمأن نابليون وقد فر المالك من
وجهه؟ كلا إنه يوحس في نفسه خيفة؛ إنه يخاف
من الأزهر الأعزل، وإن لم يعد يخاف من
مراد وإبراهيم.

ومن بعض القرى عن ضاقوا بجور هؤلاء المالك.
فلما صاروا بحيت يراهم إبراهيم بك هاله جمعهم،
فأرسل إليهم أيوب بك الدفتردار فقال العلماء:

« نريد العدل ورفع الظلم والجور وإقامة الشرع
وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعوها،
فأجاب الدفتردار إن المالك إن فعلوا ذلك
« ضاقت عليهم المعاش، فقال العلماء: « ليس
هذا يعذر عند الله ولا عند الناس، وما الباعث
على الإكثار من النفقات وشراء المالك، والامير
يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ، « وانصرف
الدفتردار ولم يعد لهم بجواب، فعاد الشيخ ومعه
العلماء إلى الأزهر واجتمع أهل الاطراف
والرعية وباتوا بالمسجد... ومعنى ذلك أن
القاهرة باتت تتحفز لوثبة!

وخشى إبراهيم العاقبة ونصح لمراد بالصلح،
وأذن مراد واستعان ببعض الشيوخ ليصلحوا
بينه وبين الشيخ الأكبر، وجاء الباشا نفسه إلى
بيت إبراهيم واجتمع هناك بالأمراء، وجاء العلماء
يحيطون بالشرقاوى شيخ الأزهر. ودار الكلام
بينهم وطال الحديث وانحط الأمر على أنهم تابوا
ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء عليهم وانعقد
الصلح... وكان من شروط هذا الصلح
« أن يكفوا أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى أموال
الناس... ويسيروا في الناس سيرة حسنة،
وأرسلت هذه الشروط إلى مراد بك عظم عليها
« وانجلت الفتنة ورجع المشايخ وحول كل واحد
منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة وهم
يتادون حسب ما رسم سادات العلماء، وعاد

الشرقاوى واستغفائه أكثر من خمسين يوما، ولم تنفع
بونابرت إدعاءاته ولم تجده حفلاته، وتبين له أنه
كان مخفا فيما يوجس من خيفة، وأن الدزل
جديرون بأن يزججوه، وأن الأزهر لم يكن
مسجدا لحسب، وإنما هو مسجد وحصن
ومقر قيادة....

وقلت القاهرة ديوى حاكها العسكري ونحو
ماتين من رجاله وبعض الضباط والمهندسين،
واستشهد من أهلها نحو أربعة آلاف، وقد ساء
بونابرت مدافعه عليها وصوبها أكثر ما صوب
نحو الأزهر حيث كانت تجتمع لجنة الثورة. ثم
أرغمت للدفاع المدينة على السكوت ولكن
إلى حين. وأقبل بونابرت في جنده فدخل الجامع
بركبانه ومشاته وتفرقوا بصحنه ومقصورته
وربطوا خيولهم بقبلته، وعانوا بالاروقه
والخارات وكسروا القناديل والسهارات وهشموا
خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا
ما وجدوه من المتاع والاوزان والقصاع،
والودائع والمخبات بالدواليب والخزانات،
ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض
طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وكسروا
أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه.

واختتم بونابرت للأساءه بأن أعدم ستة من خيرة
العلماء رميا بالرصاص في القلعة فصعدت أرواحهم
إلى بارئها راضية مرضية.

رحل بونابرت عن مصر خفية بعد نحو عشرة
أشهر، وخلفه على قيادة الحملة كايبر وظلت

وماذا يصنع بعد منشوره الشعب، ذلك الذى
افتتحه باسم الله ثم أعلن فيه احترامه للإسلام
وعداه للبابا؟ إنه يريد أن يجتنب أهل مصر
بشيء حرموا منه قرونا، وذلك أن يشهرهم بأن
حكم مصر قد أصبح فى أيدي نفر من بنيها.
وألف نابليون ديوان القاهرة من تسعة من العلماء
اختاروا الشرقاوى رئيساً لهم. وقد عاد كما عاد
السادات، وأسند إلى الديوان حكم مدينة القاهرة،
كما ألف الديوان العلم من العلماء وأعيان العاصمة
والأقاليم واختير الشرقاوى كذلك رئيساً له.

وهل كان لشيخ الأزهر أن يعز بغير مشيخته؟
وهل أذعن الشرقاوى حقاً وأصحابه للفرنسيين؟
دعاهم بونابرت ذات يوم يريد أن يكرمهم كما
زعم. وهو إنما أراد أن يلو أنفسهم، فلما اطمأن
بهم المجلس نهض فأثبت الشارة الفرنسية على كتف
الشرقاوى؛ ولكن ما كان أشد دهشة نابليون حين
نظر إلى الشيخ فإذا به يتزع الشارة فى عنف
ويلقى بها بين قدميه! واستعنى وتغير مزاجه
وانتقم لونه واحتد طبعه، ولم تجد إغراء الترجمان
إياه وإخوانه؛ واغتاظ بونابرت وقال محتداً:
إن هذا لا يصلح رئيساً للديوان. وخرج
الشرقاوى وصحابته ولم يتكلم. وأى كلام أبلغ
من إلقائه بالشارة الفرنسية إلى الأرض فى وجه
نابليون؟ إنه يقول للقائد الغالب إن كنت
ملكك رقابنا بسيفك فإنك لن تملك قلوبنا،
وإن كنت لم تر حتى اليوم ثورة فى القاهرة فإن
فى كل قلب من قلوب أهلها ثورة.

ونارت القاهرة ثورتها ولم يمس على غضبه

وفي العلماء ففشطوا في البحث عن أدلة يأخذونه بها ، وكانوا لا يفتأون يسألون المتهمين من الأزهريين ألم يعلموا بأن الحلبي كان يبيت بمنزل شيخ الأزهر . ولكنهم عجزوا عن إدانته فأطلقوه ... ولقد استبعد نابليون فيما أثبتته في مذكراته بعد ذلك بسنوات أن يجهل علماء الأزهر كيف دبرت هذه المؤامرة . ثم إن الفرنسيين شددوا الرقابة على الأزهر حتى ضاق بهم شيخه فقرر لإغلاق أبوابه وظلت مغلقة حتى خرجت الحملة من مصر ...

خلف « مينو » كليبر ، وظلت للشرقاوى شيخ الأزهر رئاسة الديوان . ونشطت انجذارة في العمل على إخراج الفرنسيين من مصر ، ونزلت قواتهم بالإسكندرية ، وخاف مينو أن تعود القاهرة إلى الثورة فأذّر أعضاء الديوان بطشه ، وحملهم تبعه أية حركة . ثم إنه ما لبث أن ألقى القبض على الشرقاوى وثلاثة من الأعضاء وسجنهم بالقلعة . يقول الشرقاوى في كتابه « تحفة الناظرين » ، « وقد حبسونا في القلعة مع إخواننا العلماء خوفاً من قيام أهل البلد عليهم كما وقع منهم سابقاً فسكننا بالقلعة مائة يوم » .

وخرجت الحملة من مصر في أوائل سنة ست عشرة ومائتين وألف ، وخرج الشرقاوى من سجنه وهو يومذاك شيخ الأزهر ليس غير . وطال النزاع بين العثمانيين والماليك ، إلى أن ظهرت على مسرح الحوادث شخصية ليس مثلها في الشخصيات ، ونظر الشعب الحائر الذي أرهقه طول الاضطراب

للشرقاوى رئاسة الديوان في عهده ، وثارث القاهرة ثورتها الثانية على الفرنسيين ، وكانت قيادة الثورة هذه المرة لغير العلماء من أمثال السيد عمر مكرم والسيد المحرقى .

وكان أعظم مراكزها في بولاق . وكان للأزهر نصيبه في الجهاد والاستشهاد ، واستمرت الثورة أكثر من شهر . وعظمت مقاومة الشعب بقدر ما عظم هول الحوادث . وكان مع الشعب عدد من العثمانيين كانوا تسلموا إلى القاهرة . وأمنن الفرنسيون في القتل والتدمير ، وجرى على الناس ما لا يسطر في كتاب ولم يكن لأحد في حساب ... منها عدم النوم ليلاً ونهاراً ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الآفوات ... وغلبة الجلاء على العقلاء وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العصابة ، ولغط الخرافيش ، .

وأرسل كليبر إلى المدينة يطلب وفداً من العلماء ليكونوا رسله إلى الشعب ، وذهب الشرقاوى والمهدى والسرسى والفيومى ، وحصلوا على شروط للصلح « فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الإنكشارية والناس قاموا عليهم وسبواهم وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرسى » .

وما زالت المدينة تصلى نار الفرنسيين حتى أرغمت ثانية على التسليم ، وفر عمر مكرم ، وعذب السادات وأهين ، ولكن الأزهر انتقم ، فقد تسلسل أزهرى حلي إلى حيث يقم كليبر بالأزبكية فقتله بخنجره !

واستدعى للمحاكمة فيمن استدعوا الشرقاوى ، شيخ الأزهر ، وقد كان الفرنسيون يرتابون فيه

وتكلم أحد مستشارى الباشا قائلاً : « إن حصص كثير من المشايخ مرفوع ما عليها من المغارم ويرجع تميم القرامة على حصص الشركاء ، وهنا احتد الشيخ وقال له : أنت رجل سوء ، يقول الجبرقى ، وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين وزاد فيهم الصياح فقام الباشا من المجلس وتركهم وذهب بعيداً عنهم . »

وفى يوم الخميس وهو الثانى من شهر شوال سنة سبع وعشرين ومائتين وألف ، مات الشيخ عبد الله الشرقاوى وصلى عليه بالأزهر فى جمع كثير . قال الجبرقى « مات الشيخ الإمام العلامة والتحرير الفهامة الفقيه الأصولى النحوى شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ عبد الله بن حجازى ابن إبراهيم الشافعى الأزهرى الشهير بالشرقاوى ، وقال يصف عليه « وله مؤلفات دالة على ممة فضله ، من ذلك حاشيته على التحرير ، وشرح نظم يحيى العمريطى ، وشرح العقائد المشرقية والمأن له أيضاً ، وشرح مختصر فى العقائد والفقه والتصوف مشهور فى بلاد داغستان ، وشرح رسالة عبد الفتاح العادلى فى العقائد ، ومختصر الشرائع وشرحه له ، ورسالة فى « لا إله إلا الله » ورسالة فى مسألة أصولية فى جمع الجوامع وشرح الحكم ، والوصايا السكرية فى التصوف ، وشرح ورد سحر للبكرى ، ومختصر المغنى فى النحو وغير ذلك . »

رسم الله الإمام الشرقاوى وجعل لنا فى أعماله أسوة وفى سيرته قدوة ؟

محمد الحقيف

فإذا به يحس أن نجاته من القوضى هى أن يلتف حول هذه الشخصية ... ومن ثم أقبل شعب القاهرة وفى مقدمته العلماء على محمد على .

وكانت عبقرية محمد على تفتح أكامها وكان القدر يهبه لأن يجعل من هذا البلد الذى تمزقه القوضى دولة قوية ناهضة تضاف الى الدول الحديثة .

وفى مستهل شهر صفر من سنة عشرين ومائتين وألف ، قصد حشد كبير من الناس إلى منزل محمد على قبايعوه والياً على مصر ، لا نرضى إلا بك وتكون والياً علينا بشروطنا لما تتوسم فيك من الخير والعدالة ، وأعلنوا إليه عزمهم على عزل خسرو باشا ، وتقديم الشرقاوى ، والسيد عمر مكرم وقد أحضرا « كركا ، وعليه قفطان فألبساه إياه ... »

وظل الشرقاوى عند الباشا بعد أن تم له الأمر فى مصر وهو مكين أمين ، إلى أن وثى به السيد عمر وبعض العلماء فأرسل إليه الباشا يأوره فى السابع من شهر رجب سنة لأحدى وعشرين ومائتين وألف يأمره « بلزوم داره لا يخرج منها ولا إلى صلاة الجمعة ، على أن القاضى ما لبث أن شفع له عند الباشا فى شهر شعبان فقبل الباشا شفاعته وأصلح القاضى بين الشرقاوى وخصومه .

وعادت للشرقاوى مكانته وظل مهيباً فى الناس موفور الجلالة على الرغم مما كان يكيد له السيد عمر مكرم . وفى سنة خمس وعشرين ومائتين وألف ، أوشك أن يغضب الباشا عليه مرة أخرى فقد جمع الباشا العلماء والأعيان ذات يوم ليعينوه على جمع ما تطلبه إصلاحاته من المال ،

فِي الْفَلَسِيفَةِ وَالْعِلْمِ

أَرْقَةُ الضَّمِيرِ الدِّينِيِّ

للدكتور محمد البهي

١ - الضمير الديني في الفرد هو القوة النفسية التي تدفع الإنسان إلى سلوك معين في اتجاه خاص.

ويعتمد تكونها في نفس الإنسان على امتلاء نفسه بوجود الله في السكون وعظمته في خلقه ، وقدرته بين عبادته ، ورحمته ورضاه عن المؤمنين به . وكلما امتلأت نفس الإنسان بوجود الله وتمثل لها الله في كل شيء في الحياة ، التزمت السير وفق خطة الدين ومنهج الوحي الإلهي .

ونفس الإنسان إذ تمثل الله في كل شيء في الوجود لا يعني ذلك أنها لا بد أن تعتقد بحلوله أو باتحاده بكائنات هذا الوجود ، بل معناه أنها ترقب يقظته وهيمته في كل وقت وأن ، حتى لكان وجوده ملازم لنظرات الإنسان ، أو حتى لا تسكاد ترى النفس في الوجود شيئاً سواه ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم

والضمير الديني محتاج في تكوينه في نفس الإنسان ثم في تزايد ونمائه فيها إلى أن تثار عاطفته الدينية أو ما تسمى بفرزة الدين في الإنسان ، كما أنه محتاج في عمله ودفعه الإنسان إلى السير في طريق الدين ، إلى التوجيه السليم وإدانة توجيهه على نحو يكفل لصاحبه عدم الانحراف في السير .

فابقاظ العاطفة الدينية وتوجيهها توجيهاً سليماً أمران ضروريان في سلوك الإنسان وفق تعاليم النزيل ووصايا الشرائع السماوية .

هذا في الفرد أما في الجماعة فضميرها الديني هو قوتها الذاتية التي تدفع أكرهيتها إلى العمل الصالح ، وإلى التأخي في سبيل الله ، والتعاون على البر والتقوى . ويتبع الضمير فيها قوة وضعفاً ورقابة الموجه العام للجماعة ، والتربية القومية ومقدار العناية بها أو إهمال شأنها .

والظاهرة التي توضح وجود الضمير الديني في الفرد أو الجماعة هي سيطرة الخشية من الله في الفرد والجماعة . وليس هنا مجال الحديث في فضل هذا الضمير ووجوده في نفوس الأفراد وبين طبقات الجماعة المختلفة . فإن من الشواهد الجلية على فضل وجوده قلة وقوع الأحداث المتأفة لمبادئ الخلق الحسن في سلوك الأفراد ، والأخرى التي من شأنها أن تضعف كيان الجماعة في الأعمال العامة .

والضمير الديني محتاج في تكوينه في نفس الإنسان ثم في تزايد ونمائه فيها إلى أن تثار عاطفته الدينية أو ما تسمى بفرزة الدين في الإنسان ، كما أنه محتاج في عمله ودفعه الإنسان إلى السير في طريق الدين ، إلى التوجيه السليم وإدانة توجيهه على نحو يكفل لصاحبه عدم الانحراف في السير .

فابقاظ العاطفة الدينية وتوجيهها توجيهاً سليماً أمران ضروريان في سلوك الإنسان وفق تعاليم النزيل ووصايا الشرائع السماوية .

هذا في الفرد أما في الجماعة فضميرها الديني هو قوتها الذاتية التي تدفع أكرهيتها إلى العمل الصالح ، وإلى التأخي في سبيل الله ، والتعاون على البر والتقوى . ويتبع الضمير فيها قوة وضعفاً ورقابة الموجه العام للجماعة ، والتربية القومية ومقدار العناية بها أو إهمال شأنها .

والظاهرة التي توضح وجود الضمير الديني في الفرد أو الجماعة هي سيطرة الخشية من الله في الفرد والجماعة . وليس هنا مجال الحديث في فضل هذا الضمير ووجوده في نفوس الأفراد وبين طبقات الجماعة المختلفة . فإن من الشواهد الجلية على فضل وجوده قلة وقوع الأحداث المتأفة لمبادئ الخلق الحسن في سلوك الأفراد ، والأخرى التي من شأنها أن تضعف كيان الجماعة في الأعمال العامة .

والضمير الديني محتاج في تكوينه في نفس الإنسان ثم في تزايد ونمائه فيها إلى أن تثار عاطفته الدينية أو ما تسمى بفرزة الدين في الإنسان ، كما أنه محتاج في عمله ودفعه الإنسان إلى السير في طريق الدين ، إلى التوجيه السليم وإدانة توجيهه على نحو يكفل لصاحبه عدم الانحراف في السير .

أصاب النصر في الحرب لا يفتأ يذكر الرأي العام العالمي بالقدره للمادية وأثرها في إنهاء الحرب وصيانة السلم . لأنه كان الطرف المنتصر فإنه يعطى لنفسه الحق في أن يرسم علاقات الأمم بعضها ببعض ، وهي علاقات تقوم في الأغلب على وصايته على غيره من الشعوب والتدخل من آونة إلى أخرى فيما يسمونه حق صيانة السلم العالمي .

فأمر العالم أثناء الحروب الكبرى يدور إذن في إطار القوة والغلبة ، ويسير فيما ترسمه القوة أيضاً من توجيه وفيما تخطه للإنسانية من طريق ، وما تفضيه أمامها من أهداف .

ومن شأن انجذاب العالم أفراداً وجماعات إلى القوة وخضوعه إلى آرائها وسياستها - أن يتأثر الدعاة والمربون وقادة الرأي تأثراً سلبياً ، وأن يتأرجح تبعاً لذلك شأن الضمير الديني وينحرف وزن القيم الأخلاقية الفردية والجماعية . إذ أن إغراء للمادة المثل في شتى مظاهر القوة المادية قلما يفلت منه واحد من هؤلاء .

رجل الدعوة حين نشاطه الروحي ، وإذا تحدث عن دعوة الدين لحديث المحترف لا حديث الذي امتلأ قلبه إيماناً بها . لأن قوة المادة وبريق الحضارة المادية قلما يتركان في نشاطه الذهني فراغاً لاستقرار المثل العليا والقيم الرفيعة . فهو

متدفع في تيار الحضارة الزاهية ، ولذا يتخذ من تعاليم الدين ومن الحديث عن وصايا مهتة وسيلة يصل بها إلى مستوى في عيشته ترسمه له أحوال بيته وجماعته شأنه في ذلك شأن الطبيب أو رجل الجيش ، يتخذ كلاهما من فنه في ظروف سيطرة

٢ - وإذا كان الأثر الإيجابي للضمير الديني في حياة الأفراد والامة متوقفاً على أن يكون قوياً وذلك باستمرار إثارة العاطفة الدينية في الأفراد وتقوية معنى المشاركة الوجدانية في الجماعة - فإنه بالعكس إذا ضعف عامل الإثارة أو أهمل شأن المشاركة الوجدانية ضعف الضمير الديني وضعفت بالتالي آثاره في الحياة الخاصة والعامة .

ويصل أمر هذا الضمير الديني إلى أزمة إذا لم يستطع الدعاة وقادة التوجيه وهم المربون وأصحاب الرأي في الجماعة أن يقوموا بوظيفة الدعوة وبآداء واجب التوجيه الصحيح وهو ذلك التوجيه الذي يقوم على تقدير الفضيلة الفردية والجماعية ويرفع من شأن القيم المعنوية في محيط الإنسان وأمته . والدعاة لا يستطيعون القيام بوظيفة الدعوة الدينية إما لأنهم لا يحملونها ويحترفون بها فقط ، وإما لأنهم لا يفقهون أمرها ولا الوسيلة النفسية لإبرازها وحمل الناس على اتباعها .

والمربون وأصحاب الرأي في الجماعة يعجزون عن التوجيه الصحيح إذا وهن إيمانهم بالفضيلة الفردية والجماعية ، وذلك إذا غلب عليهم زخرف الحياة المادية وطغت عليهم موجة التوجيه المادي .

والحروب العالمية من أوضح آثارها أمران : إدلال المنتصر بما أحرزه على خصمه من نصر مادي ، وانزواء المهزوم في نفسه وميله إلى العزلة سواء في الحديث وإبداء الرأي أو في السعي إلى المحافظة على بقائه الخاص . والطرف الذي

من واقع الأمر بعد أى حرب عالمية .
وهنا تنعكس الدولة ويسود الأمر فيها ما يشبه
الفوضى ، كما يسود حال الأفراد ما يشبه التحلل
من قيود الأخلاق والعادات . وليس من المدين
على المصلح أن يسير خطوة فى إصلاح دون أن
يلقى عقبات ، وليس من اليسير على الداعى إلى
الله - إن وجد هذا الداعى عن إيمان بدعوته -
أن يجمع حوله الناس دون أن يستهدف لظرة
فاجرة أو يسمع كلمة مؤذية .

* * *

٣ - ومع ذلك فكثيراً ما يردد اسم الدين
بعد الحرب ، وكثيراً أيضاً ما يرتفع صوته
ونداؤه ، ليس من رجال الدين فقط ولكن
من الساسة ورجال الفكر والعلم كملاج لحال
الفوضى فى الجماعة وحال التحلل الخلقي فى
الأفراد . ويدعو رجال السياسة والفكر والعلم
إلى الدين رغبة منهم فى إيقاظ الضمير الدينى من
جديد وعملاً على عودة الجماعة والأفراد إلى حال
ما قبل الحرب وهى حال الشعور بالله وبالأخوة
والإنسانية .

وكثيراً ما تكون دعوة رجال الفكر والفلسفة
إلى الدين والاستعانة به أقوى وأوضح من دعوة
غيرهم ، بالرغم مما يكون لذلك من أثر غير إيجابى
على مدارسهم الفلسفية والعلمية ، وهم يعترفون
صراحة بمجز هذه المدارس عن أن ترجع
بالإنسانية المضطربة الفلقة بعد الحروب العالمية
إلى حال الاستقرار الأول ، وعن أن تعود

القوة المادية مهنة وحرقة يصل بها إلى هدفه
فى الحياة ، وهو هدف قلما تتمثل فيه إنسانية
الطيب وشجاعة المدافع .

والمرتب وصاحب الرأى ليس كلاهما أشد صلابة
من رجل الدعوة الدينية أمام زحف القوة المادية
أثناء الحرب العالمية وبعدها ، فترية المرتب تصبح
صنعة وليست فناً فيه الصبر والمتعة ، وإبداء
صاحب الرأى رأيه يخضع فيه للملابسات الحلال
الراهنه ، ولا يصدر فى توجيهه عن تأمل دقيق
ووزن محكم للأمر ، بغض النظر عما يدور فى
محيطه من مؤثرات وإغراء ، ومن هنا تتجلى
أزمة الضمير الدينى عقب الحروب العالمية ،
بعد أن تضمحل قوته أثناءها . وآية هذه الأزمة
استهتار الأفراد بعد الحرب بالقيم والفضائل ،
وكثرة الجرائم الخلقية والجماعية فى الأعمال
العامة وفى تدبير أمور الجماعة وفى تصريف
مسائل الشعوب .

فالتقاليد تنهك ، وحرمان الأفراد لحدود
لها ، وشعور الأخوة فى الجماعة لا يكاد يوجد ،
وأمر الدولة ومرافقها العامة أمر مباح لمن يده
تصريف شئونها . وتسيطر على الناس روح
الانفرادية بمعناها الواسع : الاعتبار الشخصى
أساس التقدير والحكم ، والمنفعة الخاصة أساس
العمل والسلوك . ووراء هذه المنفعة الخاصة أمر
الدولة والجماعة وشئونها العليا . وإذا تفشت
الانفرادية تعددت المذاهب والآراء ، وهى على
تعددتها لا تتجاوز الأهداف المادية لأن ذلك

وأن ضعف رجال الدعوة الدينية وضعف أصحاب الرأي والتوجيه في الأمة يؤثر على كيان الضمير الديني ، وإن الحروب العالمية وما يعقبها من فترات القلق والاضطراب لم تميز رجلا الدعوة في إيمانه بما يدعو إليه ، وصاحب الرأي فيما يقود به أمته وجماعته .

وأن فترات ما بعد الحرب فترات تصارع فيها الآراء الإنسانية والمذاهب الفلسفية كما تشيع فيها الأفراد إلى شيع وتنقسم إلى طوائف في الرأي ، وكلهم يغلب عليهم طابع الانفرادية واتجاه النفعية . ليس من السهل على القائم على شأن الدعوة الدينية أن يوجه دعائه إلى دعوة الناس إليها ، ويرتقب من دعوتهم عملا إيجابيا ، إذ عليه قبل ذلك أن يخلق منهم أو من غيرهم جيلا يعرف الحد بين سلطان القوة المادية التي ظهر طغيانها بعد الحرب وبين الاقتناع بالمثل والقيم والفضائل وأثرها في طمأنينة الأفراد واستقرار الجماعات . وليس من السهل على الموجه العام ، وهو المصلح والمدير لشئون الجماعة أن يقود جماعته إلى المبادئ العامة ويحمل الأفراد على الحد من الاستهتار بالمصالح العليا ، إذ عليه أن يصبر في جهاده ولا يستهين بالعقبات في طريق كفاحه وهو شاق طويل ، لكنه الطريق المتعين لاستقرار الأمة وصلاحها .

محمد البهي

بالفرد إلى اطمئنان النفس الذي يرجع إلى حد كبير إلى إيمانه بالجزاء الآخري .

هؤلاء الملاسفة والمفكرون الذين يدعون دعوة قوية إلى التسك بالدين والإيمان بالله بعد الحروب العالمية يتخذون من الفترات الطويلة التي تعقبها والتي يتزايد فيها القلق ويشيع فيها الخوف وعدم الأمن - آية على عجز الفلسفة بعد أن تهيأت لها الفرصة وأفسح المجال لنشر آرائها ومذاهبها وأسند لأصحابها زمام الأمور ؛ ففاعة الحروب هم أصحاب فلسفة ، ورجال السلام بعد هذه الحروب أصحاب فلسفة ، وأرباب الموائيق والعهود في ربط الأمم والشعوب أصحاب فلسفة .

٤ - إن الإنسان كي يطمئن في الحياة ، ويقنع بالوجود ، وينتج في العمل ، ويؤاخى في السلوك ، في حاجة إلى الضمير الديني . وأن الجماعة الإنسانية أو الدولة كي تنجو من الفوضى ، وتستند في مواجهة الصعاب الخارجية إلى لبنات قوية ، وتسير قدما نحو حياة جماعية رغدة ، في حاجة إلى الضمير الديني .

وأن الضمير الديني استمداد في طبيعة الفرد والجماعة ، وأن الدعوة إلى الله وإقناع الناس بالسير في طريق الله من عوامل تكوينه وخلقه ، كما أن الاستمرار في إرشادهم إلى هدى الله من أسباب زيادته ونمائه .

المذهب المادى فى العصر الحاضر

للككتور أحمد قزوانى

أستاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب جامعة فزاد الأول

ففى لما طولا وعرضا ووزنا وحجبا . ويعتقد الإنسان فى وجود هذه الأجسام خارجة عنا ، ومستقلة عن أنفسنا ، وسابقة على إدراكنا لها بالحواس ، ويسمى هذا الضرب من الوجود « موضوعيا » ، بالإضافة إلى ذاتنا أو وجودنا « الذاتى » . فهذه الشجرة ، وهذا الباب ، لها وجود فى ذاتها ، سواء أدركتها أم لم أدركها ، وسواء كنت على قيد الحياة أم انقضت حياتى ، على خلاف جماعة من المثاليين الذين يذهبون إلى القول بأن وجود الأشياء لا يكون إلا فى الأذهان العاقلة .

هذه هى النظرة العامة فى الاعتقاد بوجود المادة ، وفى إقامة مذهب المادية على أساسها . وهناك مصدر آخر خلاف وجود الأشياء الخارجية بإزاء أنفسنا ، يجعلنا نعتقد فى وجود المادة ، ويفضى بنسبنا بعد ذلك إلى تصور مذهب مادى ، أو ثنائى ، أو روحانى . وذلك المصدر مستمد من أنفسنا . فنحن مركبون من بدن ونفس ، من جسم وروح ، وبدننا النظر اليسير على الاختلاف العظيم بين هذين الجوهرين ؛ فالبدن من عالم المادة ، لأنه يمتاز بالخصائص المعروفة للأجسام ، أما النفس أو الروح أو كما يسميها بعض الفلاسفة العقل ، فإنها من عالم آخر يختلف فى خصائصه عن المادة ، إذ لا توجد فى مكان ، وليس لها طول

من سمات التفكير الشائع فى الشرق هذه الأيام « المادية » - نعى المذهب المادى - حتى لقد سرى هذا الاصطلاح إلى لغة الصحف والمجلات والأحاديث والمحاضرات ، والناس متقسمون فى أمرها إلى مؤيد ومعتقد ، أو منكر ومعارض ، أو جاهل بحقيقتها ، لم يرتفع إلى مرتبة الخاصة من المثقفين الذين تتسع نظرتهم فيصدرون فى حياتهم عن إيمان بمذهب فلسفى يفسر هذه الدنيا ويعلم النظام الذى تخضع له .

ومع شيوع هذا الاصطلاح ، وجريان لفظة للمادية على الألسنة والأقلام ، فإن معظم الناس يرددونها تقليداً لا فهما ، ويعلمون عنها قشوراً لا تنفذ إلى اللباب ، ولا تتخطى الظواهر إلى الأعماق . وقد يكونون من الماديين وهم لا يشعرون ؛ ليس الجمهور وأوساط الناس ممن يعتقدون أن المادية هى اقتناء المال وتقديره ، ثم تسخيرها فى شراء ألوان المتاع والزينة من طعام وشراب وملبس ومسكن ، وما إلى ذلك مما يشبع رغبات النفس ويحجب مطالبها ويحقق لها اللذة ؛ ولذلك يسمون المقبل على الدنيا ، وطالب اللذات ، والباحث عن الذهب « ماديا » .

وهم فى ذلك يأخذون المادية من « المادة » ، وهى عندهم ، كما هى الحال فى التفكير التجريبي الساذج ، هذه الأشياء التى تدركها بالحواس

رأى المحدثين فى القرن العشرين حين يرد على المادية التى سادت فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فقد بدأ الفكر الأوروبى منذ عصر النهضة مع اكتشافات كبلد وجاليليو فى الفلك ، حتى عهد نيوتن ، يعتقد فى إمكان رد جميع الظواهر الفلكية والفيزيقية^(١) إلى قوانين ميكانيكية ، حتى لقد خيل إلى الفلاسفة أن العالم المادى ، بما فيه من جمادات وأحياء ، أشبه شئ بآلة ضخمة خاضعة للقوانين الرياضية ، وليست الكائنات الحية ، والإنسان كذلك ، إلا جزءاً من هذه الساعة الميكانيكية . ويرتّب على ذلك أن أعمال كل شخص محدودة ومحتومة وخاضعة لما يدفعها فى ذلك الجهاز الآلى الضخم ، وليس له إرادة أو حرية أو شعور أو ابتكار . وقد ولى الآن عهد الميكانيكية التى كانت تفسر حركة الأجسام بالنسبة إلى الكتلة والقوة المحركة لها من خارج ، وأخذت بالمذهب الديناميكى الذى يفسر حركة الأجسام بالقوة الدافعة لها من باطن ، أو ما يسميها برجسون بدفعة الحياة Elan Vital ، وإلى مذاهب أخرى غير مذهب برجسون ، ولكنها على أى الحالات تختلف عن تصور علماء القرن التاسع عشر وفلاسفتهم . ولترجع إلى حديث المادية قديماً ، نعرض ما قال الفلاسفة عنها عرضاً سريعاً ، لأن المادية فى العصر الحاضر ، كأى مذهب من المذاهب ، إنما يعد تطوراً للأفكار على مر الزمان من جيل إلى جيل . وقد انقسم الماديون من فلاسفة

ولا عرض ولا عنى ، ولا تدرك بالحواس الظاهرة كالبصر والسمع واللمس . وآثار النفس موجودة ، ومظاهرها واقعة لا ريب فيها ، كهذه الصور التى تعرض فى صفحة الخيال ، أو الرؤى التى تظهر فى الأحلام ، ثم المعقولات الكلية وهى موضوع التفكير ، وبالجملة هذه المظاهر التى يقول عنها علماء النفس المحدثون إنها تجرى فى الشعور ، ولهذا السبب أقام برجسون [١٨٥٩ - ١٩٤١] فلسفته على مبدئين : المادة ، والشعور أو الذاكرة ، وله فى ذلك الكتاب المشهور بعنوان المادة والذاكرة ، فلا غرابة أن تكون فلسفته ثنائية تسلم بوجود الجسم والنفس ، أو المادة والشعور .

وفى ذلك يقول : « كل واحد منا جسم يخضع للقوانين ذاتها التى تخضع لها الأجزاء الأخرى من المادة ، فإذا دفعت هذا الجسم تقدم إلى الامام ، وإذا شدته رجع إلى الوراء ، وإذا رفعت ثم تركته هوى ، وإلى جانب هذه الحركات المنبثقة ميكانيكياً عن علة خارجية ، توجد حركات أخرى تنبث فى الداخل وتسمى « إرادية » ، فاعلتها ؟ إنها تلك التى يعنىها كل واحد منا بقوله « أنا » ، وما الأما ؟ الأنا ، شئ يبدو - إن خطأ أو صواباً - متخبطاً الجسم الذى تتصل به من جميع أجزائه ، متجاوزاً إياه فى المكان والزمان على حد سواء ... »^(٢)

ولنأخذنا بعرض نظرية برجسون لأنه يمثل

(1) Le Materialisme Actuel, Faml-marion, 1833, p. 8.

(٢) قصد بالفيزيقية هنا ما يراد باللفظة الأجنبية .

الماهية في الواقع إلا الصورة المضافة إلى المادة .
فأرسطو ثنائى في فلسفته ، ولكنه يغلب الصورة
على المادة .

ثم وقعت الفلسفة الإسلامية عند هذا الحد ،
وانتقل مركز الفكر إلى أوروبا ، ونادى ديكارت
في القرن السابع عشر بأن العالم يتركب من مبدأين
هما الامتداد والفكر ، وهما يمثلان في الإنسان
الذى يستطيع كل واحد منا أن يتميزهما عند ما يتأمل
نفسه وجسمه . وقد رأينا كيف رد ريجسون
على ديكارت ولم يقبل منه تفسيره الميكانيكى .

فلما اشتد ساعد العلم في القرن الثامن عشر
ثم التاسع عشر ، سادت فكرة « القانون الطبيعى »
وحلت مكان « الماهية » ، التى أعلنها أرسطو وتبعه
فيها فلاسفة العصر الوسيط إسلاميون ومسيحيون .
وهذا هو السبب فى قولهم إن العلم الحديث
مادى ، لأن العلم الحديث يمتاز بالبحث فى الطبيعة ،
حتى لقد كان شعار رواد العلم منذ عصر النهضة
« اقرأ كتاب الطبيعة » . فلا غرابة أن يكون
المذهب المادى مرادفاً للمذهب الطبيعى .

وهذا هو الذى فهمه جمال الدين الأفغانى
حين كتب رسالته « الرد على الدهريين » وجعل
الفصل الأول منها فى « بيان حقيقة مذهب
التيشرية والتيشرين وبيان حالهم » . وهو يعنى
بالتيشرية الإصطلاح الأجنبى Naturalism
ثم شرح مقاصدهم ووسائلهم وبين أن غرضهم
هو إنكار الأديان ، ثم شرع يقض مذهبهم وبين
فساد أصولهم منذ اليونان قديماً حتى زمانه فى
القرن التاسع عشر .

غير أن المذهب الطبيعى ، أو المذهب المادى

اليونان فريقين ، أصحاب المادة الأولى ، وأصحاب
الذرة ، وذهب طاليس إلى أن المادة الأولى هى
الماء ، وقال غيره بالهواء أو بالنار ، وساد مذهب
العناصر الأربعة ، الماء والهواء والتراب والنار ،
وأخذ به أرسطو ، وعد كل جسم مركباً من هذه
العناصر بنسب مختلفة . أما ديمقريطس فقال بالذرة
أو الجزء الذى لا يتجزأ ، ومنها تتركب الأجسام .
وقد تسرب المذهبان إلى الفلسفة الإسلامية ،
فأخذ بعضهم بمبدأ العناصر الأربعة ، وساد مذهب
الجوهر الفرد عند المتكلمين بوجه خاص .

وقد سميت المدرسة المادية التى بدأت بطاليس
بمدرسة الطبيعيين . وسوف نرى فيما بعد أن
المذهب الطبيعى ذو صلة وثيقة بالمذهب المادى .
على أن هذه المدارس اليونانية المادية على اختلاف
أنواعها ، رأت أن المادة وحدها لا يمكن أن تفسر
وجود الموجودات وكونها وفسادها ، فأقروا
بوجود إله مدبر لها ، وهذا طاليس يقول : العالم
ملؤه بالآلهة .

ومذهب أرسطو جدير بالنظر ، لأنه ظل
مسيطراً على العلم حول عشرين قرناً من الزمان ،
ولا تزال نستعمل مصطلحاته حتى الآن . فهو
رى أن كل جسم طبيعى يتركب من مادة وصورة ،
وسمى المادة جوهرأ وكذلك الصورة ، وكذلك
الموجود المركب من المادة والصورة . وإذا علمنا
أن الفلسفة الإسلامية مثلة فى السكندى والفارابى
وابن سينا وابن رشد إنما اعتمدت اعتماداً عظيماً
على أرسطو فى طبيعياته ، فلا غرابة أن نجد كتب
هؤلاء الفلاسفة تأخذ بفكرة المادة والصورة
والجوهر ، وتميز بين الوجود والماهية ، وليست

ذاته مثل ذرات الراديوم واليورانيوم وغيرها من العناصر ذات النشاط الإشعاعى، ويمكن أن يحطم البعض الآخر أو يهشم بوسائل خاصة كما تمكن تشارلس ويلس عام ١٨٩٦ من تصوير ذرة اليورانيوم بعد تهشيمها ، فضع البحث للتجربة العلمية وانتقل من مجرد فرض إلى نظرية علمية مقررّة ، وحقيقة واقعة . وانضح أن الذرة تتحلل إلى ثلاثة أجزاء ، أو « أشعة » ، هي ألفا وبيتا وجاما ، وتجه أشعة ألفا التى تحمل الكهرباء الموجية نحو اليمين ، وبيتا التى تحمل الكهرباء السالبة نحو الشمال ، وتذهب أشعة جاما ، وهى ليست مكهربة بل نوراً ، نحو الإمام . وبذلك انطلقت المادة الذرية وأصبحت « طاقة » يمكن استخدامها فى أغراض الحرب والسلم . والذى يهتما فى هذه الكلمة أن تقرر أن مفهوم المادة القديم قد تغير ، وأصبحت المادة طاقة . ونحن نقول إليك رأى المرحوم الدكتور مصطفى مشرفة باشا أحد الذين ساهموا فى مباحث الذرة قال : « ومن المهم أن يفهم القارىء أن هذه الطاقة المخزنة فى بواطن الذرات ليست شيئاً يضاف إلى المادة ، بل إنما هى المادة ذاتها . فالحصول على ٢٥ وحدة من وحدات الطاقة من كيلو جرام من المادة ليس معناه استخراج هذه الطاقة من داخل ذرات المادة مع بقاء الكيلو جرام كيلو جراماً ، بل إن معناه أعمق من هذا بكثير ، ألا وهو تحويل المادة إلى طاقة . فالكيلو جرام من المادة يعادل ٢٥ وحدة من وحدات الطاقة ويساويها مساواة . وإذا أمكن الحصول على هذه الطاقة

بعد التقدم السريع الذى حققه العلم الفيزيقي أخيراً ، وبخاصة فى مباحث الذرة ، لم يصبح منعزلاً عن ميدان الاخلاق والدين كما كان الامر فى القرن الماضى ، ولم يعد هناك ذلك الفارق الحاسم بين الجسائى والنفسانى أو الروحانى حتى لقد أصبح كثير من الماديين يقرون بوجود الله والنفس وخلودها باسم العلم نفسه .

يقول « برات » فى كتابه « المذهب الطبيعى »^(١) ما نحواه : إن العالم الذى يدرسه أصحاب المذهب الطبيعى لا يقوم على أهوائنا أو معتقداتنا ، بل على الواقع وما تقضى إليه تجارب العلم . ويهدينا العلم إلى أن الكون خاضع بالضرورة لنظام يمكن أن تنفذ إلى معرفته وتعليقه . ويمضى فى آخر الكتاب فيقرر أن العلم الحديث أصبح يمتاز بميزتين ، الديناميكية والغائية ، فإذا كان الامر كذلك ، فإن الغائية تستلزم بالضرورة عقلاً مدبراً ، وبذلك يقرب العلم من الدين .

يقع الخلاف بين المادية الحديثة Neo-materialism ، وبين مادية القرن التاسع عشر فى أمرين : أحدهما على والثانى فلسفى .

أما العلى ، أو بوجه أدق الفيزيقي ، فهو انفلاق الذرة . فقد كان الظن إلى عهد قريب أن المادة لا تنقسم إلى ما لا نهاية له ، بل تقف عند جزء لا يتجزأ ، هو الذى سموه الذرة أو الجوهر الفرد . ثم أثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة ، فبعض الذرات يتفجر من تلقاء

(1) Pratl : Naturalism, 19s9, Yale unversir, i press.

الكبد الصفراء ، أو المعدة العصارية المعدية .
أما الخلاف الفلسفي بين مادية اليوم ومادية
الأمس ، فإنه يقع في الاتجاه الحديث الذي يسلم
بالقيم ، ولم تكن مادية القرن التاسع عشر تفعل
ذلك ، لأن فلسفة القيم باب حديث لم يفتح
للبحث إلا منذ عهد قريب ، وتعتقد المادية
الحديثة أن الأشياء الخارجية المادية قيمة ،
وتستند هذه القيمة إلى حاجة الشخص إليها ،
وتعتمد الحاجة على الرغبة وعلى المحبة وكلاهما
من العواطف الأساسية الفطرية في الإنسان .
وكل ما يرغب فيه الإنسان ويحبه ، فهو «خير» ،
وبذلك انقلبت الآية عند الماديين ، لجعلوا الخير
مرتباً على الرغبة والمحبة ، على أن المذاهب المثالية
والروحانية تقدم الخير وتطلبه لذاته ، وكان ذلك
هو مطلب الماديين من قديم الزمان ، كالأبيقوريين
الذين جعلوا «اللذة» غايتهم ، ولا يزال الماديون
يطلبون اللذة ، والسعادة ، والخير ، والمنفعة
والمصلحة ، ولكنهم يمتازون اليوم من حيث
الأخلاق بأمرين : الأول أنهم ينظرون إلى
«السلوك» ويعملون ميزان العمل هذا السلوك
الصالح الذي يوفّر أعظم قسط من السعادة للفرد ،
ويجلب له أكبر قدر من النفع ، ويحقق له أكثر
مقدار من اللذة . والأمر الثاني هو ما أومأنا
إليه من تقدير «قيمة» الأعمال ، مما لا يتسع
له المجال الآن أن نبسطه .

ومن صور المادية البالغة الأثر في العصر
الحاضر تلك التي نادى بها كارل ماركس ،
[١٨١٨ - ١٨٨٣] والتي تعرف باسم المادية
الجدلية Dialectical وقد تطور المذهب بعد

فيكون ذلك على حساب المادة ذاتها فتفنى ويحى
أثرها من الوجود . ومعنى هذا أن المادة والطاقة
قد صارا مظهرين لشيء واحد ، أو صورتين
مختلفتين لنفس الشيء .^(١)

ويحتم الأستاذ جان فال Jean Wahl كتابه
« طريق الفلاسفة » بفصل بعنوان « الماهيات
والصور ، وفكرة المادة » جاء فيه ما يأتي لم تعد
المادة معارضة للعقل أو الصورة ، وهي لذلك لا يمكن
أن تترسّف ، وقد يحتمل قيام مادية صوفية
Mystical Materialis ، بل هي ولا ريب
حقيقة واقعة .^(٢)

ولكن أخطر النتائج العلمية التي نشأت عن
التقدم في البحوث الفيزيائية هو إفساح المجال
للحرية ، حتى في عالم الفيزيكا ، وهو أول درجة
من درجات المادة ذلك أن الطاقة التي تتبدد
من الذرة عند انفلاقها فذهب يميناً أو شمالاً ،
لا يمكن تحديد مسارها . فإذا كان هذا هو الحال
في عالم الذرة فما بالك بعالم الإنسان ؟ وحرية
الإنسان في أعماله شرط ضروري للتدين ، حتى
يصح الثواب والعقاب . وقد كانت معارضة
المادية القديمة للأديان من هذا الوجه ، نعى من
جهة القول بالتحتمية المستمدة من طبيعة الأشياء ،
حتى لقد ذهب غلاة الماديين إلى القول بأن المادة
هي كل شيء ، وهي أصل العقل والشعور ، وليس
العقل إلا إفرازاً من إفرازات المخ ، كما تفرز

(١) الدكتور على مصطفى مشرفة : الذرة والقنابل الذرية .

١٩٤٥ ، ص ٤٩

Jean Wahl : The philosophers way,
1948 , p. 75.

كبيرة . مشال ذلك ظهور الإسلام وانبثاقه من قلب جزيرة العرب ، وانتصار المسلمين وهم قلة في العدد والعدد على الفرس والروم مع كثرة رجالهم ووفرة عتادهم ، كل ذلك من الأمور التي لا يمكن تحليلها تحليلًا ماديًا ، بل لابد من النظر إلى هذه العقيدة الجديدة وإلى هذا الإيمان العميق ، لئرى كيف انتصرت القوى الروحية على السكرة المادية انتصاراً ساحقاً ، وانتشر الإسلام انتشاراً سريعاً حتى شمل معظم العالم القديم في أقصر زمان .

والفضل في ذلك إلى الروح والإيمان لا إلى المادة . وإن شئت مثالا قريباً لم يغيب بعد عن الأذهان فانظر حال غاندى الذى تجرد عن الدنيا وزينتها ، وتأمل كيف تغلب على الغاصب المدجج بالسلاح وهو أعزل من كل سلاح مادى ما خلا الإيمان . والإسلام في جوهره ثنائى ، يقر بوجود الله وبوجود العالم ، والدنيا والآخرة ، والروح والجسد ، والنفس والبدن ، ولكنه يعلى من شأن الدين ويرفع منزلة الروح ويدعو إلى الحياة الآخرة ، ولا يحرم في الوقت نفسه الإقبال على الدنيا بشرط التوسط والاعتدال . قال تعالى في سورة الاعراف : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكواواشرابوا ولا تسرفوا لأنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

أحمد فؤاد الأهواني

أن استفد أغراضه ، وتحول إلى ما يسمى بمذهب الآلات Instru mentalism ، أى استخدام الآلات في شتى صور الحياة ، وهو الذى أفضى إلى « تصنيع » الزراعة . ونحن نشهد أثر ذلك الآن في داخل الدور ، حيث تستخدم التلاجات والمغاسل والافران الكهربائية ، حتى السكف أصبح يتم بالآلة .

أما مادية كارل ماركس فهي نظرة إلى طبيعة ومنزلة الإنسان فيه ، وصلة الإنسان بالبيئة التي يعيش فيها والتي يعد ثمرة لها . وقد اعترض ماركس على مادية القرن الثامن عشر التي كانت تنزل المادة الخارجية منزلتها وتجعل موقف الإنسان منها سلبياً ، أى أن الأثر راجع إلى المادة فلما تأثر ماركس بفلسفة هيغل الجدلية ، جعل الأثر شركة بين الأشياء الخارجية وبين ذات الإنسان ، فينتج عن ذلك شيء ثالث هو المجتمع الجديد الذى ينحونحو التقدم إلا أن هيغل كان يرى « العقل » أو الروح القوة المحركة لهذا الجدول أو « الديالكتيك » ، أما ماركس فعنده أن « المادة » هي القوة المحركة ، وهو يعنى بالمادة هذه الصلة بين الإنسان والأشياء التي يترتب عليها « الإنتاج » ، والإنتاج هو الأصل في الاقتصاديات . ثم فسر ماركس التاريخ تفسيراً ماديًا ، وزعم أن النظام الاقتصادى هو العلة في وقوع الأحداث التاريخية .

ونحن لا ننكر أن الاقتصاديات لها أثر عظيم في حياة الشعوب ، وهي علة الحروب الأخيرة التي لا تزال نكتوى بنارها ، غير أن إطلاق هذه القضية وتعميمها على سائر الحوادث مجازفة

موازنة في التعليم بين رابليه وبعض فلاسفة الإسلام

الأستاذ محمد محمود الحفني
والمرشد لمساعد المحرر والشفقة في مدرسة المعلمين

تاريخ حياته ، وهذا الخطاب وارد في الفصل الثامن من الكتاب الثاني من مؤلف رابليه المعروف باسم Pantagruel وهو اسم الطالب الموجه إليه الخطاب .

قال رابليه ما ترجمته :

« أوصيك يا بني أن تبذل شبابك في الاستفادة من تحصيل العلم والفضيلة . وإنك لمقيم في باريس ولك فيها أستاذك والعالم . تفيدك باريس بما فيها من علوم حية ، ويعلمك أستاذك بالقدوة الحسنة . وإنني أريد أن تتعلم اللغات على خير وجه : فتعلم أولاً اللغة اليونانية على نحو مارسمه كوتيليان^(١) ثم اللغة اللاتينية ، ثم تدرس اللغة العبرية لتقرأ الكتب المقدسة ، وكذلك اللغة الكلدانية واللغة العربية ، وأن تعنى بأسلوبك في اللغة اليونانية على مثال أفلاطون وفي اللاتينية على مثال شيشرون . وألا تترك شيئاً من التاريخ والفصص إلا استوعبته وتأكدت من حفظه ، وأن تستعين بما كتبه المؤلفون في علم الهيئة . وفيما يختص بالفنون الشريفة^(٢) ، فإنني حبيبها

يستحق الكاتب الفرنسي الحكيم فرانسوا رابليه Rabelais أن يدرس من جهات مختلفة ، وقد جرت العادة أن يقبل طلاب الآداب والتاريخ على قراءة كتبه فيخرج كل واحد منهم راضياً بما قرأ لأنه فاز بالاطلاع على آثار ممتعة يشيع فيها فن ساحر يجمع في سر ومرح بين سعة الإحاطة وحسن التوفيق بين المقاصد ، وهذا هو السر في دوام الإقبال على مؤلفاته بالرغم من مرور أكثر من أربع مائة سنة على ظهورها وبالرغم من تقدم لغتها حتى أصبحت مختلفة في المبنى والمعنى عن لغة العصر الحاضر .

كان رابليه خبيراً معبراً عن الحساس لاستكشاف المدينة القديمة وعلوم الأوائل بعد أن ظلت قروناً كاملة في بطون المخطوطات لا يحفل بها غير حكام العرب واليهود والقليل من الرهبان . ولكنه كان أيضاً شديد العناية بالكتب المقدسة ؛ فهو إذن ممن يرجع إليهم الفضل في تحديد المدينة الأوروبية الصحيحة القائمة على أساسين : أحدهما الديانة المسيحية ، والثاني الثقافة اليونانية الرومانية .

وسأكتفي في هذا المقال بدراسة خطاب له مشهور وجهه على لسان والد إلى ولده وهو طالب علم في باريس ، وفيه يرسم ما ينبغي دراسته من العلوم ، ثم أوازن بعد ذلك بين آرائه وآراء منسوبة إلى الفيلسوف الإسلامي ابن سينا ، وأستنتج من ذلك نتيجة أراها خطيرة لأنها تدعونا إلى إعادة تقديرنا لما هو معروف من

(١) Quintilian عاش ما بين سنتي ٣٥ و ٩٥ بعد الميلاد واشتغل عشرات من السنين أستاذاً للبلاغة في روما وله كتاب مشهور في تفتحة الخطيب رسم فيه المنهج المثالي للتعليم ،
(٢) الفنون الشريفة arts liberales عددها سبع وهي النحو والخطابة والمنطق والحساب والهندسة والفلك والموسيقى . وقد يضاف إلى هذه الجملة علوم الأخلاق والطبقيات واللاهيات فتصير عشرة . والأوجه أن رابليه يقني في هذا الموضع بالعلوم الشريفة القسم الأول منها المقتضى على النحو والخطابة والمنطق وهو ما يسمى في العصور الوسطى باسم Trivium.

وأن تعلم الفروسية وأنواع السلاح لتحمل يتي
وتتصر أصحابنا إزاء غوائل الأشرار .

وإني أريد أن تتحنن في أقرب وقت مقدار
ما أفدته . وخير سبيل لذلك أن تهض على ملا
من المستمعين مؤيدا لبعض الدعاوى من جميع
أنواع المعرفة متصرا لجميع الناس أو معارضا
إياهم ؛ وأن نقضى أمكنة أهل الأدب في باريس
وغيرها من البلاد .

ولكن لما كانت الحكمة لا تدخل نفساً
خيثة ^(١) كما يقول سليمان الحكيم : ولما كان
العلم ، إذالم يقترن بالضمير ، مهلكة للروح ،
فإنه يجدر بك أن تعبد الله وأن تحبه وتخشاه
وأن تجعل فيه جميع أفكارك وكل أملك وأن
تتقرب إليه بالإيمان الذي تصنعه المحبة والإحسان
بحيث لا تدع الخطيئة تقصيك عنه . واحذر
عبث الدنيا ولا تشغل قلبك بالباطل ؛ لأن هذه
الحياة طريق انتقال ؛ ولكن كلام الله يتي إلى
الأبد . وكن نافعا لجميع من حولك وأحبهم
كما تحب نفسك ، ووقر معلميك ، واجهر صحة
الذين لا تريد أن تشبه بهم ، ولا تعطل ما أسدى
إليك الله من نعم .

ثم عد إلى عندما تعرف أنك حصلت جميع
ما هناك (في باريس) من معارف لأراك
وأدعو الله أن يباركك قبل أن أموت .

وليصحبك يا بني سلام الله ونعمته .

وقد حرصت على ترجمة الخطاب ليتبين قارىء
اللغة العربية كيف يتصور وأبلى التعليم المثالي

(١) كتاب الأمثال ٤ الإصح الرابع عشر - العبادة
السادسة ونصها على حسب ترجمة حديثة هو « المستزود .
يطلب الحكمة ولا يجدها » .

إليك عندما كنت صغيرا فيما بين الخامسة
والسادسة من عمرك قامض في دراستها ، وفيما
يختص بالفلك اعرف جميع قوانينه . واجهر علم
النجوم القائم على التخمين والحدس وصنعة
لوليوس Lullius (أى الكيمياء القديمة التي
يقصد بها تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب)
لأن كليهما عبث . وفيما يختص بالقانون المدني
فإني أريد أن تحفظ نصوصه الجميلة عن ظهر قلب
وأن توازن بينها بحكمة .

وأما فيما يختص بمعرفة الطبيعة فإني أود أن
تفرغ للوقوف على أحداثها بعناية ؛ وألا يتي
بحر ولا نهر ولا نبع إلا عرفت جميع أسماكه .
ويبنى أن تعرف جميع ما في الجو من طيور
وجميع ما في الغابات من أشجار وشجيرات وفسائل
وجميع ما على الأرض من نبات وجميع ما يكن
في باطنها من معادن وأحجار الشرق كله والجنوب ،
والأ يتي شيء ما مجهولا لديك .

وعليك بعد ذلك أن تدرس كتب الأطباء
اليونان والعرب واللاتين دون أن تدرى علماء
التلود والكيال (علماء الشريعة وأصحاب العلوم
الخفية من اليهود في العصور الوسطى وكان منهم
أطباء) واستعن بالكثير من الهياكل البشرية
لتحصل على معرفة تامة بالعالم الآخر (العالم
الصغير) الذي هو الإنسان .

واجمل من كل يوم بضعة ساعات تبدوها
بمطالعة الكتب المقدسة وأولها باليونانية ، العهد
الجديد ، ووسائل الرسل ثم بالعبرية ، العهد
القديم » .

وبالجملة فإني أرى العلم لاحد له ، فإذا ما صرت
رجلا فعليك أن تخرج من هدوء الدرس ودعته

الكتب في سنة ونصف؛ ولولا تعويق الأستاذ لحفظاتها ما هودون ذلك؛ وهذا مع حفظ وظائف الصبيان في المكتب» .

والمهم أن المرحلة الأولى من مراحل التعليم تنتهي في سن العاشرة . وإذا سلمنا أنه قضى فيها سنة ونصف سنة كانت بدايتها في سن الثامنة والنصف أو دون ذلك بقليل لتعلم الخط . ولعل إن البداية في سن الثامنة ، وتشتمل هذه المرحلة الأولى على تعلم النحو والشعر والأدب بجموع حفظ القرآن وتعلم الخط .

وأما المرحلة الثانية فإنها على نحو ما يصفها ابن سينا فيما نقل عنه تشتمل على الاستماع إلى عقيدة الوالد وأصحابه والاستماع إلى ما يجرونه على ألسنتهم من كلام في الفلسفة والهندسة وحساب الهند ثم الاشتغال بالفقه على فقيه حنفي وعلم الجدل والمناظرة ودراسة الحساب على معلم خاص ثم دراسة المنطق والهندسة والهيئة على معلم آخر . ثم اشتغل في المرحلة الثالثة بتحصيل العلم بنفسه ودرس فيها العلم الطبيعي والإلهي وانتقل بعد ذلك إلى الطب وانتهى من هذه المرحلة وعمره ست عشرة سنة ولم يكف في أثنائها عن الاختلاف إلى دوس الفقه والمناظرة .

وعنى في المرحلة الرابعة بمراجعة ما حصله في المنطق والفلسفة بجميع أجزائها واستغرق فيها سنة ونصف سنة بذل فيها مجهوداً مفضياً لينتسب له فهم العلوم جميعاً والتحقق من صحة ما حصله . وكان آخر ما راجمه هو العلم الإلهي ولم ينتسب له فهمه إلا بفضل كتاب صغير للفارابي هو أشبه بالدليل المرشد في هذا العلم . ثم ساعدته الظروف على أن يختلف في مدة نصف سنة إلى خزانة الأمير نوح بن منصور ليقراً فيها من

ويحصى العلوم والمعارف التي ينبغي أن يحيط بها الإنسان لكي يكون حكماً يجمع بين العلم النظري الذي تتوارثه أجيال الإنسانية من عهد اليونان والتربية الوطنية ، وبين الدين الذي هو سياج المجتمع وعماد نظامه وأمله في الحياة السعيدة . وهو لم يقنع بما بلغه الأوائل من معارف بل نصح أيضاً بدراسة العربية والعبرية والكلدانية ليتفقه بما دونه أهلها من علوم ولينمثل الحضارة الإنسانية في أوسع حدودها . وأراد فوق هذا أن يستمر التعلم في مراحل المختلفة مواظباً على قراءة الكتب المقدسة كل يوم لكي تظل عاطفته الدينية في نمو متصل .

وأشير في هذه المناسبة إلى أن رابليه لم يخترع هذا البرنامج اختراعاً ، ولم يدع ذلك ، وإنما ينحصر فضله في التوسع والتنظيم وإحكام الوسائل لتحقيق الغاية من التعليم .

أوازن بعد ذلك بين أقوال رابليه في نظام التعليم المثالي وبين برنامج الدرس والتحصيل الذي اتبعه ابن سينا على حسب ما يروى عنه في ترجمته لحياته ^(١) . قال ابن سينا فيما يذكر عنه : إنه ما كاد يتم عشر سنين من عمره حتى كان قد حفظ القرآن وأطلع على كثير من الأدب . وفي رواية أخرى أنه لما بلغ سن الإدراك سلمه أبوه إلى معلم القرآن ثم إلى معلم الأدب ، فكان كل شيء قرأه الصبيان على الأديب أحفظها والذي كلفني أستاذي كتاب الصفات وكتاب غريب المصنف ثم أدب الكتاب ثم إصلاح المنطق ثم كتاب العين ثم شعر الحماسة ثم ديوان ابن الرومي ثم تصرف المازني ثم نحو سيويه . حفظت تلك

(١) ابن أبي عمير ، طبقات الأعلام : ٢ ص ٢ - ٤

فأخذ يعاود قراءته بعد ذلك حتى اعتدى إلى كتاب الفارابي فيه ، فتيسر له بذلك إدراكه وفهمه ، وعلى هذا النحو كانت الفلسفة الإلهية هي آخر ما انتهى من دراسته في برنامج .

وهكذا يطابق برنامج ابن سينا في الدراسة والتحصيل ما ذكره حنين بن إسحق عن نظام اليونان في ترتيبهم لبرنامج التعليم مطابقة جوهرية ولا يختلف عنه إلا في إضافة ابن سينا حفظ القرآن ، والفقه دون أن يغير في الترتيب .

وكذلك يطابق البرنامج الذي رسمه رابليه للتعليم في جوهره نفس البرنامج الذي يقال إن ابن سينا اتبعه . والخلاف بين البرنامجين راجع إلى اختلاف الرجلين في الدين واللغة والزمن . ويمتاز برنامج رابليه عن برنامج ابن سينا في أنه يعني بالتربية الدينية عنايه أكثر .

وفي الجملة نرى أن برنامج ابن سينا أقرب من برنامج رابليه إلى النظام الذي كان يتبعه المتعلمون اليونانيون ، ولم يدخل عليه من التعديل إلا حفظ القرآن ودراسة الفقه . ثم إن ابن سينا يجعل المواظبة على دراسة الفقه في جميع مراحل التعليم مكان ما ينصح به رابليه من المواظبة على قراءة الكتب المقدسة . وكلاهما يختلف أيضاً عن النظام اليوناني في إدخال الفقه أو القانون في صميم البرنامج الدراسي . ثم إن رابليه أشار إلى تعلم القروسية وأنواع السلاح ولم يشر ابن سينا إلى شيء من ذلك ، لأن هذا يخرج عن تكليف المعلمين فهو من واجبات المتعلم بعد الانتهاء من التحصيل وإلى ذلك أشار رابليه على كل حال .

ومن الواضح أن اليونان كانوا يتبعون في التعليم ما ذكره حنين ابن اسحاق من برامج يكلف

الكتب مالم يقرأه من قبل وبذلك أتم التحصيل وعمره ثمانى عشرة سنة .

ونلاحظ أن ابن سينا يكون قد قضى في تعليمه عشر سنوات كاملة وهذا رقم ينبغي ألا نفساه . وإذا أحصينا العلوم التي درسها في هذه المدة على حسب تصنيفه إياها وجدناها عشرة .

النحو ؛ والأدب والشعر ومعهما حفظ القرآن ؛ والفقه والمناظرة ؛ والحساب والمنطق ؛ والهندسة ؛ والهيئة ؛ والطبيعى ؛ والإلهى ؛ والطب .

ونوازن هذا بما كتبه حنين بن إسحق المتوفى سنة ٢٦٤ للهجرة أى قبل ميلاد ابن سينا بأكثر من مائة سنة ، وذلك في كتابه المعروف بتوارد العلاسفة الحكماء وآداب المعلمين القدماء . وهو كتاب لا يزال مخطوطاً وتتمنى أن نراه محققاً منشوراً في القريب ، قال حنين بعد أن أورد خطبة بليغة مفسوبة إلى أرسطو : « وهذا الصنف من الآداب أول ما يعلمه الحكيم للتليذ في أول سنة مع الحظ اليوناني ثم يرفعه من ذلك إلى الشعر والنحو ثم إلى الحساب ثم إلى الهندسة ثم إلى النجوم ثم إلى الطب ثم إلى الموسيقى ثم بعد ذلك يرتقى إلى المنطق ثم الفلسفة . فهذه علوم عشرة يتعلمها المتعلم في عشر سنين » (١) .

وبالرغم مما يظهر من اختلاف بين ترتيب حنين لهذه العلوم العشرة والترتيب الذي اتبعه ابن سينا في تعليمه إلا أنه لا يفوتنا أن ابن سينا نفسه أشار إلى عودته إلى المنطق بعد انتهائه من دراسة الطب ليعلمه على جميع مآدرسه من علوم ؛ كما أنه أشار إلى استعصاء العلم الإلهي على فهمه

(١) مقتبس من طبقات الأطباء لابن أبي صبيحة ج ١ ص ٦٣ وعجوب القلوب لقطب الدين اللاهجي ص ١٩٠

فِي الثَّقَافَةِ الْعَالَمِيَّةِ

الهندوكية

دين في الناس عتيق

للكنور احمد زك ب

تحتويه إلا احتواها . فهو كالسوق الهائلة القائمة الصاخبة ، في غير نظام ، تجدد فيها البضاعة الجديدة والرديئة ، وتشتري فيها الشيء الغث والشيء السمين .

ويرجع هذا إلى أنه محصول السنين ، وأن أصوله تضرب فيما قبل المعروف من القرون . وجاء القرن بعد القرن فأودع كل قرن نصيبه فيه حتى زحرت خزانة هذا الدين بالسكتب العديدة الضخمة ، التي تدخلها قارنا فتضل فيها ، للذي فيها من سعة ، ومن اعوجاج طرق واختلاط سبل ، ومن تناقض وتنافر ، لأن الذي كتب ، وقلبا عرف من كتب ، لم يكن قلبا واحدا ، ولكن عدة من أقلام ، والذي أملاها لم يكن رأسا مفسكراً واحداً بل عدة من رؤوس ، لم يجمعها الزمان الواحد ، ولا المسكان الواحد ، فتباينت ألواناً واختلفت طقوساً ومذاهب .

وللإسلام قرآنه ، وللنسيحية إنجيلها ، وللعبرانية توراتها ، حتى الكنفوشية لها كتاب يصف تقاليدها ونسأل في الهندوكية عن كتاب واحد كهذا فلا نجد شيئاً .

ويعتق هذا الدين نحو من ٢٦٠ مليون نسمة من خلق الله .

الهندوكية دين من أغرب الأديان ، ومن أقدم الأديان ، ومن أمتع الأديان دراسة ، لمن عنده الدراسة متعة ولذاذة ، ولا سيما إذا كان موضوعها الإنسان ، في فكره ، وفي عاداته ، وفي تطوره .

ومن غرابة هذا الدين أنه دين ولا دين أو هو دين تضمن أديانا

وتبحث عن هذا الدين أو هذه الأديان فلا تجد لها مساكاً يسكها ، أو حدوداً تحددها ، أو معالم بيئة واضحة تدل عليها ، كما تدل سمات وجه الرجل عليه .

وعلى انبهام حدود هذا الدين ، فقد اتسعت هذه الحدود حتى وسعت كل شيء ، فما من مذهب جاء يخطبه إلا خطبه ، وما من عقيدة جاءت

المعلم بالهوض بأعبائها ، وكذلك فإنه مما لا شك فيه أن رابليه رسم نظاماً مثالياً للتعليم ، وإن كان يتفق في بعض أجزائه مع ما كان يجري عليه المتعلمون في زمانه . أما البرنامج الذي اشتهر أن ابن سينا اتبعمه في تعليمه فإتانا نرجح أنه لا يعدو أن يكون من البرامج المخترعة على غرار البرنامج اليوناني .

محمود محمد الحفصيري

الهندوكية والآرية

وتبدأ القصة المعروفة لهذا الدين من الألف الثالثة قبل ميلاد المسيح. فن بقعة غير مؤكدة من بقع الأرض، في آسيا أو في أوروبا، نزحت قبائل عن أرضها، وتفرقت، ومنها من اتجه إلى أوروبا فسكنها، فكان منهم أكثر أهل أوروبا، ومنها من اتجه إلى آسيا ففرق في أرمينية وإيران وهندستان أو الهند. ف هؤلاء الأخيرون حملوا عقائدهم إلى شمال الهند فكانت منها الهندوكية بعد تطورها على السنين.

ويستدل الباحثون على هذا من بحوث مقارنة في لغة هذه الأقوام، وفي أديانهم، وفيما كشف الحفاريون في حفائر الأرض.

وتعرف هذه الأمم التي جمعتها هذه الأصول بالآرية.

ولم يحمل الآريون إلى الهند، الهندوكية، في صورها الأولى لحسب، فهم حملوا إليها كذلك لغتها، السنسكريتية.

ولقد حاول المؤرخون والباحثون تقسيم الهندوكية إلى أطوار، تصف ما طرأ عليها من اختلاف كبير، ومنهم من جعل هذه الأطوار ستة، ومنهم من جعلها سبعة، ومنهم من زاد. وبحسبنا أن نجعلها ثلاثة أطوار لا رابع لها، مقتصرين على الخطوط العريضة الكبرى التي فصلت ما بين طور كبير وآخر كبير.

طور الهندوكية الأول، الفيدوي

ونسبته إلى الفيدا، وهي كلمة معناها العلم

أو العرفان، ويقصد بها هنا العرفان المقدس، وقد نزل به الإلهام على جماعة من بينهم اختارتهم الآلهة دون غيرهم لهذا، وقامت هذه الجماعة المختارة تنقله وتشره في الناس أماشيد يتقن بها الكهنة للناس. كان هذا قبل ألف سنة قبل ميلاد المسيح، والآرية قائمة. فأصل هذا العلم أو العرفان، أصل الفيدا، آري. واحتفظوا به بالتواتر شفاها، من أذن للسان، ومن لسان لأذن، خمسة قرون. ثم هم سجلوه في كتب ثلاثة، أولها الرج فيدا، أو العلم الأناشيدى، وهو الأصل، وبه ١٠٢٨ أنشودة. ومن هذا الأصل اشتقوا الكتاب الثاني، وأسموه الساما فيدا، ثم الكتاب الثالث، وأسموه الباجور فيدا. ورابعاً أدخلوا فيها أدعية للحجاجة والتعويذ، اشتقوه من الأصل القديم وما استحدث من بعده، وأسموه الأنارافيدا، نسبة للكهنة الذين جمعوه، واسمهم الأنارافانيون.

آلهة الطور الأول، الفيدوي

وتأخذ تبحث في هذه الكتب الأربعة، هذه الفيدات الأربع، عما يعبدون، فيتبعك البحث، وأنت من بعده لا تكاد تخرج على شيء متناسق، يألف أوله وآخره. ولا عجب، فهذا تراث لم يعرف له على التحقيق أول، ولم يعرف من أوحاه وإلى من أوحى، ومعنى أوحى به وكيف. وهي كتب لم يعرف من كتبها أو كتبوها، أو من جمعها أو جمعوها. والذي تقول به لم يصدر

عند ذاك تؤكل .

وغالوا في الذبائح التي يذبحونها للآلهة ، فكانوا يذبحونها بالمتات ، وينزل الآلهة من السماء الثالثة ضيوفاً على أرباب هذه الولائم ، فيأكلون ويقصفون على الأناشيد والترانيم .

وجعلوا للآلهة أزواجاً ، زيادة في الترفيه ، وانسجماً مع ما يرون من سنن الوجود .

والآلهة كانت من أصول ، كالناس ، فانية . ثم نالوا الخلود .

والآلهة لها وجوه ولها ، كالناس ، أعضاء . وأحياناً يلبسونهم ملابس الكهنة ، وأحياناً ملابس الجند ، والكل يركبون الهواء ، في عربات من نور ، تجرها فاخرات الجياد .

ومن الآلهة الإناث ، كإلهة الأرض وإلهة الليل ، ولكن ليس لهن خطر الرجال ، وليس لهن رأى في حكم الدنيا .

والصفة الثابتة للآلهة القوة ، وهم بها يديرون هذا الكون ، وهم بها يقهرون جنود الشرفيه . ولهم على الخلائق الحكم المطلق ، لا دفع لآمرهم ، ولا يستطيع مخلوق أن يعيش يوماً فوق اليوم الذي حددوه لموته . وهم على خلق حميد ، أمناء فلا يخونون ، وهم أصدقاء لكل ذي عدل وصدق وهم خصوم كل ذي خطيئة أو جرم .

ولاشتراك الآلهة في كل صفة محدودة ضاعت ما بينهم الفروق ، فليس في أحدهم من صفة اختص بها فصارت عليه علماً . ومن أجل هذا كانت الناس تدعو أكثر من إله في المأزق الواحد أو النازلة الواحدة ، فكل سواء في دفعها ، قين

عن سلطة تستطيع أن تشير إليها فتقول هذه أصدرتها ، ولم تقرره جماعة نستطيع أن نشير إليها فتقول هذه الجماعة هي التي أقرتها أو جمعها . إنه ميراث لاصحاب له انحدر من السنين كما ينحدر الشيء من السماء ، لا تعرف له مآتي ، أو كالماء ينحدر من الجبل لا تبلغ له مصبا ، لأنه بدأ في الإخراج والادغال حيث لا تستطيع أن تصل قدم .

وتبحث فيه عن الآلهة فتحسب أحياناً أنها أسرة واحدة لإله واحد اسمه دايوس (قارن بين هذا وبين إله الآلهة زيوس عند الإغريق) . وتبحث عن الآلهة فتقع على الإله أورانوس ، وإذا بهم يدعونه إله الآلهة . وتبحث عن الآلهة فتجد أحياناً أنهم يثلثون ، كالثق قدماء المصريين في مثل زمانهم أو قبله ، أو كالثق النصارى . فالإله ، أجنى ، ويمثل النار (قارن بين هذه وبين الكلمة الاغريقية ، لجنس ، ومعناها النار) ، أو هو إلهها ، والإله إندرا وهو إله المطر ، والإله ، سوريا ، وهو إله الشمس . أو هي آلهة ثلاثة للأرض والهواء والسماء .

وإذ كانت الآلهة ، لومت القرابين .

وكانوا يتقربون إلى الآلهة بالهدايا يهدونها على نعمة سلفت . ثم أخذوا يهدونها لنعم ترجى أو قتم تدفع .

ويقسمون الأفراح ويدعون الآلهة إليها ، ويجمعون لهم ولافسهم فيها كل مستطاب . فالآلهة تأكل مما يأكل الناس . وهي كالناس تحب اللبن والزبد والحبز واللحم ، لحم الأغنام والمعز والثيران والأبقار . وكانت الأبقار

وهم عادة أبطال حرب ، ولكن أبطال الفيدات
حكام ، وأولم اسمه ، مانو ، وهو الإنسان الأول
ومع هذا فله أب مذكور ، وهو كنوح جاءه
الطوفان فأغرق ما أغرق ، أغرق كل الخلائق
ونجا هو في سفينته .

والأبطال تلعب في الهندوكية ، من بعد هذا
الطور الأول ، دوراً كبيراً .

الشياطين

ونذكرهم بعد أبطال الناس ، في موضعهم
الافق ، فهم أعوان الشر وطلابه . والشياطين
في الهندوكية الأولى صنفان : شياطين سماء
وشياطين أرض . أما شياطين السماء فيخاصمون
الآلهة ، ويمجى بين هؤلاء وهؤلاء شجار ،
وتقوم حرب . وقد يظلب الشيطان في أول
الامر ثم ينخذل ويلقى مغبة أمره . منهم
شيطان يقوم بكشف الشمس . والآلهة تقتل
الشياطين فتتموت ، فهي ، كالناس ، غير خالدة .
أما شياطين الأرض فيخاصمون الناس .
وهي تظهر للناس في صورة طير أو حيوان .
وتأخذ شكل الإنسان إمعاناً في الخديعة وهي
تدخل جسم الإنسان وتلبس بجلده ، وتصيبه
بمرض الجسم أو مرض العقل . ومقصدها
فناؤه ، فهي تحب اللحم وتحرق إلى شرب
الدماغ .

المبادات

وأولها الحد ، يتوجه به المتعبد إلى الآلهة .

بتفريجها ، وزاد هذا الإيهام بين الآلهة على الذهن
وكان من هذا أنا نجد في الأناشيد المتأخرة من
الفيدات ، أن الآلهة صوو عدة لموجود مقدس
واحد . وكان بين هذا وبين توحيد الله خطوة
واحدة لم يخطها أحد عند ذلك قط ، ولكنها
مهدت للعكر الذى قضى بتوحيد الكون وتألبيه
في الدور الهندوكى الثانى ، دور البراهمة .

تأليه الحيوان وتقديس الجماد

في الطور الأول

وأول هذه الحيوانات وأكثرها ذكراً في
الفيدا ، البقر ، فالبقرة هى التى تجر عربة الفجر
لتطلع على أهل الأرض بالنور ، وسحب السماء
مثلوها فكانت أبقاراً ، وهى تدرك الخير على الناس
مدراراً ، وبلغوا بها من حيث الرفع إلى أن
جعلوا منها آلهة ، وتمعوا ذبحها ، وهذا أقل
ما يصنع لمن بلغ هذا المبلغ الرفيع .

ومن الحيوانات التى ذكرت في الفيدا ، فكان
لها من أجل ذلك في التقديس مكان بالذى
صنعت ، الجدى والحمار . وبورك الحمار بما خدم
الإنسان وبما شق في هذه الدنيا ، والفرد والنسر
والثعبان .

والأنهار والجبال ألهوها وقدسوها .

والظاهر أنهم لم يكونوا قد عرفوا الآوتان
بعد ، فهى لم يذكر منها في كتبهم شئ .

أبطالهم

وفي الفيدات أقاصيص ، وللأقاصيص أبطال

تجرى أنهاراً والموسيقى تخرج من أوتارها ،
والأغاني . والمرض لا يعرف ، ولا تعرف
الهموم والأحزان ، ولا يعرف الفقر ، وأبقار
مختلفة الألوان تجيب المرء إلى ما يشاء .

ولم يكن مذهب تناسخ الأرواح قد نشأ بعد .
فهذه هي الجنة أو ما يشبهها عندهم . وعندهم
كذلك جهنم . وكانت عندهم في الأرض ،
في أسفل سافل منها . فيها الظلام وفيها العذاب .

وأخيراً

وأخيراً فهذا هو الطور الأول من أطوار
الهندوكية ، فيه سعة بالذی تختلف منه من مكتوب
ومسطور . إلا أنها سعة غير مجزية لأن فيها
لإيهاماً وفيها تناقضاً . فإن أشكل عليك شيء فهو
من بعض إشكال هذا الطور . ويتلو هذا
الطور طور البراهمة ؟

أحمد زكي

من الحكم المأثورة

حاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا
أعمالكم قبل أن توزن عليكم .

الموت لا يكون إلا مرة
والموت أحلى من حياة مرة
الدنيا كالنار ، قليلها متاع وكثيرها بوار .

وهو يحمدكم ويكبركم ويسبح لم ليحظى بحبهم ،
ومن وراء الحب الخير الكثير .

وهو يتوجه إليهم أيضاً ليففروا له الذنوب
ومن العبادة الأضاحي ، يضحي بها المتعبد
للآلهة ، ليكسب ودهم . ويذف بالأضحية في فم
النار ، فهي فم الآلهة ، وعن طريقها تذهب
الأضحية إلى الإله المقصود إن كان الإله في الماء
قذفوا الأضحية في الأنهار والبحار . وإن كان
في الهواء رفعوها إليه . وللأضاحي مراسم طويلة
ومن العبادة ، غير التوجه إلى الآلهة ، التفرغ
إلى الشياطين ، لدفع شرورهم ، يعون الآلهة ،
قليلاً ، وبالخبز والتعازيد والسحر ، كثيراً .
وقامت بين الناس وآلهتهم فتن من الناس ،
هم الكهان ، تخصصوا لهذه الوساطة الخطيرة
بما كسبوا من علم ، وبما مبروا في هذه الصناعة
ومراسم العبادة استطالت وتمعدت ، فكان
لا بد لها من دارسين ، ومعلمين ، فكان هؤلاء
دارسوها ومعلموها وبقيت هذه الكهانة في
أسر عرفت بها ورضيهم الناس عليها .

الموت وما بعده

ويموت الفرد منهم فتخرج روحه من جسمه
ويحرق الجسم . أما الروح فتأخذ سبيلها إلى السماء
حيث ذهب من قبل الآباء : وهناك يعود إليها
جسمها . وهناك يلتقي الفرد أمه وأباه ، والإخوة
والإخوات والأقارب ، ويلقى الزوجة والأبناء .
وهناك المتع التي لا حد لها فالبن والعسل والخمر

انعاش الإسلام في الجهورية التركية للدكتور محمد عوض محمد بك

عبياء ، وهو يكافح لتحرير الوطن أربع سنين : فلما انجالت الغمة وانجابت المحنة - وجدت نفسها لا تزال تطيعه طاعة عبياء وتأتمر بأمره في كل صغيرة وكبيرة . قلده الزعامة لكي يقودها في محاربة أعدائها - فلم يكن بد من أن يظل حاكماً المطلق وزعيماً الأواحد بعد أن هزم العدو هزيمة ساحقة . ورأى مصطفى كمال أن النصر على العدو ليس الغاية الوحيدة ، بل هو أيضاً وسيلة لتحقيق غايات أخرى يرى بها إلى نهضة تركيا الحديثة والرقى بها إلى مستوى الأمم الغربية . وأن يتم هذا كله بسرعة هائلة وفي أقصر وقت ممكن . ولذلك لا بد له أن يظل الحاكم المستبد ، وألا يسمح لفرد أو مجموعة من الأفراد أو طائفة من الطوائف أن تعارض أمره وإرادته ، أو تقيم أية عقبة في سبيل ما يرى هو إدخاله من التغييرات في نظام الدولة وفي حياة أبنائها وبناتها .

ومن الناس من يرى أن مصطفى كمال نفسه ، كان يرى في النهاية إلى أن يقوم في تركيا بعد حقبة من الزمن نظام برلماني ديمقراطي حر ، حين يؤون الألوان لإقامة مثل هذا النظام ، ولكنه كان على كل حال مصمماً أن يدخل في بلاده أنظمة جديدة بسرعة . قبل أن ينشأ مثل هذا النظام .

ولعل هذا الأمر لم يشغل بال الزعيم كثيراً ، لأنه على كل حال أمر لا يزال بعيداً ، وأمامه برنامج لا بد من تنفيذه بسرعة . وبهنا من هذا البرنامج المسائل التي لها صلة بالدين من قريب أو بعيد ،

عندما تولى مصطفى كمال زعامة الأمة التركية ، لتحريرها من نير الظلم والاستعباد الأجنبي بعد الحرب العالمية الأولى ، أسلم إليه الشعب الزمام - وأصبح الأمر الناهي المطاع في كل شيء . وقد كلفت جهوده بالنجاح - واستطاع أن يهزم الجيوش اليونانية شر هزيمة ويطردها من أرض الوطن - وأن يقضى على النظام الاستعماري في منطقة البوسفور والدرديل - ويضطر الإنجليز إلى الانسحاب منها بقواتهم العسكرية وبعثاتهم المدنية - فأمكن لجيشه أن يسترد الآستانة والجزء الأوربي من تركيا كما سبق له بسياسته الجريئة أن استرد مقاطعات قارص وأردهان من روسيا - وقلقية من فرنسا - وأمكنه أن يعلل شروطه في معاهدة لوزان على البريطانيين واليونان .

لا شك أن ظروفًا عديدة ساعدت مصطفى كمال على إحراز هذا النصر الباهر ، ولا مرأه أيضاً في أن كثيراً من الفضل يرجع إلى تأييد عدد كبير من زملائه الأكفاء ، ولكن لا شك أيضاً أن الفضل الأول يرجع إلى قيادته الحازمة وما رزق من صفات الجرأة والهمة والدأب إلى جانب نبوغه في القيادة العسكرية . وكانت الظروف تقضي على الأمة التركية بأن تلتف حول قائد منوار جرى يقودهما في أكبر عنة تعرضت لها . فكان مصطفى كمال هو ذلك القائد .

أكسبه نصره الباهر مكاناً ممتازاً قلباً أحرزوه قبله زعيم . وقد تعودت الأمة أن تطيعه طاعة

يدعى كويلاي ، فسا كان من الجمهور إلا أن اعتدى على الضابط ، وانتهت المشاحة بقتله (١) . وأسر آخر لا بد من الإشارة إليه . وهو أن الدولة التي أسسها كمال أتاتورك ، كان من شأنها على الرغم من تلك الإجراءات ، أن تظهر الدين الإسلامي في تركيا على غيره من الأديان ، فقد عمل مصطفى كمال على إخراج اليونان وهم مسيحيون من تركيا ، وأن يستبدل بهم الأتراك المقيمين في مقدونيا وغيرها من البلاد الخاضعة للحكومة أثينا . والمقياس الوحيد الذي قامت عليه المبادلة هو نقل المسيحيين الأرثوذكس من تركيا ، ونقل المسلمين من اليونان . وفي هذا ما فيه من تقوية الصفة الدينية للدولة التركية الجديدة . بحيث أصبحت كلمة تركي ومسلم من المترادفات . وقد بقيت بقية من المسيحيين واليهود في الدولة الجديدة . وكان أفراد هذه الطوائف فيما مضى يحتلون كثيراً من الوظائف ويتمتعون بكثير من النفوذ . ولكنهم لم يلبثوا أن أقصوا عن مناصب الدولة ، وحرموا ما كان لهم من الخطر لأن الدولة الجديدة تركية ، تؤثر الأتراك . والصفة الرئيسية التي تميز التركي من غيره هي الإسلام . ولذلك أصبح كثير من الأكراد والعرب المقيمين في استامبول وغيرها من البلاد التركية يوصفون رسمياً بأنهم ترك .

ومن المعروف أن كثيراً من قادة الرأي في تركيا لم يكونوا راضين عن كثير من الأعمال التي قامت بها الدولة للإقلال من شأن الدين

ونخص بالذكر منها إلغاء الخلافة ، وجعل الدولة علمانية ، أي ليس لها دين رسمي . ولم يكن معنى هذا اضطهاد الدين الإسلامي ، بل معناه أن الدين مسألة شخصية بحثة ، لا شأن للدولة بها . وما يتصل بذلك إلغاء القوانين المبنية على الشريعة ، وإنشاء قوانين جديدة مستمدة من شرائع الدول الغربية . ثم اتبع ذلك بتحريم التعليم الديني في المدارس ، وجعل يوم الأحد هو العطلة الأسبوعية ، وتحويل مسجد آيا صوفيا في الأستانة إلى متحف ، والاستيلاء على أموال الأوقاف ، وإلغاء الطرق الدينية المنتشرة في جميع أنحاء البلاد ، والاستيلاء على ممتلكاتها ، وحظر حفلاتها واجتماعاتها .

وهناك أعمال أخرى قد لا تكون ذات صلة مباشرة بالدين ، ولكنها منبعثة من نفس الروح التي أملت تلك الإجراءات ، مثل استبدال الكتابة اللاتينية بالعربية ، والتفويض الجريجوري بالتفويض الجري ، وإغلاق الأضرحة والمزارات . كما صدرت أوامر بأن يكون الأذان والصلاة باللغة التركية . وأغلقت المعاهد العليا التي أنشئت لتخريج رجال الدين ، وجرد هؤلاء من كل سلطة وتعرضوا لبعض الضيق والاضطهاد .

وليس من شأننا هنا أن تعرض لهذه الأعمال بالنقد أو التبرير ، غير أننا لا نملك أن نلاحظ أنها فيما يبدو لم تؤثر تأثيراً عميقاً في الأمة . وظل الشعب يمارس دينه ، ويحترم رجال الدين . وحتى الطرق الصوفية نفسها لم تزل آثارها تماماً . وقد حدث في سنة ١٩٣٥ ، أي بعد صدور القانون بحلها بنحو خمس سنوات أن كان أحد رجال الدين في بلدة بالقرب من أنمير يخطب في أتباعه وينقد الحكومة وسياساتها ، فتعرض له ضابط متحرس

(١) كرم الحكومة ذكرى هذا الضابط بأن أقامت له نصبا تذكاريا . تمام حوله حقبة كل عام في موعد وفاته ، غير أن هذا الأمر قد ظل حدياً ، لأنه كان مثار اضطراب ومخاض

للدولة . ومن أشهر هذه المجالات سبيل الرشاد ، وسلامت ، ودائرة المعارف الإسلامية التركية ، ثم مجلة منظرقة اللهجة والمذهب مدعى بيوك دوغو (الشرق الاكبر) .

٧ — عودة التعليم الديني إلى المدارس الحكومية .

٨ — إنشاء كلية اللاهوت في جامعة أنقرة حيث تدرس علوم الدين والتاريخ الإسلامى وبعض العلوم الاجتماعية والطبيعية وذلك لتخريج أفواج جديدة من رجال الدين .

لا شك أن هذه التطورات كلها تمثل حركة جديدة في الجمهورية التركية ، وفي كل منها خروج واضح على ذلك النظام العثمانى الذى كان ركنا من أهم أركان الدولة .

وكان من نتائج هذه التطورات أن كثيرا من المثقفين الذين كانوا فيما مضى يخشون التظاهر بالدين ، أصبحوا يجهرون بإقامة شعار الدين ، دون أن يخشوا أن يناههم أذى في أراقرهم أو مناصبهم . وأقبل الخاصة والعامة على أداء فريضة الحج وبلغ عدد النازحين لتأدية الفريضة قرابة العشرة آلاف في العام الماضى ، وأرسلت

ثلاث من الصحف اليومية مراسلين في موسم الحج لمصاحبتهم وإرسال أنبائهم وأبناء الحج إلى الجرائد .

وهكذا أصبح من الواضح أن الانتعاش الدينى في تركيا أصبح حقيقة ملموسة ، يدركها بوجه خاص ، بل ويندهش لها . من زار تركيا في العام الماضى ، بعد أن رأها منذ بضعة عشر عاما ؛ غير أن المظلمين على حقيقة الحال في أنحاء البلاد

المختلفة كانوا واثقين تمام الثقة أن هذا الانتعاش آت لا ريب فيه ، لأن الوكود الدينى كان شيئا مصطنعا فرضه الاستبداد على كره من قادة الرأى

ورجاله . ولكنهم لم يستطيعوا مقاومة الإرادة الجبارة التى تهيم على شئون الدولة كلها . والتى لم يكن لديهم أمامها حول أو قوة .

لو أن أناتورك كان حيا اليوم لما أريت سنه على الواحدة والسبعين ، وهى ليست بالسنة النادرة في أعمار الرجال : غير أن إرادة الله شامت أن تهدأ تلك النفس الثائرة ولم يتجاوز صاحبها منتصف الحلقة السادسة من العمر ، فطواه الردى . وتقلد عصمت أنونو شئون الدولة فتوقع غير قليل من الناس أن كثيرا من الأشياء التى لم يكن لها سند تركن إليه سوى تلك الإرادة القوية ، مقضى عليها بالزوال : بعد أن زالت القوة المدافعة التى كانت تدفعها في غير رفق ولا هوادة : ولكن هذا التغيير لم يحدث فجأة بل حدث بالتدريج . وظهرت آثاره بقوة في الأعوام الأخيرة بوجه خاص في كل ما له صلة بالدين . والذين يذكرون الجمهور الجبارة التى بذلها الزعيم الراحل للإفلال من شأن الدين ، سيدهم في زيارة عابرة لتركيا اليوم أن يلاحظوا التطورات التالية :

١ — إعادة الأذان باللغة العربية .

٢ — تلاوة القرآن من محطات الإذاعة الحكومية ثلاث مرات في الأسبوع على الأقل

٣ — الاهتمام الرسمى بالأعياد الدينية بعد أن كانت مهملة .

٤ — زيادة تعمير المساجد بالمصلين زيادة واضحة .

٥ — إنشاء مساجد جديدة بواسطة الدولة والهيئات الحرة والأفراد .

٦ — ازدياد المؤلفات الدينية التى تخرجها المطابع زيادة هائلة . وإنشاء المجلات الدينية التى لا تتردد اليوم في اتخاذ السياسة القديمة

عنها يحبس ، وسواء أرخصت الحكومة بعودة نشاط الطرق الصوفية أم لم ترخص فإنه ليس من المنتظر أن تتكرر مظاهر العنف - لأن الحكومة تستطيع أن تعتمد على تأييد الرأي العام في الحد من أعمال التطرف والعنف .

وقد يحق لنا أن نقاسم هل هذا الانتعاش الديني في الجمهورية التركية ظاهرة عابرة لا تلبث أن تزول . والخبراء في شئون الدولة التركية يؤكدون أن هذا الانتعاش شيء ثابت في حياة الأمة . وليس مظهر أرائل . وذلك لسببين : أولهما أن الإسلام في تركيا راسخ في نفوس الشعب وله فيها مكانة قوية . وأن أعمال الكبت التي حدثت في العهد الكمالى لم يكن لها أثر كبير في حياة سكان الريف ، وهم السواد الأعظم من الأمة . وإنما كان له بعض الأثر في المدن والبلدان الكبيرة والمتوسطة . وهذه المدن هي التي أخذت اليوم تحس الانتعاش وتتنفس بحرية ، وقبل اليوم على عارسة الشعائر الدينية دون حرج .

أما السبب الثانى ، فهو التطور السياسى الذى شهدته الجمهورية في الأعوام الثلاثة الأخيرة . فأنلفت فيها أحزاب سياسية أهمها الحزب الجمهورى والحزب الديمقراطى . ولا بد لقادة كل حزب أن يخطبوا ود الجماهير ، ويلتمسوا مرضاتهم ، حتى يكسبوا أصواتهم في الانتخابات . فكانت هذه الحركة الديمقراطية سبباً في تنافس الحزبين الكبيرين في تأييد الدين واستهجان كل حركة ترى إلى الحد منه أو من سلطانه . وهكذا أصبح قادة كل حزب وقد ألوا على أنفسهم أن يعملوا لنصرة الدين وتدعيم أركانه .

ودون أن يكون له سند من إرادة الشعب . ولم يكن بد بعد هذا الكبت الطويل العنيف أن يكون الانتعاش مصحوباً ببعض مظاهر التطرف . ففي شهر فبراير من العام الماضى ، ظهرت حملة تخريبية ، قامت بتحطيم كثير من تماثيل كمال أتاتورك المنتشرة في طول البلاد وعرضها . ولم يسلم من هذا التخريب حتى النصب الضخم المقام في العاصمة ، واضطرت الحكومة إلى إصدار قانون يقضى باحترام ذكرى الزعيم .

قامت بهذه الأعمال العنيفة جماعة تنسب إلى الطريقة ، التيجانية ، يتزعمها اليوم رجل من المثقفين ثقافة قانونية يسمى كمال بلاواغلو ، وهو يزعم أن أتباعه يبلغون الأربعين ألفاً ، والطريقة التيجانية من الطرق المعروفة المشهورة ، نشأت في بلاد المغرب في أواخر القرن الثامن عشر ثم انتشرت في إفريقية ووادى النيل ، ولها في السودان أنصار وأتباع ولم يؤثر عنها العنف والشدة ولذلك نرى السلطات في كثير من الأقطار راضية عنها بوجه عام

ولم تكن الطريقة التيجانية معروفة في تركيا وقت تأسيس الجمهورية التركية ، وإذا كان لها أتباع في ذلك الوقت فإنهم من القلة بحيث لم يحس أولو الأمر وجودهم ، ولذلك كان القرار بإلغاء الطرق الصوفية خاصاً بالطرق الشهيرة مثل النعشبندية والمولوية والقادرية والحلوتية ، ويبدو أن الطريقة التيجانية نمت في الخفاء واكتسبت الانباع والآنصار في عهد الكبت والاضطهاد ، إلى أن لفتت الأنظار بطرقها وأعمالها العنيفة . غير أن هذه النزعات العنيفة ظاهرة لم يكن

إلى شباب الأزهر

تحيّة ووصيّة لصاحب الفضيلة الشيخ على الطنطاوي

الدين حين انتشر الظلام، وإلهم كانت تشد الرحال من كل بلد إسلامي: يفد عليهم الأئمة الجاهل فيرجع وهو لإمام الهداية، وعالم البلد، كما كان يفد الأعرابي على الرسول - فيعود وفي يمينه من نور النبوة قبس يهدي الضالين .

أولئك علماء الأزهر، وهل في الدنيا معهد علم له قدم الأزهر، وعظمة الأزهر، وأثر الأزهر في الفكر البشري وفي الحضارة الإنسانية ؟ أى معهد يجرّ وراءه أمجاد ألف سنة ؟ ما الجامعات ؟ إنهن بنات اليوم والامس، والأزهر لدة الدهر . تكمرت على جدواه أمواج القرون وهو قائم، وارتدت عن بابه هجمات الجبهة والضلالة والشهوات والأوهام، غالب الفناء، وزاحم الزمان في طريق الخلود، وكان الاتفاق الذي أطاع شموساً وأقاراً وأخرج للدنيا نجوماً كانت هدى السالكين . الجامع الأزهر لا تظلموه فتسموه جامعة، فلقد كان والله الجامع، جمع شعوب الإسلام على الحق في أزمان تفرقت فيها شعوب الإسلام، إنه الجامع، وفي الجامع العبادة والعلم، وفيه الروح والجسم، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة، فأين منه الجامعات ؟ فيا شباب الأزهر اغثروا بجامعكم فما له على ظهر الأرض قرن !

أشكر للأستاذ الزيات هذا الشرف الذي أسبقه على حين مكث لي أن أكون من أسرة مجلة الأزهر، وأدخلني جندياً في الجيش الضخم، الذي امتد من عصر التنوير إلى عصر النور، خائضاً ظلمات التأخر والانحطاط، وتاباً في موكب العلماء الأعلام الذين (كانوا أجل من الملوك جلالة، وأعز سلطاناً) وكانوا حماة الإسلام، وحراس الحضارة - لولا ما اتصلت حضارة العرب الأولى بحضارة العرب الجديدة، ولم يصل إرث الآباء من عهود الازدهار إلى الأبناء في عهد النهضة . هم حملوا أمانة العلم حين غلبت على أمة الإسلام الجبهة، وهم رفعوا مصباح

وليس من المنتظر أن تبدل هذه الحال . فقد أوضحنا في أول هذا المقال الظروف العديدة الشاذة التي جرت على البلاد أعمال الكبت والقمع ومن الصعب أن تتصور أن تعود تلك الظروف مرة أخرى، ومن الخير لتركيا ألا تعود، لأن البلاد تواجه خطراً كبيراً لا بد لها أن تلقاه بجمعة الرأي، موحدة الكلمة، والإسلام خير درع بقي من أخطار المبادئ الهدامة . وهذه المبادئ الهدامة هي العدو الأكبر الذي تواجه الجمهورية التركية اليوم . محمد عوض محمد

الرجولة ، وتجري بالداعي مع هوى الخصم ، وأعرفوا أقدار نفوسكم ليعرف الناس أقداركم ، فن أهان نفسه لم تسكرم على أحد بعده . وابتغوا القوة في كل شيء ، فلا شيء كالقوة يزين الرجال ، قوة الجسم وقوة العلم ، وقوة اللسان وقوة الجنان ، فلقد كان محمد صلى الله عليه وسلم رجلاً كامل الرجولة ، وكان رياضياً صبوراً ^(١) لما صرخ التذير بالغاية ، وابتدر المسلمون أفراسهم وكانت مرتبطة بأفئتهم وأسرعوا رأوا رسول الله ، قد سبهم إلى الحمى على فرس عار بلا سرج ولا لجام ، وعاد يقول لا تراعوا .

ولما تحدها ركانة يطل المصارعة في الجزيرة العربية ، صارعه صلى الله عليه وسلم فصصره ، ثم صارعه فصصره فأسلم الرجل . وكان يسابق السيدة عائشة ، فإذا جد الجد ، وحى الوطيس ، احتفى به أبطال الحروب ، وفرسان الملاحم ، وكان (إذا القادة تحفوا في مثل هذا الموقف واستتروا) - يتأدى ، أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . فاجمعوا القوة من أطرافها ، واستكلموا أسباب الرجولة ، واستعدوا فإن الرجاء منوط بكم ، والأمل مقعود عليكم ، أنتم يا من أدركوا مقاصد الشرع ، وعرفوا حاجات العصر .

إن شعلة الإسلام اليوم وسط هبات من زوايا الباطل ، ولن تنطفئ إن شاء الله ، وستخمد هذه الرياح كما خمدت من قبل رياح أشد منها قوة ، وأعلى عزيفاً ، ولكن لا بد من رفعها عن الإسلام فدعوا الفلسفة والسوسية وشرح المواقف

يا شباب الأزهر أنتم ورثة هذا المجد كله ، أنتم خلفاء أولئك الجدود فصلوا طريقكم بتليدكم ، وأنتموا بفعلكم مجد أسلافكم : بالعلم لا تسمو الأسم إلا بالعلم ، بالبيان لا علم إلا ببيان ولا فكر إلا بلسان بالأخلاق أخلاق العلماء الذين أخلصوا الخسوع لله ، تخضع لهم جبابرة البشر ، وألقوا كلمة السماء رفعتهم فوق أهل الأرض . وزهدوا بزخارف الدنيا ، وأوهام الجاه ، فانقادت لهم الدنيا وسعى إليهم الجاه ، بالأخلاق فالأخلاق قبل العلم ، ونحن لا نريد نسخاً من الكتاب ، ولكن نريد رجالاً يكونون نماذج للسلم الكامل ، نريد دعاة إلى الله بالأفعال لا بالأقوال .

ولقد دخل أهل البلاد المفتوحة أفواجا في الإسلام ، وما سمعوا أن محاضرة في الإسلام دعوا إليها ، ولا رسالة فيه وزعت عليهم ، ولكنها أخلاق المسلمين ، هي التي أدخلتهم في الدين . على أننا نحتاج مع ذلك إلى دعاة يلخصون أصول الإسلام في كلمات ، ويلقونها في جلسات ، وتكون أسوتهم برسول الله ، يحجبه الاعرابي المشرك ، فيقيم معه اليوم واليومين ، ويسمع منه الحديث والحديثين ، لا يقرأ عنده كتاباً في الفقه ، ولا يلتقي دروساً في التجويد ، ولا يحفظ قواعد الأصول ، ولا يلقي أدلة العقائد ، ويصير بذلك مسلماً ، ويرجع عالماً ، ويكون داعي قبيلته ومرشد قومه ، وانتشر بذلك الإسلام ، وعم تلك المعمور ، في أقل من ثلث قرن .

واجتنبوا الغلظة في الدعوة . فإن لبعض المتدينين غلظة تنفر من الدين ، ودعوا الرقة التي تذهب

(١) لم لا نقول في ترجمة (سبور) رجل صبور ؟ .

في طريق الحضارة سبياً بعيداً ، وما دام أماننا
عدو واحد هو الكفر البارز والمستتر ، والفجور
الظاهر والباطن ، فلتحارب هذا العدو أولاً ،
ولنصمده جميعاً ، ولندع الخلاف بيننا معشر
أهل الدين إلى ما بعد ذلك . ولا يبلغ بنا ضيق
الفكر وقصر النظر ، أن نجعل هنا كله توافه
الأمور ، كأطلاق النجاسة ، وإرسال العذبة ، وترك
الدخان ، وأمثال ذلك مما وقفت عنده همة أقوام
تعرفهم فلا يشتغلون إلا به ، ولا يقبلون إلا عليه
وأماننا ما هو أهم وأجدى ، وأعظم عند الله خطراً
وأظهر في الأمة أثراً .

واعلموا أن أولى من ذلك كله بكم ، وواجب
عليكم ، أن تدفعوا عنا شر ما ابتلانا به الضعف
والتخاذل وهو أنا أغنى أمة في الدنيا في التشريع^(١)
أصول نظرياته ، وفروع مسائله ، ولدينا منه
كنز هائل ولكننا تركناه وروحنا (نشخذ)
فضلات موائد التشريع عند الأمم ، نأخذ من
كل مائدة لقمة حتى صار تشريعنا كطبق المسحر ،
فيه من كل شيء . . . وليس فيه شيء ! وصار
عجبا في التخليط ، وعجبا في ضعف اللغة ، وركاكة
التعبير^(٢) وقصور اللفظ وغموض المعنى ، ولولم
يكن هذا التشريع لنا ديناً لكان علينا أن نتمسك
به لأنه ثوب فصل علينا . وقطع على مقدارنا ،
وأخذ من أعرافنا وأوضاعنا ، فكيف وهو
مع ذلك دين ، إن تركناه تركنا ديننا ، وكفرنا
بإسلامنا .

والرد على أقوام بادوا ولم يبق لهم أثر ، ورواية
شبههم ودراية ضلالتهم ، واعمدوا إلى الرد
على الشيوعية والقومية والقاديانية والملاحدة ،
وما في كل بلد إسلامي من جند إبليس ،
وكل محب للظهور ، على فراخ في رأسه ،
وضعف في قلبه ، يعجز عن ولوج العظمة من
الباب فيدخل من النافذة ، فيأتي بحجافة يحسبها
فلسفة ، ويظنها مذهباً اجتماعياً ، ويقلده فيها
من هو أجمل منه جبلاً ، وأشد حقاً .

وشر من هذه المذاهب كلها هذا الفجور البادى
في المجلات والأفلام وعلى الشواطئ وفي التوادي
وهذا الاختلاط في الأسواق والسينات وفي
الجامعات ، هذا هو السهم المسموم الذي يقصد
كل قلب ، وذلك لأن تلك التحل والمذاهب لا تجد
لها إلا عند الأقل رضا وقبولاً ، أما ما يثير
الغرائز ويحرك الشهوات ، فلا يكاد يخلص منه
إلا من عصم الله ، وقليل ما هم .

ولا تشتغلوا جميعاً بمناظرة أهل تلك المذاهب
الضالة ، لا خوفاً منهم فالإسلام لا يخاف من
مناظرة أحد ، ولكن خوفاً على هدمكم ووقتنكم ،
وليتفرغ لهم قوم من كباركم ، بمن قوى في العلم ،
وتمرس بالجدل ، واعلموا أنهم أقل وأذل من
أن تجعلوهم شغلكم .

ودعوا المناقشة بينكم في الأمور الاجتهادية ،
وما لا جدوا منه ولا نفع فيه ، فلقد ضاع من
وقت هذه الأمة ومن تفكير أبنائها في الكلام
في التوسل ، حله وحرمة ، وفي الهجوم على
الوهابية والدفاع عنها ، وفي محاربة الصوفية
وتأييدها ، ما لو أنفق بعضه في العلم النافع لسبقنا به

(١) الفصح هو الشرع لا التشريع وإكته حرف تمك

ابن الألسة والأفلام

(٢) أنظر مقدمتي رسالة (لغة الفنون) للدكتور عدنان النعيط

فبيضت سواد الليل ، وما أصابها من نكبات
الأفراد ، من التخريق والتزيق والتحريق . حتى
لم يبق منها إلا الأقل ، ولا تزال المطابع في الشرق
والغرب ، تطبع غخطوطات هذا الأقل ، ولم
يطبع من مئة سنة إلى اليوم ربعة ولا خمسة ،
فكيف لو وصلت إلينا كاملة ؟ وكيف لو كانت
المطبعة معروفة على عهد الجذود ؟

ولكن لا تقفوا عندها ، ولا تكتفوا بكيمياء
العرب عن كيمياء الأفريقج ورياضة ابن الهيثم
عن رياضة اشتنان ، كلا : ولا بفقہ ابن عابدین
عن الاستنباط والبحث ومعرفة حكم الله فيما جد
من أحداث وما تبدل من أعراف ، على أن
يسكون وقوفكم عند الكتاب والسنة وقواعد
الإسلام ، لا تكونوا عباد نصوص المتأخرين .
ولا تحمكوا آراءكم واهواءكم في الدين .

* * *

وما بكم حاجة إلى نصيح مثلي وفيكم المشايخ الاعلام .
آئمة الدين . وعلى الأزهر شيخ الإسلام القوى
الأمين ، ولكنها ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .
وتفوا بأن المستقبل لنا ، للإسلام ، إن العالم
اليوم على قم البركان ، والناس صفان يتباريان
أيهما يسبق فيحمل إلى الدنيا الموت والخراب ،
ولا أمل إلا بكم ، بشباب المسلمين ، فان لم تحمقوا
الامل ، يستبدل الله بكم قوما غيركم ، أمة حية
ترفع راية الإسلام . ونبقى نحن لا دنيا ولا دين .
ولن يكون ذلك إن شاء الله أبداً ، لن يكون
وفينا الصالحون المصلحون ، والعلماء العاملون .

على الطنطاوى

قاضى دمشق

وليس الذنب كله على من جاء به من عند غير
الله ؛ ولكن الذنب (كما قال ابن القيم) على العلماء
ضيقوا الواسع من شرع الله ، وحصروا الدين
في كتب المتأخرين ، فلما لم يجد عندهم الحاكون
علاج الداء الذى يجدون ، اعرضوا عنهم ،
وطلبوه من غيرهم ، ولا تكون العودة إلى
التشريع الإسلامى بالخطب ولا بالصباح ، بل بأن
يتفرغ قوم منكم إلى استخراج القانون المدنى
الشامل من كتب الفقه من المذاهب الأربعة ،
وأوسعها الحنفى لأنه صار مذهب دولة طول عهد
العباسيين والعثمانيين ، والمالكي مذهب الدولة
في الأندلس والمغرب إلى اليوم ، ثم الشافعى ثم
الحنبل ، ومن مذاهب غيرهم إن صح نقلها وقام
دليلها ، من المحلى لابن حزم ، والفناوى والرسائل
لابن تيمية ، والاعلام والطرق لابن القيم وأمثالها
وملاك الامر كله أن يكون منكم فرق كفرق
الجيش ، وفرقة العلم والانقطاع إلى كتبه ، وفرقة
لدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم ، وفرقة
لدعوة غير المسلمين ، وفرقة لمحاربة الدعاة والمذاهب
الضالة ، وفرقة للعمل في التشريع الإسلامى .

وعليكم بكتبكم ، لا يزهكم بها ويصرفكم عنها
عداوة أقوام لها وسخرم منها ، ونزهم إياها
بالكتب الصفراء ، فافى الصفرة عيب ، والذهب
أصفر مذكان الذهب ، ولكن العيب أن تكون
عونا للعدو على أنفسنا . ولقد رأى العدو عظمة
المسكنة الإسلامية ، فحسدنا عليها ، فعمل على
صرفنا عنها ، وما أظهر أن البشر صنع شيئاً أعظم
منها ، وإنكم لتعملون ما أصابها من النكبات ،
نكبة هو لا كرم لما ألغاهما في دجلة فسوت
بياض الماء والأسبان لما أوقدوها ليالى الفتح

العجالة الإسلامية في شبرا

البركية ، وتوحيد الجنسية ، والنقد ، ونظام الضرائب ، والجيش .

وما يذاع في الامدية والصحف أن الرغبة في الوصول إلى تفاهم متبادلة بين الجانبين . على أن مهمة وفد السودان محدودة فلا بد له بالضرورة من الرجوع إلى المهدي باشا ، فيما أن يذهب الأمر إلى الاتفاق وإما أن تستأنف للباحثات الوصول إلى هذا الاتفاق الذي يبشر به ما بدا من حسن النية من الجانبين . وسرحب مصر بإيفاد وفد إلى السودان للتشاور مع المهدي باشا إذا اقتضى الحال ذلك . ولم يتضح بعد هل يتغير موقف إنجلترا من المحادثات المصرية الإنجليزية ، بعد هذا الذي دار من محادثات بين مصر ووفد الجنوب ؟ هل يكون لهذه المحادثات علاقة بما تقتويه إنجلترا من رد على مصر ؟ أم أن إنجلترا ترى أن قد أتيح لها في هذه المباحثات بين الشمال والجنوب وسيلة جديدة للماطلة وكسب الوقت ؟

بين العراق والمملكة الهاشمية الأردنية :

كان للقرار الذي اتخذته الحكومة الأردنية بتعيين هيئة نيابية تتولى شؤون البلاد نيابة عن جلالة الملك طلال بسبب مرضه ، نتائج لم تكن في الحسبان ، فإن سمو الوصي على عرش العراق قد اتهم حكومة عمان بأنها لم تصن كرامة الملك طلال ؛ فلما رد دولة توفيق أبو الهدي باشا

النزاع المصري البريطاني - وفهم المهدي باشا لا يزال الموقف بين مصر وإنجلترا يكتشفه الغموض فيما يتصل بمصير المحادثات بين البلدين ، ولا زالت إنجلترا تمنع في الماطلة فتكسب الوقت بين تلقى رد من مصر ، وبين التروى قبل أن ترد على ما ترسله مصر وذلك على الرغم مما هيأه صاحب الدولة رئيس الوزارة المصرية الحالية في البلاد من هدوء صالح للتفاهم وما أشاعه حوله من ثقة أثبتت عليهما الصحف الإنجليزية ، ولكن مهما يكن من أمر السياسة الإنجليزية فقد أوضحت مصر للعالم كله بما لا يدع مجالاً للشك أن مطلبها الأساسي وهما الجلاء ووحدة الوادي لن يتغيرا بتغير الوزارات . وكان أبرز ما في محيط السياسة المصرية في الأسبوعين الأخيرين قدوم وفد سوداني من قبل السيد عبد الرحمن المهدي باشا لمباحثة الحكومة المصرية في شأن الوحدة بين شطرى الوادي ، وتكاد تنفق الآراء على أن المباحثات قد دارت بين الطرفين حول تقرير الوحدة بين مصر والسودان ممثلة في التاج المشترك والنظر في المبادئ الرئيسية التي يجب أن ينص عليها في دستور السودان وفقاً للوحدة الطبيعية بين الشمال والجنوب من جهة ، وفقاً لرغبة السودانيين في أن يتولوا إدارة شؤونهم من جهة أخرى ، وتنسيق السياسة الخارجية لشطرى الوادي ، وتقوية الروابط الاقتصادية ، ورفع القيود

محمد مصدق وحكومته ، وذلك على الرغم من أن إنجلترا لم تصل كل الوصول إلى غرضها وهو أن تدفع بإيران إلى الإفلاس ، وذلك بفرض الحصار الاقتصادي على إيران وعلى بترولها ؛ فقد استطاعت إيران أن تجد بعض الأسواق لبترولها وبخاصة في أمريكا وألمانيا الغربية ، وأن تعيد جزءاً من معامل تكرير «عبدان» إلى العمل تحت إشراف الإيرانيين أنفسهم .

وتتصدر هذه المشكلة في أن الحكومة الإيرانية أقدمت على تأميم البترول في شهر مارس من العام الماضي ، وهو عمل داخلي بحث بين الحكومة الإيرانية وشركة البترول الإنجليزية الإيرانية السابقة .

وقد أبت إنجلترا مدفوعة بدافع مصالحها الاستعمارية إلا أن تشكو إيران إلى محكمة العدل الدولية وهي بذلك تنكر على إيران ما فعلته هي في بلادها فقد أمنت صناعاتها الحيوية برعاية لمصالح شعبها وإبعاداً لأشبح الشيوعية عنها . وقد دافع الدكتور مصدق عن بلاده بالفرنسية قائلاً : إن الحكومة الإيرانية بتأميم البترول قد وضعت حداً لعهد من العبودية والفساد دام ثلاثين عاماً ؛ وقال : إن الحكومة الإيرانية إن تعترف بحكم المحكمة لأنها في رأيها غير مختصة بالظفر في النزاع .

وقد يزداد موقف إنجلترا تعقداً حيال مشاكل الشرق الأوسط إذا قضت المحكمة في صالح إيران ؛ والمفهوم أن لهذا الحكم كيفاً كان ، أهميته الدولية

لما له من صلة وثيقة بالحرب الباردة بين المعسكرين الشرقي والغربي ، حتى لقد أشيع في وزارة الخارجية الإيرانية أن القاضي السوفيتي في المحكمة

رئيس الوزارة الأردني على هذا الاتهام ، أحدث هذا الرد أزمة حادة بين البلدين اللذين تربطهما أسرة هاشمية واحدة ، إذ رأت العراق فيه تحدياً لا يجوز السكوت عليه وخروجاً على المألوف من العرف ؛ وحملت الصحف العراقية حملات عنيفة على أبي الهدى باشا ، وذهبت إحداها إلى القول بأن أبا الهدى يتآمر مع الشيصكي على الأسرة الملكية الهاشمية ، وقالت صحيفة أخرى إن حمل أبي الهدى يصلح لأن يستغله أعداء العرب للنيل من وحدتهم ، وقالت ثالثة إن هذا العمل يوحى باتفاق بين أبي الهدى والإنجليز على تدبير مؤامرة لاستبعاد الشعب الأردني ، ولا سبيل لإحباط هذه المؤامرة إلا بتوثيق عرى الاتحاد بين العراق والأردن .

واند اهتمت سوريا بما يجري بين العراق والأردن وأبدت قلقها من أن يكون وراء موقف العراق ما يؤدي إلى تحقيق المشروع القديم بضم الأردن إلى العراق ، ولهذا التقي الشيشكلي بأبي الهدى في الخامس من شهر يونيو ليلفه رأي سوريا ؛ فلقد كان من سياسة الملك طلال أن زالت الجفوة بين سوريا والأردن .

وان كل حريص على تضامن العرب ، وما أحوجهم اليوم إلى التضامن ، ليتنى أن تزول أسباب هذا النزاع الخطير بين العراق والأردن حفظاً لوحدة العرب .

إيران وإنجلترا أمام محكمة العدل الدولية
لا تزال مشكلة البترول بين إيران وإنجلترا في مقدمة المسائل التي تشغل بال الدكتور

البلاد الخاضعة لهم ، وإذا ذكرنا أن فرنسا لا تربطها بهذه البلاد الإسلامية - تونس والجزائر ومراكش - أية رابطة من لغة أو دين أو جنس أو تاريخ أو عرف ، أدركنا مبلغ ما في سياستها من منافاة للعدالة . على أن اللوم لا ينصب على فرنسا وحدها ، وإنما يشمل أمريكا فإنها تدرك مبلغ ما في سياسة كل من فرنسا وإنجلترا من عرقلة لمسانها في كسب ود العرب ، ومع ذلك فقد امتنعت أمريكا عن التصويت حينما أريد عرض قضية تونس على مجلس الأمن في منتصف شهر أبريل الماضي .

ويدو أن أمريكا أرادت أن تخرج من حرج موقفها بعد ذلك ، فلبح وزير الخارجية الأمريكي المستر دين أنثيسون منذ أيام إلى أن أمريكا سوف تؤيد عرض قضية تونس على مجلس الأمن إذا لم تنفذ الحكومة الفرنسية برنامج إصلاح داخلي في تونس ، وقد أدى هذا التسليم إلى أن يتقدم المقيم الفرنسي في تونس السيد صلاح الدين ابن باكوش بمشروع تمنح فرنسا تونس بمقتضاه في خلال خمسة أعوام الحكم الذاتي في نطاق الاتحاد الفرنسي ، ولكن الوطنيين التونسيين لا يوافقون بالضرورة على مثل هذا المشروع فنأيتهم الاستقلال عن فرنسا استقلالا كاملا ، وسترى فرنسا أن التجاهل إلى البطش لم يعد يجدي في هذا العصر ، والذي يرى فيه العالم الإسلامي أن كل عدوان على أي بلد من بلاده إنما هو عدوان على المسلمين جميعا .

سيؤيد وجهة نظر إيران ، على أن ذلك القاضي قد اعتذر من عدم حضور الجلسة لمرضه .

مطامع الإنجليز في سلطنة الحج :

ورد من الأنباء في الخامس من شهر يونيو ما مؤداه أن سلطان الحج فضل بن عبد الكريم قد فر إلى اليمن في نهاية شهر أبريل الماضي ، حينما طلب إليه حاكم عدن أن يحضر إلى هناك أثناء التحقيق في حادث موت أميرين في السجن مما ابتاعه ، وقد أقيمت عليه مسؤولية موتهما . وبعد ذلك ببضعة أيام قدم بعض أعيان الحج في مصر إلى وزارة الخارجية المصرية مذكرة جاء فيها أن الإنجليز احتلوا السلطنة وأخرجوا منها عظمة السلطان مستعينين ببعض أفراد أسرته وعينوا مستشاراً إنجليزياً للأشراف على إدارتها ، وتكاد تكون الأحكام العرفية معلقة في جميع أنحاء السلطنة ؛ وقد ذكر مقدمو المذكرة أن الإنجليز يطعمون في أن تحمل منطقة ويرأحد ، المتاخمة لسلطنة الحج محل منطقة «عبدان» في معامل تكرير البترول ؛ ونحن نميل إلى تصديق ما جاء في هذه المذكرة لأنه صورة صادقة لأساليب إنجلترا في تحقيق أطماعها في كل بلد شرق .

فرنسا والمغرب الإسلامي

لا تزال فرنسا ماضية في سياستها الاستعمارية في شمال أفريقيا ، حتى لتكاد تحيط هذه البلاد بستار حديدي على نحو ما يفعل السوفييت في

فائق العزلة الإسلامية

البحث مثلاً عند المسلمين عن المسيح الدجال ، وكيف يظهر ركباً حاراً وعلى جبهة كفة الكفر وحوله مليون يهودي ، وإلى منكر ونكير ، وانضمام القبر ، والساعة ، والصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف ، والميزان في الآخرة الذي يشبه ميزان البائع .

واختف من ذلك كلامهما عن الزواج والطلاق وموضع المرأة من الرجل ، فالصداق هو استمرار الزواج بطريق البيع كما كان متبعاً في الجاهلية . وما أيسر أن يطرد الرجل امرأته بكلمة . وله أن يستمتع بأربع نسوة تحت سقف واحد ، وللرجل أن يجبر ابنته على الزواج بمن يريد . وابن أخي الرجل أحق من غيره بابنته فإن لم تلها فإنه يقتل من يظفر بها دونه ! وللزوج السلطة المطلقة على زوجته وبنيه ! وأعجب من هذا الكلام الذي يساق على أنه من الدين كلامهما عن حقوق المواطن في الإسلام ؛ فالمواطن ذو الحقوق هو المسلم وحده ؛ ولغير المسلم المذلة ودفع الجزية . والإهانة تلحقه على أعين الناس ، فليس له أن يركب دابة ، وعليه أن يضع على كتفه علامة تميزه ، وعليه أن يفسح الطريق للمسلم ؛ ولا يسمح له أن يرفع يده إلى مثل ارتفاع بيت المسلم ؛ وليس له شيء من الاطمئنان في عبادته ، وقد يتعدى على معبده ، ويصعب عليه إقامة هذا المعبد من جديد فيظل خرباً . إلى غير ذلك من هذه الادعاءات الباطلة (١) .

(١) راجع مقال موقف الإسلام من أهل الكتاب في الجزء السابق من المجلة .

أكثر من جهل بعض الأجانب بالاسلام

لا نكاد نقلب صفحات أكثر الكتب التي يصدرها الأجانب عن الإسلام في هذه الأيام ، حتى يزداد شعورنا بالحاجة إلى كتاب يشرح الإسلام كما يعرفه أهله ، يفشر في أكثر من لغة أجنبية (٢) ؛ ومن أمثلة تلك الكتب كتابان حديثان لم تنكد تخلو منهما مكتبة تباع الكتب الإفريقية بالقاهرة ؛ أولهما يسمى « الإسلام ، ألفه ا. س. ترين ، أستاذ العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ، وقد نشرته مؤسسة حديثة واسعة الانتشار هي مؤسسة هاتشفسون كلفه في أحد فروع ما تشره من كتب للثقافة العامة هو فرع الديانات العالمية ؛ والثاني هو كتاب « النظم الإسلامية » ألفه بالفرنسية موريس جودفروي دي مومبين ، وقد أشرنا إليه في العدد السالف من المجلة .

وأبرز عيوب كل من الكتائين أنهما لا يفرقان بين ما هو من الدين ، وبين ما هو من قبيل العادات الاجتماعية أو الخرافات والباطيل التي يبرأ منها الدين الصحيح . وإنهما ليتفقا في كثير من المواطن اتفاقاً يشعر معه المرء في كثير من الأسف أن هؤلاء الأجانب يأخذون مثل هذه الأمور مأخذ الحقائق المقررة . وحسبنا أن نشير في هذا المجال إلى كلامهما عن عقيدة

(١) إن وضع هذا الكتاب من أهم ما ينبغي به الأزهر اليوم من حروب الإصلاح .

عصرنا... والاتحاد مطلبنا العاجل، والانقسام نتيجة التكبر والحقد والشهوة والخوف والطمع، وهو من صنع المادية وهو العلامة التي تميز بضاعتها. وقد عقد أحد الكتاب في «المجلة الإسلامية» التي تصدرها بالإنجليزية الجمعية الإسلامية في وكنكس بالإنجليزية، مقارنة طريفة بين مبادئ الإسلام الخلقية وبين ما تدعو إليه حركة التسليح الخلقى؛ وبما قاله هذا الكاتب وهو هولندي يدعى فرانزستال، أن التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم وهي، سلاح خافى عظيم؛ ففيها التدم والتغير والتحول، واستعرض معنى التوبة وأهميتها عند قمر من المسلمين مثل الحسن البصرى والمحاسبي والحلاج والغزالي، وقارن بين ما يقول هؤلاء في التوبة وبين ما يدعو إليه الدكتور فرانك بكان مبينا أسبقية الإسلام وترجم قول الله تعالى «إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»، وأظهر إعجابه بما تتطوى عليه هذه الآية من معان جلييلة؛ ثم أشار إلى ما يدعو إليه الإسلام من الوحدة فهو «دين التوحيد والوحدة»، وأورد تفسيراً للشاعر محمد إقبال لمعنى الوحدة في الإسلام فهي «المساواة والتضامن والحرية».

أمريكى يتحدث في الكونجرس عن الإسلام: تحدث في الكونجرس النائب جون. ت. وود، يتدد بالترعة الاستعمارية، تعرض لسياسة أمريكا في الشرق فكان ما قاله عن الشعوب الإسلامية: «إن الشرق إسلامي إلا فيما ندر؛ وهذا ينطبق كذلك على شمال أفريقيا. وإن الإنسانية التي نعمل هذه البقاع تبلغ نحو ٤٠٠ مليون نسمة، ووجد مسلمون حتى في بقعة نائية كالفلبين».

وفي السكتابين غير هذا كثير من الأمور التي يجعلها الأجانب عادة من صميم الدين، وهي لا تصلح حتى أن تكون من العادات الاجتماعية إذ هي أقرب إلى الفصص منها إلى أي كلام يتم بالجد.

دين هيربر بالدراسة:

قدم أحد الناشرين لسكتاب حديث عن الإسلام بقوله «صار العرب أمة لجأة، وحطموا فارس وارتدوا إحدى الإمبراطوريات العريقة، وسلبوا روما الجديدة أغنى ممتلكاتها، وتناولوا علم يونان وفلسفتها وهذبوها؛ وفي المعابر وبعض الفنون ليس لهم أن يخشوا منافسا؛ وكان دينهم أول الأمر هو الذي وحدهم. ولقد أخذوا وهم عرب في الأصل من الشعوب المغلوبة ومرجوا ما أخذوه بما عندهم فكان من ذلك وحدة لم تخل من كثير من أوجه الاختلاف؛ وخلقوا نظاما تشريعياً جديراً بأن يقارن بالفقه الروماني؛ كما أقاموا حضارة متقدمة على كل شيء معاصر لها في أوروبا؛ ودينهم كقوة حية يسيطر اليوم على الملايين؛ وإن ديننا هذا شأنه الجدير بالدراسة».

بين الإسلام ومركبة التسليح الخلقى:

مبتدع حركة التسليح الخلقى هو التسليح الاجتماعي الإنجليزي الدكتور فرانك بكان وقد قصد بها إلى تغيير المجتمع بتغيير أفرادهم ووسيلته أن يتسلح كل فرد بمبادئه يأخذ نفسه بها في غير تساهل، ومن هذه المبادئ: الاتجاه إلى الله والإصغاء إلى أوامره وطاعته؛ وأن يحاسب المرء نفسه كلما أذنب مصماً على أن يتجنب الرذائل، وأن يتعاون الأفراد على تحقيق هذه المبادئ كي تسود في المجتمع «فالانقسام من علامات

شرح الله صدره للإسلام ، فكتب إلى المجلة الإسلامية، يصف فيما يلي كيف دخل في دين الله قال : « بعد أن تقبلت في مراحل من الإلحاد السحر ، لا أؤمن حينذاك أن للعقل سيلا فيما هو من شؤون الوحي ، وبعد أن عشت زمناً خيال المسيحية بين الصدود والإقبال ، وبعد أن أغرتني الكاثوليكية الرومانية ثم ردتني بخيبة مرة بعد كل أولئك اكتشفت الإسلام !

وإن اليوم الذي بدأت فيه أدرس الإسلام لهو نهاية البداية . لقد وجدت الإسلام ديناً يتصف باليسر والجمال العظيم : ديناً يلائم العقل حين لا يلائم دين آخر . وبعد أن دوست الإسلام بمعوية البعثة الإسلامية في وكنج ، انتهيت إلى أني كنت قبل ذلك مسلماً . ولما اندججت في الأخوة الإسلامية ، لم أشعر أنني تحولت ، إذ تبين اليوم أتم تبين ماذا كنت أعتقد دائماً من قبل . لقد صحت أن أكون مسلماً ؛ ولكن ليس هذا هو كل الحق ، الواقع أني أحسست ذات ليلة كما لو أن يد الله تمس روحي ، ومن ثم أصبحت مسلماً . لقد كان الأمر أكبر من مجرد عزيمة ، ولقد تملكني بادية الأمر عندما أصبحت مسلماً بالفعل شعور مزدوج ، فإني من ناحية أحسست سكينه علياً لم أذق مثلها من قبل ، أحسست كأنني أسبح في النعم ؛ ومن ناحية أخرى شعرت بالفظة أذ اكتسبت طوائف من الأصدقاء وأذ أصبحت أتمنى إلى شيء أعظم كثيراً من ذاتي ، أو على حد تعبير أحد أساتذتي السابقين لقد وصلت إلى « اليقين النفسي » .

وصف جميل للمسلم

جاء في كتاب أمريكي عنوانه « الله إله الإسلام »

ويتصف هؤلاء الملايين بشعورهم الديني العميق ؛ وتخضع الكثرة الكثيرة منهم لتعاليم دينهم أكثر مما يخضع لدينهم الكثرة من المسيحيين . والمسلمون من أشد الناس شعوراً بالوطنية والدين ؛ والإسلام اليوم من أقوى العوامل الروحية في هذا العالم المادي ؛ ولم تجرؤ روسيا السوفيتية على غزو البلدان الإسلامية بالرغم من أن الفرصة قد أتحت لها في إيران مثلاً ؛ والواقع أن الاتحاد السوفيتي لم يستطع بعد أن ينشئه له أحزاباً شيوعية ذات بال في العالم الإسلامي ، حيث ينتشر الإسلام لا يجد الإلحاد أرضاً خصبة . ولا مناص من أن تراجع الشيوعية أمام المسلم . الصادق وبيننا استطاعت الشيوعية أن تجعد في البلدان المسيحية مرتعاً ، فقد هجرت عن أن تثبت قدماً قوية في أرض الإسلام . وحرى بالعالم المسيحي أن يزجي التناء للإسلام على صموده في وجه الإلحاد في عالمنا الحاضر . وسينهزم الإلحاد وتذهب ريمحه حين يوجد في العالم أربعمائة مليون مسيحي يشدون أزر أربعمائة مليون مسلم يكالحن الإلحاد . ولا يخشى المسلم الصادق الموت في سبيل عقيدته ؛ فالموت في سبيل الله يضمن له مكاناً في الجنة ؛ وإنه خير لنا ألا نثقل دور النعامة فندفن رؤوسنا في الرمال . وإن الأمريكيان ليخطئون إذا هم استمعوا إلى ما يقوله أعداء الإسلام من أن المسلمين يخشعون لا يوثق بولايتهم ولا يعتمد على تحالفهم ، فالإسلام في حقيقته يدعو إلى مثل ما ندعو إليه المسيحية الأولى من أن الناس إخوة .

لماذا اعتنقت الإسلام

هذا شاب أمريكي يدعى لويس أورفس إيفان

يريد أن يفقه عن دينه ليدخله في المسيحية؛ ولكن ذلك المسلم الذي اختاره المبشر لأولى محاولاته التبشيرية كان مثقفا عالما بالكتب السماوية؛ فسا أن انتهى بينهما الجدل حتى انقلب المسيحي مسلماً! ولقد قرأت نبأ دخوله في الإسلام في مجلة كان هو نفسه يحررها في لاهور؛ وفيها يعترف أن ما لقته في مدرسة اللاهوت عن المسيح وعن عقيدة الكنيسة كان يشوبه القموض، وأن المسلمين في فهمهم أقرب إلى تعاليم المسيح من الكنيسة التي أعد فيها ليكون مبشراً..

السلام لا يفتح بالنظريات في المساواة

كتبت «المجلة الإسلامية» في وكنج؛ عن موقف الإسلام في صدد حديثها عن مشكلة الاجتناس والالوان فقالت «كانت المساواة بين الشعوب ذلك المثل الأعلى الذي جاء به لإسلام إلى الدنيا وسياستها أعظم الأمور أهمية في أديان العالم كلها. ولئن سألتنا أي الأديان يدعو إلى المساواة بين البشر أجاب كل فرد إنه الدين الذي يفتى إليه؛ ولكن إذا غيرت صورة السؤال، فقسامنا ما الدين الذي استبطل الوسائل التي تجعل المساواة ذات أثر، والذي أظهرها في صورتها الفعلية، لم يكن ثمة إلا جواب واحد وهو إن كل دين يبدى الكلام ويعيده إذ يدعو إلى المساواة، ولكن ما كل دين قد فسر تعاليمه بالعمل، وما من دين غير الإسلام قد قلب على مشكلة الاجتناس بصورة عملية وإن عبقرية الإسلام السياسية لم تكن عبقرية أصيلة في هذا الصدد؛ فليست تقتصر على أن تقرر في الأذهان المساواة بين البشر، وإنما تبين لاتباعها بالأساليب العملية السبل إلى جعل هذه الفكرة حقيقة واقعية مادية في سلوكهم اليومي».

وصفته مجلة نيويورك تيمز بأنه أوسع كتاب عرف عن الإسلام وحياة أهله، وصف جميل للإسلام نورد منه هذه الفقرة:-

«إن الإسلام من أعظم الأديان ديمقراطية وحيوية... وإن من أسباب سرعة انتشاره بساطته وخلوه من الوساطة، فليست فيه رهائية، ولا أسرار غامضة، ولا مذاهب ذات زخرف. وإن فرائضه محددة عملية، وغاياته في تناول الرجل العادي، وآماله للناس جميعاً. إن ديمقراطية الإسلام أشبه شيء بديمقراطية الجيش، فليست هناك فوارق بين قوم يركعون جميعاً في خشوع للربيعن الأعلى؛ ولكل نفس من نفوس أهله أهمية في ذاتها، ذلك أنها تقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم؛ وما كان لأمريء أن يحقر أحداً يسمع له الله».

مبشر مسيحي ينقلب مسلماً

ألف مستر جورج م. م. لامسا، الكاتب الأمريكي المعروف بمؤلفاته المختلفة عن المسيحية، كتاباً سماه «موجز القرآن» وقد ذكر في حديثه عن غرضه من تأليف هذا الكتاب وعن مبعث اهتمامه بالإسلام، بعض أنباء نورد منها قوله: «إن كثيرين من المبشرين في الشرقين الأوسط والافصى تأخذهم الدهشة وتولاهم الحيرة أحياناً حين يجادلون المسلمين؛ ذلك أنهم يجدون أن هؤلاء يعرفون عن المسيح وعن الرسل وعن العهد الجديد، أكثر مما يعرف أولئك الذين أرسلهم ليبشروا في دنيا الإسلام. ومرد ذلك إلى أن البشائر الأمريكية والأوربيين لا يعلمون إلا قليلاً عن الإسلام والقرآن كتابه المقدس؛ وقد حدث منذ بضع سنوات أن مبشراً أمريكياً كان قد وصل لتوه إلى الهند، زار مسلماً هندياً

الكتاب

آية البر

من آيات القرآن العظيم

للاستاذ عباس الجمل

القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

٥٢٧ صفحة من القطع الكبير

هذا كتاب جليل حقاً ، متبع حقاً ، أثبت أنه جدير بما نمنض له من مقصد عظيم ، وأنه كذلك جدير بأن يحمل اسم مؤلفه البليغ .

نهج الأستاذ المؤلف في كتابة هذا السفر نهجاً يجمع بين الإحكام والطرافة ؛ فقد كان يفكر في كتاب جامع في دين الإسلام وكيف يكون هذا الكتاب ، وكيف يهتدى إليه من يكتبه ، وذلك حين كان العلماء يتجادلون في ترجمة القرآن بين مؤيد ومعارض ، وحين انتهى الرأي إلى أن خير ما يصنع هو وضع كتاب جامع تكون ترجمته لغیر اللسان العربي أيسر وأقرب من ترجمة القرآن العظيم قال الأستاذ المؤلف : « فإذا أنا أنلو آية البر ، وإذا بي أجد فيها حونه من الإيمان والعلم

والحكمة والهدى والضياء والنور ما ينير الطريق إلى وضع الكتاب الجامع في دين الإسلام يستمل من آية البر كل ما يريد أن يجمعه عن دين الإسلام . »

وقسم الأستاذ بحثه إلى خمسة عشر منهجاً ، كل منهج فقرة من هذه الآية الكريمة . المنهج الأول « ليس البر ، والمنهج الثاني « أن تولوا وجوهكم

قبل المشرق والمغرب ، والمنهج الثالث « ولكن البر من آمن ، وهكذا حتى نهاية الآية .

ووجه الطرافة في هذا البحث المتين المحكم أن الأستاذ المؤلف قد اعتمد على القرآن في تأويل آية البر تفصيلاً تفصيلاً استغرق صفحات هذا السفر الضخم ؛ فامن معنى من المعاني التي ساقها في حسن فهم وسلامة ذوق وبلاغة عبارة إلا زاده لإشرافاً وقوة بما يورد من الشواهد من كتاب الله . يقول في ذلك « هذا ما أخذت نفسي به ، فجعلت القرآن العظيم هو مرجعي في تأويل آية البر ، لم أرجع إلى غيره ، ولم أنحرف عنه مستعيناً بآيات الله البينات ، مهتدياً بها إلى الحكمة في آية البر ، وإلى عليها وأحكامها وهداها . »

فإذا أضاف القارئ إلى هذا النهج القويم ما عرف عن المؤلف من بلاغة التعبير وجمال الأسلوب ، وما أنصف به من قوة المنطق وعمق التفكير ومتانة العلم ، أمكنه أن يدرك ما لهذا الكتاب الجليل من عظيم الخطر وبعيد الأثر .

الترجمات الحديثة في جزيرة العرب

الجزء الأول

في المملكة العربية السعودية

للدكتور محمد عبد الله ماضي

عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - ٤١٥ صفحة

من القطع الأوسط

على النفوس موجة لحركات الهوى والاستقلال في الشرق الإسلامي، وحلت على الجامعة الإسلامية . وبالكتاب ملحق قيم بالوثائق والمعاهدات التي تتصل بموضوعات البحث مما يزيد قيمته الفنية والعلمية ، ويجعله بحق كسباً صحيحاً للكتبة العربية .

الشفاء - المرفل (إيساغوجي)

الشيخ الرئيس ابن سينا

المطبعة الأميرية - ٧٧ + ١٥٩

٤٥ صفحة من القطع الكبير

عند ما اقرب العيد الألفي لمولده الشيخ الرئيس، أصدر وزير المعارف منذ ثلاث سنوات قراراً بتشكيل لجنة من المشتغلين بالفلسفة على رأسهم الدكتور إبراهيم مذكور ، ويشرف على توجيه العمل الدكتور طه حسين باشا ، يكون الغرض منها نشر كتاب الشفاء ، وإعداد العدة لذلك بجمع المخطوطات المختلفة ، ورسم خطة النشر فبدأت اللجنة مكونة من الأساتذة : الأبقاروني ومحمود الخضيري وأحمد فؤاد الأهواني بنشر أول جزء من مناطق الشفاء ، وهو المدخل ، المعروف باسم إيساغوجي . فراجعته على إحدى عشرة نسخة خطية ، بعضها موجود في القاهرة ، والبعض الآخر مصور عن مخطوطات اسطنبول وقد تبين للجنة أن أصح النسخ وأوثقها هي نسخة الشيخ بخيت ، وهي المحفوظة بمكتبة الأزهر .

وجاء في تصدير معالي الدكتور طه حسين لهذا الجزء قوله : حين تحدث الناس عن الاحتفال بالعيد الألفي للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا ، كبير فلاسفة الإسلام غير منازع ، رأيت أن خير مشاركة تقدمها مصر في هذا السبيل يجب

إن حاجة المسلمين اليوم عظيمة إلى كل ما يعرفهم بشئون البلاد الإسلامية وما يدب فيها من روح النهوض ، وهذا فيما نعتقد هو الذي وجه المؤلف الفاضل إلى كتابة هذا البحث الذي اختار له عنواناً جانبياً هو : حاضر العالم الإسلامي .

ولقد مهد الأستاذ المؤلف لبحثه باستعراض النهضة الحديثة في الشرق الإسلامي وعوامل قيامها ، وأورد في إيجاز محكم تاريخ المسلمين منذ صدر الإسلام ، وما تباور نهضاتهم من عوامل الضعف والقوة ، ثم قصر بحثه في هذا الجزء على المملكة العربية السعودية فكان كتابه من أوسع الكتب في موضوعه هذا . ويقسم بحثه بالإحاطة والشمول في يسر ووضوح ويمكن ، والأستاذ من تخصصه وعمق ثقافته واتساع أفقه ما يجعل لكتابته نفاسة عند المؤرخ المختص وعند القارئ الذي يطلب مجرد الثقافة . والحق أن هذا ضرب من التأليف في النهضة الإسلامية يعد جديداً في باب من حيث الطريقة ودقة النظرة ، تجد مثالا لذلك في مثل قوله : ونستطيع أن نقرر أيضاً أن القومية في بلاد الشرق الإسلامي إلى هي من عوامل قيام النهضة الحديثة شيء آخر غير القومية الغربية التي شرحناها ؛ فالقومية الإسلامية الشرقية تجمع بين القوتين اللتين ظهرتا في أواخر القرن التاسع عشر ، تجمع بين القومية الوطنية المشابهة للأوربية من بعض الوجوه ، وبين المعنى الديني الإسلامي الذي يقضي بتعاون المسلمين واتحادهم في سبيل النهوض والاستقلال ودفع سيطرة الأجنبي والتحرر منه ولاية ، غير المسلمين . ولقد أصبحت القومية بهذا المعنى الجامع مسيطرة

نشره الدكتور أحمد فؤاد الإهوائى ، مع مقدمة طويلة في حياة فرغوريوس الصوري ، تليها أفلوطين فيلسوف الاسكندرية ، وصاحب الأفلاطونية الحديثة . وجاء نشر هذا النص موافقا لنشر « مدخل الشفاء » لابن سينا ، لأنه اعتمد عليه ، وأيده في بعض المسائل واختلف معه في بعض المسائل الأخرى . وإيساغوجي كتاب يبحث في الكليات الخمس ، وهي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام . ولا يمكن أن يفهم القارىء هذه الاشارات التي يذكرها الشيخ الرئيس ، وبخاصة لأنه لا يذكر اسم فرغوريوس صراحة بل يقول عنه ، « صاحب إيساغوجي » أو « قال الرجل » ، وما إلى ذلك ، إلا بالرجوع إلى إيساغوجي فرغوريوس .

أما ترجمة فرغوريوس الصوري التي تقع في ٦٦ صفحة ، فهي أول ترجمة في اللغة العربية ، تلتى الضوء على حياة هذا الفيلسوف ، الذي تولى رئاسة مدرسة أفلوطين في روما بعد موته ، والذي وضع أساس الفلسفة الكلامية بشروحه على أفلاطون وعلى أرسطو بوجه خاص .

كتب أجنبية جديدة

تعالج موضوعات إسلامية وشرقية

الاتجاهات الحديثة في الإسلام

تأليف د. د. ر. جيب

Modern Trends In Islam
H. A. R. GIBB

هذا كتاب للمستشرق المعروف مستر جيب

أهداه إلى « محمد حسنين عبد الرازق ذكرى صداقة خمس وعشرين عاما » ؛ والغرض من هذا

أن تكون كتلك المشاركة التي قدمتها مصر في عيد أنى العلماء ، فتحي آثار الشيخ الرئيس . كما أحيت آثار رهبين المحبيين

وقدم للكتاب الدكتور مذكور بمقدمتين في ٧٧ صفحة . ترجمتا مع تصدير الدكتور طه حسين إلى الفرنسية في ٥٤ صفحة ، فتحدث في المقدمة الأولى عن كتاب الشفاء وموضوعه ومتى ألفه ابن سينا ، وفي أسلوبه ومنهجه . وفي صلته بكتب الشيخ الأخرى ، وفي مدى تعبيره عن فلسفته ، وفي شروحه ونقله إلى اللغة اللاتينية وأثره في العالم العربي والغربي . ثم تكلم في المقدمة الثانية عن المدخل ، أو إيساغوجي ، وصلة مدخل ابن سينا بمدخل فرغوريوس ، وكيف عرض الشيخ الرئيس لموضوع المنطق ومنهجه ، والفكر واللغة ، وغير ذلك من المباحث الرئيسية التي ضمنها مدخل المنطق . وأتبع ذلك بمنهج النشر ، مع وصف النسخ التي اعتمدت اللجنة عليها .

ولما كان هذا الجزء قد ترجم قديماً إلى اللاتينية وقد عهدت وزارة المعارف المصرية إلى الآنسة « دلفرنى » بنشر النص اللاتيني بعد تحقيقه ، فقد ألحقت اللجنة بالكتاب فهرساً للمصطلحات مع ما يقابلها باللاتينية .

وقد كان هذا الكتاب أنفس ما قدمته مصر في مهرجان ابن سينا الذي انعقد في بغداد في شهر مارس ١٩٥٢ ، ووزعه الدكتور مذكور رئيس وفد مصر على أعضاء الوفود .

إيساغوجي

لفرغوريوس الصوري نقل أبي عثمان الدمشقي ١١٦ صفحة - دار إحياء الكتب العربية

الإسلام ، في مواجهة هذا التحدى يرجع في الواقع إلى إشرائهم .

وفي هذا الكتاب فوق كذلك دعوة إلى مبادئ الدين الخفيف موجهة إلى المسلمين وغير المسلمين .

ايران وأفغانستان

L'IRAN : PERSE et Afghanistan.

تأليف ريمون فورون

من منشورات : دار Payor باريس

٣٣٩ صفحة وتمته ٩٠٠ فرنك

هذه طبعة جديدة معدلة لكتابين أصدرهما المؤلف سابقاً وأدخل عليهما تنقيحات جديدة : وكان أحد الكتابين يختص بإيران والآخر بأفغانستان ، فجمعهما المؤلف في سفر واحد .

والمؤلف رأى غريب فهو يطلق كلمة « إيران » لتشمل بلاد فارس وأفغان ، مخالفاً بذلك المصطلح عليه في جغرافية المنطقة والعرف الدولي وحقائق الأوضاع الراهنة .

ويحتوى الكتاب على إحصاءات عديدة عن مختلف النشاط في هذين البلدين الإسلاميين ، ولكنه يغطى البلدين حقهما في الحقائق التاريخية والاتجاهات الثقافية ونواحي العمران والتقدم

السياسي الذي ألم بهما . ودراسة المسيو فورون نموذج من هذه المادة التي تصدرها المطامع الأجنبية عن البلدان الإسلامية فتحاول أن تبرز وجهات نظر متحيزة تفسر الإحصاءات والمراجع العملية لهذه الغاية . لقد صدق مارك تويني (الكاتب الفكاهي الأمريكي) إذ قال : إن هناك

ثلاثة أنواع من الكتب : كذبة بيضاء ، وكذبة سوداء ، وكذبة الإحصاء !

الكتاب كما يتبين من عنوانه تتبع الاتجاهات الحديثة في العالم الإسلامي وتبين براعتها وأهدافها ؛ وأثر زعماء الفكر في نشأة هذه الاتجاهات ونشاطها ، كالسيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في مصر ، والسيد أحمد غان والشاعر محمد إقبال في الهند وباكستان .

والاستاذ جب الذي ولد في مصر ، والذي اشتهر بمؤلفاته عن الإسلام وحياة أهله خلق بأن يمرض هذه الاتجاهات الحديثة في الإسلام عرض وثوق وخبرة ، وهذا ما يثبت مؤلفه الذي نتحدث عنه خير إثبات . ولقد اختتم هذا الكتاب التقييم بفصل تمتع يعد من خير ما كتب في باب عنوانه « الإسلام في العالم » ، شرح فيه مذاهب قادة الإسلام المحدثين شرحاً موفقاً .

موجز لطبيعة الشرك

AN OUTLINE OF THE NATURE OF SHIRK

من تأليف فارشتا جابريلا دي زاياس

من منشورات دار الشيخ محمد أشرف بلاهور (الباكستاني) اثنتي عشرة وبيتان

يحاول هذا الكتاب (٧٩ صفحة) أن يحدد معنى الشرك كما نص عليه القرآن الكريم . وورغبة المؤلف من هذا التحديد هو الرد على عد المدعين بأن الإسلام في الوقت الحاضر قد فشل في مواجهة التحدى الذي جاءت به موجات العلم والفلسفة والمذاهب الفكرية المعاصرة .

وفي رأى المؤلف أن فشل بعض المسلمين أو بالأحرى أولئك الذين يتعلقون بشعور

إنشاء المجلس الإسلامي

• في غرة رمضان المبارك تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم أهره الله فوجه رسالة ملكية كريمة إلى شعب وادي النيل العزيز جاء في مستهلها قول الفاروق العظيم «يثير شهر رمضان في نفوسنا نحن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أكرم المعاني، يوحد بين قلوبنا ويقول بيننا قرآن كريم نزل بالحق المبين على نبي كريم يهدي لتي هي أقوم، وتمثل فيه تعاليم الإسلام السمحة التي تركت في المسلمين

إيمانهم وتندفعهم إلى التعاطف والتراحم والتي يقوم الأزهر الشريف مؤيداً بكل ما نملك من قوة وتوجيه بنشر رسالتها بين المسلمين جميعاً لنقف درعاً واقياً، وسداً سائلاً في وجه نوازع الشر ومبادئ الهدم والتدمير، وهي رسالة ما أسمىها وما أكرمها وما أشد جدواها وأعظم نفعها،

رتوجه المليك المعظم بالدعاء إلى الله العليّ القدير، أن يعيد هذا الشهر المبارك على الأمم الإسلامية متمتعة بما تصبو إليه من نعمة الاستقلال وحرية الجزية،

وتفضل جلالة فأشار إلى قضية الوادي بقوله «إن بلادنا وهي تناضل عن حقوقها قد صبح منها العزم على إدراك مطالبها، وإن سياستها هي سياسة الحرية والوحدة وقد توحدت بين العرش والأمة والحكومة وسنبقى أوفياء على هذه السياسة، وقد شملت الأزهر، شيخه وعلماءه وطلابه وموظفيه، فرحة كبرى بهذه الرسالة الملكية

• وافقت بالإجماع لجنة حقوق الإنسان التي فرغ من فروع هيئة الأمم المتحدة، على مادة تتعلق بحرية الأديان لتكون جزءاً من الميثاق المقترح التي تضع اللجنة صيغته، وقد رددت الانباء أنه كان للأسياد محمود هزمى بك مندوب مصر ضلع كبير في وضع صيغة هذه المادة، فقد قال في اللجنة «إن الشريعة الإسلامية لا تقبل الاضطهاد الديني، وإن المادة ١٢ من الدستور المصري نصت على حرية الأديان، وليس معنى ذلك حرية كل فرد في اعتناق دين معين لحسب، ولكن له أيضاً حرية الانتقال من دين إلى آخر». وكلام الأستاذ هزمى بك يحتاج إلى تصحيح عاجل إذا صححت نسبتة إليه، فالإسلام وإن كان صحيحاً إلا أنه لا ينبغي للدول أن يرتد عن دينه إلى دين آخر وإلا حق عليه القتل إن كان ذكراً، والحبس حتى الموت إن كانت أنثى، بعد أن يستتاب كل منهما ويجهل أياً ما ليتدبر في الأمر. وأما المادة ١٩ من الدستور المصري فع أنها

مؤتمر من المسلمين المقيمين بالمملكة المتحدة عقب عيد الفطر مباشرة أى في الخامس والعشرين من يونيو الحالى .

والغرض من هذا المؤتمر النظر في الوسائل والسبل التى توثق الروابط بين المسلمين الذين يعيشون في إنجلترا والى التى تؤدي إلى عيشتهم معيشة جماعية .

وإذا نجح المؤتمر فإن البعثة سوف تفكر في عقد مؤتمر في العام القادم يجمع المسلمين في إنجلترا وأوروبا .

وسرسل البعثة التفاصيل اللازمة لكل من يرغب مشهود هذا المؤتمر ، كما أنها ترحب بأن تتلقى مقترحات من يهمهم هذا العمل .

* قررت السلطات السورية إصلاح زى رؤساء الدين والمعتقد أن الحكومة تبحث الآن في تحريم لبس الطربوش .

وقد تم الاتفاق على زى موحد لرؤساء الدين لا يرتديه إلا من كان حائزاً لشهادة من دار الفتوى ، ولا يجوز للابسة دخول المقاهى .

ويتألف هذا الزى من طاقية بيضاء حولها عمامة أو قطعة قماش أو كوفية . أما رؤساء الأشراف فيرتدون عمامة خضراء على طاقية بيضاء وقد حظر الآن جعل العمامة فوق الطربوش .

وتلبس الجلبة السوداء في الحفلات الرسمية فقط . أما في المناسبات الأخرى فتلبس الجلبة من اللون الأزرق القائم على أن يكون تحت الجلبة جاكته قصيرة وصدريه ، ويجب أن تغطي الجلبة بأزرار إلى الرقبة ولا تستعمل الكسكفات . ومن التشريعات الجديدة التى يضعها النظام

الحالى في سوريا ما يتعلق بالجنازات ودفن الموتى

نصت على أن حرية الاعتقاد مطلقة ، إلا أن ذلك ليس معناه حرية الفرد في الانتقال من دينه إلى دين آخر .

* في السابع من شهر مايو الماضى أبلغت مشيخة الأزهر أن حضرة صاحب الجلالة الملك تفضل فأصدر أمره الكريم بالموافقة على إنشاء مدينة فاروق الأول للبحوث التى تقعد إلى الأزهر من مختلف البلدان الإسلامية ، على أن تلحق هذه المدينة بالمباني الحديثة المقامة إلى جوار الجامع الأزهر وتُسند رياستها الفخرية إلى حضرة صاحب السمو الأمير محمد عبد المنعم .

وقد تفضل جلالة الملك بتبرع من ماله الخاص بمشرين ألف جنيه مساهمة من لدن جلالاته في إنشاء هذه المدينة .

* من مظاهر نشاط الباكستان في كل ماله صلة بشؤون العالم الإسلامى توجيهها الدعوة لعقد مؤتمر لرؤساء وزارات الدول الإسلامية ، وبما تحدث به السيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان في هذا الصدد قوله : « إننا نحن رجال الدول الإسلامية لا نريد سوى وضع سياسة مجدية للتعاون بيننا ، فعظم الدول الإسلامية تواجه كثيراً من الصعاب ينبغي العمل على تذليلها . ولن نتخذ قرارات ما في المؤتمر الذى دعونا لعقد بل ستجرى مناقشات تسفر عن تفاهم وإدراك مختلف وجهات النظر . ثم قال : « إن المؤتمر لا يهدف إلى إضعاف الجامعة العربية أو منح الباكستان دور الزعامة في العالم الإسلامى ، أو فصم عرى التعاون والاتحاد بين أعضاء الكتلة الآسيوية الأفريقية . »

* تعزم البعثة الإسلامية في ووكينج بإنجلترا عقد

الكتاب والسنة ولأنها تعزز أواصر الأخوة والوحدة الإسلامية التي يتوق الباكستانيون إلى تحقيقها .

وقد أصدر الأمين العام لحزب العصبة الإسلامية في شرق باكستان السيد يوسف علي

شودوري نداء إلى أعضاء العصبة ناشداهم فيه السكينة وعدم التعرض لمؤلاء المهاجرين بالآذى حرصا على الأمن وصيانة لوحدة الأمة .

• في أواسط القارة الأفريقية عدد كبير من المسلمين من السكان الأصليين الزواج ، ومن الجاليات الإسلامية التي هاجرت إليها من السودان والصومال وجنوبي جزيرة العرب ومن الهند وباكستان .

وقد بلغ الوعي في منطقة النفوذ البريطاني في أفريقيا الوسطى حدا كبيرا ، وأصبح من الصعب على السلطات البريطانية الحاكمة أن تظل على عهدتها بأساليب الاستعمار القديمة .

وكانت آخر مظاهر حركة التحرر الوطنية في هذه المناطق الرغبة في الوحدة الإقليمية ، وصيانة حقوق السكان الوطنيين إزاء مطامع الرجل الأبيض (الأوربي) .

ولم تجد بريطانيا مناصا من التسليم على مضمض ببعض مطالب هذه الحركة . فقد تم الآن إعداد دستور يوحد المناطق الآفنة الذكر ، ويحقق للسكان الوطنيين بعض الحقوق السياسية .

وستجرى قريبا انتخابات عامة يشترك فيها المسلمون وغير المسلمين من السكان الأفريقيين لاختيار ستة نواب للمجلس التشريعي مقابل ستة وعشرين نائبا من الأوروبيين المستوطنين هناك .

• • •

والانظمة التي يجب إتباعها في هذا الصدد . وستمنع الجنازات وأعمال الحانوطية بمقتضى قانون جديد . فإذا توفي شخص أبلغه ذروه قسما خاصا بمصلحة الصحة السورية فترسل سيارة لنقل الجثمان .

• أفتتح أول مجلس تشريعي في إريتريا بعد أن أجريت له انتخابات ويضم المجلس ٤٣ عضوا مسيحيا ومثلهم من المسلمين . وهذه هي المرة الأولى التي تجري فيها انتخابات عامة في تاريخ تلك البلاد . وقد انتخب ٣٩ عضوا من الثمانية والستين بالتزكية ، وكانت نتيجة الانتخاب في دائرتين إسلاميتين غير حاسمة وقد أعيد الانتخاب فيهما مرة ثانية .

وستكون أول مهمة يعضطلع بها المجلس دراسة مشروع دستور إريتريا الذي وضعه مندوب الأمم المتحدة .

والواقع أن الاكثية الإسلامية في إريتريا قد أصابها الإجحاف بهذا الإجراء الذي أعطى للأقلية المسيحية نسبة مساوية للأكثية الإسلامية . فإن عدد السكان المسلمين في إريتريا ثلاثة أضعاف السكان المسيحيين .

• يقوم بعض المشاغبين في ولاية البنغال الشرقية بحملة لجمع اللغة البنغالية لغة رسمية في ذلك الجزء الهام من الوطن الباكستاني ، وهدف هذه الحركة تشجيع اللامركزية في الدولة الباكستانية الاتحادية .

والمعروف أن لغة الباكستان الرسمية هي الأوردية ، وهناك مساع ومشروعات وضعها المسؤولون الباكستانيون لجمع اللغة العربية في المستقبل هي اللغة الرسمية لباكستان لأنها لغة

الأدب والعلم في شهر

محنة الأدب :

التعليم الأدبي في مصر ، ففي مصر مدارس ومعاهد وجامعات يدرس فيها الأدب ولكنه يدرس على نحو يحزن أكثر مما يسر . وقد بعث هذا المقال نشاط كثيرين من الكتاب فردوا على الدكتور بين مؤيد لرأيه ومخالف له ، وعقب الدكتور على هذه الآراء في مقال آخر ، ثم اغتبط بهذا النشاط قائلاً إن فيه دليلاً قاطعاً على أن في أدبنا حياة كامنة تريد أن تظهر وخسباً مستترا يريد أن يملأ الجو العقل سعة ورغاء .

لم يدر السرطان غوراً خفياً :

ابتكر العالم الأمريكي الدكتور سدن جلدستون طريقة جديدة لفحص حالات السرطان في درجاته المبكرة التي كثيراً ما يصعب اكتشافها بالوسائل التي كانت متبعة حتى الآن . وبذلك هان الأمر كثيراً وغداً من الممكن تدارك المصاب وعلاجه قبل أن يستفحل الداء ويبرز الدواء وينتهي إلى المصير المحتوم .

كانت الطريقة المستخدمة لاكتشاف السرطان حتى سنة ١٩٤٨ معقدة تستغرق وقتاً وجهداً طويلاً ، ويحتاج الطبيب إلى دراية خاصة للتمرن على إجراء الاختبارات اللازمة لذلك الكشف . وفي النهاية يتمنحض الاختبار عن النتيجة المؤلمة ، وهي أن الداء قد بلغ مرحلته النهائية . أما طريقة الدكتور جلدستون فتمتاز بالسهولة

نشرت جريدة الأهرام في نهاية شهر مايو الماضي مقالاً بهذا العنوان للدكتور طه حسين باشا ، استله بقوله : « حياتنا الأدبية فيما يظهر من أمرها راكدة خامدة ، ما في ذلك شك ، فقد أصبحت الكتب القيمة نادرة ، يمر العام دون أن يظهر منها كتاب واحد ، فضلاً عن كتابين أو كتب ، والصحف اليومية والأسبوعية لا تكاد تحفل بالأدب ، وقد تمر الأسابيع وقد تمر الشهور دون أن نقرأ في صحيفة يومية أو أسبوعية فصلاً أدبياً ذا بال . والمجلات الشهرية تعني بلون من الأدب يسير ، لا يكلف كاتبه عناء طويلاً ولا يكلف قارئه جهداً قبيلاً . . . »

وعما قاله الدكتور : « إن مصر قد وجلت حتى كاد الوجع يقض مضاجع أبنائها حين جاءها النذير بغارة الجراد ، ولكن مصر لم تحس وجلاً ولا فرحاً حين أجذبت الحياة الأدبية . . . عفا الله عن مصر ، ما أشد تقصيرها في ذات الأدب والفن والعلم . » وقد عزا الدكتور محنة الأدب إلى أسباب كثيرة أهمها في نظره ثلاثة : أولها بقاء من ظروف السياسة وما يتبعها من رقابة ، وثانيها من الناشئين وشيوخ الأدب ، وذلك أن كثيراً من الشباب يكتبون ثم لا يعرفون كيف يظهرهم الناس على ما يكتبون ، ولا يجهدون من شيوخ الأدب تشجيعاً ولا تأييداً ، وثالثها من ضعف

الارائية، فوضع إقبال في مستوى أقطاب الفكر والادب في العالم؛ وخطب غير هؤلاء، الدكتور كاتول سمث مدير المعهد الإسلامي بجامعة مايجل بكندا، والاستاذ خليل أحمد ناصر محرر صحيفة «شروق الاسلام»، التي تصدر في واشنطن.

بطيخ خال من البنور:

نوه الدكتور «بولارد»، أحد خبراء برنامج فولبرايت للبحوث العلمية، وقد غادر مصر أخيراً لاستئناف عمله في جامعة «ايداهو» بالولايات المتحدة أستاذاً لعلم فلاحه البساتين، بالأبحاث التي كان يقوم بها بالتعاون مع وزارة الزراعة في مصر وكلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول عن إنتاج بطيخ بدون بذور.

وقد أوضح بأن البطيخ الهجين الخالي من البذور لا يزال في مرحلته التجريبية تماماً كما كانت الذرة الهجين منذ عشرين عاماً.

وذكر الدكتور «بولارد»، أن في الإمكان استخدام السكولسسين - وهي مادة فلووية لمنع تكوين الألياف في خلايا النبات - في علاج بذور البطيخ عقب تفرغها مباشرة وذلك لإنتاج بطيخ خال من البذور، وكان عمله في مصر ينحصر في معرفة درجة تركيز السكولسسين اللازمة ومدة استخدامها في مختلف أنواع البطيخ المصري.

ثم قال إن هذه الطريقة في إنتاج بطيخ خال من البذور ليست صعبة على الرغم من حاجتها إلى عدد كبير من الأيدي العاملة، وارتفاع أجور العمال في الولايات المتحدة يحول دون إنتاج مثل هذا البطيخ هناك، أما في مصر فيمكن إنتاجه مع ضمان الربح.

واستطرد يقول إن البطيخ الخالي من البذور

والبساطة واختصار الوقت ولا يحتاج الطيب إلى دراية خاصة أو أدوات خاصة؛ فقطعة صغيرة من الإسفنج هي كل ما يتطلبه الاختبار. ولقد تم فحص ألني حالة بالطريقة الجديدة فأمكن اكتشاف الإصابة في وقت مبكر، كما أمكن

- وهذا هو المهم - التأكد من أن كثيراً من القرح المرية لا صلة لها بالسرطان بالمرّة، فأقنّد المصابون من جراحات خطيرة لا مبرر لها.

والآن تعتبر طريقة جلادستون - التي بحثت في المجلات العلمية العالمية، والتي منح صاحبها شهادة الجدارة تقديراً لجهوده التي أدت إلى ابتكارها، من الطرق العلمية الثابتة المعترف بها، بعد أن نوقشت وجربت في المؤتمرات العلمية، وبصد أن شاع استخداما في إنجلترا وإيطاليا والولايات المتحدة.

الاحتفال في أمربك بذكرى إقبال

دعا معهد الشرق الأوسط الأمريكي بواشنطن في الشهر الماضي، جمعاً كبيراً للاحتفال بذكرى شاعر الإسلام «محمد إقبال»، وقد شهد الحفل عدد من الرجال الرسميين وعدد من رجال الأدب والفكر، من أمربكا وباكستان ومصر وإيران. وكان من خطباء هذا الحفل الأستاذ محمد حسن الزيات الملحق الثقافي بالسفارة المصرية الذي نوه بما قدمه إقبال إلى الإنسانية، ورأى فيه مرشداً يهديننا إلى القمة التي نريد أن نبناها؛ وتكلم بعده سفير الباكستان، فشكر للمعهد احتفاله باسم باكستان والعالم الإسلامي؛ ونوه بما صنعه إقبال من المزج بين ثقافة الشرق والغرب؛ وأعقبه أمربكي من قسم الدراسات المتصلة بالشرق الأدنى، وأشار إلى أثر إقبال في نهضة المسلمين الإصلاحية؛ وتكلم غلام علي، مستشار السفارة

العاملين لخير المشوهين وذوى العاهات ، وغرى
وابتهاجى بصداقة معالى طه حسين باشا ، والرضا
الذى غمر نفسى لعلنى بأن العميان فى مصر
سيعوضون من عصور عذابهم المظلمة عن طريق
ذلك النور الداخلى الذى يعينه فى قلوبهم التعليم
والحياة المفيدة .

مرشح لاسلكى جريد :

تشكو الإذاعات عامة - وإذاعات الموجة
القصيرة على وجه خاص - من مختلف ضروب
التشويش الصناعى والمؤثرات الجوية الطبيعية .
ولقد استطاع المهتمسون الأمرى يكون الذين
يعملون فى محطة صوت أمريكا اختراع جهاز
صغير الحجم ، رخيص الثمن لترشيح الإذاعات
الخارجية إلى حد كبير مع الاحتفاظ بالإذاعة
فى مستوى صوتى مسموع .
ويستخدم المتروداين - وهو اسم المرشح
الجديد - فى محطات التقوية التى تستقبل الإذاعات
من المحطات الرئيسية ثم تذيبها فى الحال . وقد
دلت التجارب على نجاح المتروداين فى تخفيف
٥٢ فى المائة من المؤثرات الجوية واللاسلكية .
ويتفوق المرشح الجديد على مرشحات البلور
القديمة من حيث محافظته على درجة الصوت بينما
تنخفض المرشحات البلورية بدرجة الصوت إلى
مستوى غير مسموع .

ويقول الدكتور د. ولسون كومبتون ، مدير
إدارة الاستعلامات الأمريكية : إنه وإن كان
المتروداين لم يتغلب على التشويش الذى يواجهه
السوفيت إلى الإذاعات الأمريكية الخارجية ،
فإنه مع ذلك خطوة عظيمة فى سبيل اختراق
الستار اللاسلكى الذى أقامه الكرملين .

له مزايا أخرى إلى جانب سهولة أكله ، فهو يقاوم
الأمراض ويحتوى على كمية أكبر من السكر
ويمكن حفظه مدة أطول .

هيلين كيلر تصف مشاهدتها فى مصر

وصفت الآنسة هيلين كيلر وهى الكاتبة
الأمريكية العمياء الصماء التى زارت مصر أخيراً
زيارتها لمصر بقولها :

ما أبدع منظر القاهرة من عل بقسميها الجديد
والقديم . وما أروع النقوش الجميلة التى لامست
أصابعى فسحرتها بشهوة الإعجاب والتقدير .
وماذا عسى أن أقول فى متحف القاهرة
العجيب ، حيث لمست بالعمل مدنية جارية دفنت
حية . أو فى النيل البديع ، وحدائقه الغناء فى جانب
والأهرام الشاحخة السماء فى جانب آخر ؟
لقد خالجتني رهبة غريبة وأنا أفكر فى الآلاف
المؤلفة من الرجال الذين رفعوا تلك الصخور
الضخمة الصماء ليثيذوا بها أهرام مصر ، وفى الملوك
الذين دفنوا هناك فتحولت أجسامهم إلى تراب
ورماد ، بينما صمدت تلك المباني الحجرية لعوادي
الاجيال والقرون .

ثم ما أروع تلك الليلة التى قضيناها فى الصحراء
تحت ظلال الأهرام الجبارة حيث شعرت
كما لو كنت أرى يعنى وأسمع بأذن ذلك السكون
العميق ... وكأنه سكون عالم لم يولد بعد ، ذلك
الغموض الرهيب ... غموض الرمال التى تمتد على
مرى النظر فى جميع الاتجاهات .

على أن ما هو أعظم من جميع هذه الأعاجيب
التي لمستها فى مصر ، تلك الحفاوة البالغة والتكريم
الخالص الذى يمتاز به الشعب المصرى ، وطهارة
النفس ونقاء السريرة اللتان تطوى عليهما قلوب

طرائف علمية وأدبية

الجسم يعمل أبداً

يعتمد اتباع الطريقة الفاندية في الصوم على نظرية (الجسم يعمل أبداً) ويقولون إنه في حال انقطاع الجسم عن تناول الطعام عن طريق الفم يتكرر طريقة جديدة للتغذية ، فيبدأ بإحراق المخزونات الدهنية المتبلدة في مستودعاته الكثيرة وأهمها البطن ، وهو مستودع الشحم الذي ينتج عن كثرة ضعف في القناة الهضمية ، أما القلب وجلدة الرأس فهما مستودعان للدهن ، فالدهن يسبب ضعف الأول ، ويميت بصيالات شعر الرأس فيؤدى إلى الصلع في الثانية ، فالجسم يتغذى بهذا الدهن الضار أثناء الصوم ، وهذا يعنى أن التغذية الداخلية تبتدى بعد عشرين ساعة على انقطاع الطعام الخارجى ، إذ يبتدىء الجسم بأخذ الاحتياطات الكافية لدرء الخطر فيجهز العضلات الزائدة ويحعمل منها وقودا لحفظ حرارة الحياة فيه.

ويعتقدون أن الصوم مدة أربعين يوما يشفى من جميع العلل الجرثومية ، لانه يحرق الخلايا الهزيلة والفضلات التي لا يحتاج إليها ويتغذى بها ، وهذه الفضلات هي بمثابة أعشاش للجراثيم ، فيتعذر على أية جرثومة أن تعيش بعد فقدان عشاها . ويؤكدون أن في كل جسم فضلات زائدة ضارة تكفيه لأن يتغذى أربعين يوما فقط

وهذا معناه أن كل إنسان يمكنه أن يقضى هذه المدة المحدودة دون طعام .

الحرب المقبلة :

صرح الفيلسوف البريطاني برتراند رسل أن روسيا سائرة بخطة واسعة إلى حرب جديدة ستدوم على الأقل عشر سنوات ، وأن العالم يشرف اليوم على الحرب العالمية الثالثة لأن روسيا ترى أن مجابهة الولايات المتحدة اليوم أفضل من مجابهتها في مستقبل غير محدود ، تصبح فيه القنبلة الهيدروجينية أمراً واقعياً . ثم قال : « إن كثرة الإشاعات عن انفجار ذرى في روسيا تعمل على الاعتقاد بأن لدى الاتحاد السوفيتى نوعا من القنبلة الذرية . وفي رأى أن نازى الحرب القادمة ستشب في وقت واحد في أوروبا وآسيا . ولن ينجو أحد من سكان لندن إذا اتخذت الحرب الشكل الذى أنصّوره . »

نشاط المخ :

يقول العلماء : إن أعماخ السمك والزواحف هي أذن الأدمغة وأقلها تطوراً ونمواً بين سائر الأحياء ، وإن مخ الإنسان على كبره وقابليته للتطور أكثر تمعداً بشكله وتركيبه ؛ فهو كتلة من الأنسجة والخلايا والأعصاب وغيرها .

« لا يريد حجم القنغر الوليد على حجم قرص الاسبرين » .

إنسان القمر

في رأى عالم طبيعى أميركى أن لإنسان الغد سيكون مسيخا إذا استمر الناس على هذه الحياة الصناعية التى يعيشونها ، فانصراف لإنسان اليوم عن الأغذية القاسية التى تقتضى مضغاً عنيفاً سيفقده أضراره ، واعتماده على الآلة فى معظم شؤونه سيضعف حيويته ، ويصبح عرضة لمختلف الأمراض ثم يقول : إن أجدادنا الذين عاشوا منذ عشرة آلاف سنة كانوا يختلفون عنا اختلافاً كبيراً بعضلاتهم القوية وأضراسهم الطبيعية التى كانوا يقضمون بها الحبوب ويدافعون بها عن كيانهم . وإن الابتعاد عن الحياة الطبيعية قد مسخ شكل الإنسان حتى أنك لا تشاهد فى أكثر الناس اليوم غير الأصلع والبطين والحسير والسقيم وأمثالهم .

الجرائم الحديثة

تخطو الجراحة خطوات جبارة فى سبيل التقدم وتكشف عوالم جديدة فى الفن الجراحى ، فقد جاء فى مجلة « العلم والحياة » الفرنسية أن بعض الاختصاصيين يعتمدون نوعاً جديداً من المعجونات التى يطلقون عليها اسم « بلاستيك » لتشغل مقام المعظم الذى يحتاج الجراح أحياناً إلى قطعة من الجسم ولا سيما فى استبدال بعض الأعضاء كالآذان والأنوف والأشداق وأجزاء من الجمجمة . وذهبوا إلى أن البلاستيك مزاياء ليست لغيره

والمنح الإنسانى هو مركز النشاط العقلى وإليه ينتهى قسم كبير من الطاقة التى تولدها الأغذية فى الجسم .

وقد صرح أخيراً الدكتور هرولد هرتلى الإنجليزى وأحد الاختصاصيين بدرس المنح فى الجمعية البريطانية لتقدم العلوم ، بأن المنح يستهلك أحياناً من نشاط الجسم كله ، وأنه يستهلك ربع هذا النشاط متى كان الجسم مستريحاً لا يعمل فيه غير القلب والرئتين .

التعليم بالتلفزيون

ابتدعت جامعة وسترن ريزرف بولاية أوهايو طريقة تربوية مبتكرة أتاحت للكثيرين أن يستمعوا بدراستهم إلى جانب الموقف دون تكلف مشقة الذهاب إلى الجامعة . فلقد نظمت الجامعة منهاجاً بالتلفزيون لمحاضرات علم النفس والأدب المقارن يستطيع المتتبع لها أن يحصل فى النهاية على نفس الشهادة التى ينالها الطلبة الحاضرون .

عجائب الطبيعة

ظهر فى نيويورك كتاب جديد للعالم والمكتشف الأمريكى الدكتور روى تشابمان أندروز ، أورد فيه كثيراً من عجائب الطبيعة يجترى منها بالأمثلة الفلائل الآتية :

« تشم العثة رائحة أختها على بعد ميلين » .
« يسمع المزار الأحرصوت الديدان فى حركتها تحت الأرض » .
« يولد الانقليس (ثعبان الماء) شحنة كهربائية تسكنى لقتل حصان » .

القرون الوسطى مع أن محاولة نقل الدم من جسم إلى آخر لم تنفذ إلا في القرن السابع عشر .

وفي سنة ١٤٩٢ أشير على البابا أينو سانسو الثامن أن يشرب من دم ثلاثة فتيان ليستعيد قواه . ولا يزال الكثيرون في يومنا يعتقدون أن الدم يمثل شخصية الإنسان ، غير أن هذا الاعتقاد ليس مبنيًا على حقيقة علمية كما أثبت السير ليونل وينلي أستاذ الطب في جامعة كمبردج بقوله : « إن الصفات لا تنقل من شخص إلى آخر بواسطة الدم ، وكل جسم يدخل فيه دم غريب لا يكتسب شيئاً من طباع صاحبه هذا الدم أو من خاصية جسده ، سواء أكان زنجياً أم صينياً أم أوروبياً . وعلى هذا غصائص الفرد وصفاته تنقل إليه بالوراثة لا بالدم الغريب » .

رأى إدوين في الكيمياء

يقال إن إدوين لما بلغ السنة الرابعة والثمانين من عمره ألقى عليه مراسل إحدى الصحف السؤال التالي : إذا فرضنا أنك عدت إلى الشباب ثانية فأية مهنة تمارس ؟ فأجاب إدوين بدون تردد : « الكيمياء ! »

إن الكيمياء تتعاقب بجميع العلوم ، وستؤدي الاكتشافات الكيميائية للجس البشري في المستقبل منافع هامة يستحيل علينا أن نتخيلها الآن ،

مكتبات للمكفوفين

في الولايات المتحدة ٣٧ مكتبة إقليمية تشرف عليها الحكومة وتقوم بإعارة المكفوفين - دون مقابل - تسجيلات صوتية للكتب المختلفة فضلاً عن الكتب المطبوعة بطريقة بيرل .

فهو ينحل ولا يلتوى، فضلاً عن أنه سهل الانصاق دون أن يضرب ألياف الجسد مع المحافظة على مرونته الطبيعية .

الطاقة الذرية وكنوز البحار

تتجه أنظار العلماء إلى استخدام الطاقة الذرية لاستخراج ما في البحار من الكنوز التي لا تحصى ، فالبحار على قولهم تحوى من الذهب ما لو وُزِع على سكان الكرة الأرضية لأغنام ؛ إذ في كل ميل مربع من المياه البحرية نحو ١٦٠ طناً من العناصر الكيميائية ، وفي هذه الكمية من الذهب ما تبلغ قيمته ٣٥ مليون دولار ، ومن اليود ٣٠ مليون دولار ، وفيها ٢٥٠ ألف طن من البرومو ، وخمسة ملايين وخمسة الف طن من الماغنيزيا الذي هو أخف المعادن الصناعية .

انفجار كوكب

انفجر أحد الكواكب القديمة عام ٣٤٢ ميلادية . وفي العاشر من شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ تمكن بضعة علماء من مشاهدة هذا الانفجار الذي استغرق وصول مشهده إلى أرضنا ألفاً وستمائة سنة . وقد كان نوره يسير مدى هذه الأعوام كلها على معدل ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية ...

الدم والشخصية

قديمًا كانوا يعتبرون الدم أحد الاخلاط الأربعة التي يتركب منها الجسم ، وكانوا يعتقدون أن الجسم إذا دخل فيه دم غريب اكتسب خاصية جديدة . وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً حتى

النشاط الثقافي للأزهر

إيفاد مكفوفين إلى فرنسا وإنجلترا:

وأي فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ما أبداه عالمان مكفوفان أحدهما مدرس بمعهد القاهرة والآخر مدرس بالقسم العام ، من تفوق يستحق الرعاية الخاصة فرفع كتابا بشأنهما إلى الدوائر المسؤولة ، فوافقت على إيفاد هذين العالمين إلى أوروبا ، وأولها إلى فرنسا وهو الشيخ محمد فتحي عبد المنعم وهو حائز على شهادة الطالبة مع إجازة التدريس ، ومنسب إلى كلية الحقوق الفرنسية ، وثانيهما إلى إنجلترا وهو الشيخ زكي مدغل وهو حائز على شهادة الليسانس في الفلسفة من جامعة فزاد الأول فضلا عن شهادته الأزهرية كما أنه يجيد اللغة الإنجليزية .

وقد عرض فضيلة الأستاذ الأكبر أمرهما على المجلس الأعلى للأزهر في طكرة خاصة فأصدر قرارا بالموافقة على إيفادهما على نحو ما بينا .

في المراقبة العامة للبحوث والثقافة :

من القرارات التي وافقت عليها اللجنة الاستشارية لنشر الثقافة الإسلامية .

أولا — فيما يختص باختيار أصح التراجم للقرآن الكريم تلبية للطلبات الخاصة بذلك حتى يتم الأزهر ترجمته . وقد رأت اللجنة أن هذه التراجم لاتصلح في جهتها ، ولا بد من فحصها وتصحيح ما فيها أو في مقدماتها من أخطاء ، وأن ينشر هذا التصحيح باسم الأزهر في أوسع نطاق .

ورأت اللجنة أن من أهم ما يجب على الأزهر في نشر معاني القرآن الكريم باللغات الأجنبية أن يوضع تفسير موجز للقرآن ثم يترجم ذلك التفسير إلى ما يرد من اللغات ، وترى اللجنة أن في هذا تنفيذا لرغبة الملكية الكريمة السابقة التي صدر بها مرسوم في سنة ١٩٣٦ .

ثانيا : فيما يختص بالبحوث العلمية إلى البلاد الأوربية : وقد رأت اللجنة الموافقة على إرسال بعثات سنوية إلى الجامعات الأوربية لمد حاجة كليات الأزهر إلى الأساندة المتخصصين وأن يكون عدد أعضاء البعثات السنوية عشرة . ثالثا : فيما يختص بنشر الثقافة الإسلامية في البلاد الأوربية ، وقد رأت اللجنة تأليف ثلاث لجان لاختيار الكتب الصالحة

في اللغات الأوربية لنشر الإسلام وذلك تلبية للطلبات الواردة في هذا الشأن ، على أن تختص لجنة باختيار الكتب الألمانية وأخرى باختيار الكتب الفرنسية وثالثة باختيار الكتب الإنجليزية . وإبعا : فيما يختص بإنشاء مكتبة خاصة بمراقبة البحوث والثقافة ، وقد وافقت اللجنة على إنشاء هذه المكتبة ، وتقدمت مراقبة البحوث بمذكرة إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر ، بينت فيها الغرض منها وهو أن تزود دائما بالمستحدثات من الكتب لتكون موضع الفحص والبحث والتقدير الديني والعلمي وإذا ذلك يبدأ عمل المشيخة في المشاركة في توجيه الرأي العام في الشرق ، وذلك بالرد والافتاح بمد الفحص ،

وبما هو مروض على اللجنة الاستشارية موضوع على جانب عظيم من الأهمية وهو إنشاء معهد للدراسات الإسلامية أو معهد الدعوة الإسلامية ، وقد جاء في المذكرة الخاصة بذلك أن معهد التخصص في الدعوة الذي يتبع كلية أصول الدين والذي يحصل فيه الطالب على إجازة الدعوة والارشاد ، قد قصد به أن يكون المنخرج فيه ذا أهلية خاصة لنشر الدعوة الدينية والثقافة الإسلامية في مصر وبقية العالم الإسلامي .

ولكن التجربة قد بينت أن هناك نقعا يحول بين رجال الأزهر وبين الدعوة على الوجه المطلوب ، وذلك هو عدم وقوف الطلاب على الأحوال النفسية والاجتماعية والثقافية للشعوب والجماعات الإسلامية ، فضلا عن العادات والمذاهب الدينية القائمة بينها .

لذلك تقترح مراقبة البحوث والثقافة الإسلامية أن يحول قسم الوعظ والارشاد إلى معهد للدراسات الإسلامية أو معهد لدراسة أحوال الشعوب الإسلامية على نحو ما ينتهي إليه الرأي في تسمية هذا المعهد ، على أن يوزع الطلاب فيه إلى شعب تعد كل شعبة لخدمة الدعوة الإسلامية إلى بلد من بلدان العالم الإسلامي ، فتدرس في كل شعبة لغة ذلك البلد وأحوال أهله دراسة عميقة مؤدية إلى الغرض بمجانب تعاليم الإسلام والثقافة الإسلامية في شتى عصورها .

وينبغي أن يكون أسلوب المتخرجين في هذا المعهد في نشر الدعوة هو الأسلوب العلمي الحديث كي يتمشى مع عقليات الشعوب وتواضعها وانجهااتها في الحياة على أن يثلب فيه طابع المبرقة والثقافة على طابع الوعظ .

الإذاعات الأزهرية
في أمريكا :

أشرنا في الجزء السابق من المجلة إلى إجابة الأزهر لمطلبته السفارة الأمريكية من إذاعات متذاع في أمريكا .

وقد ورد إلينا من السفارة الأمريكية نصوص احاديث فضيلة الشيخ محمود شلتوت وفضيلة الدكتور محمد عبد الله ماضي وفضيلة الدكتور محمد الهادي . وموضوع الحديث الأول التعاون إلى هداية الله ، وقد بيناه فضيلة الشيخ شلتوت أن دين الله هو الذي يقوى بجانب الخير في الإنسان كما بين أن العقيدة الصحيحة في الله والعقيدة الصحيحة في اليوم الآخر هما عنصران هذا الدين وأن الله قد أخذ العهد والميثاق على كل نبي يرسله أن يصدق من جاءه قبله وأن يؤيد من يأتي بعده ، فعلى أرباب الرأي والقيادة إن أرادوا حياة طيبة أن يثوبوا إلى رشدكم ويرجعوا إلى هداية الله لم في جمع الناس على هذه الحقيقة الواحدة وهي الدين عند الله ،

وموضوع الحديث الثاني « حاجة العالم إلى الزورق والفتوى » وقد بين فيه الدكتور ماضي أهمية الفتوى في تكوين الجماعة الصالحة ، وقال « إن من قاصد الإسلام أن يربي الفرد بحيث يكون له وازع من نفسه ورفيق من ضيقه »

بيان من إدارة المجلة

تصدر المجلة اثني عشر جزءاً في اثني عشر شهراً ، منها عشرة أجزاء باللغة العربية ، وجزءان باللغة الإنجليزية لا يوزعان إلا في البلاد الأجنبية .

لطلاب العلم في المدارس والمعاهد والجامعات الحق في اشتراك مخفض قدره ثلاثون قرشاً على أن يدفع مرة واحدة .

يطلب الاشتراك من إدارة المجلة رأساً في مصر والسودان . ومن المكتبات الكبيرة في شمال إفريقيا والمملكة السعودية وعدن والبحرين ، ومن وكالة فرج الله وفروعها في بيروت ودمشق وبغداد . ومن مكتبة زكي جرجس بطليموس في الخرطوم

هذا الجزء تنتهي السنة الثالثة والعشرون للمجلة وستستأنف صدورها في أول المحرم بعدد ممتاز سيكون بعون الله آية في التحرير والإخراج

موقف الإسلام من أهل الكتاب :

التبس على بعض القراء معنى أوودته في مقال في الجزء السابق من المجلة ، وسبب الالتباس الاستدلال بقوله تعالى « إن الذين آمنوا والذين هادوا » الآية ، في مقام إثبات أن الداعين من أي دين أجرم ، ذلك الأجر الصادق بالاجر في الدنيا من تيسر أمورهم وصلاح شؤونهم ، وباجر في الآخرة من تخفيف بعض العذاب عنهم ، كما قال بذلك بعض العلماء ، وليس من المعقول أن نرى أن اتباع الأديان الأخرى ناجون من عذاب الآخرة وإن لم يؤمنوا بمحمد ، والبيان بالله ع

محمد محمد المدني

وموضوع الحديث الثالث « مسؤولية الفرد نحو الله والانسانية » وقد بين فيه الدكتور الهادي كيف حدد الإسلام مسؤولية الفرد نحو الله ونحو المجتمع واختتمه بآية البر الكريمة .

مجلة الأزهر

في عهدها الجديد

استقبل القراء عدد رمضان من مجلة الأزهر استقبالا جاوز المأمول ، فلم يبق ما طبع منه على كثرته شيء . كذلك رحبت الصحافة المصرية ترحيبا كريما بقل بجانبه الفكر ، ويقصر عنه التواء . وإن لنا في هذا الاستقبال وهذا الترحيب خير مشجع على مضاعفة الجهد لتظل المجلة ماضية بعون الله في نشر دعوتها وأداء رسالتها .

بيان من لجنة

الفتوى بالأزهر :

أصدرت لجنة الفتوى بيانا مفصلا عن حكم الشرع في الاعلامية في اشتراك المرأة في الانتخاب للبرلمان وهذا ذهبت اللجنة بعد أن أوردت الأدلة في نقص وشمول إلى أنه « يدين أن حكم الشرع في اشتراك المرأة في انتخاب عضو البرلمان هو كحكمها في اختيارها لتكون عضوا فيه ، كلاهما ممنوع » ،